مؤلفات.. ٨

ثروت أباظة

- بريق فى السحاب
(رواية)

ذكريات لا مذكرات

سيرة شبه ذاتية
(لمحات من حياتى)

- المقالات
(جزء أول)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

مؤلفات..

ثروت أباظة

الاخراج الفنى : فاتن احمد رضـــا

بـريق فى السحـاب
(روايــة)

(١)

استيقظ الصباح فى قرية الحمايدة ليجد بيت الحاج حامد قد صحا من نومه وراح الحاج يتوضأ ليصلى الفجر وراحت الحاجة توحيـــدة تعد الافطار لزوجها بعد أن أدت الفريضة ٠

وجلس الحاج حامد بركات بعد أن تناول افطاره يشرب القهـــوة السادة وجلست الى جانبه الحاجة توحيدة وسألها

ـ هل صحا هارون ؟

ـ طبعا لا ٠٠ هو كما تعلم يصحو فى السابعة كأنه يصحو على منبـــه ٠

ـ ربنا يكون فى عـــونه

ـ حملته العبء من أول شـــبابه ٠

ـ أنا تعبت ٠ والديون تكاثرت على ولا أستطيع أن أكافح كمـــا كنت أفعل فى شبابى وهو رفض أنْ يذهب الى الجامعة واصر على أن يعمل فى الأرض بعد أن نال البكالوريا ٠

ـ هو يحب الأرض من طفـــولته

ـ كان يصحو معى فى الفجر ليذهب الى الغيط

ـ وهـــل أنسى

ـ وكان يصلى الفجر معى وكأنه يؤدى حركات مفروضـــة عليـــه

ـ وهـو الآن لا يصـلى

ـ لم أستطع أن أرغمه على الصـلاة

ـ الصلاة لا تكون بالارغام يا حاج · قلب الانسان هو الذى يحتم عليـه الصـلاة ·

ـ أنا اعتقادى ان الصلة بين العبد وربه لا يجوز أن يتدخل فيهـا أحد حتى ولا الآباء والأمهـات ·

ـ صـدقت

ـ كل ما علينا نحن الآباء أن نعلم أطفالنا الصلاة ونحثهم عـلى قراءة القرآن دون أن نرغمهم على ذلك لأن الارغام سيجعلهم يبتعـدون عن الصـلاة والقرآن جميعـا ·

ـ لك حق ولكن وهم أطفال لابد أن نرشـدهم ·

ـ طبعا ونكافئهم أيضـا حتى اذا بلغوا مبلغ الشـباب تركناهم يواجهون الله وحدهم وانك لن تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء·

ـ مع ذلك كنت اتمنى أن يصلى هارون كما اتمنى أن يتزوج ·

ـ وأنا أيضا اتمنى هذا ولكن هارون مشغول بالدنيا شغلا يجعله لا يفكر فى الآخرة أبدا ولا فى الزواج ·

ـ نعم يا حبـة عينى مشغول بالدنيا أكثر من اللازم ·

ـ ولهذا تركت له كل شىء وأنا يكفينى ان يوفر لى أنا وأنت اللقمة وفنجان القهـوة ·

ـ وأنا وأنت لا يلزمنا شىء أكثر من هذا · ولكن يتهيأ لى أن فكرة الزواج تراوده الآن ·

***

صحا هارون من نومه فى الساعة السابعة وتناول افطاره ومـر على أبيـه ·

ـ صباح الخيـر يا أبويا ·

ـ صباح الخيـر يابنى ·

ـ أسـتأذنك ·

ـ الى أين يا ابنى الساعة لم تصل الى الثامنة ·

ـ ذاهب الى بنك التسليف ٠

ـ خير ٠

ـ حضرتك تعلم ان الشغل فيه لا ينتهى ندير ديونا ونؤجل ديونا ونأخذ السلف ٠

ـ طبعا ٠

ـ اليوم أريد أن أحصل على تقاوى القمح ٠

ـ أليس الوقت مبكرا ٠

ـ لقد جاءت الى البنك وأفضل أن أحصل عليها مبكرا حتى تكون جاهزة ٠

ـ مع السلامة ٠٠ والله يوفقك ٠

وحين ذهب هارون الى البنك أحس من الاقبال الشديد على التقاوى انها ستكون قليلة هذا العام وان الفلاحين سيضطرون أن يشتروها من السوق السوداء عند زراعة القمح وترقيع الأرض أى اعادة زراعة أجزاء الأرض التى لم تنبت ما بذر فيها فى أول مرة ٠٠

وبمكر اقتصادى لا مثيل له يتمتع به هارون كتب اقرارا انه سيزرع اربعين فدانا من القمح مع أنه لم يكن أعد من الأرض الا عشرين فدانا فقط لزراعة القمح ٠ وبقدرة فائقة على الصداقات والاتصالات استطاع أن يحصل على التقاوى التى يريدها وهو ينوى أن يبذر نصفها فقط ويبقى النصف الآخر ليبيعه بأغلى الأثمان ٠ فهو يعلم أن الفلاح عند الحاجة الى زراعة الأرض يدفع عمره ليحصل على التقاوى التى يحتاجها ٠

وهارون لا يعنيه فى شيء أن يرفق بالناس وانما يعنيه أولا وأخيرا أن يحصل على المكاسب من أى سبيل مهما يكن فى هذا السبيل عنت بالآخرين واثقال على مقدراتهم ٠

كان جالسا الى مدير البنك ليكمل اجراءات صرف الكيماوى حين دخل الحجرة سعدون عمارة وهو رجل طويل القامة ضخم الجسم يعرفه هارون ويعرف هارون ولكنها معرفة لا ترقى الى مستوى الصداقة ففارق السن بينهما ليس هينا ٠ ولكن هارون شأن أعيان الريف جميعا يعرف كل شيء عن كل انسان فى المنطقة وما حولها وقد كان يتوق الى لقاء سعدون وكان يريد أن يأتى هذا اللقاء صدفة دون اعداد سابق ٠

وقد كان سعدون أغلب وقته مقيما بالقاهرة بعيدا عن أرضه ولهذا لم يكن انتاج أرضه انتاجا يرضيه عند الفلاح الخبير ٠

استقبل هارون القادم عليه فى غرفة مدير البنك بترحاب شديد ·

ـ مرحبــا سعدون بك عاش من شافك ·

ـ اهلا هارون بك ماذا اعمل انا قليل المجىء الى العزبة كما تعرف·

ـ اعرف ·· هل جئت اليوم وحدك أم جاءت معك العائلة ·

ـ لا والله جئت وحدى فلن ابقى هنا اكثر من ليلة واحدة ·

ـ اذن فالغــداء عنــدى اليوم ·

ـ يا سيدى حفظك الله ·

ـ لا والله لن اقبل عذرا والبك مدير البنك سيشفع لى عندك ·

وقال مدير البنك محروس مهنــا :

ـ ولماذا اشــفع وانت لم تدعنى معه ·

وقال هارون :

ـ اخاف ان دعوتك ان اغضب السيدة حرمك فانا اعرف ان اولادك فى القاهرة وزوجتك معك وانك اذا تركتها فستتغدى وحدها ·

وقال محــروس :

ـ لكم اخاف منــك يا هــارون بك · ليس شىء فى بيوتنا الا وانت مطلع عليـــه ·

وقال هــارون :

ـ ليس فى الارياف سر ·

ـ ولكنى اعيش هنا فى المدينة فى الزقازيق فكيف تعرف اخبــارى كلهــا ؟!·

ـ أولاد الحلال كثيرون والناس ليس لهم تسلية الا اخبار الناس ·

ـ ترى يا هارون بك هل تعرف ما يدور فى البيوت فقط أم تعــرف أخبارنا فى حجــرات النوم أيضا ·

ـ ليس فى حجرات النوم اسرار تستحق الذكر يا محروس ·

ـ يعنى تعرف هذا أيضا ربنا ينجينا منك يا هارون بك ·

والتفت هارون الى سعدون وهو يقول له :

ـ هيه يا سعدون بك الغدا عندى أم اذيع أسرارك ·

وقهقه سـعدون عمارة وهـو يقـول :

ـ المسألة أصبحت تهديدا اذن •

وقال محـروس :

ـ تهـديد واضح •

ـ نعم تهديد •• ما رأيك

وقـال محـروس :

ـ وما الداعى للتهديد ، لا يا عم •• الغدا أهون •

وأكمل هارون عمله مع محروس • وذكر سعدون ما جاء فيه وانهى هو أيضا موضوع التقـــاوى الذى كان قادما من أجله وصحب هارون سـعدون الى البيت • وسرعان ما أعطى أوامره باعـداد غداء يليق بالموضوع الذى دعا من أجله سعدون الى الغداء •

★★★

تناولا الغداء فى حجرة المائدة وانتقلا الى غرفة الاستقبال • وكـان بيت الحاج حامد ذا طابقين • فالطابق الأول خالص للاستقبال تقـريبا والطابق الأعلى مخصص للنوم •

وقـال هارون :

ـ هل تحب أن تنام قليلا أم لست متعودا على نوم القيلولة ؟ •

ـ ليس دائمـا •

ـ أما أنا فأحب أن أنام •

ـ وهو كذلك •• تفضل •

وصحبه الى غرفة خاصة لنوم الضيوف فى مثل هذه الحالات واطمأن الى صلاحية الغرفة للنوم واقفل بابها عليه وذهب الى أريكة بحجرة واتكأ عليهـا وغفت عيناه واحلام سعيدة تداعب جفنيه •



حين صحا سعدون من النوم جلس الى هارون فى حجرة الاسـتقبال يحتسيان القهوة وقال هارون :

ـ ما رأيك يا سعدون بك عندى لك مشروع يفرحك •

ـ يا ليت ٠٠ قل ما هو ٠٠

ـ أنت أغلب الوقت بعيد عن البلد وارضك حوالى سبعين فدانا ليس فيهـــا أرض مؤجرة لفـــلاحين ٠

ـ عندك أخبارى كلها كيف عرفت أنها سبعون فدانا مع أن المسجل منهـا خمســون فقط ٠

ـ أتحب أن أذكر لك أسماء الأربعة الذين بعت لهم العشرين فدانا الأخرى بيعا صــوريا ؟

ـ لا ٠٠ لا داعى واضح أنك تعرف كل شىء عنى ٠

ـ أنت لست هاويا للفلاحة والبنتان عنـــدك لا تحبان الريف ٠٠ وأنت تحب أن تقضى وقتا مع الأصدقاء والزراعة عندك الآن لا تأتى بهمها ٠

ـ والله لك حــق ٠٠

ـ كم تكسب من الأرض الآن ؟ ٠

ـ حوالى ألفى جنيه فى السنة ٠

ـ هذا ما قدرته فعــلا ٠

ـ أنت وضعت يدك على حقيقتى أنا لست فلاحا ماهرا ولا محاسبا ماهرا وأعلن اننى مسروق فى كل شىء سواء فيما أنفق على الزراعة أو ما أحصل عليه من محصول الأرض على السواء ٠

ـ ما رأيك لو أعطيتك ثلاثة آلاف جنيه فى السنة تأخذها دفعة واحدة كل عام فى شهر نوفمبر ٠

وصمت سعدون قليلا ثم قال :

ـ أحيانا أحب أن أجىء الى البلدة ومعى أسرتى ٠

ـ سبحان الله أنا استأجر الأرض لا أشتريها ٠ وبيتك لا يلزمنى ٠٠ تعــال أنت وأسرتك كلما شئت ٠

ـ على بركه الله ٠

ـ نكتب عقــدا ٠

ـ عقــد ايجــار ٠

ـ عقد توكيل بادارة الأرض وعنــدما اســلمك المبـلغ تكتب لى ايصــالا به ٠

ـ توكلنــا على الله ٠

ـ توكلنــا على الله ٠



حين عاد سعدون الى بيته استقبلته زوجته وفية الزهار التى تزوجها منذ خمسة وعشرين عاما زواجا نمطيا فقد كان والده عبد الهادى بك عمارة صديقا لوالدها عثمان بك الزهار وكانا متجاورين فى الأرض ٠ وكانا يقيمان شأن ذلك الزمان بالريف أغلب الوقت فكانا يسهران معا فى بيت أحدهما يلعبان النرد ويلتقيان بالناس وكان كل منهما يعرف أصدقاء الآخر معرفته بأصدقائه وبفلاحى أرضه هو فكان عبد الهادى دائما يلتقى فى مجلس عثمان الزهار باثنين لا يغيبان عن مجالسته أحدهما عطا الله عبد السيد وهو تاجر أقطان صغير يعمل فى كميات قليلة من القطن دون توسع فى البيع أو الشراء ولكنه كان ميسورا كريما على نفسه حسن المظهر دائما يلبس الجلباب البلدى الأنيق فان كان الشتاء يلبس معطفا من الصوف الجيد وكان يجيد الحديث عالما بأسرار المنطقة وكان عبد الهادى يسمع منه دائما أخبارا جديدة ٠ وكان لبيبا فى تعليقاته ذكيا كل الذكاء فى تفهمه لما يسمع ٠ وكان يقرأ الجرائد بدقة شأن التجار ليتنطى أخبار السياسة صاحبة العامل الأول فى أسعار التجارة وخاصة القطن أما الرجل الثانى فقد كان الحاج وافى العسكرى وليس اسم العسكرى دليلا على أنه كان يعمل فى الجيش أو الشرطة وانما هو اسم وجده لنفسه وعرفت به أسرته دون أن يكون له معنى أو أصل تاريخى وقد كان الحاج وافى من أعيان بلدة النمايلة التى بها أرض عثمان بك الزهار وبيته ٠ وكان الحاج وافى يعمل فى تجارة الغلال وكان يأبى أن يشترى أرضا لتظل أمواله كلها سائلة حرة يشترى بها ما يتاح له من صفقات ٠ وكانت محاوراته مع عطا الله أفندى تضفى على الجلسة نسمات رطيبة من الضحك وخفة الروح وقد كان أيضا على صلات كثيرة بالناس شأنه شأن عطا الله أفندى وكان يعرف خباياهم ولم يكن له الا ولد واحد وكان هذا يسعده على عكس ما عرف عن أعيان الريف من حبهم لكثرة الأبناء فى حين كان لعطا الله أربعة أبناء كلهم ذكور ٠

وكان عثمان بك اذا زار عبد الهادى بك وجد عنده دائما ناظر زراعته ابراهيم أفندى جنديه ولم يكن أفنديا كامل الأفندية وانما كان يلبس مثل عطا الله عبد السيد الجلباب البلدى والطربوش وبالطربوش وحده اكتسب لقب أفندى كما اكتسبه أيضا بخبرته الدقيقة بالحساب والدوبيا ٠٠ والدوبيا هذه لفظة لا يعرفها أبناء الجيل الجديد انها طريقة خاصة للحسابات أغلب الأمر كانت تتم بها محاسبات الزراعة ٠

وكان ابراهيم رجلا أمينا غاية الأمانة لا عيب فيه الا ادعاءه لنفسه من الأعمال الجلائل ظرفا يتيح لعبد الهادى بك وجلسائه أن يتفكهوا به

ويتندروا عليه فكان يقبل دعاباتهم فى سماحة · ويمضى فى حديثه عن أعماله الجليلة وكأن أحدا لم يقل شيئا أو يسخر مما يقول ·

وكان من جلسائه الشيخ متولى عبد الموجود وقد كان فلاحا حاذقا فى الفلاحة ويحفظ القرآن وان كان لا يلبس العمامة وكان لا يملك الا فدانين يحصل منهما على محصول لا تنتجه خمسة أفدنة وكان عبد الهادى يغدق عليه الهدايا وكان هو محبا أشد الحب لعبد الهادى بك ·

وكان فى مجلس عثمان أيضا شخص آخر يجده عبد الهادى كلما زاره وهو بلال أفندى عبد الفتاح وكان مدرسا فى المدارس الالزامية ومحبا للشعر يحفظ منه الكثير وينظم منه القليل وكان عبد الهادى وعثمان يأنسان الى حديثه سواء كان راويا للشعر أو ناظما له وكان لماح الذهن حاضر البديهة يملك أربعة أفدنة وكانت مع مرتبه تجعل منه واحدا من أغنياء القرية خاصة وانه كان شديد البخل الا فى ملبسه الذى كان دائما أنيقا · وكانت الصداقة بين عثمان وعبد الهادى وطيدة ولهذا لم يكن غريبا أن يتزوج سعدون وفية · ولم يلاق عبد الهادى بك من ابنه أى ممانعة ·· فلم يكن سعدون يعرف فتاة أخرى وكانت الفتيات عنده كلهن متساويات لا فارق ثمة بين فتاة وفتاة وكل ما فعله أنه سأل أباه عنها :

ـ شفتها يا ابويا ·

ـ طبعا شفتها ·

ـ حلوة ·

ـ قمر ·

ـ توكل على الله ·

ولم تكن وفية قمرا ولكنها أيضا لم تكن قبيحة كانت فتاة كأى فتاة لاتجتذب عينيك اذا رأيتها وهى أيضا لا تجعل عينيك تنصرفان عنها · كانت بيضاء البشرة ذات شعر أسود لا هو بالمسترسل ولا هو أيضا بالملبد ذات عينين سوداوين فى غير ضيق ولا اتساع ·· تلقت تعليمها فى المدارس حتى بلغت السنة الثانية من الثانوى ثم ضاقت بالتعليم أو ضاق بها التعليم فأقامت فى بيت أبيها تنتظر العدل ·

وتزوجت سعدون وكان سعدون أيضا قد ترك التعليم بعد حصوله على البكالوريا التى تقلبت عليها الأسماء فأصبحت توجيهية ثم أصبحت ثانوية عامة · ولم يكن سعدون راغبا فى اكمال تعليمه ولا كان أبوه مهتما بذلك أيضا راجيا أن يتفرغ سعدون لفلاحة الأرض ·

ولكن سعدون لم يكن يهوى الفلاحة فلما لبث بعد زواجه بسنة وبضعة أشهر أن أقام فى بيت أبيه فى القـــاهرة فى حى جاردن سيتى ولم يكن البيت فخما ولا كان متواضعا وانما وسط بين هذا وذاك ولم يكن أبوه راضيا عن ذلك ثم احتسب الله ربما بعد أن أموت أنا يضطر سعدون الى فلاحة الأرض فليس له مورد رزق حقيقى الا هى وعمارة الزمالك وعمارة عابدين وهما عمارتان قديمتان ما يلبثان أن يهدما ويجد سعدون نفسه وجها لوجه مع الأرض ٠ وماذا سيفعل فى أرض زوجته انها سترث أيضا ٠٠ أتركها لله كله بأمره ٠

تعود سعدون منذ ذهب الى القاهرة ان يجلس فى بار الانجلو الذى يضم كثيرين من الأعيان وكان البار فى الصباح مقهى وفى الليل بار ٠

وأصبح سعدون زبونا دائما له فى الليل أما فى الصباح فهو يعكف فى البيت على القراءة فكان يقرأ بنهم شديد وبمتعة لا مثيل لها ٠٠ ووجد نفسه فى جلسة المساء جالسا الى قوم لا هم لهم الا شرب الخمر وتبادل الحديث المخمور فكان لابد له ان يشاربهم وأعجبته نشوة الخمر فصار يشرب حتى اذا مرت به وفية آخر الليل لتصـــحبه الى البيت وجدته فى حالة سكر بين وضاقت بهذه الكارثة ولكنها ما لبثت ان راضت نفسها على قبول الأمر الواقع فلم يكن لها حيلة الا أن تقبل الأمر الواقع ٠

وأحب سعدون الخمر وفتن بمجالسة المخمورين وتعود كلما جاء السائق ليدعوه للقيام ويبلغه ان الست تنتظره يقول له :

ـ يا مغفل ابجث عنى بعض الوقت هـل لابد أن تجـدنى بهـــذه السرعة ٠

ويتــابع الشرب ويظل السائق رائحا غاديا بينه وبين وفية حتى يقوم كارها ٠

ولم تمض سنة على مجيئه بالقاهرة حتى حملت وفية طفلتها الأولى حميدة ولم يمض أكثر من عام وبعض عام حتى رزق الزوجان بابنتهما الثانية وجيدة ولم يكن سعدون يهمه أن ينجب البنين أو البنات فقد أصبح لا يعنيه من الحياة الا الكأس والقراءة التى يتفرغ لها نهاره كله ٠ ولم يكن أمر سعدون خافيا على هارون ولكنه أبى أن يذكر له وهو يفاوضه فى الأرض معرفته بحبه لبار الانجلو وما يشربه فيه ٠

كانت حميدة فى العشرين من عمرها حين تمت الصفقة بين هارون وسعدون ٠

وكان سعدون اذا لم يكن مخمورا غاية فى التعقل والاتزان وكانت الخمر تخرجه عن وقاره بعض الشىء ولكنه لم يكن يخرج عن أدبه قط وكان يستطيع ان يتحكم فى الفاظه · وكان ذكيا فى سكره فاذا أراد أن يصارح احد أصدقائه برأى لاذع فيــه ادعى أنه سـكران وقـال ما يريد قوله ·

لهم صديق اسمه عيسى حامد ثرى غاية الثراء بخيـل كز غـاية البخل والكزازة ويتمتع عن كل بخيل بصفاقة يشهد له بها جميع رواد المقهى يأتى فى كل ليلة ويمر على المناضد واحدة بعد أخرى وتدعوه كل منضدة الى كأس أو كاسين يشربه أو يشربهما وينتقل الى منضدة أخرى فما أن تنتهى دورته على المناضد حتى يكون قد نال من الويسكى كفايته دون أن ينفق مليما واحدا وفى ليلة مر كعادته بمنضدة سعدون وكان لســان سعدون قد بدأ يلتوى من الخمر فيبدو وكأن الوسكى قد تعتعه فنادى بأعلى صـــوته ··

ــ مانولى ·

فجاء القاهى

ــ افندم ســعادة البك ·

ــ حسابنا كله الليلة عند عيسى بك حامد

وزلزل عيسى زلزالا شديدا

ــ مــاذا ؟

ــ أى ماذا يا أخى انت كل يوم تأتى الى المقهى وتسكر مجانا وتروح ادفع مرة الحساب عن نفسك الا تحب أن تشعر مرة بلذة السكر على نفقتك الخاصـــة ·

ــ ولكن هذا ظلم يا سعدون بك

ــ الظلم ما افعله انا بك أم ما تعمله أنت فى زبائن المقهى كل ليلة ·· خف ولا تثقل حتى لا يضيق بك أصحابك ورفاق كأسك ·

وهكذا كان يفعل سعدون كلما عن له أن يصارح أحد الجالسين معه برأيه فيه فكان أصدقاؤه يحبون مجالسته كل الحب ويضحكون مما يفعله ويقوله ·

وقد ارتاح سعدون كل الارتياح للصفقة التى اتمها مع هارون وحين عاد الى زوجته بعد اتمام الصفقة أخبرها بها فاذا هى تقــول :

ـ مبروك يا سعدون ولكن لم نسيتنى ؟

ـ كيـف ؟

ـ أرضى

ـ أليست أرضك مع عطا الله افندى والحاج وافى ؟

ـ انها معهما بناء على عقد بيع صورى ولا احصل منهما الا على مبالغ ضئيلة فلما لا تؤجر الأرض لهارون ويدفع لى مثلما يدفع لك ٠

ـ والله فـكرة ٠

★★★

كان عثمان الزهار يدرك ان ليس له الا بنت واحدة وكان يملك مائة فدان لو مات عنها ما ورثت ابنته الا نصف الأرض ويشاركها اخوه مجدى واخته تفيدة فى النصف الآخر فتشاور مع زوجته بهية على أن يبيع أرضه مناصفة لعطا الله افندى وللحاج وافى ويكتب كل منهما على نفسه وصل امانة بقيمة الأرض واستحسنت بهيه الفكرة ونفذها عثمان فعلا وسـجل الارض ولم يمر على تسجيل الارض سنة حتى كان عثمان قد انتقل الى رحمة الله قبل أن يشهد ثورة ٥٢ ٠

★★★

أما عبد الهادى فقد شهد ثورة ٥٢ ولحق به قانون الاصلاح الزراعى الأول وكان يملك سبعين فدانا فلم يكن واقعا تحت طائلة القانون ٠٠ ولكنه ادرك بالهام لا يدرى ماتاه أن الأمر لن يقف بالثورة عند هذا فقال لابنـه سـعدون ٠

ـ أرى الا نبقى لك أكثر من خمسين فدانا ٠

ـ تريد ان تبيع عشرين فدانا ٠

ـ تبيعها ولا نبيعها ٠

ـ يجب ان تكون واثقا من المشترين

ـ لقد فكرت فيهم فعـلا ٠

ـ ابراهيم افندى جنديه ومن ؟

ـ انا لا أريد ان ابيع للشخص الواحد اكثر من خمسة افدنة ٠

ـ كـلام معقـول ٠

ـ طبعا سابيع خمسة افدنة لوالى قطب ٠

ـ طبعا هذا واحد منا ٠

ـ وما رايك فى الاثنين الآخرين ؟

ـ موجـــودان

ـ من

ـ ما رأيك فى الشيخ متولى وبلال افندى ؟

ـ ونعـــم ٠

ـ على بركة الله ٠

ـ على بركة الله ٠

وتم البيع الصورى لكل هؤلاء فعلا ولكن استمر عبد الهادى يزرع حتى توفى وحين ورث سعدون الأرض ظل الأمر على ما كان أيام أبيه ٠ ولم يجـد هارون أية صـعوبة فى تسـلم الأفدنة السبعين كاملة بما فيها العشرون فدانا المباعة بيعا صوريا ٠

☆☆★

اما الحاج حامد بركات والد هارون فكان لا يملك الا بيتا فى عابدين وأربعين فدانا وحين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول باع أرضه كلها لابنه هارون حتى يعفيه من ضريبة التركات وكان هارون فى ذلك الحين قد تراك الدراسة وبقى فى الأرض يفلحها ويحاول ان يسدد الديون المتراكمة عليها لبنك التسليف ولم يكن الأمر سهلا ولكنه بذكائه الشديد استطاع أن يجعل أموره تسير وكان هارون فى ذلك الحين فى الخامسة والعشرين من عمره ولكن درايته بادارة السلفيات وتأجيلها والحصـول على سلفة جديدة لتسديد سلفة قديمة حل موعدها كانت دراية واسعة مكنته ومكنت أباه وأمه أن يعيشوا عيشة ميسرة وحين تمكن من عقد صفقته مع سعدون أحس انه على ابواب الغنى الذى يسعى له سعيا حثيثا لا يرده عنه شىء ولا يقف فى سبيل وصوله اليه حائل مهما يكن هذا الحائل متصلا بالنزاهة أو غيـرها ٠

(٣)

دق جرس التليفون فى بيت الحاج حامد بركات وكان المتحدث سعدون عبد الهادى وسأل عن هارون وامسك هارون سماعة التليفون ليسمع صوت سعدون ٠

ـ كيف انت يا هارون بك ٠

ـ مرحبا ٠

ـ هل تنوى المجىء الى القاهرة قريبا ٠

ـ انا تحت أمرك

ـ أريد أن أراك فى أمر يهمك ٠

ـ أجىء اليك باكر ان شاء الله ٠

ـ نتغدى معا ٠

ـ وهو كذلك ٠

★★★

على الغداء كانت المائدة معدة اعدادا انيقا وتحلق حولها اسرة سعدون وفية هانم وحميدة ووجيدة ٠

كان هارون يفكر تفكيرا جادا فى الزواج ٠

وكان يعرف ان لسعدون بنتين ولكنه لم يكن رآهما من قبل ٠

وكانت حميده مقبولة السمات لا هى بالجميلة الباذخة الجمال ولا هى ايضا على شىء مما يعاب فى وجوه الفتيات ٠ وكذلك كانت أختها ٠ الا أن حميدة كانت ذات شعر أسود داكن منساب تجيد التعامل معه وتجعل منه وسيلة من الوسائل التى يكسب بها الفتيات وجوههن جمالا ورقة وعذوبة ٠ وقد كانت حميدة وادعة فيها طيبة وهدوء طبع كما كانت أختها كذلك وربما كان لشعور الفتاتين بما يدمنه ابوهما من شرب الخمر أثر فى جعلهما تشعران ببعض الأسى الذى يلون هذا الهدوء ويجعل فيه رضا بما قسمه الله لهما ٠

وان لهارون عينا نافذة ظلت تنتقل بين الفتاتين فى ذكاء ودهاء حريصا دائما الا يشعر الوالدان او الفتاتان انه يمعن النظر فيهما ٠

كان هارون فتى اقرب الى الطول منه الى القصر وكان شعر راسه مرجلا ولم يكن بالشعر الكث واسع الجبهة ضامر الخدين له ذقن مدببة وأنف فطساء ووجه أقرب الى الطول منه الى الاستدارة وكان من أولئك الناس الذين يستطيعون ان ينفذوا الى الذين يلاقونهم بابتسامة ثابتة لا تترك فمه ومع ذلك يستطيع ان يشيع فيها الحياة بما له من موهبة قادرة على ارضاء جميع الناس والتلطف فى الحديث اليهم ومعرفة مواضيع الحوار القريبة الى نفوسهم بل وبمقدرة فائقة على الوصول فى لمحة خاطفة الى المكامن الخفية فى نفوس محدثيه التى تجعلهم سعداء راضين عن انفسهم وعنه كل الرضاء ·

وانتهى الغداء وانصرفت الفتاتان وخلا بهارون وسعدون ووفية هانم ونظر سعدون الى زوجته وقال :

ــ تتكلمين انت أم أتكلم أنا ؟

وفى ذكاء لماح قال هارون :

ــ ان كان لى رأى انا أرى ان صوت السيدات أجمل بكثير من صوت الرجال وقال سعدون مستجيبا لتظرف هارون :

ــ اذن قضى الأمر تكلمى يا ستى

وقالت وفية على استحياء :

ــ يعنى يا هارون بك تأخذ أرض زوجى وتترك أرضى

ــ والله أصيت ان أجرب الأمر فى أرض سعدون بك أولا ؟

ــ ولماذا لا تجرب فى أرضنا معا

ــ أنا أعرف ان عطا الله افندى والحاج وافى يزرعان الأرض ويقدمان ريعها كاملا اليك ·

ــ الحقيقة انا لا اشكو منهما شيئا فكلاهما رجل أمين ولكنهما يزرعان الأرض زراعة تقليدية وطبعا كتر خيرهما فهما لا يكسبان منى شيئا انما شعورهما انهما ليسا مالكين ولا حتى مستأجرين يجعلهما خائفين من التعامل مع الأرض ·

ــ انا أعرف أن الأرض ليست مؤجرة

ــ هذا صحيح انها ليست مؤجرة

ــ لا تنسى يا هانم ان عطا الله افندى والحاج وافى مع ما هو مشهور عنهما من امانة يكسبان من الأرض مكسبا كبيرا ·

ـ اترى ذلك ؟

ـ يكسبان الوجاهة وشعور الناس بالحاجة اليها ٠٠

ـ والله ٠٠ جايز

ـ بل مؤكد وأظنك تأخذين من كل منهما الفا وخمسمائة جنيه كل عـام ٠

وقال سعدون

ـ حتى هذه تعـرفها ٠

وقالت وفيـة :

ـ فعـــلا

قال هارون :

ـ أيرضيك أن أدفع اليك فى الأرض كلها أربعة آلاف جنيه ٠

ـ على بركة الله ٠

ـ وساوقع العقدين مع عطا الله افندى والحاج وافى ٠

ـ وهو كذلك ونحن سنبلغهما ان يسلماها اليك ٠

ـ على بركة الله ٠

★★★

(٤)

جلس هارون الى والده وامه وهما يشربان قهـــوة الصباح وقال الحـاج حامـد

ـ هيه يا هارون ماذا تنوى أن تزرع أرض سعدون وزوجته ؟٠

ـ والله يا أبى لم اقرر بعد ٠ أبحث فى فكرة زراعة موالح ٠

ـ ربنا يوفقك يا ابنى ٠

ـ المهم أريد أن أقول لكما شيئا اعتقد انكما ستفرحان له ٠

وقـــال أبوه :

ـ هيــه هل آن الأوان ؟

وقالت الأم فى فرحة :

ـ أخيرا نويت

وضحك هارون مقهقها وهــو يقــول :

ـ وهل قلت شيئا

ـ وقال الحاج حامد :

ـ بل قلت كل شيء

وقال هارون :

ـ اذن موافقان

وقال الحـــاج :

ـ على الزواج نعم ولكن الا تخبرنا من العروس

قــال هارون :

ـ حسبتك عرفتها

وقالت الأم :

ـ حميدة بنت سعدون عمارة ٠

وضـــحك هارون :

ـ وكيف عرفتها ؟

وقال الحاج حامد فى ظرف وابتسامة :

ـ المسألة لا تحتاج الى ذكاء

ـ وما رأيك يا أبويا ؟

ـ والله لا عيب فيها الا ادمان أبيها للخمــر

وقالت الحاجة توحيــدة :

ـ ونحن مالنا وماله

وقال الحــاج حامد :

ـ توكل على الله ان سعدون صديقى وحبيبى منذ سنوات

وشدت الأم ابنها فقام من مجلسه واحتضنته أمه فى سعادة غامرة ودموع من الفرح تترقرق فى عينيها :

ـ الف مبروك يا بنى ٠٠ الف مبروك يا هارون

وقـــال هارون :

ـ على مهلك يا أمى ألا نعرف أولا ان كانت عائلة سعدون موافقة أم لا

قالت الأم :

ـ لا ، من هذه الجهة لا يكن عندك فكر ٠٠ طبعا موافقة

وقال هارون :

ـ متى تستطيعان السفر الى القاهرة ؟

وقال الحاج حامد :

ـ ان شئت قمنا معك الآن ٠

وقال هارون :

ـ لا ليس الى هذا الحد ٠ فكلمهم أولا ونتفق على موعد

وقال الحاج حامد :

ـ وهو كذلك

★★★

ان للفتيات فى سن حميدة ووجيدة حاسة سادسة يدركن بها ان هناك نظرة نافذة تحيط بهن وتتعرف ما يحاولن أن يخفينه من أعماق نفوسهن ٠

وبهذه الحاسة لم يخف عن حميدة ووجيدة النظرات المتلصصة التى كان يختلسها هارون طوال فترة الغداء ٠

وأدركت حميده انها أقرب الى اختياره من وجيدة ٠ كانت نظراته الى أكثر تعمقا ٠٠ والله لا بأس به ربما كان أكبر منى قليلا ولكنه مناسب على أية حال وأحسب اننى استطيع ان اطمأن الى حياتى وانا زوجة له ٠ وأنا ـ والحمد لله ـ لا أحب أحدا بذاته ٠ وان كان توفيق قريبنا الذى لا أعرف درجة قرابته لى يحاول ان يشعرنى باهتمامه بى الا أننى لا أرتاح اليه انه لا يعرف شيئا عن مشاعر الحب التى يحاول ان يتخفى وراءها بالنظرات التى أحس فيها الكذب والكلمات التى اشعر فيها بالاصطناع الذى يفشل أن يخفيه ٠

واحسب أن توفيق بلا مشاعر على الاطلاق ٠ وأرى أيضا أن هارون بلا مشاعر على الاطلاق ولكنه لا شك ذو عقل واع رصين تجربته أكبر من سنه بكثير ثم هو ليس فقيرا فقر توفيق فان كان يفكر فى مال أبى وأمى فليزيد هذا المال فليس هناك ما يدعوه أن ينهبه أما توفيق فشاب

ما زال فى نزق الشباب وليس بعيدا حين يخلص هذا المال الى بعد عمر طويل أن ينهبه توفيق لينفقه على ملذات الشباب • الأمر الذى لا أخشاه مطلقا من هارون • فواضـــح ان هارون كلف بالثروة ولوع بالمغنى • ولا بأس على أن يكون زوجى فأغلب الأمر انه سيجعلنى سعيدة فى حياتى وانه سيجعل حياتى هذه بلا مشاكل على الاطلاق • وانا أعـــرف نفسى وأعرف اننى أحب أن احيا حياة راضية وان كنت أحب الأشياء النفيسة فلا يستطيع احد أن يلبى هذه الرغبات التى تزخر بها نفسى الا رجل غنى وواضح ان هارون سيصبح ذلك الغنى الذى يتمنى لنفسه ان يكونه •

اما وجيدة فقد أحست بنظرات هارون • واضح انه اختار حميدة فانا وحميدة متقاربتان فى الجمال وطبيعى ما دام الأمر كذلك أن يختـــار الكبرى ما دام الاختيار قائما على العقل وحده فما رآنى ولا رأى حميدة قبل اليوم وليس فى شىء يجعله يفضلنى على حميدة •

وفيم العجلة فكما وجدت حميدة هارون أو كما وجـد هارون حميدة فالطبيعى والمعقول أن أجد من يجدنى انا أيضـا فهنيئا لحميـده بهارون وهنيئا لهـارون بحميدة •

★★★

لم يدهش ســـعدون ولا دهشت وفيـــة حين دق جرس التليفون فى منزلهما وكان المتحدث الحاج حامد بركات • فكلاهما لم يغرب عنه سرعة اقتناع هارون أن يتولى أرض وفية كما تولى أرض سعدون ورأوا فى ذلك دلالة على انه انتـوى شـيئا ولم تســـتطع وفيـــة أن تكتم ما جاش فى صــدرها •

ـ اتراهننى انه ينوى ان يخطب واحدة من البنتين

ـ لا •• لا اراهنك فهذا أمر محتمل • وما رأيك ؟

ـ والله الرجل لا عيب فيـــه

ـ ربما كان اذكى مما ينبغى

ـ وهل هذا عيب ؟

ـ أحيانا كثيرة يكون الذكاء المفرط شرا من الغباء

ـ ما هــذا الكلام ؟

ـ عيب الأذكياء انهم لا يقدرون ذكاء الآخرين فيقعون فى مشاكل لاحد لها

ـ ما هــذه الفلســفة آ

ـ تعلمتها من تجاربى مع الناس ومن كثرة ما قرأت

ـ أهذا عيبه فى نظرك

ـ وهو يتعجل الغنى

ـ الله يبارك له

ـ عيب هؤلاء انهم لا يذكرون الله كثيرا ولا يعنيهم أن يرضوه

ـ يا أخى قل هذا الكلام لنفسك

ـ الله يعلم ما بينى وبينه أما ان كنت تقصدين الخمرة فعقوبتها ستون جلدة وأنا عامل حسـابى ان يجلدنى الملائكة الجلدات الستين ثم سيكون كتابى بعد هذا فى يمينى ان شاء الله ٠

ـ عينى عليك باردة انت مرتب كل أمورك مع ربك ٠٠

ـ حسبى انى لا أوذى أحدا ٠٠

ـ بل انت تؤذى أهم انسان بالنسبة لك

ـ من هذا ؟

ـ نفسك انت تحطم كبدك والذى لا يحافظ على نفسه لا يستطيع أن يحافظ على الناس ٠

ـ المرض والموت من عند الله

ـ سبحانه من عنده كل شىء ولكن الانسان لا ينتحر ثم يقول الموت من عند الله ٠ هذا كفر ٠

ـ الكفر والايمان الله وحده يعلمهما ٠

ـ ألا تخشى أن تعتدى على أحد وانت سكران ؟

ـ انا لا أشرب الا بعد أن اصلى العشاء وكل الذين حولى سكارى والحمد لله والسكران يفهم السكران الآخر ولا يغضب منه

ـ عجيبة اننا نسمع كل يوم عن السكران الذى قتل والسـكران الذى بطح

ـ اتظنين اننى يمكن ان اقتل أو أبطح ٠

ـ المهم هل معنى هذا أن نرفض هارون

ـ أنا لم أقل نرفضه ولكن فقط أذكر لك عيوبه وادعو الله أن يقيـه شر نفسه ولهفته على جمع المال ٠

ـ ولمن سيكون المال أليس لابنتك وأحفادك ٠ ٠

ـ يا وفية المهم ليس المال وانما المهم كيف نجمع هذا المال ٠

ـ ايســـرق ؟

ـ اذا تاكد ان احدا لن يكشف سرقته ٠ وهناك وسائل كثيرة لجمع المال عند المنهوم ٠٠ السرقة واحدة منها ٠

ـ اترك المستقبل لله

كان التليفون الذى دقه فى منزلهم الحاج حامد يوم السبت وتواعدوا على أن يتناول الحاج حامد وأسرته الغداء فى بيتهم يوم الاثنين ٠

☆☆☆

قال حـامد :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين انا يا ســـعدون بك أملك أربعين فدانا وبيتنا فى المنيرة ولذلك لم تنل منى الثورة سهما واحدا ٠ وانا وانت أصدقاء منذ زمن بعيد ٠

ـ نحمد الله ونشكر فضله ٠٠

ـ منذ أول قانون بعت الأرض بعقد مسجل فى الشـــهر العقارى لهارون ابنى ولم يبق على ذمتى شىء الا البيت وهارون هو الذى ينفق على انا وأمه ونحن مطالبنا لا تزيد عن اللقمة والهدمة وفنجان القهوة ٠

ـ اطال الله عمرك

ـ ونريد ان نزوج هارون

ـ على بركة الله

ـ مد يدك واقرأ معى الفاتحة على خطبة حميدة لهارون ٠

ـ على بركة الله ولكن ألا ترى أن نسألها

ـ طبعا ٠٠ قم فاسألها

ـ قد تطلب مهلة

ـ المهلة تكون حين تريد أسرة الخطيبة أن تسأل عن أسرة الخاطب وهذا لا داعى له بيننا فكل منا يعرف عن الآخر كل شىء ٠٠

ولأول مرة يتدخل هارون قائلا ٠٠

ـ يا أبى لا تحرج سعدون بك

وقالت وفيـــة :

ـ لا يا هارون ٠٠ ليس هنـاك أى حــرج وان كان على السـؤال فسأقوم انا واسألها الآن ٠

وقال الحــاج حامد :

ـ توكلى على الله

وقامت وفية وعادت وعلى وجهها اشراق الأم حين تفـــرح بابنتها وقالت :

ـ اقرأ الفاتحة يا سعدون على بركة الله ٠

وما هو الا شهر وبعض شهر حتى تم الزواج ٠



(٥)

كان الحاج حامد قد اشترى بيته بالمنيرة أيام الحرب العالمية الثانية وكان يقيم به أوقاتا كثيرة الا أنه أخيرا فضـــل أن يقيم ببيته فى قريته الحمايدة ولا يترك الريف فقد كان أصدقاؤه فى القاهرة أغلبهم قد اشتغل بهموم الدنيا التى تكاثرت بعد الثورة فوجد أن فى اقامته بالحمـــايدة ما يعينه على قطع الوقت مع أهل البلد الذين يزورونه وفى لعب النرد مع بعضهم وأغلب القاصدين اليه ٠

وربما كان مختـــار عمر أكثر الزائرين له انتظاما فى الزيـــارة ومختار عمر مدرس ابتدائى أحب الحاج حامد وانس اليه وكان يلعب معه النرد أحيانا حتى اذا ملاها جرى بينهما الحديث تعليقا على ما جاء فى الصحف أو تعليقا على ما يحدث فى القرية أو فى القرى المجاورة وكان ومختار عمر مدرس ابتدائى أحب الحاج حامد وأنس اليه وكان يلعب معه ويتركه وقت الغداء ليعود اليه بعد القيلولة ليستأنفا ما انقطع من حديث الصباح أو الظهيرة وكان هناك زائرون كثر للحاج حامد فهو يحظى بين أهل الحمايدة بالحب والتقدير فقد كان رجلا ســمحا فى معاملته للناس حريصا أن يرضى الجميع وكان يعين الناس على قضاء حوائجهم وكانوا يعرفون انه ليس ذا ثراء فلم يكن أحد يطلب اليه ان يعينه بمال هبة كان هذا المال أو كان قرضا ٠ وكان منتداه فى الصيف حديقة غير معتنى بها ولكنها تقع من البيت فى مكان ظليل بجوار جدار البيت ٠ وكان هذا المنتدى فى الشتاء قاعة واسعة داخـــل البيت نظيفة الاثاث فى غير أناقة وهكذا

تيسرت له الحياة • وكان هارون بارا به يراعى دائما ان يجعله هو ووالدته فى غير حاجة الى شىء وكان الى ذلك الحين يلبى أية رغبة لهما حتى وان لم يبدياها رغم انه كان يجهد كل الجهد فى الحصول على المال لكثرة الدين وحين صدر قانون الاصلاح الزراعى كان الحاج حامد يزرع فدادينه الأربعين كلها ولم يكن ماهرا فى الزراعة ولهذا أصبحت الأرض مدينة لبنك التسليف بدين ليس هينا وان كان لا يستغرق الأرض كلها •

وقد ادرك هارون انه لا يصلح للتعليم فى سن باكرة ولم يكن أبوه حريصا على ارغامه أن يكمل تعليمه فقد كان قد تبين فيه هوايته الشديدة للزراعة وارتأى أن اشرافه على الأرض سيكون خيرا له من الشهادة خاصة وانه يتعثر دائما فى دراسته كما يتعثر ابوه فى زراعته •

ترك التعليم وهو فى الثالثة الثانوية وكانت حتى ذلك الحين تعادل الأولى الثانوية الآن وبطبيعة الحال لم يتول شأن الأرض منذ بقائه بالبيت وانما ظلت الأرض تحت رعاية أبيه وحين صدر قانون الاصلاح الزراعى كان هارون هو فعلا الذى يرعى الأرض ويعامل بنك التسليف وما كان على أبيه الا التوقيع حين يطلب اليه هارون هذا التوقيع •

فحين صدر القانون خشى الحاج حامد أن تصدر قوانين أخرى • ولحسن حظه أو حظ هارون ان شئت انه لم يكن يؤجر الأرض ولا كان يشارك الفلاحين بالمزارعة فيها وانما كان يزرعها جميعا لحسابه وكذلك فعل هارون حين استقل بالاشراف على الأرض •

كان هارون قد شغلته الأرض ورغبة الغنى حتى عن نفسه وخاصة أن حالة الزراعة فى الفترة التى اعقبت القانون وما استتبعه من اجراءات جديدة فى بنك التسليف وهبوط أسعار المحاصيل كل ذلك جعله ذاهلا عن كل شىء الا ان يواجه هذا الطوفان الجديد وان لم يكن خاضعا لأهوال هذا الطوفان •

وهكذا لم يفكر فى الزواج الا بعد ذلك بسنوات وربما كان لقاؤه بحميدة هو الذى جعله يتذكر انه لم يتزوج بعد وانه قد آن له أن يفعل • وما كان الحاج أمه عنده الا كلمة عابرة تلتقطها منه اذن وتفلتها منها الاذن الأخرى وحين تزوج كانت الليلة الأولى موقفا صعبا بالنسبة اليه والى حميدة فى وقت واحد • فهو مع خبرته الواسعة فى معاملة الحياة والناس لم يتعود أن يعامل النساء الا فى نزوات عابرة كانت تتم فى الليالى التى يقضيها بالقاهرة • أما حميدة فموقفها موقف الفتاة الشريفة التى عاشت عمرها كله فى بيت أبيها ولا تعرف عن الرجال الا ما كان زميلاتها فى المدرسة يتهامسن به تهامسا خاطفا لا يكون تجربة ولا يقدم علما خاصة

وانها تركت المدرسة فى سن مبكرة وكانت الليلة الأولى فى بيت المنيرة فقد استقر الرأى ان يقضوا فيه الأيام التالية للزواج ٠

وحين خلت بهما الحجرة

ـ شرفت منزلك

ـ شـــكرا

ـ ان شاء الله ساعمل على ان تكونى سعيدة دائما ولا تحملى هما

ـ اتوقع هذا منك ٠

ـ وما الذى جعلك تتوقعينه ؟

ـ الذى سمعته عنك والذى رأيته فيك ٠٠

ـ وماذا سمعت ؟

ـ انك حملت مسئولية بيتك وانت فى سن صغيرة ٠٠ وانك جاد فى حياتك وانك قادر على جعل الناس يحبونك ٠٠

ـ الحمد لله وما الذى رايته فى ؟

ـ رأيتك فى لقائى الوحيد بك تزن الكلام قبل أن تقوله وتأبى ان تقول كلاما الا اذا كان له معنى ٠

ـ ارجو الله أن تكون حياتى معك محققة لهذه الآراء ٠٠

ـ ان شاء الله

ـ قــولى لى

ـ اقــول لك

ـ هل تحبين البقاء فى هذا البيت الكبير أم نجعل الاقامة الأساسية لنا فى البلد فقد قال لى والدك مرة انكم تحبون أن تقضوا فى الريف بضعة أيام من حين الى آخر ٠٠

ـ هذا صحيح

ـ ثم انك فى البلد ستجدين أمى وأبى معك دائما وهنـــا ستكونين وحدك فى فترات طويلة فانت تعرفين ان دخلنا الأساسى من الزراعة ولابد لى أن أكون قريبا من الأرض أغلب الوقت ٠

ـ واضح انك تريدنى أن أقيم فى البلد

ـ ذكاء توقعته منك

ـ انا اواجه حياة جديدة واريد أن يكون أساس معاملتى لك الصراحة والصـــدق ٠

ـ أحب هـــذا

ـ ولو انك لا تفعله

وقهقه هارون وهـو يقـول :

ـ وكيف عرفت هذا ايضا ٠٠

ـ واضح انك بارع فى الدوران بالحديث وان لك قدرة على أن تجعل الرغبة التى فى نفسك تعرض عليك من الذى تحدثه فيبدو الأمـر وكأنها عرض منه هو لا رغبة فى نفسك انت

وقهقه مرة أخـــرى وهـو يقـول :

ـ واضح انك تحاولين فى ذكاء شديد أن تحللى كل جانب من جوانب نفسى

ـ انت منذ اليوم المحور الذى تدور عليه حياتى كلها ٠

ـ وانت أيضا ٠٠

ـ اشكرك ولكن هذا مستحيل فان لك مشاغلك فى الزراعة وزيادة دخلك ومعاملة الناس ٠ فانا قد أمثل جانبا هاما فى حياتك فى حين تمثل انت حياتى كلها ٠

ـ ولكن كل هذه المحاور التى قد تشغلنى الهدف منها أن تجعـل حياتنا سعيدة ٠

ـ ان الرغبة فى الغنى أغلب الأمر تكون غريزة فى النفس وان كانت تحاول ان تبحث لنفسها عن مبررات اخرى ٠

ـ ماذا قرأت من كتب ؟

ـ لا أخفى عليـك انى أحب القـراءة والروايات بالـذات العربية والأجنبية الفرنسية بالذات فقد كنت فى مدرسة فرنسية الى السنة الثانية الثانوية ٠

ـ أعرف وواضح ان ثقافتك أكبر بكثير مما حصلته فى المدرسة ٠

ـ وماذا تقرأ أنت ؟

ـ انا كما تعرفين لم اكن تلميذا مجدا ٠٠

ــ هذا لا شأن له بالقراءة ٠

ــ أحب أن اقرأ فى الاقتصاد ٠٠

ــ طبعـــا

ــ ولا أخفى عنك ان قراءتى فيه تجعلنى حين أتحدث الى اســاتذة الاقتصاد الكبار افهم لغتهم كل الفهم ٠٠

ــ مؤكد واغلب الأمر انك تجادلهم مجادلة الند للند ٠

ــ الحقيقة لا اشعر انهم يعرفون شيئا لا اعرفه

ــ ليس هذا بغريب عليك فمادمت تقــرأ فى الاقتصاد فانت مثلهم فى العلم النظرى وتزيد عليهم فى الممارسة العملية ٠

ــ انك ماهرة جدا فى الحديث لقد استطعت ان تبعدى بنا عن سؤالى الأول وإن كنت احسب انني عرفت الاجابة ٠٠

ــ لا شك انك عرفتها

ــ لك ما شئت فلتقيمى اذن فى القاهرة ٠

ــ ولكن هذا لا يمنع ان ارافقك الى البلدة حين ترغب فى ذلك ٠

ــ اتفقنـــــا ٠

☆☆☆

توثقت الصداقة بين سعدون والحاج حامد فكان الحاج حامد يحرص كل الحرص أن يزور سعدون كلما جاء الى زيارة زوجة ابنه وكان سعدون يأنس الى الحاج حامد وكان يكثر من زيارته فى البلدة ويعود فى نفس اليوم حتى لا تفوته جلسة المقهى ٠

وجرت الحياة رخاء فى الأسرة الصغيرة الجديدة وفى الأسرتين الأخريين اللتين جمعهما النسب الجديد ٠

وشاء الله أن يكون زواج هارون خيرا وبركة على بيت سعدون فلم تمض الا شهور ثلاثة حتى تقدم لخطبة وجيدة أستاذ بدرجة مدرس فى كلية الحقوق يملك أبواه حوالى عشرين فدانا وهو ابنهما الوحيد هو أيضا شأن هارون فى عائلة حامد ٠ ولم يكن العريس أمجد حماد قد رأى العروس فدبرت تحية هانم الأحمدى واسطة العريس اللقاء ورضى كل من العروسين على الآخر ٠ وتم الزواج بعد شهرين من الخطبة وسكن الزوجان حى الجيزة ليكون الزوج قريبا من الجامعة ٠ ولم تمر سنة حتى رزقا بهناء ثم مرت سنة أخرى ورزقا بأيمن ٠

(٦)

ما هذا الذى حدث كيف استطاع هارون ان يجحد فضل أبويه هذا الجحود ۰ لقد أصبح لا يزورهما الا فى القليل النادر حتى انه كان يزور القرية ويمر بالأرض ولا يلقى والديه وانما يذهب الى مزارعه الأخرى ۰

ربما زارهما مرة فى الشهر أو قد يمر شهران أو أكثر ولا يراهما وكأنما كان الحاج حامد يتوقع هذا ولكن الحاجة توحيدة كانت تعيسة بهذا التجاهل من ابنها تعاسة فاجعة ۰

وكان هارون قد دأب أن يسهر مع حميه سعدون ولكنه كان لا يشرب معه الا فى القليل النادر وفى هذه السهرات تعرف على عبد المجيد زين الدين وكان زين الدين مشهورا انه من كبار الأغنياء ۰۰ وفى ليلة سأل هارون :

ــ ماذا تزرع يا هارون ؟

ــ أحاول زراعة الموالح

ــ تحتاج الى صبر طويل وانفاق كبير وخبرة عميقة

ــ وماذا ترى سعادتك ؟

ــ اتعرف مكتبى فى شارع قصر النيل رقم ١٤

ــ عظيم

ــ تمر على غدا الساعة الثانية عشرة ۰

قال له فى المكتب :

ــ عندى لك زراعة تكسب منها مبالغ خيالية

ــ خيرا ۰۰

ــ الاعشاب الطبيـة ۰

ــ سمعت عنها ولكن كيف ابيعها ؟

ــ هذا عملى فانى متعاقد مع شركات أجنبية وانى سأشترى منك المحاصيل كلها وسأدلك على محلات التقاوى وكيفية الزراعة وادفع لك مقدم ثمن المحصول حتى لا تتكلف انت وحدك الانفاق عليها ۰ وتستطيع أن تبقى فى نفس الوقت على اشجار البرتقال ۰۰

ــ شىء عظيم

ــ نكتب عقـدا

ــ عشرة عقود اذا اردت

ـ سنكتب عقدا واحدا على اربعة انواع من الأعشاب وبعد أن تجرب الزراعة نزيد العقود ان شاء الله ٠

ـ وهو كذلك ٠٠

وكانت فاتحة خير عميم على هارون فقد بدأ يزرع هذه الاعشاب وبرع فى زراعتها براعة فائقة واستطاع أن يبقى اشـــجار الموالح فى الأرض وكسب آلاف الجنيهات ٠

★★★

ومرت سنوات ازدادت فيها ثروة هارون زيادة فائقة وانجب فى خلال هذه السنوات شهاب وفائق من بعـــده وطبعـــا فرح بولديه ولكن فرحـــه بالمكاسب كان أكبر ٠ وكانت حياته فى البيت هادئة مطمئنة ولم يكن ازدياد ثروته مفاجأة لحميدة فقد كانت تعرف رغبته العـــارمة فى الغنى والاستكثار من الأمـــوال ٠

★★★

لم يكتف هارون بالمكاسب التى كانت تدرها عليه عقوده مع مكتب عبد المجيد زين الدين فتاقت نفسه الى مكاسب أعظم حتى وان ضحى بمن كان سببا فى هذا الغنى الذى بلغه فراح يغدق المال على رفعت فواز سكرتير عبد المجيد زين الدين وقد كان مثله شرها للمال وفى يوم ٠٠

ـ قل لى يا رفعت

ـ تحت أمرك يا هارون بك

ـ لو طلبت منك شيئا

ـ لا أتأخـــر ٠٠

ـ اسماء الشركات التى يتعامل معها عبد المجيد زين الدين فى الخـــارج ٠

ـ آه ٠٠ وماذا تصنع بها ٠

ـ مجرد علم

ـ هارون بك انت رجل ذكى فارجوك لا تظن أن الآخرين أغبياء ٠

ـ أعطيك عن اسم كل شركة خمسمائة جنيه

ـ ألف ٠٠

ـ ألف ٠٠

وعرف الأسماء وعناوينها وسافر اليها واستطاع فى سهولة ان يغرى الشركات بالتعاقد معه على أن يكون وكيلها فى مصر وفى الشرق الأوسط كله وقد كان واثقا من نجاح عروضه لأن الأسعار التى قدمها كان فيها للشركة ارباح اكبر مما يحققه لها عبد المجيد زين الدين ٠

ولم يهم هارون انه قطع مورد الرزق الوحيد الذى كان يعيش عليه عبد المجيد زين الدين ولم يهمه أيضا ان الحياة سترغمه على لقائه فعند المال كل شيء مباح وكل شيء يهون ٠

كان لقاؤه بعبد المجيد زين الدين فى المقهى مع سعدون ٠ ولم يقل عبد المجيد شيئا أول الأمر حتى اذا شرب كأسه الثالثة وسرت حمياه فى دمائه نظر الى سعدون ٠٠

ـ سعدون

ـ أفندم

ـ أهنئك

ـ خير ان شاء الله

ـ لقد زوجت ابنتك الكبرى لأسفل رجل فى العالم

ـ أعوذ بالله لماذا هذا ؟

وقال هارون :

ـ لا عليك يا عمى فان الخسارة مؤلمة

فقال سعدون :

ـ هل تسببت فى خسارته ؟

وقال عبد المجيد :

ـ خسارة هيلة ٠٠ خرب بيتى تماما

وقال سعدون :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ لماذا يا هارون لماذا يا ابنى انت غير محتاج ٠

وقال هارون فى تحد وصلافة وجمود وجه :

ـ السوق لا يعرف الا من يفهمه

وقال عبد المجيد فى ثورة مكبوتة :

ـ بلا شرف ٠٠

ـ هذه ألفاظ لا شأن لها بالسوق

وقــال ســعدون :

ـ بل التجارة شرف يا ابنى ٠٠ لا حول ولا قوة الا بالله

وقال هارون لينهى المناقشة :

ـ استأذن انا ٠٠ سلام عليكم

وقال عــبد المجيــد :

ـ الله يخرب بيتك كما خربت بيتى ٠٠ مع السلامة ولماذا السلامة مع الموت والخراب ان شاء الله ٠

وانصرف هارون ٠٠ وتجهم المجلس ٠٠ وقال سعدون :

ـ لا علينا نعود الى ما كنا فيه

وعندما حان موعد انصرافهم همس سعدون فى اذن عبد المجيد ٠٠

ـ انت بكره فى المكتب ؟

ـ ان شاء الله

ـ انتظرنى الساعة الثانية عشرة ٠

ـ أهلا وسهلا

سعدون فى طبيعته هادىء خجول ولعل كثرة قراءته زادت من خجله هذا لا يزول عنه خجله الا حين يشرب ٠ وكان فى مجلسه من عبد المجيد لطيفا يكاد الحياء يرج شــفتيه ولكنــه كــان مصمما أن يقــول ما يريد قــوله ٠

ـ أنا آسف ٠٠

ـ وأنت ما ذنبــك

ـ على الأقل عرفته عن طريقى

ـ كان يمكن أن أعرفه عن طريق أى انسان

ـ على كل حال انا أشعر كأننى أنا المذنب

ـ الأمر للــه

ـ انا لا استطيع أن اعوضك عن الخسارة التى لحقت بك ولكننى أرى من واجبى أن اخفف وقعها عليك ٠

ـ انا شاكر مشاعرك على كل حال ٠

ـ المشاعر فى هذه المواقف لا تعنى شيئا

ـ لا يملك الناس غيرها

ـ عبد المجيد ‥ لك عندى فى كل شهر مائتا جنيه كنت أتمنى أن أقدم لك أكثر ولكن ‥

ـ ما هذا الذى تقـــول ؟!

ـ ما سمعت

ـ وكيف أقبـــل !

ـ لنفكر أولا كيف تعيش مستورا

وصمت عبد المجيد وأطرق ولم يستطع أن يرد دمعتين تحدرتا على وجنتيه ·

ـ لا أستطيع فى حالتى التى انا عليها اليوم أن امتنع فان تكن كرامتى ترفض فحاجتى تلح ·

ـ اخوك ويقف الى جانبك

ـ ونعم الأخ

ـ سلام عليكم

ـ مع الف سلامه مع الشكر ‥ لا أستطيع

واختنق مرة أخرى بالبكاء ·

ـ السلام عليكم ·

★★★

ولم يقل سعدون شيئا لهارون عما صنعه مع عبد المجيد فكان شأن هارون عجيبا معه فقد زاد من المبالغ التى كان متفقا عليها معه ومع حماته دون أن يطلب ذلك · ربما لانه كان يعلم ان اباحة الأرض له ليزرعها قائمة على توكيل من صاحبى الأرض الصوريين فكان فى مقدور سعدون وزوجته أن يأمرا عطا الله أفندى والحاج وافى بأن يسقطا التوكيل عن هارون كما يسقطه عنه سعدون نفسه ، واذا فقد هارون هذه الأرض فانه يفقد شيئا ليس هينا ولو انه استولى بنفس الطريقة على اراض اخرى كثيرة أصحابها يقيمون بعيدا عنها ولا قدرة لهم على مواجهة الزراعة ولكن مساحة الأرض المتاحة له من حميه وحماته ليست بالشىء القليل وهو أيضا حريص الا يسىء الى بيته ولا ينغصه من ناحيته منغص فلو ان حماته وحماه لم يرضيا عنه لاثار هذا مالا يحب له ان يثور من مشاكل فى بيته ·

أما أبوه وأمه فلا يستطيعان أن يثيرا مشاكل فبخل عليهما بخلا شديدا فكانت تمر شهور لا يرسل اليهما مالا مع علمه ان لابيه ريع أرضه التى استولى عليها وله أيضا بيته الذى يقيم فيه وان يكن قد جمل بيت أبيه هذا وأثثه بأفخر الفراش الا أنه يظل مع ذلك بيت أبيه ·

الوحيد الذى كان يزور حامد وزوجته من القاهرة هـو سـعدون وقد أصبح يصحب حفيديه شهاب وفائق ليزورا جديهما ويمرحان فى القرية فى كل يوم جمعة وانس الطفلان الى الجدين انسا شديدا · وكان المال الذى يرسله اليهما هارون كلما تذكرهما لا يكاد يفى بما يحتاجان اليه من طعام وملبس ودواء فكانا فى ضيق مالى شديد لم يخف أمره على سعدون وكان حائرا ماذا يستطيع أن يفعل الا أن يأتى فى كل أسبوع بهدية كبيرة نافعة للابوين المهجورين فاحيانا يأتى لهما بطعام وفير أو يأتى لهما بملابس وكانا يتقبلانها فى اذعان يقرب الى الذلة ·

وتعرف سعدون فى هذه الزيارات على أصدقاء حامد جميعا وانس اليهم وأحبهم ·

★★★

مرضت الحاجة توحيدة وعادها طبيب الوحدة وهو صديق فلم يقبل أن يتقاضى أجر الزيارة · ولم يكن المرض خطيرا ولكنه كان يحتاج الى دواء على أية حال · وليس معهما ثمن الدواء واضطر الحاج حامد كارها حزينا أن يطلب ابنه فى التليفون ويخبره ان والدته مريضة ·

ــ مريضة بماذا ؟

ــ المصران الغليظ

ــ بســـيطة ··

ــ الحمد للـــه

ــ على كل حال ساحضر قريبا لاراها

ــ أهلا بك

واستكبر الأب أن يقول لابنه ارسل ثمن الدواء ووضـــع سـماعة التليفون ورأت الأم ما ارتسم على وجهه من أسى وشجن وحـزن وقامت من فراشها وما هى الا لحظـات حتى عادت :

ــ حاج حامـــد

ــ نعم يا توحيدة ·

ــ لاتحمل الهم ابدا · خذ هذا الكردان

ـ حتى المصاغ القليل الذى تملكينه ستبيعينه هو أيضا ٠

ـ بيعه خير من أن يرثه ابن لنا جحد أبويه ٠ بعه يا حاج حامد ٠ ما فائدة المصاغ ان لم يكن عونا عند الشدة ٠ فما دمنا فقدنا ضمير ابننا فلا بأس علينا أن نستعين بمصاغنا ٠

وأخذ الحاج حامد المصاغ ولم يكن معه أجر السيارة الى الزقازيق أو القطار الى القاهرة فراح يفكر فى الأمر ٠

ترك الحاج توحيدة فى مجلسها وخـرج يخـلو بنفسـه فى غرفة الاستقبال ولم يتح له مختار عمر أن يخلو الى نفسه طويلا ٠

ـ سـلام عليكم ٠

وفى صوت هادىء ليس فيه رنة الترحاب التى تعودها مختار منه :

ـ أهـلا ٠٠

ـ مالك ؟

ـ لاشىء

ـ بل هناك أشياء ٠٠ انت تحمل هما ثقيلا ٠

ـ ومن فيها مرتاح يا مختار

ـ المؤمـن

ـ نحمده فبالايمان نحتمل الحياة

ـ كنت مسافرا الى القاهرة ولكننى لا استطيع ان اتركك على هذه الحال انا كنت ذاهب أزور الأولياء وبعض أقاربى

ـ كتر خيرك

ثم وضحت فى ذهنه فكرة

ـ مختار انا اريدك أن تذهب الى القاهرة ٠٠

ـ اسافر ٠٠ اسافر حتى ولو لم اكن ناويا للسفر فما بالك وانا انتويه ٠

ـ الحاجة عندها قطعة مصاغ تريد أن تبيعها لتشترى بثمنها قطعة أخرى رأتها عند احدى السيدات اللائى يزرنها ٠

ـ ومالـه

واعتصرت قلب مختـــار يد قاسية كبت آثارها أن تبدو على وجهه فما يدرى هل وفق الى ذلك أم لم يوفق وانما قال كلمته السريعة ثم صمت لحظات يكتم اجهاشة بكاء تعتصر فؤاده حتى اذا استوثق ان صوته لن يخـــونه قـــال :

ـ هاتهـــا

ـ هاكهـــا

فأخذ الكردان ووضعه فى جيبه وقام

ـ أقوم أنا لأعود مبكرا

ـ مـــع الســـــلامة



حين نزل مختار الى القاهرة توجه من فوره الى الصاغة وعرض الكردان للبيع فكان أكبر ثمن له ثلاثمائة جنيه فأعاده الى جيبه وقبل ان يغادر الدكان الذى كان فيه بحث فى دفتر التليفون وعثر على الرقم الذى يريده وادار القرص به :

ـ منزل سعدون بك

وجاءه صوت ســـعدون :

ـ نعم انا هو من الطالب ؟

ـ مختار عمر صديق الحاج حامد

ورحب به ســـعدون :

ـ يا أهلا يا مرحبا اين انت يا مختار أفندى ٠

ـ انا هنا فى القاهرة واريد أن اشوفك

ـ يا مرحبا نتغدى سويا اليوم

ـ أعفنى من الغداء ٠ اريد أن ارجع اليـــوم

ـ تعال أولا ثم نتكلم فى موضوع الغداء



وقص عليه قصة الكردان ومرض الحاجة توحيدة واطرق سعدون طويلا وقد تمزقت نياط قلبه ٠٠ ألهذا نأتى بمن يخلفنا ٠٠ انهب لهم مالنا وانفسنا ليجعلوا منا حطاما من البشر ٠ وفكر كثيرا ٠٠ كيف سيصل بالمال الى حامد دون أن يعرف حامد انه منه ٠

وحين طال الصمت خشى مختــار ان يكون قد جاء الى من لا يعنيه الأمر وأنه اخطأ المقصد والمتجه فزاد حزنه بل اضيف اليه الخجل من نفسه والأسف انه اذاع سر صديقه بغير داع الى ذلك وقال ..

ـ سعدون بك كأنى لم أقل لك شيئا .

وافاق سعدون من احزانه وقال فى حدة ..

ـ يا اخى انتظر .. أو فكر معى على الأقل .

ـ أفكر .. فيــم أفكر ؟

ـ الا تدرى فيم تفكر

ـ لا والله بل ولا ادرى أن المسألة تحتاج الى تفكير ..

ـ شأنك عجيب يا مختار افندى

ـ هل شأنى انا هو العجيب

ـ أم تراك تظن انه شأنى أنا هو العجيب

ـ والله . نعم . اظن ان شأنى انا ليس عجيبا . صديق لك فى محنة وقصدت اليك .. فبدلا من أن تدفع عنه هذه المحنة تصمت ..

ـ وهل هى محنة واحدة

ـ الموجود حاليا محنة واحدة

ـ بل محن كثيرة

ـ كثيرة ؟

ـ المحنة الأولى جحود ابنهما لهما . والمحنة الثانية كيف نقدم المال لهذين العظيمين انهما ليسا فقيرين من الذين تعودوا مد أيديهم للنــاس وابنهما من كبار أغنياء مصر .. اما مسألة الكردان هذه فلا قيمة لها .

ـ كيــف ؟

ـ سأعطيك المبلغ وآخذ الكردان واجعل الحفيدين يشتريان لجدتهما قطعتين من الذهب بضعفى ثمن هذا الكردان على أن يكون ذلك بعد شهر أو أكثر حتى لا يظنا بالهدية منهما ظنا لا نريده ان يخطر على بالهما .

ـ نعم التفكير .

ـ كيف نقدم لهما هذا المال بعد ذلك .. تلك هى المحنة .

ـ ونعم الأخ أنت يا سعدون بك .

ـ قل هل عندكم مكتب بريد

ـ عندنا

ـ اذن حلت

ـ كيف ؟

ـ لا شـــأن لك ٠٠ انتظر حتى آتى لك بثمن الكـــردان تقـــول ثلاثمائة جنيه

ـ نعـــم

ـ ولكنك تستطيع أن تقول انك بعته باربعمائة ٠

ـ انعـــم واكـــرم

ومنذ ذلك اليوم كانت تصل الحـــاج حامد شهريا خطابات مسجلة بمبلغ ثلاثمائة جنيه مع بطاقة باسم هارون حامد بركات ٠٠ ولم يقف المبلغ عند هذا الحد بل كان يرتفع مع زيادة الغـــلاء حتى بلغ بعد سنوات ستمائة جنيه فى الشهر ، ولم ينس فى نفس الوقت عبد المجيد فقد كان يزيد له المبلغ الشهرى حتى يواجه الغلاء الذى يفغر فاه المتوحش على الناس ٠



(٧)

لم يمل الحفيدان شهاب وفائق زيارة جديهما حتى بعد أن أصبحا شابين يستميلهما ما يستميل الشباب من متع وانطلاق فقد كانا يجدان عند جديهما وجدتهما نوعا من الرعاية والحب لا يجدانه فى ظل أبيهما وان وجداه من أمهما ٠

دخل شهاب كلية الهندسة ودخل فائق كلية التجارة وكانا جادين فى الدراسة جدا يمكنهما دائما ان يحصـــلا على درجة مشرفة ٠ وكان سعار المال يزداد تحكما فى والديهما يوما بعد يوم فالأرقام لا نهاية لها وجمع المال عند بعض الناس غريزة فى ذاته قد يدعى المسعور منهم انه انما يجمع الأموال لأولاده أو يجمعه ليتقى فجاءات الحياة كذب هذا جميعه واشباهه فهارون قد اصبح من الغنى بمكان يندر ان يصل اليه أحد وأصبح واثقا انه يستطيع أن يواجه الحياة حتى آخر الحياة بل ان ابنيه وزوجته أصبحوا فى مأمن من ريب الفقر بل انهما من بعده سيصبحون من أعظم الأغنياء وكذلك الأحفاد حين يأتى الأحفاد ٠ ولكن هارون لا يكتفى ولا يهدأ أو يستريح فجمع المال فى ذاته هو حياته وكل ما يسعى له ٠ أما ولداه

فقليلا ما يراهما ونادرا ما يعلم ماذا هما صانعان بحياتهما وانما يعرف خبر نجاحهما ضمن سائر الأخبار التى تلقيها اليه حميدة فيما تلقى اليـــه من أخبار حين يجمعه بها الليل بعد يوم طويل همه فيه دائما على زيادة ثروتـــه ٠

والذى لا يعنى بولده ليس عجيبا الا يعنى بوالديه قد يتذكرهما فجأة فيطلبهما فى التليفـون وما داما لا يطلبـان مالا فى المكالمات فانه يطمئن نفسه بل هو لا يريد أن يسأل نفسه من أين لهما بالمال ٠٠ فان سمحت نفسه وكان فى حالة نفسية مرحة ارسل اليهما بعض المال متصورا أن فيما يرسل من حين الى حين غاية الكفاية ليعيش والداه ٠ فى يوم من الأيام النادرة فى حياة هارون جلس الى أسرته على مائدة الغداء وفجأة قال شهاب ٠٠

ـ أبى لماذا لا يأتى جدى وجدتى ليعيشا معنا ؟

وكأنما كان السـؤال لكمة أصابت رأس هارون فصمت حينا ثم قال ٠٠

ـ جدك له أصدقاؤه فى البلدة ولا يجد السعادة فى البعد عنهم كما انه لا يحب ان يغير بيته لا هو ولا جدتك وقد علت بهما السن ومن الصعب ان يغيرا مكان الاقامة فى سنهما هذه

وانقض عليه فائق ٠٠

ـ ولماذا لا تذهب أنت اليهما ؟

واطرق هارون حائرا فى غير خجل فمثله لا يعرف الخجل

ـ يا فائق انا لا اراكما الا فى القليل النادر فكيف تطلب منى أن اذهب اليهما ٠٠

ـ لا يمكن ان يتركا هكذا

ـ انا اطلبهما بالتليفون كلما وجدت فرصة

ويقـــول شـــهاب :

ـ لا تستطيع أن تتصور كم يفرحان حين نذهب اليهما مع جدى سعدون كل أسبوع ٠ أو حتى حين يتخلف جدى عن الذهاب ونذهب انا وفائق اليهما ٠

ـ هذا طبيعى

ويقول فائق :

ـ ولكنى يا أبى أجد سحابة حزن تغشى وجهيهما كلما سـألانا عنك

وصمت ثم قال فى محاولة لاقفال الموضوع :

ـ الحقيقة انا مقصـــر

ـ هل تذهب معنا يوم الجمعة القـادم ؟

ـ لا استطيع أن أعدك الآن فانا لا أعرف مواعيدى

وأطرق الشابان وقالت حميـدة :

ـ لماذا لا نذهب يا هارون ان هذا سيفرح ولديك وأبويك بل ويفرحنى أيضا فأنا مشوقة اليهما · سنوات طويلة لم نرهما ·

ـ لا استطيع أن أعرف مواعيدى وانا معكم فى البيت · ســـأرى مواعيدى ·

ورأى مواعيده ولم يذهب اتراه كان يخشى اللقاء بعد هذا الجحود الطويل منه · ربما وان كان هذا بعيدا عن خلقه ·

كانت الحياة فى بيت هارون رغدة ســـعيدة فهو حريص الا يشـغل نفسه بمناقشات داخل البيت فكل ما تطلبه حميدة أو ولداه مجاب فلم يكن غريبا ان يكون لكل منهم سيارة خاصة وان تكون النقود فى أيديهم كافية دائما لما تتوق اليه نفس أى واحد من ثلاثتهم ولكن الثلاثة جميعا كانوا يشعرون أنهم لا يعيشون كما يعيش الناس وان هناك شيئا كبيرا يفتقدونه فيفقدونه · وكانوا لا يخفون هذه المشاعر عن بعضهم البعض فكان شهاب يقـــول دائمـا :

ـ لقد حول أبونا أبوته الى نقود واستراح
وكان فائق يجيبه :

ـ انه يملك المال وكل عاطفته منصرفة اليـــه · أما نحن فلنأخـذ ما نريد على شرط واحد الا نزعجه بأى أمر من أمورنا ·

وتقول حميدة فى محاولة لارضاء ابنيها :

ـ وماذا تريدان ·· ماذا ينقصكما ؟

ويقول شهاب دون ريث من تفكير :

ـ ينقصـــنا أب ··

وتصيح حميدة وهى تعلم انها على غير حق :

ـ اطال الله عمره يعنى هو مشغول كل هذا الشغل من اجل من ··

أليس من أجلنا ·

ويقول فائـــق

ـ ابدا ·· انه يعمل ليل نهار ليشبع هوايته فى جمع المال ·

وتقـــول حميدة :

ـ هل تأخر عنكما فى شىء ؟

ويقـــول شـــهاب :

ـ اتعرفين يا أمى اننا لولا جلوسنا مع جدنا سعدون وجدنا حامد ما عرفنا اى شىء عن الحياة ولا المبادىء ولا القيم فهذه أشياء لا نتعلمهـــا من المدارس أو الكليات ولا يستطيع الشباب فى مثل عمرنا أن يحدثونا عنهـــا ·

وتقـــول حميـدة :

ـ والله يابنى لا يصدق عليك الا ما يصدق على البشر كلهم · ان احدا منهم لا يرضى عن حاله ابدا وكل انسان يبحث فى داخله عما يتعسه أكثر مما يبحث عما يسعده ·

ويقـــول شهاب ··

ـ أهذا رأيك ؟

ـ وما رأيك أنت ؟

ـ رأيى ان الحياة العامة ممارسة ومعرفة الناس وتجاربهم ثروة أكبر من ثروة المال

ويكمل فائق :

ـ ونحن شباب فى يدنا المال وحتى أصدقاؤنا فى الكلية يتقربون الينا لننفق عليهم فما ندرى من منهم الصادق ومن المنافق ·

ويقـــول شـــهاب :

ـ نحن أكثر الناس حاجة الى ابينا كانسان لا كأموال

وتقـــول حميـدة :

ـ ·· اجربتما القـــراءة ؟

ويقـــول فائق :

ـ قليلا ما نقرأ ولكن القراءة وحدها لا تكفى قد تهب لنا الثقافة ولكنها لا تهب لنا الخبرة ·

ويقـــول شــهاب :

ـ لاتعجبى يا أمى اذا ضل بنا الطريق ووقعنا فى أخطاء لا يجدى المال فى تلافيهـــا ·

وبقلب الأم تصيح حميـدة :

ـ يا ابنى قل ·· لا قدر الله ولا كان

ـ اخاف يا أمى ·· ارجو الا يقدر الله · ولكن اذا ضللنا فسيكون الخطأ من طريقة عيشنا لا من شىء آخر ·



(٨)

كان سعدون فى بيته بجاردن سيتى الذى لم يغيره منذ زواجه ·· ولم يكن بحاجة الى أن يغيره فقد كان المال وافر عنده من ريع الأرض الـذى كان يزيد زيادة فاحشة كما أنه اصاب مبلغا يزيد عن مليونى جنيه حين آلت عمارة عابدين للسقوط وقررت الجهات المختصة ازالتها حتى لا تنقض على من بها ورأى سعدون أن بيع أرضها خير له من اعادة بنائها وكانت العمارة مقامة على حوالى الف متر وكان سعر المتر فى هذه المنطقة قد تجاوز الالفى جنيه · فباع الأرض بما يزيد عن مليونى جنيه وبذلك أصبح موفورا فى ماله السائل كما كان موفورا بأرضه وأرض زوجته وفيه الذى وصل ايجار الفدان فيها الى الف جنيه فى العام كان يدفعها لها هارون راضيا فقد كان يكسب من الأرض أضعاف هذا المبلغ ·

جاء الخادم يبلغه ان عبد المجيد زين الدين بالدور الأول يرجو أن يلقاه فتعجب سعدون لهذه الزيارة المفاجئة فقد كان لا يرى عبـد المجيـد الا فى أول كل شهر ليسلمه المبلغ الذى تعهد أن يقدمه اليه والذى زاد الى أربعمائة جنيه فى السنوات الأخيرة كان مرتديا ملابسه فنزل من فوره الى غرفة الاستقبال فى بيته ··

ـ مرحبا عبد المجيد بك

ـ اهلا بالرجل العظيم

ـ وبعد لك انك دائما تخجلنى ·· قهوتك مضبوطة أليس كذلك ·

ـ نعـــــم

وطلب سعدون القهوة لضيفه الذى ظل شبه صامت لا يتكلم اذا تكلم الا عن الجو والصحة وأولاده وهذه الأحاديث لا تعنى شيئا وكلما تـكلم

ازدادت دهشة سعدون من هذه الزيارة التى لم يتصور ان يكون المراد منها مجرد الحديث عن الجو والصحة والأولاد · عرف من الاحاديث ان حفيدة عبد المجيد الهام من ابنه وجدى أصبحت فى السنة الثالثة من كلية التجارة وان حفيده نبيل من ابنه اسماعيل فى السنة الرابعة من كلية الطب ولكن ماذا يعنى هذا · ان هذه الانباء نفسها ليست جديدة عليه فهو على صلة بعبد المجيد شـــهرية فى الصباح وتكاد تكون شـبه يومية فى مقهى الهيلتون الذى انتقلوا اليه بعد ان هدمت الانجلو · وكان عبد المجيد قد أقلع عن شرب الخمر وأصبح اقرب ما يكون الى التصوف لكنه كان يحب الجلوس الى من بقى من أصـــدقاء الانجلو فى مقهى الهيلتون يتبادلون الحديث ويعلقون على الاحوال الاقتصادية والمالية ويفرج المكروب عن كربه ويترحمون على الأيام الخوالى ويتناقلون أخبار بعضهم البعض ·

انها زيارة غريبة ماذا حدث للرجل ان الزيارة المنزلية لم تصبح سمة العصر · ماذا يريد الرجل وفيم هذا الحديث الذى لا جـديد فيــه · وشرب عبد المجيد القهوة ورشف رشفة من الماء ·

ـ لاتعجب كثيرا من هذه الزيارة ·

ـ البيت بيتك وتشرف فى كل وقت ··

ـ مرت حوالى عشر سنوات منذ اليوم الذى تفضلت فيه ··

وقاطعه سـعدون :

ـ وبعد لك يا عبد المجيد بك · ما معنى هذا الكلام ؟

ـ اسمعنى الى آخر حديثى

ـ تحت أمرك ··

ـ بعد النكبة التى انزلها بى هارون ظللت قرابة سنتين وانا لا مورد لى الا ما آخذه منك

ـ وبعد معك

ـ اسمعنى · كانت سـنوات مظلمة وكان الأولاد بالمدارس وبغير ما كنت آخذه منك الله وحده يعلم الى اى مصير كنت سارمى · فى السـنة الثالثة لاحت لى فرصة تجارية بدت فى اول أمرها ضئيلة الموارد فقلت فى نفسى أبلغك واتوقف عن أخذ المبلغ الشهرى منك ولكننى راجعت نفسى · ماذا افعل اذا لم ينجح المشروع ورأيت أن انتظر قليلا كان المشروع تجارة اخشاب · وكبر المشروع وأصبح المال الذى أناله منك غير ذى موضوع · لكننى فكرت قليلا · فوجدت ان المبالغ التى تعطيها لى انت لست فى حاجة اليها فقد كنت أعرف ان ايجار أرضك يزيد دائما وانك بعت أرض عابدين

فكان همى الوحيد كيف أرد لك فضلك ٠ وجدت أن أحسن ما استطيع أن أصنعه ان استمر فى أخذ المبلغ منك واستثمره فى مشروعى وكأنك شريك معى بما تقدمه لى كل شهر ٠ واعتبرت نفسى كأنى ادخر لك ٠٠

ـ مــــاذا ؟

ـ اسمع

ـ لا أسمع شيئا وهل هذا معقول ٠٠

ـ بل هو المعقول ٠ فى هذه الحقيبة نصف مليون جنيه هى أرباحك التى كسبتها مما قدمته الى فى هذه السنوات

ووقف سعدون ذاهلا وهو يصيح :

ـ ماذا تقول يا رجل ٠ هذا المال نتيجة جهدك وعملك ٠

ـ ولكنه مالك انت وكل ما فعلته اننى اشركتك معى ٠٠

ـ وجهدك

ـ كنت سأقوم به على أية حال سواء كان مالك أو لم يكن مالك ٠٠

انه كان يدخل ضمن ايرادى ٠٠ أليس كذلك ٠٠

ـ كيف أقبل هــذا ؟

ـ هذا ربح حلال وانت تعرف اننى الآن أؤدى الفروض جميعا وهذا المال زكاته مدفوعة وعلم الله ليس فيه مليم من حرام ٠

ـ لا يمكن أن اقبل هذا

ـ لقد كنت كريما وانت تعطى فاسمح لمن أخذ ان يكون على درجتك من الكرامة ٠٠

ـ أترضاه لى ٠٠

ـ أوترضى أنت لى أن استحل مالك فى أسود أيام عمرى ولا أرد لك الفضل بعد أن اكرمنى الله هذا الاكرام ٠٠

ـ ولكن انا لم اقدم اليك ما قدمت لتتاجر لى فيه بل لم اكن اتوهم هــــذا ٠٠

ـ ولكننى أخذت منك ما أخذت فى السنوات الأخيرة كلها على نية التجــارة بهــا باســمك ٠٠

ـ فلو كنت خسرت ماذا كنت تصنع ٠٠

ـ لو كنت خسرت لظللت اتقاضى منك ما خصصته لى وتكون انت قد خسرت مالا كنت تتبرع به ٠٠

ـ والله

ـ يا سعدون بك من الكرامة أن تعين الآخرين على حفظ كرامتهم ٠٠

ـ هذا معنى جميل

ـ انه حق

ـ اذن فاسمح لى أن أشعر أننى أسمو الى المكان الذى وضعتنى فيه ٠

ـ الم تستر فقرى واتحت لى العيش كريما على نفسى وأولادى وعلى الناس فى سنوات ما كنت أدرى فيها كيف أواجه الحياة ٠٠ أستأذنكم أنا سلام عليكم ٠

وقام الرجل من مجلسه وسعدون ما يزال فى حالة ذهول ٠٠ وقف وهو يقول ٠٠

ـ انتظر

ـ لم يبق عندى ما أقوله ٠٠

ـ هذا المال ليس حقى ٠٠

ـ بل انه أقل من حقك ٠

واتجه الى الباب وهو يقول :

ـ سلام عليكم

وخرج وسعدون فى ذهوله لا يزال ٠٠

ثم جلس وهو يقول فى صوت مرتفع :

ـ أيمكن هذا ٠٠ هل هناك ناس مثل هذا الرجل ٠٠ اللهم أحمدك يارب ٠٠ انك ارحم بعبادك من أن تتركهم وليس فيهم مثل هؤلاء العظماء ٠

(٩)

انتهى اليوم الدراسى فى كلية الهندســـة وخرج شهاب من الكلية وبرفقته صديقه حلمى فؤاد واتجها الى سيارة شهاب ..

ـ الى أين يا شــهاب ؟

ـ الى البيت ..

ـ ماذا تصنع فى البيت ؟

ـ ما يصنعه خلق الله فى بيوتهم .

ـ يا اخى لقد تعبنا اليوم لماذا لا نتغدى فى أحد المطاعم ونقضى يوما ممتعـــا .

ـ لا مانع .. انتظرنى فى السيارة حتى اكلمهم فى البيت ..

ـ اترى ذلك مهما ..

ـ حتى لا أشغل والدتى

ـ على كيفك ولو اننى فى بيتنا أعود حينما أريد ولا يسألنى أحـد أين كنت .

ـ المسألة ديتها تليفون ..

ـ على كيفك

وحين عاد شهاب سأل حلمى :

ـ اتعرف مطعما معينا ..

ـ اطــــلع ..

وعلى الغداء قال حلمى :

ـ قل لى يا شهاب الم تتصل فى حياتك بالبنات ..

ـ اتصالات عابـــرة

ـ مثــــل ماذا ؟

ـ ما تيسر

ـ الم تذهب الى بيت من بيوت المتعة ؟

ـ أسمع عنها ولكنى لم أرها

ـ هل من المعقول هذا ؟

ـ اتراه غير معقول ..

ـ لو ان الشباب جميعهم مثلك لخربت هذه البيوت ..

ـ يا ليتها تخرب ٠

ـ اسكت ٠٠ انت لا تعرف شيئا ٠٠

ـ اعرف ماذا ٠٠

ـ هناك ينسى الانسان نفسه

ـ وينقلب الى حيوان

ـ وما البأس ٠٠ أليست الحيوانية جزءا منا ؟

ـ جزء بغيض

ـ على اساسه تبقى الحياة ٠٠ لولاه لفنى البشر

ـ هذا فى الزواج ٠٠

ـ ولكننا قبل الزواج شباب ٠٠ ولابد أن نجرب الحياة

ـ أتظن ذلك ؟

ـ بل انا واثــق ٠٠

ـ أذهب انت الى بيت من هذه البيوت ٠٠ ؟

ـ مرتين فى حياتى وهذا لقلة المال طبعا فلو كان معى مال لذهبت اليها يوميــا ٠

ـ أين هذا البيت ؟

ـ ما رأيك نذهب الليلة هل معك فلوس ؟

ـ معــى ٠٠

ـ اذن نلتقى فى التاسعة ونتمشى بالسيارة قليلا ثم نذهب ٠٠

ـ والله لا مانــع ٠٠

والتقيا ، وذهبا وواجه شهاب حياة جديدة عليه ، ســعد ببعضها وتقزز من بعض آخر فيها ٠٠٠

النساء عرايا وصاحبة البيت عجوز تفعل بوجهها الأفاعيل لتبدو فى غير سنها ، وفى البيت صمت كئيب على غير ما تصوره الأفلام المصرية ، الهمس هو صوت المتحدثين ، والغمز بالعين الواحدة اشارات كأضــواء خجلى لا تنطفىء ولا تنير ٠٠ وقلة قليلة من رجال لا يعرف أحدهم الآخر ٠٠ وانما كل منهم فى شأن يغنيه يجلس فى صحبة كأس يحسوه فى توتر شديد ٠٠

الح حلمى على شهاب أن يشرب كأسا من الويسكى واطاعه آخــر الأمــر ولكنه لم يكمل الكأس فذوقه رفض طعم الشراب ولم يجد له تلك النشوة التى سمع بهــا ٠

وحين خرج من البيت كان يشعر بشيء من الخجل والغضب من نفســه ٠

***

يحرص فائق على الذهاب الى الكلية كل يوم رغم الزحام الشديد ورغم انه لا يستفيد شيئا من المحاضرات التى يلقيها الأساتذة فقد كان يعتمد فى نجاحه على مذاكرته هو فى بيته ٠ وهو فى ذلك مثل الأغلبية الكاثرة من الطلبة ، ولكنهم مع ذلك يصرون على الذهاب الى الكلية ولكل من الطلبة سبب خاص به فى ذهابهم الى الكلية فأغلبهم لايصيب شيئا من الفائدة بالمحاضرات بل ان كثيرا منهم يذهب الى الكلية ولا يدخل الى المحاضرة ويقول قائلهم ٠٠

ــ ان وجدت الكرسى الذى اقتعده فلن أجد الهواء الذى أتنفسه ٠

ولكن الطلبة مع ذلك يحرص أغلبهم على الذهاب الى الكلية ٠ وأين سيجد كل هؤلاء الأصدقاء ومن ينادمهم وينادمونه ، وأين سيجد الفتيات بهذه الاعداد الهائلة ٠٠ ولكل من الطلبة فتاة من زميلاته يعجب بها وسواء لديه ان كان عنده أمل فى صداقتها أو لا أمل له ٠

وكان فائق من هؤلاء الكثرة الذين يحرصون على الذهاب الى الكلية وكان له فى فتاة بذاتها مأرب ولكنه ما كان يدرى كيف يتقرب منها أو يرمى شباكه عليها ٠ فقد كانت صلاته الاجتماعية محدودة ٠ وكانت المآدب التى يقيمها أبوه لا يأتى اليها من الفتيات من هن فى مثل سنه ، وانما كن نساء فى سن أمه فان صغرنها فبسنوات قليلة لا يتصور ان تكون واحدة منهن على علاقة به ٠

وفى الكلية أغلب الفتيات يتجمعن بعيدا عن الطلبة ولم يكن يتصور أن يقتحم عليهن تجمعهن ويخاطب واحدته التى يعجب بها كل الاعجاب وكل ما استطاع الوصول اليه بعد جهد جهيد ان اسمها الهام وحتى لـم يعرف اسم أبيها ٠

وكان فائق يذهب الى المكتبة كثيرا بعد انتهاء المحاضرات ٠ ليحصل على بعض مراجع فقد كان حريصا ان يكون نجاحه بتقدير يشرفه ٠

دخل الى المكتبة ووجد فيها الهام فخفق قلبه انه محقق فى يومه هذا ما عجز عن تحقيقه منذ التفت قلبه اليها ٠٠ عثر على المرجع الذى جاء من أجله ووضعه أمامه وفتحه ولم يستطع ان يقرأ منه شيئا فقد كانت عيناه على الهام أن تخرج وهو مستغرق فى القراءة ٠ الكتاب يســتطيع أن يعود اليه فى أى وقت ولكن هذه الفرصة هيهات ان يجعلها تفلت من يديه ٠ قامت الهام لتعيد ما معها من مراجع فقام من فوره وأعاد المرجع لم يقرأ منه حرفا ٠ وخرج مع الهام من المكتبة كانت ساحة الجامعة تكاد

تكون خالية ومشت الهام فتبعها لا ينطق بكلمة حتى اذا بلغا خارج الجامعة وقفت الهام تبحث عن سيارة أجرة وحينئذ تجرأ واقدم ··

ـ أين سـيارتك ؟

ـ فى الاصلاح

ـ هل اذا عرضت أن اوصلك آكون قد تجاوزت مكانى ·· ؟

ـ مطلقا ·· انت زميلى وأى تجاوز ان يعين زميل زميلة له ·

ـ تفضـلى

وفى السيارة وجد نفسه يقول دون ريث تفكير :

ـ انت لا تعرفين كم مر بى من زمن انتظر هذه الصدفة ··

ـ بل اعرف

ـ تعـــرفين !

ـ منذ اول يوم نظرت فيه الى ··

ـ كيف ·· هذا غير معقـــول !

ـ بل هذا هو المعقول فالفتاة منا تحس بالنظرات حتى وأن لم ترها

ـ اذن

ـ انك فى كل يـوم تتحرى ان تقف على مقربة منى ومن زميـلاتى ونظرك موجه الى

ـ لم اجرؤ ان اتقدم اليكن

ـ وانا لم اعرف كيف اشجعك

ـ بنظرة بابتسامة أو بشبه ابتسامة

ـ اترضى لى ان اكون البادئة

ـ بمجرد اشارة عابرة

ـ لا يعقل ان تكون الاشارة الأولى منى انا

ـ اعرف ان اسمك الهام عرفته وانا اسمع زميلاتك يناديك

ـ ولم تحاول ان تعرف بقية اسمى

ـ الهـــام وجـدى

ـ اسـم الوالد

ـ طبعـا

ـ ظننت انه قد يكون اسم الاسرة

ـ اسم الاسرة زين الدين

ـ وانا فائق

ـ فائق هارون بركات

ـ لم افرح بسماع اسمى مثل هذه اللحظة ٠

ـ لا يا شيخ

ـ تعرفينه بالكامل

ـ هذا أمر ليس صعبا

ـ كيف عرفتـــه ؟

ـ من زمـــلائك

ـ انا لا اعرف زميلات

ـ لمـــــاذا ؟

ـ لا ادرى ربما كنت خجولا أكثر مما ينبغى

ـ شىء غريب فى زماننا هذا

ـ زوار بيتنا كثيرون ولكنهم يجيئون لنا فى أعمـــال ولا معنى لوجودى معهم ٠ وفتيات أسرتنا قليلات جدا فانا لا أعرف الا ابنة خالتى هناء وليس لم عم ولا بنات عم فدائرتى الاجتماعية ضيقة جدا ٠ وأنا طالب لا بأس بى أنال تقديرا دائما فى كل عــام ٠

ـ اما هذا فأعرفه

ـ أنت ما أخبـــار دراستك ؟

ـ طالبة من درجة مقبول ولكنى انجح وراضية بقسمتى كل الرضى والحمـــد لله ٠٠

ـ نعمـــة ٠٠

ـ أراك تسير ولا تسالنى عن عنوانى ومع ذلك فانت فى الطـــريق الصحيح ٠

ـ ان كنت خجلت أن اتعرف بك فاننى لم أخجل ان اتبعك بسيارتى كلما خرجنا معا من الجامعة ٠

ـ معقـــول

ـ هذه أول مرة اراك فيها بالمكتبة

ـ لانها أول مرة اذهب فيها الى المكتبة

ـ ماذا كنت تريدين منها ؟٠

ـ هـذا شـأنى

ـ هل اسم الكتاب سـر ؟

ـ ليس سرا ٠ وانما انا ذهبت حتى يخف الزحام واجد سـيارة أجـرة

ـ فقط

ـ ولاقرأ بعض مواد فى القـانون التجارى لم أفهمها من شرح الدكتـور طلبـة ٠

ـ وفهمتيها ٠٠ ؟

ـ اتريد أن تبحث عن حجة لتذاكر معى ؟

ـ اسمعى ارجوك ان ترفقى بى فانا خجول كما ذكرت لك وانا فى نفس الوقت معجب بك اعجابا شديدا

ـ أشكرك

ـ بل انا الذى اشكرك

ـ أتعرف لماذا أشـكرك ؟

ـ ربما لاعجابى بك

ـ لانك اخترت الكلمة المناسبة ولم تقل الكلمة التى يستسهل كل فتى أن يقولها لفتاة

ـ انا صادق دائما أو على الأقل احاول أن اكون صادقا ٠

ـ لقد وصلنا ومن حقك على أن اقول لك اننى أيضا معجبة بك

ـ بمـاذا ؟

ـ كنت اقدر فى نفسى محاولتك التقرب منى وتعففك عن فرض نفسك ٠٠ أما الآن وبعد حديثى معك ٠٠ فانا أيضا أحمل لك نفس الاعجاب الذى تحمله لى ٠

(١٠)

قال ســـعدون

ـ يا هارون انا نويت ان شاء الله أن أبيع أرضي وأرض زوجتي ٠٠

وصمت هارون قليلا انه سيخسر لا شك ولكن المبالغ التى تعود عليه من الزراعة جميعا أصبحت ضئيلة هينة لا قيمة لها بجانب ثروته التى أصبحت شامخة وان كان قد جمعها بكل الوســـائل التى لا تنتسب الى الشموخ وبيع سعدون للارض أمر طبيعى فقد علت به السن فمن الطبيعى أن يضمن انتقال الثروة الى بنتيه فهو لم يرزق الولد

ـ ابن عطا الله الذى اشترى أرض حماتك من أبيها أنت تعرفه

ـ نعم نصيف انه ولد طيب

ـ جدا والا لانتهب الأرض التى اشتراها أبوه شراء صــــوريا من عثمان بك الله يرحمه فثمن الأرض اليوم تضاعف عشرات الأضعاف ٠

ـ طبعا وما شأن الحاج وافى

ـ كبر فى السن واخشى أن يختاره الله وهو طبعا ما زال على وفائه

ـ والأربعة الذين اشتروا الأرض من والدك ٠

ـ كلهم على قيد الحياة ووافقوا على البيع ٠

ـ الحمد لله وهل جاءك فى الأرض ثمن ؟

ـ نعم ثمن لا بأس به طبعا انت لا تفكر فى الشراء

ـ مطلقا والواقع ان الزراعة كلها لم تصبح موردا هاما من مواردى المالية ٠

ـ اعلم هذا يا هارون ويا ليتك بقيت فى الزراعة ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ انت تعمل فى كل شيء فى المقاولات فى التصدير والاستيراد فى التجارة الداخلية والخارجية ٠٠ لقد أصبح المـــال بالنسبة اليك غاية لا وسيلة

ـ وهل فى هذا عيب ؟

ـ العيب ليس فى العمل وانما فى طريقة العمل ٠ والمال عظيم طالما بقى وسيلة وكارثة حين يصبح غاية ٠٠ فالارقام لا تنتهى والمنهوم للمال يرتكب كل شيء ليرضى جشــــعه ٠٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى معاملتك مع الآخرين انت لا تراعى الله · وما دمت لا تراعى الله فانت لا تفكر بانسانية فى معاملتك ، لا يهمك أن تخرب بيوت الناس وتمحقهم محقا لتنال أنت بضعة نقود ·

ـ هذه هى قوانين السوق ·

ـ ألا تفكر مطلقا فى قوانين الله ·

ـ والله ان جئت للحق ان هذه الفكرة لا تخطر على بالى مطلقا ·

ـ ومع ذلك حلفت بالله فى أول جملتك ··

ـ تعـود سخيف ··

ـ أليس هـو خالقنـا ؟

ـ اشك فى هذا

ـ فمن الخـالق ؟!

ـ لا أدرى ربما كانت الطبيعة ·

ـ كلام فارغ الطبيعة لا عقل لها ولا ارادة

ـ ما تعنى ؟

ـ اعنى ان المعادلات الكيماوية التى تنسب للطبيعة ليس لها ارادة فاذا وضعت اكسوجين مع هيدروجين لابد أن ينتج ماء · واذا اوصلت سلكا كهربائيا سالبا بآخر موجب لابد أن تنتج قوة كهربية ·

ـ وماذا فى هـذا ؟

ـ ان الله صنعها هكذا ولكنه ابقى لنفسـه الارادة فى أشـياء لا تستطيع الطبيعة أن تقترب منها ·

ـ فعـل ماذا ··؟

ـ مثل انجاب البنين كان المفروض انه ما دام رجل سليم قد تزوج من فتاة سليمة فلابد ان ينجبا أطفالا ولكن هذا لا يحدث ولا يأتى الأطفال إلا بقوة الهية عليا ·· ومثل نزول المطر فقد كان المفروض انه ما دام البخار قد تصاعد الى السماء فلابد ان ينزل المطر ولكن هذا لا يحدث فان اللـه ينزل المطر حينما يشاء والأمثلة على وجود ارادة عظمى وقوة الهية لا يحيط بهـا البشر ·

ـ لقد تقدم العلم كثيرا

ـ ولكنه عجز عن ان يجعل العقيم منجبا وعجز عن دفع السيل الذى

لا يبقى ولا يذر أو انزال المطر ·· وكل تقدم علمى كشف عن قوى الهية كامنة فى الطبيعة يتيح الله للبشر أن يتعرفوا عليهـا بارادته وفى اللحظـة التى يريدها وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ·

ـ انا لا أفكر فى هذه الأشياء

ـ لقد عجز رئيس أمريكا أكبر دولة فى التاريخ أن يمنع السيول أن تصيب بيته هو لقد عجز علم دولته التى وصلت الى القمر عن أن تواجه ارادة الله فى السيول أو الجفاف أو البرد أو الحـــر أو الميلاد أو الوفاة وتأتى سعادتك تقول الطبيعة هى التى خلقت يا لها من خالق عاجز مخلوق بلا عقل ولا تفكير ان هذا العالم يستحيل أن يديره الا قوة عليا من التفكير والتدبير فالذى خلق الضوء خلق العينين والذى خلق الحديث خلق الأذنين أى طبيعة هزيلة هذه التى تفكر فيها كم انت مسكين يا بنى

ـ المهم اننى خلقت

ـ وانت أيضا ستموت فلو ان الطبيعة هى التى خلقتك اتراها أيضا هى التى ستميتك ··

ـ لا أدرى

ـ فكر قليلا هل للموت معادلة كيماوية ·· انت ترى الطفل يموت والصبى يموت والشاب يموت ويبقى الشيخ العجوز المريض وترى كما قال شـــوقى :

وقد ذهب الممتلى صحة

وصـــح السقيم فلم يذهب

ـ ان كل هذا الذى تقول لا يشغلنى فى كثير أو قليل

ـ لانك بعيد عن الله كل البعد دينك والهك المال وحده ولا شريك له حتى حبك لأبيك وأمك لا وجود له بل حبك لأبنـــائك الذى يجب أن يكون غريزيا بالسليقة ضئيل عندك بجانب حبك للمال ·

ـ العالم كله مهموم بالمال وبالتقدم العلمى

ـ ان العالم كله لم يستطع ان يصل الى سر الروح وقد انفق الاتحاد السوفييتى المليارات من الأموال ليصـــلوا الى سر الروح حتى يدللوا بـــه على صحة مذهبهم الالحادى ، وانهار المذهب الشيوعى فى العالم كله وامحى وما زال سر الروح مستغلقا على العالم اجمع الا أنها من أمر ربى ·

ـ انت غاضب على ٠

ـ انا حزين لأجلك وحزين لأجل ابنائك الذين لا يسمعون اســم الله فى بيتهم الا فى الصلاة التى تقيمها امهم ٠٠ انجاهم الله من كفرك ٠٠

★★★

(١١)

دق جرس التليفون فى بيت هارون ورفعت حميدة السماعة

ـ ماما

ـ شهـــاب

ـ لا انا الباشمهندس شهاب

ـ صحيح

ـ وفائق ايضا اصبح الباشمحاسب فائق

وفى طفر من الفرح غامرة قالت حميدة :

ـ صحيح الحمد لله يا ابنى الا تاتى لأقبلك وأين اخوك

ـ انا ساقضى اليوم مع اخوانى وساتاخر فى المساء اما فائق فقـد طلب منى أن اخبرك انه سيتغدى خارج البيت ولن يتأخر بعد ذلك ٠

ـ الم يكن من المعقول ان تاتى أنت وأخوك لنفرح بكما انا وابوك ؟

ـ ابى مشغول المهم ان تعرفى انت وقد كلمتك بعد أن عرفت النتيجة مباشرة لانى انا وفائق نعرف ان الأمر يهمك ٠٠

ـ يهمنى ؟ انه املى الذى اعيش له وبه ٠

ـ الحمد لله ٠ قولى انت لابى ربما اظن الأمر يهمه كثيرا ٠٠

ـ أهـذا كـلام ؟

ـ المهم لا تنشغلى اذا تاخرت قليلا فى المساء ٠٠

ـ ما تشوفه يا ابنى الأمر لله

ـ مع الســلامة

ـ مع الســلامة

لم يبد هارون الفرح الذى ينبغى لأب تخرج ولداه اللذان ليس له غيرهما ٠ وكأن الأمر كان مفروضا لا شك فيه والم بقلب حميدة بعض الألم من استقبال هارون لخبر هو فى عرف الاسرات من أهم الاخبار التى تسعد لها الاسر جميعا ٠

تناول هارون غداءه فى سرعة ولم ينم نومة القيلولة وخرج وهـو ينبىء زوجته أنه سيتأخر فى المساء ولم تسأله لماذا فهكذا تعودت ٠

وامسكت التليفون لتخبر أختها بنجاح ابنيها وبشرتها وجيدة بأن هناء أيضا حصلت على ليسـانس الحقوق وان ايمن نجح وأصـبح فى السنة النهائية من نفس الكلية ٠

وكان الدكتور أمجد فى البيت وكان سعيدا غاية السعادة بنجاح ابنته وابنه وهنأ حميدة بنجاح ولديها واستردت حميدة فرحتها التى كان استقبال هارون قد خفف منها ٠

وراحت حميدة تكلم أبويها وصديقاتها جميعا ٠ وفجأة تذكرت انها لم تكلم الحاج حامد فادارت القرص وكلمته فى البلدة فكانت سـعادته الواضحة من صوته أعظم ألف مرة مما رأته من عـدم اهتمام هارون بالخبر ٠ وكلمتها حماتها الحاجة توحيدة وهى تقول :

ـ لو كنت أعـرف كيف ازغرد لزغردت ٠ ولـكن انتظرى يا نبوية يا أم الهنا يا سعدية زغردن يا بنات واملأن الدنيا زغاريد ٠

وسمعت حميدة زغاريد الخادمات فى التليفون فأحست قلبها يزغرد معهن ٠ وهكذا ملأت السعادة جوانح حميدة فقد عبرت هذه الزغاريد عن كثير من خلجات الفرح التى يدق بها فؤادها ٠

ولم تمض ساعات حتى جاءتها أختها وجيدة وابنتها هناء ومعهما صناديق من الحلوى واقبلت الكثيرات من صديقاتها يحملن أيضا ما يجاملن به حميدة صديقتهن الطيبة الحبيبة اليهن بخلقها السلس وصداقتها الحنون الخالصة بلا شوائب فقد كن يحملن لها الود الصادق وان كانت منهن من تكن لها بعض الحسد على الغنى الفاحش الذى أصابه زوجها الا أن أولئك كن يجهدن غاية الجهد ان يخفين حسدهن حتى كن يبدين أكثر حبا لها من المخلصات اللواتى لا يحملن لها الا الحب الخالص الكريم ٠

ولم يسكت التليفون عن الرنين ممن لم يستطعن المجىء يقدمن التهنئة ويسعدن بالزيارة فى الغـد ٠

وطال بالسيدات الحديث حتى أوشك موعد العشاء أن يحين فبدأن في الانصراف ولم يبق الا وجيدة وابنتها هناء فقد بقيتا قليلا ثم قالت وجيدة :

ـ نقوم أنا وهناء فاننا الليلة سنحتفل بالنجاح وقد أعددت وليمة اذا كان هارون سيتأخر فلماذا لا تأتين معنا يا حميدة ٠

ـ هارون فعلا سيتأخر وكذلك شهاب ولكنى اعتقد أن فائق فى طريقه الينا وسأكرمه بعشاء فاخر ٠

وقبل ان تكمل جملتها دخل فائق وسعادة الدنيا كلها فى وجهه وعينيه واستقبلته خالته وهناء بالتهليل وحين استقر بهم المجلس قالت هناء :

ـ هذه الفرحة الكبرى التى فى وجهك وعينيك فرحة النجاح وحده

ـ اليس التخرج جديرا بهذا ٠٠ ألم تفرحى أنت بالتخرج ٠

ـ انا كنت واثقة وكل ما كان يهمنى هو درجة التخرج

ـ جيد ٠٠

ـ خسئت بل جيد جدا

ـ ومن سمعك وشرفك انا أيضا ٠ بل وشهاب أيضا ، ما درجة ايمن ؟

ـ جيد ٠٠

ـ نعمة

ـ ولكنى مازلت مصرة ان فى عينيك مع فرح النجاح فرحا آخر ٠

ـ ما سر اصرارك هذا ؟

ـ انا وانت كنا نتال تقديرا فى جميع سنوات الدراسة فنجاحنا بدرجة جيد جدا أمر متوقع وهذه السعادة التى تتناثر حولك وراءها سر أخر ٠

ـ ولماذا تحاولين أن تكشفى أسرارى ؟٠

ـ فضول المرأة

ـ الا يرده اقتران الليسانس بدرجة جيد جدا ؟

ـ تظل المرأة هى المرأة

ـ ولكن لن أشفى فضولك هذا

ـ ما تلبث الاسرار أن تنكشف وتذيع وتصبح على كل لسان والذى لايشترى يتفرج ٠

ـ انتظرى حتى تشترى وتتفرجى

ـ الا تنال ابنة خالتك حق السبق ٠

ـ كأنك نلت الليسانس فى الصحافة ٠

ـ والمحامية أيضا تبحث عن الحقيقة ٠

ـ لقد بدأت الممارسة مبكرة جدا

وقاطعتها وجيـــدة :

ـ كعادتكما لا ينتهى لكما نقاش قومى يا بنت

وقامت هنـــاء :

ـ أيقال للجيد جدا يا بنت ؟

ـ وان أصبحت رئيسة النقض انت عندى بنت ٠٠ هيا حتى لا نتأخر عن أبيك وأخيك ٠

وقامتـــا

وما لبث أن أعد العشاء وجلست اليه حميدة وفائق ٠ لكنها لاحظت انه غير مقبل على الطعام اقباله الذى تعودته منه ففاجأته :

ـ فائق هل تعشيت ؟

وارتج على فائق لحظات ثم ما لبث أن تمالك نفسه وهو يقول :

ـ انا ٠٠ ابدا ٠٠ ابدا والله

ـ بل تعشيت

ـ ابـــدا

ـ المهم قم بنـــا

ـ ألا تكملين عشاءك

ـ وحدى ٠٠ انا شبعت

ـ لم تأكلى

ـ ربما اكون انا الأخرى قد تعشيت ٠

وضحكت وضـــحك وقاما وذهب الى غرفة المعيشة وجلســا أمــام التليفزيون ٠ وكان يعرض به فيــلم عربى قديم ولكنهما كانا مستمتعين به وقبل أن ينتهى الفيلم دق جرس التليفون ٠ ونظر كلاهما الى الآخر وكان فائق الى التليفون أسبق

ـ بيت هارون بك بركات ؟

ـ نعم من يريـــده

ـ هنا قسم قصر النيـــل

ـ حضرتك هارون بك ؟

ـ لا انا ابنه

ـ ألك أخ اســـمه شهاب ؟

ـ نعم ماله

ـ عندنا وليس معه بطاقة نرجو أن ياتى أحد من عندكم

ـ هل هنـــاك شيء ؟

ـ من يأت ســيعرف ٠

ـ شـــكرا

ووضع فائق السماعة وهو فى حالة ذهول تام وقد امتقع وجهــــه وجف فمه حتى لم يستطع أن ينطق وذعرت الأم وسارعت اليه ٠٠

ـ ماذا ٠٠ ماذا يا فائق ٠٠ ماذا حدث ؟

وجمع فائق الكلمات ونطقها بصعوبة

ـ شهاب فى القسم

ودقت صدرها وارتمت الى اقرب كرسى منها

ـ لماذا ماذا فعل ؟

ـ لا أدرى ٠٠ لابد أن اذهب اليه

ـ تذهب اليه وحدك

ـ ابى غير موجود ماذا اصنع

ـ انتظـــــــر

وطلبت الدكتور أمجد وأجابها وروت له ما حدث

ـ فائق عنـــدك

ـ نعـــــم

ـ ياتى الى الآن وساذهب معه

وفى القسم قدم الدكتور أمجد نفسه كما قدم فائق وسأل وعرف كل شيء لقد هاجم بوليس الآداب بيتا وكان به شهاب وقال أمجد :

ـ لا أظنكم تحتجزونه

ـ لو كان معه بطاقة ما استدعيناكم

ـ معى بطاقة

ـ اذن سنفرج عنه فى الحال

وخرج ثلاثتهم وركبوا سيارة صامتين لم ينطق أحد بكلمة وحين بلغوا منزل الدكتور أمجد نزل دون تحية وسار أمجد فى طريقه ولأول مرة تكلم شـــهاب :

ـ الى أين ؟

ـ الى البيت

ـ أمر لآخذ سيارتى

ودله على الطريق ونزل شهاب وقال فائق :

ـ انا لن اذهب الى البيت

ـ انا تركت ماما بين الحياة والموت

ـ طمنها انت ، انا لن اذهب الى البيت

ـ الى أين تذهب الآن ؟

ـ اطمئن ٠٠ لا تخف

وتركه دون ان يكمل الحديث وركب سيارته وسار بها وفائق مذهول فى مكانه ٠

★★★

لا أمل لى الا هو انا الآن أريد مكانا اختفى فيه عن الوجوه اللائمة ٠ وأريد الغفران وأريد الحب ٠ قد أجد هذا من امى وحدها ولكن ساجد كل ما أكره فى وجوه الآخرين ٠

(١٢)

كان الحاج حامد نائما هو وزوجته الحاجة توحيدة · وفى سنهما هذه لا يكون النوم عميقا فلم يكن عجيبا أن يسمعا طرقا خافتا واضح الاستحياء على الباب الخارجى للمنزل ·

وقام الى الباب الحاج حامد وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويدعو أن يكون الطارق يحمل خيرا أو لا يحمل سوءا على الأقل ·

وفتح الباب وما أن رأى شهاب حتى صاح به فى وهن وخوف ··

ـ شهاب أهلا يا بنى خيرا ان شاء الله ·

وفى لعثمة قال شهاب :

ـ خيرا ان شاء الله يا جدى

ـ تعال ·· ادخل ·· ماذا بك اجلس

ـ لا تخف يا جدى كلنا بخير

ـ انتظر حتى اطمئن ستك

ـ لا تجعلها تقوم من فراشها أريدك وحدك

ـ حاضر يا ابنى

وعاد الحاج حامد الى حفيده ·· وروى شهاب على جده كل شىء فى صراحة وشجاعة وأطرق الحاج حامد قليلا ثم رفع رأسه الى شهاب :

ـ غفور رحيم يا بنى

ـ لا أحب أن أرى أحدا الآن الا أنت فعندك اجد الحب الذى لا اجده من أحد الا عند امى ·

ـ غفور رحيم يا بنى

ـ أريد أن أبقى عندك بضعة أيام

ـ اهلا بك لبضعة ايام وبضعة اشهر وبضع سنوات هذا بيتك يا ابنى

ـ أعرف ذلك لا تقل شيئا لستى ·

ـ سأقول انك مختلف مع ابيك وربنا يسامحنى على الكذب ·

ـ هكذا احسن

ـ هل تعرف أمك أين أنت ؟

ـ لا أحد يعرف

ـ هذا غير معقول

ـ لا اريد أن ارى امى فستكون حزينة حتى وان غفرت لى ·

ـ يا ابنى انت لا تعرف قلب الأم انها الآن فى حالة جنون وهى لا تستحق منك هذا ·

ـ اذن اخبرها

★★★

حين وصل فائق الى البيت لقفته امه على الباب :

ـ خيرا يا فائق اين شهاب ؟

ـ لا شيء شهاب بخير ولم يفعل شيئا ··

ـ فلماذا كان فى القسم ؟

ـ مسألة بسيطة

ـ مـــاذا ؟

ـ وصمت فائق حائرا ان قال حادثة سيارة لازداد ذعر امه جلس واطـــرق

ـ انطـــق

ـ مجرد عراك بينه وبين احد الضباط ·

ـ هكذا من غير مناسبة

وجاء هارون من غرفة النوم على صوت ابنه وامه ·

ـ قل الحقيقة

ـ ماذا اقـــول يا أبى ؟

ـ الحقيقـــة

وقالها بعد ان فكر انه ان لم يقل هو الحقيقة فسيقولها الدكتور أمجـــد ··

قالها وهو خزيان وكأنه هو الذى ضبط

وكان رد الفعل عند امه صمتا متألما ودمعـــات غزيرة اما هارون فكان شأنه عجبا لقد قعد بعد أن كان واقفا وراح يضحك فى قهقهة ·· ثم قال وهو يضحك ··

ـ وأين هو الآن الا تعـــرف ؟

ـ رفض أن يعود معى الى البيت ولا ادرى أين ذهب

وقالت حميدة :

ـ هل هذا معقول الا ياتى لنطمئن عليه على الأقل ؟

وقـــال فاق :

ـ قال لى طمئن امى ورفض ان يقول لى أين سيذهب

وقال هارون ضاحكا :

ـ وأين تظنانه سيذهب ٠٠ هيا لننام

وصرخت حميدة وهى تدق صدرها :

ـ انام ٠٠ انام وانا لا اعرف أين ابنى وما حالته

شهاب يختشى من ظله ٠٠ ربنا أعلم بحاله الآن

وضحك هارون وهو يقـــول :

ـ لقد أثبت انه لا يختشى ولا يحزنون ٠٠ قومى نامى فقد اطمأننا عليـــه

ـ ابدا لا يمكن انام

ـ اذن انام انا وانت يا فائق الا تنام

ـ انا سأبقى مع ماما

ـ انت حـــر

وعاد هارون الى غرفة نومـــه ٠

★★★

دق جرس التليفون فى بيت هارون وانتفضت اليه حميدة واختطفت السماعة

ـ أهلا يا حاج ٠٠ خيرا

وجاءها صوت الحـــاج حامد :

ـ اطمئنى ٠٠ شهاب عندنا

ـ الله يطيل عمرك يا حاج الله يخليك

ووضعت السماعة وقال فائق :

ـ الحمد لله

ـ الآن ننام

ـ تصبحين على خير

ـ لقد أصبحنا فعلا أو نكاد ٠٠ سأذهب اليه

ـ طبعـــا

★★★

لم يكن هارون مرحبا بالذهاب الى بيت أبيه ولكن حميدة فى هـــذه المرة قالت له فى حزم :

ـ ان لم تذهب معى سأعود من البلد الى بيت أبى ٠٠

ولأول مرة يسمع هارون هذا التهديد فلم يجد مناصا من الذهاب ٠

★★★

وفى السيارة اتفق ثلاثتهم الا يفاتحوا شهاب فى الموضوع مطلقا ٠٠ وحين وصلوا رحب الحاج حامد ترحابا شديدا بحميدة وبفائق وســـلم سلاما فاترا على هارون أما الحــاجة توحيــدة فقــد رحبت بالجميع ٠٠ وقــال شـــهاب :

ـ كيف استطعت المجىء يا أبى ؟

ـ أمك يا سيدى

ـ لقد توقعت ان تقول هذا

وقال هارون :

ـ المسألة لا تستحق هذه الهوســة

وقال الحـــاج حامد :

ـ هل من الهوس أن تزور أباك وأمك ٠٠ يا خسارة

ـ مشاغلى يا أبى لا تتصورها

وقالت الأم :

ـ أتكتفى بأن ترسل الينا مالا فى كل شهر ولا تأتى

ورأى الحاج حامد الدهشة على وجه هارون ٠٠ لم يستطع هارون ان يخفيها بل قال فى لعثمـــة ٠٠

ـ مالا !

وقالت الأم فى سذاجة

ـ نعم الراتب الذى ترسله كل شهر اتظن ان الأم والأب يكفيهما المـــال ٠٠

ـ نعـــــم

ـ ألم تســـمع ؟

ـ ان مكتبى يرسله كل شـــهر ٠٠

وصمت وقد حسب انه قد خرج من المازق ولكن عقله كان حـائرا حيرة كبرى ٠٠٠ انه واثق انه لا يرسل شيئا وواثق أن مكتبه لا يرســل شيئا فما هذا المال الذى تتكلم عنه أمه

وتغير الموضوع وتناولا الغداء وحين أزمع هارون العــــودة الى القاهرة نظر الى شهاب ٠٠

ـ اتاتى معنـــا ؟

وأجاب شهاب فى حسم

ـ سابقى بضعة ايام مع جـــدى

ـ على كيفـــك

★★★

(١٣)

فى الصباح ترك الحاج حامد حميدة نائمة وخـــرج الى حجـــرة الاستقبال الملحقة ببيته وأرسل رسولا الى مختار عمر يطلب منه أن يجىء اليه باسرع ما يستطيع ٠ وما ان انتهى مختار عمر من أعماله العاجلة حتى سارع الى الحاج حامد ٠ وتأكد الحاج حامد انه منفرد بمختار وســـاله :

ـ مختار أنت تعرف اننى اتلقى فى كل شهر مبلغا يصل اليوم الى خمسمائة جنيــــه

وأدرك مختار ما يريده منه الحاج حامد فاطرق فى حيرة واشتد به وجيب قلبه وامتقع وجهه فأوشكت ظنون حامد أن تصبح مؤكدة وبعــد لحظة مريرة طويلة قال مختـــــار :

ـ نعـــــم

ـ كنت حتى الأمس واثقا أن هارون هو الذى يرسل لى هذا المبلغ

ـ وما الذى جعلك تشك فى ثقتك هذه ؟

ـ هارون نفسه لقد زارنى بالأمس بعد سنوات طويلة من الانقطاع عن زيارتى

ـ وهل نفى أن يكون هو مرسل المرتب الشهرى ؟

ـ لم ينف وانما دهش ووضحت الدهشة على وجهه ثم ما لبث أن استرد دهشته عن وجهه وزعم أن مكتبه يرسل المبلغ فى كل شهر ..

ـ ولماذا لم تصدقه ؟

ـ صدقته أمه فهى التى ذكرت أمر هذا المبلغ أما انا فلم أصدق واريد أن أعرف الحقيقة منك ..

واطرق مختار طويلا ثم انفجر :

ـ لقد ضاق صدرى بهذا السر واننى أشـــعر أن فى كتمانه ظلمـا لصاحب الفضل وتكريما لمن لا فضل له

ـ اذن

ـ الحقيقة ان هارون لا يرسل شيئا

وراح مختار يروى على الحاج حامد القصة منذ كلفه ببيع الكردان حتى يومهم هذا وكان كلما اوغل فى الرواية ازداد حزن الحـــاج حامد وراحت نفسه تتمزق كل ممزق . أكان يعيش هذه السنوات على الصدقة وابنه على هذا الغنى الفاحش ، أرضى له ابنه هذا .. فما قيمة هذا الابن الا أن يكون حزنا لوالديه وعبئا على الحياة جميعها وجمع الكلمات المفككة على لسانه ليسال مختار :

ـ هل يعرف هارون شيئا مما رويته لى ؟

وقال مختـــار فى لعثمـــة :

ـ لا أظن

لا فرق ربما كان علمه أعظم سفالة من عدم علمه . ولكن الجحود والانحطاط وضياع الكرامة يحيط به من كل جانب

ـ كان لابد أن أخبرك

ـ لقد اسأت الى بكتمانك

ـ انا لم اقصد ٠٠ وانما خشيت أن أراك فى الحالة التى انت عليها الآن

ـ كان الموت جوعا خيرا مما ألاقيه الآن

ـ نسيبك وقام بواجبه

ـ ليس واجبه أن يطعمنى ويكسونى ولى ابن وهبت له كل شىء واسلمت له امرى وأمر أمه

ـ لا أجد ما اقوله

وصمت الحاج حامد واحترم مختار صمته ٠٠ النار والألم والضياع يطبقون على فؤاده ختى لقد كان يلقف أنفاسه من الهواء اجتذابا ٠٠ وطال الصمت ٠٠ ماذا يصنع كيف يرد لسعدون هذا الدين ٠٠ وهل يقبل سعدون أن يتقاضاه أيكون سعدون أشفق عليه من ولده عصارة حياته ودمه وقلبه وماضيه وحياته وما بقى له من أيام على سطح الحياة ٠ كيف تستطيع الحياة أن تصنع شخصا فى عظمة سعدون وتصنع فى نفس الوقت شخصا فى انحطاط هارون ٠٠ كيف تسع الدنيا قلبا فيه هذه الرقة التى ينعم بها سعدون وتسع معه قلبا فيه هذا الجحود وهذه الصلابة الخسيسة الدنيئة المتوحشة فى كيان هارون ماذا انا صانع ٠٠ كيف أعلن غضبى وشكرى والمى وامتنانى ٠ ماذا أنا صانع ٠٠ لا أستطيع أن افكر الآن

ـ مختـــــار

ـ نعـــــم

ـ أرجو أن تمر على غدا بعد أن تصلى الفجر

ـ أمـرك

وقام مختار عن مجلس الحاج حامد وخلت الحجرة به موجودا بلا وجود يكاد فؤاده ان يتوقف عن النبض ٠٠ صغرت الحياة أمام عينيه ولكن دعا ربه الا يموت حتى ينزل ثورته على ابنه ويتقدم بشكره الى أعتاب سعدون ٠٠ وظل هذا الدعاء يتردد فى كيـــانه وتنتفض به جـوانحه وهو يقوم من مجلسه ويدلف الى غرفته وتتلقاه زوجه فيهولها ما هو فيه من شحوب وغيظ ينتفض به وجهه وقد ورمت أعراق دمائه حتى لتوشك الدماء ان تنبجس منهـا ٠

ـ مالك ؟

ـ اتركينى ٠٠

ـ أتركك ٠٠ كيف ؟

قال فى حسم ٠٠

ـ توحيدة اتركينى الآن ٠٠ وفورا

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ أمرك

ـ ولا أحد يدخل عندى

ـ ماذا أقــول لشــهاب ؟

ـ قولى له ما شئت ولكننى لا أريد أن أرى أحدا ٠٠ اسمعت ؟

ـ أمرك

وخرجت واغلق الباب بالمفتاح والقى بنفسه على السرير ذاهلا تملأ المهانة نفسه يزحمها الغيظ والأسى وعيناه شاخصتان الى الفراغ ٠

ومر به اليوم جميعا وهو على حاله هذا حتى لقد ابى أن يتناول طعاما فى يومه كله ٠

والحاجة توحيــدة وحفيدها حائران معذبان بالقــلق لا يدريان مما يعانيه الشيخ من أهوال ٠

وكان كلما خرج من الغرفة ليتوضأ ويصلى يحاول شهاب أن يسأله عما به فيزجره فى عنف لم يعهده شهاب منه قبل ذلك مطلقا ٠٠ ويئست الحاجة توحيدة أن تعرف منه شيئا عما به ٠

وانقضى اليوم وشهاب يفكر فى أن يسافر فقد كان يظن أن جده غاضب عليه ولكن الحاجة توحيدة تنفى عنه هذه الفكرة بكل ثقة وترجوه ألا يتــرك جده وهو فى حاله هذا فيجد فى كلامها منطقا ٠٠ فربما كان جدى مريضا ولا يجوز أن يتركه خاصة وان معه سيارة لعلها تكون ذات فائدة فيمكث فى غير رغبة فى المكوث وهو أيضا لا يحس برغبة فى الرحيل ولكنه لا يدرى ماذا يصنع بيومه هذا الطويل خرج الى القرية وراح يتمشى بلا هدف بين الحقول ٠ ولم يعدم أن يجد بعض من يعرفهم ويعرفونه من أبنــاء القــرية يحادثهم ويحادثونه ثم ما يلبث كل منهم أن ينصرف الى شانه وينفرد بــه الطريق مرة أخرى وتهز نفسه الوساوس بين شعوره بالخجل مما صــنع وبين ما يعانيه جده ٠

والحاجة توحيدة والهة حائرة تدور فى البيت بلا عمــــل وتصلى فلا تفلت سنة ولا نافلة الا اقامت صلاتها ٠ ولكن الساعات بطيئات ثقيلة ٠٠ وحين عاد شهاب الى البيت لم يستطع حديث أن يتصل بينهما ٠٠

ويمر اليوم ويأتى الليل دون أن يذوق الحــاج حامد لقمة فى يومه هذا ٠٠ هل استطيع ان اطعم من مال الصدقة وانا الذى عشت عمرى كريما على نفسى وعلى الناس ٠٠

وكيف استطيع أن أسيغ الطعام وكيف يقبله لســانى او جسمى ٠٠ اللهم لا اله الا أنت سبحانك ٠٠

وتطرق الحاجة توحيدة غرفته تريد أن تنام ٠٠

ـ نامى فى غرفة اخرى ٠٠

وتذعن المسكينة هذا الاذعان الذى يعرفه ذلك الجيل والذى لا يتصور ان تكون الأمور الا هكذا ٠٠ أمر من الرجل وطاعة من الزوجة وبغير معرفة للأسباب ٠٠

ويفغــر الليل فاه المظــلم يحيط به الحــاج حامد ويظــل يتقلب على فراشــــه ٠

الموت أهون ٠ ولكن لا ٠٠ يارب العالمين لقد اطعتك عمرى كله اترك لى من الحياة فرصة حتى اسخط وأعلن سخطى على ابنى وحتى اشكر وأعلن شكرى لمن اكرمنى ٠

وفى تباشير الفجر قــام الحاج حامد فتوضأ وأقام الصـــلاة وأحس وهو يقرأ الفاتحة انه اقترب الى السماء غاية القرب وان انساما من نسمات الملائكة تراوحه ٠ وان وجيب قلبه أصبح تخشعا وحنينا ورحمة ٠٠ وراح الهدوء يسرى فى أوصاله شيئا فشيئا وما ان ختم الصلاة حتى احس نفسه خفيفا كملاك سعيدا جذلا يملأ الفرح نفسه والشكر لله يشيع فى جوانحه ٠٠ لقد ألهمه المولى عز وجل الطريق ٠ فاذا هو انسان جديد كأنما لم يخلق الا فى لحظته تلك ٠ صلى النوافل وقام الى دولابه وأخرج بضعة أوراق وسرعان ما وجد الورقة التى يبحث عنها ووضعها فى جيبه ثم انبعث الى زوجته يصيح بها فى صوت جذل فرحان ٠٠

ـ توحيــــدة

وكانت المسكينة قد فرغت من صلاتها هى الأخرى بعد ليلة لم يعرف النوم الى جفونها سبيلا ٠٠ صاح بها فى صوته الفرحان المليء بالبهجة ٠٠

ـ اين انت يا حاجة ؟

ودق فؤاد الحـاجة فرحا ٠٠ اللهم انك كريم يا رب العالمين ٠٠ لقـد عاد الينا الحاج حامد

ـ جائية اليك يا حاج الحمد لله على سلامتك ٠٠

ـ الحمد لله حمدا يرضيه سبحانه ٠٠ هل شهاب نائم ٠٠

ـ نعم يا كبدى لقد كان حـــاله بالأمس شر حال واغلب الأمر انه لم ينـم الا مع الفجـر ٠٠

ـ دعيه ٠٠ نائما ٠٠ وهات لنا الفطور اشعر أننى سآكل كل ما فى المنزل

ـ جاهز يا حاج

وحين استقبل مختـــار قال له :

ـ هل أنت مشـغول اليـوم ؟

ـ لا ٠٠ تحت أمرك

ـ أريد أن نذهب معا الى الزقازيق

ـ وماله هيا بنـــا ٠٠

وذهبا الى الزقازيق واستأجر الحاج حامد سيارة أجرة وطلب الى السائق أن يذهب به الى الشهر العقارى ولم يملك مختار نفسه ٠٠

ـ الشهر العقارى ٠٠ ماذا نفعل فى الشهر العقارى ٠٠

ـ سبحان الله يا اخى ماذا عليـــك لو انتظـرت ٠٠ هل معـــك بطاقتك ٠٠

ـ معى

ـ عظيم

وفى الشهر العقارى فوجىء مختار بالحاج حامد يوكله توكيلا خاصا لبيع بيته فى المنيرة وأن يقوم بكل الاجراءات التى تؤدى الى بيع هـــذا البيت ٠٠ وقدم للمسجل ورقة ملكيته المسجلة للبيت ٠٠

وفى دهشة قبل مختار التوكيل ٠٠ وعاد مع الحاج حامد الى البلدة فى السيارة التى استأجراها وحين استقر بهما المقام قال الحاج حامد :

ـ اسافر معك الى القاهرة ٠٠ اليوم او غدا ونذهب الى السمسار فى المنطقة ثم اترك لك الأمر كله انا صحتى لا تساعدنى والبركة فيك ٠٠

ـ ماذا تريد أن تصنع ٠٠ ان ابنك يقيم فى هذا البيت ٠٠

ـ وهل احتاج اليك لتذكرنى بهذا ؟

ـ ما تشوفه ٠٠ هل تريدنى فى شىء الآن ٠

ـ أعد حقيبتك للسفر ٠٠

ـ حقيبتى ؟ هل سنبيت هنـاك

ـ اذا اقتضى الأمر ٠

ـ وماله ٠٠ نزور آل البيت على الأقل ٠٠

ـ شيئا لله ٠٠ يا آل بيت النبى ٠٠

ـ السلام عليكم ٠

وانصرف مختار على وعد منه أنه سيكون جاهزا للسفر حين يستدعيه الحاج حامد ٠٠

وكان شهاب قد صـــحا من نومه وتناول فطوره ٠٠ ومكث ينتظـر جده التى بشرته جدته أنه أصبح فى خير حال ٠٠

وحين رآه قادما لم يكن محتاجا ليسأله فقد كانت السعادة بادية على وجهه

قال شهاب ٠٠

ـ لقد أخفتنا عليك البارحة خوفا شديدا ٠٠

ـ شـدة وزالت

وهومت سحابة من الأسى على وجه الحاج حامد ٠٠ شهاب بن هارون ٠ اتراه مثله ٠٠ هيهات ان احدا لن يكون جاحدا جحود هارون ٠٠ وطالما شكا لى شهاب من عدم اهتمام أبيه به أو بأخيه ٠٠ لا ٠٠ الولد لا ذنب له وانجابت غمامة الحزن وعاد الى حفيده ٠٠

ـ قل لى يا شهاب ماذا تنوى أن تعمـــل بعد أن نلت بكالوريوس الهندســـة ؟

وصمت شهاب قليلا ثم قال ٠٠

ـ انا لم افكر بعد والله يا جدى ٠ ان كان الأمر لى لبحثت عن عمل لى بعيد عن شركات أبى ولكن هذا سيبدو امرا غريبا وانا لا احب

ان أعلن عـــدم اهتمام أبى بنـــا على النـــاس اجمعين ما رأيك انت يا جـــدى ٠٠

ـ انا أفكر فى شىء آخر ٠٠

ـ شىء آخـــر ؟

ـ نعـــم ٠٠

ـ فيـــم تفكر يا جدى ٠٠؟

ـ سأخبرك

ـ الآن ٠٠

ـ ألم تفكر فى الزواج ؟

ـ والله لم أفكر فيه حتى الآن ٠٠

ـ ولم لا ؟

وفكر شهاب قليلا ثم قـــال :

ـ فعلا ولم لا

ـ هل تحس قلبك يميل الى فتاة بعينها ٠٠

ـ تقصـــد انى أحب

ـ وما البـــأس ؟

ـ كنت اتمنى ولكن البيت الذى أعيش فيه ليس فيه مكان للحب وهذا بفضل أبى الذى صرف قلبه كله الى المال ٠٠ ولا يتصور أننى وأخى وأمى نحتاج الى شىء آخر غيره ٠٠

ـ اذن فأنت لا تحب أحدا

ـ لا ٠٠

ـ ألا تفكر فى فتاة تصلح زوجة لك ؟

وصمت قليلا ثم قال :

ـ أعتقد أن هناء ابنة خالتى بنت حلال وتصلح زوجة من جميع الوجـــوه

ـ عظيم انها فعلا فتاة عظيمة

ـ ولكن هل تظن أن أباها يقبل زواجها منى بعد الموقف المشين الذى رآنى فيـــه ··

ـ لا تفكر فى هذا واعتمد على الله وعلى ··

ـ اطال الله عمرك ··

ـ امهلنى بضعة أسابيع وسأزوجك منها ان شاء الله

ـ هذا أمر يسير

ـ امامى بعض أعمال اريد أن انتهى منها ثم اتفرغ لزواجك ··

ـ أمــرك ··

ـ أنا أريد أن أسافر الى القاهرة وانت محتاج أن تبقى هنا بضعة أيام تسترد فيها نفسك ·· سأتركك مع جدتك ··

ـ أنا فعلا احتاج أن ابقى هنا بضعة أيام اخرى ··

ـ وهو كذلك ··

★★★

لم يكن الوصول الى السمسار بحى المنيرة أمرا عسيرا فسرعان ما اهتدى اليه الحاج حامد ومختار وقال الحاج حامد للسمسار الحاج صالح الروينى :

ـ انظر الى هذا العقد

وقرأ الحاج صالح العقد

ـ أمــــرك

ـ أنا صاحب هذا البيت

ـ هل هو خال من الســكان ؟

ـ يقيم فيه ابنى بلا عقد ولا تنازل منى ولا ورقة تثبت حقه فيه ·

ـ هل تتعهد باخلائه

ـ اذا وجدت أى صعوبة اذللها ··

ـ كم تريد ثمنا لهذا البيت ؟

ـ أنا أوجه اليك هذا السؤال ··

ـ من مليون ونصف مليون الى مليونين

ـ شىء واحد أريده منك ··

ـ انا تحت أمرك

ـ لا أريد المشترى أن يدخل البيت

ـ هذا أمر صعب

ـ انا حقيقة فلاح ولكنى أعرف الحال فى القاهرة الآن ··

ـ ماذا تعنى

ـ أعنى أن المشترى لن يشترى البيت للاقامة فيه فليس هناك من يقبل أن يشترى بيتا قديما كهذا البيت بمليونين من الجنيهات للاقامة فيـــه ··

ـ لعلك على حـــق ··

ـ المهم هو الموقع والأرض ··

ـ اذن أعطنى بضـــعة أيام ··

ـ اسبوع مثلا ··

ـ انا رجل كبير فى السن وقد سجلت هـــذا التوكيل لصـــديقى مختـــار ·

وقـــال مختـــار :

ـ اجىء اليك بعد اسبوع

ـ ان شاء الله

★★★

باع الحاج حامد البيت وسجل البيع فى عشرة أيام وأرسل المشترى انذارا الى هارون باخلاء البيت الذى يقيم به بغير سند قانونى ··

ووقع الأمر على هارون وقوع الصاعقة · ولم يكن تركه للبيت هو السبب فى حسرته وألمه وانما ادراكه أن اباه غاضب عليه هذا الغضب

المــاحق ·· واحس كأن يدا من حديد تعتصر فؤاده ·· ولكن قليــلا ما اعتصرته ·

وفى بضعة ايام كان قد استاجر بيتا آخر كبيرا مفروشا يقيـم فيـه حتى يدبر أمره ··

(١٤)

حين زار الحاج حامد سعدون فى بيته بادره سعدون بقوله ··

ـ اعرف فيم جئت

ـ مؤكـــد

ـ اليس العقــاب قاسيا ؟

ـ بل اقل كثيرا مما ينبغى لقد اعطيت هذا الولد اربعين فدانا يكسب منها الآن اكثر من ستين الف جنيه اما كان ينبغى ان يحط فى عينه حصوة ملح ويعطينى انا وامه عشر ما يكسب من ارضى ·

وصمت سعدون واطرق لا يجد ما يقول ··

ـ والالعن من الفلوس الابن الذى يجحد أبويه حتى لو لم تكن الأرض أرضهما ماذا يساوى فى الحياة ؟ انا فقدت هارون فهو السان واســتغفر الله أن يكون انســانا هــو كيان غير بشرى ليس له قلب والذى لا يعرف كيف يعامل أبويه لا يعرف كيف يعامل أبنـــاءه

ـ هون عليك يا حاج حامد

ـ انت الذى جعلت الحياة مقبولة منى فلولاك لأصبحت الدنيـــا بلا معنى واى معنى يمكن أن يكون للحياة اذا خلت من عظماء امثالك ·

ـ ارجـــوك يا حــاج حامد انا لم اصنع الا ما يجب أن يصنعه الانسان ··

ـ لقد صنعت صنيعا لا يمكن أن يطالبك به أحد ··
ويقول سعدون فى خجل ·· وكأنه يعتذر :

ـ المسالة أهون من هذا لقد رأيت اننى كان ينبغى لى أن اقـــدم لحميدة ابنتى مبلغا يعينها على الحياة مثلما يفعل الآباء كلهم فى ايامنا هذه ، ولكنى وجدتها فى غير حاجة الى ··

ويكمل الحــاج حامد ••

ـ فحولت المبلغ الى والد زوجها الذى ما زال ابنه على قيد الحياة والذى اعطاه ابوه أربعين فدانا والذى أصبح اليوم من أكبر أغنياء مصر وربما من أكبر أغنياء الدنيا •• هل تقدر الالم الذى اشعر به •

ـ طبعــا ••

ـ لا •• وأرجو الله الا تراه أبدا •• ولكنى يا سعدون رجل لم اترك فرضا وليس لى فى الدنيا الا هارون فلماذا يعذبنى به الله هذا العذاب ••

ـ سبحان الله يا حاج حامد ان الله هو الذى يحاسبنا ولسنا نحن الذين نحاسب الله • ومن أدراك ماذا يعد الله لك من خير فى الدنيــا والآخرة ، ان للسماء عدالتها الخاصة بها وليس من حق البشر أن يحاسبوها •

ـ استغفر الله العظيم والحمد لله سبحانه على كل ما اعطى وما لم يعط •• استغفر الله •• الغرض ••

ـ أى غـــرض ؟

ـ كيف اشــــكرك ؟

ـ بأن تنسى الأمر تماما ••

ـ هيهات •• ان معى الآن مبلغا ضخما من المال ••

ـ وماذا تريد أن تقــول ؟

ـ اعلم انك سترفض منى أن أرد دينك

ـ وما دمت تعلم هذا ففيم تتكلم ••

ـ سأرد دينك رغم انفــك ••

ـ كيف •• أيمكن هــذا ؟

ـ نعم •• اقرأ هذه الورقة ••

وقدم اليه ورقة نظر فيها سعدون وبدت الدهشة على وجهه ••

ـ ما هــذا ؟

ـ قيراطين أرض باسمى فى قريتنا

ـ نعــم ••

ـ ما معنى هذا ..

ـ معناه اننى اشتريت الأرض فى بلدك للبناء فانا أعلم انك بعت أرضك كلها وأرض زوجتك ولم يعد لك فى بلدكم شيء ولكنى أردت أن أجعل صلتك بها اكرم صلة ..

ـ كيــف ؟ .

ـ سأبنى فى هذين القيراطين جامعا باســمك ..

وطفرت الدموع الى عينى سعدون وقال وهو يجهش بالبكاء ..

ـ هذا أكثر مما استحق ..

ـ وهل نتحاسب

ـ هذا أكثر مما استحق ..

ـ أتعرف الكلمة التى يقولها النـاس شـكرا لله ، لقـد أردت أن أقولها بهذا المسجد الذى أبنيـه باسمك ..

ومع البكاء الذى راح يعلو من سعدون لم يستطع أن يقول شيئا وقـام الحـاج حـامد :

ـ الســلام عليكم ورحمـة الله .



(١٥)

لم يستطع حامد ان يكمل حديثه مع سعدون فى يومه هـــذا فتركه وذهب الى الفندق الذى يقيم فيه هو والحاجة توحيدة بعد أسبوع عـاد الى سعدون الذى بادره قائلا ..

ـ أتعرف ماذا صنعت بى ؟

ـ أنا ؟؟ أنا لا اصنع بك الا الخير كل الخير

ـ هو ذاك .. لقد احسست بما صنعته انت ان الله غفر لى ما تقدم من ذنبى وترك لى الحرية فيما تأخر .. ارجو أن أكون كفئا للامانة ..

ـ أنت كفء لها ان شاء الله

ـ لم أتصور أن يقام باسمى مسجد وأظل أنا شاربا للخمر ..

ـ الله اكبر ..

ـ منذ تركتنى لم اذق نقطة خمر ولم اترك فرضا ..

ـ اللهم لك الحمد والشكر ..

ـ وسأسافر الى الخارج فى أمريكا لانظف دمائى مما لوثته بها من خمور

ـ على بركة الله . المهم .. لقد جئتك اليوم فى أمر يهمنى ويهمك ..

ـ ان ارادتك عندى أمر

ـ قم واطلب زوج ابنتك الدكتور أمجد

ـ وهو كذلك ودون أن أعرف فيم تريده

وقام سعدون الى التليفون ووجد أمجد بالبيت فطلب منه ان ياتى اليه .

وما هى الا بضعة دقائق حتى كان أمجد معهما ويقول الحاج حامد ..

ـ لم اشأ أن افاتح سعدون بك فى هذا الأمر الا امامك ..

وقال أمجد :

ـ انا تحت أمرك يا عم الحاج فاننى اكن لك كل احترام ..

ـ اريد أن أزوج ابننا شهاب من ابنتنا هناء

وارتبج على دكتور أمجد وقال سعدون بعد ريث تفكير :

ـ يا أمجد ان شهاب لم يصنع الا ما يصنعه شباب كثيرون وسوء حظه هو الذى كشفه

وقال دكتور أمجد :

ـ كلنا خطاءون ولكن الا نترك فرصة للزمن لننسى ..

وقال الحاج حامد :

ـ عقاب الزانى غير المحصن يختلف عن حد الزانى المحصن .. هل سأعلمك الشريعة يا دكتور ..

ـ البشر لهم عاداتهم وقيمهم الخاصـــة وهى لا ترتبط بالحدود الشرعية ..

وقال ســعدون :

ـ اذكر قول المسيح

وقال دكتور امجد

ـ لا استطيع أن ارميه بحجر فكلنا خطاءون

وقال الحاج حامد ضاحكا ..

ـ انت كنت فى أوربا أتريد أن تقــول لى انك كنت فيها ملاكا من السماء ..

وضحك دكتور امجد واكمل الحـاج حامد :

ـ نعـم اضـــحك .. والله لو حلفت لى أنك لم تخطىء فى أوربا ما صدقتك ..

وضحك ثلاثتهم وقال ســعدون :

ـ أعرفت هنـاء بالحكاية ؟

وقال دكتـور امجـــد :

ـ وهل كان يمكن أن تخفى عنها ؟

وقال ســعدون :

ـ وماذا كان تعليقها .. ؟

وقال دكتور امجـد :

ـ ابتسمت وقالت مسكين وناقشتها فيم تقول مسكين قالت لقـد انكشف شهاب هذا كل ما فى الأمر ..

وقال الحاج حامد فى ســعادة :

ـ زادها الله عقلا .. هيه ماذا قلت يا دكتـور امجـد ؟

ـ من جهتى انا لا مانع

وقال الحـاج حـامد :

ـ طبعا تسألها وتسأل خالتها أيضا ..

قــال سعدون ٠٠

ـ طبعا خالتها ستكون سعيدة ولكن اســمع يا أمجد اترك هنــاء لأســـألها أنا ٠٠

ـ أمــرك ٠



(١٦)

ايكون هذا حبا ٠٠ ومن أين لى بالحب وانا لم احس به الا من أمى اترانى أعرف الحب ٠٠ كل كائن حى يعرف الحب حتى الحيوانات ٠٠ ولكن هل حبى من ذلك النوع العاصف الذى لا يبقى ولا يذر ٠٠ هل هو هذا الحب الذى يجعل الانسان قد تحول الى نبض قلب ووجيب فؤاد بلا تفكير ولا تدبر ٠٠ لا أظن كل ما أعرفه الآن أننى أريد أن أتزوج الهام وانها خير من يصلح لى ٠٠

ولماذا لا ؟ أما حبى فقد بحت به لها ولم أجد منها استنكارا ولارفضا وفى أول لقـــاء ٠٠

ـ الهـــام ٠٠

ـ نعـــم

ـ اريـــد

ـ قل ماذا تريد ؟

ـ أن نتزوج

ـ اكذب لو قلت لك انك فاجأتنى

ـ اذن

ـ الم تتعرف على جوابى بعد كل هذه المرات التى قابلتك فيها ٠٠ ؟

ـ انه زواج أن نصبح روحا واحدة فى جسدين متلاصقين الأمر لا يصلح معه التعرف انما لابد من التأكد

ـ ولكن آباءنا تزوجوا بالأذن وحدها وربما تزوج بعضـــهم بالأذن والعين فما كانا ليلتقيا قبـل الزواج وما كانا ليتعارفا ٠٠

ـ ربما تقصدين اجدادنا اما آباؤنا فقد أدركوا عهد التعــرف ··

ـ ربمـــــا

ـ لم تجيبى

ـ بل اجبت

ـ اريدها صريحـــة

ـ انا موافقـــة

ـ الجديد فى عهدنا أن آخذك بين ذراعى وأنال قبلة ··

ولم ينتظر اذنهـــا ··

راى من الطبيعى أن يفاتح أمه قبل أبيــه ··

ـ ماما

ـ هيـــه

ـ أريد أن أتزوج

ـ هكذا ·· انت وشهاب فى وقت واحد :

ـ هل هناك مانع ؟

ـ بالطبع لا

ـ اذن

ـ طبعا تعرفت على العروس وأغلب الأمر اتفقتما

ـ هل عنــدك مانع ·· ؟

ـ ابوك رانى مرة واحدة قبل الزواج ولم يسالنى رايى

ـ هذا أبى ·· انه أمر يتفق تماما مع أخلاقه ·· لقد تزوج بعقله وحده وبالنفع الذى سيعود عليه من الزواج بك

ـ ولــد ·· أهذا أسلوب تتكلم به عن أبيك ؟

ـ أنا أصفه ·· هل عيب أن اصفه ··

ـ اسكت ·· اسكت أحسن ، قل لى من عروسك ؟

ـ لا أظن أنك تعرفينها ·· فقد كانت زميلتى فى الكلية وليست من بنـــات أصدقائكم ··

ـ عرفني بها ..

ـ أتعنين أن تريها ..

ـ قل لي أولا من هي وابنة من وبعد ذلك أذهب أنا لأراها ..

ـ اسمها الهام وجدى هل يعنى لك هذا الاسم شيئا ..

ـ طبعا لا الا اذا أخبرتني من وجدى هذا .. وما يعمل .. و ..

ـ لا .. لا .. اطمئني تماما من هذه الناحية فانها من أسرة جديرة بكل الاحترام . وأبوها موظف كبير وجدها من كبـار الأغنياء .. طبعـا هذا الغنى يهم أبى كل الأهمية ! .

ـ اذن فعلى بركة الله

وحين جاء هارون عرف من حميدة رغبة ابنه وسأله :

ـ من وجدى والد الهام يا فائق .. ؟

ـ اسمه وجدى زين الدين وجده ..

وفوجيء فائق بأبيه وقد أصبح انسانا آخر تقلص وجهه وعلت الكشرة ملامحه وعلا نبض قلبه حتى ليكاد فائق أن يسـمعه وصـاح بابنـه ..

ـ تقـول من ؟

ـ وجدى زين الدين

ـ ابن عبد المجيد زين الدين ؟

ـ نعـــم

ـ ألم تجد في الدنيا كلها الا حفيدة عبد المجيد زين الدين ؟

ـ وما عيب وجدى زين الدين يا بابا ؟ !

ـ أبوه يطيق العمى ولا يطيقني

ـ لمـــاذا ؟

وصمت هارون .. وماذا يقـول .. فكر قليلا ثم قال :

ـ خصومات قديمة في السوق

ـ وهل هذه الخصومات تحول بيني وبين زواجي بحفيدته .. ؟

ـ نعم انا أرفض ·· لن اطلب من ابن عبد المجيد زين الدين أبنته ولو انطبقت السماء على الأرض ··

احس فائق فى هذه اللحظة انه اذا كانت رغبته فى الزواج من الهام رغبة عابرة ليس يفجعه الا تتم فقد أصبحت الآن رغبة عارمة لابد لها أن تتم فليس أبوه عنده بالشخص الذى يثق فى أسباب خصومته أو صداقته فهو عنده ظنين · علاقاته جميعها تعتمد على المال وحده ولن أجعل المال يتحكم فى رغباتى أنا الآخر وأصبح نسخة اخرى من أبى الذى لم أر منه انا وأخى لحظة اهتمام بأمورنا ولولا أن الله أراد لنا الفـلاح ما فلحت ولا فلح شهاب ·· ما رأيك يا هارون بك اننى لن اتزوج الا من الهام مهما يكن رأيك فى جدها ومهما تكن علاقاتك به ·

كان وجه حميدة شاحبا فقد أحزنها ما فعله زوجها وأحست فى عينى فائق اصراره أن يمضى فى طريقه غير عابىء برأى أبيه وقام فائق وقصد الى حجرته مغضبا ونظر هارون الى زوجته :

ـ فى ملايين الأرض كلها لم يجد الا حفيدة عبد المجيد زين الدين ··

ـ يا هارون انت خصومك فى الســـوق كثيرون وحرام أن تصنع بالولد ما صنعت

ـ اموت ولا اذهب الى بيت عبد المجيد زين الدين ·

ـ أليس لأبنائك أى حق عليــك ··

ـ أليس لى انا أى حق على ابنائى ··

ـ متى سألت عنهم حتى يكون لك حق عليهم ··

ـ هل أخرت عنهم شيئا ؟

ـ أولادك غيرك يا هارون

ـ ماذا تقصدين ·· ؟

ـ المال عندهم ليس كل شىء ·· متى أحسست بهم متى أهمك أمرهم حتى حين كان واحد منهم يمرض لم تكن تعنى به ··

ـ الا أحب أولادى ··

ـ هارون ربما كانت هذه أول مرة أسمع منك فيها كلمة الحب ··

ـ أعوذ بالله ·· الى هذا الحد ··

ـ لو عرفت الحب ماكنا اليوم فى هذا البيت

وعلت حمرة الغيظ وجه هارون واطرق هنيهة تذكر فيهـا كـل ما كان منه نحو ابيه وما كان من أبيـه نحوه وقام عن مجلسـه متجها الى غرفتـه وانحدرت بعض دمعات من عينى حميـدة جففتها ثم قامت الى التليفـون وطلبت اباها ··

ــ بابا هل انتم فى البيت بعد الظهر ؟

ــ انا موجود ولا ادرى ان كانت والدتك ستخرج ام لا ··

ــ انا اريدك انت

ــ اهـلا وسـهلا ·

★★★

روت له ما وقع من هارون وحين بلغت من القصة اسم عبد المجيـد زين الدين صـاح سـعدون ··

ــ قلت من ؟

ــ عبد المجيد زين الدين ·· اتعرفه ؟

ــ سبحانك يا رب وما أعجب تصريفك اغفر يا رب

ــ ماذا يا أبى ؟

ــ طبعا رفض هارون

ــ منذ سمع اسم عبد المجيد هذا ·· أهو رجل سيىء يا بابا ·· ؟

ــ بل من احسن الناس واشرفهم واكرمهم واكثرهم محافظـة على كرامته وبينى وبينه حب كبير وتقدير متبادل ربما من الصعب أن يكون بين اثنين فى الدنيا ·· انه من أقرب الناس الى وأنا من اقرب الناس اليه ··

ــ صحيح والنبى ؟

ــ صلى الله عليه وسلم ·· بل اقل من الصحيح انه بالنسبة لى اكثر من أخ ··

ــ شرح الله قلبك يا بابا وربنا يبقيك ويطيل عمرك ·

ــ أذهبى الى بيتك ولا تفاتحى هارون فى شىء واتركى الأمر كلـه لى ··

ادرك هارون فيم يريده حموه حين طلب ليه أن يمر به ولم يكن مرتاحا الى هذا الاستدعاء ولكنه لم يستطع أن ينكص عن الذهاب اليه وقال سعدون ٠٠

ـ امرك عجيب يا هارون ٠٠

ـ حسبت انك أول من يجد لى العذر فى رفض أن يتزوج فائق من حفيدة عبد المجيد زين الدين ٠٠

ـ يا أخى انت الذى اعتديت عليه

ـ ليس المهم من المعتدى

ـ أعرف انك ليس لك فى الشعر ولكن يحضرنى بيت لعزيز أباظة لابد أن أرويه لك يقول :

وبغوا فلما قلت يا نفس اصبرى

غضب الظلوم وعوتب المظلوم

ـ أتحسب ان عبد المجيد سيرضى عن هذا الزواج ؟

ـ هذا ليس شأنك

ـ أعرف ما بينكما من حب ٠٠

ـ فاترك الأمر لى

ـ كل ما أرجوه منك الا أحضر الفرح

ـ كيف هذا ٠٠ وماذا يكون موقف عائلة العروس ٠٠ ؟

ـ الحقيقة الموضوع كله ثقيل على نفسى ٠

ـ اسمع ما رأيك أن نزوج الولدين فى يوم واحد ؟

وفكر هارون لحظات ثم قال :

ـ ولم لا والله فكرة ٠٠ ولكنى لا أريد أن اسلم على عبد المجيد

ـ يا سيدى ولا يهمك وما أظن أنه سيحرص على السلام عليك ٠

ـ اذن نتوكل على اللـه ٠

طلب سعدون التليفون واجابه عبد المجيد زين الدين ..

ـ هل انت خارج أم ستبقى بالبيت ؟

ـ أنا تحت أمرك أتحب أن أجىء اليك ؟

ـ لا فى هذه المرة لابد أن اجىء انا اليك ..

ـ أهلا وسهلا ..

ـ الآن ..

ـ اهلا وسهلا ..

★★★

ـ الكلام الذى سأقوله اقوله بما بيننا من حب ..

ـ خيرا ان شاء الله ..

ـ انا الآن مدين لك بما صنعت معى .

ـ استغفر الله بل سأظل انا مدينا لك طول عمرى .

ـ لا داعى أن نتعازم على الديون .. فلكل منا تقديره الخاص بما صنع الآخر .. انا اقدر اننى أنا المدين لك وجئت لأزيد من مقدار هذا الدين اضعافا مضاعفة .

ـ أنت تأمر فى مالى وابنائى كيف شئت

ـ اتمسك بكلمة ابنائك هذه ..

ـ لبيك ..

ـ اريد ابنتك الهام ..

ـ تقصد طبعا حفيدتى

ـ شوقى قال عن الحفيد ولدته مرتين

ـ تعبير جميل .

ـ انه شوقى

ـ لمن تريد الهام ؟

ـ جئنا للأمر الصعب

ـ ليس معك أمر صعب

ـ لحفيدى الذى ولدته مرتين

ـ يا ساتر يارب

ـ ألم اقل لك

ـ طبعـا لو كان المقصـود ابن وجيـدة ما احتجت الى هـذه المقدمة الطـويلة ..

ـ ليس هذا بغريب عن ذكائك

ـ أترضى لى أن أزوج ابنتى من ابن هارون ؟

ـ لا . ولكن أرضى لك أن تزوج ابنتك من حفيد سعدون ..

ـ غلبتنى . لقد اقسمت ألا أمد يدى لهارون ابدا .

ـ .. أنا الذى سأقرأ معك الفاتحة ..

ـ وابلغه اننى لن اصافحه ..

ـ من هذه الناحية لا تخف ..

ـ توكلنا على اللـه

ـ نقرأ الفاتحة ..

ـ ألا أسأل الأب والأم والعروس .. ؟

ـ أما عن العروس فهى زميلة فائق فى الكلية ولابد أن الأمور بينهما مستقرة فى أمان الله .. أما الأبوان فهذا حقك وحقهما ولو اننى أعتقـد أنهما لن يمانعا ما دمت أنت قد وافقت ..

ـ أنت على حق ولكن من ناحية الشكل أنت تعرف أبناءنا فى أيامنا هذه يحبون أن يشعروا أنهم أصحاب الأمر والنهى فى بيوتهم ..

ـ أفوت عليك بكـرة ..

ـ هل أنت متعجل ؟

ـ يا رجل يا طيب ألا تعرف من المتعجل ؟

ـ أهلا بك بكره ان شاء الله ٠٠

★★★

اقيم الفرح للأخوين وحرص كل من زين الدين وهارون ألا يتصافحا ولم يلحظ أحد ما بينهما من جفاء الا العالمون بما بينهما من خصـــومة وانقضت الليلة على أحسن ما تكون وحضر الفرح بالحاج من الحفيدين الحاج حامد والحاجة توحيدة ٠

وبالطبع كانت هناك شقة فاخرة لكل من العروسين اختارها الأخوان وزوجتاهما فى عمارة واحدة لم يذهبا اليها بعد الفرح وانما سافر شهاب وهناء الى باريس لقضاء شهر العسل ٠ وسافر فائق والهام الى جنيف وقد كان هذا أول سفر لأربعتهم الى خارج مصر ٠



(١٧)

عاد الأعراس الى القاهرة بعد شهر العسل وبدأت الحيـاة تأخـذ مجراها الطبيعى بين كل من الزوجين وحمدوا جميعا ما وفقهم الله اليه من اختيار وتجاوز كل منهم الأيام الأولى ذلك الاختلاف الذى تتضح معالمه مع الحياة الجديدة ووجد كل من الأعراس الأربعة أنه قريب فى خلقه وتفكيره مع شريكه أو شريكته ٠٠ فقد كان كل من الأربعة رضى الخلق سمحا لا يحب التعقيد ٠

وكان من الطبيعى أن تكون الحياة بين هناء وشهاب أكثر يسرا فكل منهما يعرف الآخر منذ ولد فما بعجيب أن تتفق بينهمـا الميـول والمـآرب والرغبات ٠

أما فائق والهـــام فقد وجـدا بعض الصعوبات فى الأيـام الأولى ثم ما لبثت الحياة أن لانت بينهما وتجاوز كل منهما عما لا يتفق وعاداته فقد كانت المبادىء الأساسية فى خلق كل منهما واحدة ٠

عاد الزوجان والزوجتان سـعداء جميعا ٠ وبدأ شهاب يعمل مهندسا فى شركة أبيه كما عمل فائق محاسبا فيها أيضـا الا أن الأخـوين حين انفرد بهما المكان فى صالون شهاب الفاخر كان بينهما حديث ٠٠

ـ ما رأيك يا شهاب هل سنظل نعمل فى شركة أبينـــا ؟

ـ انا معك ٠٠ فانا لا أستطيع أن أحقق ذاتى فيها ٠٠

ـ ولا انـــــا

ـ نعمل حتى يجد كل منا مكانا آخر يرضيه فأنا لا أحب الفراغ ٠٠

ـ نحن متفقـــان

وعلى هذا الرأى استقر بهما الأمر فكان كل منهما يعمل حتى لا يواجه الفراغ وكان كل منهما يبحث عن المكان الذى يجد نفسه فيه ٠

***

حملت الهام ٠ ولم تحمل هناء ومرت ثلاثة اشهر دون أن تحمل ووجد شهاب امه تسأله عشرات المرات ٠٠

ـ هل آن لنا ان نفرح بابن لك أو ابنة كما سنفرح بمولود فائق ٠٠

وأمام هذه الأسئلة المتلاحقة لم يجد شهاب بدا من ان يذهب الى طبيب ليتأكد أن ليس به ما يمنع الانجاب وواجهته الحقيقة المريرة ٠ انه لا يصلح للانجاب ابدا ولا يصلح معه علاج فان الذى يعانيه مرض خلقى لا يمنعه من المعاشرة الزوجية الطبيعية ولكن يمنعه من الانجاب ٠٠

وقع الخبر على شهاب موقعا عنيفا ٠٠ وعاد الى البيت وهـو يجاهد نفسه جهادا شاقا الا يبدو عليه ما يعانيه من الم ٠٠ سبحانك ربى لمـــاذا أكـون شجرة جافة بلا ثمار حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠

ادعى الاجهاد وذهب الى فراشه وكأنه سينام ولكن النـوم لم يمس جفونه طول الليل وهناء تحس انه يعانى شيئا يخفيه وفى الصباح تـرك فراشه مبكرا وأحست به هناء فلحقت به وعلى مائدة الافطار سألته :

ـ ماذا بك يا شهاب ؟

ـ ما رأيك أن نزور جدى فى البلدة اننا لم نزره منذ رجعنـا من باريس ؟٠

ـ لا مانع عندى ولكن لماذا لا تقـول لى ماذا بك ٠ لا تقـل الاجابة البلهاء لا شىء ٠ فان يكن زواجنا منذ شهور فان معرفتى بك منذ بدأنا نعى ما حولنا أنا وأنت فأنت ابن خالتى ٠٠

ـ حين نعود من عند جدى سأخبرك

وسافرا الى الحاج حامد . ورحب بهما الجدان ترحيبا شديدا وادرك الحاج حامد أن حفيده يعانى مأساة يحاول أن يتكتمها فما أن خلت بهمـا حجرة الاستقبال حتى نظر الجد الى حفيده نظرة طويلة ادركهـا شـهاب وقـال :

ـ نعـم ..

ـ فقل ما بك

ـ انا عاجز عن الانجاب ..

ـ عاجز عن الانجاب أم عن المعاشرة الزوجية .. اه نسيت انت طبعا غير عاجز عن المعاشرة ..

وابتسم شهاب فقد أدرك أن جده تذكر حادثة الآداب التى مر بهـا وقـال شـهاب :

ـ الحيوانات الصالحة للانجاب معدومة تقريبا ..

ـ لا حول ولا قوة الا باللـه .

وأطرق الحاج حامد قليلا ثم قـال ..

ـ أكان يسعدك أن تأتى بابن يصنع بك ما صنعه أبوك بى ..

ـ انت تعرف يا جدى اننى موفور المال والحمد لله ..

ـ وهل يتمثل الجحود فى المال فقط يا شـهاب .. ؟

وصمت شهاب قليلا ثم قال ..

ـ لا ... طبعا ..

ـ لا أحد يعرف أين السعادة وان يكن سبحانه قال المال والبنون زينة الحياة الدنيا فهو سبحانه أيضا قال ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فالله وحده يعرف برحمته أين يكمن الخير لعباده .

ـ فاذا رضيت أنا فما ذنب هنـاء ؟

ـ اخبرها وخيـرها ..

ـ طبعا لن تقبل الطلاق من أجل هذا

ـ هذا هو الاغلب ..

ـ هل أطلقها ؟

ـ وهل دخلت الى قلبها لتعرف أى الأمرين أحب اليها أن تبقى معك

بلا أولاد أم تتزوج من غيرك لتنجب ·· ألا يجــوز أن يكون طلاقك لها أشد مرارة عندها من عدم الانجاب ·

ـ وكيف أدرى ؟

ـ تدرى من معاملتها لك ومعاملتها للحياة فاصبر ولا تتعجل ·

ـ أمرى الى اللـــه ·

★★★

وفى الطريق الى القاهرة خطرت براس شهاب فكرة انس اليها ووجد فيها الخلاص من حيرته ·· حاولت هناء أن تعرف منه ما يشغله ولكنه أصر على الكتمان ولم تفز منه الا بجملة واحدة وهما يقتربان الى القاهرة· بعد أن ومضت هذه الفكرة فى خاطره واطمأن اليها ·

ـ بعد وصولنا بساعة ستعرفين كل شيء ·

بلغا القاهرة وانزل الخدم الحقائب وقال لها شهاب :

ـ سأذهب الى مشوار سريع وأعود حالا ··

ما هى الا بعض الساعة حتى كان شهاب جالسا مع زوجته وصمت قليلا وهى تتحرق شوقا لتعرف ما يعانيه زوجها ··

اخرج شهاب من جيبه ورقة واعطاها لهناء وهو يقول ··

ـ اقرئى هـــذه

وقرأت وتولاها الذهول ··

ـ ما هـــذا ؟

ـ الم تقرئى ؟

ـ لمـــاذا ؟

ـ لأنى عرفت من الطبيب اننى غير قادر على الانجـــاب ·

ـ ومعنى هذا أن تكتب هذه الورقة ·· ألا تسألنى ·· ؟!

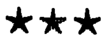
ـ أعرف ما ستجيبين به ·

ـ ان تصرفك تصرف فارس شريف وانا اقبل ما صنعت لسر واحـد لا تعرفه انت واعرفه انا لانى درست القانون ··

ـ ما هو هذا السر ؟

ـ ان اعطاء العصمة لى لا يمنعك حقك فى الطلاق أنت أيضا حين تشاء فأنت لم تتنازل عن حقك فى الطلاق كما يظن عامة النـاس وأفـلام الشاشة وانما معناه فقط أنك اشركتنى معك فى الاختيار ·· انت رجـل عظيم ·· وطظ فى الأولاد

وطفرت دمعتان من عينيها استقبلهما بكاء عالى النشيج من شهاب كأنه يطلق بها كل ما عاناه فى هذه الأيام وقامت الزوجة واحتضنت زوجها وراحت تربت ظهره فى حب وحنان وكأنها تعلن اليـه اصرارها على الحفاظ عليـه ·



(١٨)

كان يوما مشهودا يوم ولادة الهام فقد كانت الولادة متعسرة ولم يكن الطبيب قد جـاء بعد ولم يكن بالمستشفى الخـاص الذى تلد فيه طبيب متخصص ودق التليفون فى المستشفى ليعلنهم طبيبها انه فى القبة وليس لديه سيارة ولا يستطيع العثور على سيارة أجرة ودون ريث تفكيـر قـام فائق ··

ـ انا ذاهب اليـه ··

وأسرع الى سـيارته ··

انه الأجل المحتوم ·· كانت اللحظة التى قدرها الله لصعود فائق الى السماء ترتقبه فى الطريق ··

كيف ؟ لايهم ·· انها حادثة مثل كل الحوادث التى يلاقى فيهـا العباد ربهم ··



نزل الخبر على الجميـع كما ينبغى أن ينزل ·· انهـا الفجيعة التى لا ينتظر أحد أنها ستنزل به وهى أقرب اليه من حبل الوريد ·· انها المصيبة التى يظن الناس جميعا أنها قد تقع للآخرين ولا يمكن ولا ينبغى ولا يجوز أن تقع بهم ·

عرف هارون الحزن كما لم يعرفه فى حياته قط واضطربت به الحياة حتى لقد زهد فى المال وهو المال ومرت به أيام لا يدري عنها الا أنها طويلة طويلة لا تنتهى ٠ قابع هو فى بيته لا يريد أن يرى الى أعماله وأمواله ولا يشتهى أن يسمع عنها ذكـــــرا ٠

وفى يوم صحا من الفجر بعد نوم هالع كئيب وركب سـيارته وقال لسـائقه ٠٠

ـ اذهب الى ابى فى البلـــدة ٠٠

★★★

وحين استقبله أبوه ارتمى بين احضانه باكيا بكاء مريرا فيه اعتذار وفيه حزن وفيه رجاء حار بطلب الغفران وظل على حاله فترة لا يدرى أطالت أم قصرت ٠ والحاج حامد تنهمر من عينيه الدموع وهو يربت ظهر ابنه لا يدرى أهو بهذه الدمعات يبكى حفيده الذى مات أم يبكى ولده الذى عرف الفجيعة فى معناها السفاك القاتل أم يبكى أيامه هو التى طالت حتى تشهد ما يشهده فى هذه اللحظات ٠٠

وحين استقر بهما المقام تبين هارون ان سعدون كان قد سبقه الى ابيه ووجد الدموع على خديه سجاما وصمت ثلاثتهم ٠٠ ثم تكلم سعدون اخيـــرا ٠٠

ـ لقد أسمت الهام الولد حامـــد

وبكى الأب والجد ثانية وقال سعدون ٠٠

ـ لكل سحاب حزن بريق أمل يا حاج حامد

ـ الحمـد للـــه

ـ يا حاج حامد أنت تستحق أن يكرمك الله وقد اكرمك بابن لحفيدك ومن يدرى ماذا يدخر لك فى السماء

وجمع حامد نفسه ليقول فى أسى وامتثـــال لأمر الله :

ـ الحمد لله ٠٠ الحمد لله على ما أخذ والحمد لله على ما أعطى ٠٠

تمـــت

ذكريات لا مذكرات
(روايـــة)

- ١ -

اســـتطراد

لست أدرى أية خاطرة قذفها القدر على ذهنى فجعلتنى أفكر فى كتابة هذا الكلام الذى اكتبه الآن • والذى لا أستطيع أن أعرف له عنوانا يصفه• فمن المؤكد أنه ليس مذكرات فاننى عن معرفة بنفسى وليس عن تواضـــع لا أرى أننى من هؤلاء الذين يجدر بهم أن يكتبوا مذكرات • وهو أيضا ليس حكايات مؤلفة ولا هو رواية مما ألف الناس أن يقرأوا لى •

هو أقرب ما يكون الى ذكريات كما اخترت العنوان وأرجو الا اكون قد اعتسفته اعتسافا • فان جنحت هذه الذكريات الى القصة فهى قصص من صنع السماء ليس لى عليها الا عمل الناقل لا الخالق • وان جنحت الى رسم شخصيات مما تعودت أن أكتب أحيانا فهى الشخصيات أتحرى فى رسمها الصدق لا الفن فهى اذن صـور فوتوغرافية وليست صورا قلمية اضفى عليها من خيالى ما اشاء لأجعلها تبدو كما اريدها أن تبدو •

فالشخصية المرسومة قد تكون عدة افراد جمعتها أنا فى فرد واحد• ولكن هذا الذى ستشاهده فى هذه الصـــفحات هى شـــخصيات عرفتها وستدرك حقيقتها حين تجد اسمها الحقيقى الذى يعرفه من عرفها يعلن عن أنها بنت الحياة وليست من بنات الخيال ولا هى من شخوص لروايات •

أحسب أننى اليوم وأنا أقارب الخطو الى ستينات عمرى لا يفصلنى الا سنوات قلائل نظرت الى أيامى الماضية فوجدتنى قد مررت باقوام كثيرين وبعهود شتى ربما لا تكون فيها غرابة ولكن خيل لى أن فيها طرافة • فقد نشأت فى بيت أبى المغفور له ابراهيم دسوقى أباظة باشا وهو رجـل من رجال السياسة فى عصره ، ورجال السياسة فى مصر يختلطون بكل الناس من شتى النحل والمهن • وأكثر صلتهم بناخبيهم الذين ينتخبونهم ليكونوا نوابهم فى المجالس النيابية • وقد كان أبى عضوا فى مجلس النواب منذ

تكون الى أن انتهت الحياة النيابية فى مصر عام ٥٢ ، فليس غريبا اذن أن اكون أنا على معرفة تامة بالحياة منذ وعيت الحياة · وهل الحياة الا الناس وقد ولدت فى زحامهم وعشت بين أمواجهم وشببت عن الطوق وأنا أتنفس الهواء الذى يتنفسون ، وربما عرفت من أفواههم خفايا حياتهم التى يضنون بها على خاصتهم الأقربين فقد طالما قصدوا الى لأكون شـــفيعهم الى أبى والحديث الى الابن الصغير أكثر يسرا من الحديث الى الأب الذى يحيط به جلال شخصيته ووظيفته نائبا أو وكيلا لمجلس النواب أو وزيرا ·

وقد عرفت الحياة وأبى واحد من هؤلاء الثلاثة فقد ولدت عام سبعة وعشرين وتسعمائة وألف وكان هو عضوا بمجلس النواب وسمعت فيما بعد أنه كان مديرا لمكتب رئيس الوزراء محمد باشا محمود عام ٢٨ ثم مديرا لمكتب عدلى يكن عام ٢٩ ثم عاد بعد ذلك الى مجلس النواب نائبا ثم صـــار وكيلا للمجلس مرتين مرة فى عام ٣٠ وأخرى عام ٣٨ ·

وما دمت قد عرضت لما ســـمعته عن أبى فقد يحـــلو لى أن أروى ما سمعته عن نفسى · وان كان قد خطر لى أن أروى مواقف أبى فى ثورة ١٩ الا أننى عدلت عن ذلك لأسباب تواثبت تباعا الى ذهنى · الأول أننى لو دلفت من هذا الباب لاحتاج الأمر الى كتاب بأكمله والثانى ان هذه المواقف مكتوبة فى كل الكتب التى تناولت ثورة ١٩ والثالث هو اننى أستطيع أن أروى بقلمى قصة صغيرة سمعتها ولا تحتاج روايتها الى مشاهدة وحضور ·· أما اذا رويت عن أبى فى ثورة ١٩ فلابد لى أن أكون معايشا لهذه الفترة معايشة تسمح لى أن أكتب عنها ، وهذا ما لم يحـــدث وما كان يمكن أن يحدث وقد تزوج أبى من والدتى فى عام ٢٤ ·

ومما روى لى أن الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد كـــان من أشد أنصار سعد باشا زغلول وكان العقاد صاحب قلم عنيف شـــديد الوطأة على من يخاصمهم فى الرأى · وحدث أن كتب عدة مقالات يهاجم فيها محمد محمود باشا وكان الهجوم فيه سباب كثيف حتى لقـــد وصف محمد محمود بالشقى محمد محمود ثم كتب مقالا آخر بعنوان الشقى رقم كذا وكأنما محمد محمود أصبح من نزلاء السجون الذى يعرفون بأرقامهم· وضاق محمد محمود بهذا الهجوم ، وفى نوبة من نوبات الضيق الشـــديد منه أقبل عليه أبى فقال له محمد باشا :

ـ أيرضيك ما يكتبه العقـــاد ·

وقال أبى :

ـ لا ·· لا يرضينى وأنا قادر على الرد بما يســـكته ولكن بشرط واحـــد ·

وقال محمد باشا :

ـ ما هـــو :

قـــال أبى :

ـ تنزل مقالاتى الى مطبعة السياسة مباشرة ولا يقرؤها الدكتـــور هيكل رئيس التحرير فهو لا يرضى منى العنف فى المقالات وسيحاول أن يخفف من قســوتها ·

فقـــال محمد باشـــا :

ـ لك هـــذا ·

وكتب أبى مقاله الأول وكان أبى يوقع مقالاته عادة بتوقيع الغزالى أباظة ولكنه فى هذه المرة اختار أن تكون مقالاته ضد العقاد بعنوان «ثروت» وكان عمرى فى ذلك الحين سنة واحدة ، فقد كانت هذه المساجلة فى عـــام ١٩٢٨ وظهرت المقالة الأولى ثم الثانية فاذا بالعقاد يتوقف عن مهاجمـــة محمد محمود ويلجأ الى المحكمة رافعا الدعوى على الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة التى نشرت المقالتين وعلى « ثروت » صاحب التوقيع ، وضحك الدكتور هيكل من فكرة تقديمى الى المحكمة وقال لأبى مازحا :

ـ عليك أن تحمل ثروت على كتفك وتأتى به الى المحكمة ·

وكتب أبى بعد رفع الدعوى مقالة ثالثة ينهى بها هجومه على العقاد، واذكر أننى ذهبت الى لقاء أستاذنا العملاق عباس العقاد وأنا فى مطـــالع الشباب حوالى عام ٤٥ وقدمنى اليه تلميذه العوضى الوكيل فما أن ســـمع اسمى وعرف من أنا حتى ضحك ضحكته العـــريضة النقية وقال وهـــو يرحب بى :

ـ بينى وبينك ثأر قديم يا عم ثروت ·

ثم قامت بينى وبينه بعد ذلك تلك العلاقة التى نعم بها كل تلامذته، وان كان صغر سنى لم يتح لى أكثر من الذهاب اليه فى ندوة الجمعة ولكنه فى كل مرة كان يلقانى فيها كان يرحب بى ترحيبا شديدا وقد صار بعـــد ذلك من أحب الناس الى أبى كما أصبح أبى من أحب الناس اليه · حتى لقد نظم فى مدح أبى عدة قصائد يقول فى احداها :

نكـــــــرمه نكــــــــرمه	ومـــا نرويـــه نعلمـــــــه
ولـــــم ننشىء لـــه فضـــلا	ولكنـــــــا نترجمـــــــه
فـــتى ترضى ســـــجاياه	ويصـــــدق قلبـــه فمـــه
وللفنـــــان فى ناديـــــه	مغنـــــاه ومغنمـــــه
وحب الخيـــــر فى دمـــه	فكيـــــف يخـــونه دمـــه

وقال فى رثائه قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربى كافة يقول فيها:

اقيموا الوزن أو ميلوا … فما ابراهيم مجهول
فتى ميزانه بالقسط … عند الله مكفول
له فى كل تاريخ … من المجد أكاليل
سلوا الأوطان ينبئكم … بما يعلمه النيل
يحى ناصر المصرى … والمصرى مخذول
وأول رافع صوتا … وسيف الحرب مسلول
وللمحتل فى مصر … على كل فم غول
له فى برهما جيش … كجيش النمل موصول
وفى البحر أساطيل … وفى الجو ابابيل
اذا لم ينعه الاحياء … والدنيا أباطيل
نعاه فى العزيزية … مدفون ومجدول
وجيل فى حمى التاريخ … لا يشبهه جيل

★★★

سلوا الآداب ينبئكم … به الصداحة القول
يردد ذكره فى الشعر … تسبيح وترتيل
ويهتف باسمه فى القو … ل مطبوع ومنقول
ويحمد فضله فى العر … ب منسوب ومدخول
فلا الماضى بمنسى … ولا الحاضر معزول
وراعى الشعر لا ينسا … ه مرعى منه مطلول
سلوا الاحسان والاحسا … ن طبع فيه مجبول
وأقرب شأوه فى الجو … د مشروب ومأكول
وكم أعطى ولم يسأل … وبعض السؤل ممطول

★★★

سلوا الاحساب لا عز … يدانيها ولا طول
وللاساد والأشبا … ل فى اعلامها غيل
ذووه من بنى مصر … هم الغر البهاليل
ومن احسابه كسب … بمسعاه وتحصيل

براى زانه فى القصد اجمال وتفصيل
وصبر راض دنياه واضنته العراقيل
سلوا سيرته الحفلى وللسيرة تسجيل
سلوا الشلال ٠٠ والمجرى من القطرين مفصول
لتم القرب لولا قا عد بالشرق مشلول

★★★

خصال كلها نبل وأفضال وتفضيل
وذكرى كلها حمد وتشريف وتبجيل
فقدناه ونادى الرأ ى فى القطرين مأمول
فلا يسعد به المثوى ومثوى الخير مأهول
له من بره أنس وشمل ثم مشمول
ومن سيرته الفيحا ء ترويح وتطليل
له فى منزل الرضوا ن تسليم وتنزيل
واجر من ثواب الله عند الله مقبول

والعجيب أن أستاذنا العقاد هو أول من نوه بى وكان ذلك حين جمع الأستاذان أحمد عبد المجيد الغزالى والعوضى الوكيل مقالات أبى وخطبه فى كتاب أسمياه وميض الأدب بين غيوم السياسة ، وظهر الكتاب فى عام ١٩٤٨ وكنت فى هذا الحين قد بدأت أكتب مقالاتى فى مجلتى الرسالة والثقافة ولكننى طبعا كنت ما ازال صغيرا لا يكاد يعرفنى الا الأدباء المتخصصون ٠ وقد اتجه الشاعران الأستاذان الغزالى والعوضى الى أستاذهما وأستاذنا العقاد وطلبا اليه أن يكتب مقدمة للكتاب الذى جمعاه من أعمال أبى الأدبية ٠ وقبل رحمه الله ذلك ولكن المفاجأة الكبرى بالنسبة لى هى قوله فى المقدمة حين تكلم عن صلة الأباظية بالأدب ٠

« وناهيك بما نقرؤه لفكرى وعزيز وثروت من رصين الشعر وطريف المنثور » ٠

وقد اعتبرت ذكر اسمى فى هذا المكان وما زلت اعتبره من أعظم الأوسمة التى نلتها حتى اليوم ٠ فقد كنت فى المطامع الأولى من شبابى وأن يقرن اسمى بالعملاقين الاباظيين عمى فكرى باشا وعمى وحماى فيما بعد عزيز باشا أمر اعتبرته مفخرة كبرى ولا زلت اعتبره كذلك ٠

وما دمنا نتكلم عن عملاق الأدب العربى التاريخى أستاذنا العقاد فينبغى أن اذكر واقعة حدثت بينى وبينه فى عام ١٩٥٤ وكانت تلك السنة سنة حاسمة فى تاريخ ثورة يوليو · فقد سمحت السلطات فى مارس من هذا العام بحرية الصحافة وأتاحت لكل صاحب رأى أن يكتب رأيه وطلبت أن يقول ما يشاء لمن يشاء وكان أهم سؤال طلبت الثورة الاجابة عليه ان كان الأفضل لمصر أن تكون الجمهورية فيها برلمانية أم رئاسية ·

وانبرى العقاد بمقال كتبه فى الأخبار يطالب بأن تكون الجمهورية برلمانية ولكن المقال كان غاية فى العنف رافضا كل ألوان الدكتاتورية أو الحكم العسكرى ·

وفى نفس اليوم الذى ظهر فيه المقال كان لى عمل فى الاذاعة القديمة فى شارع الشريفين وفوجئت وأنا أدلف من الباب الرئيسى للاذاعة بأستاذنا العقاد يهبط السلم وحوله جماعة من محبيه ومريديه ومن موظفى الاذاعة الذى حرصوا أن يكونوا فى توديع العملاق العظيم ·

وقال لى أستاذنا :

ـ لقد قرأت مقالاتك ·

وكنت كتبت فى هذه الفترة مقالات بنفس العنف والرفض للديكتاتورية. فقلت له :

ـ هذا شرف لها ولى ·

فقال :

ـ هل قرأت مقالى اليوم ·

فقلت :

ـ طبعاً مثلما أقرأ كل حرف يخطه قلمك ·

ـ أرأيت لقد قلت لهم ··

ومضى يذكر أهم العناصر التى ضغط عليها فى مقاله ومضيت أنا أقول ··· نعم ··· نعم حتى اذا سكت قلت له :

ـ سعادتك تسمح لى بكلمة على انفراد ·

فلف ذراعى بذراعه ومضينا ننتحى جانبا بشارع الشريفين وقلت له :

ـ سعادتك تعرف أن وراءك جواسيس ·

وكنت قد عرفت ذلك فعلا فاذا الرجل العمـلاق يقول :

ــ نعم أعرف وتليفونى مراقب أيضا ٠

فقلت لــه :

ــ سعادتك الآن لا تحتمل السجن الذى احتملته فى عام ٣٠ كما ان السجن الآن نوع آخر غير الذى عرفته ٠ ونحن ابناؤك دعنا نحن نسـجن وقل لنا ما تريد كتابته واملـه علينا اذا شئت نوقعه بأسمائنا ولكن من اجلنا نحن أبناءك ان لم يكن من أجل نفسك لا تعرض نفسك لهؤلاء الوحوش ٠

فنظر الى مليا وصمت لحظات ثم قال :

ــ أترى ذلـك ؟

قلت :

ــ ألا ترى أنت ذلك ؟

قــال :

ــ لا بأس ٠

ولا أعتقد أنه كان سينفذ الوعد ولكن على كل حال انقذه من نفسـه انتهاء فترة الحرية ومنع كل الكتابات الحرة مهما تكن هينة الشان واغلاق جريدة المصرى والاستيلاء عليها وعلى أموال أصحابها ٠



ويلى ٠٠ لكم استطردت ٠ وأين انا مما اريد أن أرويه من ذكريات ؟ لقد كان الحديث عن مولدى فاذا انا أقفز الى عام ٥٤ ٠ ولكننى أمسكت يد عملاق الأدب العربى على مدى التاريخ فكيف لا تغرينى يده أن أقفز كل هذه السنوات ٠ وكيف اذكره ولا استطرد وهو فى ذاته أسطورة كاملة خالدة على الزمان ٠

★★★

لأعد اذن الى تلك الأيام التى بدأت فيها أعى الحياة حولى ، هناك أشياء كأحلام بعضها واضح المعالم فى ذاكرتى وبعضها تحول بينى وبينه سحابات أشبه ما تكون بأستار رقيقة ٠

ويختلط أمرها فى ذهنى فما أدرى أهى أشياء رأيتها رأى العين أم أن رواية أبوى لى عنها جعلتنى أتمثلها كحقيقة رأيتها رأى عين بينما هى مسموعات التصقت بنفسى وهيأت لى نفسى هذه أنها مرئيات ٠

من هذا ما قيل لى أننى مرضت مرضا خطيرا بالدوسنتاريا لأن أمى صحبتنى معها لتحضر العزاء فى عمها إسماعيل باشا أباظة وكان اليوم شديد القيظ وكانت الرياح الحارة تلفح مصر بسمومها ٠

وقد تعرضت فى هـــذا المرض لخطر الموت ٠ وأشرف على علاجى صديقان لصيقان لأبى كلاهما أصبح واسع الشهرة هما الدكتور ابراهيم شوقى الذى أصبح باشا بعد ذلك والآخر الدكتور حافظ عفيفى باشـا ، ويقول أبى أن صاحبة الفضل فى شـفائى هى عمتى التى تحدت المـوت والمرض فأصرت أن تسهر الليل جميعه تنفذ أوامر الأطباء ٠

ومما رواه لى أبى اننى فى سنتى الثانية كنت أدرك ان ستى والدته لا تحتمل السهر فكنت أرجو بلسان الطفل الأعجمى أن تقوم لترتاح فاذا أبت وأصرت أن تبقى تناومت وتوقفت عن التأوه حتى تقوم ستى الى منامها فاذا تأكدت أنها قامت عدت مرة أخرى الى اليقظة والتأوه ٠

ومن المؤكد اننى اذكر ستى هذه فقد كان لها جناح خاص فى الدور الأول من منزلنا ببلدتنا غزالة التى تبعد عن الزقازيق سبعة كيلو مترات ٠ وكان هذا الجناح منفصلا عن البيت متصلا به فى وقت معا ، فقد كان علينا حتى نذهب اليه ان نخترق حجرة كبيرة كنا نعتبرها حجرة الاستقبال التى تلتقى فيها ستى بالزائرات من سيدات البلدة أو من الاقارب ثم علينا بعد ذلك أن نقطع بهوا يقسمه قسمة ظالمة دولاب كان اشبه بالكيلار ، وفى هذا الدولاب باب يؤدى الى البهو الواقع أمام حجرة ستى وعمتى فقد كانتا متلازمتين حتى فى النوم ٠ وكان لحجرة نومهما ثلاث نوافذ تطل إحداها وهى التى تتوسط الجدار الأيسر على ما يسمونه الدوار حيث تربى الدواجن وتصنع القشدة بأن يترك اللبن الطازج فى المتارد حتى يتكون له سطح سميك هو القشـدة الفلاحى المعروفة وحيث تصنع أيضـا الجبنة القريش من اللبن بعد أن تنزع قشدته ٠

وكانت ستى وعمتى تشرفان من تلك النافذة على أعمال الدوار جميعا من اطعام الدواجن الى شتى فروع الأعمال المنزلية ٠

وبجانب باب حجرتهما توجد نافذة عجيبة الشأن لأنها كانت تطل على البهو ٠ ولم أر فى حياتى بعد ذلك نافذة تطل على بهو الا تلك النافذة ، وكانت عمتى وستى كما اتذكرهما دائما جالستين على حاشية تحتها بساط على الأرض ٠ لا تتركان مكانهمـا هذا حتى اننى كل ما اذكـره عن ستى يكاد ينحصر فى جلستها هذه تحت هذا الشباك ٠

أما الحائط الأيمن فقد كانت تتوسطه نافذة تطل على ما كنت اسميه حديقة ستى ولم تكن حديقة ستى الا تكعيبة عنب خشبية تحيط بفناء صغير

نخلص اليه بسلم من اربع درجات أو خمس ونستطيع من هذا الفناء ان نخرج من باب خشبى ضخم سميك الى خارج البيت الى ماكنا نسميه بالمدحايه • وتحت تكعيبة العنب التى تحيط بالفناء مصطبة متصلة بالحوائط الأربعة التى تصنع ما كنا نسميه بالحديقة •

وكانت ستى شديدة الحدب على حتى اذكر انها كثيرا ما كانت تعطينى ريالا من الفضة حين انزل اليها فى اول النهار لألقى عليها تحية الصباح • وما كنت أدرى ماذا اصنع بهذا الريال الا اننى كنت اخرج الى أترابى من ابناء القرية وكانوا هم اصحاب الرأى فى الطريقة التى ننفق بها هـــذه الأموال الطائلة •

وكان يوسف الذى عمل كلافا للبهائم بعد ذلك ينال منى دائما قرشا صاغا مقابل أن يصنع لى سيارة من الطين وكان يضع لها زجاجا • ولعل هذا القرش هو المبلغ الوحيد الذى اذكره بين العشرين قرشا جميعا التى لا اذكر فيم كنا ننفقها •

فى بهو ستى هذا نلت أول صفعة على وجهى فى حياتى • ما دريت يوم نلتها السبب الذى انهالت على وجهى من أجله ولكننى عرفته فيما بعد مرويا لى • واشهد اننى كنت مظلوما •

لقــد حــدث ان ســقطت ستى على رجلها واذكر أن أبى استدعى الدكتور فرنجلوس من الزقازيق واذكر ان اليأس والحسرة والحزن كانوا مرتسمين على وجه أبى بصورة غاية فى الألم وأنا أذكر اننى لم اكن أعرف الموت ولا ما يحمله من معان • واذا شئت ان اصنور اليوم وما كان يدور أمامى فما هو بالنسبة الى الا شخوص تتحرك انظر الى تحركها ولا أعى بمعانى الأفعال التى يقومون بها •

وماتت جدتى •

ولا ادرى لماذا ذهبت انا الى البهو التى كانت جالسة فيه ولم أحفل مطلقا بالسرادق الضخم المقام بالخارج ولا بكل ما يحدث فى هذا السرادق ولا بالجموع التى تفد اليه أو تخرج منه • انما وجدت نفسى واقفا فى البهو لا اصنع شيئا وفجأة قدم الى عمى الشقيق عبد الله فكرى أباظة الذى اصبح فيما بعد يحمل رتبة البكوية والذى عمل لفترة طويلة وكيلا لوزارة التجارة وكان هذا الرجل شديد العنف فى مظهره شديد الطيبة فى حقيقته• وربما كان يرتدى العنف قناعا يخفى به عن الناس مدى حبه للناس ومدى رهافة مشاعره ورقة فؤاده •

في هذا اليوم صفعني عمي عبد الله فكري صفعة شديدة غاية الشدة ·
وبكيت وذهبت الى امي وأنا أبكي وأبلغتها بهذه الصفعة والعجيب انني انها قالت في ثبات وفي غير اهتمام ·

ـ وماله ·· وما الغرابة أن يصفعك عمك ·

ولا أذكر هذه الجملة الا وادهش لها · انها حتى لم تهتم ان تسأل عن سبب الصفعة الذي عرفته هي فيما بعد وعرفته أنا بعد ذلك بسنوات ·

لقد سألني عمي :

ـ أين أبوك ؟

فقلت دون أي تفكير

ـ في الزينة ·

وكنت في هذه السن أنطق الزاي وكأنها الجيم التي ينطقها الأوربيون اذا نطقوا اسم جون · فصفعني ·

اليس لي الحق أن أرى نفسي مظلوما ·

لا أذكر ان عمي عبد الله ضربني بعد ذلك قط الا مرة واحدة وكان أبي جالسا · كنا على المائدة في منزله وكنت أضع الملعقة وتجويفها الى أعلى فنبهني عمي عبد الله ان أجعل التجويف الى أسفل · وسهوت وكررت الخطأ فنبهني ثانية ثم سهوت وكررت الخطأ ووضعت يدي بجانب الملعقة وكان يجلس امامي فاذا هو في حركة مفاجئة يقف ويهوى بمنتهى العنف على يدي ويأمرني أن أصحح وضع الملعقة ·

ربما كنت في الثانية عشرة من عمري في ذلك الحين · فأنا أذكر الواقعة تماما وأذكر أن أبي امتعض مما صنعه عمي وظهر الامتعاض على وجهه ولكنه لم يعلق مطلقا مع أن عمي كان يعامل أبي معاملة الابن لأبيه · حتى لقد كتب له اهداء على احدى صوره الى أبي وأخي وأستاذي ومثلي الأعلى ·

- ٢ -

أنا والتعليم

كانت أغلب اقامتنا بالقرية فأنا أكبر اخوتى ولم اكن قد انتظمت فى المدارس بعد ولم يكن يربطنا بالقاهرة الا مجلس النواب حين تكون هناك جلسات وكان أبى لا يتخلف مطلقا عن المجلس · ولكن لا أدرى لماذا أذكر أن اقامتنا بالقرية كانت تتطاول ربما كان المجلس معطلا فى هذه الفترات ·

وأذكر أننى ذهبت قبل أن أبدأ التعليم مع أبى الى الاسكندرية مرات وكان أبى يستأجر بيتا مفروشا هناك ·

وأذكر أنه كان يصحبنى الى شاطىء سان ستيفانو وكان عم أحمد بخيت خادمه الخاص يذهب معنا · وكان أبى يجعلنى أمسك برجليه ويسبح بى فى الماء وندخل الى الأعماق ولهذا أذكر أننى لم أخف حين بدأت تعلم العوم بعد ذلك على يد خالتى · وكان تعليمها ساذجا وما زال هو زادى من السباحة حتى اليوم فاذا رأيتنى فى الماء ورأيت سباحتى أدركت أنها سباحة من يستطيع أن يبقى أنفه فوق سطح الماء فقط فهى سباحة عاجزة بلا أسلوب ولا اتقان ولكنى سعيد بها غاية السعادة فأنا عن طريقها استطيع أن أصل من الماء الى حيث لا تلامس أقدامى الرمال وأنا ليس لى مأرب فى البحر أبعد من هذا ·

بدأت تعليمى الدراسى اذن فى غزالة وقد شـاء القدر أن يختار أبى من بين جميـع المدرسين الالزاميين مدرسا أعتبره أنا حتى اليـوم أعظم مدرس للأطفال يمكن أن تجود به الحياة ·

انه الأستاذ أحمد حسين القرعيش الذى أصبح الحاج أحمد حسين القرعيش · وقد كان لحمله هذا اللقب قصة فى غاية الطرافة · فقد كانوا ينادونه بأحمد أفندى لأنه كان يلبس الحلة والطربوش وهو فى طريقه الى المدرسة الالزامية التى كان يدرس بها · فقد كان يعمل بمدارس قرى أخرى

وكان يخترق قرى عديدة فكان لابد ان يلبس حلته كاملة والطربوش فلم يكن عجيبا أن ينادوه بأحمد افندى • وظل هذا لقبه حتى بعد أن نقل الى مدرسة غزالة • فقد ظل ايضا يلبس حلته كاملة فى المدارس اطاعة منه لأوامر الوزارة •

ثم حج • وعاد من الأراضى الحجازية • وراح اهل القرية ينادونه بأحمد افندى على عادتهم فاذا هو يصيح بهم :

ــ يا نهار اسود اكنت حججت ودفعت مائة جنيه وزيادة لتقولوا احمد افندى •• من لا يقول الحاج احمد لن أرد عليه •

وكان الحاج احمد شاعرا رقيقا وانى أذكر كثيرا من شعره ولكننى احب له هذه الأبيات :

قالت احبك صــادق — قلت الدلائل قاطعـــات
قالت وعهـدك قلت — باق مارعت عهدى الحياة
قالت وحبى قلت مضـــل مثلتــــه الغــــانيات
قالت وعهـــدى قلت ذاك هـــو الأمانى الكــــاذبات
ضحكت وقالت هكذا — من قبلك العشــاق ماتوا

وشاء حظى السعيد أن يكون هذا الرجل الشاعر خفيف الظل هـو معلمى الأول • عليه تعلمت الخط الأفقى والخط الرأسى وحروف الهجاء الأولى والحساب من جمع وطرح الى ضرب الى قسمة وكان يحمل لى فى جيبه أقراص النعناع فاذا احسنت الاجابة أعطانى قرصا من النعناع مـع تصفيق شديد واظهار للاعجاب وكأننى اتيت عملا لم يسبق لأحد أن أتى بـه •

ولم يكن من الممكن أن يستمر الحاج أحمد فى اعطـائى الدروس اذ سرعان ما انتقلنا الى القاهرة وتولى أمرى فى الدروس الخاصة مدرس آخر من غزالة أيضا واسمه عليوه افندى عبد الله • وكانت طريقة عليوه افندى مختلفة كل الاختلاف عن طريقة الحاج احمد • ولم يكن الحاج احمد يحب عليوه افندى فانشأ أبياتا أربعة أو خمسة وقدمها لأبى يرجوه فيها الا يتولى عليوه افندى تدريسى أذكر منها :

أ أنشىء روضا فى حماك معطرا
ويأتى عـدوى يجتنى ثمراتى

وأعجب أبى بالأبيات ولكنه مع ذلك أبقى عليوه افندى مدرسا لى • وقد ظل يدرس لى اللغة العربية والحساب حتى حصلت على شهادة

الابتدائية . كما درس أيضا لاخوتى ثم درس لابنتى وابنى أطال الله عمره ووهب له الصحة والعافية .

وقد كان عليوه من أخلص المدرسين الذين عرفتهم الا أنه كان لا يبالى مشاعر التلاميذ فى سبيل أن يؤدى واجبه ، وأذكر أنه كان أحيانا يتخلف يوما عن الدرس فاحمد أنا الله والعب الكرة واقدر أنه لن يأتى الا فى الموعد التالى الذى يكون قد حدده بعد يوم التخلف بيومين أو ثلاثة فالعب أنا الكرة فى اليوم التالى لتخلفه وأنا واثق أننى حر . فاليوم ليس محددا لدرس . وأفاجأ بعليوه افندى قادما كالقضاء المستعجل فى اليوم الذى لا أتوقعه فيه تعويضا عن اليوم الذى أخلفه . ولا أذكر أن غما لقيته فى طفولتى مثل ذلك الغم الذى يشملنى وأنا أراه قادما فى غير موعده وكم بكيت وكم حاولت العصيان ولكن دون فائدة .

وكان عليوه افندى يجيد الشرح وكنت أفهم ما يلقيه منذ المرة الأولى ولكنه يسير على طريقة لا يغيرها من تلميذ الى تلميذ . وكم عانيت من تمسكه بطريقته هذه . فقد قرر هو أن يخصص درســا للشرح والدرس الثانى للتطبيق . وليس يعنيه أن يكون التلميذ قد فهم الشرح من المــرة الأولى انما المهم عنده أن ينفذ منهجه الذى وضعه هو لنفسه . فهو يشرح مرة ثانية وثالثة ورابعة ولا ينتهى من الشرح حتى ينتهى الدرس . وأكون أنا قد سرحت فى غير الدرس من ملاعب الطفولة منذ المرة الثانية للشرح حتى اذا جاء موعد التطبيق أكون أنا قد احترقت من الغيظ لقوله كلاما عرفته من المرة الأولى وأكون أيضا قد نسيت كل شىء من القاعدة .

وأذكر أن أبى كان يحب أن يقضى الشتاء فى حلوان فكان عليوه افندى يجشم نفسه مشقة الحضور الى أحيانا فى حلوان اذا كانت المدرسة فى اجازة فلم يكن ذهابنا الى حلوان يمنعنى أن أذهب الى المدرسة طبعا . وفى يوم كنت العب أنا ورفيق طفولتى محمد زكى أباظة وكان عليوه افندى يدرس له هو الآخر . ولم أكن ولا محمــد ننتظر قدوم عليوه أفنــدى . ورآه محمد قادما من بعيد ولم يرنا هو . فأسرع محمد قائلا :

ــ يا نهار أسود .. عليوه افندى .. تعال ندخل البيت .

وطاوعته وأنا لا أدرى ما سيفعل . اقفل باب البيت . وكان يوما من أيام حلوان الساطعة الشمس حتى كأنه يوم من أيام الصيف . وقف محمد أمام باب الدخول وأوقفنى معه ودق عليوه افندى الجرس وحين جاء الخادم ليفتح طلب محمد طلبا كأنه هو الذى دق الجرس . ووقف عليوه افندى أمام الباب والشمس تنصب عليه بكل سخطها فيضع الجريدة التى لا يتخلى عنها مطلقا على رأسه ويدق الجرس ثانية ويأتى الخادم ويصرفه

محمد ويظل الأمر كذلك فترة تجاوزت نصف الساعة حتى تمردت أنا على محمد وأنا أرى عليوه افندى مصرا على البقاء يرفع قدما الى الهواء ليريحها ثم يضعها ويرفع الأخرى وقد أخذ منه التعب والشمس كل ماخذ · ولكنه أبى أن ينصرف · وأعطانا الدرس ·

ومما أذكر له أنه غضب على مرة غضبا شديدا فأمرنى أن أفتح يدى واهوى بالمسطرة على يدى معتمدا على ان ابى قال له امامى انه يستطيع أن يضربنى اذا انا لم امتثل له · وبالصدفة مرضت أنا فى ذلك اليوم وارتفعت حرارتى ارتفاعا شديدا · وكان ابى شديد العطف على وان كان يحرص ان يخفى هذا العطف بكبرياء العظماء من الرجال ، وقد يقول قائل وأى أب لا يشفق على ابنه الا أن يكون ذلك شذوذا فى الطبيعة ولكننى أعتقد أن مرضى وأنا فى الثانية من عمرى ومولدى وأبى فى الأربعين من عمره جعلا اشفاقه على اكثر من اشفاق الآباء على أبنائهم · وربما كان هذا هو السبب أننى كنت أصحبه فى غدواته وروحاته وأنا فى الرابعة من عمرى وكنت أجلس معه فى مجالس الكبار منذ لا أذكر متى وكان عمى عبد الله يقول له : سيب ثروت يلعب مع الأطفال · فيقول أبى فى حسم :

ـ خليه قاعد ·

وكان يصحبنى معه الى مجلس النواب وأنا فى الخامسة او السادسة من عمرى · حتى لقد رآنى يوما المرحوم توفيق رفعت باشا وأنا جالس فى مقاعد الزوار فى الطابق الأول فأشار الى الساعى الواقف خلف كرسيه على منصة رئيس مجلس النواب وأشـــار له الى · وما لبث أن جاءنى الساعى يسألنى من أكون فقلت له فتركنى وعاد الى توفيق باشا الذى أشار لى برأسه فلم يكن عجيبا أن يغضب أبى لضرب عليوه افندى لى ضربا صاحبه ارتفاع فى الحرارة · وأنا حتى اليوم لا أدرى ان كانت هناك صلة بين ارتفاع حرارتى وضرب عليوه افندى أم هى الصدفة المحض ·

وأغلظ أبى القول لعليوه افندى على غير مشهد منى ولكن عليوه افندى روى كل شىء أمامى لعم أحمد خادمنا الذى كنت أوقره بكلمة عم لشخصيته ولأنه رئيس الخدم بالبيت وقد كان أبى ووالدتى يوليانه ثقة تامة فى كل ما يتصل بشئون البيت ·

وقال عليوه لعم أحمد أن البيك ··· يعنى أبى فلم يكن قد حصل على الباشوية بعد ··· قال لى أصدقت حقا أنك يصح أن تضرب ثروت · هل من المعقول أن تضرب طفلا فى سنه الى درجة أن ترتفع حرارته · أيرضيك هذا يا عم أحمد بقى مسطرة كالتى ضربتها له ترفع الحرارة ، طيب امرأتى

طالق ان لم يكن قد أكل حلاوة وشـــطة ليرفع حرارته ويوديني أنا في داهيــة .

والحقيقة أنني ذهلت وأنا أسمع هذا الحديث فأنا لم أكن أعرف أن الحلاوة والشطة يرفعان الحرارة بل انني حتى الآن لا أتصور أنهما قادران على هذا الصنيع .

ولكن عليوه أفندي كان واثقا من هذا ثقة جعلته يقسم بالطلاق مع حبه الشديد للسيدة زوجته أم محمد التي كثيرا ما كان يفيض في مديحها . وأغلب الظن أن عليوه ما زال حتى اليوم على ثقته هذه أنني أكلت حلاوة بالشطة وأغلب الظن أيضا أنه من يقرأ هذا الحديث الذي أكتبه لن يكف عن يقينه هذا على الأقل لتظل السيدة زوجته على ذمته .

ألا ترى أنني بترت حديثي عن الحاج أحمد القرعيش واستطردت في هذا الحديث عن عليوه أفندي .

كان لابد من هذا . فقد استمرت رحلتي مــع الحاج أحمد الى أن اختاره الله الى جواره ولم يقف الأمر بيننا عند الأستذة منه والتلمذة مني فقد أصبح حين قدر الله لي هواية الأدب هو صديقي الأول في القرية . لا يتركني لحظة منذ قدومي الى غزالة حتى أتركها . وقد كان لهذه الصلة أثر ضخم في ثقافتي وفي أدبي ، وانضم الينا قريبي الشاعر الأســـتاذ توفيق عوضي أباظة وهو الآخر شخصية لم أر لها مثيلا في حياتي كلها . فهو رجل فقير لم يدخل مدرسة وكان كل ما يملكه فدانا واحدا كان يزرعه بذراعه ولكنه علم نفسه بنفسه وكان خطه جميلا ولكنه بطيء في الكتابة كل البطء لا عن جهل فهو من أعلم الذين عرفتهم باللغة العربية وآدابهـا ولكنه أصيب في مرفق ذراعه اليمنى فظل حيـاته كلهـا لا يحركهـا في سهولة .

قرأ كل الشعر العربي وحفظ أغلبه .وكان يستعير الكتب من المكتبة العامة ومن جميع مظانها . أعجب بالمتنبي فنقل ديوانه كله لأنه لا يملك ثمن اقتنائه . وأعجب بالبحتري فنقل ديوانه كله كذلك فعل مع ديوان عمر بن أبي ربيعه . ولك أن تتصور مقدار الصبر والرجولة والاصرار التي يتحلى بها وأنت تعلم أنه بطيء في الكتابة . والحق أنه كان في خلقه رجلا وكان صبورا. على الحياة كريما عليها وعلى نفسه . وكان معتزا بكرامته غاية الاعتزاز في ظرف وخفــة ظـل لا يتأتيان الا لقلة نادرة من الناس . كتب خطابا الى عزيز باشا أباظة وتعثر الخطاب في الطريق ولم يصل وكان عمي عزيز في ذلك الحين مديرا لأسيوط ومع ذلك رأى توفيق أن يشـكو الى عمه جمـال الدين بك أباظة المستشار . فنحن في الأسرة لا نقيم وزنا للمناصب وانما القيمة عندنا بالسن ، والمكانة عندنا تتحدد

بالعمومة والخؤولة · وكان يحفظ الشعر العربى كله من الجاهلية حتى شوقى وكان يرعانى أنا بالذات رعاية الأب لابنه لما لمسه عندى من حب للأدب ، فتوفيق حين اختار جمال بك لم يكن اختياره لمجرد العمومة فقد كان لعزيز باشا أعمام آخرون على قيد الحياة · وانما هو فى ذكاء ولماحية اختار العم الذى يعتبر ظاهرة فى زمانه فى حب الأدب وفى الاطلاع على التراث الأدبى من بدايته الى اليوم الذى يعيش فيه ، وكان الى هذا جميعا نموذجا فريدا فى العفة والحياء حتى أنه لم يتزوج وأرجح أنه لم يتزوج لأنه خجل أن يخطب · وكان رحمه الله أيضا صورة مجسمة للطيبة ، هذا كله الى تفقه فى القانون يندر أن نجد له مثلا · كتب توفيق اليه يشكو عدم اجابة عزيز باشا على خطابه وربما يجمل بى أن ألفت نظرك الى بداية الأبيات التى كتبها توفيق وكأنه يكتب خطابا مما يدل على قدرته ولماحيته واستطاعته أن يقول بالشعر الأصيل كل ما يريد أن يقول ·· اليك الأبيات :

جمال الدين والدنيا سلاما
يضوع شذى كانسام الخزامى

وبعد فهل أتاك حديث قوم
نكلمهم فيأبون الكلاما

بعثت الى عزيز القول شعرا
أحييه فما رد السلاما

فان يك أكبر الشعراء طرا
وأسماهم وأرفعهم مقاما

فقد نادى اله الناس موسى
وناجى العبد من خلق الاناما

وبنت النمل كلمها النبى
وبادلها المحبة والوئاما

فلست أقل من نمل ضعيف
وليس أجل من ملك تسامى

ومن طرائفه التى أذكرها له أن أبى أهدى اليه عمامة ليكرم علمه الواسع بالتراث وبأركان الدين فكتب له أبياتا غاية فى الظرف يقول فيها :

توجت رأسى بالعمامة
وكسوتنى حلل الكرامة

فكأننى شيخ المراغة
فى المهابة والفخامة

لا فرق بينى فى الحياة
وبينه الا الامامة

ومرت سنوات وعين أبى وزيرا فكتب اليه برقية من بيتين يقول فيهما :

قل للوزير الالمعى مقالة
مشبوبة كذكائه المتوقد

الفأس قد أكلت يدى وأنا امرؤ
للطرس لا للفأس قد خلقت يدى

وأصدر أبى قرارا بتعيينه فى وظيفة كتابية بمصلحة الطرق والكبارى. وأقمنا احتفالا له بلبسه الحلة لأول مرة ، وهكذا تخلى عن العمامة الى الطربوش ٠

هذان الشخصان ٠٠ الحاج أحمد القرعيش وتوفيق عوضى أباظة كان لهما أثر ضخم فى حياتى ٠ فقد بدأت أقرأ معهما الشوقيات منذ الأجازة السنوية الصيفية للسنة الأولى الثانوية حتى انتهيت من دراسة الحقوق تقريبا بشكل متصل فى جميع سنوات الحرب وبشكل منقطع بعد انتهاء الحرب ، وهذه التفرقة ليست بسبب الحرب ولكنها كانت محكومة بتولى أبى للوزارة من أكتوبر عام ١٩٤٤ واضطراره أن يقضى الصيف فى الاسكندرية مع الوزارة لمدة خمس سنوات متواصلة وهى المدة التى بقيها فى الوزارة ٠

كنا بعد أن يصعد أبى الى الطابق الأعلى من منزلنا فى غزالة يجتمع ثلاثتنا حول كلوب فلم تدخل الكهرباء فى بيتنا الا بعد بداية جلساتنا بسنتين أو ربما ثلاث سنوات وعكفنا على قراءة شوقى ولم نقرأ مجتمعين غيره ، وكان كل منا يقرأ ما يشاء منفردا ٠ وقد تفضل الشاعران بأن جعلانى أقرأ أنا ويستمعان هما ويعلقان ويتعمقا كل بيت حتى لا يبقى فيه معنى الا ويصبح واضحا ظاهرا ٠

وفى الأجازة التى جاءت بين السنة الثانية الثانوية والثالثة الثانوية قال الحاج أحمد لى :

ـ انت تكثر من اللحن بصورة مخيفة ٠

فقلت :

ـ لا يهم ٠

قال :

ـ كيف لا يهم ٠ اتريد ان تكون أديبا وتلحن ٠ أن القواعد مسألة بدائية يجب أن يتقنها كل متعلم فكيف لا يتقنها الأديب الكاتب ٠ لن يحترمك قارىء أو مستمع لك اذا اخطأت فى النحو ٠

وأيد توفيق الذى اصبح توفيق افندى كلام الحاج أحمد واخـذت الكلمتين فى ضلوعى ولم أعلق واكملنا السهرة ٠ ومضينا فى سهراتنا حتى انتهت الاجازة ٠

وحين بدات الدراسة فى السنة الثالثة الثانوية أرغمت نفسى أن أقرأ وحدى بصوت مرتفع كل ما أقرأ سواء كان مذاكرة أو كتبا فى الأدب أو حتى فى الجغرافيا أو التاريخ أو الطبيعة وحرصت أن اصحح لنفسى ما أقرأ وأعـرب كل كلمة قبل نطقها وانطقها بحركة اعرابها وبعد شـهور قليلة استقام لسانى ٠

وكتمت الأمر عن الحاج أحمد وعن توفيق لم أقل لأحد منهما شيئا مما افعله بنفسى حتى اذا جاءت الاجازة الصيفية وبدأنا القراءة فوجىء كلاهما بشخص آخر منى لا يلحن مطلقا أو يكاد لا يلحن ودهش كلاهما وفرحا وأصبحا يستمعان الى قراءتى للشعر فى استمتاع بعد أن كان المسكينان يعانيان ما يعانيان من كثرة اللحن منى ويتجاوزان عنه لمكانتى عندهما أو لمكانة أبى ٠٠٠ لا أدرى ٠

وكما يتضح الاصرار عندى فى موضوع النحو يتضح فى أمر آخر لى لست انساه ما حييت ٠ كنت طفلا فى الخامسة أو السادسة لا أذكر وكنت الثغ فى الراء فلا انطقها الا مثل الياء أو قريبا من الياء وكنت ألعب الكرة فى فناء منزلنا بشارع الملك الناصر بالمنيرة حين أقبل عمى الكاتب الصحفى الأشهر فكرى أباظة الذى أصبح فكرى أباظة باشا فيما بعد وسارعت اليه استقبله ٠

قـال :

ـ أين أبوك ٠

قلت :

ـ هو نائم فوق ٠

قــال :

ـ طيب تعال ٠٠٠ ما حكاية الراء هذه التي لا تريد أن تنطقها ٠

وفكرى أباظة ابن عم أبى ولكن الأمر بينهما كان أكبر من هذا بكثير. نقد كان يحب أبى حبا عميقا ولا أنسى يوم وفاة أبى وقد ارتمى عمى فكرى على اريكه بيتنا وراح ينشج بالبكاء ٠ وكان يصرح دائما أنه أخذ أسلوبه الساخر من مقالات أبى التى كان يوقعها فى جريدة السياسة بتوقيع الغزالى. أباظة ٠ وأنا لم أر في حياتي شخصاً في نقاء عمى فكرى ٠ وهل هناك أشد نقاء من رجل فى مثل مكانته وقمته الصحفية ينشر فى المصور أنه كان يصعد فى مصعد دار الهلال وجمع المصعد بينه وبين أحد محررى الدار وشابة جميلة وقال المحرر للفتاة هذا أستاذنا فكرى باشا اباظه فقالت له الفتـــاة :

ـ هل أنت قريب لثروت أباظه ٠

رحم الله الرجل ، اننى أعتقد أنه ألف هـذا الحوار ليقدم لى تحية على حساب نفسه وقد كان عمره كله يقدم الآخرين على نفسه فى كل شيء ٠

فى ذلك اليوم من طفولتى فى شارع الملك الناصر اخذنى عمى فكرى من يدى وصحبنى الى مكتب أبى وقال : انطق ٠٠٠

ـ ثروت ٠

فقلت :

ـ ثيوت ٠

فظل يعلمنى نطق الراء ثلاث ساعات متصلة لا يمل ويطلب الى أن اضع طرف لسانى بسقف حلقى وأنطق حتى نطقت الراء ٠

ولم ينته أمرى مع الراء الى هذا فقد كنت أعرف كيف أنطقها مفردة. ولم اكن أعرف كيف انطقها فى موضعها من الكلمة حتى أصبحت فى مطلع الشباب ووجدت الناس يسخرون من نطقى الناقص ويحاولون اخفـــاء سخريتهم فقلت لنفسى مادام فى الأمر سخرية فليسخروا منى وأنا أتدرب على النطق فكنت اذا أجبت التليفون وسألنى المتحدث من لا أخجل ان اقول ٠

ـ ثرررروت ٠

وتبين الراء وكأنها عشر راءات متصلة ويضحك المتحدث فأقول فى نفسى انه أيضا كان سيضحك علنا أو خفاء اذا قلت ثيوت ٠

وكنت أظل اقول وأنا منفرد بنفسى « فرتر ٠ فرتر » واكررها حتى استقام لسانى بعد بضعة اشهر وتخلصت من هذا النقص والفضل أولا لعمى فكرى ٠٠٠ وأخيرا لاصرارى ٠



المدرســة

كنا نقيم فى بيت كبير بشارع الملك الناصر رقم ٢٤ ، وكان البيت هو البيت الثانى لداخل الشارع من جهة شارع نوبار أما البيت الأول فقد كان مدرسة أولية متسعة الارجاء أصبحت الآن عمارة ضخمة . أما بيتنا فقد كان يطالعك منه أول ما يطالعك فناء متسع الارجاء تحف به حديقة جميلة من الجانبين والفضل فى جمال الحديقة يرجع الى عناية عم أحمد بخيت بالحديقة واشرافه الامين الحاسم على الجناينى الذى كان يزورها عـــدة مرات فى الاسبوع على طريقة رعاة الجناين فى القاهرة . وبعد الحديقة يبقى لنا مكان كبير نلعب فيه مختلف اللعب . ولو أننا كثير ما ننتقل الى لعب الكرة فى الشارع وقد كان الشارع صغيرا ولكن المرور كان فى القاهرة جميعها خفيفا فقلما كنا نقطع اللعب فى الشارع لمرور سيارة أو عربة ذات خيل .

يحد حديقة البيت جدار من الناحية اليمنى يفصل بين البيت والمدرسة وأما على الجانب الايسر فسلاملك متصل بالبيت مباشرة فهو أشبه بجناح منه بسلاملك له ســـلم خاص وكان أبى يستعمله عادة ليخلص منه الى البيت ، أما أول باب فى الجناح فكان يفضى الى حجرة تتوسط حجرتين الواقعة على يسار الداخل هى حجرة الاستقبال واليمنى هى حجرة مكتب أبى وكان كثير الاستعمال لها ولها باب يؤدى الى الشرفة المتصلة بسلم الصعود ولها باب آخر يؤدى الى صالة كبيرة كانت تستعمل حجرة طعام ، وحجرة الطعام فيها أبواب ثلاثة أخرى أحدها للقادم من شرفة السلم والثانى على يمين الداخل من الشرفة يؤدى الى حجرة جلوس أخرى أما الباب الثالث المواجه لباب الشرفة فيؤدى الى صالة أخرى بها باب غرفة فى أقصى يسارها كانت لا تخلو من ضيف يقيم فيها اقامة كاملة قد يكون أحد أقربائنا أو أحد المقربين لأبى من غزالة أو من غيرها . والعجيب ان بيتنا لم يخل

قط من هذا النوع من الضيوف سواء كان هذا فى البيت أو فى بيتنا الآخر الذى انتقلنا اليه فى العباسية فى أول يناير سنة ١٩٣٩ · وفى وسط هذه الصالة باب آخر يؤدى الى السلم الصاعد الى أعلى ولم يكن سلما فخما وانما كان من الحجر العادى ·

وفى فناء البيت وفى مواجهة الداخل اليه بابان أحدهما كان يصل الى سلم رخامى وهو المخصص للحريم وكانت والدتى وزائراتها يدخلن منه دائما · أما الباب الآخر فقد كان يؤدى الى البدروم وكان متسع الارجاء بصورة عجيبة حتى أن عمى محمود أخا أبى أقام فيه مصنع صابون جعل رائحته كلها تعبق بالصابون · وكان الخدم وعائلاتهم وابناؤهم يقيمون جميعا فى هذا البدروم وكان به المطبخ ايضا ·

حين ارتأى أبى أنه ينبغى لى أن أذهب الى المدرسة اختار المدرسة الأولية الملاصقة لبيتنا وفى أول يوم ذهبت اليها صحبنى محمد أبو عثمان وهو نوع عجيب من الخدم اطال الله عمره · فقد كان يقوم بكل الأعمال وكان فى نفس الوقت لا يعمل شيئا · كان يطبخ اذا غاب أخو زوجته محمد عبده الطباخ والواو مشددة فى تخفيف · وكان يسوق اذا غاب رجب السائق وكان يساعد عم أحمد فى رى الحديقة وفى التخديم على الضيوف وكان يذهب لشراء الأشياء وكان يلاعبنى ويحكى لى الحكايات التى كنت مغرما بها غراما جائحا · وكنت حريصا الا افارقه من أجل هذه الحكايات · ولما رأت والدتى أننى اصبحت حجته التى يعتذر بها عن عدم العمل احضرت من البلد ابراهيم ليرافقنى · ولابراهيم هذا قصة طويلة معى لم تنته بعد حتى اليوم · فهو الآن طباخ عندى يتقاضى مرتبه ولا يأتى الا عندما يحلو له ·

ذهبت الى المدرسة فى أول يوم وأنا لا أدرى ماذا تخبىء لى المدرسة فقد كنت أظن أننى سأذهب اليها مع محمد أبو عثمان بعض الوقت ثم نعود سويا دون أن نفترق ولكننى فوجئت بمحمد يسلمنى الحقيبة عند باب المدرسة ويهم بالعودة الى المنزل · وما ان استقر هذا فى نفسى حتى صرخت صرخة احتجاج عريضة مصرا أن يظل محمد معى واقبل المدرسون والناظر وواجهتهم المشكلة · وأمر الناظر مضطرا أن يدخل محمد معى الى المدرسة ودخل المدرسة · وحين ذهبت الى الفصل أصررت أن يصحبنى اليه · وصحبنى ولم أفهم شيئا من الدرس فقد كان نظرى كله منصبا على محمد الواقف على باب الفصل داخل الفصل ·

قبل الناظر هذا الاستثناء يوما ويوما ثم أمر محمد ان ينصرف وبكيت وصرخت فلم يأبه أحد ببكائى ورأيت آخر الأمر أن أرضخ للأمر الواقع · وخفف الوحدة على أن أبى ووالدتى كانا يطلان على من حجرة

الطعـــام بالدور الأعلى ويلوحان لى فرحين أننى أصبحت تلميـــذا فى المدرســـة ٠

أذكر أننى لم أستمر طويلا بهذه المدرسة فنقلت الى مدرسة المنيرة بروضة الأطفال بها وفى هذه المدرسة بدأت مشوار الدراسة الذى سار فيه من قبلى وتسير فيه البشرية حتى الآن والذى أحسب أنها لن تنتهى من السير فيه ٠

وربما كان الطريف أننى منذ سنوات قريبة دعيت من ناظر أحـــد المدارس الابتدائية لأجلس فى ندوة مع التلاميذ ٠ وذهبت الى المدرسة فى العنوان الذى انبئت به ٠ وكم فوجئت وكم فرحت حين وجدت نفسى ضيف ندوة فى المدرسة التى كنت تلميذا فيها بروضة الأطفال ٠

لم أعد فى حاجة لابراهيم الذى جاء من غزالة لصحبتى فدخل هو الى المطبخ ليتعلم الطهى ٠ ولكنه لم ينس أنه جاء من أجلى ٠ فكان يلازمنى بعد انتهاء عمله هو فى المطبخ وعملى أنا فى المدرسة ٠

وعرف الطريق الى سينما الأهلى وعرفت الحلقات التى كانت تقدمها السينما لتومكس واخوانه من رعاة البقر وهمس فى أذنى أن نذهب معـــا أثناء نوم أبى ٠ وكان أبى يرغبنى أن أنام معه فى القيلولة فكنت دائمـــا أتسحب وأنزل الى الملعب ويعلم الله أنه كان يحس بى ويتظاهر بالنوم ٠ وقد أورثنى هذا كرهى لنومة القيلولة حتى أرغمتنى عليها السنون فأصبحت أدمنها بعد كراهية ولا أتحمل العمل بعد الظهر الا اذا أخذت نصيبا مهما يكن ضئيلا من النوم ٠

ذهبت مع ابراهيم الى سينما الأهلى ولكن كان العائق الأكبر يتمثل فى حصولى على قرش صاغ ثمن التذكرة الثانية فى الدرجة الثالثة فى الصالة ٠ فقد كان مصروفى قرشا فى اليوم وكنت فى سائر أيام الأسبوع أنفقه فى كنتين المدرسة أو فى أى مصروف آخر ٠ أما فى يوم الخميس فقد كنت أبقى على القرش لا أنفق منه مليما ثم أروح أفكر فى الوسيلة التى استنبت بها قرشا آخر لنشترى التذكرتين ولم يكن الأمر يسيرا ولكننى كنت أوفق دائما وأحصل على القرش ٠

افادتنى دراستى مع الحاج أحمد القرعيش فى مدرسة الروضة حتى رأت المدرسة فى آخر العام أن تنقلنى الى السنة الثالثة مباشرة دون أن أمر بالسنة الثانية ٠

وذهبت بعد ذلك الى مدرسة المنيرة الابتدائية وكان ناظرها فهمى بك الكيلانى وكان من أعظم الناس الذين عرفتهم ٠ وبدأت فى هذه السن هوايتى لقراءة القصص ٠ وكانت هناك مجموعات من قصص الأطفال مثل قصتى

وغيرها · ولكن حدث فى هذه السنوات أن بدأ الأستاذ كامل كيلانى يكتب مكتبته للأطفال وكان صديقا مقربا الى أبى غاية القرب وقد كان من كبار أدباء عصره وكان من احفظ الناس للشعر القديم كله منذ الجاهلية الى العصر الحديث ·

وبدأ يهدى الى أبى كتبه ولم يكن يعطيه كتابا واحدا أو اثنين وانما كان يهديه عدة كتب قد تصل الى ثمانية أو عشرة وكنت أدخل الى حجرتى وأغلق الباب بالمفتاح ولا اخـــرج حتى انتهى من كل الكتب التى أهداها الأستاذ الكيلانى الى أبى · ومن هذه الكتب عرفت حكايات ألف ليلة وليلة كلها وعرفت روايات شكسبير مبسطة وعرفت روبن صن كروزو وحى بن يقظان وحين كنت فى العاشرة كنت أقرأ توفيق الحكيم وطه حسين والمازنى ووجدت نفسى بعد ذلك أقرأ الأدب الكبير كله فى سهولة لا مثيل لها ·

وكان أبى معجبا بشوقى غاية الاعجاب فقرأت رواياته وأذكر اننى وأنا أنتظر نتيجة الشهادة الابتدائية قرأت مجنون ليلى ثلاث عشرة مـــرة متتالية ·

وكنت سريع الحفظ لدرجة أنه حـــدث مـــرة وأنا فى السنة الثانيـــة الابتدائية أن كتب استاذنا الفاضل العظيم الوقور محمود الشيبانى قصيدة من عشرة أبيات على السبورة والتفت الينا وسأل :

ـــ من يقرأ هذه الأبيات ؟

فرفعت أصبعى فأشار الى أن أقف لأقرأ الأبيات · فاذا بى استدير الى الحائط وأولى السبورة ظهرى وألقى الأبيات جميعا واذا بالفصــــــل يصفق دون أن يأمره بذلك الأستاذ الشيبانى وحين انتهى التصفيق قال الأستاذ الشيبانى :

ـــ ماذا أقول لك يابنى ·· ابن الوز عوام ·

وقد فعلت ما فعلت وأنا أحسب أننى أصنع شيئا طبيعيا لا غرابة فيه حتى لقد فوجئت بتصفيق الفصل واعجاب الأستاذ وقد كان مطلع هـــــذه القصيدة :

انظر لتلك الشـــــجرة
ذات الغصون النضره

واذكر أن أبى فى هذه الأيام كان دائم الاجتماعات فى مكتبه بالبيت بأشخاص لا أعرفهم وانما عرفت أنهم يعدون لاقامة ذكرى وفاة حافظ ابراهيم وعرفت أن الاحتفال بهذه الذكرى سيستمر لمـــدة ثلاثة أيام بدار الأوبرا

المصرية • وحدث أن دخلت الى مكتب أبى وهو فى اجتماع من هذه الاجتماعات فقال لى مداعبا :

ــ أنشد لنا شيئا من محفوظاتك فى المدرسة •

فأنشدت هذه القصيدة وما أن فرغت منها حتى قال أحد الجالسين :

ــ رفع الله رأسك يابنى كما رفعت رأسى ، واذا به الأستاذ محمد الهراوى مؤلف القصيدة •

وأذكر أننى حضرت الحفلات الثلاث التى أقيمت بدار الأوبرا ومازلت أذكر المازنى وهو يترك المنبر الى مقدمة المسرح ويقول : « أشهد الله والحق أننى والعقاد قد حاولنا أن نهدم شوقى وحافظ لننال منهما ولنقف على انقاضهما فلم ننل الا من الحق ومن أنفسنا » •

وفى نهاية الأيام الثلاثة كان محمد محمود باشا حاضرا فى المقصورة التالية لمقصورة الملك بدار الأوبرا ، وما أن انتهت الحفلة حتى قامت مظاهرة ضخمة تهتف باسم محمد محمود باشا وترفعه الى الأعناق ، وكان رئيس الوزارة فى ذلك الحين هو النحاس باشا •

وقد أدركت بعد ذلك أن هذه المظاهرة كانت جزء من تدبير سياسى محكم أدى الى سقوط وزارة النحاس باشا وتولى محمد باشا محمود رياسة الوزارة ، وكانت أول وزارة تشترك فيها الهيئة السعدية برئاسة أحمد ماهر باشا • ومع أن أبى كان سكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين الا أنه لم يشترك فى الوزارة عند تأليفها وقد حدث أمر يستحق أن يروى فى أثناء وجود هذه الوزارة فقد تولى أبى تنظيم الترشيحات لمجلس النواب بوصفه سكرتير عام الحزب الحاكم فكان ينسق بين الأحرار الدستوريين وبين السعديين • وحدث أن طلبه حسن صبرى باشا وكان فى ذلك الحين وزيرا فى الوزارة ومقربا جدا عند الانجليز وطلب حسن صبرى من أبى أن يرشح اسما ذكره فى احدى الدوائر ولكن أبى اعتذر عن عدم ترشيحه لأن الدائرة التى ذكرها حسن صبرى كان مرشحا بها أحد السعديين وكان متقدما اليها حر دستورى من تلقاء نفسه فوضعها لا يسمح بأن ترشح فيها الوزارة أحدا فاذا حسن صبرى يقول لأبى :

ــ أتناقشنى ؟

فكان من الطبيعى أن يضع أبى سماعة التليفون فى وجهه وينهى المكالمة •

وحدث بعد ذلك أن خلا منصب وزير الزراعة وكان مجلس الوزراء مجتمعا برئاسة محمد محمود فاذا به ينظر الى ســاعته ويقول للوزراء سأضطر أن أنهى الجلسة لأنى على موعد مع الملك لأوقع مرســوم وزير الزراعة ٠

وسأله الوزراء عمن اختاره للوزارة فقال لهم :

ـ لقد اخترت للوزارة جوهرة فريدة ٠

قالوا :

ـ من ؟

قــال :

ـ دسوقى أباظة ٠

فرحبوا جميعا واذا حسن صبرى يقول :

ـ اذا دخل دسوقى أباظة الوزارة من هذا الباب سأخرج انا من هذا الباب ٠

ولم يدخل أبى الوزارة مع محمد محمود قط ٠

ولم يكن عجيبا ألا يختار حسن صبرى أبى للوزارة ولكن العجيب أن أبى ظل طوال فترة وزارة حسن صبرى يمتدح حسن صبرى لنا نحن أبناءه وأهل بيته ولم يعارضه قط فى البرلمان ٠ فأنا لم أر فى حياتى شخصا يفصل بين المشاعر الشخصية والرأى والمصلحة العامة مثل أبى ، وتشاء الأيام أن يجنى حسن صبرى باشا على أبى حيا وميتا ٠ فقد حدث أن رشح حزب الأحرار أبى لرئاسة مجلس النواب عن الأحرار الدستوريين فى حين رشحت الهيئة السعدية أحمد باشا ماهر وكان الحزبان قد اختلفا وخرجت الهيئة السعدية من الوزارة ولم يحل مجلس النواب مع ذلك ٠ وكان الخلاف بين الحزبين سببه ما ارتآه أحمد باشا ماهر فى ذلك الوقت من وجوب دخول مصر الحرب فى ذلك الحين حتى يكون ذلك مبررا لها أن تطالب بالاستقلال بعد نهاية الحرب ، ورأى حزب الأحرار ـ وكان محقا يومذاك ـ أن النصر ليس مؤكدا للحلفاء وأنه يجب أن تجنب الحكومة مصر ويلات الحرب وخاصة أن الانجليز لا أمان لهم وليس من الحتم أن يستجيبوا لمطالب مصر حتى اذا انتصروا وكان هذا الاختلاف فى عام ١٩٤١ ٠ وكان من المرجح جدا أن يتغلب أبى على أحمد ماهر باشا فى معركة رئاســة مجلس النواب ولهذا لم ندهش كثيرا حين كنا جالسين فى حجرة مكتب أبى بالعباسية واذا بنا نجد الباب يفتح فجأة ونرى شخصا أنيقا واقفا فى

لحظة وسط الحجرة وكأنه نبت من الأرض وهو يقول بصوت جهورى غاية فى الأدب :

ـ دولة رئيس الوزراء ٠

وكانت سرعة ميشيل سويرس تشريفاتى رئيس الوزراء لم تتح لأحد منا أن يقف ليرحب به فكنا جميعا جلوسا وظللنا جلوسا نستوعب المفاجأة الا أبى الذى مرن على هذه المواقف لطول ممارسته لها فقد قام من فوره وقصد الى البهو الخارجى واستقبل حسن باشا صبرى وسمعنا أبى يقـــول :

ـ أهلا دولة الرئيس ٠

وسمعنا أيضا حسن باشا صبرى يقول :

ـ أهلا برئيسنا العظيم ٠

ودخلا معا الى حجرة الاستقبال الكبيرة الملاصـــقة لحجرة المكتب وفرغنا نحن الى ميشيل سويرس نرحب به ولم يكن أحـد من الجالسين يعرفه ٠

كانت هذه الزيارة فى الليلة السابقة مباشرة على انتخابات الرئاسة فى مجلس النواب ٠ ولكن الأقدار لم تشـأ لهـذه الانتخابات أن تتم فى موعدها لسبب لم يحدث فى تاريخ مصر ٠ فقد شاء الله فى علياء سمائه أن يختار عبده حسن صبرى رئيس مجلس وزراء مصر وهو يلقى خطبة العـــرش التى تســـبق الانتخابات ويؤلف الوزارة حسين سرى وكان رشوان محفوظ وهو من كبار أعيان الصعيد ومن الوزراء السابقين للأحرار الدستوريين يطمع أن يدخل الوزارة ولكن حسين سرى لم يختره فاذا به يغضب من الحزب وينسلخ مع خمسة عشر عضوا عن انتخاب مرشـــح الحزب فى رئاسة المجلس مع حبه الصادق لأبى ، وهكذا لا يصل أبى الى رئاسة مجلس النواب بسبب حسن صبرى وان كان فى هـذه المرة سببا صنعته السماء لحكمة يعلمهـــا الواحد العليم وكان حسن صبرى أداة لا اختيار لها ٠

وفى تعديل وزارى أصبح أبى وزيرا لوزارة الشئون الاجتماعية فى وزارة حسين سرى وكان هذا فى ٢٦ يوليه عام ١٩٤١ ٠

ومن الطريف الذى أذكره فى هذه الأيام أن النادى الأهلى بالزقازيق أعلن أنه سيقيم حفل تكريم لأبى بمناسبة توليه الوزارة وقبيل اليوم المحدد للتكريم استقالت الوزارة ولم يكن قد مر على تولى أبى منصبه شهر واحد ولكن حدث أن سعى الساعون لاعادة التفاهم بين حزب الأحرار الدستوريين

والحزب السعدى ونجح المسعى وكان لابد أن يشترك الحزب السعدى فى الوزارة • وكان الأحرار الدستوريون ممثلين فى الوزارة بسبعة وزراء كان لابد أن يصبحوا أربعة ليجد السعديون وزارات لممثليهم فى الوزارة وظلت الوزارة تؤلف الى اليوم المحدد لاقامة حفلة التكريم فى الزقازيق •

ولم يذهب أبى الى حفلة التكريم وكيف كان يمكن أن يذهب وهو لا يعرف ان كان سيظل وزيرا أم سيخرج مع الخارجين •

ولم أذهب أنا أيضا الى الحفلة طبعا • وذهبت الى كازينو أوبرا وأذكر أننى طلبت جيلاتى وأصابنى بتسمم •

وقبل أن تبدأ بوادر التسمم كان أبى نائما ودق جرس التليفون بالدور الأعلى من منزلنا واجبت أنا وطالع أذنى صوت حاد :

ــ معالى الوزير موجود ؟

قلت :

ــ هو نائم من يريده ؟

قال :

ــ أدخل له التليفون اذا سمحت •• دولة رئيس الوزراء يريده •

وعاد أبى الى الوزارة ولكنه لم يحضر حفل التكريم الذى أقيم له فى الزقازيق فقد أبى المحتفلون الا أن يستمروا فى التكريم بقى أبى فى الوزارة أم لم •

هذه الوزارة بقيت حتى وقعت أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ • وبطبيعة الحال كان أبى على علم بكل ما وقع فى ذلك اليوم المشئوم ، وفى يوم ٥ فبراير كنت أركب مع أبى سيارته الخاصة بعد أن صرف سيارة الوزارة ولم تكن آثار ٤ فبراير قد ظهرت بعد ولا يعرف أحد أى أثر سيكون لها على الشعب والرأى العام كما أن أحدا بطبيعة الحال ــ لم يكن يدرى بماذا سيدافع النحاس باشا عن هذا الذى حدث • وعن تلك الوصمة العريضة فى جبين الوفد الذى اكتسب اسمه لمعارضة الانجليز واخراجهم من مصر •

وكنت فى سنى الخضراء فى ذلك الوقت أتصور أن الدفاع مستحيل وأن النحاس باشا وأنصاره لن يجدوا ما يقولونه لتبرير خيانتهم لثقة الشعب ، وسألت أبى فى سذاجة :

ــ ماذا سيقول النحاس باشا للشعب ؟

وفى عبقرية السياسى المحنك الخبير بأخلاق الوفد وخداعه للحق ٠

قال أبى دون ريث تفكير :

ـ سيقول أنقذنا العرش وحمينا البلاد من الفتنة وحافظنا على سيادة الوطن وكرامته ٠

وكأنما كان النحاس باشا معنـــا فى السيارة فقد فوجئت بأحاديثه لا تخرج عما قاله أبى فى شيء ، وفوجئت بأنصاره يصدقونه وذهلت لهم وهم يرفعون مايلز لمبسون السفير البريطانى بطـل الاعتداء المشين على أكتافهم يهتفون له ويهللون ويصرخون بحياته ٠

٠٠٠ لقد كانوا يهتفون لمن أتاح لهم الحكم يستغلونه ويمرحون فى هناءته ومكاسبه ولتذهب مصر وليذهب رمز مصر ولتذهب كرامتها الى أى جحيم تشاء ٠

وفى ظل هذا الحكم بدأ النحاس باشا اعتقالاته ، وحدثت الفرقة والخصومة بينه وبين مكرم باشا عبيد وظهر الكتاب الأسود وكانت عندنا منه كميات كبيرة ٠ وقدم أبى فى مجلس النواب استجوابا عن الاعتقالات٠ واعتقد أن دخول أبى الى المجلس قصــة لابد أن تروى ٠ فقد قــرر حزب الأحرار أن ينتدب أبى وأحمد باشا عبد الغفار لمفاوضة النحاس باشـا وليتعرفا منه كيف ستدار الانتخابات وذهبا اليه فقال لهما :

ـ للحزب أن يدخل الى الانتخابات ولكن يمنع المرشحون من الكلام عن حادثة ٤ فبراير كما يمنعون من مهاجمـــة الانجليز كما يمنعون من مهاجمة السيدة حرمى ٠ ولهم بعد ذلك أن يقولوا ما يشاءون فى دعايتهم الانتخابية ٠

واذا بأحمد باشا عبد الغفار يصيح برئيس الوزارة :

ـ ماذا يمكن أن نقول لمرشح الوفد بعد ذلك ؟ أنقول له وشى أحلى من وشك أم نقول له أبويا أحسن من أبوك ٠

وانصرف أبى وأحمد باشا وسمعنا أن النحاس باشا قص على الهيئة الوفدية أمر هذا اللقاء قائلا لهم :

ـ جاءنى معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة والولد أحمـــد عبد الغفار ٠

وكان أبى فى ذلك الحين لا يحمل رتبة الباشوية بينما كان أحمد باشا يحمل الرتبة ولكن النحاس باشا استبدل بها لقب ولد ٠

امتنع الحزب عن دخول الانتخابات وارتأى أبى باتفاق مع الحزب أن يرشح فى دائرته عمى عبد الله فكرى أباظة الذى كان سكرتيرا عاما لوزارة التجارة فى ذلك الحين ثم وكيلا • ودخل عمى الانتخابات مستقلا ونجح وكان الدستور ينص على أن النائب الموظف عليه أن يختار بين الوظيفة والنيابة فى مدة أقصاها ثلاثة شهور • واختار عمى عبد الله الوظيفة فى المدة المحددة • وأعلن عن خلو الدائرة وتقدم أبى للترشيح ورشح الوفد مرشحه الذى كان يرشحه دائما فى دائرتنا وكانت الانتخابات معركة حربية طاحنة صنع فيها الوفد كل ما يستطيع لاسقاط أبى حتى اذا يئس فكر أن يستولى على الصناديق ويغيرها فاذا بشباب الأسرة الأباظية يبيتون فوق الصناديق وعلى رءوسهم السلاح وقضى عمى عبد الله فكرى ليلته فى بيت ملاصق لمقر الفرز ومن أحداث هذه الانتخابات ضرب فكرى أباظة باشا الكاتب الأشهر وفتحت يده بجرح كبير ظلت آثاره باقية حتى اختاره الله الى جواره •

ونجح أبى فى الانتخابات وتقدم باستجواب عن المعتقلات وفى يوم نظر الاستجواب اعتقلت حكومة النحاس باشا مكرم باشا عبيد • ووقف أبى فى المجلس وقال أن الحكومة تتحدى الشعب ومجلس النواب وتعتقل مكرم باشا فى نفس اليوم المحدد لنظر الاستجواب الخاص بالمعتقلات ، وانا أعلن هنا أننا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعل أو قال وللحكومة أن تعتقلنا نحن أيضا لأننا شركاء مع مكرم ولتفعل بنا القوة الغاشمة ما تشاء •

واذكر أننى فى ذلك اليوم كنت فى البيت أتلقى درسا خاصا فى اللغة الانجليزية على يد أستاذى الذى كان متوليا الاشراف على دراستى فى كل العلوم الأستاذ لويس مرقص الذى أصبح فيما بعد الدكتور لويس مرقص وأصبح رئيس قسم اللغة الانجليزية فى الجامعة ودخل أبى الينا وروى لنا ما كان من أمر جلسة مجلس النواب • ثم نادى أحمد بخيت وأمره أن ينقل نسخ الكتاب الأسود والمنشورات الأخرى الى بيت ابن عمه الأصغر الضابط عمر أباظة ويتركها عند السيدة الجليلة والدته وكان مجاورا لبيتنا فى العباسية • ونفذ أحمد بخيت الأمر بحذافيره ولم يبق فى بيتنا ورقة يمكن أن يجعلوا منها حجة ولو واهية للقبض على أبى •

وحدث ما توقعه أبى وتم تفتيش بيتنا بعد الساعة الثانية صباحا من نفس اليوم ولم يتركوا ركنا الا أعملوا فيه أيديهم حتى حقيبة أختى الصغرى التى أصبحت جدة الآن • فتشوها واستيقظت الطفلة التى لم تكن تتجاوز الخامسة من عمرها ولكن العجيب أن أختى حين استيقظت ورأتهم يعبثون بحقيبتها نظرت الى أبى وراحت تقهقه بالضحك وتقول لأبى :

ـ بابا دول بيفتشوا شنطتى ··· بص !

وضحك أبى وسرى عنها ·

ولـكن ينبغى لى أن أشـهد أن أبى قال لرئيس حملة التفتيش فى حسم : لكم أن تفتشوا ما تشاءون ولكنكم لن تدخلوا الحجرة التى بهـا السيدات فى البيت · فاذا فرغتم من تفتيش حجرة انتقـل اليها السيدات وتقومون أنتم بتفتيش الحجرة التى كن يشغلنها · وقبل الضابط رئيس الحملة · حفاظا على كرامة البيت · فاذا قارنا هذا بما كان يجرى بعد ذلك اعتداء على الحرمات لوجدنا أن حكم الطغاة فى العهد الديمقراطى لم يتخل عن انسانيته وعن تقديره لكرامة البيوت ·



أبى وأمى

كان أبى فى البيت ملاكا ولكن كانت له هيبة تغنيه عن أى عنف . ضربنى أبى ثلاث مرات لم يزد الضرب فى اثنتين منها عن صفعة على وجهى أما المرة الثالثة فلابد أن أرويها لأننى مظلوم فيها ظلما بينا . والعجيب أننى لم أقل لأبى حتى بعد أن كبرت وتخرجت وتزوجت فى حياته رحمه الله أننى مظلوم ، ولعلى خشيت أن اتسرب الى نفسه باحساس من الأسف أكبرته أن يشعر به . وهأنذا أروى اليوم ظلمى وهو سيطلع عليه وهو فى أكرم جوار . وانى أشفع قصتى قبل أن أرويها بأن أنبئه وهو فى عليين . أن انسان ما فى العالم أو فى التاريخ لم يسعد بظلمه سعادتى بالظلم الذى وقع على أنا منك يا أبى فى ذلك اليوم . فقد أشاع هذا الذى وقع لى فى نفسى فيضا لا ينتهى من الاحساس بالرحمة وحب الناس . وأنا أعلم أن أبى أحبنى كما لم يحب أب ابنا فقد ولدت له وهو فى الأربعينات من عمره ومرضت فى أول أيامى فى الحياة فجعلته شفقته على واشفاقه أن أموت يزداد حبا لى . ومع هذا وقع منه هذا الظلم الحبيب على ابنه المقرب .

ربما كنت أنا أحب أبى كما لم يحب ابن أباه ولست أنسى كلمة أهدى بها عمى عبد الله صورة له الى أبى قال فيها : الى أبى وأخى وأستاذى ومثلى الأعلى . فان كان هو هكذا بالنسبة لأخيه فقد كان بالنسبة لى هذا جميعا ثم هو منى حياتى ومصدرها وسياجها وعزها وكان حتى بعد موته ملاذى ومأمنى ومفزعى وأملى .

كنت ألعب مع خادمة عندنا اسمها أمينة وكنت فى السابعة من عمرى وكانت هى فى مثل سنى وكانت تجرى وأجرى وراءها وحمى الوطيس وازداد الجرى وأرادت أمينة أن تهرب منى فدخلت تحت أحد الأسرة وكانت أمينة سوداء فطساء الأنف ولم يكن الهواء تحت السرير كافيا فاغمى عليها

من قلة الهواء وحين دخلت وراءها وجدتها لا تنطق فجريت أنادى أم عبده مديرة المنزل فأسرعت اليها ومعها خدم آخرون واخرجوها من تحت السرير وأحضروا لها نشـــادر فأفاقت ولم يزد اغماؤها عن دقيقة او اثنتين ، وذهبت أم عبده رحمها الله وغفر لها فقالت لأبى اننى ضربت امينة حتى اغمى عليها · واخبرتنى والدتى ان أبى غاضب على كل الغضب فحرصت الا القاه · وكنت اجلس وحدى منزويا فى كرسى كبير واسع لم اشهد له مثيلا من قبل او من بعد · واذا أبى يدخل الى وفى يده سوط ووقف على رأسى وقد أذهلنى الخوف ان اقف وقال أبى :

ـ لقـد ضربت البنت حتى أغمى عليها وأنا سـأضربك حتى يغمى عليك ·

وبدأ يضرب بغير توقف وبكل العنف الذى لم أعرفه فيه من قبل أو من بعد · ولم يغم على وكنت من السذاجة بحيث لم افكر ان ادعى الاغماء · ومازلت على هذه السذاجة حتى الآن ، فأنا لا أعـرف حتى اليوم كيف أتظاهر بمـــا ليس فى · وضرب أبى وضرب حتى مل ورمى الســـوط وانصرف ·

وظلت آثار الضرب على ظهرى فترة طويلة لا أذكرها ولكنها باليقين لم تكن قصيرة · شهد الله ما ضربت امينة ·

ويشهد الله اننى ما ضربت خادما بعد ذلك قط · فقد علمت من هذا الذى أنزله بى أبى أن هؤلاء الخدم انما هم اخواننا لهم علينا من الحقوق ما لاخواننا وأبنائنا · وعلمت مما صنع أبى أننا مطالبون بالمحافظة على أجسادهم بل وكرامتهم وانسانيتهم بنفس القدر الذى نحن مطالبون به ازاء انفسنا وأبنائنا واخواتنا · رحمك الله يا أبى العظيم فانك حتى حين ظلمتنى انصفتنى وعلمتنى ما لم أكن لأتعلمه لولا ظلمك الرؤوف الشفيق الحنون ·

كان أبى يحب أبناءه جميعا بعدل مذهل وهبه الله له · وكنا نحن ولديه انا وشامل نحس أنه يحبنا ولكنه يحرص أن يستر حبه الذى قد يجعلنا نعتمد على مجده ولا نقيم من نفسينا رجلين يحرصان على أن يكون كل منهما شخصا ذا قيمة بذاته هو لا بذات أبيه · وكان فى نفس الوقت لا يرد لنا مطلبا ولا يحجب عنا عطفه · حين حصلت على الثانوية العامة رغبت اليه أن يشترى لى سيارة محتجا ببعد المسافة بين العباسية وجامعة فؤاد ـ القاهرة الآن ـ بالجيزة · فكان أن كلف بذلك مدير مكتبه وكان فى ذلك الحين حسين بك صادق والد الفتاة التى أصبحت فيما بعد الملكة ناريمان · وجاءت السيارة وفى غمرة الفرحة بها وفى الأيام الأولى لها خرجنا انا وأخى شـامل بالسيارة وذهبنـا الى طريق الهرم وقمنـا بنزهة طويلة

فخورين أن لنا سيارة خاصة بنا وان كانت أصغر سيارة يمكن أن تشترى ولكنها سيارتنا ٠ وذهبنا انا وشامل الى السينما وعدنا والساعة تقارب الثانية عشرة فاذا بأضواء بيتنا كلها مضيئة فى جميع أدواره ونظرنا الى نافذة غرفة أبى فوجدناها ايضا مضيئة ٠ وتخطفنا الخـدم من كل حدب وصوب : كلما الباشا ٠٠ الباشا منتظر ٠٠ الباشا يريدكما ٠ فقلت لشامل : اذهب أنت الى حجرتك فانا المسئول والله المستعان ٠

بلغت بابه وأحس بخطواتى امام الحجرة فلم ينتظر حتى افتح الباب وانما فتحه هو واطل برأسه وقال فى حسم : السيارة ستباع بكره ، واقفل الباب رافضا ان اجعل من الأمر موضوع نقاش فهو حتى لم يسـأل اين كنتما ٠

ذهبت الى والدتى هالعا ٠ فانا لم أفرح بعد بالسيارة وقالت لقد سأل عنكما عندما جاء وحين عرف انكما لم ترجعا لم يغير ملابسه كما تعود ان يفعل وتناول عشاءه وقد كان عشاء خفيفا لا يزيد عن الزبادى والفاكهة وسمع الأخبار دون ان يخلع ملابسه أيضا وظل ينتظركما بكامل ملابسه ٠ وقد كانت عادته ان يسمع اخبار الحادية عشرة وينام ٠ حتى اذا سـمع صوت السيارة هب من فوره فلبس جلبابه حريصا الا نحس انا وشامل انه مشغول علينا وانه غير عادته من اجلنا ٠ وكان فعلا بالجلباب حين اطل على من فتحة الباب ٠ ولكن لم يكن قد اكمل اغلاق ازراره ٠

ومكثت فى غرفة والدتى ارجوها ان تتشفع لى عنده وهى سعيدة اننا عدنا وحريصة فى نفس الوقت أن تبقى على الخوف فى نفسى حتى الصباح فلا أعود الى مثل ما فعلت مرة اخرى ٠ وقضيت ليلتى اكتب قصيدة أعتذر فيها عما فعلت وأرجوه أن يبقى على السيارة وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة الصباح فى هذه الأيام واذكر آخر بيت فيها :

وما اظنــك ترضى   بأن اكــون بيـاده

وبقيت السيارة لا ادرى هل من أجل شفاعة والدتى أم شفقة على أم من أجل القصيدة أم من أجل كل هذا مجتمعا ٠ والعجيب اننى نسيت هذه الواقعة التى حدثت عام ٤٦ حتى ذهبت الى الدوحة عاصمة قطر فى أوائل السبعينات وبينما يجـرى معى المذيع حديثا فى الراديو فاذا به يفاجئنى بحكاية السيارة كاملة وبالأبيات التى نشرت بمجلة الصباح والتى كنت نسيت أمرها تماما ٠

وهكذا كان أبى فى معاملتى لى أنا وشامل اما اذا عامل اختى فالأمر مختلف كل الاختلاف فهو يفيض عليها الوانا من الحب الذى لا يحاول أن يتخفى ولا يستتر ٠

اما والدتى فقد كانت تفيض عن نهر متدفق من الحنان والرحمة والحب ولكنها مع ذلك كانت تعرف متى تغضب ومتى تعاقب ، تذكر لها سيدة جليلة من قريباتنا انها دخلت يوما الى منزلنا فرأتنى واقفا أمام مرآة ارجل شعرى ومن خلفى أمى كلما رجلت أنا شعرى نكشته هى وأنا أصر على الترجيل وهى تصر على النكش فقد كانت تأبى لى منذ الطفولة أن يكون اعتزازى بشعر مرجل ٠

وأذكر أنا أننى كنت فى الابتدائية وكان الامتحان قد اقترب ودخلت أمى الى حجرة نومى فوجدتنى أقرأ فى كتب غير كتب المدرسة فثارت على ثورة جامحة وكنت واثقا من مكانتى عندها فرأيت أن أهددها بهذه المكانة فاذا أنا أصيح : والله العظيم انتحر ٠٠

فاذا هذه الأم التى تعبد أولادها بعد الله والتى لم تتجاوز فى تعليمها مرحلة القراءة والكتابة تذهب الى الشباك فى خطى واثقة ثابتة جليلة وتفتح الشباك وهى تقول فى حسم تفضل انتحر ٠

وانكسرت حدتى وعلمت منذ ذلك اليوم أن الموت قد يصب الذعر فى نفس الأم اذا اقترب من ابنها ولكن الخيبة أيضا تفعل الأمر نفسه ٠

كان أبى وأمى فى طليعة الجيل الذى كان ينادى كل منهما الآخر باسمه مجردا ٠ وقد يدهش القارىء من هذا الذى أقول وربما تزول هذه الدهشة اذا علم أن الجيل السابق لهما وكثيرا من جيلهما كان الزوجان من ابنائه يتناديان بالالقاب فتقول الست فلان باشا أو فلان بك ويقول الرجل يا هانم أو يا فلانه هانم وهذا ما لم نشهده نحن فى بيتنا وانما شهدته فى بيوت بعض أقاربنا ممن هم فى جيل أبى وأمى ٠

كان أبى متحضرا فى ثقافته تحضرا لا أراه فى كثير ممن يعيشون معنا الآن ٠ كان أبى مثلا يعجب بالكتاب الروائيين وكتاب المسرح اعجابا لا حدود له وربما يرجع ذلك الى ثقافته الفرنسية الواسعة والى حبه للغة الفرنسية واجادتها اجادة المثقفين من ابنائها ٠ وانى أرى كثيرا من الأدباء المعاصرين وخاصة من الشعراء لا يعتبرون الرواية أو القصة أدبا على الاطلاق ٠ ويكثر هؤلاء بصورة واضحة فى الشعراء العرب خاصة ٠

وقد شعرت فى أسفارى فى البلاد العربية أننى لو لم أكن من كتاب المقال الأدبى والسياسى ما وضعنى هؤلاء الشعراء فى عداد الأدباء أو الكتاب ٠

ومن مظاهر الحضارة المذهلة فى خلق أبى أننى حين كنت فى السابعة من عمرى وكنت فى السنة الأولى الابتدائية بمدرسة المنيرة أعجبت بالموسيقى وكان بالمدرسة فرقة موسيقى يشرف عليها عازف الكمان الشهير

اسماعيل العقاد · وانضممت أنا الى هذه الفرقة وطلبت من أبى أن يشترى لى آلة كمان لأعزف عليها ففرح لمطلبى فرحا بالغا وسارع بشراء الكمان وكان ثمنها فى ذلك الحين خمسة جنيهات · وناهيك بخمسة جنيهات فى سنوات الأزمة الطاحنة · الا أننى للأسف أخلفت ظنه ولم أفلح فى العزف على الكمان ولم أتجاوز فى هذا الفن عزف السلم الموسيقى ·

***

ان ذكرياتى فى بيت شارع الملك الناصر تنثال على ذهنى فما أدرى أيها أترك وأيها أثبت مع أننى تركت هذا البيت وأنا أخطو الى الثانية عشرة من عمرى ·

لا أستطيع أن أنسى مثلا أن محمد باشا محمود زعيم حزب الأحرار الدستوريين وابن الرجل الذى عرض عليه الملك فأبى كان يزور أبى كثيرا فى هذا البيت وكان أحيانا يأتى وأبى فى الدور الأعلى لم يكمل ارتداء ملابسه فكان يأمرنى أن أذهب فأجالس محمد باشا محمود حتى ينزل هو ولم أكن أجد فى هذا الأمر غرابة · ولم أتبين هول الموقف الذى كنت أتعرض له الا حين بلغت السن التى تمكننى من معرفة قدر الرجل الذى كنت أرسل لمجالسته ·

وأذكر أن محمد باشا جاء يوما يسأل عن أبى وكنت ألعب فى فناء البيت وحين رأيت سيارته تقف بباب المنزل قصدت اليه وكأننى أتصدى الى صديق مثلى وسألنى عن أبى ولم يكن بالمنزل فجاذبنى الحديث فأخبرته أننى طلبت من أبى كرة فأبى أن يشتريها لى وقد رويت له ما رويت وكأنه ترب من أتراب ملعبى أفضى له بمضايقاتى فى الحياة ·

وفى اليوم التالى كانت سيارة محمد باشا تقف بالباب ويتدحرج منها كرة من أفخر الأنواع وأذكر أن ماركتها كانت حرف تى بالانجليزية وكنا نحن الأطفال نسمع عن عظمة هذه الماركة كأنها حلم من الأحلام هيهات أن يتحقق لنا رؤيته ·

وأذكر أيضا من العظماء محمود باشا عبد الرازق كبير عائلة عبد الرازق وكان يحبنى وكان اذا جاء الى البيت يحرص أن يسأل عنى قبل أن يسأل عن أبى فاذا وجدنى راح يلاعبنى ويداعبنى ولا يعنيه ان كان أبى موجودا أم لا حتى يأتى أبى · أما الرجل الذى اعتبرنى ابنه وكان دائم السؤال عنى فهو الشخصية الاسلامية والسياسية الاسطورية عبد الحميد بك سعيد وكان رجلا شخما لم أر أحدا فى مثل مهابته وكان ملتحيا وكان يمسك بعصا غليظة لم أر شبيها لها ·

وقد علمت حين كبرت قليلا أنه لم يتزوج وكان اخوته حين يلحون عليه أن يتزوج يقول : يكفيني ثروت بن دسوقى فهو ابنى ·

ذهبت مرة الى مجلس النواب وأنا فى العاشرة من عمرى وكان أبى وكيلا لمجلس النواب ولقينى عبد الحميد بك سعيد وأنا فى طريقى الى حجرة أبى بالمجلس فاذا هو يقبل على فى تهليل عظيم وفى ترحيب خجلت له وراح يقول : أجيب لك ايه ·· أديك ايه ·· خذ ·· وأعطانى سبحته ذات الحبات التسع والتسعين ، وصحبنى الى حجرة أبى وطلب لى كوب خروب وكان بوفيه المجلس شهيرا بخزوبه ·

وانتقلنا الى بيتنا فى العباسية رقم ١٠ شارع الجنزورى وكان يقع على ميدان كبير · وكان البيت غاية فى الفخامة اذا قورن ببيت الملك الناصر · وغاية فى الضخامة اذا قورن بغيره من البيوت · ولا يمكن أن نطلق عليه قصرا بأى حال من الأحوال انما كان بيتا واسع الابهاء رحب اللقاء بعيدا عن الفخامة اذا أنت قارنته بقصور الأثرياء · كان البيت مكونا من طابقين فى كل طابق سبع غرف · وكان البدروم أيضا يحتوى على سبع غرف ، وكان بالسطح أربع غرف · فالبيت اذا كان مكونا من خمس وعشرين غرفة · وكان له سلاملك يصلح للسكنى ولكن صاحب البيت الذى باعه لنا المهندس حسين عزى كان قد باع السلاملك قبل أن يبيع لنا البيت واشترى أبى هذا السلاملك قبيل وفاته بسنوات قليلة · ثم بعنا نحن البيت والسلاملك جميعا بأثمان غاية فى الضآلة بعد وفاة أبى · فلم يكن من المعقول أن نحتفظ بهما وقد أصبح لكل منا نحن الاخوة الأربعة أسرته الخاصة ·

مكثت فى هذا البيت منذ أول يناير عام ١٩٣٩ حتى ١١ يونيه عام ١٩٥٠ وهو اليوم الذى تزوجت فيه وانتقلت الى بيتى بالزمالك لأكون أسرتى مع زوجتى ابنة عمى الشاعر الكبير عزيز باشا أباظة · وعزيز باشا ليس فى مكان عمى اذا نظرنا الى الترتيب الأسرى وانما نشأت أقول له يا عمى لفارق السن · أما هو ففى مكان ابن عمى لأن أباه ابن عم أبى ·

حين ذهبنا الى العباسية كنت أنا متقدما للشهادة الابتدائية وقد رأى أبى أن ينقلنى الى مدرسة العباسية القريبة من البيت وقد نلت منها الشهادة الابتدائية · ثم دخلت مدرسة فاروق الأول النموذجية وظللت بها حتى السنة الرابعة الثانوية · وبالطبع كان الناجح فى هذه السنة يمنح شهادة كانت تسمى شهادة الثقافة · وبالطبع كنت مصمما ان انتسب الى القسم الأدبى فى التوجيهية التى تقابل اليوم الثانوية العامة ولم يكن بمدرسة فاروق قسم أدبى ، فانتقلت الى مدرسة فؤاد الأول ونلت منها التوجيهية

وتقدمت الى كلية الحقوق عام ١٩٤٦ وتخرجت فيها عام ١٩٥٠ وكنت تزوجت قبل أن تظهر النتيجة ، والعجيب اننى نجحت فى جميع سنوات الانتقال فى الكلية الا فى السنة النهائية التى تزوجت بعد الانتهـــاء من امتحاناتها · فقد ظهرت النتيجة واتضـــح ان عندى ملحقا فى علمين · فكنت اذاكر وأنا متزوج والحمد لله نجحت ولم أضطر الى اعادة السنة · وهكذا تسلمتنى زوجتى أبقاها الله ورعاها وأنا طالب لا أزال ·



أنا والكتابة

كنت فى السنة الرابعة الثانوية بمدرسة فاروق الأول وكان الأستاذ ضاحى هو مدرس اللغة العربية وقد طلب الينا أن نكتب موضوع انشاء اذكر عنوانه الآن ٠ وكتبت الموضوع واستعملت فيه فعل تساءل على وزن تفاعل ٠ فاذا الأستاذ ضاحى يضع خطا احمر تحت الفعل ، ويقول تساءل على وزن تفاعل وتفاعل أى تبادل الشىء بينه وبين انسان آخر فالفعل خطأ ٠

وذهبت الى البيت وكشفت فى القاموس فوجدت الأستاذ مخطئا خطأ فادحا ٠ فكتبت كلمة عن خطأ الأستاذ ٠

وكنت فى ذلك الحين أنعم بصداقة من نوع عجيب هى مزيج بين الأستذة والصداقة فى وقت معا ٠ فقد كان الأستاذ العوضى الوكيل الشاعر العظيم من الذين يحبهم أبى حبا جما وكان يزورنا يوميا وطلب اليه أبى ان يستقدم لنا مدرس لغة انجليزية لى ولأخوتى فصحب الى بيتنا الأستاذ عثمان نويه الذى قامت بينى وبينه هذه الصلة فقد كان اديبا من الطبقة الأولى فى اللغة العربية والانجليزية على السواء ، ومنذ اللقاء الأول شعر كل منا أنه قريب الى الآخر قربا لا يكون الا بصداقة سنوات طوال وكان والد الأستاذ عثمان نويه قاضيا شرعيا زميلا للأديب العملاق أستاذ الأجيال وعميد كلية الآداب فى ذلك الحين احمد بك امين وكان أستاذنا احمد بك أمين يرعى شئون عثمان نويه واخوته بعد وفاة والدهم فكان منه بمثابة الابن ٠

أطلعت عثمان على ما كتبت وسألته ان كان يمكن أن ينشر لى هذه الكلمة بمجلة الثقافة ٠ وكان عمرى اذ ذاك ستة عشر عاما فشجعنى ٠

وذهب بالكلمة الى أحمد بك أمين وعرضها عليه وحين قرأها

الأستاذ العميد قال لعثمان : أهى لمدرس زميلك · وتردد عثمان قليلا وقال انما هى لمحام صديق ·

وفوجئت بالكمة تنشر وكنت قد مهرتها بتوقيع تلميذ قديم واتخذت لها عنوانا تصحيح أوراق ·

ولم تسلم الكلمة من بعض الحذف · ولكنها على أى حال نشرت وأنا اليوم أكتب هذا الكلام ولى بين يدى القراء أكثر من خمسة وثلاثين كتابا ، ولكننى لم أفرح بظهور كتاب لى ولا حتى كتابى الأول ابن عمار قدر فرحى بنشر هذه الكلمة الصغيرة القليلة فى باب البريد وبتوقيع لا يحمل اسمى · وربما أدرك القراء من الشباب أننى محق فى هذا الفرح اذا هم علموا معنى أن ينشر كاتب فى مجلة الثقافة التى يرأس تحريرها أحمد بك أمين جميعا وتشرف عليها لجنة التأليف والترجمة والنشر بمن فيها من أسماء يعتبر كل اسم منها أمة فى ذاته ·

وقد سعد أبى أن نشرت فى الثقافة ولم يكن صديقا لأحمد بك أمين وانما كان يعرفه معرفة قارىء لكاتب ·

أحدث نشر الكلمة انفجارا فى المدرسة فقد عرف زملائى جميعا اننى كاتبها فالحوار الذى قرأوه فيها كان بمشهد منهم · كان التلاميذ فى ذلك الحين يقرأون المجلات الأدبية ·

واستدعانى ناظر المدرسة الرجل العظيم نجيب بك هاشم أطال الله عمره وطلب الى فى عذوبة ورقة الا اكتب شيئا بعد ذلك عن أساتذتى ، ووعدت بذلك والفرحة تخفق خفق أجنحة النسر بين ضلوعى ·

ذهب عثمان نويه الى أحمد بك وأخبره ان صاحب الكلمة تلميذ بالسنة الرابعة الثانوية التى كانت تسمى الثقافة والعجيب ان احمد بك فرح بدلا من أن يغضب وطلب أن يرانى ·

وتولانى الرهب وأنا فى طريقى الى الأستاذ العميد · ولكن كم كان أنيسا وأبا وانسانا · أبدى رضاءه عنى وكان منى بعد ذلك بمكان الأستاذ الحانى أو الأب الشفوق ·

وطلب الى أن أكتب · فكتبت مقالة عن الشاعرين أحمد القرعيش وتوفيق عوضى أباظة بعنوان شعراء مجهولون واخترت أبيات الأستاذ توفيق التى شكا بها عزيز باشا الى جمال بك ·

ولم تنشر الكلمة · وانتظرت طويلا ، والعجيب أن أبى رحمه الله كان ينتظر معى ولم تنشر الكلمة ·

واقبل الصيف وانتقلنا الى رأس البر وكنت أذهب كل أسبوع الى مرسى العبارة القادمة من دمياط الى رأس البر واشـــترى مجلة الثقافة ولا أجد الكلمة · وتولانى حزن شديد · وفى يوم نزلت الى البحر فاذا بى أرى عن بعد رجلا يلف وسطه بقرعتين ويضرب المـــاء بيديه فى كبرياء وجلال · اقتربت منه فاذا هو أحمد بك أمين · كم فرحت ، وســـألته عن الكلمة فقال : لقد طلبت اليهم أن يؤجلوا نشرها حتى نستأذن عزيز باشا ·

قلت : وفيم الانتظار أكتب أبياتا أخرى للشاعر نفسه ·

قال : يكون أحسن ·

وطرت من الفرح وذهبت الى البيت ورويت لأبى ما كان وكتبت المقالة نفسها فقد كنت احتفظ بصورة منها واخترت لتوفيق أبياتا أخرى ·

وفى الأسبوع التالى نشرت المقالة كما كتبتها تماما · كم كان أسبوعا رائعا فى حياتى فقد ظهرت فيه نفسه نتيجـــة الثقافة وجاءتنا برقيـــة من أستاذى وقريبى الأستاذ عبد الله عوضى أباظة المدرس بوزارة المعـــارف يهنئنى بنجاحى وحصولى على شهادة الثقافة ·

لقد اختصر أحمد بك أمين من كلمتى الأولى حين هو يعتقد أننى محام · ولكنه منذ عرف أننى تلميذ لم يضع قلمه فى مقال لى قط :

فقد توالى نشرى بعد ذلك للمقالات فى الثقافة وكنت أزور العميد فى بيته وحدى أحيانا أو مع عثمان أحيانا أخرى · وأذكر أنه نصحنى بقراءة كتب كثيرة من التراث أذكر منها العمدة لابن رشيق والأمالى لأبى على القالى وغيرهما وأذكر وأنا طالب فى التوجيهية ان ظهرت رواية العباسة لعزيز باشا وقد أنعم عليه الملك برتبة الباشوية تقديرا لشاعريته بمناسبة رواية العباسة ·

ولكن الأستاذ يحيى حقى كتب فى مجلة الثقافة مقالة غاية فى العنف يهاجم رواية العباسة ويهاجم عزيز باشا فى ضراوة أذهلتنى · وكتبت مقالة أرد عليها · والشباب اندفاع وتهور فقد كنت فيما كتبت قاســـيا غاية القسوة · وأرسلت المقالة الى مجلة الثقافة ·

ولم ينقض يومان حتى فوجئت باحد الخـــدم فى بيتنـــا يقول كلم التليفون قلت من فقال فى بساطة أحمد أمين وذهبت وجريت الى التليفون فلم يكن العميد قد طلبنى قبل ذلك اليوم قط · وشعرت بالرهبة أن يطلبنى أنا التلميذ بالثانوى عملاق من عمالقة لغة الأدب فى العالم العربى وعميد كلية الآداب ·

جريت الى التليفون وجاءنى صوته الطيب البسيط الهادىء ··· أنا أكلمك كأحمد أمين الوالد لا أحمد أمين رئيس تحرير الثقافة · مقالتك فى الرد على يحيى حقى فى المطبعة فعلا ولكننى أرجوك أن تخففها فان الرجل فقد زوجته منذ قريب ولا احب أن تسىء اليه وهو فى حالته هذه · ان رأيت ان تستجيب لرجائى اكون شاكرا وان رأيت أن تبقى المقالة كما هى فهى فعلا فى المطبعة · وقلت فى اذعان سريع ودون ريث تفكير : أمرك يا سعادة البك ·

وكنت اتكلم من حجرة مكتب أبى فى البيت فاستبحت لنفسى أن أجلس على مكتب أبى فورا ولا أضيع وقتا فى الانتقال الى حجرة مكتبى ورحت اكتب المقالة فى ردى عليه ودون هجوم ، ونزلت من فورى وذهبت الى مقر مجلة الثقافة بشارع الكرداسة ودخلت الى المطبعة مباشرة دون أن أصعد الى عم عبد المتعال المشرف الادارى على المجلة ·

كان العميد صادقا · ومن الحتم أن يكون صادقا · وجدت مقالتى فى المطبعة فعلا فطلبتها من الطابع وأعطيته المقالة الأخرى وأحسب انها نشرت دون حتى أن تمر على العميد رئيس التحرير · كم كان عظيما ذلك الرجل احمد بك أمين ·

العجيب اننى لم اكن قد تعرفت بالأستاذ يحيى حقى حتى ذلك اليوم ولكننى كنت قرأت له قنديل أم هاشم وأعجبت بها فى ذلك الحين كل الاعجاب كما اعجب بها ابى · واذكر أن أبى هو الذى أعطاها لى وهو يمدحها ولكنه أمرنى ألا اقرأها الا بعد ان انتهى من الامتحان الذى كـان وشيكا ولكننى خالفت أمره وليغفر لى الله · وأقفلت على نفسى حجرة مكتبى فى نفس اللحظـة التى تركنى فيهـا أبى ولم أخـــرج الا بعد أن انتهيت من قراءة القصة ·

انما عرفت الأستاذ يحيى حقى شخصيا بعد ذلك حين أصـبح أبى وزيرا للخارجية وكان الأستاذ يحيى حقى مديرا لمكتب وزير الخـارجية · وقدمنى أبى اليه فنظر الى مليا وقـال لأبى لقد تعرفت عليه قبل ذلك دون أراه من مقالته عنى فى مجلة الثقافة ، وضحك الرجل وضحك أبى وشعرت أنا ببعض الحرج ·

··· حرج المواجهة فقط · فلم يكن بالمقالة ما يحرج بعد أن أعدت كتابتها استجابة لرجاء الوالد احمد امين لا رئيس التحرير كما شاء هو ان يتلطف فى الرجاء ·

كان هذا هو بدء الكتابة عندى ثم جاءنى رسول من الأستاذ العظيم أحمد حسن الزيات صاحب الأسلوب الذى لا مثيل له فى عصره وقد تبنانى

الرجل وأصبحت من كتاب الرسالة ولا احسب اننى فى حاجة ان اذكـر المجلات التى كتبت بها وحتى اذا حاولت فالذى لا شك فيه أن الذاكرة ستخوننى ٠

ولكن ربما يجمل بى أن أذكر كيف كتبت كتابى الأول ابن عمار ٠ كان ذلك عقب وفاة أبى الذى انتقل الى أكرم جوار فى ٢٢ يناير عام ١٩٥٣ ولكن يبدو أن هناك كثيرا مما يقال قبل ان أصل الى بداية تأليفى للكتب ٠



. .

الـــكتب

فقبل ذلك اتصـــلت أسبابى بالشاعر الكبير والد زوجتى عزيز باشا ؟ وقد يعجب القارئ من قولى اتصلت اسبابى وكأننى لم أكن أعرفه والقارئ محق اذا عجب • لقد كانت صلتى به وثيقة منذ ولدت بطبيعة الحـــال • ولكن هناك فرق أن يعرفنى كابن لأبى وبين ان يعرفنى كواحد من هـــواة الأدب • والأسرة الأباظية كثيرة العدد وهكذا لا يمكن ان تكون صلة البيوت بعضها ببعض على درجة واحدة • ولكن صلة بيتنا ببيت عمى عزيز باشا كانت من أوثق الصلات ، فزوجته وأمى كانتا صديقتين لصيقتين وكانت صلة عمى عزيز بأبى صلة أخ أصغر بأخ أكبر يحبه ويقدره غاية التقدير • وربما كان من الطريف أن أنقل هنا قصيدة كتبها عزيز باشا وهو بعد طالب بكلية الحقوق عام ١٩٢٤ يهنئ فيها أبى بمناسبة زواجه من والدتى وهى فى نفس الوقت ابنة عم أبى • ولم يكن يقع حسبان عزيز أباظة ان هـــذا الزواج سيثمر من سيصبح فيما بعـــد زوجـــا لصغرى ابنتيه • يقـــول عزيز أباظة الطالب بكلية الحقوق :

حى الغزالى وقل بلغت منزلة
منفوسة فى الشباب المونق الحالى

موفورة الحظ من شأو يقصر عن
ادراكـــه غيره الا بآمـــال

قالوا الشبيبة طرف اللهو محتدما
فقلت بل طرف اخـــلاق واعمـــال

وقفت انضر أيـــام الحيـــاة على
درك المحامد فينـــا والسنا العالى

فنلت فى غير عسر ما نهضت له
والمجد صعب على طـــلابه غالى

يا صاحب القلم السحرى ترسله
فيبعث الآى فى أسلوبهـا الحـالى

وصاحب الخطب الفيحاء تنثرها
نثر الـلآلىء فى قاعات لآل

ليهنـك اليـــوم ان تبنى بطاهرة
بين الندى نشأت والنبل والمال

غنى بفضل ابيها الناس قاطبة
ووفقت بعد فى عم وفى خال

زين الغوانى الأباظيات قد ظفرت
بالمنافع المرتجى والباذل الغالى

الساكب العرف والمأمول جانبه .
والصائب الرأى والتدبير والقال

ان الزواج لمؤت خير عاقبـة
اذا التزاوج لم يخرج عن الآل

لا تصغ للطب فى هذا وخذ ثمر
التجريب تحيا رضى النفس والبال

تحنو على وترعى غيبتى أبـدا
على الليالى بنات العم والخـال

يرضين علمى وجهلى لا يضقن به
ذرعا ويحمدن اكثارى واقلالى

ويغتبطن باجمـال يشـدون به
وقد يكون ضئيلا شأن اجمالى

لزلتما تشهدان العيش متسقا
والدهر فى حدب منه واقبال

وقد ظلت هذه العلاقة عائلية · وكنا نحن الأبناء نتسامع بشعر عمنا عزيز ولكن لم يكن له عمل شعرى متكامل وكان تصورنا انه مجرد هـاو يقول الشعر فى المناسبات العائلية الظريفة يحيى بهـا اقاربه حتى فجعه الدهر وفجعنا جميعا بوفاة السيدة زوجته التى عاشت ما عاشت من عمر شعاعا من نور وحب على كل اقربائها · ما اختلفت يوما مع أحد ولم نسمع عنها نحن الذين فى عمر ابنائها الا المديح والثناء ومثلنا نحن الأطفـال يسمع ما لا يسمعه الكبار فالسيدات لا يتحرجن ان يذكرن غيرهن بصراحة امامنا واشهد الله ما رأيت من هذه السيدة الا سماحة فى اللقاء واشراقا فى التحية وترحيبا فى الاستقبال · وما سمعت عنها من سيدة فى الأسرة

الا ما يجعلها فى مرتبة رفيعة من الانســـانية ، فكأنما كانت بينهن ملاكا لا يصنع الا النور ولا يشيع الا الرضى والايناس والطمأنينة ٠

وتفجر ينبوع الشعر فى اهداء زوجها الشاعر الأصـــيل الذى كان قبل وفاتها لا يجد ما يقول فيه وشاء القدر أن يكون الألم المرير والفجيعة القاصمة وشجرته التى اجتاحها القدر هى التفجير لموهبته الشامخة فكان ديوانه الأول انات حائرة الذى أصعده شهابا فى سماء الشعر العربى دون أى تمهيد عند من لا يعرفونه ثم كان بعد ذلك عزيز أباظة ثانى اثنين فى ميدان المسرح الشعرى وآخر العمالقة فى جيل شوقى وحافظ ومطران ٠

حدث أن قرأت له محاضرة يقول فيها : والنصائح هى أثقل الطيبات على النفوس ٠ وأعجبتنى العبارة واستعملتها فى مقالة لى نشرت بجريدة الثقافة وقرأها عمى عزيز وكأنما عجب أن يقول فتى يافع فى عمر ابنته ما قاله هو وفوجئت به يطلبنى فى البيت يبدى اعجابه بالمقالة فقلت له ان اهم ما فيها العبارة التى اقتبستها منك ، وتعجب ان اكون قد حصلت على المحاضرة فقلت له انها طبعت وجاءنى منها نسخة وبدات بينى وبين عمى عزيز علاقة أدبية هى علاقة شاب بأبيه وعلاقة معجب بعملاق ٠ وكان عمى عزيز مديرا لأسيوط ذلك الحين فكنت أنا اقوم بالاشراف على طبع رواياته فى القاهرة كما قمت بتصحيح اللغة العربية للممثلين فى مسرحياته ، ومع الأيام كانت العلاقة تتوطد زادها قوة حب عارم نشـــأ فى قلبى لابنته عفاف ٠

نوع عجيب من الحب ٠ فهو جارف عنيف مندفع متدفق وهو فى نفس الوقت بعيد عن اللوعة والأسى والخوف والسهر والوجد ، وأحسب ان قليلا من الناس نعموا بهذا الحب ٠ وانى واثق ان الندرة من الناس نعموا بما نعمت به من اعقاب هذا الحب الذى أصبح زواجا وأصبح الزوجان فيه فردا لا اثنين ٠ كل منا يسعد للآخر اكثر آلاف المرات مما يسعد لنفسه وكانت ابنتى ونور عينى واشراقه نفسى ابنتى أمينة وكان ابنى ونور أيامى وشعاع طريقى دسوقى ٠

وفى يوم سافر عمى عزيز الى الخارج وعهد الى أن أضبط الشكل على قواعد النحو مع المخرج العظيم فتوح نشاطى الذى كان بسبيله الى اخراج رواية غروب الأندلس ٠ وتوثقت صلتى منذ ذلك اليوم بالأستاذ فتوح نشاطى ٠ وكنت فى ذلك الحين قد بدات اكتب تمثيلياتى الاذاعيـة بناء على دعوة من الأستاذ على الراعى فقد لقيته فى ترام العباسية وعرفت منه أنه سيسافر بعد بضعة شهور الى لندن ليحصل على الدكتوراه وابدى الأستاذ الراعى الذى أصبح فيما بعد الدكتور على الراعى اعجابه بالمقالات التى يقرؤها لى فى الثقافة والرسالة وخص باعجابه لغة الحوار مما حدا

به أن يدعونى ان أكتب تمثيليات اذاعية وأشهد الله اننى لولا هذه الدعوة من الدكتور الراعى ما فكرت مطلقا فى كتابة تمثيليات للاذاعة ٠

وكنت حين اتصلت أسبابى بالأستاذ فتوح قد كتبت عدة تمثيليات مما جعله يعرض على أن اشترك فى كتابة مسرحية عن الصداقة التاريخية بين المعتمد بن عياد الأندلسى ووزيره ابن عمار وطلب الى أن أقرأ تاريخ الأندلس للعلامة دوزى وكان الأستاذ كامل كيلانى قد ترجمه الى العربية ٠

وقرأت الكتاب وكتبنا المسرحية معا ٠ ولكننى أنا وضعت عينى على شخصية ابن عمار كنموذج درامى قل أن يتكرر ٠

أما مصير المسرحية فقضى عليه الأستاذ يوسف وهبى برفضه لها رفضا قاطعا وأنا الآن وقد بعد العهد بينى وبينها لا أدرى هل رفضها لأنها تستحق الرفض أم لأسباب أخرى ٠

ولم تمض الا شهور قليلة حتى فجعنى الدهر بموت أبى وكانت ضربة قاصمة بالنسبة لى فلم يكن مجرد أب أو مثل أعلى أو شخصية أسطورية أو حياة كاملة بالنسبة لى وانما كان هذا جميعا وأكثر ٠

وفى نفس الفترة فجعت بوفاة طفلى الأول وهو جنين ٠ وأصبحت حياتى ظلاما قاتما ٠

وكنت فى ذلك الحين أعمل بالمحاماة ولكنه كان عملا غير منتظم ٠ فالمحاماة فى ظل الحكم القاهر الشمولى لا حياة لها ٠

وكنت أحب أن أبدأ حياتى بوظيفة وقد حصلت على شهادة الحقوق وأنا زوج وطلبت الى أبى أن يوصى بى صديقه اللصيق د ٠ حافظ عفيفى باشا الذى كان رئيس مجلس ادارة بنك مصر فقال فى حسم :

ـ أتنتظر منى أن أرفع سماعة التليفون وأطلب من أى شخص أن يعين لى ابنى ٠

وصمت ٠٠ وأدركت ٠٠٠ كيف لرجل عاش عمره مقصد الرجاء للناس أن يرجو هو الناس من أجل ابنه الذى هو ابنه ٠ وهكذا لم أشغل وظيفة جديرة بهذا الاسم الا بعد ذلك بربع قرن حين اختارنى الزعيم الخالد أنور السادات رئيسا لمجلس ادارة مجلة الاذاعة والتليفزيون ٠

وهكذا كانت سنة ١٩٥٣ سنة من أعظم السنوات بلاء بالنسبة لى وأى بلاء يمكن أن يحيط بانسان أكثر من أن يفقد أعظم انسان فى حياته واحب انسان اليه ٠

وهو من قبل ومن بعد أبوه · ويفقد فى نفس الفترة أول طفل قبل موعد ولادته بأيام ولا يجد ما ينسيه بلواه وقد تعددت أشكال بلواه · فهو فى نفس الوقت ليس له عمل ثابت يستطيع وهو يؤديه ان ينسى شيئا مما يتكدس فى حناياه من أحزان ·

فى هذه الأيام بدأت كتابة رواية ابن عمار · وكان كل أملى وأنا أكتبها ان أجد لها ناشرا · وحين انتهيت منها توجهت الى الأستاذ عادل الغضبان المشرف على النشر فى دار المعارف وكنت أعرفه من قبل ، وكان يقرأ ما اكتبه فى الجرائد · فقد كنت فى ذلك الحين أكتب فى جريدة المصرى بصورة منتظمة فقد كان لى عمود أسبوعى فى الصفحة الأخيرة بعنوان أضواء · وكان صديقى عبد الرحمن فهمى رئيس القسم الرياضى بجريدة الجمهورية الآن زميلا لى فى كلية الحقوق وكان آل أبى الفتح أخواله وهكذا أصبح لى عمود ثابت فى جريدة المصرى وكنت أكتب بشكل غير منتظم فى كثير من المجلات فى ذلك الحين ، وهكذا وجد الأستاذ الشاعر عادل الغضبان أن اسمى لن يكون غريبا على القارىء اذا هو نشر الكتاب · ففعل ·

كنت قد تعرفت بأستاذنا العظيم توفيق الحكيم فى عام ٥٠ وسأروى لك كيف تم ذلك · حين ظهر كتابى ابن عمار اهديته اليه فاعجب به كل الاعجاب وقال انه يصلح سينما وقال انه كان يفرك الصفحة الأخيرة بأمل أن يجد صفحة أخرى · وملأنى الزهو بهذا الرأى · وطبعا أهديت نسخا من الكتاب للأصدقاء فى جميع الجرائد والمجلات وقد كانوا كثيرين وعجبت ان أحدا منهم لم يذكر شيئا عن الكتاب على الاطلاق وكنت أجلس مع استاذنا الحكيم فى جروبى سليمان باشا وشكوت له اهمال النقاد هذا فقال ان الشهرة تأتى اليك اذا ذهبت الى بار فى أحد الكباريهات واتفقت مع راقصة اما ان تصفعك قلما أو تصفعها قلما تصبح مشهورا فى لحظة · اما طريق الكتب هذا فطريق وعر وغير مضمون على الاطلاق · فضحكت فأنا لم أجلس فى حياتى الى بار ولا ذهبت عمرى الى كباريه · كما اننى لست أسعى الى الشهرة ولا تعنينى وانما كنت أريد أن أكتب وأحس ان هناك من يقرأ لى ، وأقبل الصيف وكنت أجالس أستاذنا الحكيم فى مقهى بترو وحدث أن ذهبت الى المقهى مبكرا بعض الشىء فوجدت توفيق بك وحده · وما أن قعدت حتى التفت الى وقال :

- مبروك يا سيدى ·

وأحسست رنة عجيبة فى صوته ·

فقلت :

- علام ·

فقال :

ـ قرروا كتابك على طلبة الاعدادية هذا العام ·

وكدت أطير من الفرح وسألته وأنا أحاول أن أخفى فرحى :

ـ أين قرأت هذا ·

فأعطانى جريدة الأخبار فوجدت الخبر مكتوبا فى ركن أخى الأستاذ انيس منصور وتفضل الذى كتب الخبر فوضع بعده علامة تعجب · وكأنما لم يكف الصحافة اهمالها بشأن الكتاب وانما راحت أيضا تتعجب أن وزارة المعارف قررته على طلبتها فى الاعدادية · وكم كان الأستاذ توفيق الحكيم خفيف الظل وظريفا وهو يقول فى عفوية :

ـ شوف ولاد الكلب يأخذون كتابك ويسيبو كتابى ·

وبتقرير كتابى ابن عمار تشجع أن ينشر لى روايتى هارب من الأيام وقد نلت عليها جائزة الدولة التشجيعية فى أول انشائها وكان لهذه الرواية قصة مع عميد الأجيال الدكتور طه حسين وانى راويها لك ان شاء الله فى مكانها الذى ستفرضه هى على ·



شخصيات

عبد الفتاح الشناوى

هناك شخصيات كثيرة فى حياتى اخترت بعضها لأننى لا اتصور ان اكتب هذه الذكريات ولا تكون هـذه الشخصيات جـزء منها • ولو كنت اكتب رواية ما تولتنى الحيرة التى تتولانى الآن فالشخصية فى الرواية أنا اصفها للموقف الذى أصنعه أنا أيضا ولكن حياتى وذكرياتى ومن عرفتهم لا حرية لى فى شأنهم الا حرية الاختيار • ولو أطلقت لنفسى العنان وذكرت أقاربى جميعا وأصدقائى جميعا لما أمهلتنى الحياة حتى انتهى من كتابى هـذا • وأحسب ان الحسم القاطع هـو خير وسـيلة لى فى اختيار الشخصيات •

منها ذلك الرجل العظيم الذى تربطنى به حتى اليوم صداقة لا عهد للناس بها الا فى القليل النادر من الصداقات •

انه عبد الفتاح الشناوى • عرفه أبى أول يوم عرفه وهو طالب ثائر بكليته العتيدة دار العلوم ، وكان أبى عرف ان الشرطة تحاصر الطلبة فى الكلية فذهب الى هناك ورأى طالبا خالعا لحلته مكتفيا بملابسه الداخلية ممسكا بخرطوم ماء يصد به تشكيلات الشرطة كلما اقتربت من الكلية • وسأل عنه فعرفه وكان طالبا بالسنة النهائية فى دار العلوم • وقبض على الشاب فى هذه المظاهرة ثم سرعان ما افرج عنه وعرفته أنا منذ لا اذكر متى فقد كان كثير الزيارة لأبى ونحن ما نزال نسكن بيتنا فى شارع الملك الناصر • وأصبح بعد ذلك سكرتيرا لأبى فى وزارة المواصلات والأوقاف ثم مديرا لمكتبه وعلى اختلاف السن بيننا قامت بيننا صداقة لم تزل حتى اليوم أقوى ما تكون الصداقة واحسب انه مر عليها من الزمن قرابة خمسين عاما • لم أعرف فى حياتى نقاء فى السريره ، وصدقا فى الوفاء ، وتمسكا بالعهد ، وحفاظا على الكرامة ، وفناء من أجل الفكرة أو الصديق مثلما

عرفت فى هذا الرجل مع ايمان بالله عميق وعلم بالشريعة دقيق ومع تذوق رفيع للادب وقلم متدفق صادق مع صاحبه غاية الصدق حتى لتكاد ترى قلب الرجل يدق فى كلماته ·

اروى عنه رواية واحدة · وهى حسبى · كانت الثورة فى عنفوان سلطانها وجبروتها وكان هو مديرا لمكتب وزير أوقاف من وزراء الثورة · وجاءه خطاب ممهور بتوقيع مدير مكتب رئيس الوزراء موجها الى الوزير شخصيا · فأمسك سماعة التليفون وطلب مدير مكتب رئيس الوزراء :

ـ سيادتك مدير مكتب رئيس الوزراء ؟

ـ أيوه ··· انت مين ؟

ـ أنا مدير مكتب وزير الأوقاف ·· سيادتك بعت خطابا موقعا باسمك الى الوزير ·

ـ أيوه فيها أيه دى ؟

ـ هذا لا يجوز ·

ـ ايه هو اللى لا يجوز ؟

ـ انت اذا أردت ان تخاطب الوزير فيجب أن يوقع الخطاب رئيس الوزراء لأنه وزير مثله أما أنت فتخاطبنى أنا ·

ـ انت عارف بتكلم مين ؟

ـ أيوه مدير مكتب رئيس الوزراء ·

ـ انا فلان عضو مجلس قيادة الثورة ·

وكان اسم فلان هذا يهز الجبال الراسية فى ذلك الحين ولكن الشناوى مضى فى حديثه وكأنه لم يسمع شيئا ·

ـ ولكنى أكلمك كمدير مكتب رئيس الوزراء ·

ـ أما انت حمار صحيح ·

ـ انت ستين حمار ·

ـ يلعن أبوك ابن كلب ·

ـ يلعن أبوك ابن ستين كلب ·

وانتهى الحديث وبعد دقائق نادى الوزير مدير مكتبه ·

ـ ايه اللى انت عملته ·

ـ حافظت على كرامتك .

ـ ملكش دعوة بى .

ـ وهو كذلك .

وذهب الشناوى الى بيته واعد حقيبة السجن ولكن الليل مضى ولم يأت أحد وفى الصباح ذهب الى مكتبه . ورن جرس التليفون ورفع السماعة .

ـ من ؟

ـ اقولك من ولا تشتم .

ـ انا لست قليل الأدب .

ـ يا سيدى انا اللى قليل الأدب حقك على انا فلان .

انه عضو مجلس قيادة الثورة عاد الى وعيه واعتذر .

وقال الشناوى :

ـ يا افندم العفو .

ـ هل يكفيك هذا الاعتذار أم أجىء اليك خصيصا واعتذر .

ـ لا يا سيدى هذا فوق الكفاية .

وبعد سنوات من هذه الواقعة التقى عضو مجلس قيادة الثورة بضابط يحمل اسم الشناوى فسأله :

ـ هل أنت قريب الشناوى الذى كان يعمل مديرا لمكتب وزير الأوقاف .

وقال الضابط :

ـ هو عمى .

فقال عضو مجلس قيادة الثورة :

ـ لو أن الثورة وجدت فى مصر عشرة رجال مثل عمك ما وصلت فى طغيانها الى ما وصلت اليه .

أطال الله عمر عبد الفتاح الشناوى ، فما احسب انك تريد منى اكثر مما رويت لتعرف من هو .



نجيب محفـوظ

حين كنت فى مدرسة المنيرة الابتدائية كان يدرس لى الحساب مدرس احببته كل الحب هو الأستاذ فؤاد نويره أخـو الموسيقار الكبير المرحـوم عبد الحليم نويره وكان أخوهما الأكبر الأستاذ مختار نويره صديقا لأستاذنا نجيب محفوظ وكان لهم ابن أخت يقيم معهم يعتبر اليـوم كبير مصـورى التليفزيون هو الأستاذ صادق نويره ٠

حين انتقلنا الى بيتنا فى العباسية فوجئت بأن أستاذى الســـابق فؤاد نويره يسكن مع اخوته فى نفس شارع الجنزورى الذى نسكن فيه ، كان مسكنه فى أول الشارع رقم ٢ وكان مسكننا فى آخر الشارع رقم ١٠ ٠

وسألنى يوما : لمن تقرأ ؟ فقلت لطه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وهيكل والمازنى ٠ فقال : بل يجب عليك أن تقرأ للشباب الجديد ٠ قالت : مثل من ؟

قال :

ـ مثل نجيب محفوظ ٠

ـ ماذا يكتب ؟

قال : روايات وقصصا وسأحضرها لك غدا ٠

وقرأت روايات نجيب المصرية وقرأت همس الجنون وكنت قد بدأت اكتب فى الثقافة مقالاتى الأولى واتفقت مع الأستاذ فؤاد نويره أن يعرفنى بالأستاذ نجيب محفوظ والتقيت به فى كازينو أوبرا فى أواخر عام ٤٣ أو اوائل عام ٤٤ لا اذكر ولكنى أذكر اننى منذ رأيته شعرت اننى أعرفه عمرى كله ٠ وبدأت صداقة ما زالت مزدهرة حتى اليوم فى جمال الجدة وعبق العمر ٠ نلتقى فالحديث موصول جديد وتلتقى منا المشــاعر متفقة دائمـا

ما اندر ما اختلف بيننا رأى وعند هذا الاختلاف احترم رأيه واقدره كل التقدير واشعر انه يبادلنى نفس الشعور • انها مرات نادرة أكاد لا آذكر انها كانت وربما كنت أروى عنها الآن خشية أن تكون حدثت وأنا نسيتها • لانى فعلا لا أذكر ان خلافا فى الرأى وقـع بيننا قط • أما الخـلاف بين الأصدقاء فالمؤكد انه لم يحدث مطلقا وطبيعى الا يحـدث فانا انظر اليـه كأستاذ لى وأخ أكبر وهو ينظر الى كأخ أصغر ومن الطبيعى الا يقع خلاف قط •

وان اعجابى بنجيب ليس مقصورا على فنه وانما هو يتسع ويتسع فيشمل كل مناحى شخصيته لا استثنى منها شيئا الا تصديقه لكل ما تقوله الجرائد شأن جيله النظيف الذى نشأ فى جو سياسى نقى •

أعجبت بنجيب الروائى منذ قرأت له وأخـذ اعجابى يزداد به كلما اتسعت مداركى فى فن الرواية والقصـــة • وكنت قد بدأت فى مقالاتى بالرســالة انقد الكتب • وما زال عنـدى روايات لنجيب كتب لى اهداءها بقوله الى الناقد فلان • وأذكر فى صيف ١٩٤٦ وكنت نلت شهادة التوجيهية وكنت بالاسكندرية وكنـــا فى رمضـــان • وجاءتنى منه رواية القاهرة الجديدة •

وكنت قبل مجيئها قد بدأت رواية لكاتب آخر فعزمت ان أكمل الرواية التى بدأتها ثم افرغ لرواية نجيب •

فرغت من الرواية الأخرى فى الساعة الثانية صباحا ولم تعجبنى الرواية • فقلت أقرأ بضع صفحات قليلة لنجيب لأصلح نفسى مما ألم بها من الرواية السيئة التى قرأتها •

بدأت قراءة القاهرة الجديدة وقد تجاوزت الساعة الثانية من الصباح واقترب الفجر فاذا بالعمل الرائع يمسك بتلابيبى لا يتركنى حتى أتنـاول سحورى ، ظللت بها حتى انتهيت منها ولم أكتف بذلك بل عمدت الى قلمى ورحت أكتب رأيى فيها وأذكر اننى قلت فى هذه المقالة ان نجيب محفوظ يقتعد القمة من الرواية العربية دون منازع • وأرسلت المقالة الى مجلة الرسالة ثم نمت •

وربما لا يعـرف الكثيرون أن نجيب محفوظ كان فى مكتب وزيـر الأوقاف فقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا فى مكان الأب الروحى له • وقد عين نجيب فى ادارة الجامعة عند تخرجه ثم ضمه فضيلة الشيخ مصطفى الى مكتبه فى وزارة الأوقاف حين عين وزيرا لها •

فحين أصبح أبى وزيرا للأوقاف فى وزارة اسماعيل صدقى باشا عـام ١٩٤٦ كان نجيب سكرتير وزيـر الأوقاف لشئون مجلس الأوقاف

الاعلى · وكنت أنا قد اصبحت فى الجامعة فهكذا كنت أستطيع أن أذهب الى الوزارة أغلب أيام الأسبوع وازدادت صلتى توطدا بنجيب · وكان أبى يقــرأ روايات نجيب وكان معجبا بهــا كل الاعجاب وكنت أبلغ نجيب اعجاب أبى هذا · ومرت سنوات وكنت أتمشى مع نجيب محفوظ وأذكر أن ذلك كان فى عام ٥٤ وكنت أحثه على الزواج ولم أكن أدرى انه متزوج فعــلا ·

قطع نجيب حديثى قائلا :

ـ لقد رفعت دعوى على وزارة الأوقاف ·

قلت له :

ـ لمــاذا ؟

قــال :

ـ ان لى درجة متأخرة منذ عشر سنوات ·

وصمت قليلا وأنا أفكر ثم قلت له :

ـ لقد كنت مستحقا لهذه الدرجة وأبى وزير ·

قــال :

ـ نعم ·

قلت :

ـ مع كل هــذه الصــلة التى بينى وبينك وزرتنى فى البيت وطالما أخبرتك ان أبى معجب بك ولا تخبرنى انك مستحق لدرجة يستطيع أبى ان يمنحها لك بجرة قلم ·

قال فى عدم مبالاة وفى ابتسامة :

ـ وهل كنت أعرفك من أجل أن تسعى لى فى درجة · أترضى لى هــذا ؟

هذا هو نجيب محفوظ · انسانا لا نعرف له شبيها بين الناس ·

فى عام ١٩٦٧ وبعد الكارثة الحربية رأيت أنه من العار على الكتاب أن يصمتوا جميعا ووطنهم يدمر هذا التدمير فبدأت اتصل بالمثقفين وأعرض عليهم ان نكتب بيانا ونقدمه الى رئيس الجمهورية نطالب بالحرية وبعودة الديمقراطيــة حتى تستطيع مصر مجتمعة بآراء المثقفين والشعب مواجهة هذه المصائب التى حاقت بالبلاد ·

ووجدت عندهم جميعا حماسا منقطع النظير وكتبت البيان واشتركوا جميعا معى فى كتابته · وبدأت مرحلة التوقيع ·

فكان عجبا · لقد وقعت أنا ووقع نجيب · وفقط ·

لقد وجد كل من اشترك معى فى كتابة البيان عذرا ولم يوقع واحد منهم على البيان الذى اشتركنا فى كتابته · وأصبح ارسال البيان عبثا · فأنا ونجيب نستطيع أن نمثل انفسنا ولكننا بحال من الأحوال لا نستطيع أن نمثل جميع المثقفين ، وهذا هو نجيب محفوظ ·

عين نجيب محفوظ رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة السينما وكانت له سيارة مخصصة من المؤسسة وكانت ماركة مرسيدس ولم يكن عند نجيب سيارة خاصة · فاذا هو فى بساطة وفى تواضع يأبى أن يركب سيارة المؤسسة ويتركها لمن يليه فى الوظيفة وقد كان شيوعيا معروفا بشيوعيته وشيوعيته لم تمنعه من ركوب السيارة ولا يفوتنى ان هذا الرجل من خيرة الناس الذين عرفتهم رغم شيوعيته ·

ولكن هذا هو نجيب محفوظ ·

بيــان البيــــان :

وقد مرت بى وبالأستاذ نجيب محفوظ وبعميدنا الأستاذ الكبير توفيق الحكيم تجربة فريدة فى يناير عام ١٩٧٣ ، وقد رأيت أن اثبتها هنا ما دمت قد تعرضت لنجيب فمن الطبيعى أن نذكر أحداث هذا البيان الذى عرف وقتها باسم ببيان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة · وقد كتبت ظروف هذا البيان للذكرى وانى أنقلها مما كتبت فى ذلك الحين ، كنت أكلم توفيق بك فى التليفون فطلب الى أن أذهب اليه فى الغد لأنه كتب شيئا ويريد أن يطلعنى عليه · فلما كان الغد ذهبت اليه فى مكتبه فى الأهرام ولم أكن عينت به بعد فوجدت عنده ابراهيم منصــــور ووظيفته الرسمية شيوعى وكان الأستاذ نجيب محفوظ فى مكتبه الخاص بالأهرام مشغولا بحديث اذاعى · وحين جلست الى توفيق بك قرأ على بيانا أعــده يعبر عن أفكار طالما تحدثنا فيهــا ســــواء فى سميراميس أو فى بترو بالاسكندرية أو فى غرفته فى جريدة الأهرام ووجدت البيان معبرا تماما عن رأينا ولم أعدل فيه شيئا الا اننى طلبت حذف بعض الجمل فى صـــدر البيان تتحدث عن أمجاد رئيس الجمهورية وعظمة تاريخه الوطنى وأذكر اننى قلت لا داعى لذكر هذا التاريخ وقبل توفيق بك حذف هذه الجمل وخرج البيان فى صورته التى ظهر بها ·

أرسل توفيق بك البيان ليكتب على الماكينة وفى اثناء انتظاره سألت من الذى سيوقع على البيان فاخرج لى ابراهيم منصور قائمة بالذين يتوقع

أن يوقعوا على البيان وحين قرأتها وجدتها جميعا من الشيوعيين فقلت له ان البيان بهذا الشكل سيكون معبرا عن رأى الشيوعيين وحدهم ولا يكون معبرا عن رأى الأدباء والكتاب الذين جاء فى صدر البيان أنه يعبر عن رأيهم · وسألنى ابراهيم منصور : ومن ترشح للتوقيع غير هؤلاء قلت أرشح كثيرين وأمسكت بورقة وكتبت فيها أسماء تزيد فى عددها عن الأسماء التى كتبها وجميعهم من غير الشيوعيين · وأذكر انه فى أثناء النقاش سألنى عن بعض أسماء من التى كتبها ان كنت أعتقد أنها شيوعية فقلت نعم انهم شيوعيون فقال وماذا تفعل ان كان الكتاب شيوعيين فقلت له هذا غير صحيح فأغلب الذين ذكرتهم ليسوا كتابا بالمعنى المفهوم وانما هم نقاد أما الكتاب فقلة بين الشيوعيين والأغلبية الكاثرة من الكتاب الخلاقين لا يدينون بالشيوعية وحينئذ سألنى عمن أرشح فكتبت الأسماء فقال هل تعتقد ان هؤلاء سيوقعون البيان قلت أنا لا أدرى ما يمنعهم من توقيعه ·

وجاء البيان وكان الأستاذ نجيب محفوظ قد فرغ من حديثه الاذاعى فانضم الينا فى غرفة الأستاذ توفيق الحكيم · وراجع الأستاذ توفيق البيان فوجد فيه بعض أخطاء مطبعية رأى أن يصلحها وكنت على موعد أزف فسألته هل سيغير شيئا فى الصفحة الأخيرة فقال لا فقلت اذن أوقع أنا وأذهب الى موعدى · ووقعت البيان مراعيا أن أترك مكانا لمن هم أكبر منى سنا ليوقعوا قبلى وتركتهم وذهبت الى موعدى ·

حاولت فى يوم الاثنين ٨ يناير أن أتصل بالأستاذ يوسف السباعى لأخبره عما فعلنا فلم أجده ·

شغلت فى يوم الثلاثاء ببعض شأنى وذهبت يوم الأربعاء ٩ يناير الى مكتب توفيق بك بالأهرام · فوجدت نجيب بك محفوظ وعبد الحكيم قاسم ودار بيننا حديث لا أذكر تفاصيله الا أننى أذكر منه اننى قلت اننا يجب أن نرسل البيان الى جهات رسمية حتى لا يتخذ شكل المنشور وسأل عبد الحكيم قاسم وماذا يضر لو أصبح منشورا فقلت هذا عمل لا يليق بنا ونحن نعمل عملنا فى وضح النهار ولا نعمل شيئا من شأنه أن يخفى · وأذكر أيضا اننى قلت اننا يجب أن نختار الأسماء التى توقع على البيان فالاسم الذى يحمل تاريخا غير الأسماء الصغيرة ولكن يبدو ان هذا الرأى كان متأخرا لان ابراهيم منصور كان قد جمع فعلا أغلب التوقيعات التى رشحها فى بادىء الأمر ·

وقال توفيق بك : لقد رشحت أسماء للتوقيع فقلت اننى قادم خصيصا لأخذ النسخة التى سيوقعون عليها · وقلت ان الأستاذ عبد الحميد جوده منتظرنى فى مكتبه ليوقع على البيان وسأذهب بعده الى الأستاذ يوسف

السباعى • فقال توفيق بك • عظيم وأعطانى نسخة من البيان • فطلبت منه ان يوقع عليها فقال لقد وقعت فقلت ولكنك لم توقع هذه النسخة ولابد ان توقعها انت ونجيب بك ووقـــع توفيق بك ونجيب بك ووقعت وطلبت من عبد الحكيم قاسم ان يوقع فتحرج قائلا : انه قادم ليوقع ولكنه كان يفكر ان يوقع على الصورة التى مع ابراهيم منصور ، فقلت له انه لا فارق بين الصورتين ووقع عبد الحكيم قاسم وهممت أن ادع الغرفة ولكن توفيق بك استوقفنى ليحملنى رسالة الى الأستاذ يوسف السباعى فى مكتبه وأخبره توفيق بك انه وقع بيانا هو ونجيب بك وثروت فقال يوسف بك وانا أوقعه وأعطانى السماعة فقال يوسف بك ما دمت وقعت البيان فانى أوقعه فقلت انا قادم اليك فقال أنا منتظرك وليس معى سيارة وسأنزل معك لتوصلنى الى نادى القصـــة فقلت أنا فى الطـريق • ونزلت وذهبت فـــورا الى دار الهلال فوجدت يوسف بك ومعه السيدة سـكينة السـادات • وقـال يوسف بك انه علم ان الأستاذ توفيق الحكيم كتب بيانا فى غاية العنف فقلت انا لا ارى هذا الرأى وقدمت اليه البيان وقرأه فرأى انه فعلا عنيف وقدم البيان الى السيدة سكينة السادات وقرأته فاذا بها تثور وتقول : اين كنتم قبل اليوم وانا سأخبر نجيب محفوظ أنه ما كان يجوز له ان يوقع مثل هذا البيان وأى جديد فى أن البلد تغلى الكل يعرف ان البلد تغلى وهذا كلام لا يصح ان يكتب ، وقال لها الأســـتاذ يوسف السباعى اتركى لى الموضوع فليس من المفروض ان تكونى قد قرأت البيان فقالت وهى ثائرة انا لا شأن لى وسأترككم وخرجت دون أن تهدأ ثورتها وقال يوسف بك كيف توقع بيانا كهذا قلت انا لا ارى فيه شيئا وسألنى أين توفيق بك فقلت له فى مكتبه وكلمه يوسف بك وقال ان الرئيس لو قرأ البيان لصعق وعلى كل حال ما حاجتك أن تكتب هذا البيان تستطيع أن تقابل الرئيس وتقول له ما تشاء ووافق توفيق بك واتفقنا على ان يذهب توفيق بك ونجيب محفوظ فى صحبة يوسف بك الى الرئيس لمقابلته وابلاغه فحوى البيان وطويت أنا البيان ونزلت دون ان ينزل معى يوسف بك فقد عدل عن الذهاب الى نادى القصة •

وذهبت الى منزلى معتقدا ان لا داعى ان أجمع توقيعات لبيان لن يرسل الى أية جهة •

وفى صباح الخميس ذهبت الى بعض شـأنى ثم ذهبت الى مكتب الأستاذ السحار وتذكرت اننى كنت طلبت من الأستاذ يوسف السباعى أن يعين شخصا ما من البلد فأحببت أن أسأل سكرتيره حسين رزق عما تم بشأن هذا التعيين فطلبته وأجابنى عما سألته عنه ثم أخبرنى ان مكتب الدكتور عبد القادر حاتم سأل عن تليفونى وان الدكتور يريدنى • طلبت بيتى فأخبرتنى زوجتى ان مكتب نائب رئيس الوزراء اتصل بها وأخبرها

أن الدكتور يريد ان يقابلنى الواحدة والنصف وكانت الساعة حينئذ تقترب من هذا الميعاد فنزلت الى مكتب الدكتور حاتم فأدخلت فـورا الى المكتب ووجدت الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستقبلنى الدكتور حاتم ببشاشة وقال أين أنت لا نراك الا فى التليفزيون وقد أخذت نصف الشاشة ولكنك جميل والناس تحب أن تراك فقلت اذن اعطونى عمولة على ما يشترى من أجهزة التلفزيون وضحكنا ثم بدأ الدكتور حاتم يتكلم فى الموضوع الذى استدعانا من أجله فقال سمعت انكم كتبتم بيانا وقعه توفيق بك ونجيب بك وثروت بك وأمل دنقل وفهمنا انه لم يكن يريد ان يوقع معنا الشباب الصغير والشيوعيون فقلت اننا وقعنا البيان حقا ولكننا لا نعرف شيئا بشأن من وقع عليه بعدنا فقال ان كثيرا من هؤلاء الذين وقعوا يتقاضون مرتبات من سفارات أجنبية ، ثم قال انه حين عرف أسماء من وقعوا البيان قال ان هناك ثلاثة لا شك فى اخلاصهم ونقاء ضمائرهم وهم نحن الثلاثة · ثم بدأ يشرح الموقف فقال اننا أخطأنا اننا لم نعلن الهزيمة يوم ٥ يونيو ونوقع الصلح وهذا الخطأ هو الذى نعانيه حتى اليوم ونحن اليوم نعبىء قوتنا ولكن الرئيس يرى ان كل تأخير انما هو فى مصلحتنا · وقال ضمن ما قال انه حين كان فى لندن استطاع أن يحصل على وعد باعطاء أسلحة من انجلترا وأنهم يحصلون على أسلحة فرنسية عن طريق ليبيا واندونسيا تقدم ما تستطيع من الأسلحة ·

وحين انتهى من حديثه بـدأ توفيق بك الكلام فقال ان الخطـأ الذى وقع لم يقع يوم ٥ يونيو وانما وقع يوم ١٤ مايو فى ثورة التصحيح ، فقد كان يجب على الرئيس أن يعلن فى ثورة التصحيح أن كل الذى قيل قبل هـذا اليوم كان نوعا من الدجـل ثم يعلن حقيقة الموقف · ثم استطرد توفيق بك أنه لم يحدث فى التاريخ أن تهزم دولة وتعلن فى نفس اليوم انها ستحارب كما لم يحدث أن حاربت دولة مهزومة بعد خمس سنوات أو ست من هزيمتها ثم ضرب مثلا بالمانيا فى الحرب العالمية الأولى فقال انها لم تهزم على أرضها وانما كانت جيوشها منتصرة فى فرنسا ولكنها حين علمت أن امريكا ستدخل بجيوشـها الجديدة أعلنت الهزيمـة لأن قوادها كانوا يحسنون التفكير ويقدرون الأمـور تقديرا سليما بعقليات متفتحة تنظر الى الحقيقة وتتصرف على أسـاسها ، وقد أدرك هؤلاء القواد أنه لا قبل لجيشهم المتعب بقوات أمريكا التى كانت فى كامل قواتها وهكذا أعلنت ألمانيا هزيمتها ولأول مرة فى التاريخ كانت الدولة المنهزمة تملى شروطها على الدولة المنتصرة ؛ وحين فكرت ألمانيا فى خوض حرب أخرى لم يعلن هتلر ذلك وانما راح يعد جيوشه فى صمت وفى نفس الوقت يبعد الأنظار عن الجيش بالمنشآت الكبرى فى ألمانيا ويهتم حتى بالاولمبياد الرياضية ويصرف الأنظار عن أى تفكير حربى من جانبه ، ورد الدكتور

حاتم بأن الأستاذ توفيق الحكيم على حق وقال ضمن ما قال أنتم عقلاء البلد ما دمت ترى ذلك فلماذا لا تستشيرون عقلاء البلد وقال الأستاذ نجيب محفوظ اذا دخلنا فى حرب مع اسرائيل فان الاحتمال المتوقع أن تكون الحرب سجالا فمن المستبعد أن نهزمها هزيمة ماحقة من الجولة الأولى وحين نتفاءل نستبعد أن تهزمنا مرة أخرى هزيمة ماحقة من الجولة الأولى فخير الاحتمالات أن تكون الحرب سجالا ، وقال الدكتور حاتم نعم وقال الأستاذ نجيب : فى هذه الحرب من المتوقع أن تصاب المنشآت عندنا والمرافق وقال الدكتور نعم فقال الأستاذ نجيب ولن يسمح لنا بعد ذلك بهزيمة اسرائيل هزيمة نهائية بل ستتدخل الدول وحينئذ سنضطر أن نقبل ما يعرض علينا الآن ٠٠ فلماذا لا نقبله دون أن نخرب بلدنا فقال الدكتور حاتم وماذا نقول للشعب وماذا نقول للشعوب العربية وماذا نقول للحكومات العربية وللفدائيين ولأهل فلسطين ٠

وحينئذ قلت : لقد قال لنا الرئيس فى الاتحاد الاشتراكى فى اجتماع كان الكتاب قد اشتركوا فيه أن أمريكا تعطى الأسلحة باغداق لاسرائيل وكرر ما كان قد قاله أحد المسئولين الأمريكيين من أن أمريكا ستعطى السلاح لاسرائيل رغم علمها بأنها متفوقة فى السلاح وقال الدكتور حاتم نعم فقلت وتقول سيادتك أننا نأخذ الأسلحة من روسيا وانجلترا وفرنسا فقال نعم قلت ألا ترى أن أمريكا تفوق هذه الدول مجتمعة فقال وماذا تفعل مع أمريكا لقد جاء الينا مندوبها وحين عرضنا عليه ما نقبله قال أنه لا يريد منا خيرا من ذلك فقلت نعم ولكنكم وقعتم المعاهدة المصرية السوفيتية بعد هذه الزيارة بيومين وسكت الدكتور حاتم ٠

ثم تكلم عن الطلبة واستحالة اجابة مطالبهم فقال الأستاذ نجيب محفوظ ولماذا لا تجتمعون بهم وتبينون لهم وجهة نظركم ٠ ثم تطرق الحديث بعد ذلك الى البلاد العربية فذكر أن موقعة الطيران الأخيرة التى دارت فى سوريا سقط فيها ست طيارات لسوريا واثنتان لاسرائيل فى حين كانت البيانات تقول شيئا يختلف عن هذا كل الاختلاف وفى نهاية الاجتماع سألنى الدكتور حاتم ماذا كنتم تنوون أن تفعلوا بالبيان كنا ننوى أن نرسله اليك والى رئيس الجمهورية ٠ وانتهى اللقاء عند ذلك ٠

وفى نفس اليوم مساء ذهبت أنا والأستاذ نجيب الى الحرافيش بمنزل محمد عفيفى وجاء الينا هناك الأستاذ طلال سليمان مندوب الأنوار اللبنانية وقد تعود أن يسهر مع الحرافيش كلما جاء الى القاهرة ٠

وقد أخبرنا الأستاذ طلال أن صديقا له قدم من بيروت وأخبره أن البيان نشر هناك ٠ ودهشت أنا والأستاذ نجيب محفوظ لهذا ولم نعلق ٠

في صباح الجمعة ذهبت انا والأستاذ الشرقاوى الى الأستاذ يوسف فى منزله وذكرت له ما دار بيننا وبين الوزير • وفى مساء الجمعة التقينا انا والأستاذ نجيب فى مقهى ريش وسأل الشبان عما دار فى لقاء الوزير فتركت الحديث كله للأستاذ نجيب وكان حريصا كل الحرص فلم يذكر أية تفاصيل وانما اكتفى بأن قال اننا قلنا للوزير رأينا بكل صراحة •

فى مساء السبت اخبرنى الأستاذ يوسف السباعى أنه سيكتب بيانا آخر ويريدنى أنا والأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ أن نوقع عليه فقلت له اسألهما • وكنت على موعد فى دار الأدباء لحضور اجتماع مجلس ادارة جمعية مؤلفى الدراما • واتصلت من هناك بالأستاذ توفيق الحكيم وذكرت له ما يريده الأستاذ يوسف السباعى فقال انه يرفض التوقيع على أى بيان حتى لو كان أعنف من بيانه هو لأنه قال كلمة ولا ينوى أن يتراجع عنها أو يزيد عليها • وكلمت الأستاذ نجيب محفوظ فى مقهى ريش لأن السبت كان بداية أجازة العيد واحببت أن أسأله رأيه قبل أن التقى بالأستاذ يوسف السباعى • وكنت أعلم أن الأستاذ نجيب سيسافر فجر الأحد الى الاسكندرية لقضاء الأجازة واخبرنى الأستاذ نجيب أنه لا يرفض التوقيع فى ذاته ولكنه قال لابد أن يوقع على هذا البيان كل من وقع على البيان الأول حتى لا نخرج نحن عن قوم وثقوا بنا ووقعوا البيان تضامنا معنا ، وأنهى حديثه بقوله أنه يفوضنى فى هذا الأمر فاذا وقع الأستاذ توفيق ووقعت أنا فهو يوقع معنا •

قابلت الأستاذ يوسف السباعى بدار الأدباء واخبرته برأى الأستاذين توفيق ونجيب وطبعا لم أذكر شيئا عن نفسى معبرا أن عدم توقيعى أمر مفروغ منه • وبدا على الأستاذ يوسف الامتعاض ولكنه لم يقل شيئا •

مضت أجازة العيد وسمعنا فى أثنائها أن البيان نشر فى عدة جرائد عربية منها البيروتية والسياسة الكويتية وغيرها ثم سمعت أنه نشر بجريدة الأنوار التى يصدرها سعيد فريحة بدعم من مصر • ثم علمت من توفيق بك أنه أرسل البيان الى لجنة تقصى الحقائق • وفى يوم الجمعة الذى تنتهى به الأجازات ذهبت الى الأستاذ توفيق فى جلسته الأسبوعية بفندق سميراميس فأخبرنى أن مكتب الوزير كلمه قبل أن ينزل ليخبره أن الوزير يريد أن يلقاه فى اليوم التالى يوم السبت فى الساعة الحادية عشر ، وأن الوزير يريد أيضا الأستاذ نجيب محفوظ كما يريدنى فقلت له أن احدا لم يطلبنى والأستاذ نجيب محفوظ فى الاسكندرية وذكر لى الأستاذ توفيق أنه سأل السكرتير عمن سيكون موجودا غيرنا فى هذا الاجتماع فقال الأستاذ سعيد فريحة صاحب جريدة الأنوار •

وفكر الأستاذ توفيق قليلا ثم قال أنا لن أذهب فقلت وكيف لا تذهب وماذا أعمل أنا وحدى قال أنت حر ولكن أنا لن أذهب فقلت له وأنا لن أذهب اذا لم يكن الأستاذ نجيب معى فقال هذا شأنكما فقلت أسأل عن الأستاذ نجيب وذهبت الى تليفون الفندق وطلبت الأستاذ نجيب فوجدته قد وصل لتوه من الاسكندرية ووجدت مكتب الوزير قد اتصل به فقلت له توفيق بك لا يريد الذهاب فاندهش لهذا وقال دعنى أكلمه وطلبت الى توفيق بك أن يكلم نجيب بك وقد استطاع نجيب أن يقنعه أو خيل لى ذلك على الأقـل ٠

وذهبت الى منزلى وقالت لى زوجتى أن بعضهم سأل عنى وقال مكتب النائب وقال أنه سيعود الى الكلام فى الساعة الثالثة وقبل أن تكمل حديثها دق جرس التليفون وابلغت بالموعد ٠

وقبل ان أتناول الغداء دق جرس التليفون مرة أخرى وكان المتحدث توفيق بك ووجدته يخبرنى أنه لن يذهب فهو لا يقبل أن يستدعيه السكرتير وكأنه موظف عند الوزير وقال لقد كان أبوك وزيرى فعلا وكان يكبرنى فى السن ومع ذلك كان يتحرج أن يستدعينى وناقشته طويلا قائلا أننى والأستاذ نجيب سنكون فى وضع حرج فقال هذا شأنكما ٠ أما أنا فلن أذهب فقلت له اذن دعنى أبلغ الوزير على الأقل أنك عاتب أنه لم يكلمك هو شخصيا وطبعا سيحاول هو أن يصحح هـــذا الخطأ وسيستدعيك شخصيا وتجىء فوافق توفيق بك واقتنعت أنا بسذاجة أنه قبل هـــذا الاقتراح ٠

وفى مساء الجمعة ذهبت الى نجيب بك فى مقهى ريش وانتحيت به جانبا وأخبرته عن موقف توفيق بك الجديد وسألته ماذا يرى بشأننا فقال نذهب نحن لأنه لا يليق بنا ألا نذهب وننفذ ما اتفقت عليه مـــع توفيق بك ٠

وفى الموعد المحدد ذهبت الى مكتب الوزير فوجدت نجيب بك قد سبقنى ودخل ووجدت فى مكتب السكرتير الأستاذ سعيد فريحة كما التقيت بالشاعر نزار قبانى ٠ ولم أكن أعرف الأســـتاذ فريحة فقام السكرتير بعملية التعارف ٠

وحين دخلت مكتب الوزير وجدت الوزير قد علم بعتب توفيق بك وحاول الاتصال به فلم يستطع وحاولت أنا من مكتب الوزير الاتصال به فلم أستطع وكلف الوزير سكرتيره أن يكرر المحاولة وان كنت قد أدركت أن توفيق قد عملها ونوى ألا يجىء بأى حال ٠

وكان فى مكتب الوزير مع نجيب بك الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب وظننت أن حضوره كان صدفة ولكن تبين من المناقشة أن حضوره كان مرتبا ٠

وقبل أن تبدأ المناقشة قال الدكتور حاتم لسكرتيره من بالخارج فقال السكرتير الأستاذ سعيد فريحة فالتفت الوزير الينا وقال أظن أنه لا بأس أن يحضر معنا فهو منا وعلينا وكأن الأمر محض صدفة ٠

ودخل الأستاذ سعيد فريحة وسلم علينا مرة أخرى وجلس وبدأت المناقشة فقال الوزير هل أرسلتم البيان الى الأنوار فقلت له كيف نرسله الى جرائد لبنانية كان الأحرى لنا أن نرسله الى الجرائد المصرية اذا كنا نفكر فى نشره فقال فكيف وصل البيان الى لبنان فقلت له هل أرسلنا البيان اليك ٠

فقال لا قلت فكيف وصل اليك البيان ؟ وكأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال فراح ينظر حواليه وهو يقول أنا ٠٠ أنا ٠٠ فتركته لحظات ثم قلت له لقد وصل الى لبنان بنفس الطريقة التى وصل بها اليك فنظر الى الأستاذ سعيد فريحة وقال له شفت انهم لم يرسلوا البيان فقال الأستاذ سعيد فريحة أن مندوب الأنوار فى القاهرة طلال سلمان وهو شاب شيوعى هو الذى أرسل البيان وقد نشرته حين وجدت عليه توقيع توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة وحينئذ سأل الدكتور العطيفى عما أردناه بالبيان فقلت الحرية فقال وهل كانت هناك حرية قبل العهد الحاضر فقلت أنه لا شك أن قدرا من الحرية قد تحقق ولعل هذا القدر هو الذى أتاح لنا أن نكتب هذا البيان ولكن الحرية لا تتجزأ وقال الأستاذ فريحة ما هى الحرية التى تريدونها فقلت له لا تحتاج الحرية الى تعريف فهى معروفة تماما ٠ فقال مستنكرا : هل تطلب الحرية فى زمن الحرب فقلت له لا تذكر الحرب فقد كان برناردشو يلعن أبو تشرتشل على الجزمة فى أشد أوقات الحرب العالمية الثانية عنفا ولم يصنع تشرتشل شيئا الا انه كان يقول نحن نعمل والبهلوان يلهو ٠ وكمان يا أستاذ سعيد نحن لسنا فى حرب منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ نحن لسنا فى حرب ٠ فقال الأستاذ فريحة فعلا هذا صحيح ٠

وقال الدكتور : وما هى مظاهر عدم الحرية فقلت له لقد وصلت الرقابة الى القصص فقال مثل ماذا ؟ فقلت له مثل رواية الحب تحت المطر للأستاذ نجيب محفوظ التى مزقتها الرقابة فقال وهل انا مسئول عنها فقلت انك على رأس الجهاز فأنت مسئول عن كل موظفيه فقال وماذا أيضا فقلت له لقد منعت لى قصة فى الجمهورية فقال يا أخى انت صديقى وتزورنى فى بيتى ٠٠ والواقع اننى كنت أزوره قبل أن يعود الى الوزارة

كما اننى اكن كل حب وتقدير له ـ فلماذا لا تخبرنى فقلت انا ازورك فى بيتك لأسأل عن صحتك أو لنتكلم فى مسائل عامة ولا أرى من اللائق أن أزورك لأقول لك ان قصة لى منعت من النشر · فقال الوزير انكم أنتم الدولة ولكنكم تعرفون الظروف التى نمر بها وقال الأستاذ نجيب أن رئيس الجمهورية قد دعا الى حرية الرأى فاذا لم نقل رأينا فكأننا لا نعبأ بدعوة رئيس الجمهورية وهى أشرف دعوة يمكن أن توجه الى أصحاب الرأى · ولا شك أنكم تعرفون أننا توفيق بك وثروت وأنا لسنا من طلاب البطولات وقال الدكتور جمال العطيفى الواقع أن الحياة النيابية سواء فى العهد الماضى أو فى عهد الثورة لم تشهد حرية برلمانية كالتى شهدتها فى ظل مجلس الشعب الحالى فقلت لا لا يا دكتور جمال مش للدرجة دى فقال كيف أنا أستطيع أن أتحدث فى هذا الموضوع فقلت كلنا نتحدث أنت لا تستطيع أن تنسى أن مجلس النواب الوفدى فى عهد الوزارة الوفدية قد منع قانون الصحافة أن يصدر فقال آه تقصد الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٢ فعلا لقد كانت أحسن الفترات فى العهد النيابى فقلت كانت أحقر الفترات فى العهد النيابى ·

وفى نهاية الحديث قال الدكتور جمال لى لقد قلت جملة مهمة وهى أن قدرا من الحرية قد تحقق ان هذا القدر هو الذى جعلكم تكتبون البيان · ولا أدرى لماذا توقعت من هذه الجملة أن اجراء معينا سيتخذ ضدى ·

وقد عزلت ·· عزلت من الاتحاد الاشتراكى ولم أكن عضوا به فى يوم من الأيام ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لاعلان غضب الحكومة على ولحرمانى من الكتابة أو التعامل مع وسائل الاعلام التى تشرف عليها الدولة من اذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وطبعا يلحق بذلك منعى من السفر · ومنع اسمى من أن يذكر فى أية جريدة أو أى جهاز من أجهزة الاعلام أما بالنسبة لتوفيق بك ولنجيب بك فقد صدرت الأوامر بمنعهما من التعامل معه كما صدرت الأوامر بعدم نشر أى شىء لهما أو عنهما دون أن يرد اسم أى منهما فى قوائم العزل وهذا هو البيان :

بيان من الكتاب والادباء

نحن الكتاب والأدباء الموقعين على هذا البيان قد رأينا من واجبنا أن نعاون ونشارك من مواقعنا فى المجتمع ـ مؤسسات الدولة فى تقصى الحقائق فى حالة الاضطراب التى بدت بوادرها الآن فى بعض الأحداث الجارية · يدفعنا الى ذلك شعورنا بالمسئولية التاريخية وثقتنا بشعبنا وتقديرنا لوطنية رئيس الدولة · واعتقادا منا بأن فى استطاعته الامساك بالزمام للسير بالبلاد فى طريق محفوف بالمخاطر تهب عليه الزوابع من

كل جانب ويحتاج الى الحكمة وسداد الرأى لتجنيب الوطن ويلات الشطط وتوجيهه الى حيث يجد نفسه ويؤكد شخصيته ويسترد قوته ٠

ولما كان من خصائص الكتاب والأدباء بحكم رسالتهم فى الأمة أن يكتشفوا باطنها ضميرها ٠ فى حين أن مهمة الصحافة هى تحرى أخبارها ومهمة الهيئات الرسمية هى تقصى حقائقها من واقع أحداث معينة قد تكون مجرد بثور خارجية لمرض دفين ٠ ودخان ظاهرى لنيران متأججة تحت رماد ٠ لذلك كان علينا نحن الكتاب والأدباء أن نكمل الصورة ونقدم المعونة بابراز ما استتر وتخفى مما يعتمل الآن ويضطرم فى باطن الأمة وضميرها ٠

وليس ذلك فقط لمجرد استكمال عمل تقوم به الهيئات الأخرى ٠ ولكنه أيضا للخشية من أن يهمل أمر هذا الغليان الذى يفور فى نفوس الناس فيجد طريقه فى أى لحظة الى الانفجار وتقع الكوارث ٠ وذلك انه مما لا شك فيه لدينا أن البلد يغلى فى الباطن على نحو لم يعد يخفى على أحد ٠ وقد لا يعرف كل الناس تعليلا لما يشعرون به من قلق واضطراب وغليان داخلى ٠ وقد يبدى البسطاء من الناس والأبرياء من الشباب تعليلات مختلفة يسوقونها بغير تفكير أو تمحيص ويرددونها فى احاديثهم أو يصعدونها فى منشوراتهم ٠ وهذه التعليلات أو المطالب أو الاحتجاجات قد تبدو فى أغلبها سطحية أو غير ناضجة أو مدروسة ٠ ولكن يكفى الحقيقة التى لا شك فيها وراء كل هذا وهو شعورهم جميعا بأنهم قلقون بشىء ما أو أنهم ما عادوا يحتملون ما هم فيه من احساس بالضياع ٠

والآن ما هو منشأ هذا الاحساس العام بالقلق والاضطراب والضياع فى نفوس الناس ؟

لعل السبب الأهم فى ذلك هو عدم وضوح الطريق أمامهم ، فالصيحة المرتفعة فى كل حين بكلمة المعركة وأن الطريق هو المعركة كان من الممكن أن يكون هو الجواب على أسئلتهم والطريق الواضح أمام أعينهم ٠

وهذا لا شك ما أرادت الدولة أن تقدمه كجواب أو مصباح الرؤية فى طريق المستقبل المعتم ٠

ولكن مع الأسف تمضى الأيام وتصبح كلمة المعركة مجرد كلمة غامضة لا حدود لها ولا أبعاد لمعناها ولا تحليل لعناصرها ، مجرد كلمة مطلقة تلوكها الأفواه ٠ مجرد لقمة مستهلكة لكثرة مضغها ٠ ويصبح الناس ويمسون وهذه الكلمة تتردد على جميع النغمات فى الأناشيد

والأغانى والخطب والشعارات حتى فقدت قوتها وفاعليتها بل وصدقها وصارت اللقمة الممضوغة فى الفم غصة · لا هم يستطيعون ابتلاعها ولا هم يجرؤون على لفظها · وأصبحوا فى حيرة من شأنهم وأصبح طريق المستقبل أمامهم مرة أخرى مسدودا وهم فى ضياع ·

ولما كان الشباب هو الجزء الحساس فى الأمة · وهو الذى يعنيه المستقبل أكثر من غيره · فهو لا يرى أمامه الا الغد الكئيب فهو يجهد فى دراسته ليحصل على شهادته النهائية فاذا هى شهادة القذف به فى رمال الجبهة لينسى ما تعلمه ولا يجد عدوا يقاتله · وهذا أيضا هو الضياع · أما بقية المواطنين فهم يعيشون بالنسبة اليه فى حياة صعبة سيئة الخدمات العامة · وكل نقص واهمال أو توقف أو عبث يختفى خلف صوت المعركة وفى انتظار المعركة وتمحكا بالمعركة واذا بالأمر فى نظرهم ينقلب الى مهزلة والى سخط والى قرف عام ·

هذا بعض ما استقر فى الضمائر هذه الأيام · ولابد من حل سريع لهذا الوضع · ولا يمكن أن يكون هناك حل الا فى الصدق · والصدق وحده ، لأن الصدق هو الذى ينهى الحيرة ويقنع الناس ويهدىء النفوس ·

ولأن الغليان فى باطن الاناء يهدأ اذا كشف الغطاء فان الشعب يريد أن يقتنع بشىء لأنه غير مقتنع · ولابد لراحة باله واقتناعه من عرض حقائق الموقف أمامه واضحة ، وهذا يقتضى النظر فى تغيير بعض الاجراءات التى تسير عليها الدولة اليوم : ومنها حرية الرأى والفكر وحرية المناقشة والعرض لالقاء الضوء على كل شىء حتى تتضح الرؤية · وليكن ذلك داخل المؤسسات ، اذا كانت السرية فى ظروفنا الحاضرة تقتضى ذلك · على أن لا يكون للدولة رأى مسبق تضغط به على أهل الرأى وتجعلهم مجرد أبواق لترديده وترويجه ·

بل أن تكون الدولة آخر من يبدى الرأى بعد أن تستمع وهى جادة صادقة الى رأى مصر الحر أولا · وأن تصوغ هى رأيها من رأى الشعب وممثليه لا أن تصوغ الرأى وتضع الشعار وتلقى به الى الناس وتفرضه عليهم فرضا ·

ان للدولة فى هذه الظروف العصيبة أن تتخفف هى من كل العبء والمسئولية وتضعها على ظاهر الأمة · ان فى ذلك مصلحتها ، وصيانة لها أمام التاريخ ·

الاثنين ٨ يناير سنة ١٩٧٣

هذا هو البيان كما نشرته الصحف العربية وقد كان من نتيجة نشره أن أصدر الاتحاد الاشتراكى قرارا بفصلى وتلك كانت عجيبة يندر مثلها فى العجائب ، لأننى لم أكن فى حياتى عضـوا فى الاتحاد الاشتراكى ، وقد صحب هذا الفصل الصورى أمر بالا يظهر اسمى فى الصحف على أى صورة من الصور · وانطبق هذا الاجراء الأخير على الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وقد سعدت فى هذه الفترة سعادة منقطعة النظير لأن كل الذين كانوا يصنعون الكلمات المتقاطعة كانوا يصرون على أن يأتى اسمى من تركيب الحروف مع بعضها البعض ·

ويجب اليوم أن أشهد أن هذه العقوبة التى أنزلت بى وبتوفيق الحكيم وبنجيب محفوظ تعتبر شيئا هينا بسيطا غاية البساطة بالنسبة للعقوبات البشعة التى كانت ترتكب فى العهد السابق على عهد السادات ·

واستمر عزلنا الى أواخر سبتمبر عام ١٩٧٣ ·

وقامت حرب أكتوبر ٧٣ ···

وانقلبت الموازين منذ رأينا مصر تنتصر لأول مرة فى تاريخ العرب منذ صلاح الدين ·

وأصبح ثلاثتنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أشد المتحمسين لهـذا النصر · فقد كنا نتوقع أى شىء الا أن نحارب وننتصر ، وقد أعربنا عن توقعاتنا فعلا وتصورنا هذا ونحن نناقش الدكتور حاتم ·

فقال توفيق بك أنه من غير المعقـول أن تحارب دولة ما فى نفس اللحظة التى تعلن فيها انهزامها وليس من المعقول أن تحارب بعد خمس سنوات أو ست لأن النتيجة معروفة لا شك فيها · فأى جديد يمكن أن يحدث فى هذه السنوات القليلة ليقلب الأمر بالنسبة اليها من دولة مهزومة الى دولة منتصرة ·

وقال نجيب بك للدكتور حاتم : المؤكد أن الحرب لو قامت فستكون سجالا ووافقه الدكتور حاتم وقال نجيب بك اذن فالحرب ستستمر فترة بيننا وبين اسرائيل ومعنى ذلك أن نخرب مصر تماما ونحن بعد هـذه الحروب لا نطيق هذا الخراب فلماذا لا ننسى الحرب ونلتفت الى مرافقنا المنهارة ونحاول اصلاحها بدلا من زيادة تخريبها ·

وقلت أنا : نحن واثقون أنه ليس هناك حرب منتظرة وأن الأمـر لا يعدو أن يكن دعاية ليلهينا عن أوضاعنا الداخلية فخير لكم ولنا أن

تعطونا الحرية بدلا من الادعاء بأننا سنحارب فالشعب كله يعرف أننا لن نحارب ٠ ويكفى مقالات محمد حسنين هيكل دليلا على أن الحرب مستحيلة استحالة مطلقة ٠

ولكن السادات صنع الحرب ٠ ولكن السادات انتصر ٠

وحقق معجزة لم تكن تخطر لنا على بال ٠

وهكذا أصبح ثلاثتنا من أشد المؤيدين للنصر ولصانع النصر ٠



رواية الرواية

تعودنا لسنوات أنا ونجيب محفوظ أن نقضى بعد الظهيرة من أيام الخميس معا ثم نسهر معا فى الحرافيش وكان دأبنا أن نذهب معا الى مقهى عرابى بميدان الجيش بالعباسية ونجلس هناك مع أصدقاء العباسية وأغلبهم من رفاق الطفولة والصبا والشباب الباكر لنجيب محفوظ وكانوا جميعا يعرفوننى بحكم اقامتى فى العباسية ولهذا كنت أشعر بينهم بألفة لايحسها الانسان الا مع اصدقاء قدامى · وكنا نتركهم فى الثامنة ونتجه الى مكتب الأديب الفنان المحامى عادل كامل بشـــارع فؤاد وكنا كثيرا ما نضطر أن نترك السيارة فى مكان بعيد بعض الشىء عن مدخل المكتب الذى كان لابد ان يخترق من أجله مقهى بين عمارتين ضخمتين · وكنـا نجلس قليلا بمكتب عادل كامل ثم نتجه جميعا الى سهرة حرافيش بعـد أن نكون قد اشترينا ـ أو اشترى نجيب على الاصح ـ كيلو كباب من العباسية وكيلو حلويات شامية من ميدان الأوبرا · وكان نجيب يشارك فى أكل الكباب ولا يذوق الحلويات الشامية تنفيذا لأوامر الطبيب التى يصدع لها بكل الأمانة التى نعرفها عن نجيب فى كل ناحية من نواحى الحياة ، اتصلت هذه الناحية بخاصة شأنه أو بشأن الآخرين ·

تركنا السيارة فى مكان تصادف أنه كان بعيدا بعض الشىء عن مكتب عادل كامل ومشينا نتناقل الحديث فى شئوننا السياسية وفجـــأة وجدتنى أقول له :

ـ نجيب بك ان أحدا لم يتكلم حتى الآن فى شرعية حكم الطاغية ·

وصمت نجيب لحظات ثم قال :

ـ فكرة جيدة ·

قلت :

ـ ربما حاولتها ٠

وانتهى الحديث عند ذلك وقضينا سهرتنا كما تعودنا أن نقضيها ٠ ولكن الفكرة ظلت تدور فى ذهنى وتلح على فى اصرار شديد ٠

وما لبثت الأيام أن انضجتها ووجدت نفسى أميل كل الميل ان أرمز الى الشرعية بالزواج ٠

وهكذا كان لابد لى أن أقرأ الفقه على المذاهب الأربعة وأركز فى قراءتى على عقد الزواج ٠ فوجدت أبا حنيفة وهو الذى نطبق مذهبه فى أحوالنا الشخصية يقول ان الفتاة اذا لم تعط الوكالة لمن يزوجها يقع الزواج باطلا نسبيا ٠ والبطلان النسبى يختلف عن البطلان المطلق ٠

فالبطلان النسبى يمكن أن يزول ويصبح العقد صحيحا اذا زال سبب البطلان أما البطلان المطلق فلا يصحح أبدا ٠

ويقول أبو حنيفة فى حالة زواج البنت بتوكيل باطل : يزول البطلان اذا عادت البنت وقبلت الزواج فانه فى هذه الحالة يصبح زواجا صحيحا خاليا من البطلان ٠

وكتبت رواية (شيء من الخوف) معتمدا على هذه القاعدة الشرعية حتى اذا فرغت منها وكتبت على الآلة الكاتبة وفكرت أن أجعل نجيب يقرؤها قبل أن تنشر ٠

وبينما هو يقرؤها كنت أنا التقى بالروائى الكبير والصديق الأصيل فتحى غانم فى لجنة القصة بالمجلس الأعلى ٠ وكان فى ذلك الحين رئيس مجلس ادارة دار روز اليوسف وصباح الخير طبعا ٠ فرأيت ان أعرض عليه فكرة أن تنشر صباح الخير روايتى الجديدة فرحب الرجل ترحيبا شديدا ٠

وحين فرغ نجيب محفوظ من قراءته طالعنى برأيه أن الرواية شديدة الوضوح وقال :

ـ لا أدرى ان كنت رأيتها كذلك لأنك أخبرتنى عن مضمونها أم لاننى أنا استنتجت هذا ٠٠٠ لماذا قلت لى مضمونها ؟

فضحكت وقلت :

ـ وماذا تراني كنت أفعل وفكرة الرواية خطرت لى وأنا سائر معك ٠

فقـــال :

ـ ربنا يستر ٠

وبعد أيام قليلة كلمت فتحى واتفقت معه أن أمر عليه فى مكتبه ٠ وهناك قال لى كلمة فيها كثير من المجاملة والتحية ٠

ـ اذا جاءتنى مقالة من طه حسين فأنا أرسل بها الى المطبعة فورا وكذلك حين تجيئنى رواية لك فانى أصنع نفس الصنيع ٠ لقـد أرسلت الرواية الى المطبعة ٠

والحقيقة أن تحية الصديق مست قلبى ولكننى اشفقت أن يفعل فانه لا يرضينى بحال أن يرفت فتحى غانم من وظيفته ، هذا اذا لم يتعرض لما هو اشد وانكى من أجل ان أنشر أنا رواية لى مهما تكن اهميتها ٠

وقعت فى حيص بيص كما يقولون ٠

كلمت نجيب بك فقال :

ـ لابد أن تبحث عن طريقة تجعله يقرأ الرواية ٠

طلبت فتحى غانم فى البيت ، وقلت له :

ـ ليس نشر الرواية هو المهم وانما المهم أن أعرف رأى روائى أعتز برأيه فيها فارجوك ان تقرأها ٠

وبعد أيام قلائل التقينا فى لجنة القصة فابدى اعجابه الكبير بالرواية وقال :

ـ انها مثل قطعة الخشب العربى (الأرابسك) الذى يتكون من قطع صغيرة متراصة والتكوين فى ذاته يعطى الصورة الكاملة التى أرادها الفنان ٠

أنا لا أشك لحظة أن فتحى غانم فهم الرواية كل الفهم ولا أشك لحظة أنه حين نشرها كان غاية فى السمو والشجاعة فى وقت معا ٠ فالرواية مخالفة لرأيه الشخصى وهى فى نفس الوقت كفيلة ان تعرضه لما لا يعلمه الا الله وحده ٠ وأن ينشر مسئول عملا روائيا وهو فى نفس الوقت روائى لا يمكن ان يفوته ما فيها من رمز دليل على أن فتحى غانم رجل يندر مثيله بين الرجال ودليل على أنه أكبر من كل ما يكبل حرية الرجال ٠ فليس عجيبا أن أكن لهذا الرجل فى نفسى كل اجلال واكبار وحب ٠ وقد اثبتت لى الأيام فيما بعد أنه مطبوع على هذا الشرف ولا يتخذه فى موقف ثم يتخلى عنه فى آخر ٠ وانما أشهد الله والحق أننى ما رأيته الا بهذا السمو وهذه الرجولة ولو يختلف بيننا الرأى ما شاء الرأى أن يختلف ٠

· ولكنه رجل استطاع فى كل المواقف ان يمثل لى الانسان حين يرتفع الانسان الى ارفع درجات الانسانية ·

نشرت الرواية بمجلة صباح الخير · وكنت فى ذلك الحين انشر كتبى بدار المعارف عائدا اليها فعرضت الرواية على الأستاذ عادل الغضبان وقرأها وقال لى :

ـ اننا الآن نحاول أن نرتفع بسلسلة اقرأ وقد أخذنا كتابا جديدا من الدكتور طه حسين ونريد أن ننشر (شىء من الخوف) فى هـــذه السلسلة · فقلت لا بأس وقد نشرت شىء من الخوف فعلا فى مارس ١٩٦٧ بعد أن تم نشرها فى صباح الخير قبل ذلك ·

تلك هى قصة شىء من الخوف الكتاب وبقى أن نروى قصة شىء من الخوف فى السينما ·

حين بدأت صباح الخير نشر القصة وقفت فى اشارة وتصادف أن وقف بجانبى صلاح ذو الفقار بسيارته · وصلاح كان زميلى فى مدرســة فاروق الأول الثانوية وبيننا صداقة دائمة من أيام المدرسة · حيانى وقال أنه يريد أن ينتج روايتى التى تنشر فى صباح الخير · قلت لا بأس ·

وانتهى الحديث عند ذلك ·

وسافرت الى الاسكندرية · وفى ليلة عدت الى بيتى متأخرا فاذا بى أجد الأستاذين العزيزين حســـام الدين مصطفى وعبد الحى أديب ينتظراننى فى سيارة أحدهما أمام البيت · وكانما خجلا ان يصعدا الى البيت وينتظروا فيه وفوجئت بحسام يقول لى :

ـ الرواية التى تنشر فى صباح الخير · هل أخذها أحـــد منك للسينما ·

قلت :

ـ لا ·

قـــال :

ـ طيب يا أخى الست أنا الاولى بها وقد أخرجت لك هارب من الأيام ·

قلت :

ـ تحت أمرك ·

قــال :

ـ هل عندك نسخة منها ٠

وصعدت الى بيتى وأحضرت نسخة من نسخ الآلة الكاتبة واعطيتها للصديقين الكريمين واتفقنا ان نلتقى فى اليوم التالى بكازينو جليم الذى يقع منزلى أمامه مباشرة ٠

وقال حسام :

ـ ان هذه القصة تشبه هارب من الأيام ٠

وأنا متعود الا اناقش رأيا رآه احـــد فى أى رواية لى مرتئيا ان المناقشة عبث مضحك ٠ فالرواية كتاب يقرؤه القارىء وحده ويكون رأيه وحده فكيف استطيع ان الاحق القراء فى كل ناحية لأناقشهم رأيهم ، ولهذا اجبته دون أى تفكير :

ـ مادمت ترى هذا فلابد انك محق من وجهة نظرك على الأقل ٠

فقال آسفا :

ـ اذن فالى اللقاء فى رواية أخرى حتى لا اكرر ما فعلته فى هارب من الأيام ٠

قلت :

ـ ان شاء الله ٠

وفى صباح اليوم التالى مباشرة ذهبت الى مقهى بترو فاذا بى أجد كاتب السيناريو صبرى عزت الذى أسرع الى قائلا :

ـ لقد دخت بحثا عنك ٠

وجلسنا وسألته عما يريد فقال :

ـ صلاح ذو الفقار يريد أن ينتج رواية شىء من الخوف للقطاع العام وعرضها على حسين كمال ففتن بهـــا ويريد أن يخرجهـــا بأى طريقــة ٠

واتفقنا أن نسافر الى القاهرة ونلتقى بسعد وهبه الذى كان رئيسا لشركة القاهرة للانتاج السينمائى وكان صلاح ذو الفقار وحسين كمال قد حادثاه فى شأن الرواية ٠

وذهبت الى الصديق القديم سعد وهبه وسألنى فى بســـاطة عن موضوع الرواية فلخصتها له فطلب عقدا وقدمه لى ووقعته وقدر اجـرا

سبعمائة جنيه وكان مبلغا طيبا فى عام ٦٦ ٠ واعتقد انه ينبغى أن أشيد هنا بشجاعة سعد وهبه فهو مسرحى محترف وقد فهم ـ بطبيعة الحال ـ مغزى الرواية ولكنه كان من الشجاعة بحيث يوقع العقد فورا ٠

وبدأنا العمل ٠ فى منزلى احيانا واحيانا فى منزل صلاح ذو الفقار، ووقعت حرب ٦٧ ونحن نعمل فى الرواية ٠ فتوقفنا أياما قليلة ثم عدنا الى العمل ٠

وقبل أن يتم السيناريو تبرع صديق لنا بمكتب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة فى ذلك الحين بكتابة تقرير للوزير أن الرواية مقصود بها رئيس الجمهورية وانها هجوم عنيف عليه وعلى الحكم جميعا ٠٠

ويشاء الله أن يكون نجيب محفوظ هو مستشار الوزير للشئون الفنية فى هذه الفترة فكان طبيعيا أن يرسل الوزير ملخص الرواية والتقرير الى الأستاذ نجيب محفوظ وكتب رأيه بمنتهى الامانة والصدق مع النفس مرتئيا أنها رواية وطنية ٠ وقد كان هذا رأيه والوزير سأله عن رأيه ، فقال ٠

وتم تصوير الرواية ٠ وكان حسين كمال سعيدا بعمله غاية السعادة فرأى أن يعرضها على الوزير ٠

وفى عرض خاص بدأت الرواية تعرض على الوزير ووكيلين للوزارة معه ٠ وانتهى عرض النصف الأول من الرواية وكان الوزير على موعد لم يستطع الاعتذار عنه فاضيئت الأنوار ورأى الحاضرون الدموع تملأ وجه الوزير من الاعجاب وقال فى فخر لحسين كمال :

ـ لقد عبرنا بهذه الرواية البحر الأبيض المتوسط ٠

وذهب الوزير الى موعده وطلب اليهم ان ينتظروه ليعود فيكمل مشاهدة الفيلم ٠ وتم ذلك ورأى الوزير النصف الآخر من الرواية واضيئت الأنوار ٠ لقد فهم الوزير معنى الرواية فهما تاما ٠ وتداول الرأى مع مستشاريه فانتهى بهم الرأى ان تعرض الرواية على سامى شرف فى رياسة الجمهورية ٠

كان الوكيلان صديقين لى فكلمت أحدهما ولن أذكر اسمه فاذا هو يقول :

ـ أنا خصم ولا يجوز أن أكون قاضيا ٠

فضحكت فى نفسى كثيرا فلم أكن اتصور أن المسألة وصلت الى خصومه وقضاء ٠

ما سمعته بعد ذلك ان سامى شرف أعفى نفسه من رؤية الرواية وعرضها على عبد الناصر مباشرة وسمعت أنه قال حين انتهى من مشاهدتها ٠

ـ لماذا تعرضون على هذه الرواية ٠ هل أنا عتريس هذا ٠ اذا كنت أنا عتريس والشعب لم يقتلنى فهو شعب من الحمير ٠

وامر أن تعرض الرواية دون أن يحذف منها شىء مطلقا ٠

وفى عرض خاص ضم جمهورا كبيرا شاهدت الرواية وكان معى الأخ الصديق عبد الرحمن الشرقاوى ٠ وحين انتهى العرض قبلنى الشرقاوى بحماس شديد ٠ ووقف أحد المشاهدين وطلب أن يسألنى سؤالا وسأل :

ـ ألا ترى انك جعلت الشعب المصرى سلبيا الى أقصى درجة ٠
وجدتها فرصة لا مثيل لها قلت له :

ـ أين هو الشعب المصرى هذا ؟

قال :

ـ أهل القرية ٠

قلت :

ـ ومن قال أن أهل القرية هم الشعب المصرى ٠ اسمع أنت والآخرون ، ان أى اسقاط على هذه الرواية يكون من داخل المسقط وعليه وحده أن يتحمل مسئوليته ! ٠

وذاعت هذه الكلمة فامتنع المعرضون عن اعلان ما أدركوه من اسقاط ٠ ولكن الشيوعيين لم يمتنعوا يوما من أيام عرض الرواية ولأسابيع بعدها عن مهاجمتى فى ضراوة ، وهذا أمر أسعد به دائما فليس أحب الى من أن أسمع مذمتى من هؤلاء الرهط ٠

كثير من الصحفيين يسألوننى حتى اليوم أليس فى عرض هذه الرواية دليل على الحرية واضحك أنا ٠ فلو كان هناك حرية ما كتبت أنا هذه الرواية أصلا ولما كتبتها رمزا أما أنها عرضت فرئيس الجمهورية الأسبق لم يكن من الغباء الى درجة منعها ٠ فلو كان منعها بعد أن أصبحت فيلما مكتملا لهرب الفيلم وسبقته الدعاية أنه الفيلم الذى منعه رئيس جمهورية مصر وانى لأعجب لمن يبحث عن أى حرية فى ذلك العصر ولكن ماذا نقول الا أن نضرب كف عجب بكف دهشة ونقول مع القائلين : ولله فى خلقه شئون ٠



توفيق الحكيم

أمام البنك الأهلى الذى أصبح اليوم البنك المركزى المصرى على ناصية شارع شريف عند التقائه بشارع قصر النيل كانت هناك مقهى وكان يجلس اليها أستاذنا توفيق الحكيم وكنت أمر كثيرا بهذا المكان فالشارعان فى مكان من الطبيعى أن يكون المرور به كثيرا ، كنت حينما أرى توفيق الحكيم أعبر الشارع وأقف أمام البنك الأهلى وأظل انظر اليه دقائق ثم أمضى لشأنى وأنا سعيد بما تمكنت من النظر الى توفيق الحكيم بأكمله ٠

وبدأت بعد ذلك الكتابة فى مجلة الثقافة ٠ ودعانى أحمد بك أمين أن أحضر ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر فكنت أذهب كل خميس فى الساعة الخامسة مصطحبا الأستاذ عثمان نويه ونشهد الندوة التى كانت فى حجرة منسقه الأساس فيها سعة غير فادحة وكان نجوم الندوة أحمد بك أمين طبعا وعبد الواحد خلاف بك الذى كان ناظرا على فى مدرسة فاروق الأول حينما كنت فى السنة الأولى لها وهو من أعظم الرجال الذين عرفتهم وكان بين العمالقة الدكتور أحمد زكى الرجل الذى جمع النبوغ الشامخ فى العلم الى الموهبة الشاهقة فى الأدب ٠ وكان معهم أيضا اسعاف النشاشيبى وكان النقاش يحتدم بينه وبين هؤلاء الاعلام حول الدين والعلم ٠ وكان غفر الله له ملحدا عميق الالحاد ٠ وكان توفيق بك الحكيم حريصا على حضور هذه الندوة وكان يحضرها أيضا الفيلسوف العملاق والأديب الباذخ الدكتور زكى نجيب محمود أطال الله عمرهما ٠ كنت أظل طوال الجلسة صامتا لا أفرج شفتى عن كلمة ٠

وحين أصبح أبى وزيرا للشئون الاجتماعية كان توفيق بك الحكيم موظفا فى الوزارة وقد دعاه الى الغداء فى البيت كما دعا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ٠ وقد يعجب القارىء اننى لم اتهيب فى حياتى الى هذه السن لقاء احد لا استثنى من ذلك رؤساء الوزارات ٠ ولكننى تهيبت لقاء العملاقين وخجلت ان احضر معهما الغداء واكتفيت بأن نزلت

الى الشارع من الباب الخلفى لمنزلنا بالعباسية ورأيتهمـــا يخرجان من الباب الرئيسى وظللت انظر الى ظهريهما وهما يغادران البيت مشيا على الاقدام توفيق الحكيم يعتمد عصاه والمازنى يظلع فى خطاه وكأن مشيهما عندى ورؤيتهما أروع فى نفسى من رؤية أى رئيس وزارة مهما تكن سيارته فخمة فارهة ومهما يكن لحراسه من هيبة فى الهيئة أو فى الملبس ٠

وظل الأمر بينى وبين توفيق بك على هذا الحال وانتقلت لجنـــة التأليف والترجمة والنشر من شارع كرداسة قرب العتبـــة الخضراء الى دار انيقة وشارع فسيح بحى المنيرة وكان للدار حديقة متوسطة الحجم ذات ممشى يؤدى الى الدار ٠ وظللت على حرصى أن أحضر الندوة وكنت قد بدأت اكتب تمثيلياتى فى الاذاعة ولكن الاذاعة شىء وأن اتكلم بين هؤلاء شىء آخر ٠ كان صـمتى فى دار المنيرة هو نفس صـمتى الذى كان فى شارع الكرداسة حتى كان يوم انتهت الندوة ودخلت أنا الى الأســتاذ عبد العال المدير الادارى لمجلة الثقافة واحسب أننى كنت اسأله عن مقالة لى كنت ارسلتها وأردت أن اطمئن الى وصولها ٠ وربما مكثت بضع دقائق اتحدث الى الأستاذ عبد العال وخرجت وأنا واثق ان جميع من كان فى الندوة قد انصرف عن الدار ولم يكذب حدسى الا فى شخص واحد وجدته واقفا وقد ركن الى عصاه فى منتصف الممشى ناظرا الى باب الدار مترقبا فى وضوح ظهور شخص ما ٠ وفى صمت واطراق حاولت ان أميل عن وقفته متخذا سبيلى أماما الى الباب الخارجى ولكن توفيق بك عاجلنى :

ـ هل أنت ثروت أباظة ٠

قلت :

ـ نعم يا سعادة البك أنا هو ٠

قـال :

ـ انا معجب برواياتك فى الاذاعة جدا ٠ لدرجة أننى حين أقرأ فى البرنامج أن لك رواية امكث فى البيت ولا أخرج ٠

للقارىء أن يتصور ذهولى وفرحتى فى تلك اللحظة ولم أجد شيئا اقوله الا :

ـ اصحيح هذا الذى اسمعه ٠ انا يخيل لى أننى احلم ٠

فقال فى بساطته المعهودة :

ـ لا والله فعلا ٠

قلت :

ـ اذن هذه الروايات تستحق ان تجمع فى كتاب · ترى اتقبل ان تكتب له المقدمة ·

وعجبت لنفسى أن أقول هذا الكلام ولا أدرى حتى اليوم كيف وجدته على لسانى ·

وقال توفيق :

ـ لامانع ·

قلت :

ـ متى أرى سعادتك ·

قـال :

ـ اى وقت فى دار الكتب ·

وأخذت رواياتى وذهبت فى اليوم التالى الى مكتب توفيق بك ·

ووجدت سكرتيره صديقى الذى كنت قد تعرفت به واحببته كل الحب فى جريدة المصرى الأستاذ محمود يوسف وقد توثقت صلته بى بعد وكنت أعتبره من اقرب الناس الى قلبى حتى اختاره الله الى جواره ·

دخلت الى توفيق بك وقدمت اليه التمثيليات وتحدثنا عن المقدمة فلم أجد عنده تحمسا · ولكنه قدم لى كتابه العظيم الذى كان قد ظهر فى هذه الأيام (فن الأدب) وقال :

ـ خذ هذا الكتاب حتى لا تكون أحضرت لى شيئا دون أن اقدم لك شيئا فى مقابله ·

وأخذت الكتاب وذهبت الى بيتى وكنت قد تزوجت حديثا · فقد كان هذا اللقاء فى خريف عـام ١٩٥٠ · قرأت الكتاب جميعا فى يوم واحـد وأعجبت به كل الاعجاب وأصبحت واثقـا أنه لن يكتب مقـدمة لكتابى المزعوم · فقد وجدته يقول ما معناه ان كاتب التمثيلية الاذاعية ليس كاتبا بالمعنى المفهوم ·

وقد ناقشت توفيق بك فى هـذا ولكنه قال انك استثناء من هـذه القاعدة فاعتبرت هذه الكلمة تحية منه تحاول أن تخفف من أثر رأيه فى نفسى · ولم أحاول أن أتكلم عن المقدمة وعدلت عن جمع هذه التمثيليات فلم أجمعها الا بعـد ذلك بثمانية عشر عاما · وعـدلت أيضا عن طلب مقدمات من أحد مطلقا · لدرجة أننى بعد ذلك بقرابة خمسة عشر عاما

كنت عند الدكتور طه حسين باشا وعند انصرافى خـرج معى سـكرتيره فريد شحاته يودعنى فقال لى :

ـ كنت تقول للباشا انك انتهيت من رواية وهو كتب لك مقالات عن رواياتك السابقة فلماذا لا تحضر هذه الرواية ليكتب لها مقدمة فهو ليس مشغولا فى هذه الأيام ٠

فقلت :

ـ أحب أن يكتب لى عنها بعد أن تصدر اذا كانت تستحق ولكننى لا أريد أن اتشفع للقارىء مسبقا بمقدمة ٠

فقـال :

ـ معك حق ٠

وفعلا كتب الدكتور طه باشا مقالة عن هذه الرواية وهى (ثم تشرق الشمس) ونشرت المقالة بمجلة الهلال ٠

توثقت صلتى بعد ذلك بتوفيق بك ٠ وأصبحت اذهب اليه كثيرا فى دار الكتب كما كنت أجلس معه فى ندواته ٠ فى جروبى بالقاهرة وفى بترو بالاسكندرية ٠

وكنا فى الاسكندرية نخرج أنا وهو وصـديقه المترجم الأسـتاذ محمود ابراهيم الدسوقى كل أسبوع مرتين نتناول الغداء ثم نذهب الى السـينما ثم نتناول الشـاى فى اتينيوس ثم أصبحنا نتناوله فى نادى السيارات بالاسكندرية ٠ وكان كل منا يدفع حسابه ٠ ولكنهما وجدا أن من الأيسر أن يدفـع لى كل منهما جنيها واحـدا وأتولى أنا الانفاق وكان توفيق بك بذكائه المعهود يعلم أننى أدفع فوق كل جنيه ثلاثين أو أربعين قرشـا من جيبى وكان هو سعيدا غاية السعادة ان استطاع توفير هـذا المبلغ الضخم ، وكذلك كنت أنا سعيدا أن أدفع هذا المبلغ وأعفى نفسى من محاسبتهما فى آخر الرحلة التى كنت أعتبرها مرانا وتدريبا على حساب الملكين ٠ وكثيرا ما كان يصحبنا الأستاذ نجيب محفوظ فى الذهاب الى نادى السيارات لتناول الشاى الذى قد يمتد الى العشاء ٠

ومن الطرائف التى أذكرها فى هذه الأيام اننا علمنا ونحن فى نادى السيارات أن والدة الأستاذ أنور أحمد توفيت ولم يكن معنا الأسـتاذ الدسوقى واتفقنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أن نرسل برقية واحدة تحمل أسـماءنا نحن الثلاثة وكانت الفكرة طبعا من تأليف توفيق الحكيم ٠ ورأينا أن تكون الصيغة أحسن الله عزاءكم ٠ وحين أرسلنا البرقية مـع ساعى النادى وعاد بباقى الجنيه وجدنا أن تكاليف البرقية لا تقبل القسمة على ثلاثة فقال توفيق بك :

- البرقية لم ترسل بعد أوقف ارسالها ونختصرها ٠

فقلت :

- كيف نختصر من ثلاث كلمات ؟

فقال توفيق بك :

- بسيطة ٠٠٠ اليست البرقية تقول احسن الله عزاءكم ٠٠

فلنقل أحسن الله وكفى ٠

ولك أن تتصور شخصا مفئودا بوفاة والدته ويجد برقية تسعى اليه لتقول أحسن الله ٠ وفقط ٠

ومن طرائفه أيضا التى لا أنساها أننى كنت معه وحدى نتناول الغداء فى أحد مطاعم الاسكندرية وجاء النادل يسألنا عما نريده حلوا

وكان توفيق بك منهمكا فى الحديث بحرارة فقال :

- عندك عنب ؟

- نعـــم ٠

- هات عنب ٠

وحتى لا أقطع عليه الحديث قلت أنا أيضا فى سرعة :

- وأنا الآخر ٠٠ هات لى عنب ٠

واذا بالجزع يرتســم على وجه توفيق بك ويقطع حديثــه المتدفق ويلقف النادل قبل أن ينصرف :

- انتظر ٠٠٠ انتظر ٠

ونظر الى ٠

- أنت تريد عنب ؟

قلت :

- نعم ٠٠٠ لا بأس ٠

فاذا هو يقول للنادل وكأنه يختسب الله :

- طيب هات لى أنا تين بقى

وأراد أن يكمل الحديث فلم يجد منى مستمعا وانما قاطعته :

ـ ماذا جرى ··· لماذا هذا ··· ؟

ـ مـــاذا ؟

ـ لماذا امتنعت عن العنب لما طلبت أنا لنفسى عنبا ؟

ـ آه · اسمع اياك أن تطلب طلبين من نوع واحد فى مطعم أبدا · سيحضرون لك نصيبا واحدا ويحسبونه عليك نصيبين ·

ومازلت حتى اليوم أعمل بهذه النصيحة الغالية ·

وفى أول يوم زرته فى مبنى الاهرام الجديد نادى محمد ساعى مكتبه وقال له :

ـ هات قهوة لثروت بك ·

فاذا بمحمد يبقى مكانه ولا يتحرك ويقول :

ـ ليس عندى بن ·

واذا بتوفيق بك يضحك ويقول له :

ـ لا ··· لا ··· دا لأ ·· ثروت بك مســـتثنى ·· جيب له قهـوة ·

وفهمت طبعا أنه مصدر أوامر لساعى المكتب أن يقـول دائما أنه ليس عنده بن للقهوة وبقى أن تعرف أن ثمن فنجان القهوة فى الأهـرام فى هذه الأيام كان عشرين مليما « قرشين » · وطبعا حين عينت بالأهرام أصبحت أتولى مسألة القهوة هذه كلما زرته فى مكتبه ·

ومن عادات توفيق بك اللطيفة أنه اذا أراد أن يعزى أى شخص من العاملين معه فى الأهرام يقطع ورقة على حجم البرقية ويكتب فيها صيغة برقية ويرسلها مع الســاعى ويعفى مصلحة البريد من متاعب ابــلاغ البرقية ·

ولكن كل هذا الذى أرويه يخفى الحقيقة المؤكدة وهى أن توفيق بك من أكرم الناس الذين عرفتهم فى حياتى · وأنا لا أعرف انسانا أغدق على أسرته المرحومة زوجته والمرحوم ولده الوحيد اسماعيل والسيدة الفاضلة ابنته أطال الله عمرها ما أغدقه توفيق بك على أسرته هذه ·

ومن طرائفه مع المرحوم ابنه أنه طلبنى يوما فى التليفون الداخلى فى الأهرام ·

قال : هل عندك أحد ؟

قلت : نعم كثيرون ·

قال : كنت أريد أن أجىء اليك ٠

قلت : هل عندك أنت حد ؟

قال : لا ٠

قلت : اذن أجىء أنا اليك ٠

وذهبت اليه واذا هو يقول فى عجب :

ـ اسماعيل يريد منى خمسمائة جنيه وانا أريد أن أعطيها له ولكن أريد أن أقول اننى استلفتها منك حتى يردها فيما بعد ٠

ضحكت وقلت :

ـ تحت أمرك ٠

قـال :

ـ سأكتب لك كمبيالة واريها له لعله يرد المبلغ كما يقول ٠

وضحكت من هذه المسرحية المفككة وقلت :

ـ أنا تحت أمرك ٠

وأنا اقدر فى نفسى أشياء كثيرة ابسطها أن اسماعيل يعـرف أن الصلة بين والـده وبينى لا يمكن أن تكون المعـاملة فيها بالكمبيالات ٠ ولكنى لم اشأ أن أبدى أى اعتراض وكتب الكمبيالة ووقع عليها ووضعها فى جيبه ٠

ومرت شهور وقال لابنه يوما :

ـ ثروت بك يريد المبلغ ٠

فقال اسماعيل رحمه الله فى ذكاء ٠

ـ يا بابا هذه أول مرة تكون فيها الكمبيالة مع المدين وليس مـع الدائن ٠

وأدرك عميد المسرح العربى الى أى حد كانت مسرحيته ساذجة ، ولا عجب فالجمهور فى هذه المسرحية هو ابنه الحبيب ٠

ان صلتى بتوفيق الحكيم هى صلة بنوة من ناحيتى وأبوة من ناحيته وهو يشعر ببنوتى شعورى بأبوته ٠ وهو دائما يقول أنت وزوجتك وابنك وابنتك اسرتى أحس أن ابنتى زينب أخت لكم ، هكذا دائما أشعر بكم ، وهو يعلم أن هذا هو شعورى وتلك هى مشاعر بيتى جميعه نحوه ٠

★★★

الدكتور طه حسين

حين توفى أبى فى ٢٢ يناير عام ١٩٥٣ اقيمت له حفلات تأبين من أسوان الى الاسكندرية ٠ واقام له مدنى بك حزين وأسرته مأتما فى بلدتهم العظيمة اسنا ووقفوا يتلقون العزاء وارسلوا الى غزالة حيث اقمنا ثلاث ليالى المأتم برقية يقولون فيها : اقمنا المأتم باسنا فنعتذر عن حضور المأتم فى غزالة ٠

وكذلك فعل ابناء الزقازيق فى الأربعين فقد اقاموا ليلة الأربعين فى الزقازيق واحياه الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وكان هذا فى أول ظهوره ٠

وكان من الطبيعى أن يقيم له زملاؤه فى حزب الأحرار الدستوريين حفل تأبين مع أن الحزب كان قد حل الا أن الرجال رجال فى حزب كانوا او لم يكونوا

وبدأ هيكل باشا يعد لحفل التأبين ٠ وكنت بمنزله فاذا هو يقــول فجأة :

ـ أنا أريد طه حسين يشترك معنا ٠

والتفت الى احد مساعديه وقال :

ـ اطلب لى الدكتور طه ٠

وطلب المساعد الدكتور وقال لهيكل باشا الدكتور طه على التليفون وكنت اقف بجانب التليفون مباشرة وقال الدكتور هيكل باشا :

ـ يا طه ٠٠

واصبت انا بنوع من البهر ·· هـل يمكن أن يقول أحـد للدكتور طه حسين باشا بأكمله يا طه ، وما لبثت أن تنبهت بعد لحظة أو هنيهة أن المتكلم هو الدكتور محمد حسين هيكل باشا رفيق عمره وصاحبه على الطريق من اول الطريق · وقال هيكل :

ـ نقيم حفل تأبين لدسوقى يوم كذا وأريدك أن تشترك فيها ·

وسمعت صوت الدكتور طه قادما الى أذن هيكل باشا وكانت تلك هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوته فى التليفون ·

قال ، وما أعظم ما قال :

ـ فى هذا اليوم أنا عندى محاضرة سالقيها فى الجامعة · سالغى المحاضرة وأعتذر عنها وأحضر التأبين وأتكلم ·

ملأنى التاثر بهذا الحديث القصير · وأقيم حفل التأبين · وكان من أروع حفلات التأبين التى شهدتها مصر ·

وتفضل الأســتاذان الكبيران العوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى فجمعا فى كتاب واحد ما قيل فى حفلات التأبين التى أقيمت فى أبى كما جمعوا فى الكتاب كل الكلمات التى نشرتها الصحف فى رثائه ·

وظهر الكتاب بعد حوالى عام من وفاة أبى وظهر فى نفس الوقت كتابى ابن عمار ·

ورايت من الطبيعى أن أقصد الى الدكتور طه حسين باشا وأقـدم اليه كتاب الرثاء شكرا منا أو محاولة شكر لكلمته الرائعة التى ألقاها فى التأبين ولوفائه العظيــم الذى جعله يلغى محاضرة له ينتظرها الآلاف ليشارك فى التأبين ، ومحاضرة طه حسين لا ينوب عنه فيها أحد ولكن التأبين يمكن أن يتم اذا هو اعتذر عن عدم الحضور فيه

طلبت موعدا من الدكتور طه حسين واعطانيه · وقصدت اليه فى بيته بالزمالك · فى الشارع المسمى باسمه اليوم ، وكان هذا قبيل انتقاله الى الهرم بشهور قليلة · وصحبت معى فى زيارتى له رواية ابن عمار · وفى هذه الجلسة لم أشعر الا بالانبهار فلم أكن أتصور أننى ساجلس الى طه حسين فى حياتى ·

وأذكر بعد ذلك أننى ذهبت اليه فى هذا البيت مرة أو مرتين وبدأت العلاقة على كثير من الاستحياء من جانبى · فأنا من أشــد المعجبين بطه حسين عميد الأدب العربى واعتبره اكبر علامة فى جيله الأدبى وكان الدكتور طه حسين دستوريا وكان يكتب فى السياسة جريدة الحزب،

وكان على صداقة بأبى فى هذه الفترة وقد ذكر الدكتور طه أبى فى كتابه حديث الأربعاء .. ثم ترك الدكتور طه الحزب وكتب بعض مقالات كان أبى يخالفه الرأى فيها وخاصة حين كتب عن حافظ ابراهيم ما معناه أن مدحه الملكة الانجليز يشبه مدحه للأسرة الأباظية فرد عليه أبى بمقال غاية فى العنف لا أريد أن أذكر منه شيئا وان كنت معتقدا أن أبى كان على حق .
ومع هذا الخلاف فان أبى كان دائم الاعجاب بأدب طه حسين ودائم المديح له حتى لنا نحن بنيه وأهل بيته فأنا لم أر رجلا فى حياتى يعدل فى حكمه مثلما كان يعدل أبى . لعلك تذكر كيف كان يمتدح حسن صبرى باشــا كرئيس للوزراء مع أنه هــو الذى حال بينــه وبين دخـوله وزارة محمد محمود . ولم يختره معه فى الوزارة مع أنه كان سـكرتير عـام الحزب وأولى رجاله بها ولكن هذا جميعه لم يمنعه أن يــراه من أحسن رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم . ولم يحاول وهو البرلمانى المتمرس الخبير أن يحرجه ولو لمرة واحدة فى مجلس النواب .

كذلك كان هو . وقد كان اعجاب أبى بطه حسين وأسلوبه لا حد له مع أن الدكتور طه كان وفديا من الحزب المعارض لحزب أبى .

وكان الدكتور طــه يروى لى دائما كيف أنه احتاج يوما لاطارات لسيارته أيام الحرب وكانت وزارة المواصلات التى كان أبى وزيرا لها هى المختصة باعطاء الأذون للاطارات وكان أخو الدكتور طه الشيخ أحمـد حسين قد عمل مع أبى فى وزارة الأوقاف فطلب الدكتور طه الى أخيه أن يرجو أبى ليعطيه الاطارات التى يريدها .

ويذكر الدكتور طه فى سرور بالغ أن أبى غضب لهذا الطلب كـل الغضب وطلب من الشيخ أحمد حسين أن يصله بالدكتور طــه تليفونيا وقال له حين سمع صوته :

ــ هل وصل الأمر أن ترسل لى وساطة بينى وبينك .

لم أكن انتظر منك هذا أبدا .

وأرسل اليه الاذن الذى يطلبه ..

حدث أن تطاول أحدهم على أعلام الأدب فكتبت مقالة عنيفة أهاجم هذا التطاول ونشرتها فى مجلة الرسالة الجديدة التى يرأس تحريرهــا الأخ الاعز العظيم يوسف السباعى وفى نفس الاسبوع كنا فى اجتماع كبير بنادى القصة وحضر الاجتماع رئيس النادى الدكتور طــه وأبــدى اعجابه بمقالى ففرحت ولم يكن فرحى باعجابه قدر فرحى أنه يقرأ لى .

لا أدرى لماذا كنت محرجا أن أوثق الصلة بينى وبينه أو ربما كأن ذلك لشعورى انه عملاق عظيم ومن حقه الا يسطو احد على وقته مهما يكن هذا الاحد معجبا متحمسا غاية التحمس فى اعجابه ٠

وحدث أن كتبت روايتى هارب من الأيام وظهرت فى الأسواق أوائل عام ١٩٥٧ وكنت وأنا أكتبها يجمح بى الخيال وأسأل ٠٠٠ ترى هل يقدر لهـذه الرواية أن يقرأها طـه حسين ٠٠٠ وما تلبث نفسى أن تردنى فى عنف : حنانيك ٠٠٠ ومن أنت حتى يقرأ لك طه حسين ٠٠٠ لم يبق الا أن يقرأ للبادئين من امثالك ٠٠٠ اعرف قدر نفسك أيها الشاب ٠

ولكننى مع ذلك لم اتردد أن اذهب بالنسخة الأولى الى بيت الدكتور طـه فى الهرم واترك الرواية مع بطاقة لى دون أن استأذن فى الدخـول ودون أن اسأل عما اذا كان الباشا موجودا أم لا ٠

ومرت أيام قلائل واذا بصديق العمر أخى الذى قل أن اعرف احدا فى وفائه ورحابة قلبه أمين يوسف غراب يأتى الى البيت وهو يكاد يطير من الفرح ٠

ـ الباشا يريدك ٠

ـ حقـا !

قال فى فرحته الغامرة :

ـ انه معجب بهارب من الأيام وعاتب عليك لانك لا تزوره ٠

فقلت له وقد أصبحت فرحته فى نفسى طيورا مجنحة دائمة الدف بجناحيها ٠

ـ وماذا تنتظر ٠٠٠ هيا بنا ٠

ورحب بنا الدكتور طه ترحيبا زاد من فرحتى ٠ وبعد لحظات أخذنى فيها ذهول الفرح تبينت اننى سلمت دون وعى على الأسـتاذ الأديب عباس خضر كما سلمت على آخرين لا أذكرهم اليوم ٠

وقال الدكتور :

ـ لقد أعجبت بروايتك كل الاعجاب ٠

فقلت :

ـ انه شرف لى أن تقرأها فكيف اذا أعجبت بها ٠

قال هذه الجملة التى أعتبرها أعظم وسام نلته حتى اليوم ٠٠٠

وأنا فى السابعة والخمسين من عمرى ٠٠ ولكن ما تزال هذه الجملة أعظم وسام نلته مكانه منى القلب لا ظاهر الصدر ٠

ـ باخلاص لم يكتب فى تاريخ العربية عن الريف المصرى مثلما كتبت أنت فى روايتك هارب من الأيام ٠

وتاهت منى الكلمات وشرقت بها ورحت أجمع الحروف لأقول :

ـ انا لا أتحمل كل هذا يا معالى الباشا ٠

وصمت قليلا وبدا أنه يفكر كيف يقــول ما يريده دون أن يفهم الجالسون ما وراء جملته وما لبث أن قال :

ـ أنت أديب قلت ما تريد أن تقوله عن طريق الرواية ٠

وفهمت اشارته فقد كانت الرواية تفضح الطغيان وتدينه بعنف ٠

وتغير الحديث ومكثنا بعض الوقت وجاء الوقت الذى ينبغى فيه أن نستأذن للانصراف فاذا الدكتور يقول :

ـ سأشدك من اذنك لا تظن أنك ستقرأ لى مديحا فقط توقع ان اشدك من اذنك ٠

فقلت وقد زادت سعادتى :

ـ ستجدنى أسعد الناس ان تشد يدك أذنى ٠

وخرجت ٠ ما هذا الذى حدث ٠ ان الحياء يمنعنى ان اذكرك من هؤلاء ، فى تاريخ الأدب الذين كتبوا عن الريف المصرى ٠ وسيشد أذنى ٠ اذن سيكتب عن هارب من الأيام ٠ يكتب عن أول رواية من خلقى فابن عمار لم تكن لتكتب لولا التاريخ أما هارب من الأيام فروايتى الأولى ٠

ذلك والله ما لم تستطع أن تسمو له أحلامى ٠ وانى اليوم اذكر كلمة قالها عميد الحقد الأدبى الدكتور لويس عوض وكنا جلوسا فى الحرافيش فاذا هو فجأة يقول لى على غير انتظار أو توقع وبعد سنوات من ظهور هارب من الأيام كانت ظهرت لى فيها عدة روايات أخرى قال الدكتور عميــد الحقد ٠

ـ أتعرف لماذا لا نكتب نحن عنك ٠

وادركت ان نحن هــذه تعنى الشيوعيين طبعا وطبعا أيقنت وأنا لا اتوقع أن يكتبوا عنى طبعا أيضا وانما احببت أن أعرف بماذا يطمئنون ضمائرهم الأدبية فقلت :

ـ لا ٠٠٠ لا أعرف ٠

قال فى وقاحة جديرة به :

ـ لان طه حسين كتب عن روايتك الأولى ٠ ماذا هل ولدت عملاقا مثل التليفزيون ٠

وقلت فى بساطة :

ـ على كل حال ان كتابة طه حسين عنى تغنينى عن كل نقاد العالم ٠

ونقلت الحديث الى غير ما خاض فيه حتى لا افسد السمر على الحرافيش فى بيت أخينا العزيز الراحل محمد عفيفى

مرت أيام قليلة بعد خروجى من عند الدكتور طه حسين وطلبتنى جريدة الجمهورية تسالنى أن أرسل لها صورة لى لتنشر مع مقالة الدكتور طه ٠

ولم انم تلك الليلة وفى الفجر كنت اقرأ الجمهورية ووجدت المقالة فوق ما اتوقع وجدت الدكتور يأخذ على مآخذ فهمت ما يريده منها وفى العاشرة من الصباح كنت على باب منزله لأول مرة أزوره على غير موعد وقلت :

ـ أنا فعلا لا أعرف ماذا اقول ٠

قال :

ـ الله اذن أنت لم تزعل ٠

قلت :

ـ فمتى افرح فى حياتى اذا زعلت اليوم ٠

قال :

ـ قل لى ماذا تقصد بروايتك ٠

قلت :

ـ معاليك قلت أنت اديب قال ما ٠٠٠

ولم يجعلنى اكمل وقاطعنى ٠

ـ دعك مما قلت أنا وقل لى أنت ماذا تقصد ٠

قلت فى بساطة وصراحة :

ـ انا اصف عهد الطغيان الذى نعيش فيه ·

فاذا الرجل يقول فى ابوة حانية ·

ـ هيه ··· انا فهمت هذا ·

فقلت :

ـ واذا لم تفهم انت فمن ··· وانا فهمت انك هاجمت بعض افكار من الرواية لتحميني ·

قال :

ـ برافو · نعم هذا ما قصدت اليه حتى اذا سالك أحد تقول اسال طه حسين فهو يقول غير هذا ·· انما اسمع ··· انا أستحلفك بحياتى اذا كنت تحبنى واستحلفك بأبيك الذى أعرف أنك تحبه وتقدره الا تقول هذا الذى قلته لى لأى انسان ولا حتى لزوجتك · هؤلاء قوم مجرمون والله يعلم ماذا يصنعون بك اذا فهموا هذا الفهم ·

كان برنامجى أن أسافر الى غزالة فى هذا اليوم فخرجت الى غزالة وكتبت له خطابا قلت له فيه أن كتابتك عنى أهم حدث فى حياتى ولكننى ربما كنت أصل اليها بعد سنوات اذا فاتنى أن أصل اليها اليوم ·

ولم اكن اتصور اننى سالقى سعادة اكبر من أن تكتب أنت عنى ولكنك كشأنك تسمو الى مدارج يعجز مثلى أن يتصور انسانا يصل اليها ·

انه لشىء عظيم أن ينقدنى ظاهرة من الظواهر الكونية فى التاريخ الأدبى · ولكن الأعظم منه أن أجد فيك الأب الذى فقدته · وقد يتاح للانسان من أمثالى أن يصلوا الى النجاح الأدبى · ولكن هيهات أن يتاح للانسان أن يجد أبا بعد أن يفقد أباه ·

وتوثقت الصلة بينى وبين الدكتور طه حسين وكتب لى بعد ذلك عن رواياتى « قصر النيل » و « ثم تشرق الشمس » و « لقاء هناك » ·

وأذكر اننى كنت جالسا معه مرة فقلت له أن مجلة كذا كتبت عن معاليك مقالة اقرأتها ؟

فقال :

ـ لا ماذا قالت ؟

قلت :

ـ تمدح معاليك ٠

قال :

ـ من اى ناحية ؟

قلت :

ـ تتكلم عن جملتك المشهورة العلم كالماء والهواء ٠

فقال :

ـ هيبه ٠

ثم صمت قليلا وقال :

ـ والله يا ثروت لا أعرف أن كنت قد أصبت أم اخطأت بهذا الشعار ٠

وكانت مساوىء التعليم المتسع دون اعداد علمي له قد بدأت تظهر فأثرت الصمت وكنت اذا تأخرت فى الذهاب اليه يبادرنى قبل أن يسلم على ببيتين أصبحت احبهما غاية الحب :

ان كنت أزمعت على هجرنا
من غير ما ذنب فصبر جميل

وان تبدلت بنا غيرنا
فحسبنا الله ونعم الوكيل

كان طه حسين من أكرم الناس الذين عرفتهم ٠٠ طالما شهدته يعطى الفقراء ، وكان كثيرون من مكفوفى البصر يقصدون اليه ولا أنسى أول مرة زاره أحدهم فى وجودى ومد كل منهما يده للآخر ولكن اليدين لم يعرفا طريقهما فى الظلام الدامس الذى يعانيه صاحب كل منهما وبسرعة تقدم فريد شحاته وهدى اليدين الى الطريق وتصافحا ٠ وتأثرت انا وطفرت الدموع الى عينى وحمدت الله أن الرجلين لم يريا دموعى التى حاولت أن أخفيها عن فريد أيضا ٠

ذهبت يوما لزيارة الدكتور أنا والصديق أمين يوسف غراب وسأل الباشا أمين :

ـ ماذا تكتب الأن يا أمين ؟

وكان أمين فى الطريق روى لى موضوع قصة يكتبها وقلت له ان الفكرة تتعارض مع الشريعة فسارعت أنا باجابة الدكتور طه :

ـ يكتب قصة تتعارض مع الشريعة ٠

ورويت المسألة الشرعية فقال :

ـ اظنك على حق ٠ يافريد هات المصحف ٠

واحضر فريد المصحف وقال الدكتور :

ـ افتح على سورة النساء ٠ اقرأ الآية التى أولها كذا ٠ اقرأ بعدها بآيتين ٠ فاذا هى الآية التى تحمل القاعدة الشرعية موضع النقاش ٠ وتلك ذاكرة لا تتاتى الا لطه حسين ٠ وقد كان رحمه الله لا يسمع فى الاذاعة الا المصحف المرتل ٠ ولكن المشايخ القراء اذا سألتهم فانهم يقرأون السورة كلها ليصلوا الى الشاهد الذى تريد ٠

اجريت عملية جراحية للدكتور طه تدهورت صحته بعدها فأصبح يمشى بصعوبة بالغة ولكن الرجل الذى صارع اظلام البصر فصرعه استطاع أن يصارع قيود المسير فيصرعها ٠ فهو حريص دائما أن يرأس جلسات مجمع اللغة العربية الذى كان يسميه الأكاديمى او الأكاديمية ، كما كان يحرص على اعطاء المحاضرات ٠ وظل كذلك الى قبيل وفاته بسنتين ٠ وفى هذه السنة تدهورت صحته بصورة مفاجئة ولكنه كان يصر أن يرافق السيدة زوجته الى فرنسا كل عام ٠

وطلبته يوما فى التليفون وكان فريد قد تركه ٠ ورد على سكرتيره قائلا الباشا سيسافر الآن الى الاسكندرية ويريد أن يراك فورا ، وبعد دقائق كنت عنده وصعدت اليه فى حجرته وكان مستلقيا فى فراشه وجلست الى جانبه وحاول أن يخرج يده ليصافحنى فلاحظت انه يبذل جهدا كبيرا ليحركها فادخلت يدى تحت الغطاء وأبقيت يده حيث هى حتى لا أجهده وانتظرت أن يقول لى شيئا يبرر قول السكرتير لى أنه يريدنى ولكنه لم يقل الا ٠٠٠

ـ أنا متعب جدا يا ثروت ٠ أنا متعب جدا ٠

وعجبت انه مع هذا التعب سيسافر من فوره الى الاسكندرية فى طريقه الى فرنسا ٠

وانصرفت وقلبى يرتجف خشية الا أراه بعد ذلك ٠ ولكنه عاد وقضى العام فى القاهرة ٠ وفى يوم طلبنى سكرتيره وأخبرنى أن الباشا يريدنى فذهبت فاذا هو يريدنى ليهدى الى كتابه الأخير الجزء الثالث من الأيام ٠ وليأذن لى القارىء أن اذكر صيغة الاهداء فهى وسام آخر أضعه فى

القلب منى مع وسامه الأول ، الى الأستاذ فلان أوفى الأصدقاء وأبرع القصاص ٠

وفى صيف عام ٧٣ سافر الدكتور طه الى فرنسا ٠

وفى اكتوبر كانت حربنا المنتصرة وكنت فى البيت ولا أدرى لماذا قفز الى ذهنى أن أسأل عن موعد مجيء الدكتور طه وطلبت الرقم وأجاب السكرتير فاذا هو يقول فى دهشة بالغة ٠

ـ غير معقول ٠٠٠ لا يمكن

قلت له :

ـ ماذا ؟

ـ الدكتور فى هذه اللحظة كان يقول له أن اطلب لى ثروت لأعزيه فى وفاة عزيز باشا ٠

تفضل الدكتور سيكلمك :

وتكلم الباشا وحيانى وعزانى وسألته :

ـ متى شرفت معاليك ؟

فاذا هو يقول :

ـ الآن :

وتعجبت أن أطلبه ساعة وصوله وسألته عن صحته فقال :

ـ أنا متعب جدا ٠٠ متعب جدا ٠ وأريد أن أراك ٠ سأطلبك بعد يوم أو يومين لأراك ٠

مات الدكتور طه ولم يقدر لى أن أراه ٠ فقد مات بعد يومين ٠ وسارعت الى منزله ولقينى سكرتيره والدموع فى عينيه وهو يقول لى :

ـ لقد قرأ الدكتور روايتك الأخيرة « جذور فى الهواء » أربع مرات وكنت كلما قلت له اننا قرأناها يقول نعم أعرف ولكن أريد أن اقرأها مرة أخرى ٠

وغامت عيناى بالدموع ٠

ودخلت السيدة زوجته حجرة مكتبه حيث كنت جالسا مع بعض المعزين واذا بالسيدة الجليلة تحتضننى فى حنان أم وتربت كتفى وتبكى

على كتفى وهى تقول بالفرنسية : كان يحبك جدا مسيو أباظة كان يحبك جدا ·

وهى لا تدرى أن حبه لى مهما يكن شأنه هو بعض حبى له ·

وحسب هذا الحب عمقا اننى وأنا رجل صناعتى الكلام عاجز كل العجز أن أصف بعضا منه ·



حمام والديب وأحمد عبد الغفار باشـا

لا اذكر متى عرفت مصطفى حمام • ولكن المؤكد اننى عرفته ونحن بعد فى بيت الملك الناصر ، وقد تركنا هذا البيت وأنا بين الحادية عشرة والثانية عشرة • والحقيقة أننى لم أعرف فى حياتى شخصا قادرا على أن يجعل الجلسة ممتعة شيقة مثل مصطفى حمام •

لقد كان كل جالس يجد عنده ما يشتهى • فهو راوية خيارة للشعر يحفظ أجمله وأرفعه وأكثره رقة ، وهو راوية لا مثيل له للزجل • وهو قبل شاعر اذا شاء ارتجل الشعر ارتجالا وتحسبه جهد فى صنعه كل الجهد فأنت ترى فى شعره جمال السبك وحلاوة اللفظ وتماسك المعانى وتدافعها • ومهما أحاول فاننى لن أستطيع أن أنقل اليك المتعة الرائعة التى يفيضها حمام على أى مجلس هو فيه • يؤيده فى ذلك ذكاء بارع فى اختيار ما يقال فى كل مجلس بحاسة لا تخطىء ، يختار حديثه فاذا هو يجتذب الجالسين كفعل الساحر الخبير •

واشهد أننى لم أسمع حمام عمرى يذم انسانا أو ينتقص منه • وهو يملك لسانا عذبا يرضى به كل متحدث اليه ، ولعل من أطرف المواقف التى رأيته فيها يوم طلب أبى من القاهرة وكنا نحن مع أبى فى بلدتنا غزالة • وأخبرنى أبى أنه قادم الى غزالة وأراد أبى أن يفاجئه فأمر فتجمعت من رجال البلدة مظاهرة ضـخمة فى مقدمتهـا طبال القرية وزمارها واعدوا للقادم حصانا صافنا أصيلا وذهبت أنا بالمظاهرة ننتظر حمام على القطار فى محطة أبو الأخضر التى تبعد عن غزالة كيلو مترين • ووقف القطار وارتفع الهتاف يحيا الأستاذ حمام وذهل الرجل فقد كان يتوقع أن يكون السائق فى انتظاره وان جمح الخيال فلأكن أنا مع السائق أما مظاهرة وطبل وزمر وحصان وأنا فهـذا فوق ما كان يتخيـل •

نزل مبهورا وركب الحصان ولم يكن قد ركب حصانا فى حياته ، وشاء حظه أن يكون الحصان عربيا راقصا فراح يوقع بحوافره مع مرسيقى الطبل والمزمار • وكاد يغمى على حمام واستحلفنى أن يركب حمارا والا مات من الخوف فى وسط الطريق ورحمته وأركبته حمارا وجدناه بالصدفة فى طريقنا ووصل الموكب والزعيم القادم يركب حمارا واستقبله الشاعر الكبير ابن غزالة أحمد عبد المجيد الغزالى بقصيدة عصماء كان مطلعها :

أتيت فمرحبا بك يا حمام
وفى كنف العلا يحلو المقام

وقضى معنا فى غزالة أياما لا تنسى •

أراد حمام أن يقدم عبد الحميد الديب الى أبى فجاء به والقى عبد الحميد أبياتا لأبى رائعة اذكر منها :

جابر المحروم وهاب المنن
جبر الله به صدع الوطن
انت ابراهيم ثانى نابغ
فجع الكفار فى حطم الوثن

وكان هذا اللقاء فى أوائل الأربعينات وكان أبى قد خرج منتصرا على الوفد فى المعركة الانتخابية الشرسة التى رويت لك انباءها والتى جرح فيها عمى فكرى اباظة ولف أبى خمسة جنيهات فى هيئة سيجارة وقدمها الى عبد الحميد الديب • وخرج الديب وحمام وعاد حمام الينا فى اليوم التالى ليخبرنا أن الديب كاد يجن من الفرح وراح يقول لحمام :

ـ لماذا لم تعرفنى بهذا الرجل من زمان • خمسة جنيهات مرة واحدة • انا لا أراها الا فى الأحلام •

وبعد أيام عاد الينا حمام وقال لأبى : اسمع يا معالى الباشا الشعر الجديد الذى قاله الديب فى الأباظية •

وسأله أبى :

ـ ماذا قال ؟

وقال حمام :

قال :

ابلغ اباظة عنى انهم ورثوا
مالا ولم يرثو دينا ولا خلقا

واندهش أبى وراح يضحك لهذا الانقلاب وسأل حمام عن سره فقال حمام ·

ـ سألته :

وقال أبى :

ـ فماذا قال ؟

قال حمام :

ـ قال خمسة جنيهات ايه يا أستاذ هو باع القطن بكام السنه دى ·

وضحك أبى ولكنه قال فى ذكاء السياسى المحنك ·

ـ المسكين وقع فريسة لخبيث أراده أن يهجونى حتى يقطع عنه ما أعطيه ·

وصاح حمام :

ـ أطال الله عمرك يا باشا · هذا فعلا ما حدث لقد أغراه بك كامل الشناوى ·

ولم يغضب أبى من عبد الحميد الديب وظل يصله ·

وحدث بعد ذلك بسنوات أن ذهب عبد الحميد الديب الى معالى المرحوم احمد باشا عبد الغفار فوجد الباشا فى الطابق الأعلى فأرسل اليه أبياتا يمتدحه بها فأرسل له أحمد باشا خمسين قرشا فغضب عبد الحميد الديب وأعاد الخمسين قرشا ومعها هذه الأبيات :

كسرت ابا عثمـان قلبى وخاطرى
وقد خلت منك العطف فى العيش جابرى

وما جئت استجديك خمسين لعنة
ولا مر هـذا الميـل يوما بخاطرى

ففى كل غفـار خـلال ذميمـة
وأخلاق نذل ساقط الأصل داعر

اباظة اسمى منـكمو فى نجـارها
واندى اكفا فى صـلات العشـائر

واذكر اننى كنت فى صباح ذلك اليوم واقفا بجانب أبى وهو يحلق ذقنه فى حجرته على عادته ولم يكن عندنا اى فكرة طبعا عما حدث لأحمد باشا ، واذا بالتليفون يضرب ويخرج الى اذنى صوت احمد باشا عنيفا

ودون تحية الصباح ودون أن يسألنى من أنا فقد كان يعرف صوتى من كثرة ما أجبته فى التليفون ٠

ــ فين أبوك ٠

وأعطيت السماعة لأبى وظل صوت أحمد باشا يصل الى أذنى وكأننى أضع السماعة على أذنى ٠

ــ أنت باعت لى الواد بتاعك يشتمنى على الصبح ٠

وعجب أبى وقال :

ــ واد مين ٠

وروى احمد باشا لأبى القصة ولم يكن محتاجا أن يؤكد أبى له انه لا يعرف شيئا عن هذه الحكاية ولكن احمد باشا قال له :

ــ دى أخرة تدليعك للعيال الشعرا بتوعك دول ٠

وراح أبى بعد أن وضع السماعة يضحك ويضرب كفا بكف وهو يقول لنا فى مرح ضاحك ٠

ــ بس أنا مالى ٠٠٠٠ ما دخلى أنا ؟

ورحنا نحن أيضا نضحك مما فعله الشاعر عبد الحميد ٠ وبما أننى رويت عنه فاننى أحب أن أثبت هنا ما وصلت اليه فى شأنه ٠ لقد كان هذا الشاعر يستعذب الفقر والصعلكة ٠ وكان يخشى أن يجرى المال فى يده فلا يقول شعرا ٠ وهو فعلا لا يستطيع أن يجيد الا فى شكوى الزمن ، اسمعه يقول :

بين النجوم أناس قد رفعتهموا
الى السماء فسدوا باب أرزاقى

ومن حبته الطلا أخلاق نشوتها
عدا على الكاس طورا أو على الساقى

وقد اتصلت أسبابى بالرجل أحمد باشا عبد الغفار بعد وفاة أبى ٠ وكان هذا طبيعيا ففى حياة أبى كانت صلته مباشرة ولم أكن أتصور أن احمد باشا من أحسن الذين يقرأون الأدب وله فيه ذوق رفيع وحس رقيق ٠ وكان فى جلسته متحدثا لبقا وكان كأهلنا فى القرى يروى الكثير من الوقائع ، ومما رواه أن أحد وزراء الداخلية استدعاه فى أحد الأيام وهو بعد شاب فى أول حياته السياسية وكان يريد أن يتعرف رأيه فى

المرشحين بالمنوفية لمجلس النواب · وحين استقرت به الجلسة جاء سكرتير الوزير ليخبره أن احد الباشوات الأثرياء بالخارج ·

وقال الوزير ادخل ودخل الباشا ثم التفت الوزير لأحمد عبد الغفار وقال :

ـ عن اذنك يا أحمد بك ·

ونظر اليه أحمد عبد الغفار الفلاح الأصيل ذو الاباء والكرامة وقال :

ـ تقصد معاليك أن أخرج وانتظر لتقابل معاليك سعادة الباشا حتى اذا انتهى سعادته من حديثه أدخل انا ·

فقال وزير الداخلية :

ـ دا اذا سمحت ·

فقال احمد باشا فى صراحة الرجال :

ـ لا يا أخى ما اسمحش أبدا ·· أنت مستدعينى تسألنى عن ترشيحات المنوفية كلها الباشا القاعد قدامك هذا لو رشح نفسه فى بيته لا يستطيع أن يحصل على صوته هو ·

وخرج الباشا وأكمل احمد عبد الغفار حديثه مع الوزير ·

واذكر أننى قلت لأحمد باشا يوم روى لنا هذه الحكاية ·

ـ ألم تكن قاسيا على الباشا دون ذنب له ·

وضحك احمد باشا وقال :

ـ لك حق · ولكن كنت أرد للباشا اساءة وجهها الى قبل ذلك · فقد تجاهلنى مرتين دون مناسبة فأحببت أن أعرفه مقامه ·

وكان أحمد باشا عبد الغفار من أكرم الناس الذين عرفتهم فى حياتى وكان كثيرا ما يدعو أصدقاءه الى الغداء أو العشاء فى كلوب محمد على وكان فى هذه الدعوات يغدق بغير حساب ·

ولكن الأهم من ذلك انه كان يحسن الى المحتاجين فى كرم لا مثيل له · فهو موطأ الأكناف ، يوسع على الناس بكل ما يستطيع من جهد · وكان اذا عرف أن صديقا له فى ضائقة سارع اليه دون أن يندبه أحد الى هذا ، وانما يتبرع بالمبادرة ويسعد غاية السعادة بأن يعطى ويحس بالرضى غاية الرضى أن الظروف أتاحت له أن يقف الى جانب صديق

مـكروب · وكان أحمــد عبد الغفــار يقدر الرجولة ويعجب بهــا غاية الاعجاب ·

وكان أحمد باشا معروفا بالصوت المرتفع الجهير ، ومن اطرف النكات التى تروى عنه أنه حين كان وزيرا للزراعة جاء أحد أصدقائه ليقابله فاستمهله السكرتير قائلا له ان الباشا مشغول · وجلس الضيف واذا بصوت الباشا يملأ أجواء حجرة السكرتير وشعر السكرتير بالخجل فأراد أن يعتذر للضيف فقال :

ـ لا مؤاخذة ياسعادة البك أصل الباشا يكلم تلا · وتلا هى قرية الباشا وفيها زراعته التى كانت معروفة فى مصر جميعا أنها زراعــة نموذجية لخبرة الباشا الفائقة بفلاحة الأرض · وتــلا هــذه قرية من المنوفية ·

واذا بالضيف يقول فى سرعة خاطر رائعة ··

ـ ولماذا لا تقولون للباشا يكلم تلا بالتليفون بدلا من هذا الزعيق ·

رحم الله أحمد عبد الغفار باشا الذى عاش رجلا ومات رجلا على رغم كل ما أحاطه به الدهر فى أخريات أيامه من تحديات واجهها فى شموخ العظماء وفى كبرياء الكرام ·



الدكتور محمد حسين هيــكل باشا

كنت كما أخبرتك فى رأس البر حين ظهرت نتيجة الثقافة . ونلت شهادة الثقافة وأصبحت طالبا بالتوجيهيه . وارحت عن كاهلى مشقة انتظار النتيجة وانطلقت أقرأ ما كنت أهفو الى قراءته من الكتب . وما كان انتظار النتيجة مانعى عن القراءة ولكن ما أبعد الفارق بين قراءة مفزعة يملؤها رعب انتظار النتيجة وقراءة هانئة خالية من الخوف . وكنت قرأت حياة محمد قبل هذا بسنوات ولكن طاب لى أن أعيد قراءتها . وكنا فى رمضان فكنت أنزل الى البحر حتى الساعة الواحدة ظهرا ثم أعود الى العشة وألبس ملابسى العادية وأجر كرسيا ومظلة بحر وكتاب حياة محمد . ولا أشعر بالحياة حتى تغرب الشمس وأضيق بغروبها كل ضيق وربما كانت هذه الأيام الوحيدة فى حياتى التى كنت أرجو فيها وأنا صائم ألا يأتى الغروب .

وكان المرحوم محمد حسين هيكل باشا يصطاف فى رأس البر معنا فقد كان الجميع يصطافون فى رأس البر فى زمان الحرب العالمية الثانية التى أثرت أعظم الأثر فى الدول المشتركة فيها وغير المشتركة .

وبعد الافطار كنت أذهب مع أبى ليجلس مع أصدقائه فى فندق كورتيل على النيل وسألنى هيكل باشا .

ـ ماذا تقرأ الآن يا ثروت .

فأجابه أبى .

ـ يقرأ حياة محمد للمرة الثانية وأنا أنصحه بأن يذاكر للبكالوريا التى سيمتحن فيها العام القادم .

وقال هيكل باشا :

ـ اتركه يا دسوقى يقرأ ما يريد فكتب المدرسة سيقرؤها على أى حال ولكن ربما لا يجد فرصة أخرى ليقرأ ما يقرأ الآن ٠

كنت فى هذه الجلسات أجلس صامتا كشأنى فى جلسات لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ وكان جلوسى دائما بجانب هيكل باشا ٠

مال يوما على وقال :

ـ هل فرغت من حياة محمد ٠

قلت :

ـ نعم ٠٠ وأحسب أننى سأعود اليه مرات بعد ذلك ٠

وفعلا عدت وكتبت عنه تمثيليات اذاعية أذاعتها محطات العالم العربى كله بعد ذلك بسنوات قليلة وعاد هيكل باشا يسألنى ٠

ـ وماذا تقرأ الآن ؟

قلت :

ـ أقرأ الشوقيات

قال :

ـ ما آخرقصيدة قرأتها ؟

قلت :

ـ مصائر الأيام ٠

قال :

ـ أتحفظ منها شيئا ؟

قلت فى خجل :

ـ نعم ٠

قال :

ـ قل ٠ ٠

فبدأت أقول :

الا حبذا صحبة المكتب   واحبب بايامه احبب

ومضيت ذرويت له بضعة أبيات وسكت مقدرا انه ربما يريد أن يعود الى مشاركة أصدقائه حديثهم ولكنه قال فى ذكاء وادراك لما أفكر فيه ٠

ـ أتحفظ بعـد هـذا ؟

قلت : نعم ٠

قال :

ـ أكمـل ٠ ٠

وأكملت ، ظللت أسكت ويطلب منى أن أواصل حتى رويت له القصيدة كلها وكنت حفظتها عن ظهر قلب ٠

واصبح هيكل باشا يصطحبنى بعد تلك الجلسة فى مشيته الطويلة حول رأس البر وما كنت وما أنا حتى اليوم من هواة المشى ولكن اذا كان المشى فى صحبة هذا العلامة من علامات التاريخ الوطنى والسـياسى فلتذهب هواياتى كلها الى الجحيم ٠

ومن الأحاديث التى أذكرها فى هذه المشيات أننى قلت له يوما :

ـ لابد أن شوقى كان شجاعا كل الشجاعة يا معالى الباشا ٠

قال :

لـماذا ؟

قلت :

ـ الم يشتم الأمير حسين الذى أصبح السلطان حسين كامل حين ذهب الى حفلة توديع كرومر بقوله :

شهد الحسـين عليـه لعن أصوله
وتصدر الأعمى بها تطفيلا

فقـال هيكل باشا :

ـ للأسف لم يكن شوقى كما كنا نود من الشجاعة ٠

فالأمير حسين فى ذلك الحين كان مغضوبا عليه من السراى ٠

وقد كان شوقى يمدح من فى الحكم ولا يعارض الا اذا كان واثقا أن شرا لن يناله ٠

قلت :

ـ عجيبة ٠

قـال :

ـ تصور انه بدأ يكتب قصيدة فى مدح محمد باشا محمود وهو رئيس وزارة ١٩٢٨ وسقطت الوزارة فلم يكمل القصيدة ٠

ـ اتذكر معاليك شيئا من هذه القصيدة ؟

قال اذكر البيتين اللذين قالهما ٠٠ قال :

هات الأمانـــة يا محمـــد هاتهـــا
راعى الأمانة أنت وابن رعاتهـــا

أنا لا أرى صـدأ الحـديد على يد
ردت الى الأوطـــان حرياتهـــــا

وكان بهذا يرفع عن محمد باشا تهمة اليد الحديدية التى أطلقها عليه خصومه مستغلين فرصة كلمة قالها انه سيقضى على الفوضى بيد من حديد ٠

قلت لهيكل باشا :

ـ مع ذلك فمعاليك كتبت له مقدمة رائعة للجزء الأول من ديوانه ٠ فقـــال :

ـ واذا طلب منى أن اكتب له مقدمة فى أى وقت ما تأخرت ٠ اننا يجب أن نفصل بين الشاعر والسياسى ٠ وشوقى الشاعر هو اعظم شعراء العربية على الاطلاق ٠

وفى يوم كنا فى القاهرة وكان هيكل باشا عندنا يشرب فنجان قهوة واقفا لا ادرى لماذا ربما لمجرد أنه لم يرغب فى الجلوس ٠ وقرأت أنا فى مجلة أن راقصة تقاضت مبلغا كبيرا من المال فى مقابل رقصة لها واحببت ان افاكه الباشا فقلت :

ـ ارأيت هذا الخبر يا معالى الباشا ٠٠ راقصة تتقاضى كل هذا المبلغ فى رقصة كم تأخذ معاليك فى كتاب باكمله ٠

فأجاب فى جدية :

ـ يابنى لا ٠٠٠ اما هكذا يكون الحساب ٠ هؤلاء الراقصات ذقن الجوع والاذلال فترات طويلة من حياتهن أما نحن فقد عشنا عمرنا كراما على أنفسنا وعلى الناس والحمد لله ٠

وبعد الثورة استدعته محكمة ثورية ليشهد شهادة تكون ذات أثر فى ادانـــة فؤاد سراج الدين فاذا هو وهو رئيس الحـــزب الذى يعتبر

المعارض الأول لحزب الوفد حزب الأحرار الدستوريين يعلن فى شجاعة منقطعة النظير أن منابر المجالس النيابية لم تشهد نائبا ولا شيخا فى ذكاء فؤاد سراج الدين وبراعته الا فى النادر من الرجال · واغجبت بما قاله وقصدت اليه أهنئه فقال فى كبرياء ·

– وهـل كنت تنتظر منى غير ذلك · قريب خصـما وهـو فى مأزق ·

وهو محق فقـد ذكرت له لحظة ذاك يوم تخطاه الملك فى رئاسة الوزراء وعين ابراهيم باشا عبد الهادى وأراد المـلك أن يعتـذر اليـه فاستدعاه وقال له فى تلطف ·

– ستأتى اليك رئاسة الوزراء يا باشا لا شك ·

فاذا هيكل العملاق يقول له :

– يا جلالة الملك أنا حين اجلس الى مكتبى وأكتب تصغر أمام عينى كل كراسى الحكم ·

وقد أوشك الرجل أن يقول حتى كرسى عرشك ·

ولهيكل باشا حديث معى لا أتصور أن أتحدث عنه ولا أذكره · فقد توفى خالى سعد الدين أكبر أخوالى وأكثرهم حنوا على وأقمنا المأتم بالزقازيق

وكنت انتظر نتيجة التوجيهية أو الثانوية العامة كما يسمونها الآن فرأيت أن أعجل بالسفر الى مصر لأتلقف أخبار النتيجة وكان أبى سيبيت فى غزالة ودار الحديث أمام هيكل باشا فقال فى بساطة :

– تعال معى ·· أنا فى السيارة وحدى مع خالتك عزيزة ·

وسارعت بالقبول ·

وفى السيارة سألنى :

– تنتظر نتيجة التوجيهية ؟

قلت نعم

قـال :

– وعلام تنوى ؟

قلت :

– الحقوق ولو أننى افكر أحيانا فى الآداب ·

فقـال :

ـ اياك ، ان الذى ستحصله من كلية الحقوق لا يمكن أن تحصله إلا من كلية الحقوق أما الآداب فستستطيع أن تدرس علومها دون كلية . وهانذا أمامك دراستى حقوق والماجستير والدكتوراه حقوق ومع ذلك يقولون عنى أنى أديب .

ولم أعد أفكر فى كلية الآداب بعد ذلك ، وتذكرت ان هـذا الرجل الجالس أمامى نال الحقوق واللغة الأساسية الانجليزية وكذلك الماجستير ثم نال الدكتوراه باللغة الفرنسية .. انه ظاهرة كونية هذا الرجل .

فى هذا اليوم الذى ذهبت لأهنئه بشهادته ذات الرفعة والاباء قال لى

سأقص عليك قصة كلما رويتها أعجبت بأبطالها وحزنت لأنهم كانوا مع ذلك غزاة محتلين . يراعون العدل مع الأفراد ولا يراعون العـدل مع الأمم . فى يوم من الأيام جاءنى استدعاء الى محكمة الانجليز العسكرية. وحمل الاستدعاء ضابطان بريطانيان صحبانى فى سيارة محترمة الى المحكمة . وجلست فى مقاعد المحامين حتى جاء دور القضية التى طلبت من أجلها فنودى اسمى ومثلت أمام المحكمة . وأمسك القاضى بجريدة السياسة وسألنى هل أنت رئيس تحرير هذه الجريدة فقلت نعم قال أهذا يصح وأشار الى مقاله قرأت عنوانها فعرفتها كانت مقالة يهاجم فيها د. طه حسين الأستاذ محمد أبو شادى وكان الانجليز يعتقلونه عند ظهور المقالة فتعجبت . ما هذا الذى لا يصح اننا نهاجم رجلا انتم تعتقلونه ماذا فى هذا فقال القاضى : فى هـذا اننا نعتقله . الا تدرى أننا حين نعتقله تصبح كرامته فى أيدينا . كيف تهاجمون شخصا لا يملك الرد عليكم ؟ فقلت بسرعة : من هذه الناحية انتم محقون وأعدك الا يتكرر هذا فقال شكرا وانصرفت وأنا أتعجب كيف يكون للانسان عندهم هذه القدسية وتجدهم فى معاملتهم للدول قراصنة ولا ضمير على الاطلاق .

توثقت صلتى بالمرحوم هيكل باشا يزيدها انها كانت علاقة عائلية فوالدتى صديقة زوجته وأبناءه وبناته نعتبرهم طول عمرنا فى بيتنا اخوة لنا .

وشاء القدر أن يلحق بالرفيق الأعلى عام ١٩٥٧ واردت انا والأستاذ الشناوى أن نقيم له حفل تأبين وأخبرنا بذلك احمد باشـا عبد الغفـار فدعانا للقائه مع كبـار رجال الحـزب فى نادى محمـد على ولم نكن والشناوى أعضاء فانتقل الينا الباشا وأصـدقاؤه فى غرفة الضـيوف وعرضنا رأينا واذا بوزير سابق من وزراء الحزب أكن له كل اكبار واجلال يقول :

ـ والله انا أرى الوقت ليس مناسبا فالثورة الآن باطشة وليست الحال كما كان عند وفاة المرحوم والدك وارى أن لا داعى ان تثير علينا البراكين ونعطل مصالحنا ٠

وساد بعض الصمت بعد حديث الباشا فوجدت نفسى أقول فى سرعة وفى حسم ٠

ـ يظهر يا معالى الباشا اننى لم أحسن عرض فكرتى ٠ أنا لم احضر للقاء معاليكم والباشوات لنستأذن فى اقامة الحفل ، وانمـا جئت انا والأستاذ الشناوى لنخطركم أننى والأستاذ الشناوى سنقيم تأبين لهيكل باشا ونسألكم فقط ان كان احد منكم يحب أن يشترك فيه أم لا ٠ انما الحفل سيقام على أى حال يامعالى الباشا ٠

وصمت الباشا فترة ثم قال :

ـ أفكر ٠

أما الباشوات الآخرون فقد وافقوا على الاشـتراك جميعهم فى الحفل ٠

واقيم حفل التأبين واشهد امام الله وأمامكم أن الباشا الذى حاول أن يمنع اقامة حفل هيكل باشا ألقى كلمة اعتبرتها انا اجـرأ كلمة القيت فى الحفل جميعا ٠

رحمهم الله جميعا رجالا حين يعز الرجال ٠ جمعوا الاباء والكبرياء الى العلم الباذخ والخلق المتفرد الرفيع ٠



العوضى الوكيــل

كنت انتظر الشهادة الابتدائية بغزالة حين امرنى أبى أن اصحب الشاعر العوضى الوكيل الى الزقازيق ليستقل القطار الى القاهرة وكانت وسيلة المواصلات المتاحة عربة حنطور

وفرحت أننى سأصحب هذا الشاعر الذى أقرأ له فى الأهرام فترة ساعة تقريبا ٠

وبدأ الحديث أكلمه فى الشعر ويكلمنى فى المقرر وكان واضحا انه يرفض أن يقبلنى كأحد هواة الأدب والشعر فأسلمت أمرى الى الله وسكت كل منا ٠

وبعد ذلك عرفت أن سكوته كان أعجوبة فى ذاته فهو بطبيعته لا يحب أن يسكت أبدا ٠

التقينا بعد ذلك فى القاهرة وعرفنى العوضى تمام المعرفة وعرفتـه تمام المعرفة فلم أر فى حياتى شخصا نقى السريرة طيب النفس محبا للخير مثل هذا الرجل ٠

وتعودت بعد ذلك أن أسمع شعره وأعجب به ، الا أننى كنت كثيرا ما اداعبه فأنقد بعض الألفاظ فى أبياته فكان لطيبته وسلامة نفسه يرتج عليه وترتسم على وجهه معالم الحيرة ٠

وقد عرف هذا عنى بين أصدقائنا من الشعراء والأدباء ٠ حتى لأذكر أن الشاعر الرصين الأستاذ خالد الجرنوسى انشد قصيدة فى حفل أقامه أدباء العروبة بمناسبة حصولى على ليسانس الحقوق ، وقد كان هـذا الحفل تحية من هذه الجماعة العظيمة الوفاء لأبى وليس لى بطبيعـة

الحال وخاصة أنه لم يكن وزيرا فى ذلك الحين • وكانت قصيدة الأستاذ خالد الجرنوسى غاية فى الجمال وقوة السبك وأستاذن فى ذكر هذا البيت منهـا لأستشهد به على ما كان بينى وبين الأســـتاذ العوضى من مداعبات :

الناقد الطبن اللبيب رايتــه
يتفــزع العــوضى من نقــدانه

وأذكر وأننى انتظر نتيجة التوجيهية أن دعانى العوضى لأنزل ضيفا على كابينته فى أبى قير التى كان قد استأجرها واضطره العمل مع أبى فى القاهرة ـ فقد كان يعمل فى مكتبه ـ الا يذهب الى أبى قير الا بعـد عشرة أيام من تاريخ عقد الإيجار وقبلت الدعوة ودعوت معى أيضا الأستاذ عثمان نويه •

وقبل سفرنا بأيام قليلة كان قد ظهر للعوضى الوكيل ديوان أصداء بعيدة وكان قد استكتبنى فيه كلمة عن الهجاء فى الشعر العربى • وكنت فى ذلك الحين أكتب نقدا فى جريدة الرسالة فكتبت كلمة قاسية عن الديوان وأشهد اليوم أننى ما أردت بها الا مداعبة الشـاعر العظيم واتهمته فى الكلمة أنه يكتب شعره بسرعة فائقة لا تسمح له بالتجويد • وسلمت الكلمة للأستاذ محمد سكرتير تحرير الرسـالة وسـافرت أنا وعثمان نويه لنقضى أسبوعا فى كابينة العوضى الوكيل وكنت أرجو أن تتأخر الكلمة فى النشر حتى لا تظهر وأنا فى ضيافة الرجل • ويشاء العلى القدير أن تظهر الكلمة فى نفس اليوم الذى انتظر فيــه العوضى وعائلته على القطار لأسلمه مفتاح الكابينة • وكنت أعتقد أنه سيحمل الأمر على محمل المزاح كما تعودنا ولكننى وجدته حزينـا وأخبرنى أن السيدة حرمه بكت لما قرأت الكلمة فرحت أمزح معه وأسترضى السيدة العظيمة زوجته حتى ضحكا وزال تماما ما علق بنفسيهما وقال العوضى :

ـ على كل حال أنا كتبت ردا عليك سيعلمك الا تصنع هذا معى أبدا •

فقلت له فى مرح الشباب وغروره :

ـ وليه بس • طيب أنا سأرد على الرد وأريك •

ضحكنا وسلمته الكابينة وكان أبى قد جاء الى الأسكندرية وذهبت لأقيم معه فى البيت الذى استأجره فى عامنا هذا وظهرت مقالة الأستاذ العوضى فوجدته يقول فيها : « ان معالى والده معجب بسرعتى فى كتابة الشعر » ووضعنى هذا القول منه فى مركز حرج ولكننى وجدت منفذا •

فكتبت كلمة قصيرة جدا قلت فيها : « يظهر أن الأستاذ العوضى الوكيل قرر مقالتى بنفس السرعة التى يكتب بها قصائده · أرجو أن يقرأ مقالتى مرة أخرى » ونشرت الكلمه فى نفس اليوم الذى كنت أتمشى فيه مع العوضى فى ميدان المنشية بالأسكندرية والتقينا هناك بالشاعر السكندرى الكبير عبد اللطيف النشار ولم يكن يعرفنى فاذا به يبدأ العوضى وهو يصافحه بقوله :

- ثروت أباظة قتلك اليوم بالرسالة ·

فصاح العوضى :

- هذا هو ثروت أباظة ياسيدى ·

وضحكنا جميعا ·

ومن المداعبات التى لا أنساها مع العوضى أنه عين بعد ذلك مديرا لمخازن البريد وكان فرحا بالمنصب غاية الفرح فكتبت عنه مقالة فى جريدة المقطم قلت فيها أنه يضع على باب حجرته حاجبا له شارب كعارضة المرور فاذا أراد أن يسمح لأحد بالدخول فانه يرفع شاربه ليسمح للداخل بالمرور ·

وأذكر أننى قلت فى آخر المقالة لقد خسر فيه الأصدقاء شاعرا مجيدا وما أظنهم كسبوا مديرا جديدا ·

وفى يوم الجمعة التالى لظهور المقال كنت مع العوضى عند عملاق الأدب الأستاذ العقاد فقال له بصوته العظيم كصاحبه أن ثروت قال عنا ما نريد أن نقوله لك · وكان العوضى من أبناء العقاد المقربين وكان يعجب بشعره غاية الاعجاب ·

والحقيقة أن العوضى الوكيل يعتبر علامة مضيئة فى جيله · وكان عزيز باشا أباظة يعتبره أكثر شعراء جيله رصانة وقوة سبك وتدفقا ·

وأنا لا أستطيع أن أنسى فضل العوضى على أستاذا فى اللغة العربية· فهو أعلم من عرفت بأصول اللغة العربية وقواعدها سواء كان ذلك فى النحو والصرف أم فى علم البيان · وقد كان متفوقا فى ذلك على اخوانه وهم العلماء الكبار فى هذا الميدان فهم أبناء دار العلوم التى أرست قواعد اللغة العربية عهدا عهيدا من الزمان والتى ظلت علما خفاقا فى هذا الميدان ولم ينكس العلم الا حين أصبحت كلية تقبل أى منتسب لها بعد أن كانت لا تقبل الا حملة ثانوية الأزهر الذين كانوا يدخلونها وهم حافظون للقرآن الكريم جميعا مع ألفية ابن مالك ومع اتقان لعلوم الأزهر التى تعد الشباب أحسن اعداد لتلقى الدراسة العليا فى كلية دار العلوم ·

والأستاذ العظيم العوضى لم يكن يدرس لى أثناء السنة ولكنه كان بوفائه الذى لا مثيل له يبيت في منزلنا ليلة امتحان اللغة العربية ويراجع معى كل القواعد لا يترك منها شيئا · وكانت تكفينى هذه المراجعة لأحصل على درجة مشرفة فى مادة اللغة العربية ·

وقد كرم الله العوضى الوكيل اكراما لا مثيل له فى أبنائه فابنه البكر ممدوح طبيب عظيم فى الولايات المتحدة الأمريكية وابنه الأصغر شريف حاصل على الدكتوراه فى العلوم وأستاذ فى جامعة الأزهر وابنته الوحيدة د · شفيق حاصلة على الدكتوراه فى الهندسة وأستاذة هى أيضا ·

وقد درس شعر العوضى فى عديد من الكليات فى مصر والخارج وكتبت عنه دراسات كثيرة وانا مهما اتحدث عن عظمة شعره لن أبلغ ما أريد فى وصف هذه العظمة ، رحم الله الشاعر العظيم فى الخالدين ·

وبعد فهذا نثار من ذكريات لا يجمعها فى نفسى جامع الا الحب لمن ذكرت · لم أذكرهم لأكثر عددا ولكننى لم أجد بينى وبينهم من الذكريات ما يجوز له أن يروى ·

فقد عرفت مثلا شيخ القضاة الذى كان جبلا ضخما فى عصره من الفقه والخلق الأبى الرفيع عبد العزيز باشا فهمى ولكننى عرفته كما يعرف الحفيد جده · وعرفت الرجل الذى كان سمة عصره فى الكبرياء والوطنية ابراهيم باشا عبد الهادى وكنت منه لفترة طويلة بمثابة الابن وعرفت غيرهما كثيرين من أعلام العصر أو من الأصدقاء الذين أبادلهم أجمل الحب وأكثره صفاء ويبادلون · ولكن لم أجد شيئا يمهد لى العذر أن أذكرهم عندك ·



أم كلثـــوم

نشأت وأنا أجد أم كلثوم صديقة لوالدتى ولأسرتى جميعا ٠ فمنذ وعيت أراها فى بيتنا كأنها واحدة من أسرتنا لا نفرق بينها وبين قريباتنا الا أن اسمها لا يحمل لقب أباظة ٠ وقد كان عمى عبد الله فكرى أباظة وزوجته من أكثر الناس صلة بها ٠ وقد كان يدعوها الى بيتنا فى غزالة دعوات متكررة تروح بها عن نفسها وتترك نفسها على سجيتها ، وكان لنا قريب مقيم بالريف اسمه السيد حسن أباظة ٠ وكان يحب أن يمازح الناس وكان مزاحه فى غالب الأمر شتيمة وسبابا ٠ وقبل أن أروى ممازحة السيدة أم كلثوم له أذكر عنه قصة من أظرف القصص التى سمعتها ٠

ركب يوما حصانا وأخذ طريقه الى بلبيس وهى تبعد عن كفر أباظة حيث يقيم حوالى عشرة كيلو مترات ٠ وكان فى ذلك اليوم يلبس حلة بيضاء ناصعة وكان يعتنى بشاربه كل العناية ويبرمه الى أعلى فى فخامة وضخامة ويلبس الطربوش طبعا ٠

سار فى طريقه الى بلبيس وراح يمازح ضابط الشرطة فى النقطة التى يعملون بها وكانوا جميعا أصدقاءه ٠ وكان الحر قائظا فكان يميل على كل نقطة يشرب ماء أو ما يقدمونه له من مياه غازية ٠

ووصل الى بلبيس وراح يمازح فى شتيمة وسب الضابط المسئول عن النقطة الواقعة على مشارفها ثم تركه وراح يقضى ما جاء من أجله الى بلبيس وبينما هو عائد مال على ضابط النقطة وراح الضابط يسرف فى تحيته وأقسم أن يقدم له زجاجة مثلجة من الكازوزة وقابل التحية بالشتيمة وشرب الزجاجة وانصرف ٠

وما هى الا بضع خطوات حتى أدرك ما صنعه به ضابط الشرطة ٠

فقد سقاه شربة شديدة المفعول زاد من قوتها تقافز الحصان فى مشيته • ولك أن تتصور رجلا وقور المظهر ذا شارب يقف عليه الصقر يلبس حلة ناصعة وطربوشا أنيقا تفاجئه الحاجة فى عرض الطريق دون بيت يستر أمره •

وراح يقضى حاجته فى الحقول كل خمس دقائق أو عشر ، والطريق طويل والحر قائظ وضباط النقطة يعلمون جميعا ما صنعه زميلهم فى بلبيس فقد أخبرهم به بالتليفون الذى يربط بينهم فهم جميعا يترقبون مرور السيد بك •

ـ اتفضل ياسيد بك •

ويعرف من وجوههم أنهم على علم بالمؤامرة •

ـ الله يخرب بيتكم جميعا • والله لأنتقم منكم شر انتقام •

ولكنه متقطع الأنفاس لا يكاد يقيم أوده على الحصان وقد اجتمع عليه الحر والحصان والعرق ومفعول الشربة •

وحين بلغ بيته كان قريبا من الموت لولا أن أهله أسعفوه بما يسعف به من فى مثل حالته •

ومع ذلك لم يكف السيد بك عن المزاح الشاتم لأصدقائه الذين كانوا يحبونه كل الحب •

وكانت أم كلثوم تحب أن تمازحه وتستخف دمه فكان اذا جاءت الى غزالة يأتى فيقيم فى بيتنا طوال المدة التى تقضيها أم كلثوم فى غزالة ، ومن أجمل ما سمعناه منها له تلك النكتة الشهيرة التى أصبحت على كل لسان • نظرت اليه طويلا بعد نوبة سباب انهال بها عليها ثم قالت له :

ـ ياسيد بك •

ودون توقع منه قال فى وقاحة :

ـ نعم يا بنت الشيخ ابراهيم •

فاذا هى تقول له فى بساطة :

ـ شنبك متربى أحسن منك •

ويحمر وجهه من الغيظ ويدرك أن النكتة ستلاحقه طول حياته وأن مصر جميعها سترددها ويحدث ما توقعه ولا يبقى من السباب الذى راح ينحدر من فمه شيئا •

كنت فى العاشرة أو أقل فى هذه الأيام التى كانت السيدة أم كلثوم فيها عندنا فى احدى زياراتها · ولا أستطيع أن أنسى ليلة فيها اجتمعنا كلنا حولها أبى ووالدتى وعمى عبد الله والسيدة زوجته التى كنا ندعوها تيتا · وراحت أم كلثوم تغنى دون أن يطالبها احد بذلك فقد كانوا جميعا يقدرون أنها جاءت الى غزالة لتكون على كامل حريتها وكأنها فى بيتها · وهكذا طاب لها هى أن تغنى فغنت وبغير موسيقى واشعر يومذاك انى أحسست وأنا فى سنى الصغير هذه أننى انتقلت الى عالم سماوى وأصبحنا جميعا مع هذا الصوت الذى حسبت أنه قادم من السماء مباشرة وكأنما أدركت الفنانة الملهمة المشاعر السماوية التى أحاطت بنا فاذا هى تبسمل وتستعيذ من الشيطان الرجيم وتبدأ فى قراءة القرآن · الملائكة فى هذه الساعات حولنا والظلام الذى يلف الكون أصبح نورا الهيا ما شهدنا مثيلا من قبل ولم نشاهد له مثيلا من بعد وظلت هذه المعجزة الربانية وتصاعد بنا الى السموات حتى الفجر وأنا طفل مفيق لا افكر فى النوم وأن يظل طفل ملأ يومه باللعب والجرى طول اليوم يقظا مفيقا حتى مطلع الفجر أمر لا يحدث الا أن ذلك الطفل يشهد معجزة لا عهد للبشر بها ·

وكانت نهاية تلك الليلة جديرة بها · فان أم كلثوم حين ادركت أن الفجر قد شق اليوم الجديد قامت وقمنا وراءها وخرجت الى شرفة البيت وبأجمل صوت سمعناه اذنت أم كلثوم لصلاة الفجر · وبيتنا فى القرية يبعد عن بيوت القرية بمسافة لا تقل عن الكيلو متر · ولكن أهل القرية استيقظوا على صوت داعية السماء المعجزة وتقاطروا تتقاطر منهم ميـاه الوضوء ووقفوا صفوفا يستمعون الى أجمل آذان سمعوه فى حياتهم ثم اتجهوا الى مسجدنا فى القرية وأقاموا الصلاة وظلت صلتنا بالسيدة المعجزة وطيدة طوال حياتها ·

وأذكر أن أبى قبل الحرب كان يحلو له أحيانا أن يقضى جانبا من الصيف فى أوربا ليعالج الروماتيزم فى بلاد تخصصت فى ذلك فكان عمى عبد الله فكرى يستدعينى أنا وأخى شامل لنقضى الصيف معه فى رأس البر · وكانت السيدة أم كلثوم تصطاف فى ضيافة السيدة زوجته وكان يصحبها ابن أخيها صديقى محمد دسوقى وأخته · وأذكر واقعة تدلك على قيمة الجنية المصرى فى ذلك الحين · حدث أن دعيت أم كلثوم لاقامة حفل زفاف فى القاهرة قبيل انتهاء الصيف · وأرادت أن تعتذر فقد كان عندها رغبة شديدة أن تكمل مصيفها · وتداولت الأمر مع عمى عبد الله وانتهى رأيها أن تطلب مائة وخمسين جنيها لاقامة الليلة ، وكان هـذا

الطلب على سبيل التعجيز لأصحاب الفرح · وكنا فى منتصف الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ولم يكن فى راس البر كلها الا تليفون واحد له كابينة على النيل وطلب عمى عبد الله أن أذهب فى الموعد المضروب الى هذه الكابينة وانتظر تليفونا من القاهرة يطلب أم كلثوم وأجيب الطالب وأذكر له أن الآنسة أم كلثوم تقبل أن تقيم الحفل بشرط أن يدفع لها مائة وخمسين جنيها · وتم الأمر على هذه الصورة فاذا الرجل الذى يحدثنى يقبل دون ريث من تفكير وأخبرها بذلك وتوافق وهى تحتسب الله فى المصيف ·

واستمرت الصلة وكبرنا وتوفى عمى عبد الله ولكن صلة الأسرة بأم كلثوم بقيت كما هى · وحدث فى الستينات أن كلفنى الأديب الكبير المرحوم عبد الحميد جودة السحار وكان فى ذلك الوقت رئيس مجلس ادارة مؤسسة السينما أن أكتب فيلما سينمائيا معتمدا على مجنون ليلى لأحمد شوقى وأن أختار من رواية شوقى قصائد لم يسبق لها أن غنيت واتفق مع أم كلثوم وعبد الوهاب أن يغنيا هذه الاغانى على أن يقوم بتمثيل دوريهما ممثلة وممثل وأعجبتنى الفكرة ونفذتها مع الفنان الكبير يوسف فرنسيس ككاتب للسيناريو وتوليت أنا تأليف القصة وكتابة الحوار واختارت المؤسسة المخرج العظيم كمال الشيخ ·

وأتممنا العمل ولم يبق الا موافقة أم كلثوم وعبد الوهاب وأنا على صلة بمعجزة الموسيقى والغناء العربى عبد الوهاب منذ عام ٤٦ تقريبا وهو صديق لكثيرين جدا من أسرتنا · وليس عجيبا أن يوطد صلتى به حبى الذى لا حدود له لأمير الشعراء الذى يعتبره عبد الوهاب أباه الروحى · كلمت موسيقار الأجيال فى التليفون وأرسلت اليه السيناريو وفيه الشعر الذى اخترته وسعد به غاية السعادة ·

وأخذنا موعدا من المعجزة الأخرى أم كلثوم وأذكر أننى ذهبت اليها ومعى السحار وكمال الشيخ لنعرف رأيها فى السيناريو بعد أن كنا قد أرسلناه اليها قبل الموعد ببضعة أيام ·

ووافقت هى الأخرى عليه دون ملاحظات ثم رحنا نخوض فى أحاديث عامة · وأذكر أنها قالت فى هذا اليوم جملة مازلت معجبا بها حتى اليوم ·

ـ لقد حاولت الصحافة أن تصنع منى بطلة سياسة بعد ثورة يولية فرفضت هذا تماما وقلت فى تصريح لى · أننى فنانة لا أتدخل فى السياسة

ولو كان الملك فاروق قد دعانى لأغنى فى قصره يوم ٢٦ يوليـة عام ١٩٥٢ للبيت الدعوة وأنا سعيدة ٠

ولعل هذه الجملة من سيدة لم تعرف عنها الا كل ما هو نقى وشريف ورفيع من الخلق تكون درسا للمهرجين الذين يحاولون فى أقلامهم أن يجعلوا الراقصات والساقطات معالم مصر التاريخية ٠

وكان من أعظم ميزات أم كلثوم حبها للأدب وحفظهـا للشـعر وحساسيتها الراقية فى اختيار أغانيهـا وتلك ميزة يتمتع بهـا محمد عبد الوهاب ٠ كنت معه فى بيته عش البلبل الذى بناه فى الهرم وطلبه مؤلف أغان وراح يسمعه كلمات فى التليفون وطبعا لم أكن أسمع شيئا مما يقول ولكننى أخذت بعبد الوهاب وهو يقول لمحدثه ٠

ـ يا أخى مش عارف ليه كلمة دمعـة اللى بتقولهـا بتفـكرنى بالملوخية ٠

وضحكت معجبا بحساسيته باشعاعات اللفظ والاحاطة بكل ما يثيره من معان ٠

أما أم كلثوم فتحفظ كثيرا من الشعر ونطقها للعربية قمة فى النقاء وما هذا بغريب على سيدة بدأت ثقافتها بحفظ القرآن وتجويده وتلاوته ٠ حدث لى حادث سـيارة اضطرنى أن ألزم الفراش بضـعة أسابيع فى بيتى الذى أقيم فيه الآن فى الزمالك ٠ وجاءت السيدة أم كلثوم لزيارتى ٠ وكان المفروض أن تبقى بضع دقائق ريثما تشرب ما يقدم لها أهل البيت من اكرام ولكن حلا لها أن تكلمنى فى الشعر فاذا زيارتهـا تمتد ثلاث ساعات كاملة دون أن نشعر بالوقت ٠

ومن أعظم سجايا أم كلثوم أنها لم تتنكر لماضيها قط ٠

دعتها والدتى الى الغداء فى بيتنا بالعباسية ٠ وقبل الغداء قالت لها والدتى :

ـ انى أعددت لك مفاجاة على المائدة أعتقد أنهـا سـتسرك كل السرور ٠

فقالت :

ـ نشوف ٠

وحان موعد الغداء وقمنا اليه وكانت هناك صينية تتوسط المائدة وعليها غطاء وجاءت والدتى ونحن ما نزال وقوفا ورفعت الغطاء فى

فخر وثقة لتظهر أم كلثوم المفاجأة التى أعدتها لها· ونظرت أم كلثوم العظيمة الواثقة بنفسها ثم قالت فى لهجة غاية فى خفة الدم والطرافة ·

– ما هذا حميض · ايه جابك هنا ··· والله زمان يا حميض ·

ونظرت الى أمى وقالت :

– هى دى يا أختى المفاجأة ··· والله زمان لا أذوقه أبدا هو أنا كان لى شغلة أيام الفقر الا لم الحميض من الغيطان وأكله ··· شيلى ··· شيلى ·

والحميض نبات شيطانى ينبت فى حقولنا ويأكله من لا يستطيع شراء غيره ·

أرأيت مثل هذه العظمة وهذا الصدق ·· رحم الله أم كلثوم علامة أجيال فى الفن وفى الخلق على السواء ·



وبعـد فهذه نثار من ذكرياتى ما رجوت منهـا الا أن أنادمك اذا قرأتها فى نهار أو أسامرك ان قرأتها فى مساء ، وقد أطلقت نفسى تمتح من معين الأيام ما يحلو لها · فهى تختار ولا تؤلف ·

والاختيار عسير ولكنه ممتع اذا أحس الانسان أنه قال ما يجب أن يقول ·

فان كنت بلغت من نفسك ما تمنيت أن أبلغ فأحمد الله اليك والا فحسبى أن النية صدقت عندى وأقدمت على هذه التجربة الجديدة فى دنيا الكتابة أو فلنقل الجديدة على قلمى أنا بعد أن مارس مخاطبة الناس نيفا وأربعين عاما · ومع التجربة لا يكون العثار مأمونا ··· فاذا كان القلم تعثر عند أعتابك فانى واثق أنه من وسيع سماحتك ومن رضى خلقك ما يغتفر جرأته · وفى رحمة الله الغفور التواب مثابة تسع الدنيا جميعا ولا بأس أن أجد عند الذى نعبده طمعا ورهبا آثاره من الغفران وفضـلا من الرحمة جل شأنه وتقدست الاؤه ·

ثروت اباظة

سيرة شبه ذاتية

(لمحات من حياتي)

- ١ -

لم يدر بذهنى يوما أن أكتب هذه المذكرات · فأنا شخصيا لا أرى فى حياتى ما يستحق الرواية · ولكن حدث فى الأسبوع الماضى أن قصد الى مذيع ليدير معى حديثا عن حياتى استغرق حوالى الساعة ــ وتركت نفسى على سجيتها ــ ورحت أروى للميكروفون بعض ذكريات من حياتى كان بعضها يمسك برقاب بعض وتستدعى الذكرى صاحبها ، ولاحظت أن المذيع يضحك فى سعادة غامرة مما أروى ، فلما انتهى الحديث سألت نفسى : ومالى لا أروى هذه الذكريات لقارئى ربما وجد فيهـا من المتعة ما وجده هذا المذيع ·

والذى بينى وبين القارىء أمر ميسور · فهو يستطيع أن يضم دفتى الكتاب الذى بيده ويقطع صلته به وأذكر له بيت الشعر القديم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وحسبه الله بعد ذلك فيما خسر من ثمن الكتاب ، فان وجد المتعة التى أتمناها له وأنشدها وأسعى اليها فالحمد لله على الحالين وليمض فى قراءة الكتاب ·

وربما زاد من ترددى كتاب كتبته قبل هـذا بعنـوان « ذكريات لا مذكرات » ولكننى قضيت على هذا التردد بأن كتابى الأول كان يحمل صلاتى بمن عرفتهم من مشاهير وغير مشاهير ·

ولكننى أعتقد أن هذا لن يكون المنحى الذى سأنحوه فى كتابى هذا الذى بين يديك · أما كيف أنحو فعلم هذا عند علام الغيوب فما خططت خطة بذاتها ولا انتهيت الى رأى معين وانما سأسير واياك عبر أيامى منذ وعيت الحياة حتى اليوم الذى بدأت فيه كتابة هذا الكتاب · وانى ان شاء

الله واجد له عنوانا ، ولكنك لابد أن تعلم ان هذا العنوان قفز الى ذهنى وأنا أكتب هذا الكتاب ولم أضعه قبل بدء الكتابة كما كان ينبغى أن أفعل. فقد خشيت أن يحول العنوان بينى وبين الترسل الذى أحب أن أتركه يحدو قلمى ، ويسير به سيرا متحررا من كل قيد بعيدا عن القيود جميعها .

من الطبيعى أن أبدأ بالسنوات الأولى من حياتى :

قيل لى اننى ولدت بمنزل بشارع جوهر القائد بحى المنيرة ، ولكننى لم ار هذا البيت الى مرورا به ، وأشارت اليه والدتى وكنت أركب معها السيارة ، وقالت اننى ها هنا ولدت فما وعيت منه الا اللمحة العابرة التى تتيحها سيارة تمضى فى طريقها ولا تتوقف . أما البيت الذى نشأت فيه وأقمت فبيت كان ملكا لأبى بشارع الملك الناصر رقم ٢٤ بحى المنيرة أيضا ، وكان البيت هو المبنى الثانى فى الشارع من ناحية شارع الدواوين وكان المبنى الأول مدرسة أهلية دخلتها وانتظمت فيها لبضعة أشهر ، وقد كان المبنى المقابل لها مستشفى الملك ، ولابد أن اسمها قد تغير حين أرادت الثورة حذف الملكيـة من تاريخ مصر . وكان يلاصق المستشفى مدرسة الخديو اسماعيل التى لا أدرى اسمها الآن هى أيضا فان الثورة قررت أنه لم يكن فى مصر خديو اسـمه الخديو اسماعيل الا أن يذكر مشـتوما ملعونا . أما أن يذكر بدون تعليـق فأمر لا ترضاه الثـورة الاشتراكية .

نشأت فى هذا البيت ودخلت المدرسة الملاصقة لبيتنا وأذكر أن والدى ووالدتى كانا يطلان على من احدى نوافذ بيتنا وكان أبى يحرك لى منديلا فى يده حتى أتنبه الى وجودهما بالنـافذة وأذكر أننى فى اليوم الأول لذهابى الى هذه المدرسة رفضت أن أذهب الا اذا صحبت محمد أبو عثمان الذى كان يعمل طباخا فى بيتنا ، وكان يلاعبنى ويضاحكنى وكنت معجبا به كل الاعجاب ، وهو ما زال على قيد الحياة أطال الله عمره . وقبل ناظر المدرسة أن يدخل محمد أبو عثمان الفصل معى ، وكان فى الفصل يقف بجانب الباب ، فكان وقوفه هذا يرد عنى الوحشة التى كانت تلم بى وأنا مع تلاميذ لا أعرفهم ولا يعرفوننى .

وفى اليوم التالى كنت بالفصل أكثر أنسا حتى لم أنتبه الى أن محمد غادر الحجرة الا بعد حين وسألت عنه فوجدته بالمدرسة ما زال فعادت الى الطمأنينة . أما فى اليوم الثالث فقد صدر الأمر من والدى أن يصحبنى محمد الى باب المدرسة الذى كان يقع بشارع الدواوين ثم يتركنى وحدى وقد بكيت لهذا الاجراء بكاء حارا ولكنه كان أمرا صارما لا رجعة فيه . ذكرياتى فى هذه المدرسة تكاد تكون معدومة ولا أذكر من رفاقى بها أحدا

الا أنها كان لها الفضل أن أذهب الى مدرسة المنيرة لرياض الأطفال وأنا غير مضطرب الفؤاد ولا هالعا ، والذى أذكره عن المدرسة الجديدة أن ناظرة المدرسة كان اسمها السيدة روفية رمضان ، ولا زالت صورتها فى ذاكرتى حتى اليوم ، وأذكر من مدرساتها أيضا السيدة توحيدة الدمرداش وكانت ترعانى بحدب ورضاء وأذكر أن أستاذة الرسم كان اسمها الأستاذة نعيمة التى جعلتنى أرسم رسما جميلا الأمر الذى لم يتكرر فى المدرسة الابتدائية أو الثانوية رغم أن الذى كان يدرس لى الرسم فى المدرسة الابتدائية الأستاذ الفنان الكبير حسين بيكار كما كان يدرس لى فنان الكاريكاتير العظيم الذى اشتهر باسم مفرد هو رمزى ومع ذلك كنت دائما لا أجيد الرسم مطلقا لدرجة أن والدتى وأنا أنتظر نتيجة الابتدائية كانت دائما تقول انها خائفة أن أرسب فى مادة الرسم ، والعجيب أن حدسها أوشك أن يتحقق وحصلت فى مادة الرسم فى شهادة الابتدائية على أربع درجات من عشرين ، وهى الحد الأدنى للمرور ولا أقول النجاح

قضيت فى مدرسة الروضة سنتين وأذكر أننى كنت متقدما لأننى سبقت زملائى فى تعلم اللغة العربية والحساب على يد الشاعر الأستاذ أحمد القرعيش ببلدتنا غزالة ، وقد كان مدرسا بالمدرسة الالزمية بها ، وكان أول من علمنى بادئا بالخط الأفقى والخط الرأسى وأذكر أنه كان يشكل هذه الخطوط على الرمال ، فقد كنا نجلس على أريكة خارج المبنى الذى يعمل به كتاب الحسابات لزراعة أبى وأشهد أن الأستاذ القرعيش هو أحسن أستاذ تلقيت عنه العلم • فقد كان قديرا على تيسير المعلومات على ، وكان حريصا على تشجيعى حتى أنه كان يحمل معه أقراص النعناع الصغيرة يتحفنى بواحد منها كلما أجدت الاجابة • فاذا علمت أنه كان من كبار البخلاء أدركت التضحية التى كان يقوم بها ليصل بتلميذه الى أحسن مستوى • وقد كان الأستاذ القرعيش شاعرا مجيدا • وحين بلغت السنة الثانية الثانوية كنت أقرأ معه ومع قريبنا الشاعر العصامى توفيق عوضى أباظة الذى علم نفسه ولم يختلف الى مدرسة فى حياته لشدة فقره ، كنا نقرأ معا الشوقيات فى بيتنا بالقرية ، وكنا نبدأ القراءة بعد أن يصعد أبى الى الدور الأعلى من المنزل فى حوالى الساعة التاسعة مساء ونظل نقرأ على الكلوب الذى ينير بالجاز حتى يطلع علينا الصباح ، ونقرأ على ضوء الشمس وكنت أنا الذى أقرأ ، والشاعران يستمعان ويستجيدان ويعلقان• وللأستاذ القرعيش فضل على لا أنساه أبدا • فقد كنت أكثر من اللحن فى قراءتى ، وكان يصحح لى ، وقال لى اذا كنت تريد أن تكون أديبا فلابد أن تقيم لسانك والا فلن تصبح أديبا مطلقا • ويا ليته عاش حتى اليوم حتى يرى مقتل اللغة العربية على أيدى أدبائها • لا علينا • خجلت من هذه الملاحظة ، فحين ابتدأ العام الدراسى فى السنة الثالثة الثانوية أعدت قراءة

النحو وأخذت نفسى طوال السنة الثالثة الثانوية ـ وهى تقابل السنة الأولى الثانوية اليوم أن أقرأ كل المواد العربية من تاريخ وجغرافيا وطبيعة وكيمياء بصوت مرتفع وأصحح لنفسى الاعراب فى كل قراءتى • حتى اذا جاءت الاجازة ، وبدأ ثلاثتنا قراءة الشوقيات ، فوجىء الشاعران بى وأنا لا أخطىء فى النحو مطلقا أو أكاد وهكذا استقام لسانى العربى ، كما استقامت كتابتى والفضل فى ذلك لمعلمى العظيم الأستاذ أحمد حسين القرعيش •

نعود الى مدرسة المنيرة لرياض الأطفال التى مكثت بها كما أخبرتك سنتين وقد وقع لى مع هذه المدرسة نادرة طريفة • فقد دعانى ناظر مدرسة لا أعرفها وأنا كاتب بالأهرام أن أعقد ندوة مع تلاميذ مدرسته ولبيت دعوته وذكر لى العنوان وذهبت وفوجئت أننى أعرف معالم المدرسة ، وان كانت معرفة باهتة ، كما يقول الشاعر عن ذكرياته أنها تلوح كباقى الوشم بظاهر اليد • وما لبثت أن تبينت أن المدرسة التى أعقد بها ندوتى هى روضة الأطفال التى كنت أتعلم بها وأصبح اسمها مدرسة المنيرة الابتدائية وقد سعدت بهذه المصادفة كل السعادة •

دخلت بعد ذلك مدرسة المنيرة الابتدائية متقدما عن سنى بسنة لانه كان من المفروض أن اظل سنة ثالثة بالروضة الا أن أبى رأى أن أقفز سنة • وهكذا لم يكن غريبا أن أرسب فى السنة الأولى الابتدائية وأذكر أن أبى استاء كل الاستياء من رسوبى هذا ، وكان له صديق قريب اليه كل القرب وهو عبد الله أفندى العربى من بلدة الخيس القريبة من بلدتنا غزالة بمركز الزقازيق ، وقد فاتنى أن أذكر لك اننى حين ولدت بالقاهرة رفض أبى أن يقيدنى من مواليد القاهرة ، وقد ولدت فى ٢٨ يونية عام ١٩٢٧ فانتظر أبى الى أن ذهب الى غزالة ، وقيدنى بها فى ١٥ يولية ١٩٢٧ حرصا منه أن أنتسب الى بلدتنا غزالة التى كان يحبها كل الحب • حتى أنه كان يوقع مقالاته السياسية بتوقيع الغزالى أباظة •

نعود الى عبد الله أفندى العربى صديق أبى الذى اكتسب لقب أفندى من أنه كان مدرسا بالمدارس الابتدائية ، وكان يدرس لشقيق أبى الأصغر عبد الله بك فكرى أباظة حين كان تلميذا بالمدرسة الابتدائية ، وكان معجبا بطريقة تدريسه •

وكانت صلة الأستاذ العربى بوالدى وثيقة غاية الوثوق حتى انه كان يسافر معه الى الخارج على نفقته الخاصة ، فقد كان ميسور الحال ، وقد لبست أول ساعة فى حياتى هدية من عبد الله أفندى العربى •

حين رأى عبد الله أفندى الحزن يخيم على لرسوبى فى السنة الأولى الابتدائية ورأى الاستياء الشديد من أبى لهذا الرسوب جاء الى منزلنا قبيل المغرب فى يوم من هذه الأيام ودعانى أن أخرج معه ليرفه عنى وذهبنا الى مقهى بالجيزة ربما يكون هو المقهى الذى تعود بعض الأدباء أن يجلسوا به وقد كنت أشاركهم فى الجلوس به فى بعض الأحيان • ولو أننى لست واثقا أنه نفس المقهى فقد صحبنى اليه عبد الله أفندى فى أوائل الثلاثينيات وجلست مع الأدباء فى الستينيات ، فمن الصعب أن أؤكد ان كان المقهى هو نفســه الذى جلست به وأنا طفل واشترى عبد الله أفندى لى وله جبنا وسلطانية زبادى ورغيفا لكل منا من الخبز الأفرنجي فكانت من أمتع الأكلات التى طعمتها فى حياتى • وانى أروى هذه الواقعة على بساطتها لأن عبد الله أفندى العربى قال لى فى هذه الجلسة جملة لم أنسها حتى اليوم وكانت تمثل لى فى ذلك اليوم ضوءا ساطعا من الأمل فى ظلام اليأس الذى ران على من سقوطى فى السنة الأولى الابتدائية قال :

ـ يا بنى لا تخف •• لابد أنك ستفلح فى حياتك •• فان الخير الذى قدمه أبوك للناس لا يمكن أن يذهب هباء •• سيكرمه الله فيك ان شاء الله •• لا تخف •

بعد ذلك بسنوات ـ ما دمنا نذكر عبد الله أفندى العربى ـ مرض رحمه الله نتيجة ابرة طبية كسرت فى فخذه وهو يتداوى بها ، وحين كنا ننتظر نتيجة الشهادة الابتدائية ، وكنا قد انتقلنا الى العباسية كان هو طريح الفراش • وفى أحد الأيام دق جرس التليفون فى الساعة السابعة صباحا ليبشرنى عبد الله أفندى العربى أننى نجحت فى الابتدائية • فقد صحا مع الفجر ليعرف نتيجة الشهادة التى كانت تنشر فى صحف الصباح فى هذه الأيام •

والعجيب أن عبد الله أفندى العربى مات فى اليوم نفسة وكأنه كان يستمهل الموت حتى يبشرنى بنجاحى •

كانت مدرسة المنيرة الابتدائية من أعظم مدارس مصر ، وكان ناظرنا فيها الرجل العظيم فهمى بك الكيلانى والد المذيعة المتميزة سميرة الكيلانى، وكان لها أخ يزاملنا فى المدرسة اسمه سمير • وكان بها أساتذة من أحسن أساتذة المدارس أذكر منهم الأستاذ الشيبانى الذى لا أنسى واقعة لى معه • يوم دخل الى الفصل وكتب على السبورة بضعة أبيات أذكر مطلعها :

أنظـر لتلك الشـجرة   ذات الغصـون النضرة

وكان اسم القصيدة « الله » جل جلاله ، والقى بالطباشيرة والتفت الى التلاميذ وسأل من يستطيع أن يقرأ هذه الأبيات ، فرفعت أصبعى

وكنت لطول قامتى أجلس فى آخر الفصل • وأوليت ظهرى للسبورة وألقيت أبيات القصيدة جميعها • وحين استدرت صفق لى التلاميذ ووجدت الأستاذ مذهولا وقال لى : ماذا أقول لك يا ابنى ، ماذا أقول ؟ ابن الوز عـوام •

وأعطانى الدرجة النهائية •

أذكر أن هذا كان فى السنة الثانية الابتدائية ، وقد كنت متفوقا فى هذه السنة تفوقا لم تشهده حياتى الدراسية قط ، لدرجة أننى فى أحد امتحانات الفترة كان ترتيبى الخامس ، وأعتقد أن هذا التفوق كان نتيجة لرسوبى فى السنة الأولى •

ومن المدرسين الذين أذكرهم فى مدرسة المنيرة الأستاذ محمد البابلى والد الممثلة الرائعة سهير البابلى ، وكان هناك أيضا حبشى أفندى الذى أعتقد أن كل زملائى فى مدرسة المنيرة يذكرونه معى ، وكان دائما يسأل التلاميذ مين باباتك بس فيجيب التلميذ حبشى أفندى بس وفى مرة قال لى يلعن أبوك وكان متعودا أن يقولها للتـــلاميذ ولا يعلقون • أما أنا فاستهولت الأمر ونقلته الى أبى وأعتقد أنه كان فى ذلك الحين وكيلا لمجلس النواب ، وكان من عظماء مصر بشخصيته وبتاريخه الشاهق فى ثورة ١٩ ، ولم يكن محتـاجا الى منصب ، فقـد كان الجميع يحترمونه ويقدرونه لذاته لا لمنصبه •

وذهب الى الناظر فهمى بك الكيلانى ، وقال ربما يكون ثروت قد أخطأ ، فما ذنبى أنا ، واستدعى الكيلانى بك حبشى أفندى ، وسأله هل لعنت أبا ثروت فقال نعم • وقبل أن يغضب أبى استمهله حبشى أفندى ثم نظر الى :

ــ مين باباتك بس •

ــ قلت حبشى أفندى بس •

ونظر الى أبى :

ــ سعادتك لا شأن لك بالموضوع أنا اشتم نفسى •

ولم يملك أبى الا أن يضحك وينصرف •

وقبل أن أبتعد عن القصيدة التى ألقيتها فور كتابتها أذكر أن أبى كان يجتمع فى كل يوم بمكتبه بالمنزل بجماعة لا أعرف منهم أحدا ، وفهمت

أنهم كانوا يعدون لاقامة حفلة تأبين في ذكرى شاعر النيل حافظ ابراهيم وحدث أن فتحت الغرفة بمظنة أن أبى وحده ولكنى وجدت معه هذه الجماعة ، فاستدرت لأخرج ، ولكن أبى نادانى وطلب الى أن ألقى بينهم شيئا من محفوظاتى ، فألقيت الأبيات التى عنوانها الله سبحانه وتعالى والتى مطلعها :

انظـــر لتلك الشجرة ذات الغصـــون النضـــرة

فاذا بواحد من الجالسين يصيح :

ـ رفع الله رأسك كما رفعت رأسى ٠٠ أنا صاحب هذه الأبيات ٠

وعرفت أن الشاعر هو محمد الهراوى ، وقد كان صاحب شهرة هائلة فى هذا النوع من السهل الممتنع الذى كان يحفظه تلاميذ المدارس فى ذلك الحين ٠

وما دمت قد ذكرت هذه الاجتماعات فلابد أن أذكر ما نتج عن تجمعها فقد أقيمت حفل تأبين ضخمة فى دار الأوبرا المصرية ، وقد شهدت هذا الحفل ، ولا أنسى الأستاذ ابراهيـم عبد القـادر المازنى الذى كان بين المتحدثين ، وقد كان معروفا عنه وعن أستاذنا العملاق عباس العقاد أنهما كانا من أشد المهاجمين لأمير الشعراء شوقى ولشاعر النيل حافظ ابراهيم ٠

وأذكر أن الأستاذ المازنى العظيـم تقـدم الى مقـدمة المسرح وقال ما معناه « أشهد الله والحق أننا هاجمنا شوقى وحافظ لنهدمهما ونقف على أنقاضهما ، فلم ننل الا من الحق ومن أنفسنا » ٠

وكنت فى هذه السن الباكرة أصحب أبى فى كل تنقلاته ، وقد جعلنى هذا التنقل أتعود مجالسة الكبار وأحترمهم دون أن أرهبهم ٠ وأذكر ان محمد باشا محمود الزعيم النبيل كان يأتى أحيانا لزيارة أبى قبل أن يكمل أبى لبس ملابسه فيأمرنى أبى أن أنزل الى صاحب المقام الرفيع محمد باشا محمود وأجلس اليه حتى يكمل هو ملبسه ٠

وكان الباشـــا يهش لى ويأنس الى حتى ينزل أبى وأترك الكبيرين وأنصرف الى ملعبى ٠

وكان أبى يصحبنى وأنا فى هذه السن الى مجلس النواب لأشهد الجلسات من شرفة الزوار ، وأذكر أن رئيس المجلس فى ذلك الحين كان توفيق باشا رفعت ، وكان رجلا رقيق الجسم ضخم الشاربين ووقعت عينه على فى شرفة الزوار ، ويبدو أنه تعجب من وجود طفل فى مثل سنى فى هذا المكان فشهدته يشير الى الساعى الخاص بالرئاسة ويهمس فى

أذنه ، فاذا بهذا الساعي يصعد الى ويسألني : من أنت ؟ وقلت له ، وشهدته يعود الى الباشا ويهمس في أذنه ، ويهز الباشا رأسه موافقا ٠

وحين دخلت كلية الحقوق وجدت الغالبية الكاثرة من الطلبة لم يشهدوا جلسة واحدة لمجلس النواب أو الشيوخ ، بل ان أغلبهم لم يذهب الى البرلمان في حياته ولا مرة واحدة ٠ كان أبي يحرص على أن أكون معه أغلب الوقت دون أخوتي ٠ أما اخوتي فهم شامل الذي نال الدكتوراه من تولوز بفرنسا ، ثم ارتقى في الوظائف بالشركات حتى وصل الى رئيس مجلس ادارة شركة الأقطان بالاسكندرية ، كما كان عضوا بمجلس الشعب في انتخابات ١٩٧٦ ، وكم أسعدني أن أمر معه في الدائرة فكان الناخبون يقولون لي في وجهي : نحن لا ننتخب أخاك ولا ننتخبك وانما ننتخب أباك ، وكان قد مر على وفاة أبي قرابة ربع قرن ، فقد توفي في يناير ٥٢ ، ولا شك أن أغلب الذين كانوا يقولون لي هذا من أبناء من عرفوه أو من أحفادهم ٠ وكان ربع القرن هذا الذي يفصل بين وفاة أبي وبين الانتخابات فترة كلها هجوم على الباشاوات والسياسيين الذي يمثل أبي فيهم صورة جلية الملامح ، ولهذا لم يكن غريبا أن أقول يوما للدكتور ثروت عكاشة وهو وزير للثقافة والاعلام نحن اقطاعيون ولو أن الثورة لم تأخذ منا مليما واحدا ولا سهما من أرض ٠ فنحن لسنا أغنياء ، ولكننا اقطاعيون بحب الناس لنا ، وبحبنا للناس ، وهو اقطاع لم تستطع الثورة ولن تستطيع أن تمسه أو تنقص منه ٠

وشامل يصغرني بسنتين وبضعة أشهر ٠ فهو من مواليد ابريل ١٩٣٠ وأنا لا أذكر أحداث اليوم الذي ولد فيه ، وانما نشأت وأنا أجده ٠ وشامل شاعر متمكن وان كان قليل النشر ، وقد نظم الشعر في سن باكرة مع أنه نال بكالوريوس التجارة ويعتبر اليوم من أكبر خبراء الاقتصاد في شئون القطن ، وقد نال الدكتوراه في الاصلاح الزراعي وهو أخي الوحيد وله ابنة (هدى) الحاصلة على ماجستير في الآداب ومدرسة بكلية الآداب ٠ وابراهيم الحاصل على ليسانس الآداب ، ولي بعد ذلك أختان أكبرهما زينات وأذكر يوم ميلادها ذكرا هشا فقد ولدت بغزالة وأذكر أن البيت كان هائجا وقيل لي ان ذلك الهياج كان بسبب حالة الولادة ٠ وقد تزوجت زينات ابن عمنا طوسون أباظة الذي تربى في المدارس الانجليزية وهذا ما يجعلنا نمازحه ونعتبره خواجه وقد أنجب الزوجان ابنا هو أبو بكر ونال بكالوريوس التجارة ، ويعمل بالبنوك ، وابنة أسمياها دلبار على اسم جدتي لوالدي ٠ وقد نالت بكالوريوس الطب ولم تعمل بها ، وانما تزوجت وتقيم مع زوجها في أمريكا ٠ وقد نشأت زينات متعلقة بالأطفال منذ صغرها ، وان فيها حنانا لو وزع على الكرة الأرضية لملأها رحمة ومحبة ٠

وأختي الصغرى هي كوثر ، وأذكر مولدها في حلوان ، وكنت في التاسعة من عمري وأذكر في يوم مولدها أن أبي كان جالسا في حجرته وحلا له أن يعلمني بعض كلمات في الانجليزية فكتب عشر كلمات ، وقال احفظ هذه الكلمات فأخـذت الورقة ونظرت فيها لحظة وأعطيتها له ، فدهش وقال في غيظ :

ـــ اسمع أنت لم تكن ترى الورقة • فان كنت حفظت في هذه اللحظة الوجيزة كل الكلمات فساعطيك عشرة قروش ، وان اخطات في كلمة واحدة ساضربك •

وأبي لم يكن ضربني حتى ذلك اليـوم الا مرة واحـدة يوم أخبرته المربية العجوز انني أذهب الى المدرسة دون أن أغسل وجهي ، ولهذا وقع تهديده من نفسي موقعا مخيفا ، ولكن الله ستر وأخذت القروش العشرة •

وكوثر أختي كانت تعتبرني المربي الأول لها • فقد كنت أخالطها أكثر مما تخالط أبي ، ولهذا كانت في طفولتها تخشاني ولكن ما لبثت هذه الخشية أن زالت مع الزمن وحل مكانها الحب الذي يكون بين أخ وأخته لا يرنق صفاءه شيء • وقد تزوجت كوثر من الطبيب الشهير أحمد عبـد العزيز اسماعيل نجل الطبيب العملاق الأشهر عبـد العزيز باشا اسماعيل وقد أنجبا بنتين هما سناء ، وهي حاصلة على الدكتوراه من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وتدرس بها ، وهي متزوجة من المهندس شريف نجل المستشار العظيم الخريبي بك • وأختها وفاء حاصلة على الماجستير من نفس الكلية وزوجها د• محمد الخولي طبيب أطفال وابن الطبيب الشهير الدكتور الخولي • كما أنجبت أختي وزوجها ابنهما الوحيد عبد العزيز وهو مهندس •

تلك هي أسرتي وقد شهد أبي زواج زينات وزواج كوثر ، وقد صحبها زوجها الى أمريكا بعد الزواج مباشرة ليكمل دراسته بها • ولم يشهد أبي زواج شامل فقد تم بعد وفاته ، ولو كان شهده لفرح به وباركه كل المباركة ، فقد اختار شامل شريكة حياته ابنة محمود فهمي النقراشي باشا الذي كان صديقا لأبي في مطالع شبابهما ، ثم افترق الصديقان فترة حين نشأ حزب الأحرار الدستوريين عام ٢٢ وكان أبي من منشئيه وأصبح أبي حرا دستوريا ، وظل النقراشي باشا في الوفد حتى خرج عليه هو وأحمد ماهر باشا عام ١٩٣٨ ليكونا حزب الهيئة السعدية،وقد ألف النقراشي باشا الوزارة ، وكان أبي وزيرا فيها معه ، ونال الباشوية فيها وعادت الصداقة تربط بينهما من جديد كأنهما ما تفرقا ، وظلا صديقين حميمين الى أن استشهد النقراشي باشا على يد أحد مجرمي الاخوان المسلمين •

- ٢ -

ترانى اسوق اليك الحديث فى عفوية ودون اعداد • فأنا لم أضع خطة للحديث اليك وانما أترك حياتى تتواكب فى ترسل تمسك فيهـا الواقعة بالواقعة والمناسبة بالمناسبة ، وما هكذا عهدت الكتب التى كتبت فى السيرة الذاتية ولكن أى بأس على وأى بأس عليك أن يكون حديثنا حديث صديق لصديق أو أخ الى أخيه فى غير تنسيق أو تبويب أو تجمل• فخذ بيدى ولنمض معا على هذا الطريق ، وأنا واياك على فيض الكريم •

كان من بين الجماعة التى تنظم حفلة تأبين حافظ ابراهيم الأستاذ العظيم كامل كيلانى وكان فى هذه الأيام قد بدأ كتابة مؤلفاته الرائعة فى ادب الأطفال أو قصص الأطفال ان شئت ، وهى مكتبة ليس لها مثيل فى الأدب العربى أجمع ، فقد استطاع الأسـتاذ الكيلانى أن يبسط الأدب العالمى ويجعل الطفل فى سن باكرة يتعرف على أمهات هذا الأدب وقد كانت أعظم هدية أتاقاها من أبى فى هذه الفترة هى كتب كامل الكيلانى وأذكر وأنا فى الثامنة من عمرى أن الأستاذ الكيلانى أهدى عشرة كتب من مؤلفاتى الى أبى وأعطانى أبى الكتب ، ودخلت الى غرفتى وانبطحت أرضا وبدأت أقرأ الكتب فما زلت بها حتى أتيت عليها وأنا فى عالم سحرى عجيب أعتقد أن هذه السنوات كانت أجمل سنوات حياتى وأجمل أوقاتها هى تلك التى بدأت فيها أتعرف على الكتاب وأصاحبه صحبة دامت حتى يومنا هذا •

وقد استطعت بفضل مكتبة الكيلانى أن أنتقل الى الأدب الكبير دون أن أشعر بأى جهد • فحين بدأت قراءته سيطرت على متعة القراءة ، وانتقلت بعد ذلك الى تيمور ، ثم فى غير ترتيب زمنى رحت أقرأ للعمالقة مبهورا بهلاه العوالم التى تفتحت آفاقها أمام عقلى ووجدانى وكيانى كله وأنا أقرأ لطه حسين وهيكل والعقـاد والزيات وأحمـد أمين والمازنى الذى كثيرا ما جعلنى أقهقه وأنا أقرأه وحدى فى غرفة مغلقة ، وتعلو قهقهتى ويسمعها الذين بخارج الغرفة ، والله وحده يعلم ماذا كان يظن بى الجالسون خارج الغرفة •

وأذكر فى هذه الأيام أننى كنت فى مدرسة المنيرة الابتدائية ، وقد تضحك كثيرا اذا علمت أننى كنت فى فريق الكشافة ، ورقيت فى هذا الفريق حتى أصبحت رئيسا للفريق وقبل أن أحصل على الابتدائية اشترى أبى بيتا جديدا فى العباسية وظللت بضعة أسابيع أستقل ترام رقم ٢٢ لأذهب من العباسية الى المنيرة ، ولكن هذا كان يكلفنى أن أصحو مبكرا عن موعد المدرسة بساعة أو أكثر ، وقد عشت عمرى أكره شىء الى نفسى أن أبكر فى الاستيقاظ وما هذا الا لأننى كنت أسهر الى ساعات متأخرة

من الليل أقرأ • وكانت القراءة تستهوينى وتبتلعنى حتى ما أفيق الى الساعة التى أنا فيها • وقد ظللت عمرى كله لا أنام الا بعد أن اقرأ ، وقد أقرأ أربع ساعات متصلة أو أقل أو أكثر • ولكن لابد أن أقرأ على على أية حال • حتى فى رأس البر ، ولم تكن الكهرباء متاحة لى فكنت اضع على صدرى بطارية جيب وأقرأ عليها حتى يخفت نورها وتصبح الكلمات غير مقروءة فأنام مرغما •

وهكذا انتقلت الى مدرسة العباسية الابتدائية فى منتصف العام الذى كان مفروضا أن أتقدم فيه لنيل الشهادة الابتدائية •

والحقيقة أننى ليست لى ذكريات كثيرة عن مدرسة العباسية الا انه كان لنا مدرس حبيب الى نفوسنا نحن التلاميذ اسمه التاجى أفندى ومنذ أسابيع قليلة التقيت بطبيب يحمل نفس الاسم فاذا به ابنه الذى يبلغنى ان أباه ــ أطال الله عمره ــ يتمتع بصحة جيدة والحمد لله • وكان الأستاذ التاجى هو المسئول عن فريق الكشافة وما ان علم اننى كنت رئيس الكشافة فى مدرسة المنيرة حتى جعل منى رئيس الكشافة فى مدرسة العباسية أيضا •

ومن بين تلاميذ فصلى زميل لن لى أذكر اسمه حفاظا منى على حق الزمالة • جاء فى الحصة رسول الى هذا الزميل فأبلغه بموت أبيه فرحنا جميعا نعزيه وخرج التلميذ • وانقضى العام وتفرق فصلى •

ومرت أعوام ودخلت الى كلية الحقوق وأصبح أبى وزيرا للأوقاف من بين الوزارات التى تولاها فى هذه الفترة وفوجئت بهذا الزميل يرسل الى خطاب توصية لأعين حامله اماما بأحد المساجد ، واهتممت بالشيخ وأخذته معى فى السيارة لأذهب به الى وزارة الأوقاف ، وبعد المنزل ببضعة أمتار توقفت السيارة فى حاجة الى بنزين فنزلت وناديت خادما من بيتنا ليأتينى من والدتى بثمن البنزين ، وكان كل ما أطلبه لا يزيد على عشرة قروش • فقد كانت سيارتى صغيرة وكان البنزين يباع فى هذه الأيام بوحدة الجالون • وكان الجالون أربعة لترات وقد كانت كافية أن أسير بالسيارة يومين أو أكثر وفى انتظار القروش العشرة نزلت من السيارة أنا والشيخ ، واذا بالشيخ يخرج من جيبه ظرفا فيه بضعة نقود جديدة قدرت بالنظرة السريعة انها خمسة جنيهات وقدم الشيخ النقود الى ، وفى لحظة وجدت الدماء تصعد الى رأسى ، وأتناول النقود وأمزقها وألقى بها الى الأرض وما زلت ألوم نفسى على هذا الذى فعلته حتى اليوم ، لا يخفف عنى اللوم الا أننى حين مزقت النقود لم أجعلها غير صالحة للاستعمال بعد ذلك •

وطردت الرجل الذى راح يلملم النقود وانصرف • ومرت سنوات وتزوجت وأقمت بشقة بالزمالك • وكنت مع زوجتى فى سينما فى الحفلة الأخيرة وعدت الى منزلى الساعة الثانية عشرة مساء تقريبا ، فوجدت هذا التلميذ الذى أبلغ بموت أبيه فى فصلنا بالعباسية ودهشت لوجوده ، فاذا به يبلغنى أن أباه مات اليوم ، وأنه لا يملك ما يدفنه به وطلب منى مبلغا من المال لم يكن من اليسير وجوده فى هذه الأيام ورحنا أنا وزوجتى نجمع ما معنا حتى أكملنا المبلغ وأعطيته له وأنا أعلم كذبه • وأغلب الأمر أنه نسى أننى شهدت علمه بموت أبيه قبل اليوم الذى قصد الى فيه بأكثر من أحد عشر عاما أو لعله توهم أننى نسيت ذلك اليوم •

ولم أقل له أننى أذكر يوم وفاة أبيه ، ولكننى لم أره بعد ذلك اليوم ، ولعله رأى فى عينى ما حاولت أن أخفيه عنه •

انتقلت بعد ذلك الى مدرسة فاروق الثانوية وربما كانت أفخم مدرسة فى مصر فى ذلك الحين • فقد كانت حديثة الانشاء والذى أنشأها رجل التعليم الشهير الأستاذ اسماعيل القبانى على أساس أن تكون مدرسة نموذجية وتولى هو نظارتها ولكننى حين ذهبت اليها كان قد تركها ، وكان الناظر فيها الأستاذ العظيم عبد الواحد بك خلاف ، ثم تلاه الرجل العظيم الآخر نجيب هاشم الذى أصبح بعد ذلك وزيرا للتعليم ، ثم سفيرا لمصر فى الفاتيكان • ولعله من الطريف أن أروى انه كان سفيرا فى أول مرة أزور أنا فيها روما مقر سفارته ، وقبل سفرى عثرت على خطاب منه الى أبى يشكو فيه من كثرة تغيبى عن المدرسة ، وعلى ظهر الخطاب رد أبى الذى كتبه لينقله سكرتيره ويرسله الى حضرة الناظر ، وكان خطاب أبى يحث نجيب بك أن ينزل بى ما يشاء من عقاب • وان أبى من جهته سيحرص على ألا أتغيب عن المدرسة • وقد استقبلنى نجيب بك فى روما أحسن استقبال وقدمت له هذا الخطاب الذى لا يشرفنى ، وضحكنا كثيرا مما يحويه ، وقد تفضلت السيدة الكريمة باصطحابى أنا وزوجتى الى كثير من معالم روما ونوافيرها ، وكنت فى ذلك الحين قد أصبحت أديبا معروفا وكنت حصلت قبل زيارتى لروما بعشر سنوات على جائزة الدولة التشجيعية ، وهكذا كان نجيب بك سعيدا بى سعادة أب بابنه • وقد كان محقا فى شكواه من تغيبى فقد كنت قارئا متهوسا ولم أكن أترك المدرسة لأذهب الى أى مكان وانما كنت أنزل من الطابق الأعلى فى بيتنا وأتسرب الى حجرة فى الطابق الأدنى وأقفل الباب وأروح أقرأ فى كتب الأدب •

وكان كبير الخدم عندنا اسمه عم أحمد وكنا نناديه بلقب عم أحمد توقيرا له • وفوجئت يوما وأنا فى خلوة قراءتى بباب الحجرة يكاد ينخلع

من شدة الخبط عليه ، وفزعت الى الباب وفتحته ، فاذا بوالدتى أمامى تتميز من الغيظ ، ولولا أننى كنت قد تجاوزت الطفولة الى مطالع الشباب لانهالت على ضربا ، وأمرتنى أن أذهب الى المدرسة فورا • فقد كانت أمى حريصة حرصا مبالغا فيه أن أنال الشهادة العالية لدرجة أننى كنت اذا ظهرت نتيجة العام وأنا لى ملحق فى مادتين أو أكثر تمرض والدتى بضعة أيام وتمتنع عن الطعام • وكان حزن والدتى يتمثل فى النوم • كانت اذا حزنت نامت وهذا من لطف الله بها وكانت رحمها الله تستحق هذا اللطف من الله فانى لم أعرف أما رءوما فى مثل حنانها ، وكانت تعين البائسين وذوى الحاجة ، وتسعى لهم لدى أبى حتى يقضى حوائجهم • ولا أذكر أنها تأخرت عن قاصد لها مطلقا •

لم أنته بعد من قصة أمى وضبطها لى متخلفا عن المدرسة • عدت من المدرسة وذهبت الى والدتى وكانت رحمها الله قريبة الرضى وظللت أتلطف معها حتى عرفت أن الذى أبلغها بعدم ذهابى الى المدرسة هو عم أحمد • ومن العجيب أننى فى هذه السن قدرت له ما فعل وشكرته فى نفسى ، فما كان يبغى الا مصلحتى من وجهة نظره وبحثت عنه فقيل لى انه ذهب الى البلد هو وأسرته الكبيرة ، وكلهم من بلدتنا غزالة • ولكنه كان يقيم مع زوجته وأولاده ببيتنا بالعباسية بحجرة بالبدروم ، وكانت حجرته دائما غاية فى النظام والنظافة • فقد كان هو دائما حسن الهندام نظيفا وكذلك زوجته أم زكية التى أرضعتنى على ابنها عبد العظيم • وكثيرا ما كنت أزورها فى حجرتها بالبدروم ، بل كثيرا ما كنت أتناول طعامى فى هذه الحجرة •

طالت غيبة عم أحمد بالبلدة وهمس لى سائقنا الذى كان من البلد أيضا أن عم أحمد لن يعود •

ـ لماذا ؟

ـ لأنه قدر انك ستكون غاضبا عليه •

ودهشت من اخلاص هذا الرجل • لقد وازن بين بقائه فى عمله الذى هو مورد رزقه الوحيد وبين أن يغمض عينيه عن تخلفى عن المدرسة ، الأمر الذى قد يؤدى الى عدم فلاحى كما يعتقد فأبلغ والدتى بأمرى وترك عمله وتوكل على الله • وقد كان لصيقا بأبى ، فقد كان خادمه الخاص ، وكان يسافر معه أوروبا ، ويعرف كيف يريحه ويلبى كل طلباته دون أن يطلبها • فقد قضى حياته كلها مع أبى هو وأبوه كذلك وأقاربه جميعا يعملون فى الأرض عند أبى •

سارعت فطلبت عم أحمد فى غزالة بالتليفون ، وطبعا لم يكن ببيتنا هناك ولكنى طلبت من الذى أجابنى بالبيت أن يناديه لينتظر منى مكالمة .. وكلمته .

ـ ماذا يا عم أحمد .. لماذا لم تات ؟

فقال فى صوت به آثار ضحك :

ـ أتريدنى انت ان أجىء ؟

ـ طبعـــا .

ـ بكرة سآتى .

وأرجو الله أن أكون قد أكرمت هذا الرجل على قدر ما شهدت من تضحيته وحبه واخلاصه لنا .

فى مدرسة فاروق بدأت رحلتى مع الملاحق ، فكنت دائما أنتقل من السنة الى الأخرى بملحق حتى حصلت على شهادة الثقافة ، وهى تعطى لمن يتجاوز الامتحان فى السنة الرابعة الثانوية ، وهى السنة السابقة على شهادة التوجيهية التى أصبح اسمها الثانوية العامة .

وقد كان يوم حصولى على شهادة الثقافة يوما مشهودا فى حياتى . كنت فى ذلك اليوم أترقب ظهور مقالتى الثانية فى مجلة الثقـافة التى كانت تصدرها لجنة التاليف والترجمة والنشر وهى أعظم لجنـة أدبية عرفها تاريخ مصر . فقد كانت تضم عمالقة الأدب جميعا بلا استثناء .

ومع أننى كثيرا ما رويت كيف نشرت أول مقالة لى فى حياتى الا أننى أعتقد أننى لن أستطيع أن أقدم اليك هذا الكتاب دون أن أذكر بداية حياتى مع الكتابة . وأنا قبل كل شىء وبعد كل شىء كاتب ، وفى العام القادم أكون قد قطعت من عمرى خمسين عاما فى الكتابة .

كنت طالبا فى الثقافة السنة الرابعة الثانوية فى مدرسـة فاروق الأول الثانوية ، وكان يدرس لنا اللغة العربية أستاذ طيب اسمه الأستاذ ضاحى كتبت له موضوع انشاء استعملت فيه كلمة تساءل فيما أذكر ، فاذا به يضع تحتها خطا ويقول لى : ـ تساءل على وزن تفاعل ، وتفاعل لا تكون الا فى تبادل الشىء بين شخصين فاستعمالك لها غير صحيح .

وعجبت من هذا الذى يقول . فما ان ذهبت الى المنزل حتى هرعت الى القاموس وما لبثت أن تبينت أن الأستاذ أخطأ خطأ فادحا ، وكان خطأ الأساتذة فى ذلك الحين كبيرة من الكبائر . كتبت كلمة عنوانها تصحيح

أوراق • وكان الأستاذ الشاعر العظيم العوضى الوكيل قد عرف أبى وعرفنى بصديق امتدت صداقتى الوطيدة به حتى اختاره الله الى جواره هو الأستاذ عثمان نويه • وكان والد عثمان نويه يعمل فى ذلك الحين مدرسا بمدرسة خليل أغا زميلا للشاعر العوضى الوكيل شيخا معمما ، وكان والدى زميلا لأحمد بك أمين الذى كان فى ذلك الوقت عميدا لكلية الآداب ، وأديبا من أدباء الصدارة فى العالم العربى وكان قبل ذلك زميلا لوالد عثمان نويه فى مدرسة القضاء الشرعى • وكان أحمد بك أمين يعتبر نفسه والدا روحيا لابن زميله عثمان نويه •

قرأ عثمان نويه الكلمة الصغيرة التى كتبتها عن خطأ الأستاذ وقال سأعرضها على أحمد بك أمين •

وانتظرت عودة عثمان من زيارة أحمد بك أمين بصبر نافذ • فقد كنت فى السادسة عشرة من عمرى وكان نشرى بمجلة الثقافة التى كانت تحتل هى وأختها الرسالة مكان الصدارة فى الحياة الأدبية أمرا يفوق كل أحلامى •

وعاد عثمان نويه ، وقال ان أحمد بك رضى عن الكلمة وسينشرها • ولم أصدق ورحت أسأل عثمان عن تفاصيل ما دار بينه وبين العميد الجليل ، فقال انه قرأها •• سأل :

ــ هل هى لمدرس زميلك ؟

فقال عثمان فى سرعة بديهة :

ــ بل هى لصديق محام •

ولم يجرؤ أن يصارحه انها لطالب فى الثقافة • ونشرت الكلمة • وكان زملائى فى مدرسة فاروق يقرأون الثقافة والرسالة ويهتمون بالأدب حتى اننا أنشأنا لأنفسنا مكتبة خاصة فى الفصل يضع فيها التلاميذ كل الكتب التى يشترونها فى دولاب أحضرته أنا من منزلنا ، وتظل الكتب فى الفصل طوال العام الدراسى ، ويسترد كل تلميذ كتابه بعد أن يكون الفصل كله قد قرأه •

ولم أكن أخبرت أحدا من زملائى شيئا عن كلمتى التى أرسلتها للثقافة فكانت المفاجأة مذهلة وعرف الزملاء أننى صاحب الكلمة على الرغم من أننى وقعتها بتوقيع : « تلميذ قديم » ، وتبادل تلاميذ المدرسة كلها وأساتذتها أيضا قراءة الكلمة • واستدعانى نجيب بك هاشم رحمة الله عليه وطلب الى فى لطف وكياسة ألا أهين أساتذتى وأذكر أننى قلت له

ما دمت أملك قلما فلا يستطيع أحد أن يظلمني ولك أن تقدر كبر هذه الكلمة من صبي يافع ما زال تلميذا بالثانوى ، ولم تنشر له الا كلمة صغيرة بدون توقيع . وحتى يومنا هذا كلما ذكرت هذه الكلمة تأكد عندى أن الغرور لا يكون الا مع المبتدئين وأنه يتلاشى ويتخافت ويذوب كلما كبر المرء وبلغ مبالغ النضج .

كان من الطبيعي بعد أن نشرت الكلمة أن يصارح الأستاذ عثمان نويه أحمد بك بأن الكاتب تلميذ بالسنة الرابعة الثانوية ، وطلب أحمد بك أن يلقاني وذهبت اليه وكانت بداية تلمذة منى للأديب العملاق ، وقد طلب الى أن أقرأ بعض كتب التراث وسمى لى أسماءها ، وسارعت اليها وقرأتها جميعا ووجدت فى قراءتها متعة عظيمة أذكر منها على سبيل المثال كتاب العمدة لابن رشيق وكتاب الكامل للمبرد وغيرهما وغيرهما وقد جعلنى هذا أقرأ كتاب الأغانى ولم أستطع أن أكمله الا حين أهدى الى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين كتاب الأغانى مختصرا ومرفوعا منه العنعنة الذى حققه هو والأستاذ ابراهيم الابيارى ، وقد قرأت هذا الكتاب أكثر من مرتين أو ثلاث .

وأعطيت أحمد بك أمين مقالة أخرى عنوانها « شعراء مغمورون » وكتبت فيها عن الأستاذ أحمد القرعيش والأستاذ توفيق العوضى أباظة .

ومالى لا أذكر لك ما اخترته لكل من الشاعرين فى هذه المقالة .

أما الأستاذ أحمد القرعيش فقد أخذت له هذه الأبيات :

قالت : أحبك صادق ؟ قلت الدلائل قاطعات
قالت : وعهدك ؟ قلت : باق ما رعت عهدى الحياة
قالت : وحبى ؟ قلت : فصل مثلته الغانيات
قالت : وعهدى ؟ قلت : ذاك هو الأمانى الكاذبات
ضحكت وقالت : هكذا من قبلك العشاق ماتوا

أما أبيات توفيق العوضى ، فقد كانت خطابا منه الى المستشار الأديب المحقق جمال الدين بك أباظة عم الشاعر العملاق عزيز باشا أباظة ، وفى الأبيات يشكو توفيق الى جمال بك ابن أخيه أنه أرسل اليه خطاب تحية فلم يرد عليه . تقول الأبيات :

جمال الدين والدنيا سلاما يضوع شذى كأنفاس الخزامى
وبعد فهل أتاك حديث قوم نكلمهم فيابون الكلاما

بعثت الى عزيز القول شعرا أحييه فما رد السلاما
فان يك أكبر الشعراء طرا وأعظمهم وأسماهم مقاما
فقد نادى الله الناس موسى وناجى العبد من خلق الأناما
وبنت النمل كلمها نبي وبادلها المحبة والوئاما
فلست أقل من نمل ضعيف وليس أجل من ملك تسامى

وكان اعطائى المقالة لأحمد بك أمين مواكبا فى الزمن مع فراغى من الامتحانات واستعداد منزلنا للذهاب الى رأس البر للمصيف . فقد كانت الحرب العالمية على أشدها وانتقل المصطافون من الاسكندرية الى رأس البر .

وذهبنا الى رأس البر ، ومكثت أترقب ظهور المقال ، وقد كنت لا أطيق أن أبحث عنها مع بائع الجرائد ، بل كنت أستبق الزمن وأذهب الى شارع النيل في رأس البر أنتظر المركب الذى كان يأتى بالصحف . وأشترى المجلة . ولكننى لا أجد بها المقالة فتضيق بى الحياة ، وأحسب اليوم أن انتظارى لظهور المقال كان يؤزنى اذا لم أشعر به فى انتظار نتيجة شهادة الثقافة . وكنت قد أخبرت أبى أننى أعطيت مقالة لأحمد بك أمين وكان يشعر بحزنى كلما ظهر عدد من مجلة الثقافة وليس به مقالتى .

حتى كان ذلك اليوم المشهود الذى بدأت به هذا الحديث اليك .
فى ذلك اليوم ذهبت أستحم فى البحر ، وطبعا نزلت الى البحر بدون نظارة النظر التى كنت قد بدأت لبسها قبل هذه الفترة بسنتين تقريبا وأنا بها أرى حتى السطر الأخير من اللوحة بدرجة ٦/٦ وبغيرها يكون نظرى ضعيفا لا أستطيع أن أحدد الأشياء البعيدة .

وفى البحر استطاع بصرى أن يرى عن بعد رجلا مسنا يحتزم بقرعتين ليعيناه على البقاء طافيا على سطح الماء ولا أدرى لماذا اقتربت من هذا المسن ربما لأننى منذ طفولتى أحس حنينا لكبار السن . وربما لأننى عجبت من استعمال القرع المجفف للطفو وكانت العجلات هى المستعملة فى هذا الغرض .

وفوجئت حين اقتربت أن هذا الرجل لم يكن الا أستاذنا العظيم أحمد بك أمين الذى لقينى أجمل لقاء ، وسألته عن مصير مقالتى فقال لى شيئا لم أكن أتوقعه قط قال انهم لم يشاءوا أن ينشروا شيئا عن عزيز بك أباظة ، ولم يكن قد نال الباشوية بعد ، وانهم أرسلوا اليه خطابا يستأذنونه فى نشر أبيات توفيق العوضى عنه . وقد أعجبت كل الاعجاب بمنطق المجلة وبخلق المشرفين عليها ، وقلت لأحمد بك أمين انني أستطيع

أن ارسل أبياتا أخرى غير هذا فقال « يكون أحسن » وملأت نفسى الفرحة، وخرج أحمد بك من البحر وتبعته أنا ذاهبا الى عشتنا وأخبرت أبى بسبب تأخير نشر المقالة ، وبعد الظهر من اليوم نفسه ذهبت الى مسرح برأس البر وحجزت لنفسى تذكرة لمشاهدة عميد الفن الكوميـدى فى مصر والشرق نجيب الريحانى ٠ وعند عودتى كانت الشمس لم تغرب بعد ، وانما تميل الى الغروب وجدت عامل تلغراف يدور بين العشش تائها ٠ سألته عمن يريد ؟ فقال : أريد عشة دسوقى بك أباظة ٠ قلت له : أنا ابنه ، فسلمنى برقية من قريبنا المرحوم الأستاذ عبد الله عوضى أباظة الذى كان مدرسا بالثانوى ، وكانت البرقية تحمل تهنئة بنجاحى فى شهادة الثقافة ٠ ومنذ ذلك اليوم وأنا أستبشر خيرا كلما رأيت الريحانى فى السينما أو فى التليفزيون ٠ ذهبت فى اليوم نفسه الى عشة أحمد بك أمين ووجدت عنده العلامة القانونى العظيم السنهورى باشا ٠ وسلمت أحمد بك مقالة أخرى فيها أبيات لتوفيق غير هذه التى أوقفت النشر ٠

وهكذا كان هذا اليوم يوما مشهودا فى حياتى كما ترى ٠ حدث بعد ذلك أن رافقت أبى الى بلدتنا غزالة ، وكانت المقالة قد نشرت ، فوجدت الأستاذ القرعيش قد نظم أبيات تحية لى سأذكر البيت الأول منها فقط ، لأنها تؤرخ الفترة جميعها يقول فى مطلع الأبيات :

نال الثقـافة وازدهى
ببراعة صـدر الثقـافة



فى غمرة حديثى عن تلك المرحلة لم أذكر أن أبى تولى الوزارة لأول مرة فى ٢٦ يونية سنة ١٩٤١ وكنت فى السنة الثالثة الثانوية ، وكان توليه الوزارة قبل تاريخ مولد ى بيومين ٠ وقبل أن يتولى أبى الوزارة كان حزب الأحرار قد رشحه لرياسـة مجلس النواب بينما رشحت الهيئـة السعدية أحمد ماهر باشا وكان رئيس الوزارة المرحـوم حسن صبرى باشا ٠ وقصة هذا الرجل مع أبى عجيبة ٠ فقد حدث فى سنة ١٩٣٨ أن أبى كان بصفته سكرتير عام حزب الأحرار يقوم باعداد أسماء مرشحى الحزب فى الانتخابات وكان رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، ولم يشترك أبى فى الوزارة ، وكان هذا موضوع دهشة كبرى من الناس ألا يشترك سكرتير عام الحزب فى الوزارة ، ولكن محمـد باشا اعتذر له اعتذارا شديدا ٠ وجد أبى نفسه مضطرا أن يقبله لما لمحمد باشا محمود من مكانة

خاصة فى نفسه · وبينما أبى مشغول باعداد الإنتخابات كلمه حسن باشا صبرى فى التليفون وكان فى ذلك الحين وزيرا فى وزارة محمد باشا ، وكان مقربا من الانجليز ، وطلب الى أبى أن يضع أحد الأسماء مرشحة فى دائرة معينة ، ولكن أبى اعتذر بأن هذه الدائرة بها عضو قديم فى الحزب ؟ ولا يستطيع أن يتخطاه فاذا بحسن صبرى يقول لأبى :

ـ أتناقشنى ·

فوضع أبى سماعة التليفون فى وجهه ·

وبعد ذلك ببضعة أشهر حدثت فى الوزارة أزمة استدعت اخراج وزير الزراعة من وزارته · وكان مجلس الوزراء مجتمعا حين قال محمد باشا للوزراء انه مضطر أن يفض الاجتماع لانه على موعد مع الملك ليوقع منه مرسوم تعيين وزير الزراعة · وسأل الوزراء :

ـ من الوزير ·

وقال محمد باشا :

ـ انه برلنته (أى شخص من الماس)

ـ مـن ؟

ـ دسوقى أباظة ·

فاذا حسن صبرى باشا يقول :

ـ اذا دخل دسـوقى اباظة الوزارة من هذا الباب ، فساخرج من الباب الآخر ؟

وهكذا لم يعين أبى وزيرا فى وزارة محمد باشـا محمود ، وظلت الوزارة بغير وزير زراعة حتى استقالت ·

وجاءت بعـدها وزارة مستقلة يرأسها على باشا ماهر لم يشترك فيها أحـزاب ·

ثم الف بعد ذلك حسن صبرى الوزارة ، وكان طبيعيا ألا يشترك أبى فى وزارته ·

ولعل القارىء يدهش أن أبى رغم هذا الذى فعله معه حسن باشـا صبرى كان دائم المديح له فى العلن ، ولنا نحن أبناؤه والمقربون اليه

فانني لم أجد أحدا فى العالم ولا فى التاريخ يفصل بين الحق وبين مشاعره الشخصية ، كما كان أبى يفعل ٠

وبهذه المناسبة أذكر لأبى قصة جديرة بأن تروى ٠ كان المدرس الخاص الذى يدرس لى مادة الرياضة على صلة وثيقة بأسرة وزير وفدى كبير ، وكنت خليقا أن أذكر اسم الأستاذ لولا خشيتى أن يكشف اسمه عن شخصية الوزير الوفدى ، وهو أمر لا أقبله فانني ان فعلته أكون بهذا قد خرجت عن النهج الذى انتهجه أبى والذى سيتضح لك من هذه القصة ٠ جاء أستاذ الرياضة ، وطلب الى أبى أن يحدد موعدا ليلقاه فيه أخو الوزير الوفدى الكبير ٠ وجاء الأخ والتقى بأبى واذا به يقدم أوراقا لأبى تثبت أن الوزير الوفدى يأكل أموال اخوته ويغتصبها لنفسه ، وطلب الأخ الى أبى أن ينشر هذه الوثائق فى جريدة السياسة التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين ، واذا بأبى يقول له :

ـ يا ابنى نحن لا نحارب خصومنا السياسيين بالايقاع بينهم وبين اخوتهم وأسراتهم ٠ فهذه امور لا تتصل بالسياسة الشريفة ، أنا لا أعرف أخاك معرفة شخصية ، ولكننى مستعد أن أدعوه الى بيتى ، وأدعوك أنت واخوتك معه وأصفى ما بينكم من خلافات فى جلسة أسرية ٠ أما أن أنشر هذه الخلافات الخاصة فليس من أخلاقنا ٠

وانصرف اخو الوزير الوفدى ومعه أوراقه ٠

ونعود الى حسن باشا صبرى ٠٠

وحدث أن أختلف السعديون مع حسن باشا صبرى ، وتركوا الوزارة ، وجاء موعد انتخابات الرئاسة لمجلس النواب ، وكان رئيس المجلس أحمد باشا ماهر ، وكان لابد أن تجرى الانتخابات حسب النص الدستورى ، ورشح حزب الأحرار أبى كما قدمت ٠ وكان نجاح أبى مرجحا ٠

وفى أثناء حملته الانتخابية ، وقبل موعد الانتخاب بيومين ، كنا جالسين مع أبى أنا وخالى على واثنان أو ثلاثة من الأصدقاء وكان باب المكتب مغلقا ففوجئنا بالباب يفتح بقوة ، وتشريفاتى رئيس الوزراء واقفا به ، وكان اسمه الأستاذ ميشيل ساويرس ، وكان معروفا بادبه الجم ، وكان يعمل مع كل رؤساء الوزراء ، لأنه لم يكن له شأن بالسياسة مطلقا وانما كان خبيرا بشئون وظيفته ٠ صاح ميشيل ساويرس فى دربة ومران :

ـ دولة رئيس الوزراء ٠

وقام أبي الى بهو المنزل ، وتبعنـاه ، ورأينا حسن باشـا صبري يحتضن أبي وهو يقول :

ـ أهلا سعادة رئيسنا العظيم ٠

ورحب به أبي ودخـلا معـا الى حجرة الاستقبال ،وأغلقت عليهما الأبواب ، وبقي معنا في المكتب ميشيل ساويرس نتحدث في أي شيء ما عدا السياسة ٠

وطالت الجلسة بين أبي وبين رئيس الوزراء ، وأخيرا خرجا وودع أبي رئيس الوزراء وشملنا الحبور ، فلو لم يكن نجاح أبي مرجحا ما زاره رئيس الوزارة لتصفو علاقته به ٠ فقد أدرك أن الأمور لن تستقيم الا اذا كان رئيس مجلس النواب على علاقة طيبة مع رئيس الوزراء ٠

وجاء موعد الانتخابات ـ وبدأ اليوم بداية طبيعية ، وقد كان لافتتاح البرلمان في ذلك العهد مراسم رائعة كان الملك يركب عربة تجرها خيول ، والعربة مفتوحة وتسير في طرقات القاهرة من عابدين الى مجلس النواب ويكون رئيس الوزراء بجـانب الملك في هذا الموكب تحف بهما الخيول يركبها الحرس الملكي ويتقدم الموكب الموتسيكلات وتقف جموع الشعب على الصفين تصفق وتهلل ، شأنها دائما ، حتى يصل الموكب الى دار البرلمان وتنطلق المدافع مؤذنة بوصول الموكب ، ويدخل الملك الى قاعة مجلس النواب ، ويجلس بين تصفيق الأعضاء على كرسي العرش بالمجلس الذي لم يعد موجودا الآن بالقاعة وانما نقل الى متحف مجلس النواب ٠ وبعد ذلك يبدأ رئيس الوزراء في القاء خطبة العرش ، وكان المفروض أن الملك هو الذي يلقى خطبة العرش ، ولكن لأن الدستور النيابي بدأ في عهد الملك فؤاد الذي كان لا يجيد العربية فقد استقر العرف الدستوري على أن يلقى رئيس الوزراء خطبة العرش باسم الملك فيقول « وستعمل حكومتي » لأنه يتكلم بلسان الملك لا بلسان رئيس الوزراء ٠

بدأ حسن باشا صبري يلقى الخطبة ، ولكن فجأة يسقط حسن باشا صبري على الأرض مصابا بأزمة قلبية لا تمهله دقائق ويلقى ربه ، ويقوم الملك عن عرشه الى حجرته بالمجلس ويعلن تأجيل افتتاح البرلمان لأول مرة في التاريخ ولآخر مرة أيضا ٠ فان هذا الحدث ليس من شأنه أن يتكرر ويموت رئيس الوزراء ، وهو يلقى خطاب العرش ، بل أحسب أن هذا الذي وقع لم يقع في أي بلد آخـر على مدى تاريخ الحيـاة النيابية في العالم ٠

وألف الوزارة بعـد حسن صبري المرحوم حسين سري باشا ولم يشرك في الوزارة رشوان محفوظ باشا الذي كان طامعا فيها كل مطمع ٠

ويعضب رشوان محفوظ فيطلب من أنصاره من نواب الصعيد ألا ينتخبوا مرشح الحزب الذى ينتمى اليه والذى كان أبى رغم صداقة رشوان باشا لأبى ، فينسلخ من أنصار أبى أكثر من سبعة عشر صوتا • ويصنع الصنيع نفسه حفنى محمود شقيق محمد باشا محمود للأسباب نفسها التى أغضبت رشوان محفوظ وكان أنصار حفنى محمود حوالى عشرة نواب ، وهكذا يفقد أبى قرابة خمسة وعشرين صوتا ولم يكن محتاجا الا لأحد عشر صوتا لينجح •

وهكذا شاء الله أن يسىء حسن صبرى باشا الى أبى حيا وميتا • حيا حين رفض أن يزامله فى الوزارة ، وميتا حين تسبب موته فى انسلاخ ما يقرب من خمسة وعشرين صوتا عن انتخاب أبى لرئاسة مجلس النواب •

كان محمد باشا محمود على قيد الحياة أثناء هذه الانتخابات ، ولكنه كان مريضا لا يترك غرفته • وقد زاره أبى وأبدى الرجل العظيم أسفه لتفتت كلمة الحزب وكان أكبر أسف الزعيم النبيل الذى اشتهر بهذا اللقب ما فعله أخوه حفنى وما فعله قريبه رشوان محفوظ • ولكن أبى قال له ليخفف عنه سخطه على الحزب : ان الانتخابات قد جرت فى غيبة الزعيم ، وحين تسترد صحتك ان شاء الله ستعود وحدة الحزب وسيسترجع تماسكه •

وشاء الله أن يختار محمد باشا محمود الى جواره ، وانقسم الحزب حول الرئيس الجديد •• حول من يختاره خليفة للزعيم الراحل • منهم من كان يؤيد مصطفى باشا عبد الرازق وعلى رأسهم أحمد باشا عبد الغفار لصلته الوثيقة بأسرة عبد الرازق وبحجة أن هذه الأسرة قد ضحت باثنين من زعمائها فى سبيل الحزب

والفريق الاخر كان يؤيد الدكتور محمد حسين هيكل باشا مرتئيا أنه أكثر خبرة بالحياة السياسية من مصطفى باشا الذى عرف عنه العزوف عن المجادلة أو المصاولة •

وأنت ترى كم كان كل مرشح من المرشحين يمثل قمة فى الثقافة العربية وواجهة مشرقة مضيئة لمصر حتى يومنا هذا •

على أية حال رأى الحزب أن يلجأ الى عبد العزيز باشا فهمى يرجوه أن يقبل الرئاسة لفترة قصيرة حتى يستقر الحزب على واحد من المرشحين العلمين •

وقبل عبد العزيز باشا رغم ضعف صحته ، وأصبح رئيسا للحزب ، وانتخب هيكل باشا نائبا لرئيس الحزب

حين أصبح عبد العزيز باشا فهمى رئيسا للحزب فان أول ما قاله لأبى انه لم يقبل رئاسة الحزب الا ليرفع الظلم الذى أوقعه الحزب على أبى مرتئيا أن بقاءه بعيدا عن الوزارة طوال هذه المدة يدل على أن الحزب لا يعرف كيف يقدر رجاله . وكان عبد العزيز باشا يحب أبى غاية الحب ، واغلب الأمر أن ذلك الحب يرجع الى تقارب أخلاق الرجلين تقاربا لصيقا فقد كان كلاهما لا يخشى فى الحق لومة لائم ولا يمنعه شىء عن محاربة الظلم وعن الانتصار للعدالة والشرف مهما تكلفا فى سبيل ذلك من خسائر مادية كانت هذه الخسائر أم كانت أدبية وكان عبد العزيز يضع يده على صدر أبى ويمررها عليه وهو يقول : هذا الصدر كله اخلاص .. كله اخلاص .. ويكررها .

وكنت أزور عبد العزيز باشا فهمى فى رفقة صديق عمرى عبد الفتاح الشناوى فكان يقول « مفيش زى أبوك فى كل السياسيين دول .. مفيش زى أبوك » .

وأهدانى مرة كتابه عن الحروف اللاتينية فكتب الاهداء « لسيدى ثروت بك أباظة » وكدت أدوخ من هول الكلمة الصادرة عن هذا الجبل الشامخ من العلم والسياسة والقانون والوطنية . وكنت ذاهبا فى ذلك اليوم الى عمى عزيز باشا أباظة وكانت معى تجارب روايته العباسة ، فلم أترك حقيبتى فى السيارة ، وانما صحبتها معى ، وقلت لعمى عزيز :

ـ تصور أن عبد العزيز باشا فهمى كتب لى اهداء يقول فيه كذا ؟!

ولم يصدق عزيز باشا .. وقال لى :

ـ الفضاء واسع .

وهى عبارة تقال حين يسمع الانسان شيئا يتصور انه « فشر » ففتحت حقيبتى وأنا أقول :

ـ ولماذا ؟ لا واسع ولا ضيق .. هاك الكتاب .

وقرأ عزيز باشا الاهداء وبدا عليه الذهول الذى أصابنى .

نعود الى عبد العزيز باشا فهمى وأبى والوزارة . فوجىء أبى بعبد العزيز باشا فهمى يقول له الرجل : حسين سرى يعتمد على حزب الأحرار وحده فى المجلس ولا يمثل الحزب الا خمسة وزراء فقط .

وبجرأة عبد العزيز باشا فهمى المعروفة قابل حسين سرى ، وأصر أن يمثل الأحرار الدستوريين فى الوزارة سبعة وزراء ، وتم التعديل فعلا

فى ٢٦ يونية سنة ١٩٤١ ودخل أبى وزيرا للشئون الاجتماعية ورشوان محفوظ وزيرا للزراعة ٠

واستقبل تعيين أبى وزيرا برنة فرح كبرى فى الشرقية وفى مصر جميعها ، وأذكر أن مصورا فوتوغرافيا كان فى شارع من أهم شوارع القاهرة وضع صورة أبى ورشوان باشا فى معرض صورة الذى يطل على الشارع وكتب تحتها بخط أنيق : الوزيران الجديدان ٠

بقيت هذه الوزارة فى الحكم قرابة شهر ، وكانت الشرقية تقيم حفل تكريم لأبى بمناسبة توليه الوزارة وكان اليوم المحدد لهذا التكريم هو اليوم الذى استقالت فيه الوزارة ، وكان سبب الاستقالة أن سرى باشا كان قد أزال الخلافات التى كانت بينه وبين الحزب السعدى ، وتم الاتفاق بينهما على أن يشارك الحزب السعدى فى الوزارة ويمثله فيها خمسة وزراء ، فكان طبيعيا أن تستقيل الوزارة ويعاد تشكيلها وينقص عدد الوزراء من حزب الأحرار الدستوريين الى خمسة وزراء بدلا من سبعة ٠ وكان طبيعيا ألا أذهب أنا أيضا الى الزقازيق لحضور الحفلة فقد كنت يومها لا أدرى ان كان المكرم أبى سيظل فى الوزارة أم سيخرج منها ٠

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم دق جرس التليفون فى منزلنا وكان أبى نائما فى القيلولة ٠ فما كان رحمه الله يعنيه أن يبقى فى الوزارة أم لا يبقى ٠ فقد كانت شخصيته أكبر من أى منصب ٠ رفعت سماعة التليفون وجاء فى الصوت على الطرف الآخر :

ـ منزل معالى الأستاذ ابراهيم بك دسوقى أباظة ٠

ـ نعم ٠

ـ معالى الوزير موجود ؟

ـ من يريده ؟

ـ مجلس الوزراء ؟

فلما أشا ان اخبره ان ابى نائما وانما تجرات وقلت للمتحدث :

ـ نعم موجود ٠

وتجرأت مرة أخرى وأدخلت التليفون الى أبى فى قيلولته ، وكان المتحدث يستدعى أبى للذهاب الى مجلس الوزراء فى الساعة السادسة ، ووعد أبى بالحضور ، وطلب منى أن أتركه ليكمل قيلولته ، وكان شيئا لم يحدث ٠ كم كان عظيما لا يهزه عاصف من فرح أو غيره ٠

وعاد أبى الى الوزارة فى وزارة الشئون الاجتماعية ، وخرج اثنان من وزراء حزب الأحرار الدستوريين ، من بينهما رشوان باشا محفوظ الذى عين قبل شهر من الوزارة الجديدة وكانت هذه آخر مرة يشترك فيها فى الوزارة ٠

وبقيت هذه الوزارة فى الحكم حتى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ الشهيرة حين حاصر الانجليز القصر الملكى ، وطالبوا بتعيين النحاس باشا رئيسا للوزارة أو يعزلوا الملك فاروق ٠ وكان ما كان من اجتماع زعماء الأحزاب ورؤساء الوزارات السابقين بقصر عابدين ، وعرض المجتمعون على النحاس باشا أن يؤلف وزارته مؤتلفة من الأحزاب ليواجه الحالة الخطيرة التى تمر بها البلاد ، فرفض هذا العرض بكل اصرار ، وصاح أحمد ماهر باشا فى وجه النحاس بكلمته الشهيرة انك تأتى الى الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ، فلم يأبه النحاس بهذا وخضع الملك لتهديد الانجليز وأصدر مرسومه بتأليف الوزارة ٠

- ٣ -

ولا أنسى فى اليوم التالى كنت أركب السيارة الخاصة ، لا سيارة الوزارة طبعا مع أبى ، وقلت له : كيف سيواجه النحاس الجماهير بعد هذا ؟ وفى ذكاء السياسى العملاق قال لى : سيقول : لقد أنقذت عرش مصر٠

وما لبث النحاس أن قال هذه الأضحوكة وكان أبى كان فى عقله حين توقع أنه سيدعى هذا الادعاء ٠ والغريب أن الجماهير الوفدية تجمعت حول مجلس الوزراء لتهنىء النحاس ووزارته القادمة بالحراب الانجليزية . وفى أثناء تجمعها حضر الى مجلس الوزراء السير مايلز لمبسون ، وكان ضخم الجثة بصورة غير مألوفة ، فقد كان طويل القامة الى حد بعيد ، كما كان بالغ السمن ٠ والعجيبة أن الجماهير الوفدية حملته على أكتافها وهتفت باسمه ولم تشعر بالهوان وهى تحمل المندوب السامى البريطانى على أكتافها بعد أن زلزل عرش مصر ٠ وكان الملك الى ذلك الحين محبوبا من الشعب حبا لم يحظ به ملك ٠ وقد استطاع بغبائه الشديد أن يبدد هذا الحب بطريقه العربيد الأبله الذى اختاره لنفسه واعتقد اعتقادا يقترب من اليقين أن أمه الملكة نازلى لها أثر كبير فى اضطراب عقله ومسلكه جميعا بأفعالها المخزية التى كانت ترتكبها والتى انتهت بزواجها من أحمد حسنين باشا ، مما كان له أسوأ الأثر فى نفوس الناس ومن باب أدق فى نفسية الملك وما فعلته بعد ذلك أدهى وأمر ٠

أعلنت وزارة النحاس حل البرلمان واجراء انتخابات · وطلب حزب الأحرار مقابلة النحاس باشا للاتفاق على الأسس التى سيدخلون عليها الانتخابات وتحدد موعد اللقاء واختار الحزب أبي وأحمد باشا عبد الغفار ليمثلا الحزب في مفاوضاته مع النحاس باشا · وكان اللقاء طريفا ، ولذلك فانه لم يفر من ذهني ·

قال لهما النحاس باشا :

ـ الانتخابات حرة ، ولكم أن تقولوا ما تشاءون ·· على الا تذكروا شيئا عن حادث ٤ فبراير ، ولا تهاجموا الانجليز نظرا للظروف التى نمر بها ولا تذكروا شيئا عن زوجتي ولكم أن تقولوا بعد ذلك ما تريدون ·

ودهش أبى ولم يتكلم ، وتكلم أحمد باشا عبد الغفار قائلا فى غضب :

ـ وماذا بقى أن نقوله ضد المرشح الآخر ؟ أنقول له أبويا أحسن من أبوك ؟ أم نقول له وشى أحلى من وشك ؟

ولم يرد النحاس ، وخرج أبي وأحمد باشا دون أن يتفقا مع النحاس، وعرفت بعد ذلك أن النحاس باشا حين روى هذه الواقعة للهيئة الوفدية قـــال :

ـ جاءنى من حزب الأحرار معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة والولد أحمد عبد الغفار ·

مع أن أحمد باشا كان حاملا رتبة الباشوية عند هذا اللقاء ·

وهكذا رفض حزب الأحرار والهيئة السعدية دخول الانتخابات ، وانفرد حزب الوفد بهذه الانتخابات

ولكن أبى كان حريصا على وجوده فى مجلس النواب ، وفى نفس الوقت لم يستطع أن يخوض الانتخابات العامة ، وهو سكرتير حزب الأحرار الدستوريين ·

وهكذا ارتأى أن يدخل أخوه عبد الله بك فكرى أباظة الانتخابات وكان فى ذلك الحين سكرتير عام وزارة التجارة ، ومرشحا أن يكون وكيل وزارة · وكان الدستور يقضى أنه اذا أصبح موظف عضوا بمجلس نيابى فله مهلة ثلاثة أشهر يختار فى أثنائها بين البقاء فى الوظيفة وترك المجلس ، أو البقاء فى المجلس وترك الوظيفة ·

وبعد انقضاء المدة استقال عمي عبد الله من المجلس ، وتقدم أبي للترشيح بالدائرة التى خلت ، ورشح الوفد ضده أحد المحامين واسمه عبد العظيم الهادى رسلان وكانت انتخابات مريرة غاية المرارة جيش الوفد لها كل جيوشـه من شرطة الى قوات مسلحة الى تزوير علنى لا يتوارى ولا يخجل ، وفى هذه الانتخابات كسرت ذراع فكرى أباظة باشا فى بلدة قريبة من الغار بلد المرشح اسمها كفر عوض الله حجازى . وكان من فجور الوفد أنه فى توزيع الناخبين كان يجعل البلاد المؤيدة لأبى تدلى بأصواتها فى بلاد بعيدة عنهـا كل البعد ، بينما يحـرص على أن يجعل الناخبين المؤيدين لمرشحه يدلون بأصواتهم فى بلاد قريبـة غاية القرب منهم ، فلا يتكلفون الا مشية هينة . أما الناخبون المؤيدون لأبى فقد كان عليهم أن يركبوا السيارات أو يتعذر عليهم الادلاء بأصواتهم .

أما معركة كفر عوض الله التى كسرت فيها ذراع عمى فكرى فقد تجمع فيهـا بعض أنصار المرشـح الوفدى ، وبأيديهم العصى الغليظة ، وأرادوا أن يمنعـوا ممثلى أبى من الاقتراب الى لجنة الانتخاب ، فاعتدوا عليهم بالضرب دون أن يراعوا أى معنى للخلق أو قيم الوافدين عليهم

وتمت الانتخـابات ، وكان فوز أبى واضـحا ، وتجمعت صناديق الانتخاب بنقطة شرطة ببلدة بردين ، وهى البلدة التى سميت الدائرة كلها باسمها ، وحرص شباب الأسرة أن يبيت فوق الصناديق يتزعمهم عمى عبد الله وقد هيأ له مأمور دائرة الأمير طاهر باشا الذى يملك أبعادية فى بردين مكانا مناسبا يبيت فيه ، بينما لازم شباب الأسرة الصناديق وحاولت الشرطة وقوات من الجيش أن يخرجوهم من النقطة فكشفوا عن أسلحة مرخصة يحملونها .

وكلم مدير الشرقية أبى فى غزالة ، وكنت بجواره . وقال المدير

ـ اننا نرجو أن تامر بالجلاء عن نقطة بردين .

فضحك أبى وهو يقول للمدير :

ـ لا أستطيع .. فاننى ان طلبت هـذا المطلب من شباب أسرتى فلن يقبلوه .

وسلم المدير أمره الى الله ، وظل شباب الأسرة مع الصناديق حتى تم فرزها وكنا واثقين انه اذا تخلى الشباب عن الصناديق فان الوزارة ما كانت لتخجل أن تحل مكانها صناديق أخرى لصالح مرشحها . وتم الفرز ونجح أبى نجاحا باهرا ، وأحست الوزارة أن الشعب غير راض عنها ، ولكن لا يهم ما دامت باقية فى دست الوزارة



حين عاد أبى الى مجلس النواب كان معارضا عنيفا ، ولكن الأغلبية الساحقة كانت وفدية وكان مكرم عبيد باشا قد انشق عن الوفد وكون حزب الكتلة وأصدر جريدة للحزب وفى ذلك الحين كتب كتابه الشهير المعروف باسم « الكتاب الأسود » وكانت الأحزاب المعارضة تتولى توزيع هذا الكتاب ، وكانت نسخ منه كثيرة توزع من بيتنا ٠ والكتاب جدير بأن نقول عنه ان أعظم التهم فيه لا تساوى شيئا بالنسبة لأيسر ما ارتكب فى عهد الناصرية ٠ فقد كان أعظم ما فيه اعتقال بعض الزعماء السياسيين، وقد كانوا يعتقلون فى بيوت مريحة ويلقون كل رعاية وعناية ، وما كان اهل هذا العصر يدرون ما يخفيه الزمان فى عهد الناصرية من اعتداء على الأعراض والكرامات والأموال والأنفس مع الألوان التى لم تسمع عنهـا البشرية من التنكيل والعذاب ٠ ولكن على أى حال فى ذلك الحين كان الكتاب الأسود سبة فى جبين الحكم وقد تقدم أبى باستجواب عن الاعتقالات التى تقوم بها الحكومة وفى نفس اليوم المحدد لنظر الاستجواب اعتقلت حكومة النحاس مكرم عبيد باشا ووقف أبى فى مجلس النواب يندد بهذا التصرف ، وصاح بالحكومة اننا متضامنون مع كل ما فعله مكرم عبيد باشا وكل ما كتبه ولتفعل بنا القوى الغاشمة ما تريد ٠٠ وقد علق المرحوم كامل الشناوى على هذه الخطبة يومذاك بقوله لولا خوفى على الرجل لألقيت بنفسى من شرفة الصحفيين لأقبل دسوقى أباظة ٠

وعاد أبى الى البيت ، وكنت أتلقى درسا فى اللغة الانجليزية من استاذى الذى كان يشرف على دراستى جميعا الأستاذ لويس مرقص الذى أصبح فيما بعد د٠ لويس مرقص رئيس قسم اللغة الانجليزية بكليـة الآداب ، وذكر لنا أبى ما فعله بالمجلس ، ثم نادى عم أحمد وأمره أن ينقل كل نسخ الكتاب الأسود ومنشورات أخرى ضد الحكومة الى بيت ابن عمه الأصغر الضابط عمر أباظة رحمه الله متوقعا أن تفتش الحكومة منزلنا فى نفس الليلة ٠ وقد حدث أن فوجئنا بقوة من الشرطة قبيل منتصف الليل تحاصر المنزل وتقتحمه لتفتش عن الكتاب الأسود والمنشورات ٠ ولكن أين هـذا التفتيش مما فعله العهـد الناصرى بعد ذلك ؟ شتان لا يقارن ما فعله النحاس بما صنعه بعد ذلك عصر الطغيان ٠

حسبك أن تعلم أن أبى أمسك بمسدسه ، وقال لقائد القوة : نحن فلاحون وسأسمح لك بتفتيش البيت جميعه ، ولكن لن تدخل الحجرة التى بها السيدات مطلقا ٠

وقبل الضابط · فما كان أهونه من تفتيش ، وانصرفوا دون أن يعتقلوا أبى وانما قدموا له كل اجلال واحترام وتوقير ·



- ٥ -

فى يـوم ٧ أكتوبر عــام ١٩٤٤ طلبنى أبى من حـزب الأحرار الدستوريين وقال لى : ان وزارة النحاس أقيلت ، وأن أحمد باشا ماهر يؤلف الوزارة الآن فى لاظوغلى ·

كانت الحرب قد أوشكت على الانتهاء ، وعرف الملك أن الانجليز لم يعد يعنيهم شأن النحاس أن يبقى فى الوزارة أو لا يبقى فأقال النحاس باشا · سارعت الى الحزب فوجدت الجموع الحاشدة ، وكان الحزب فى عهد وزارة الوفد محاصرا بالشرطة ، وقد خشى أبى أن تعتدى الزحوف القادمة للتهنئة على القوة المحاصرة للحزب ، فاستدعى رئيس القوة وأخبره بسقوط وزارة الوفد ، ونصحه بأن ينسحب هو وقوته حتى لا يتعرض للصدام مع الجماهير القادمة لتهنئته ، فراح رئيس القوة يشكر أبى ، ويدعو له بطول العمر ، وانسحب هو وقوته ·

علمنـا فى الحزب أن مفاوضات تشـكيل الوزارة تواجه صعوبات سببها ان مكرم باشا عبيد يصر أن يكون عدد وزراء حزب الكتلة مساويا لعدد وزراء الأحرار والسعديين وكان هذا غير طبيعى ، ولم يكن ماهر باشا موافقا على ذلك ، وطال وقت التأليف ولغط الحاضرون فى حزب الأحرار وتناثرت الاشاعات بأسـماء المرشحين وأبى فى حجرته بعيد كل البعد عما يدور بين الحاضرين بالخارج · وقد أبى ترفعا أن يذهب الى لاظوغلى ليشارك فى تأليف الوزارة ، مع أن هذا كان أمرا طبيعيا · فهو سكرتير عام الحزب ، والمفروض أن يشترك فى تأليف الوزارة ·

فى هذه الليلة قمت بتجربة لا أنساها · حلا لى أن أبث اشاعة أن الملك هدد باستدعاء النحاس باشا اذا لم تؤلف الوزارة فى وقت معقول · ولم تمر دقائق حتى طلبتنى والدتى من البيت وسألتنى هل صحيح أن الملك استدعى النحاس باشا ·

أدركت منـذ ذلك اليـوم السرعة التى تسرى بها الاشاعة وتحرف أيضـا ·

ووافق حزب الأحرار والسعديين أخـيرا على مطلب مكرم باشـا ، وأصبحت المشكلة هى أين يجد وزراء فرشح المحامى سـيد سليم الذى

لم يعرفه أحد في ذلك الحين وقد نال رتبة الباشوية فيما بعد كما رشح طه باشا السباعى ولم يكن عضوا فى حزب الكتلة وانما انضم اليه ليدخل الوزارة وقد كان قبل ذلك يشغل منصب وكيل وزارة ٠

تألفت الوزارة وأسند الى أبى منصب وزير المواصلات ، ثم تقلب طوال خمس سـنوات فى المناصـب الوزارية فكان وزير أوقاف ووزير خارجيـــة

ولتوليه منصب وزير الخارجية قصة ، ولتركه لها قصة أكثر طرافة فقد طلب أحمد خشبة وزير الخارجية أن يتولى منصب نائب رئيس الوزراء ولم يكن هـذا المنصب معروفا فى التشكيلات الوزارية فرفض طلبه واستقال ، واختير أبى وزيرا للخارجيـة ورشح هو رياض عبد العزيز سيف النصر المستشار وزميل دراسة أبى وزيرا للمواصلات فتولى المنصب٠

ولكن ما هى الا بضعة أشهر حتى قبض على أخى رياض بك بتهمة الشيوعية وهو الهام عبد العزيز سيف النصر الذى كان فى مثل سنى وقد عرفته بعد ذلك بسنوات حين تزوج بابنة عباس باشا سـيد أحمد والد الشيوعى المعروف محمد سـيد أحمد وخال أمينة هانم صدقى حرم عزيز أباظة باشا وقد قبض على الهام فى العهد الناصرى وعذب تعذيبا وصفته المحكمة التى رفع أمامها قضيته فى عصر الحرية بانه تعذيب لم تعرفه البشرية ٠ وأغلب الأمر أن هذا التعذيب كان السبب ربما غير المباشر فى موت الهام ٠ دون أن تعلو به السن ، فهو فى مثل عمرى تقريبا ٠

وعودة الى أخيـه الذى رفض أن يبقى فى الوزارة ، وأخـوه متهم بالشيوعية فقدم استقالته واستطاع حزب الأحرار أن يقنع أحمد باشا خشبة بالعودة الى الوزارة ، فعاد الى وزارة الخارجية ، وعاد أبى الى وزارة الموصـلات

فى وزارة الخارجية حدثت واقعة لابد من ذكرها ٠ كان مرتب وزير الخارجية يضاف اليه مرتبوزير تحت بند ما يسمونه بدل تمثيل ، واذا بأبى يرفض أن يتقاضى بدل التمثيل هذا ٠ وناهيك بمرتب وزير فى ذلك الحين ولم يكن أبى واسع الغنى بدليل أن الاصلاح الزراعى لم يأخذ منه قيراطا واحد ، وقال المسئولون فى الوزارة لأبى : معاليك ستحرج الذين قبلك والذين بعدك

قـــال :

ـ أما الذين قبلى فلا شأن لهم بما أفعل لأنهم سبقونى فى الوزارة ٠ اما الذين بعدى فاذا كانوا قادرين فليفعلوا مثلما افعل واذا كانوا غـير

قادرين فلا لوم عليهم اذا لم يفعلوا وتقاضوا بدل التمثيل ٠ أما أنا فلن آخذ من الحكومة نقودا مقابل الدعوات التى يحتم على منصبى أن أقيمها فى بيتى ٠ وأصر على رفضه ٠

***

- ٦ -

حصلت على شهادة الثانوية العامة ، وكان اسمها فى عهدنا التوجيهية فى عام ١٩٤٦ وكان أبى يومذاك وزيرا للأوقاف فى وزارة صدقى باشا التى قامت بمفاوضات صدقى ـ بيفن ولم يشترك الوفد فى المفاوضات واستطاع أن يثير المظاهرات الصاخبة فى الجامعة قبل أن تبدأ المفاوضة ٠ ومع أن صدقى باشا حصل من ستانجيت القائد الانجليزى على تصريح من جانب واحد أن تنسحب جنود الاحتلال من القاهرة وجميع عواصم مصر لتقيم فى ثكنات لها بالقنال الا أن هذا لم يخفف من حدة المظاهرات فى الجامعة ولم يشترك السعديون مع صدقى باشا فى الوزارة فكان يعتمد على الأحرار الدستوريين وحدهم فى الفترة الأولى من حكمه وقد انضم شباب السعديين الى الوفديين فى الجامعة ٠ ولعله ينبغى أن أذكر جلسة مجلس النواب التى فاز فيها صدقى باشا بالثقة رغم أن السعديين لم يشتركوا معه فى الوزارة وكان عددهم يزيد على الأحرار ببضعة مقاعد ٠

فى هذه الجلسة هاجم السعديون صدقى باشا هجوما ضاريا فقد حل محل رئيسهم النقراشى باشا الذى أصبح رئيسا للوزارة بعد مقتل الزعيم العظيم أحمد ماهر باشا برصاصة خائنة وادعى القاتل أنه قتله لأنه كان يريد أن يدخل الحرب مع الانجليز ، وكانت حجة ماهر باشا أن الحرب كانت موشكة على الانتهاء واشتراك مصر فيها لن يكلفها شيئا ولكنه سيتيح لها أن تكون عضوا فى هيئة الأمم وتعرض قضيتها على العالم ٠ ولكنه قتل ٠ ودخلت مصر الحرب شريكة مع الحلفاء فى عهد النقراشى باشا الذى خلف ماهر باشا فى رئاسة الوزارة ٠

ولنرجع الى جلسة مجلس النواب ٠ هاجم السعديون صدقى باشا وراحوا يذكرونه بالعنف الذى عرف عنه فى وزارة سنة ١٩٣٠ وظل الرجل صامتا حتى انتهى طالبوا الكلمات من هجومهم ووقف العملاق العجوز يقول فى ثبات ٠ ما معناه تحدثتم عن صدقى سنة ٣٠ ولن أدافع عنه فأنا مقتنع بكل ما فعلته فى هذه الوزارة ولكن صدقى سنة ٣٠ هو نفسه الذى كان عضوا مع المرحوم أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا فى

الجبهة القومية وهى جبهة تكونت بعد حادثة ٤ فبراير لتناهض وزارة النحاس باشا وكان أبى وهيكل باشا من أعضائها فذكر صدقى باشا زمالته لزعيمى السعديين فيها ثم قال فى حسم ، « هذه الجبهة يا حضرات النواب التى كان لها الفضل فى وجودكم على هذه الكراسى التى تجلسون عليها الآن » • وراح يشير بيده الى مقاعد المجلس العتيد ، والعجيب أن صدقى باشا نال الثقة مع تحديه للأغلبية السعدية فى المجلس •

حين بدأت الدراسة فى الكلية كانت بداية مضطربة كل الاضطراب وكانت المظاهرات يومية حتى أننا لم نكمل يوما دراسيا قط وفوجىء الطلبة بصدقى باشا فى الكلية وكنت قد عدت الى البيت وانما عرفت ما دار بين الطلبة ورئيس الوزراء من حوار فقد قال لهم :

ـ ماذا تريدون ؟

ـ خروج الانجليز •

ـ وماذا نفعل نحن غير ذلك ، الا يحسن بكم أن تذاكروا انتم حتى نجد فى مصر رجالا مثقفين نعتمد عليهم بعد خروج الانجليز من مصر •

وطبعا لم يجد الطلبة شيئا يجادلون به منطق الرئيس العبقرى وانصرف صدقى باشا •

ولكن المظاهرات استمرت كأن شيئا لم يحدث فكنا نذهب الى الكلية ونجلس فى المدرجات وقبل أن يدخل الأستاذ تنفجر المظاهرة ونخرج •

وما هى الا أيام حتى أعلنت الصحف أن رئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا سيلقى فى الساعة كذا بيانا بالاذاعة حول مظاهرات الجامعة • وتجمعنا حول أجهزة الراديو لنستمع الى بيان رئيس الوزراء الذى لم يستغرق سوى بضعة ثوان قال ما معناه :

« يتدخل بعض الغوغاء بين صفوف الطلبة ويثيرون الشغب ولما كانت الحكومة حريصة على استتباب الأمن فسوف تعمل على ذلك بالطرق المشروعة وغير المشروعة » •

وذهبت الى الجامعة فى اليوم التالى فوجدت الحكومة قد أمرت بعودة الشرطة الى مقارهم حتى أننا لم نجد شرطيا واحدا من القوات الكبيرة التى كانت تحيط بالجامعة • ودخلت الى المدرج فلم أجد مكانا أجلس فيه الا بشق الأنفس والذين دخلوا بعدى ظلوا واقفين •

ولم تقم مظاهرة واحدة في عهد صدقي باشا بعد بيانه هذا حتى تذاءب عليه زعماء مصر من المستقلين ورفضوا المعاهدة التى كانت أحسن ما توصلت اليه مصر فى تاريخها والتى تفضل ـ لا شك ـ المعاهدة التى خرج بمقتضاها الانجليز بعد ذلك بأعوام عديدة ويكفى المعاهدة التى خرج بموجبها الانجليز أنها أفقدتنا السودان الى الأبد ٠

وقد كان أبى متحمسا لمعاهدة صدقي ـ بيفن وأذكر أنه فى أيام تكوين وفد المفاوضين جاء أبى الى البيت متأخرا قليلا عن موعده وجلسنا على مائدة الغداء وكان على المائدة بعض ضيوف لنا ٠ وقال أبى :

ـ لقد خرجت من الوزارة ٠

وكان وزيرا للأوقاف في ذلك الحين ٠٠ فقلت أنا :

ـ اذن انضممت الى وفد المفاوضة ٠

ـ نعـــم ٠

ولم تمض دقائق حتى دق جـرس التليفون فتركت المائدة وذهبت أجيب التليفون ٠٠ وطالعنى صوت لم يغب عنى طبعا :

ـ معالى الباشا موجـــود ٠

وقلت : نعـم ٠ وأردت أن أستوثق من الصوت فقلت :

ـ نعـــم ٠٠ من يريده ٠

وجـــاء الصـوت :

ـ صـــدقى باشـــا ٠

وكان هو شخصيا المتحدث ولم يكن مكتبه ٠

وكلمه أبى وعدت أنا طبعا الى المائدة حريصا أن أخلى غرفة المكتب التى بها التليفون ٠ وجاء أبى الى المائدة وقال :

ـ لقـــد بقيت فى الوزارة ٠

وعرفنا سر هذا التعديل بعد ذلك فبعد أن كان الرأى قد استقر على أن يكون وفد المفاوضين من أحزاب الوزارة عدل عن هذا الرأى ليتكون الوفد من رؤساء الوزارات السابقين ومن رئيس حزب الأحرار الدستوريين والسعديين ٠

ولم يغضب أبى رغم ذلك ، وبعد أن أجمع رؤساء الوزارات على رفض المعاهدة حقدا منهم أن يقوم صدقى باشا بهذا النجاح الخالد وخوفا من بعضهم مما أثاره عليه حزب الوفد الذى لم يرع وجه الله ولا وجه الوطن ٠

وأذكر فى هذا الشأن حديثا بين صدقى باشا ولطفى باشا السيد فى هذا الشأن :

قال صدقى باشا :

ــ ألم يصل بنا السن والخبرة يا لطفى أن نقود نحن الرأى العام ٠

فقال لطفى باشا السيد :

ــ أريد أن أموت على سريرى يا اسماعيل ٠

واستقال صدقى باشا من الوزارة وتألفت وزارة جديدة برئاسة النقراشى باشا وكان ابى وزيرا للمواصلات بها وأبى فى شجاعته ووطنيته ان يخفى اعجابه بمعاهدة صدقى ــ بيفن فكتب هذه المقالة بأهرام ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٦ رغم علمه أن النقراشى باشا يكره صدقى باشا كل الكراهية ورغم التيار الجارف الذى ساد حينذاك ضد المعاهدة

ظهر أهرام ذلك اليوم وبه عنوان آراء وأفكار « حول مشروع المعاهدة » ثم عنوان مقالة أبى « لماذا أوافق على المعاهدة » وقالت الأهرام :

نشرنا منذ يومين بحثا لحضرة الشيخ المحترم زكريا مهران باشا عنوانه « لماذا لا أوافق على المعاهدة » وننشر اليوم بحثا لمعالى ابراهيم دسوقى باشا يرد فيه على من سأله « لماذا يوافق على المعاهدة » قال الجواب سهل بسيط : ذلك لأننى أحب بلادى وأعتقد أن المعاهدة تحقق استقلالها وتحدد يوم الجلاء « بغير دماء ٠٠٠ »

ولست أتكلم عن مشروع المعاهدة فأتناول بالبحث سائر مواده وأشرح ما أدخله عليها دولة صدقى باشا من تحسين واضح جلى عظيم بل أكتفى بالكلام عن مادة الدفاع المشترك ، فان عيوب المعاهدة كادت فى نظر المعارضين تنحصر فيها ٠ وكانت تلك المادة فى أول أمرها مشوبة بشىء من الغموض فأزال دولة صدقى باشا غموضها ثم أحاطها بتحفظات قوية كافية ، ودعمها لمصلحة مصر بسياج جعل المساس باستقلالها ــ اعتمادا عليها ــ ضربا من المستحيل الا اذا تجرد المصريون من الوطنية والرشد والكرامة ٠

وكان المفاوضون قد قبلوها جميعا ، عدا واحد ، قبلوها على ما كان بها من غموض فلما أزال صدقى باشا غموضها فى مفاوضته الأخيرة وجلا ما كان فيها من ابهام ولبس مريب ، وأصبحت لا غبار عليها ولا خوف منها ، رفضها المعارضون وادعوا انها الحماية مقنعة بل انها الحماية سافرة :

١ ـ لم يكن هناك نص على ان رأى اللجنة استشارى ، فجاء النص صريحا •

٢ ـ وأصبحت لا تجتمع الا اذا دعتها الحكومتان للاجتماع •

٣ ـ ولا تنظر الا فى البيانات المتفق عليها من الحكومتين •

فبربك قل أيها المعارض ما الذى يخيفك منها بعد ذلك وما الذى تخشاه اذا كنت لا تريد أن تجتمع فليس ثم ما يكرهك على دعوتها • واذا رأيت أن تدعوها بسبب كوارث تريد أن تتخطاها أو عواصف تخشى عقباها ، فاحذر أن تقبل فى بيانات الانجليز شيئا يضر باستقلالك أو تدخلا منهم فى شئون بلادك وامتنع عن البحث فى أى أمر لم يرد فى بيانك •

وفى آخر الأمر اذا دعوتها للبحث فى المسائل الواردة فى البيان الذى قدمته أنت اليها ، ثم لم يعجبك رأيها فارفض لأن رأيها استشارى وحكومتك لها حق الرفض

هكذا تقول معاهدة صدقى

أتريد أن تعرف بماذا أجاب أحد الشجعان من المفاوضين ؟ انه قال وكلمته مشهورة : اننى لا أطمئن على أى حال لأن الانجليزى من أعضاء اللجنة اذا نظر الى المصرى فان المصرى ترتعد فرائصه • فأجاب صدقى قائلا : اذا يا أخى ، ان مصر اذا صح هذا لا تستحق الاستقلال !!

أى عار يسربل هذه البلاد اذا صدق هذا المفاوض ؟ وكيف يصور لهم الوهم أن المصرى يرتعد جزعا وينتفض خوفا وهلعا اذا ألقى عليه البريطانى نظرة تهديد ؟

وقرأت فى « الأهرام » بحثا لشيخ معارض هممت بأن أرد عليه ومضيت فى تلاوته الى أن وجدته يقول : وماذا علينا ـ لو صح ان معاهدة ١٩٣٦ لا تزال قائمة ـ اذا انتظرنا سبع سنوات أخرى بعد السنوات الثلاث • فحدقت فى جملته ووقعت من يدى « الأهرام » وقلت على الوطنية

السلام • ثم عدت الى الجريدة فأخذتها والى الجملة المشئومة فحدجتها واسترسلت فى القراءة فاذا به يقول بأن الانجليز لا يعنيهم الآن الا الاحتلال المادى الاقتصادى ، وهم يربطوننا برباط الاسترلينى ، فعجبت لهذه « السلطة » اذ ما دخل الاسترلينى فيما نحن فيه ؟ وفى العالم ممالك عديدة مستقلة تربط نفسها به طائفة مختارة وجميع كبار الاقتصاديين فى مصر يرون الانفصال عن دائرة الجنيه الاسترلينى فى الوقت الحاضر كارثة مالية •

وبهذه المناسبة أذكر أن الكثيرين طوح بهم العناد الى اللجاجة فى المقارنة بين معاهدة ١٩٣٦ ومشروع المعاهدة الأخيرة • ومعاهدة ٣٦ تفرض على مصر محالفة أبدية بينما تفرض هذه المعاهدة عشرين عاما • ومعاهدة ٣٦ تبقى جنود الانجليز بعدها اذا ثبت أن مصر أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها • ومعاهدة ٣٦ لا تسمح بالجلاء عن المدن المصرية الا اذا بنينا ثكنات من منطقة القنال تتسع لجيوش الاحتلال تكلف خزينتنا ما لا قبل لنا به ، وقد بذل المغفور له محمد محمود باشا جهودا جبارة لاشتراك الانجليز فى النفقات لاقامة هذه الثكنات • وقد فات الباشا عضو الشيوخ المعارض صاحب مقال « الأهرام » أن البريطانيين يشترطونها فى معاهدة ٣٦ •

ولا أذكر كل ما فى معاهدة ٣٦ من عيوب فقد قبلها المصريون على علاتها وبكل عيوبها من محالفة أبدية الى بعثة عسكرية تدخل فى شئوننا الداخلية • وزفرف سرب من الحمام على المفاوضين عند قدومهم • وأطلقت المدافع تكريما لهم ، وأسرع مكرم باشا الى الجامعة يخطب الطلبة ساعات ويؤكد لهم قول النحاس باشا « اسجدوا لله شكرا فقد جئتكم بمعاهدة الشرف والاستقلال » •

ثم تناول معاليه مسألة السودان فقال :

لم يكن يدور فى خلد الكثيرين أن صدقى باشا سيأتى بالنصوص التى أتى بها « وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى » والفرق بين ما كان المفاوضون قد طلبوه وما جاء به صدقى باشا هو أنهم كانوا يرون التأجيل ، ورأى دولته التعجيل •

أما ما يدعيه المعارضون من أن النص يحتمل التأويل ويخول للسودان حق الانفصال فلا نسلم به بأى حال • وقد فسر دولة صدقى باشا النصوص بما يطمئن أشد الناس تعنتا وأكثرهم مكابرة ، وترك الباب مفتوحا بعد ذلك للمفاوضة لأن التعاون بين المملكتين على العمل لرفاهية السودان وترقيته وجعله أهلا للحكم الذاتى يجعل لنا الحق فى

المطالبة بتمكين مصر من ممارسة حقوقها ، ويكفل لها الهيمنة التى كفلتها المعاهدة لها . وتفسير دولة صدقي باشا هو الذى نقره ونعتمد عليه وكل ما يحصل عليه السودان بعد ذلك من حقه فى الحكم الذاتى والنظام الذى يترتب عليه لا يخرج عن نطاق وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى .
يبقى مجلس الأمن . وأمر المعارضين فيه غريب فقد كان مجلس الأمن رجسا الى وقت قريب . وحمل الوفد على سياسة الاشتراك فى جمعية الأمم المتحدة وأخذ يشهر بها وينكر الفائدة من وجودها ، وقتل الشهيد أحمد ماهر فى سبيلها .

فلما وجدت وتكونت هيئاتها وأصبحت مصر من أعضائها وتشكك بعض المصريين فى نتيجة عرض قضيتنا عليها ، انقلبت جمعيـة الأمم خيرا عميما وفوزا للحرية عظيما وقاضيا عادلا صادقا رحيما .

وأراد الله أن يجلو الشك باليقين فطرح ممثلنا فى هذه الجمعية منذ أسبوع واحد مسألة الجلاء ، جلاء الجيوش الأجنبية عن بلاد الأمم المشتركة فى الجمعية وأخذت الأصوات فأسفرت عن ٢٩ صوتا بالرفض و١٣ صوتا بالموافقة على الاقتراح أكثرها من الأمم العربية . هذه النتيجة العظيمة ، هذا البرهان القوى الملموس الدامغ ، هذا الرد السريع الصريح . لا يفتح عيون المعارضين ولا يبصرهم بالعواقب يتغنون بأنشودتهم المحبوبة : مجلس الأمن ! مجلس الأمن !

ولست فى حل من الكلام عن مجلس الأمن . ومن الوطنية أن أكف عن الاسترسال فى بيان رأيى فيه ولكنى أحيلكم الى ساستنا الوطنيين الأكفاء المخلصين الذين خبروه عن قرب واشتركوا فى اجتماع هيئة الأمم المتحدة وفى مجلس الأمن وفى سائر المؤتمرات ، فوقفوا فى اتجاهها وتبينوا حقيقة نياتها .

هؤلاء الساسة المصريون لا يرقى الشك الى وطنيتهم ، ولا يجرؤ انسان على الطعن فى كفاءتهم . فقد رفعوا رؤوسنا ولفتوا أنظار العالم لنا . فوقف باهتا مشدوها مأخوذا بتلك الجرأة العجيبة والكفاءة الممتازة والحماسة الوطنية التى جعلت بريطانيا تتململ متوجعة تشكو ، وكانت تنتظر منهم بعض مظاهر الود والمجاملة .

أنأخذ بكلام رجالنا هؤلاء ، وتلك خبرتهم وهذه مواقفهم ، أم نأخذ برأى المتفائلين الذين كانوا متشائمين ، ونتأثر بحملات بعض المعارضين وقد كانوا الى وقت قريب موافقين يحبذون ويصفقون ؟

اذا وقعت المعاهدة فان الجلاء عن القاهرة والاسكندرية وبلاد الدلتا يتم فى شهر مارس ، أى بعد ثلاثة أشهر وبضعة أيام ، وبعد ذلك بسنتين

ونصف سنة يتم الجلاء عن بلادنا بأسرها فى يوم محدد هو أول سبتمبر والفضل لصدقى باشا فى هذا التحديد أتريد من وطنى صادق الوطنية ومن مصرى مخلص صادق النية أن يتردد فى الموافقة على خلاص بلاده من أسرها واستكمال حريتها واستقلالها وتريد من مصرى نزيه عاقل يحب بلاده ويفديها بحياته أن يستبدل ذلك بقضية خاسرة يقدمها الى محكمة يعتقد أنها ستحكم فيها بالاعدام ولديه على ذلك ألف برهان ؟؟

كان المغفور له قاسم أمين يقول :

« أعرف قضاة يحكمون بالظلم ليشتهروا بالعدل » وأنا اعرف رجالا يسيئون الى وطنهم ليشتهروا بالوطنية » ٠



كانت هذه المقالة ذات صدى بعيد عندما نشرت ولكن متى ناقش الوفديون بالمنطق ، لقد رفضوا أن يتحقق هذا النجاح الفائق الذى بلغه صدقى على غير أيديهم ولتذهب مصر والوطنية الى أى جحيم تشاء ٠



فى وزارة النقراشى باشا التى أعقبت استقالة صدقى باشا قررت الوزارة أن يذهب وفد مصرى الى هيئة الأمم وتكون الوفد وكان وزير الخارجية من بين أعضائه وتولى أبى وزارة الخارجية بالنيابة ٠

رأس وفد مصر النقراشى باشا ٠ وبلغت وطنية النحاس الحضيض فى هذه الأيام ، فقد أرسل برقية الى هيئة الأمم يقول فيها أن هذا الوفد لا يمثل مصر ٠ كان ينبغى لو كان يحمل ذرة من الشعور بالوطنية أن يؤيد النقراشى باشا والدرجة الأدنى أن يصمت وينتظر ، اما ارسال برقية الى هيئة الأمم يبلغ فيها أن النقراشى باشا لا يمثل مصر فتلك كبيرة من كبائر الخيانة العظمى لا نستطيع أن ننساها للنحاس باشا أو لحزب الوفد

فى هيئة الأمم وعلى ملأ من العالم وقف النقراشى باشا وصاح فى وجه الانجليز اخرجوا من بلادنا أيها القراصنة ودوت الصيحة فى أنحاء الدنيا فهى المرة الأولى التى تسمع فيها انجلترا مثل هذه العبارة وهى فى هذه الأيام الامبراطورية التى لا تغيب الشمس عن الدول التابعة لها ٠

وقد استقبل الشعب النقراشي استقبالا حافلا حين عاد . ولكن رحم الله شوقي حين وصف مصر بقوله :

نسيت روعته في بلد
كل شيء فيه ينسى بعد حين

لم يمض وقت كثير حتى قتل النقراشي باشا بيد غادرة ممن يسمون أنفسهم بالاخوان المسلمين وما هم باخوان وما هم بمسلمين .

وتولى الوزارة ابراهيم باشا عبد الهادى الذى كان يومذاك رئيسا للديوان الملكي وكان هذا طبيعيا ، فقد كان الشخص التالى فى حزب الهيئة السعدية ولو أن الملك اختار بدلا منه هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين لكان فى هذا شبه موافقة من السراى على قتل النقراشي باشا . واختير أبى وزيرا للمواصلات فى وزارة ابراهيم باشا عبد الهادى .

وفى لقاء بين هيكل باشا وبين الملك قال له الملك :

ـ رئاسة الوزارة تنتظرك وستنالها فى يوم من الأيام حتما .

فماذا الأديب العملاق والزعيم العظيم يقول له :

ـ انني يا مولاى حين أجلس الى مكتبي تصغر فى عيني كل وظائف العالم .

استمرت حكومة ابراهيم باشا عبد الهادى الى أواخر عام ١٩٤٩ وكان مجلس النواب بهذا قد أكمل دورته الخامسة وأعتقد أن هذا المجلس هو المجلس الوحيد فى الحياة النيابية التى بدأت بدستور ١٩٢٣ الذى أكمل فى مقاعده خمس سنوات كاملة تقريبا . وأصبح لابد من التفكير فى حل المجلس .

استقال ابراهيم باشا عبد الهادى وظهرت فى الأفق بعض آمال أن تتكون وزارة مؤتلفة من كل الأحزاب وتمهيدا لهذا الأمل كلف الملك حسين سرى باشا بتأليف الوزارة من كل الأحزاب وقبل حزب الوفد أن يشترك فى الوزارة وكان أبى وزيرا فيها وفى الإسكندرية راح الوزراء يدعون اخوانهم لموائد الغداء لتأكيد التآلف ، وكان من ضمن أعضاء الوزارة كريم ثابت باشا الذى فرضه الملك فرضا فكان الوزراء يدعونه مع الأعضاء الآخرين على موائدهم حتى جاء دور أبى ليدعو الوزراء فوجه اليهم الدعوة للغداء فى بيته بالاسكندرية ولكنه رفض أن يدعو كريم ثابت . وكنت أنا موجودا فى هذه الدعوة .

قليلا ما بقيت هذه الوزارة وتفجر الائتلاف وهو أمر كان منتظرا طبعا • وألف سرى باشا وزارة من المستقلين كان أوضح ما فيها أنه أشرك منه زوج ابنتــه الدكتور محمد هاشم باشـــا وأطلق عليه الشعب لقب شيانو مشبها اياه بزوج ابنة موسيلينى الذى كان الديكتاتور القتيل يطلق يده فى حكم ايطاليا ايام رئاسته وقد قتلهما الشعب معا وعلق كليهما من أرجليهما فى ميدان عام •

وقد توثقت صلتى بعد ذلك بالمرحوم محمد هاشم باشا وأشهد أنه كان كفئا للمنصب الذى تولاه مع حميه بل كان أكبر منه بعلمه وثقافته واتزانه وقد نال فى هذه الوزارة لقب الباشوية • وأجرت وزارة سرى باشا الانتخابات وقد اكتسح الوفد • وكان اكتساحه لسببين أولها وأهمها طول بقاء الوزارات المعادية للوفد فى الحكم والشعب المصرى تواق الى التغيير حتى وان كان التغيير الى الأسوأ • ولذلك فاننى أعتقد أن الوفد لم يحافظ على شعبيته الا لأن الملك كان يقيله دائما • وكانت هذه الاقالة ترفع أسهمه عند الشعب الذى يقدر أى انسان يقف فى وجه الحاكم الأعلى • ولو أن الوفد ترك فى الوزارة ليكمل دورة واحدة لفقد شعبيته التى كان يتمتع بها الى الأبد •

أما السبب الثانى لنجاح الوفد نجاحا باهرا فى هذه الانتخابات فهو شعور رجال الشرطة أن التيار العام مؤيد للوفد فأعملوا تزويرهم لحسابه حتى يطالبوا بالمكافآت حين يقتعد الوفد كراسى الوزارة •

ومع ذلك فحين أحصى أهل الاحصـــاء الأصــوات التى نالها حزبا الأحرار الدســتوريين والهيئـــة السعدية فى هذه الانتخـابات أوضحت الاحصاءات انها كانت تفوق بكثير عدد الأصوات التى نالها الوفد مع أن كلا من الحزبين لم ينل الا حوالى ثلاثين مقعدا فى البرلمان • وهكذا كانت المعارضة ممثلة فى ستين نائبا ونيف من مجموع عدد الأعضاء الذى كان مائتين وخمسين عضوا فى تلك الأيام •

نهج الوفد فى هذه الوزارة نهجا جديدا كل الجدة على سياساته السابقة • والجـدة فيه أنه أخذ نفسه بالنفـاق الرخيص كل الرخص للملك • وقد بدأ ذلك فى اليوم الذى حلفت فيه الوزارة اليمين برئاسة النحاس باشا اذ قال النحاس للملك فجأة وبدون مقدمات :

— مولاى ان لى عندك رجاء انا مصمم أن أناله •

— ما هـــو •

— أن أقبل يدك •

وبهذه الجملة وهذا الشعار بدأت الوزارة الوفدية الجديدة عهدها الذى نسبت فيه الملك الى النبى عليه الصلاة والسلام · والذى قال فى أثنائها النحاس باشا حين سئل عن رأى له فى احدى المشكلات « ان فى « كابرى » قبله نتجه اليها جميعا » وكان الملك يصطاف فى « كابرى » فى هذه الأيام وأذكر أن روز اليوسف ظهرت فى أحد أعدادها وفى صدرها صورة لحذاء ضخم وكتبت تحته القبلة التى يتجه اليها رئيس الوزراء ·

على أية حال · دخل أبى طبعا هذه المعركة الانتخابية وكنت فى ذلك الحين فى السنة النهائية من كلية الحقوق وقد شاركت فى هذه الانتخابات مشاركة جدية ونجح أبى طبعا نجاحا ساحقا · ومن الطرائف التى لا أنساها أنه طلب منى أن أحضر له من كاتب الحسابات المبالغ التى انفقها فى المعركة الانتخابية وكانت هذه المبالغ تنفق على الولائم التى كانت يومية طبعا فى بيتنا · وفعلت ما أمر به وأحضرت الحساب وصعدت به اليه فى الطابق الأعلى وكان المبلغ أقل من الف جنيه فنظر فى الورقة ومزقها ونظر الى قائلا لا أحب أن يعرف أحد هذا المبلغ فقلت طبعا وأدركت أنه يستكبر أن يعرف الناس انه ينفق فى الانتخابات هذا المبلغ مع أنه انفق كله على مواجهة الزوار · فلم نكن نعرف فى هذه الأيام كلمة الرشوة للأصوات ولا عرفناها فى انتخابات أخى فى انتخابات ٧٦ والحمد لله ·

أصبح أبى فى مجلس النواب زعيم المعارضة عن الأحرار الدستوريين وكان الأستاذ حامد جودة الذى كان رئيسا للمجلس السابق زعيما للمعارضة عن الهيئة السعدية ·

وظل الأمر كذلك حتى حريق القاهرة وانهيار الحياة البرلمانية فى مصر ·



- ٧ -

لعن الله السياسة فقد جرفتنى عن الحديث اليك عن نفسى فى هذه الفترة وماذا كنت مستطيعا أن أفعل وقد كانت الأحداث يأخذ بعضها برقاب بعض وقد حذرتك من أول هذا الحديث أننى لن أتقيد بسنوات ولا بالأيام المتتاليات وانما سأترك الأحداث تقدم نفسها اليك فى عفوية وفى غير تركيب أو تدبير ·

مضيت فى دراسة الحقوق غير متعثر ولا متفوق وظللت أكتب فى مجلة الثقافة والرسالة معا ·

وفي يوم فوجئت بعمي عزيز باشا ولم يكن قد نال الباشوية بعد يطلبني بالتليفون ويهنئني على مقالة لي ظهرت في مجلة الثقافة فملأني الفرح العظيم فقد كان عزيز باشا في ذلك الحين قد انبثق كالشهاب في سماء الشعر العربي بديوانه الأول الذي اختص به ذكرى زوجته السيدة زينب هانم أباظة • وقد كانت هذه السيدة من أحب الناس الى أمي كما كانت أمي من أحب الناس اليها • وكانت صلتنا بأسرة عزيز باشا وثيقة كل التوثيق فقد كان عزيز باشا يعتبر أبي أخا أكبر له ولعل من الطريف أن عمي عزيز هنأ أبي بزواجه بقصيدة أعلقها في بيتي الآن فالمادح والممدوح جدا ابنتي وابني وربما يكون من المعقول أن أثبت هذه القصيدة في هذا الحديث الذي أتقدم به اليك فهي على أية حال قصيدة لم تعرف لآخر عمالقة الشعر العربي وموضوعها أبي وهذا الكتاب يحمل اليك ما لا تعرفه عن حياتي فما بغريب أن أقدم اليك القصيدة التي أنشأها جد اولادي عن جد أولادي في عام ١٩٢٤ وهو العام الذي تزوج فيه أبي وكان عزيز باشا قد تزوج فعلا من السيدة زينب هانم بعد قصة حب رائعة ، والذي لا شك فيه أن قليلين الذين يعرفون أنها كانت تكبره بعامين • ولكن صلتنا بأسرة عزيز باشا لم تكن تتمثل في كثرة التزاور فقد كان في هذه الفترة مديرا في مديريات مصر وكان مجيئه الى القاهرة قليلا •

ومكالمته هذه لي التي حدثتك عنها كانت وهو مدير لأسيوط • وكانت روايته قيس ولبنى قد ظهرت أيضا فوضعت قدمه بعظمة على المسرح المصري • وشاءت الأقدار أن تكون لي به وبأسرته وبرواياته أعمق الصلات • وأقواها طبعا لأنني تزوجت أبنته الصغرى فكانت ولا زالت حياتي ، أو هي ـ والله أعلم ـ أحب الى من حياتي وهي ابنتي أمينة وابني دسوقي ولكن حبي لها فهي زوجة وشقيقة روح وخدن عمري أقوى من حبي لها أما لابنتي وابني •

اليك القصيدة وقد تلحظ فيها أن عزيز باشا يمتدح زواج الأقارب وما هذا بغريب فزوجته زينب هانم بنت عمه سليمان بك عثمان أباظة عضو مجلس الشيوخ كما تزوج أبي ابنة عمه عبد الله بك السيد أباظة وقد كان عضوا بمجلس شورى القوانين وهو ابن السيد باشا أباظة والد جدي لوالدي ابراهيم بك أباظة الذي كان عمدة غزالة بلدتنا ، وقد أنجب سيد باشا أربعين ابنا وابنة • وربما من الطريف هنا أن أذكر أن السيد باشا هذا أهدى الخديوي تفتيشا قدره ١٢ ألف فدان مما يدحض قول الجاهلين أن الخديوي كان يوزع الأرض على الأعيان ، فالحقيقة أن الأعيان هم الذين يهدون الأرض الى الخديوي •

أما توزيع الأرض من الملوك على الأمراء والاقطاعيين فلم يكن الا في

فرنسا وما عرفته مصر على الاطلاق وما عرفت الاقطاع الذين يهرفون به في حياتها ٠

اليـــك القصـــيدة :

حي الغزالي(١) وقد بلغت منزلة ... منفوسة في الشباب الوثق الحالي
موفورة الحظ من شأو يقصر عن ... ادراكه غـــيره الا بآمـــال
قالوا الشبيبة طرف اللهو محتدما ... فقلت بل طرف أخلاق واعمال
وقفت أنضر أيـام الحيـاة على ... درك المحامد فينا والسنا العالي
فنلت في غـير ما نهضـت له ... والمجـد صعب على طـلابه غالي
يا صاحب القـلم السحرى ترسله ... فيبعث الآى في أسلوبها الحالي
وصاحب الخطبـة الفيحاء تنشرها ... نشـر اللآلئ في قاعات لآل (٢)
ليهنك اليـوم أن تبنى بطاهرة ... بين الندى نشات والنبل والمال
غنى بفضل أبيها الناس قاطبة ... ووفقت بعـد في عـم وفي خال
زين الغواني(٣) الأباظيات قد ظفرت ... بالنافع المرتجى والباذل النال
الساكب العرف والمأمول جانبه ... والصائب الرأى والتدبير والقال
أن الزواج لمؤته خير عاقبـة ... اذا التزاوج لـم يخرج عن الآل
لا تصغ للطب في هذا وخـذ ... ثمر التجريب تحيا رضى النفس والبال
تحنو على وترعى غيبتي أبدا ... على الليالي بنات العـم والخال
يرضين علمي وجهلي لا يضقن به ... ذرعا ويحمدن اكثارى واقلالي
ويغتبطن باجمـالي يشـدن به ... قـد يكون ضئيلا شأن اجمالي
لا زلتما تشهدان العيش متسقا ... والدهر في حدب منه واقبال

توثقت صلتي بعـد ذلك بعمي عزيز وكنت كثـيرا ما أكلمه في أسيوط بالتليفون وبدأت صلتي أيضا بزوجتي ٠٠ صلة من نوع آخر غير صلة القرابة ٠ فأنا طبعا أعرفها منذ وعينا الحياة وأنا وهي بحكم القرابة

---

(١) الغزالي هو التوقيع الذى كان يمهر به أبى مقالاته السياسية منتسبا الى بلدتنا غزالة ٠

(٢) لآلى صانع اللآلىء ٠

(٣) الغانية التى تستغنى عن التجميل ٠

ولكن هذه الآصرة الجديدة التى بدأت كانت من ذلك النوع الذى يعرفه تاريخ البشرية والتى كانت سببا فى بقاء هذه البشرية على قيد الحياة ٠

وحبا فى هذه النبضات الجديدة التى بدأ قلبى ينبضها عرضت على عمى عزيز أن أشرف على طبع روايته العباسة وفى المطبعة رأيت شخصا توثقت به بعد ذلك وكنت حين رأيته أول مرة وكنت أعرفه لأنه كان أصبح حينذاك قصاصا مشهورا ولم أكن بعد مشهورا ولهذا خجلت أن أكلمه فى المطبعة انه المرحوم الأخ الحبيب الانسان الملاك يوسف السباعى وأصبحت بعد ذلك مسئولا عن طبع روايات عزيز باشا ٠ وقد مثلت روايته العباسة أمام الملك فى ذلك الحين وأحب أن ينعم عليه برتبة الباشوية فى دار الأوبرا ولكن النقراشى باشـــا الذى كان رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية رجا الملك ألا يفعل لان عزيز باشا لم يكن فى ذلك الحين أقدم المديرين ولم يكن أقدم منه الا شمس الدين عبد الغفار الذى نال الباشاوية فيما بعد وحين حاول الملك أن يفهم النقراشى باشا أنه يمنحه الباشاوية كشاعر وليس كمدير لأسيوط ، ألح النقراشى باشا فى الرجاء فكان هذا خيرا لعزيز باشا دبرته له السماء فقد أقام الملك حفل تكريم خاص لعزيز باشا وجميع الممثلين فى المسرحية والمخرج ولجنة القراءة والاداريين وفى هذا الحفل أنعم الملك بالباشاوية على عزيز باشا ٠

من ذكرياتى عن هذه الأيام أن عزيز باشا كلفنى أن أحضر بروفات روايته الناصر فى الفرقة القومية لأصحح اللغة العربية للممثلين وكنت حينذاك طالبا بكلية الحقوق ٠ وهكذا تعرفت بأكبر ممثلى مصر فى هذه المناسبة ٠

وهكذا ازددت قربا من عزيز باشا ومن عفاف ٠ وكنت قد أحسست بوجيب الحب قبل هذا بشهور ٠ وكنا فى الاسكندرية وكنت أختلق الأعذار لأزور بيت عزيز باشا الذى كان بالشاطبى فى ذلك الحين ٠ وكنا وعفاف نتحدث فى الأدب كثيرا مما قوى حجتى أن أحضر لها الروايات التى ظهرت فى المكتبات ٠ وكنت أقرأ لها شعر شوقى وفى عفاف خاصية عجيبة ـ أو ربما لا تكون عجيبة بالنسبة لها ـ فانها تحس بأى كسر أو عيب فى عروضى من الشعر بأذنها دون أن تدرس العروض طبعا فقد تلقت أغلب تعليمها فى مدارس الفرنسيين وهى اللغة التى تجيدها كل الاجادة لدرجة أننى أذكر أننا كنا فى يوم ما أنا وهى فى باريس ووقفنا فى أحد مواقف التاكسيات واتصل الحديث بيننا وبين أحد المنتظرين معنا وعرف أننا مسافران الى مصر فقال لى أنت تسافر لانك واضح أنك مصرى ولكن لماذا تسافر السيدة٠٠فقد ظن لاتقانها اللغة الفرنسية أنها فرنسية ٠

فى احدى زياراتى لمنزل الشاطبى جلست أنا وعفاف ورحت أقرأ لها بعض أبيات لشوقى فى جزئه الرابع ٠ وفجأة قلت :

ـ ما رأيك اقرأ البخت بالشعر ٠

ـ طيـب ٠

ـ افتح الديوان واقرأ البيت الذى يقع عليه نظرى دون قصد ٠

ـ وهو كذلك ٠

وفتحت الديوان وقرأت فاذا بختها :

ـ لا بأس عليك يا حوريتى أنت وأبناؤك حتى يكبروا فى خفرتى

فكأنما كان هذا البيت ايذانا بالزواج ٠

نجحت فى السنة الثانية فى كلية الحقوق وكان د٠ شوقى باشا مديرا للجامعة وقد تفضل معاليه بأن ينقل الى أبى درجاتى كلما ظهرت نتيجة علم من العلوم حتى تمت النتيجة كلها ونجحت نجاحا موفقا ٠

وطبعا كنت قد فاتحت أمى برغبتى فى خطبة عفاف ووجدت عندها ترحابا شديدا فأم عفاف رحمها الله ـ كمـا قلت لك ـ كانت من أحب سيدات العائلة اليها ان لم تكن أحبهن وعرضت الأمر على أبى فرحب هو أيضا ٠ وهكذا خطب أبى عفاف من عمى عزيز وقال عمى عزيز :

ـ هل اجـــد لها احسن من ثروت ٠

فقـــال أبى :

ـ أنا طبعا اعرف حبك لثروت ولكنى اريد ان اعرف رأيها هى ٠

ولعلك تعجب أن عفاف قالت لأبيها أخاف أن يكون فارق العمر بيننا قريبـا ٠ وفعلا الفارق بينى وبينها سـنتان وبضعة شهور ٠ ربما كان ما قالته هذا خجلا من أبيها أو ما لا أدرى من مشاعر المرأة التى أعترف حتى اليوم أننى لست خبيرا بدخائلها ٠ بل وأحسب أنه ليس هناك من هو خبير بشأنها ٠

وتمت الخطبة وسط أفراح واضحة من خاصة زوجتى ومن خاصتى

على السواء • وتم الاتفاق طبعا ألا يكون الزواج الا بعد أن أحصل على الليسانس •

نجحت من السنة الثالثة الى الرابعة • ولا شك أن الخطبة الهتنى عن المذاكرة التى تكفل لى النجاح فى الليسانس • وتزوجت فى ١١ يونيه عام ١٩٥٠ ولم تكن النتيجة قد ظهرت بعد • وفوجئت بأننى لم أنجح وانه لابد لى أن أؤدى ملحقا فى المرافعات والتجارى • وهكذا بدأت حياتى مع زوجتى وأنا بعد طالب فى كلية الحقوق • ورحت أذاكر فى منزل الزوجية وأنا أشعر بحرج شديد ألا أنجح فتكون فضيحة لى كزوج وهو تلميذ وشاء الله أن يكتب لى النجاح وربما من الذكريات التى تستحق أن تقال أننى عرفت نتيجة الليسانس وأنا أتكلم من تليفون فى مطبخ مطعم الكورسال الذى كان مواجها لسينما ديانا فى ذلك الحين • فقد كان يحلو لى أنا وزوجتى أن نتناول غداءنا خارج البيت ونذهب الى السينما فى حفلة ٣ • وخطر لى ونحن ننتظر الغداء أن أسأل نسيبنا الدكتور العظيم عثمان خليل عثمان أستاذ القانون الدولى ان كان عرف شيئا عن نتيجتى ولم أتوان وقمت أبحث عن التليفون فى المطعم فاذا هو داخل المطبخ فلم أجد بدا من أن أقتحم المطبخ وبين لغط الطهاة أجابنى الدكتور عثمان خليل وبشرنى أننى أصبحت محاميا • وبشرت زوجتى • وما دمت ذكرت الدكتور عثمان فلابد أن أذكر فضله على وموقفه الذى يدل على منتهى الأمانة مع النفس ومع شرف المهنة •

الدكتور عثمان متزوج من السيدة هدى هانم أباظة ابنة عمى عبد العظيم بك أباظة الذى كان مديرا لحسابات السكة الحديد وهو ابن عمة والدى ، فحين دخلت كلية الحقوق رجوت د• عثمان أن أزوره ليشرف على مذاكرتى فرحب بذلك • فكنت أقصد اليه وأنا فى السنة الأولى من كلية الحقوق ويسترجع معى المواد جميعا فهو لم يكن يدرس للسنة الأولى، وفى السنة الثانية كان أستاذنا فى المدرج للقانون الادارى • ولم أتوقف عن الذهاب اليه وكنت دائما أتناول عشائى عنده كلما زرته • وفى مرة تمنعت عن العشاء خجلا مدعيا اننى تعشيت فالح على قائلا :

— نقنسق •

أى كل شيئا بسيطا •

وأثناء العشاء نسيت نفسى وأكلت فاذا هو يبتسم ويقول لى :

— فى المرات القادمة نقنسق فى بيتكم وتعشى عندنا •

وضحكنا ·· ومما أذكر من أفضاله أنني ذهبت بعد ذلك بسنوات الى الكويت فاستضافني في بيته وأكرمني هو وزوجته كل الاكرام · وقد كان يعمل في الكويت مستشارا دستوريا للمجلس التشريعي بها ·

وقبل أن أروى موقفه الشريف منى يحلو لى أن أروى الموقف الذى ترك من أجله العمل فى الجامعات المصرية · فقد نشأ خلاف بينه وكان عميدا في ذلك الحين وبين الوزير العسكرى الذى كان وزيرا للمعارف فقدم د· عثمان استقالته ففرحت زوجته بهذا فرحا عظيما لانها كانت ترجوه أن يترك الجامعة ويفتح مكتب محاماة حتى يستطيع أن يواجه المصاريف المتزايدة التى يضطران لها لكثرة ما أنجبا من بنين وبنات ، ولكن الفرحة لم تتم ، ففى ذلك اليوم الذى قدم فيه استقالته طلبه مكتب الوزير فى التليفون وأبلغه أن الوزير يريد أن يراه مساء هذا اليوم ، ولم يستطع طبعا أن يعتذر وتوجست زوجته شرا أن يلح عليه الوزير ليسحب استقالته · فطلبت الى زوجها أن تذهب معه وتنظر فى السيارة حتى ينتهى من مقابلة الوزير ·· وفعلت · وصعد الى مكتب الوزير ومكث قرابة ساعتين ونزل وقد بدا على وجهه الضيق والألم وقالت له زوجته :

ـ سحبت الاستقالة ·

ـ كان الالحاح أكبر من قدرتى ·

فبكت زوجتـــه ··

وظهرت الصحف فى الصباح أن الدكتور عثمان خليل عثمان سحب الاستقالة التى كان قدمها ·

وفى اليوم التالى ظهرت الصحف أن وزير المعارف أو التربية والتعليم لا أذكر ماذا كان اسمها فى ذلك الحين أصدر قرارا باحالة الدكتور عثمان خليل عثمان الى المعاش ·

وهكذا كان عهد الطغاة يأبى للانسان أن يحتفظ بكرامته وان كان لابد أن يترك عمله فانه حتم عليه أن يتركه مفصولا لا مستقيلا ·

وعرضت الكويت على د· عثمان العمل بها فقبل ·

أما موقفه معى وهو يدرس لى الادارى فى السنة الثانية فقد كان عظيما وان كنت أنا الغارم فيه · كنت عنده فى البيت كعادتى وكان بيننا وبين الامتحان ثلاثة أشهر فاذا هو يقول لى :

ـ حضرتك لا تاتى الى بعد اليوم ·

ودهشت ..

ـ لمـــاذا .

ـ سابقا في وضع الامتحان ، فاذا بعدت بك عن موضوعات الامتحان ظلمتك وان أشرت اليك الى اهمية مواضيع الامتحان خنت الأمانة وظلمت نفسي .

هكذا كان الأسـتاذ العظيم د. عثمان خليل عثمان . وهكذا كان أساتذة هذا الزمان . أتناول عنده الطعام . ويأبى ضميره أن يكون على صلة بتلميذه وقريبه فى الفترة التى يضع فيها الامتحان وربما حتم على أن أقول أن الصلة بينى وبين الدكتـور لم تقف عند مكان التلميذ من أستاذه بل اتخذ منى أخا أصغر يفضى اليه بدخيلة نفسه ويستأمنى على خاصـة أسراره التى لا يستأمن عليها أحدا من خاصـته . ولكن الصلة الشخصية أمر يختلف كل الاختلاف عن نقاء الضمير وشرف النفس .

حين تخرجت فى الكلية كان همى أن أبحث عن وظيفة وكان أبى قد ترك الوزارة ولو كان باقيا بها ما فكر أن يعيننى فيها على الاطلاق وهل أدل على ذلك مما حدث لى مع أبى .. اليــك :

كان حافظ عفيفى باشا رئيس مجلس ادارة بنك مصر حين تخرجت وحافظ عفيفى باشا صديق لأبى منذ ما قبل ثورة ١٩ . وهو كما لا يعرف الكثيرون طبيب متخصص فى الأطفال . وكنت قد مرضت بعد شهور من ولادتى مرضا كاد يودى بحياتى ، فقد أصبت بالدوسنتاريا الحادة وكان يعالجنى طبيب أجنبى ومعه الدكتور ابراهيم شوقى باشا والدكتور حافظ عفيفى باشا . وربما تدرك خطورة المرض مما قال الطبيب الأجنبى لوالدتى أننى كفوطة على مشجب ، الله وحده يعلم كانت تبقى أم تسقط . وتولت عمتى تمريضى فى اصرار حتى كانت لا تنـــام فى الليـــل أو النهار . وما أظننى بحاجة أن أقول أننى نجوت من الموت والا فما كنت التقيت بك وكتبت لك هذا الحديث الذى أكتب .

أظنك تبينت مدى العــــلاقة التى تصل بين أبى وبين د. حافظ عفيفى باشا .

كنت مع أبى فى حجرة نومه وكان يحلق ذقنه كعادته وأحضرت له التليفون وقلت له :

ـ ألا تكلم لى د. حافظ باشا ليعيننى فى القسم القانونى ببنك مصـــر .

وترك الحلاقة ونظر الى فى دهشة :

ـ أتنتظر منى أن أرفع سماعة التليفون وأطلب من أحد مهما يكن أمره أن يعين ابنى • هل تتصور هذا •

وسكت طبعا وعجبت فاننى لم أكن أتصور غير هذا •

كان ثمن هـذه الكلمة أربعـة وعشرين عاما من عمـرى قضـيتها بلا وظيفة واضطررت فى أثنائها الى بيع معظم ما تركه أبى لى من أرض حتى أواجـه حاجات الحيـاة الضرورية • فأنا لم أكن يوما لاعب قمار ولا شارب خمر والحمد لله ومع ذلك لم يبق لى من أرضى التى ورثتها الا قدر أخجل أن أذكره والحمد لله على ما وهب والحمد لله على ما منع •

كان عزيز باشا قد وعدنى أن يهيىء لى وظيفة فى احدى شركات البترول • وانتظرت الوظيفة دون جدوى ولولا شغفى بالقراءة وكتابة بعض التمثيليات الاذاعية فقد كنت قد بدأت أكتب تمثيليات للاذاعة منذ عام ٤٩ لأملأ الفراغ الذى أصاب حياتى كلها • ولعل بقائى هذا فى البيت كان السبب المباشر لكثرة الشجار بينى وبين زوجتى ولعل هناك سببا آخر أهم من ذلك • فقد تزوجنا على حب جارف فكان كل منا ينتظر من الآخر ما لا يطيق الآخر أن يقدمه • وربما كانت سننا الباكرة سببا أيضا فى التمسك بتوافه الأمور وصغيرها وتضخيم الأخطاء والمبالغة فى تقويمها • ولا شك أن قلة المال فى يدنا كانت سببا جوهريا آخر على الرغم من أننا لم نكن قد رزقنا بابنتنا وابننا بعد • وقد استمرت هذه الحالة من الشجار حتى علا بنا السن وبلغنا الأربعين تقريبا فاستقر ما كان مضطربا وهدأ ما كان عاصفا •



- ٨ -

ظللنا ثلاث سنوات لا ننجب حتى اذا كانت السنة الثالثة ظهرت بوادر الحمل ورحنا ننتظر مولودنا بفرح وشغف شاركنا فيهما جميع أهلنـــا •

وحدث لسوء الحظ أن توفى فى فترة الحمل هذه عم زوجتى المرحوم عثمان بك أباظة الذى كان عضوا بمجلس النواب لفترة طويلة وحزنت زوجتى لوفاته حزنا شديدا وأغلب الأمر أنها أجهدت نفسها فى المأتم أكثر

مما ينبغى لحامل أن تفعل وكانت النتيجة القاسية المرة أن مات الجنين قبل أن يولد وكان باقيا على ولادته فترة قليلة ٠

وأحسبنى فى غنى أن أذكر حزننا لهذا الحادث وخاصة انه جاء بعد وفاة والدى بفترة قليلة ٠

وفـــاة أبى

فى ٣١ ديسمبر عـام ١٩٥٢ شعر أبى ببوادر مرض عرفنا جميعا أنه ليس مرضا هينا ٠ وكانت أمينة هانم صدقى حرم عمى عزيز باشا تحب أن تحتفل برأس السنة فى الربعماية بلدة عزيز باشا وأصرت أن أحضر مع زوجتى هذا الاحتفال ٠ وذهبنا فقد كنت أحب أمينة هانم كل الحب وأقدرها أنا وزوجتى التى تولت شأنها منذ كانت فى السادسة عشرة من عمرها ، فكانت لها أكثر حنوا من الأم ولهذا أسمينا ابنتنا أمينة على اسمها ٠ ذهبت الى الربعماية، ولكننى وجدت نفسى لا يقر لى قرار خوفا على أبى فاننى لا اعرف احدا أحب أباه كما أحببت أنا أبى ولعلك فى غير حاجة الى التعرف على هذا الحب الذى يزيده عمقا الاجـلال والتقدير والاعجـاب بل والابهـار ، فان ما قـرأته فى الصفحات السابقة نبض بكل هـذه المعـــانى ٠

لم أستطع البقاء فى الربعماية وهمست لزوجتى اننى عائد الى أبى فى القاهرة وأدركت ما يدور بنفسى ولم تعترض وفى الليل البهيم قدت سيارتى الى بيتنا فى العباسية وحرصت أن أتسلل الى الحجرة التى كنت أنام فيها قبل زواجى حتى لا أشعر أمى أو أبى بالرعب الذى تولانى خوفا على أبى ولكننى لم أستطع فى تسللى أن أتخفى عن الخدم الذين أنبأوا أمى وأبى بعودتى فاضطررت أن أدخل الى أبى فى حجرته ولا شك أن مظاهر الانزعاج كانت بادية على ، ولكننى اختلقت أعذارا واهية لعودتى أحسب أنها لم تجز على السياسى المحنك ولكنه تظاهر بتصديقها ٠ وتركت بيتى ولحقت بى زوجتى فى اليوم التالى ، وأقمنا ببيت أبى طوال أيام مرضه ٠

تدهورت حالة أبى الصحية فى سرعة عجيبة فلم يستمر مرضه أكثر من اثنين وعشرين يوما وفجعت بموته فجيعة لم أعرف مثيلا لها فى حياتى حتى حين توفيت والدتى ، فقد عانت قبل الوفاة المرض سنوات طوالا ولم يخفف موتها حزنى عليها ، فقد ظلت الى آخر لحظة من حياتها متنبهة تشاركنا الحديث بذكائها الحاد ٠ وقد توفيت والدتى فى السبعين من

عمرها ، أما أبى فقد توفى وهو فى الرابعة والستين من عمره ٠ وكنت فى يوم الوفاة مضطرا أن أذهب الى المحكمة لأحضر فى قضية غير ذات قيمة ولكن شعورى بالمسئولية حتم على أن أرسل القضية الى الأستاذ ابراهيم أباظة قريبى الذى كنت أتمرن فى مكتبه ليتصرف فيها وارتاح ضميرى الى ما فعلت ، وتفرغت بعد ذلك الى الكارثة التى حاقت بنا ٠ وراح بيت من الشعر يلح على دون أن أستدعيه :

من شــاء بعـدك فليمت فعليك كنـت أحـاذر

وكانت جنازة أبى بالقاهرة من الجنازات الكبرى ولم تتخلف جريدة ولا تخلف كاتب عن رثائه ٠ وكان طبيعيا أن يكون مثواه الأخير غزالة ٠ وقد أبى أهل غزالة أن يدفن دون جنازة أخرى وما أحسب أحدا تخلف عن هذه الجنازة ٠

وقد أقمنا المأتم لمدة ثلاثة أيام بغزالة ومما لا أنساه أن مدنى بك حزين أقام مأتما لأبى ببلدته اسنا وأرسل لى برقية يعتذر فيها عن عدم الحضور الى غزالة لانه يتلقى العزاء بالسرادق الذى أقامه فى اسنا ٠ وبعد ذلك أقيمت حفلات التأبين لأبى فى جميع بلاد القطر من أسوان الى الاسكندرية حتى انى لم أستطع أن أذهب اليها جميعا ومما لا أنساه موقف الشيخ شعيشع الذى كان أحد القراء الذين رتلوا القرآن فى المأتم وحين حاولت أن أقدم اليه مكافأته عن جهده قال :

ـ اذا كنت تريدنى أن أقبـل هـذه المكافأة فهـات لى يد الباشـا لتقدمها إلى ٠٠

ورفض فى حسم أن ينال مكافأته ٠

وجاءتنى برقية من الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات بك لا أنساها قال فيها :

« جل خطب عن عزاء ٠٠ فلا أقول عزاء ولا أقول صبرا » ٠

ثم أقام له بعد ذلك رجال حزب الأحرار الدستوريين حفل تأبين مع أن الحزب كانت الثورة قد حلته عندما حلت الأحزاب جميعا ولا أنسى واقعة من عميد الأدب العربى د٠ طه حسين فى هذه المناسبة ، فقد كنا فى بيت هيكل باشا وهو يعد الاجراءات لحفلة التأبين ، وقال هيكل باشا اطلبوا لى طه حسين على التليفون ٠ وكنت بجوار هيكل باشا وهو يكلم طه باشا وقال هيكل باشا :

ـ يا طه نحن نقيم حفل تأبين للدسوقى فى يوم كذا ٠

فقال الرجل العظيم وأنا أسمع ما يقول :

ـ في هذا اليـوم أنا مرتبط بمحاضرة ألقيهـا · سألغيها وأحضر التأبين وأتكلم ·

وقد فعل · وكان المتكلمون جميعا من أعظم رجال مصر ، وألقى العقاد قصيدة رائعة نشرتها في كتابي « ذكريات لا مذكرات » ·

لا أريد أن أطيل في هذا الشأن فانه يعيدني الى حالة من الحزن والألم والأسى لم تعد سني تحتملها · ولكن لا أستطيع أن أترك هذا الأمر دون أن أذكر أن هذا الحدث كان في ٢٢ يناير عام ٥٣ أي بعـد الثورة ببضعة شـهور ، كان لا عمل للاعـلام في أثنائها الا الهجوم على رجال السياسة وزعماء مصر جميعا بعنف لم تشهد له مصر مثيلا · ولكن الحب الذي كان يربط هذه الجموع بأبي رحمه الله كان أقوى من كل هذا الهجوم الضاري الشرس الظالم · فانه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا ··

* * *

عدت الى الفراغ الذي كنت أعانيه من عملي بالمحاماة فقد كان المكتب الذي أعمل به مع المرحوم الأستاذ ابراهيم أباظة قليل القضايا ومن شأن المحاماة أن تنكمش في أيام الحكم الشمولي فكنت أذهب الى المحكمة مرة كل أسبوع أو مرتين على الأكثر ويحيط بي الفراغ من كل جانب ·

ورحت أبحث عن وظيفة عبثا فالوظيفة التي وعدني بها عمي عزيز تابت على ولم تظهر لها أي بوادر ·

وكان خالي مدحت أباظة يعمل باحدى شركات النقل فعرض على أن أعمل بها وسارعت بالقبول وذهبت الى الشركة وكان قد تحدد لي مرتب ثلاثين جنيها وقد كان مرتبا عظيما في تلك الأيام ومرت الأيام بي في الوظيفة دون أن أعمل شيئا فقد كان المفروض أن أكون محاميا للشركة مع المحامي الرئيسي لها · وأشهد انه كان من أسفل الناس خلقا ورفض أن يكلفني بأي عمل خشية منه أن يستغنوا بي عنه ، وكم كان تافها في التفكير ، فأين محام في أول حياته مثلي من محام مثله ذي خبرة ودربة ومران · والغريب أنه عين محامية أخرى كلفها بالحضور في القضايا ولم يكلفني بقضية واحدة ·

ظللت بضعة شهور أتقاضى مرتبي وأنا كاره له غاية الكراهية فلم أجد نفسي تقبل مالا بلا عمل واستقلت وعدت الى الفراغ لا يحميني منه

الا القراءة الجامحة تصاحبها سعادة غامرة وكتابات للاذاعة أو الصحف والمجلات من الخارج • ووضح وضوحا تاما أن هناك أمرا ألا أنتظم فى العمل بأى جريدة • وكان الصديق الأخ اسماعيل الحبروك أكثر الناس اهتماما بايجاد عمل لى ولكنه كان يجد دائما حائطا خفيا قاسيا يحول بينى وبين التعيين •

فى هذه الفترة تعرفت بالأستاذ فتوح نشاطى لانى كنت أجلس معه لمدارسة مسرحية الناصر التى كان سيقوم باخراجها وكان عزيز باشا قد سافر الى أوروبا وكلفنى أن أدارس الرواية مع الأستاذ فتوح وأكون حلقة صلة بين المؤلف وبين المخرج • وقال لى فتوح أنه معجب بالحوار الذى أكتبه فى تمثيلياتى الاذاعية بل والحوار الذى أكتبه فى مقالاتى بالرسالة والثقافة والمصرى وفكر أن نؤلف مسرحية معا واختار موضوع المعتمد بن عباد الأندلسى ، وتمهيدا لكتابة هذه المسرحية طلب الى الأستاذ فتوح أن أقرأ كتاب دورى عن تاريخ الأندلس ترجمة الأستاذ كامل الكيلانى ، وقرأت الكتاب بمتعة عظيمة • وكتبت المسرحية مع الأستاذ فتوح وطبعا توليت أنا الحوار فيها كلها وكان باللغة العربية المبسطة •

وقدم الأستاذ فتوح المسرحية الى الأستاذ يوسف وهبى الذى كان مديرا للفرقة القومية فى ذلك الحين ورفض الأستاذ يوسف المسرحية ولست أدرى حتى اليوم لماذا رفضها أكان ذلك لانها تستحق الرفض ام كان للخلاف الذى كان بين يوسف وهبى وفتوح نشاطى •

كل هذا كان فى حياة أبى • فحين اختاره الله الى جواره تذكرت كتاب دورى واخترت شخصية بهرتنى سيرتها وفكرت أن أتغلب على أحزانى بكتابة رواية عن هذه الشخصية يكون التاريخ فيها أساسا ، ولكن لا يكون فى نفس الوقت قيدا على •• وهكذا بدأت أكتب رواية ابن عمار • أنسى به ما واجهته من موت أبى أحب انسان الى وأعظم مثل أعلى عرفته من الأحياء وموت ابنى قبل أن يولد •

أتممت ابن عمار ولم أجد لروايتى ناشرا خيرا من دار المعارف خاصة أن الرواية صغيرة مما يجعلها مناسبة لعدد من سلسلة اقرأ • وذهبت بكتابى الى الأستاذ عادل الغضبان مستشار النشر بدار المعارف حينذاك والشاعر الرقيق وكان يعرف اسمى مما يقرأه لى فى الرسالة والثقافة والمصرى وما يسمعه لى من تمثيليات فى الاذاعة وقال لى كلمة لم أكن أعرفها ، وكنت قد كتبتها فى سياق الرواية فقد استعملت كلمة شراك بمعنى شرك فقال لى ان الشراك رباط الحذاء وليس بالمعنى الذى تقصده من السياق • وحمدت الله أن عادل الغضبان لم يجد فى كل الرواية

الا كلمة واحدة فى غير مجالها • وقد كان عادل الغضبان من المهتمين كل الاهتمام باللغة العربية وأسرارها •

ونشرت ابن عمار فى عام ٥٤ بعد أن تعاقدت عليها مع دار المعارف وكان العقد يقضى أن أتقاضى خمسين جنيها عن كل طبعات الكتاب وقد أصبح هذا النوع من العقود باطلا الآن • ولكننى أنا كنت مستعدا للتوقيع حتى ولو لم أنل مليمـا واحـدا عن الكتاب فقد كان أول كتاب لى وهذا الذى خالجنى بشأنه أمر طبيعى أن يخالج كل من يحاول المحاولة الأولى •

أرسلت كتابى الى كل الصحف والى كل النقاد سواء من عرفتهم أو لم أعرفهم فلم تظهر عنه كلمة واحدة تشعرنى أنى كتبت شيئا حتى كان يوم ذهبت فيه كعادتى الى توفيق بك الحكيم فى بترو بالاسكندرية وقصة تعرف توفيق بك على نشرتها فى كتابى (ذكريات لا مذكرات) ولا أرى داعيا لاعادة نشرها •

وجدته يجلس وحده فى بترو ، فقد كان الوقت مبكرا ولم يكن رفاق الندوة قد تقاطروا عليه بعد • فما أن جلست حتى بادرنى توفيق بك :

ــ مبروك يا سـيدى •

ــ عـلام •

ــ قرروا كتابك ابن عمار على السنة الاعدادية •

فرحة غامرة انسكبت فى نفسى دفعة واحدة وصحت :

ــ صحيح ؟

قال وهو يعطينى جريدة الأخبار :

ــ خـذ اقـرأ •

وقرأت الخبر وصمت توفيق بك قائلا ثم قال بعد أن مصمص شفتيه :

ــ شوف ولاد ••• ياخذون كتابك ويتركون كتابى •

وتلقيت الكلمة بدهشة كبيرة وأين أنا من توفيق الحكيم حتى يقارن نفسه بى •

هذه الفرحة الغامرة نادرا ما شعرت بمثلها فى حياتى كلها فانا فى سنى التى أنا عليها الآن أصبحت أكاد أفقد الشعور بالفرح وان شعرت به يتمشى فى أوصالى فمشية واهنة الخطو هينة الشأن •

وحين عدت الى القاهرة من المصيف وجدت فى انتظارى خطابا من دار المعارف ومعه شيك قيمته خمسون جنيها والخطاب يخبرنى ان هذا المبلغ هدية لى من الدار لتقرير كتابى على الاعدادية وليس حقا لى ٠

وكان تقرير الكتاب اشارة لى أننى أسير على الطريق وأننى أستطيع أن أكتب الروايه ٠ وكانت فكرة روايتى (هارب من الأيام) قد بدأت تراودنى فبدأت أكتبها على وجل وبعد تقرير ابن عمار على الاعدادية لم يكن من العسير أن أجـــد ناشرا فقد طمع الناشرون أن يقرر كتابى على المدارس فيربحوا هم الربح الوفير ٠

وجدت ناشرا لروايتى وظهرت (هارب من الأيام) فى عام ٥٧ على ما أذكر ٠ وكانت جائزة الدولة التشجيعية قد أنشئت فى هـذا العـام فعزمت ان أتقدم بروايتى لهذه الجائزة ولكنى كنت حـذر غاية الحذر فرأيت أن أنتظر الى اللحظة الأخيرة من التقديم لأعرف جميع المتقدمين معى. ووجدت بينهم أسماء على قدر من الشهرة ووجدت بينهم من يكبرنى فى السن بمدى طويل ولكننى تجرأت وقدمت روايتى ٠ وفوجئت فى يوم بالتليفون يرن فى بيتى وأحد أعضاء اللجنة التى تنظر فى الأعمال يهنئنى بفوزى بالجائزة ٠ وكانت فرحة غامرة لا شك ٠ وعرفت بعد ذلك أن الذى هنأنى بنيل الجائزة هو الوحيد الذى كان يعارض منحها لى فى اللجنة وحين سئل عن سبب رفضه قال فى بساطة ان الرواية لم تعجبه ولكن اللجنة أصرت أن يبدى سببا معقولا لهذا الرفض فلم يجد العضو بدا من الموافقة على منحى الجائزة وهكذا نلتها بالاجماع ٠

وقبل ظهور نتيجـة الجائزة بفترة لا أذكرها زارنى أخى الحبيب أمين يوسف غراب فى البيت وأخبرنى أن الدكتور طه يريد أن يرانى وأخبرنى أمين أن الدكتور قرأ روايتى وأنه معجب بها فكدت أطير من الفرح وصحت بأمين وماذا ننتظر هلم بنا وحين دخلت حجرة د٠ طه وجدت معه الأستاذ عباس خضر رحمه الله وكنت أعرفه معرفة وثيقة ٠ وما هى الا دقائق حتى قال الدكتور :

ـ لقد قرأت روايتك يا ثروت واعجبت بها كل الاعجاب ٠

ـ هذا شرف لم اتصور اننى ساناله يا معالى الباشا ٠

ـ انت اديب قلت ما يريد ان يقوله عن طريق الرواية ٠

ـ الحمـــد لله ٠

وصمت قليلا ثم قال :

ـ الحق أنه لم يكتب في تاريخ الأدب العربي عن الريف المصرى مثلما كتبت أنت في روايتك هارب من الأيام •

أصبحت الدنيا في ناظرى زغاريد وموسيقى وبهجة لم أشعر بها حتى وأنا أتلقى خبر نيلى الجائزة •

وبعد أن جلسنا بعض الوقت استأذنت أنا وأمين فاذا الدكتور طه يقول وهو يودعنى :

ـ لا تحسب أننى سأمدحك حين أكتب عنك ولكنى ساشد أذنك •

فقلت والفرحة تزيد قلبى خفقا :

ـ مرحبا بكل ما يأتى منك يا معالى الباشا •

وما هى الا أيام حتى طلبنى محرر من جريدة الجمهورية يريد منى صورة ليضعها فى المقال الذى كتبه عن روايتى د• طه حسين وسارعت بالصورة الى الجريدة •

ولم أنم فى هذه الليلة حتى الصباح وبكرت الى الجمهورية وقرأت المقال فوجدت المقالة الكبيرة التى كتبها د• طه ووجدته يأخذ على أن جعلت فئة تتظاهر بأنها تأخذ من الأغنياء لتعطى الفقراء بينما تستولى هى على الجانب الأكبر مما تستلبه • قال د• طه أن هذا ليس فى حياتنا وانما كان أيام صعاليك العرب • أما باقى المقال فكان مديحا لى ما زلت أشعر بالزهو اننى نلته من الأستاذ الذى أعتقد أن الأدب العربى الحديث قد تخرج على يديه •

انتظرت حتى أصبح الوقت مناسبا وفى الساعة العاشرة كنت أقف على باب رامتان وهو اسم الفيلا التى يقطنها الدكتور العميد ، وكان جالسا فى مكتبه • واستقبلنى وهو يقول :

ـ اذن أنت لم تزعل منى •

ـ أزعل •• بل أنا اسبح فى بحور من السعادة •

وصمت قليلا وقال :

ـ ثروت •• ماذا تقصد بروايتك •

ـ لقد قلت لى معاليك اننى قلت ما أريد عن طريق الرواية •

ـ لا شأن لك بما قلت •• أخبرنى أنت ماذا تقصد •

ـ أرسم عهد الطغيان الذى نعيش فيه •

ـ نعم •• هذا ما فهمته •

ـ اذا لم تفهمه أنت فكأننى ما كتبت شيئا على الاطلاق •

ـ ثروت اسمع استحلفك برحمة والدك وانى اعرف مدى حبك واكبارك له وبحياتى ، وانا اعرف مكانتى عندك ، ألا تخبر احدا بهذا الذى تقول ولقد قصدت أن أموه فى مقالتى ذاكرا صعاليك العرب وما الى ذلك حتى تقول اذا ما سئلت بصفة رسمية اذا كان طه حسين لم يفهم اننى اهاجم العهد فكيف تفهمون انتم هذا المعنى ولهذا كتبت ما كتبت من نقد لك لأتظاهر باننى لم افهم المعنى الذى قصدت اليه فى روايتك يا ثروت نحن نحكم بجماعة ليس لها حدود فى الظلم والطغيان والله وحده يعلم ماذا هم صانعون بك ان تبادر الى ذهن احدهم المعنى الذى تدور حوله روايتك •

وتأثرت بحديث الدكتور طه كل التـأثر • وكنت فى ذلك اليوم مسافرا الى غزالة لبعض شأنى فما أن وصلت الى البيت فى البلدة حتى بادرت بكتابة خطاب للدكتور طه أقول فيه ما معناه انك بما كتبت عنى أثبت اسمى فى سجل الكتاب وهذا أمر ربما كانت الأيام تستطيع أن تصل بى اليه فى قابلها مهما يكن هذا التقابل بعيدا أما الحديث الذى دار بينى وبين معاليكم اليوم فقد وهب لى أبا بعد أن فقدت أبى • وهذا ما أثق أن الأيام تعجز أن تقدمه الى •

ذهبت الى الدكتور بعد نيلى الجائزة فاذا هو يبادرنى قائلا :

ـ ضحكت على الدولة يا اسـتاذ •

ـ مقالة معاليك اهم عندى من الجائزة •

كان مقدار الجائزة خمسمائة جنيه • ونلت معها أيضا وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى •

★★★

نلت الجائزة ولكنني ما أزال بلا عمل وخطر لى أن أذهب الى عبد الملك بك حمزة فقد كان صديقا لأبى بل ان أبى تمرن فى مكتبه حين تخرج فى كاية الحقوق عام ١٩١٢ . وكان عبد الملك بك رئيسا لمجلس ادارة شركة الملح والصودا . وأحسن عبد الملك بك استقبالى ووعدنى أن يجد لى عملا وطلب الى أن أعود اليه بعد أسبوع وفعلت ثم أجل موعدى أسبوعا آخر . كان كتاب ابن عمار قد ظهر فى ذلك الحين فأخذت معى نسخة له وأهديتها اليه فتقبلها وطلب أن أعود بعد أسبوع آخر . وذهبت فكان العجب

ما أن جلست حتى بادرنى عبد الملك بك قائلا :

ـ انا لن اعينك .

وطبعا سكت والدهشة لا شك قد طفرت الى عينى .

ـ انت عبقرى وانا أرفض أن ادفن عبقريتك فى الوظيفة .

لست ادرى لماذا يظن الناس حتى الكبار منهم وأصحاب التجارب والثقافة أنهم أذكى من كل الناس . وأن الناس كلهم أغبياء الا هم . لقد واجهت هذه الظاهرة من علماء ومن رجال سياسة ومن فطاحل فى علومهم ومكانتهم الاجتماعية لا يقدرون ذكاء الآخرين ويحسبون أنهم يستطيعون أن يستغفلوا جميع الناس والحقيقة أنهم لا يستغفلون الا أنفسهم .

وبصورة أكثر احتراما واجهت هذا المصير من عبد الخالق حسونة باشا حين كان أمينا للجامعة العربية . فقد توسط لى عنده عمى عزيز باشا لأعين بجامعة الدول العربية . وبين عبد الخالق باشا وأبى قصة طريفة سأذكرها لطرافتها .

كان أبى وزيرا للشئون الاجتماعية وكان عبد الخالق باشا وكيلا للوزارة وكان فى الوزارة موظف حصل على اثنتى عشرة دكتوراه فى القانون ومع ذلك كانت حركة الترقيات تتخطاه دائما ، ولشدة شعوره بالظلم كان يضع على باب الحجرة التى يجلس بها ورقة تحمل اسمه وعناوين الدكتوراهات (ان صح الجمع) التى يحملها .

وشعر أبى بالظلم الفادح الذى يلاقيه فطلب اعداد مذكرة بترقيته الى الدرجة الخامسة وأعدت المذكرة وسارت فى طريقها المرسوم حتى وصلت الى وكيل الوزارة تمهيدا لعرضها على الوزير . فاذا بعبد الخالق باشا يكتب على المذكرة لا يرقى ، وجاءت المذكرة الى مكتب أبى فاذا به يكتب همزة واحدة فوق لا بسخرية من وكيل الوزارة وليوضح له ان الأمر أولا وأخيرا للوزير وليس للوكيل ، وضع أبى همزة على لا وفصلة

بعدها فأصبح القرار لا ، يرقى • ورقى الدكتور بقرار وزارى دون حاجه للرجوع الى الوكيل أو غيره واستشاط عبد الخالق حسونة باشـا لهذه التأشيرة وقدم استقالته وكان وكيل الوزارة اذا استقال تعرض استقالته على مجلس الوزراء • ولم يشأ مجلس الوزراء قبول الاستقالة لموضوع ليس من العسير معالجته • وتصدى عبد المجيد ابراهيم باشا الذى كان وزيرا حينـذاك للموضـوع وطلب الى مجلس الوزراء ارجـاء النظر فى الاستقالة حتى يبذل مساعيه بين أبى وبين عبد الخالق باشا • وفعلا دعا أبى والوكيل الى الغداء فى بيته • وبدأ عبد الخالق باشا العتاب وكان رجلا فى غاية الأدب والكياسة وحسن التأتى وكان دائمـا يقول كلمة مونشير لمحدثه وهى كلمة فرنسية تعنى يا عزيزى • قال لأبى :

ـ يا مونشير تكتب على تاشيرتى لا يرقى •

فقال أبى :

ـ وانت تتمنع عن ترقية موظف تعلم اننى أمرت بترقيته •

ـ يا مونشير انه لا يفهم شيئا •

ـ يا عبد الخالق بك أنت وكيل وزارة وأنا وزير وكل منا لا يحمل الا ليسانس الحقوق ، أكثير أن أرقى موظفا يحمل ١٢ دكتوراه الى الدرجة الخامسة •

ـ انه ليس كفئا •

ـ وهل رقيته الى مدير عام ، انها مجرد الدرجة الخامسة •

ـ بردون يا مونشير •

وانتهى الآمر وأصبح أبى من أحب الناس الى عبد الخالق حسونة باشا ، كما أصبح عبد الخالق باشا من أحب الناس الى أبى • وسحب الاستقالة وظل هو وأبى صديقين حميمين طوال الفترة التى قضاها أبى فى وزارة الشئون وامتدت الصداقة بينهما بعد ذلك لم تنقطع •

وعودا الى بدء حين ذهب عزيز باشا الى حسونة باشا يرجوه أن أعين بالجامعة وقال له :

ـ ان لم يكن من أجلى أنا فمن أجل والده الذى أعرف أنه كان صديقا أثيرا لك •

وكنت فى ذلك الحين قد أصبت نصيبا من الشهرة فقال حسونة باشا فى أدبه الجم :

ـ يا مونشير ثروت أباظة لا يحتاج أن يستند اليك ولا الى والده فهو نفسه مكسب للجامعة وجدير بكل احترام •

ومع ذلك لم يستطع حسونة باشا أن يجد لى مكانا فى الجامعة ، وعلمت بعد ذلك ممن لا أستطيع أن أذكر اسمه انجازا لوعد قطعته على نفسى أن الدولة منعت حسونة باشا أن يعيننى ، فعجز الرجل مع كل النيات الطيبة نحوى أن يعيننى بالجامعة •

وهكذا كنت أقبل أى عمل يعرض على حتى لا تتسع أمامى هوة الفراغ ، ومن بين الأعمال التى قبلتها على كره شديد وظيفة رئيس تحرير مجلة الاعلان • وقبل أن أمارس عملى حدث لى أمر جدير بالرواية كنت فى منزلى ونزلت الى سيارتى وجلست فى مقعد القيادة ، واذا برجل لا أعرفه يفتح الباب الخلفى فى سرعة ويدخل الى السيارة ويبدأ بحديث عجيب •• أنت فلان بن فلان وفى لحظات روى لى كل صغيرة وكبيرة فى حياتى ثم قال :

ـ شكرا •• أنا مكلف من المخابرات بعمل تحريات عنك لانك ستصبح رئيس تحرير مجلة الاعلان ، وأنا أعلم انه ليس فى تاريخك ما يستحق البحث وراءه ، فقلت أسالك بدلا من اللف والدوران ، ارجوك لا تخبر أحدا بهذا الذى صنعته معك والا اعتقلت وشردت وخرب بيتى •• سلام عليكم •

ونزل من السيارة •

وقد نلت جائزة الدولة التشجيعية وأنا رئيس لتحرير مجلة الاعلان (بالنون وليس بالميم) وصدر مرسوم وسام العلوم والفنون باسمى يحمل هذه الصفة فى صلبه دليلا على حقارة العهد الذى كنا نعيش فيه وطغيانه وتخبطه وصغاره •

بعد هذا طلب منى عمى فكرى باشا أن أعمل بدار الهلال وطلب الى أنقل اسمى من جدول نقابة المحامين وأقيد نفسى فى نقابة الصحفيين ووافقت فقد كنت ضقت ذرعا بالمحاماة ووضح لى تماما أننى لن أصلح مفاوضا مع الموكلين وان كنت أصيب كثيرا من التوفيق فى ساحة القضاء ، حتى كان بعض المستشارين اذا وقفت أمامهم فى مرافعة يتهامسون أنهم

سيسمعون كلاما رائعا وقد أتيح لى أن أسمع هذا الهمس لأن حاسة السمع عندى قوية الى حد بعيد وراثة عن أبى رحمه الله ولكن حدث لى مع الموكلين حادثتين جعلتانى أعزف عن المحاماة كل العزوف وأرحب بنقل اسمى الى جدول غير المشتغلين فى نقابة المحامين واثبات اسمى بجدول المشتغلين بنقابة الصحفيين وكان ذلك فى عام ٥٨ ٠

وأعتقد أن الحادثتين جديرتان بالقص فاحداهما أن قصد الى أحد الموكلين يطلب منى أن أتولى قضية له فى مصلحة الضرائب وكان مدير عام مصلحة الضرائب فى ذلك الحين ابن عمتى المرحوم محمد كامل أباظة الذى كنت أعتبره أخا أكبر لى ، فحين جاءنى هذا الموكل أدركت ما بعث به الى ٠٠ قلت له :

ـ لمـــاذا جئتنى ؟

ـ لأنك محام شهير وعظيم وأنا مستعد أن أدفع لك أربعمائة جنيه أتعابا فى هذه القضية ٠

ولعل أبناءنا من جيل هذه الأيام لا يدرك ضخامة هذا المبلغ وفخامته ولكن الذى لا شك فيه أن أبناء جيلى والذين يصغروننى ببضع سنوات يدركون معنى هذا الرقم وقوته ٠

قلت للموكل :

ـ لا ٠٠ انك جئتنى لان ابن عمتى مدير عام مصلحة الضرائب ـ فهذه قضية وساطة وليست قضية محكمة ، وسأتولاها ولكن لن أتقاضى منك مليما واحدا لانه سيكون رشوة ولن يكون أتعابا ٠

وسعيت فى القضية ووفقت فيها ولم أتقاض أية أتعاب ٠

أما الحادثة الأخرى فكانت حين جاءنى موكل أعرف أسرته لأترافع عن أخيه المتهم بالاشتراك فى قتل سيدة عجوز ابنها ضابط بالجيش ، وكان القتل بقصد السرقة ٠ وكانت أسرة المتهم على صلة ببيتنا فقد كنا نبرهم ٠ وكانت القضية شهيرة وقد كان كثير من المحامين على استعداد أن يدفعوا هم أموالا لأقارب المتهم ليترافعوا فى هذه القضية وكان المحامون عن المتهمين الآخرين أحمد بك رشدى واحد من أعظم المحامين فى عصره ٠ وعلى بك أيوب الوزير السابق والمحامى العملاق ٠ وكان مجرد وقوفى الى جانب هذين الاسمين الجليلين أمرا من شأنه أن يجلب لى شهرة واسعة فى دنيا المحاماة ٠

وعدت أن أطلع على الدوسيه • واطلعت وجاء أخو المتهم فقلت له :

ـ هل ارتكب أخوك الجريمة •

فاطرق وقال :

ـ نعـــم •

قلت :

ـ لقد قضى أخـوك بعض الوقت في مستشفى الأمراض العصبية وهذا يتيح لى أن اطلب التخفيف وليس البراءة فان قبلت أنا تحت أمرك والا فاذهب الى محام آخر فنحن اقسمنا الا نقول الا الحق ولا استطيع أن أحنث بقسمى •

وطبعا لم يعد • وقد تتبعت هذه القضية في الصحف وكانت قضية ذات شهرة أسمتها الصحف قضية أم الضابط • وقد تخلى عن القضية كل من أحمد رشدى وعلى أيوب وتولاها محام ذو شهرة واسعة حتى الآن واستطاع بفضل المميته أن يحصل للمتهمين الأربعة على الاعدام • ولعله من الطريف أن أذكر تعقيبا على هذه الواقعة حدث بينى وبين كبير المحامين في عصرنا مصطفى بك مرعى الوزير السابق فقد رويت له هذه الواقعة فذكر لى قاعدة لم أكن أعرفها ، قال لى :

ـ ان المحامى لا يسأل الموكل ان كان ارتكب الجرم أم لا ولا شأن له الا بالأوراق التى أمامه هى التى تكلمه وهكذا يتخلص كبار المحامين من تأنيب الضمير •

وهكذا وجدت نفسى لا أصلح محاميا على أية حال •

وذهبت الى عمى فكرى باشا وقابلت اميل زيدان وتم تعيينى فلم امكث محررا بالمصور الا نصف ساعة ولم تكن الصحف قد أممت بعـد طبعا • والذى حدث أننى أعطيت مقالة لرئيس القسم الذى سأعمل معه فوجـدته يبدى ملاحظـات تدل على أنه لا صلة له مطلقـا لا بالأدب ولا بالصحافة • وأدركت أننى كل يوم سأظل رائحا جائيا بين مكتبى ومكتب عمى فكرى باشا لأكلمه فى الخلافات التى ستقع بينى وبين رئيس القسم الذى أعمل معه • والتردد على رئيس التحرير اذا جاز لكل المحررين والكتاب فانه لا يجوز لشخص هو بمثابة ابن أخى رئيس التحرير •

فخرجت من دار الهلال الى لا عودة وان ظللت أمدها بقصصى القصيرة من الخارج •

وطبعا بعد أن أممت الصحافة أصبح تعييني أمرا مستحيلا ولكنني ظللت أكتب من الخارج وكان من أعظم من أتاح لى فرصة الكتابة أخى وصديقى فتحى غانم فقد أفسح لى صفحة أسبوعية فى الجمهورية كتبت فيها مقالا عن الشيوعيين بعنوان من خلال مجهز صدرت بعدها الآوامر الى فتحى غانم ألا أكتب عنده مطلقا وقد أبى الرجل العظيم أن ينفذ الأمر وطلب الى أن أكتب فى غير السياسة وكانت هذه منه جرأة فائقة تمثلت فى هذه الشخصية الفذة وتكرر منه هذا الموقف الجرىء المشرف حين نشر لى روايتى (شىء من الخوف) فى صباح الخير حين كان رئيسا لمجلس ادارة روز اليوسف وكنت قد أعطيته الرواية وقال لى اذا جاءنى مقال من طه حسين فانى أدفع به الى المطبعة مباشرة دون أن أقرأه وكذلك الأمر اذا جاءتنى رواية من ثروت أباظة فانى أدفع بها الى المطبعة مباشرة ٠ وقذفت بى هذه الكلمة الى حيرة شديدة واشفاق على الرجل العظيم فتحى ان ينشر الرواية ويفصل من عمله اذا لم يعتقل وأيد حيرتى أستاذى وصديق عمرى نجيب محفوظ الذى قال لى لابد أن تجعله يقرأ الروايه بأية طريقة وطلبت من فتحى غانم وقلت له أنا لا أريد مجرد نشر الروايه وانما يهمنى أكثر من نشرها أن أعرف رأى الروائى الكبير فتحى غانم ٠ وقرأ الرجل العظيم الرواية وقال لى انك لأول مرة تكون من وحدات شكلا متكاملا كالزخرفة العربية التى تكون فيها الأجزاء شكلا متكاملا وكأنما ليس بالرواية رمز ، ونشر الكاتب الجرىء الرواية فى رجولة يندر أن يعرفها هذا الزمان ٠

أصبح التفكير فى عمل صحفى بعد التأميم أمرا يعتبر نوعا من العبط الذى لا مثيل له ٠ فاكتفيت بالكتابة غير المنتظمة فى الصحف وبكتابة رواياتى والحمد لله على ما وهب ، والحمد لله على ما سلب له الشكر على الحالين ٠

***

نسيت فى غمرة الحديث عن حياتى العامة أن أذكر لك حياتى الخاصة فقد رزقت فى هذه الفترة بابنتى أمينة فى أكتوبر عام ٥٥ وقد ولدت فى يوم المولد النبوى فى ذلك العام وولدت يوم الجمعة ساعة الأذان وقد حصلت على ليسانس الأدب قسم اللغة الفرنسية وعملت قليلا بأجر خيالى فى البنك العربى الدولى ثم وجدت نفسها غير صالحة للتعامل مع المال مهما يكن الأجر فلكيا شأنها فى ذلك شأن أبيها واستقالت وهى تعمل الآن بعقد فى التليفزيون ورفضت التعيين به حتى لا تمسك الوظيفة بتلابيبها ، وهى قارئة فى الفرنسية والعربية شديدة النهم فى القراءة

وقد ترجمت لي رواية (شيء من الخوف) ، ونشرت الترجمة ، والحب بيني وبينها من نوع عظيم فأنا أحب فيها خلقها الرقيق شديد الرقة ، ورهافة الحس ، ونقاء السريرة الى درجة لا أجد لها مثيلا في كل من عرفت في حياتي وبصورة تجعلني دائما أشفق عليها فطيبتها وحرصها على معاونة الانسان والحيوان معا يجعلانها في حالة شبه روحانية دائمة لا يرتاح صاحبها أبدا ، وكيف له أن يرتاح وقد جعل هموم العالم جميعها من بشر وحيوان همومه هو الشخصية • أسأل الله أن يهب لها من الخير والتوفيق قدر ما تهب هي لمخلوقاته جميعا •

ورزقت في يناير ٥٨ بابني دسوقي وقد نال ليسانس الحقوق وعمل بالنيابة ثم القضاء ، واليوم وأنا أكتب هذا الحديث تفضل الدكتور عصمت عبد المجيد فأصدر قرار تعيينه بالجامعة العربية •

وقد تعلم دسوقي في المدارس الفرنسية فهو يجيد الفرنسية اجادة تامة وهو كثير القراءة في العربية والفرنسية على السواء ولعله من الطريف أن أروي كيف دخل كلية الحقوق فهو حين حصل على الثانوية العامة كان مجموعه لا بأس به وقال لي انه يريد أن يدخل كلية الآداب قسم الفلسفة فقد كان كثير القراءة في كتب الفلسفة مما جعله يتعلق بها فقلت له افعل ما تريد وكل ما أرجوه منك أن تتحدث في هذا الأمر مع عمك نجيب محفوظ فهو خريج آداب فلسفة أيضا فقال وهو كذلك وكنا في الاسكندرية وكنت أجلس مع نجيب بك في كازينو جليم وكان كل منا يتحرى أن يذهب مبكرا الى الكازينو ليتاح لنا جلسة خاصة نتبادل فيها خاصة شأنينا قبل أن يأتي الأصدقاء الآخرون ، وصحبت دسوقي الى هذه الجلسة وقال لنجيب :

ـ أريد أن أدخل كلية الآداب قسم فلسفة •

وقال نجيب بك :

ـ عظيم •• ولكن هنالك شرط •

ـ ما هو ؟

ـ أن تكون أول دفعتك •

واندهش دسوقي وقال :

ـ وكيف أضمن هذا ؟

ـ انك تدخل الى قسم الفلسفة لانك تهوى الفلسفة فاذا لم تكن الأول وتعين معيدا بالكلية لتظل وثيق الصلة بهوايتك فسينتهى بك الأمر أن تعمل موظفا فى الجمعية التعاونية ٠

وطبعا اقتنع دسوقى ودخل الى كليــة الحقوق وكان متقــدما فى دراسته وحين تخرج ظل سنة تلميذا فى معهد الدراسات القانونية الذى لابد أن ينتسب اليه الآن كل من يصدر القرار بتعيينه فى النيابة ٠ وكان حظ دسوقى أن كان الأول على دفعته لاتقانه للفرنسية مما أتاح له السفر فى بعثة ستة شهور للدراســة فى فرنسا ، ثم عاد وعمل أستاذا للغة الفرنسية بعض الوقت فى نفس المعهد ، ثم تدرج فى النيابة حتى جلس على كرسى القضـاء ٠ وحين يظهر هذا الكتاب سيكون ان شاء الله قد مرت عليه فترة يعمل فيها بجامعة الدول العربية ٠

ودسوقى ـ بحمد الله ـ على أحسن صلة بربه ويقوم على الاشراف على زراعتنا ، فهو متعلق ببلدتنا غزالة كل التعلق ، ومن نعم الله علينا أنه شاب جاد غير هازل وان كان هذا يجعله قريب الغضب ولكنه أيضـا قريب الصبر ٠

وقد تزوج دسوقى من ابنة الأستاذ منير حتاتة المحامى ووهب لنا ياسمين وهى فى الرابعة من عمرها وعفاف على اسم جدتها زوجتى وهى فى الثانية من عمرها والحفيدتين هما مصدر سعادتى التى لا أشعر بمثيل لها فى أى منحى من مناحى الحياة الا فى لعبهما حولى ٠



فى هذه الفترة شهدنا حربين ، أما الحرب الثالثة فلها حديث خاص بها ٠ صباح تاميم القنال كنت فى الاسكندرية وذهبت الى بترو كشأنى فى كل صباح ، فقد كنت متعودا أن أجلس فى ندوة الحكيم حتى الساعة الثانية عشرة ثم أذهب الى نادى السيارات وأستحم فى مسبحه ٠ وذهبت الى توفيق الحكيم وكان وحـده متحمسا كل التحمس للتأميم فعارضته معارضة شديدة متوقعا حربا ضروسا لا قبل لنا بها ، وذكرت له ان هذه مسرحية ستدفع مصر وشعبها فيه ثمنا غاليا فى مقابل لا شىء ، فالقناة ستعود الينا بعد سنوات قلائل ليس لها قيمة فى عمر الشعوب ٠٠

وقال توفيق بك أنت تكره العهـد ، ولكن الانسان فى المناسبات الوطنية الكبرى ينسى كراهيته ولا يذكر الا وطنه ، واحتدم الخلاف وكنت طبعا لا أستطيع أن أعنف به ففارق السن له فى نفسى نوع من التقديس

فصمت قليلا وبدأ أهل الندوة يتقاطرون فقمت مزمعا ألا أعود ، وقد فعلت •

ومر يومان أو ثلاثة واذا بالتليفون يطلبني في نادى السيارات واذا بى أجد توفيق بك على الطرف الآخر يعتذر لى ويرجونى أن أعود الى الندوة وكان رقيقا رقة زائدة ، فغفرت له ما كان بيننا من نقاش عنيف ، وعدت الى الندوة فاذا الغالبية فيها من رأيى •

وفى أكتوبر حدث عدوان ٥٦ وكان الدمار الماحق الى جانب الأرواح والأموال الطائلة التى فقدناها مع مهانة لمصر لا مثيل لها ، وكانت خطبة رئيس الجمهورية فى الأزهر تدل على الانهيار الكامل الذى دب فى كيان عهده ومع اصراره على القتال فقد كان واضحا أنه فى حالة ثورة عارمة ، وما دام هو ثائرا فلتذهب الأرواح والبنايات وكرامة الوطن الى الجحيم •

وفى أثناء العدوان كنت ألتقى بتوفيق بك وقال لى يوما :

ـ كم كنت أنت محقا وانا كنت اعارضك وكم كنت مخطئا فى رأيى •

وسكت طبعا ولم أعلق ••

ولولا أن أمريكا بخلق رعاة البقر غضبت لأن انجلترا وفرنسا واسرائيل أشعلت نيران الحرب دون اذن منها مما جعلها توجه الى الدول الثلاث انذارها الشهير لكان الخراب الكامل لمصر وكان الاعلام المصرى فى هذه الحرب قد بلغ حضيضا لم يستطع أن يسفل عنه الا فى حرب ٦٧ •

وفجرت الأغانى المصرية لتجعل من هذه المهانة نصرا فكنا بين شعوب العالم سخرية وأضحوكة لم يعرف العالم لها مثيلا الا بعد ذلك بقرابة ثلاثين عاما على يد صدام حسين فى حرب الخليج

* * *

ومرت السنوات وأقفل رئيس الجمهورية الطاغية شرم الشيخ وما حدث بيني وبين توفيق الحكيم حدث بيني وبين أخي الأكبر وتوأم روحى عبد الرحمن الشرقاوى حين رأى هو هذا العمل بطولة ورأيت فيه خرابا ، وقد جرى الحوار بيننا فى مكتبه بمؤسسة السينما بشارع سليمان باشا واحتدم بيننا النقاش وتركته على نوع هين من المغاضبة ورغم حبى له نويت الا أتصل به فى هذه الفترة حتى لا تتسع هوة الخلاف • ونشبت الحرب وما كانت حربا وانما كانت ما عهدتم من سحق كامل لجيوشنا وأرواح أبنائنا وأموالنا فى مدن القنال •

وكنت طوال أيام الحرب فى بيتى أتتبع الأنباء من محطات العالم كلها الا مصر فلم تكن مصر تذيع الا الأكاذيب ٠

وفى يوم اضطررت أن أذهب الى المجلس الأعلى للفنون والآداب لأستخلص بعض مستحقات لى فقد كان السفر الى البلد مستحيلا ونفد المال من بيتى تماما ٠ وبعد أن حصلت على هذه المستحقات هممت بمغادرة المجلس وبينما أنا فى ممشاه سمعت اسمى على ألسنة السعاة يلهثون خلفى ٠ وقفت وأبلغنى المنادون أن يوسف بك السباعى يريدنى فى حجرته ، فصعدت اليه فاذا هو يقول لى :

ـ الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة يريدك ٠

ـ يريدنى أنا ٠

ـ نعـــم ٠

ـ خـيرا ٠

ـ والله لا أدرى كلمنى وقال انه يريدنى ويريدك معى ٠

ـ متى ٠

ـ الآن ٠

ـ لا باس نذهب ٠

ـ هل معك سيارة ٠

ـ نعـــم ٠

ـ اذن أذهب معك ٠

ـ اهـــلا وســـهلا ٠

وركبنا سيارتى هذ المسافة القصيرة بين المجلس الأعلى للثقافة وبين قصر عيشه فهمى حيث كان مقر وزير الثقافة ولم نكد نتحدث أنا ويوسف بك فقد كان واضحا أن الألم يعتصر نفوس المصريين كلهم وكنت أضرب أخماسا فى أسداس حائرا فيما يتخفى وراء هذا الطلب أأكون قلت شيئا يدل على غضبى ولكننى لا أخرج من بيتى وأنا أعيش بين اذاعات العالم منذ باكر الصباح الى أن يتوقف الارسال ٠ لم تطل حيرتى فسرعان ما وصلنا ٠

وحين دخلت مقر الوزير هذا طائرى لم أكن أنا ويوسف بك وحدنا المدعوين بل كان هنـاك ما يقرب من عشرين كاتبـا وصحفيا من بينهم عبد الرحمن الشرقاوى الذى صالحته طبعا · كنا جميعا تحت وطأة شعور بالسخط والتشوف والتوقع ويغلف هذا جميعا ألم يعتصر النفوس ·

وجلسنا على كراسى كانت معدة وأمامها منضدة ووراء المنضدة باب يفتح من الجانبين ولم يطل بنا الانتظار وفتح الباب المواجه لنا وخـرج الوزير وراح ينظر الى كل الحاضرين فردا فردا فان كان يعرفه ذكر اسمه وان لم يكن استبان منه الاسم فيذكره صاحبه ·

ثم بدأ الوزير الحديث وعرفنا رسميا أن الجيش المصرى قد انسحب وقال الوزير أن الانسحاب لا يعنى الهزيمة وانما هو لون من ألوان القتال لا يدل على الهزيمة وعرفنا من الوزير أيضا أن الطيران المصرى كله قد دمر ، ولكنه قال ولكننى أؤكد لكم تأكيد مثقف لمثقفين ان روسيا سترسل لنا طائرات أخرى ان لم تكن قد وصلت فعلا فهى فى طريقها الى الوصول فى أقرب وقت ، وتحدث الحاضرون وأذكر أننى قلت أننى أطالب الاعلام المصرى أن يذكر لنا الحقائق حتى نكون على بينة من أمورنا فان الذى تطالعنا به الاذاعات الأجنبية مروع وفظيع ويبدو أننى تكلمت بلهجة حادة فراح الوزير يهدىء من روعى بكلمات رقيقة ·

خرجنا من الاجتماع وصحبنى عبد الرحمن الشرقاوى ونجيب محفوظ لأذهب بهما الى منزليهما ، وفى الطريق كان أستاذنا نجيب مروعا حزينا وكذلك كان عبد الرحمن الشرقاوى ، ولو أنه كان يكتب مقالا يوميا فى تحية الجيش · وقد أثارنى منه قوله فى احدى مقالاته انه لا يجوز أن يتكلم الشعب عن الخطط العسكرية لانه لا يفهم شيئا فى هذا المضمار · ولكنى لم أشأ أن أحدثه فى شأن هذه المقالة ونحن فى السيارة فقد كان ثلاثتنا فى حال لا تسمح بمزيد من الجدل · وأذكر مما قاله عبد الرحمن الشرقاوى فى السيارة :

ـ أليس من المحتمل أننـا نسحب الجيش الاسرائيلى لنطوقه فى عملية كماشة ·

فقلت له :

ـ وهل كنا ذاهبين الى فلسطين لنحررها من اليهود أم لنطبق جيشها فى كماشة ·

فقال نجيب محفوظ :

ـ لك حق ·

ـ والله الواحد اصبح لا يعرف شيئا ·

وفى المساء فى نفس هـذا اليـوم أعلن مندوبنا فى هيئـة الأمم استسلام مصر الكامل وكانت للاذاعة قناة متصلة بهيئة الأمم تعمل طوال فترة الاجتماع التى تعمل فيها الهيئة ، ومع توقعى لهذا توقعا لا جدال فيه وجدت نفسى أنخرط فى نشيج عال من البكاء وراحت زوجتى أعزها الله تخفف عنى غير واجدة من الكلمات ما تقوله الا انه ربما كانوا مخطئين· ربما يقول شيئا آخر ·

وأحسب أننى ما زلت أبكى حتى اليوم على الرغم من الانتصار الخالد الذى حققه الجيش بقيادة السادات ومعاونة حسنى مبارك · وبعـد أيام طلبت عبد الرحمن الشرقاوى فى التليفون وقلت له :

ـ أنا لن أعاتبك على مقالاتك الا عن مقالة واحدة نهيت فيها الشعب أن يتكلم فى وقائع الحرب · اهذا معقول ؟

وفى لهجة من كان ينتظر المكالمة قال لى :

ـ اتاتى الى أم أجىء اليك ؟

ـ تعـــال ·

وبعد لحظات كان عندى فى البيت وبدأ كلامه :

ـ أولا أعتذر اليك لاختلاف رأيى عن رأيك فقد كنت أنت على صواب منذ الوهلة الأولى ·

ولم أجد شيئا أقوله وعاد نمير الأخوة الصافى بيننا الى جـدوله لا يرنق صفاءه شىء ·

★★★

أحسب أن الأيام سارت بى سيرا رتيبا بعد حرب أكتوبر وأحسب أننى فى غير حاجة أن أقص أنباء رواياتى التى كتبتها فكل هذا ظهر فى أحاديث اذاعية وتليفزيونية ومقالات وبعضها ذكرته فى كتب ·

بعد حرب ٦٧ انتقلنا الى المعادى لنقيم مع عمى عزيز باشا والسيدة الفاضلة زوجته أمينة هانم فى محاولة منا لضغط المصروفات كمـا يقول

الاقتصاديون وأجرت شقتي بالزمالك مفروشة وكان ما نناله منها يواجه حاجاتنا الضرورية ثم كان اعتمادي بعد ذلك في مواجهة مصاريف الاولاد والملبس وبنزين السيارة على بيع أرضي وما كنت أتقاضاه من مكافآت من مقالاتي وقصصي ما ينشر منها في الصحف أو ما يذاع من رواياتي أو ما يؤخذ منها للسينما أو للتليفزيون وفي هذه الفترة كان هناك وفد رسمي الى العراق اشتركت فيه وكان معي فيه المرحوم صالح جودت وأخي الحبيب أنيس منصور أطال الله عمره • واتفقنا ثلاثتنا أن نذهب معا في سيارة الى الكويت لنزور بها بعض الأصدقاء وقد كانت المرة الأولى التي ازور فيها العراق أو الكويت وكان معنا في العراق أيضا أخونا الشرقاوي وقد كان الاستقبال لأشخاصنا في العراق زائفاً ، فقد قصد الينا الصحفيون والاذاعيون وكنا موضع تقدير لا شك فيه أما الهجوم على مصر فكان في كل خطب المهرجان وقصائده لقد كنا السخرية والنقد الضاري امروع • فقد كانت هزيمتنا مذلة للعرب أجمعين •

وأذكر حادثة طريفة أنني ذهبت أنا والشرقاوي الى فندق آخر غير الفندق الذي كنا ننزل به في بغداد وبالصدفة وجدت جماعة كبيرة من أساتذتي في كلية الحقوق أذكر منهم د• علي راشد ود• سليمان مرقص وغيرهم • وكانت جلستي بجانب د• علي راشد فروى لي أمرا غريبا • كان هذا اللقاء في عام ٦٩ • وأنا كنت تلميذا للدكتور علي راشد في عام ٤٨ وأذكر أني أديت امتحان الجنائي في السنة الثانية أداء لا بأس به • ولكنني وجدت الدرجة التي نلتها ٦ من عشرين وهي أقل درجة تسمح بالنجاح بشرط أن يجبرها امتحان الشفوي وكنت قد نجحت فلم أشأ أن أثير موضوع ضعف الدرجة في الكلية ولكني في جلستي مع د• علي راشد تبينت الأمر وذهلت له • قال د علي

— هل تعرف انك كنت ستودي بي في داهية •

— لماذا •

— الورقة التي أجبت فيها على الجنائي ضاعت مني •

فصرخت :

— ألهذا اعطيتني ٦ من ٢٠ •

— قلت أعطيه اقل درجة للنجاح وان كان تلميذا جادا يحصل على درجة أعلى في الشفوي •

— أهذا عدل يا دكتور •• على الأقل اعطني ١٠ من عشرين لقد ظلمتني ظلما لن انساه لك •

وفعــــلا لـــم أنبيـــه ٠

وذهبنا الى الكويت فى هذا العام ومما لا أنساه تلك الحفاوة البالغة التى لقيها ثلاثتنا هناك سواء من وسائل الاعلام أو من الهيئات والجماعات والأفراد على السواء

★★★

حين تولى الرئيس الخالد الذكر أنور السادات الحكم ٠ تلقيت النبأ بمشاعر بعيدة كل البعد عن الرضى ٠ وكنت فى ذلك الحين أذهب كثيرا الى الزعيم العظيم ابراهيم باشا عبد الهادى فقد كنت أقيم بالمعادى فى ذلك الحين حيث كان يقيم ابراهيـــم باشـــا ٠ وقلت له فيما قلت اننى لا أعرف أنور السادات الا أنه كان يرسل لى بطاقة معايدة فى كل عيد ولم ينقطع عن ارسالها قط رغم أننى لم أكن أشكره على هذه المعايدة لاننى لا أعرف له عنوانا أرسل الشكر عليه أو لاننى كنت أعتقد انهـــا بطاقة عامة ترسل للجميع ٠ ولكنى عرفت بعد ذلك من صديق عمرى عبد الفتاح الشناوى ان أنور السادات كان على صلة بأبى وهى صلة لم أعرفها أنا الا من الشناوى الذى كان سكرتيرا فمدير مكتب لأبى ٠ ثم قلت لابراهيم باشا اننى لست متفائلا مطلقـــا برئاسته فاذا بالسياسى العظيم يقول لى :

ـ ستوى يا ثروت ان هذا الفتى هو خير من عرفت وسترى مصر على يديه خيرا لم تكن تحلم به ٠

وكنت أثق بآراء الزعيم السياسى أحد أبطال ثورة ١٩ والرجل الذى واكب الحياة السياسية وكان من صناعها فترة طويلة من الزمان تتجاوز نصف القرن ٠

ومرت الأيام وبدأت الأحداث تتوالى فاذا السادات سياسى داهية من الطراز الأول ٠

ولكن وعده بحرب فلسطين ليرد الى مصر شرفها لم يكن يدور بخلدى انه سينفذه وقد أكد لى هذا تأكيدا لا يقبل الشك مقالات محمد حسنين هيكل بالأهـــرام التى كانت جميعها تجعـــل الحرب ضربا من المستحيل لا يتحقق الا بقنبلة ذرية

وفى أحد الأعوام أطلق عليه السادات عام الضباب يقصد بذلك أن الأمور لم تكن واضحة أمامه فى ذلك العام ولذلك امتنع عن الحرب وأقيم

معرض للكتاب فى ذلك العام وكانت روايتى (الضباب) معروضة فى المعرض فكانت الجماهير تقف أمام الرواية وتضحك أهذا هو الضباب الذى يقول عنه الرئيس ٠

الى هذا الحد كنت ومعى الأغلبية الكاثرة من الشعب المصرى لا نصدق أسطورة الحرب هذه ٠

وكان الأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ نجيب محفوظ يشاركانى هذا الرأى وفى يوم دخلت الى مكتب توفيق بك فى الأهرام ولم أكن عملت به فاطلعنى على بيان مكتوب بلهجة عنيفة معناه أنه ما دام أمر الحرب مستحيلا فلا أقل من أن ننال حريتنا ونعود الى الديموقراطية الغائبة عنا منذ سنوات ٠

وأمر هذا البيان معروف فقد عزلونا من الاتحاد الاشتراكى والذى وقع قرار عزلى زميلان لى هما د٠ كمال أبو المجد ومحمد حامد محمود وكلاهما متخرج معى فى نفس الدفعة وقد أرسل لى محمد حامد مع شقيق زوجتى محمد واثق يقول لى انه يعلم انه عزلنى من الاتحاد الاشتراكى رغم أننى لست عضوا به ولعل فى هذه الجملة ما يغنينى عن التعليق ومنع السادات أسماءنا أن تظهر بالصحف ٠ ونشرت الصحف أنه سينظر فى أمر كل كاتب على حدة اذا قدم الكاتب تظلما من قرار العزل هذا وكلمت أخى الأكبر الحبيب يوسف السباعى :

ـ طبعا ستتشفع لى ليرفع عنى قرار العزل والحظر ٠

فقـــال :

ـ طبعـــا ٠

ـ أرجوك ألا تفعل فاننى لن أقدم تظلما ٠

وثار بى أخى يوسف بك ولكنها كانت ثورة حبيبة الى نفسى لانها كانت صادرة عن حبه العميق لى ٠

وحدث فى هذه الفترة أننى كنت مرشحا لمرافقة وفد أدبى فيه عمى عزيز باشا الى تونس ، فرفع اسمى من الوفد وأبلغت بذلك فلم أهتم أى اهتمام الا أننى أسفت لأننى حرمت من مرافقة عمى عزيز خارج مصر فقد شاء الله ـ على كثرة أسفاره وأسفارى ـ ألا يجمعنا بلد آخر خارج مصر حتى وفاته رحمة الله عليه ٠

وحدث أن ذهب الشاعر الرقيق صالح جودت ويوسف بك السباعي الى عزيز باشا وطلبا اليه أن يقنعني بالعدول عن موقفي فكان عزيز باشا عظيما وهو يقول لهما :

ـ ان ثروت ليس زوج ابنتي فقط ولكنه عندي أنا ابني المقرب ، وأنا على استعداد أن أحادثه في أي شيء الا في مواقفه السياسية فهذا شأنه وحده .

واستدعى الرئيس السادات توفيق بك للقائه وروى لي توفيق بك بعد ذلك انه في أثناء الحديث لم يذكر من أسماء الموقعين جميعهم الا اسمي أنا .

ـ كيف ؟

ـ قال في حدة وغضب وثروت أباظة .

ـ هذا مبتدأ فاين الخبر ؟

ـ لم يكمل الجملة .

وقدرت أنا استنتاجا أنه كان يتوقع مني التأييد لا المعارضة بعد القدر من الحرية الذى أتاحه ومع علمه بمعارضتي الشديدة للعهد السابق لعهده .

وسافر عزيز باشا الى تونس وعاد وبعد فترة سافر الى الكويت وما هي الا أيام حتى جاءنا خبر بأنه أصيب هناك بأزمة قلبية حادة ورحنا نعد أنا وزوجتي للسفر فاذا بي أفاجأ في الجوازات أنني ممنوع من السفر ورحمه الله يوسف السباعي مثلا أعلى في الوفاء والاخلاص والقلب الكبير الذى يسع الناس أجمعين ما هي الا ساعة حتى أبلغ الجوازات برفع الحظر عن اسمي وسافرت وزوجتي الى الكويت .

وكانت الأزمة حادة . ومكثنا بجوار عزيز باشا لا نتركه الا للنوم وحين اطمأنت نفسنا بعض الشيء طلبت مني اذاعة الكويت أن ألقى بها بضعة أحاديث فرأيت أن أكتب عن روعة السرد القصصي في القرآن الكريم وقد جمعت أحاديثي هذه بعد ذلك في كتابي السرد القصصي في القرآن الكريم .

وحين اطمأنت نفوسنا على عزيز باشا عدنا الى مصر ولحق بنا بعد أيام . وقد شاء الله أن يكرمه فاختاره الى جواره وهو في بيته وبين أهله .

وقد فقدت بفقده أبا حانيا لى ولابنتى وابنى وكانت كارثة عظمى ربما مهد لها الله سبحانه وتعالى بمرضه الذى أنذرنا بالخطب قبل وقوعه ٠

وكنا قد انتقلنا فى هذا العام الى القاهرة سبقت أنا بالعودة ولحق بنا الباشا وأمينة هانم ، ليسكنا الفيلا الواقعة بأعلى العمارة التى أقيم بها أنا وأسرتى فى الدور الأول منها ٠ توفى عزيز باشا فى ١٠ يوليه عام ١٩٧٣ ٠ ولم يشهد الحرب ٠

***

كنت أنا وعبد الفتاح الشناوى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمود محمد محمود بك وعبد المجيد باشا بدر ود٠ محمد هاشم باشا نقضى فترة الظهيرة من رمضان فى مقهى مواجه للبنك الأهلى صغير اسمه بار الأنجلو ٠ وكان جميعنا صائما فكنا ندفع أثمان طلبات لا تقدم الينا ولكننا نبرر بها وجودنا فى المقهى ٠ وكنا نظل نتحدث فى شتى الأمور حتى يقترب موعد صلاة العصر فنقوم ونستقل سياراتنا الى واحد من المساجد الكبرى بالقاهرة أو نتجه الى مسجد أثرى ونقيم الصلاة جماعة ثم نتمشى فى الحى بعض الوقت ويكون المغرب قد آذن بالآذان فنتجه الى بيوتنا قبيل الافطار بدقائق ٠ وفى أوائل أكتوبر فوجئنا بقرار من الرئيس السادات برفع الحظر عن أسمائنا واعادة أعضاء الاتحاد الاشتراكى اليه ٠

وفى العاشر من رمضان سمعنا بنبأ الحرب ونحن مجتمعون بالمقهى وتولانا جميعا الذهول ٠ ولا أخفى أننى أصبت بهلع فان مصر لم تكن تحتمل هزيمة أخرى ٠ ولا يعقل أن جيشا هزم هزيمة ٥ يونية سنة ١٩٦٧ يستطيع بعد ست سنوات أن يقلب الهزيمة الى نصر ٠

ولكن المعجزة الالهية تحققت على يد القـائد العملاق الخالد أنـور السادات وبمعاونة رئيسنا العظيم حسنى مبارك أطال الله عمره وأيده ٠

ما كان أهون ما عاقبنا به أنور السادات لو وقع منا هذا الذى فعلنا فى عهد الرئيس السابق عليه لكان الموت أقل ما يواجهنا ٠ وأذكر فى هذه المناسبة أن صديقا لى من الكتاب اقترح على بعد هزيمة يونيه أن نكتب بيانا ندعو فيه رئيس الجمهورية الى اعادة الحرية لمواجهة عواقب الهزيمة وتحمست لهذا القرار وكتبت البيان ووقعته فكان أول الناكصين عن توقيعه الكاتب الذى اقترحه ٠ ولم يوقع معى البيان الا نجيب محفوظ وحده وأبى جميع الكتاب التوقيع ولن اذكر أسماء الذين عرضت عليهم التوقيع ٠ وطبعا لم أرسل البيان ٠

أصبحت أنا وتوفيق بك ونجيب بك من أشد المتحمسين لأنور السادات ورغم أننى لم أكن كاتبا ثابتا بأى جريدة فقد حرصت على نشر تأييدى الصريح للزعيم العملاق فى تحمس لا مثيل له وكذلك فعل الكاتبان الكبيران توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ٠

وبعد فترة عرفنى خالى مدحت بالسيد بك مرعى وقد وجدت فيه انسانا غاية فى الرقة والعذوبة كما وجدت فيه سياسيا حاذقا متمرسا ٠

وأبلغنى السيد مرعى ان الرئيس السادات معجب بما أكتب واقترح خالى مدحت ان الأوان قد آن لأعين بمكان ما فى الصحافة ٠ وقد وجدت الفكرة ترحيبا من السيد بك ٠ وأبلغنا بعد ذلك أن الرئيس أيضا يرحب بالفكرة وبعد قرابة سنتين علمت من السيد بك أن الرئيس سيأمر بتعيينى فى مجلة الاذاعة والتليفزيون كرئيس لمجلس ادارتها ٠ وكان د٠ كمال أبو المجد فى ذلك الحين وزيرا للاعلام الذى تتبعه المجلة والتقيت به وأخبرنى برغبة الرئيس ٠ كما أخبرنى أن الرئيس يهنئنى على روايتى ٠ والواقع أن لقائى بكمال لم يترك فى نفسى أثرا طيبا ولا وجدت منه ما كنت أتوقعه من زميل دراسة وصديق ٠

وأذكر أنه عرض على أن أعمل معه بالوزارة فرفضت فراح يثير حديثا عن العقبات التى ستواجهنى فى المجلة فلم يقنعنى ٠ وكنت فى يوم لقائه أعد نفسى لرحلة عمرة اتفقنا أن يتم تعيينى بعد عودتى منها واعتمرت وعدت ٠ وكانت أمينة هانم صدقى فى لوزان بسويسرا فى ذلك الحين فاستدعت زوجتى أن تذهب اليها ورحبت زوجتى فهى تحب السفر الى الخارج حبا جما ، وتحرص عليه حرصا شديدا مهما تكن العقبات ٠ وسافرت وبقيت أنا ٠ وشاء الله أن يخرج كمال أبو المجد من الوزارة ويوقع قرار تعيينى أخى الأكبر وواحد من أقرب الناس الى قلبى يوسف السباعى وأبلغت زوجتى بسويسرا أننى عينت ٠ وأتولى رئاسة مجلس ادارة الاذاعة والتليفزيون ولن أذكر عن الفترة التى قضيتها بها شيئا ولكن ما قاله لى عميد الصحافة العربية المعاصرة مصطفى بك أمين :

— كيف استطعت أن تجعل من الفسيخ شربات ٠

واحمـد الله ٠٠

وحدث أن كتب الأستاذ جلال الحمامصى مقالا يشكك فى نزاهة الرئيس الأسبق ووقف السادات فى خلق الفلاح الأصيل يدفع التهمة فى اصرار دون أن يدفع الحجة بالحجة وانما كان دفاعا عن صديق له مهما يكن الدفاع نوعا من الخطابة وليس تفنيد وقائع ٠

وقلت في نفسي كنا نكتب رمزا حين كنا لا نستطيع أن نصارح واليوم أنا مسئول وحدى عن المجلة التي أكتب فيها فمتى أقول الحق الصريح اذا لم أقله اليوم ٠

وكنت أنتظر توفيق بك الحكيم في صباح أحد أيام الجمع بالطابق الأعلى من فندق النيل ، وكنا قد اتخذنا منه مكانا لندوتنا ويبدو أنني ذهبت مبكرا فوجدت نفسي أخرج بعض أوراق وجدتها في جيبي بها كتابات ولكن بها أيضا فسحات من البياض تتيح لي الكتابة فرحت أقطع الانتظار بكتابة المقالة التي غيرت مجرى حياتي ٠ وقد كانت أول مقالة صريحة تظهر في الصحافة العربية تهاجم الطاغية ٠ وحين جاء توفيق بك كنت قد انتهيت من كتابة المقال ووضعته في جيبي ولم أذكر عنه شيئا لأحد حتى ذهبت في صباح السبت الى مكتبي في المجلة ٠

واني أعتقد أن من حقك على أن تقرأ هذا المقال فقد بعد العهد به فهو قد نشر في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٦ ونحن في أكتوبر سنة ١٩٩٢ واليك المقال :

((وفي أى شيء صدق ؟!

أية غريبة أن يقال ما يقال ؟! وما المال وقد سرق أمننا ، ولص كرامتنا ، وامتص دماء أبنائنا ، وأهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها ٠٠

وفي أى شيء صدق حتى يصدق في ذمته ؟!

قال ارفع رأسك يا أخي ٠ وحطم كل رأس فكر في الارتفاع أو فكر فقط ٠ وأبى أن يجعل أحدا من الناس أخا ، بل أرغم الجميع أن يكونوا عبيدا له أو هم أعداء ٠

قال ديمقراطية ، ثم فشا وحده مسعورا ، منفردا بالحكم ، مسئولا وحده عن كل خفقة نفس في البلاد ٠

وقال قضينا على الاقطاع ، فاذا بأصحاب الملايين في عهد الرأسمالية كانوا لا يتجاوزون أصابع اليدين عددا ، فأصبحوا خمسمائة نتيجة لعهده، ثروة الواحد منهم مهما تبلغ من الضآلة تلتهم ملايين الاقطاع جميعا والاقطاعيين ٠

وقال ثورة بيضاء ، ثم أهدر دماء الشباب في حروب اليمن وحربي سيناء من أجل مجده الشخصي ، ومن أجل خراب مصر في دمائها ومالها وكرامتها ٠

وأسال الدماء في خسة غادرة مجرمة وراء أسوار السجون والمعتقلات .

قال الشرف وهدد الرجال في عفة زوجاتهم وشرف بناتهم وأخواتهم .

قال تكافؤ الفرص وأغدق الأموال على أبنائه ، حتى لقد كان الواحد منهم يلهو بقيادة طائرة لا يحلم أغلب الشعب أن يركبها مرة في حياته ، وتقدمت ابنة له تفكر في شراء أرض يتجاوز ثمنها مائة وخمسين ألف جنيه ، ولقب ابنه بالمليونير في اذاعة لندن ، وسكب أموال الدولة على اخوته وعلى كلابه من ماسحي أحذيته ، ولاعقي نعاله ، فهم ينبحون باسمه حتى اليوم وقد فجعتهم فيه الفاجعة . وزالت من أفواههم دماء الشعب التي أتاح لهم أن يمتصوها . تؤيدهم في نباحهم فئة أخرى اعتدى عليهم في المعتقلات وجعل زوجاتهم بلا موئل لطول حبس الأزواج ولحبس المال عنهم . ومع ذلك ينبحون باسمه مع كلابه النابحة .

لان الحكم الجديد .. قال الله .

وقال الحرية

وقال القانون

ونفذ ما قال وانتصر .

في أي شيء صدق ؟!

قال الرجل المناسب في المكان المناسب ثم اختار أهون الناس وجعل منهم رؤساء على العمالقة ، ووضع في أغلب المناصب رئيسا جاهلا لان الجهلاء هم علماء النفاق ، فانهار العمل في الحكومة وفي القطاع العام وحين قال محافظ من علمائه :

اعطى القانون اجازة رقي الى وزير لانه عبر عن شعار الدولة .
في أي شيء صدق ؟!

دعا الى الاشتراكية . وعاش . وعاش خدمه والمحظوظون من أتباعه عيشة تتضاءل عندها عيشة الفجار من العاهرين في الرأسمالية . فسمعنا عن فواكه تأتي بالطائرات وعن سيارات نقل تحمل الفراء والسجاجيد . ويعلن هذا علينا حين يغضب على الفاعل . ويستر علينا حين يترضاه

ويضع رأسه تحت قدميه ، ألا ، الى غير رجعة يا زمن الهمس والصراخ ، والنوم المفزع ، والقلق الشائع ، والخوف المبيد ، والعرض المباح ، والدم المسفوك ، والشرف الجريح ، والتاريخ الممزق ، والأمل المظلوم ، واليوم الكالح ، والغد العبوس ، والحق المضاع ٠

ويقولون اكتموا على السرقات أن تذيع ٠ فانها ان شاعت أحجمت أموال العالم عن مصر والانفتاح٠جهلوا الحقيقة ، لن تأتى الأموال وأصحابها يعرفون أن اللصوص هنا تتخفى وراء الأستار تحمل التشكيك فى أمانة بلادنا : يوم تنكشف الحقائق ويعرف العـالم أننا أصبحنا على الطريق القويم ، شريفة أيدينا ، واثقة نفوسنا ، مطمئنا اقتصادنا ، يأتى الينـا أصحاب الأموال الشرفاء واثقين مطمئنين ٠ والحق دائما بالدول أجدر » ٠

ولست بحاجة أن أذكر الدوى الذى تفجر عن هذا المقال ٠ وكان الأستاذ حسن عبد المنعم رئيس اتحاد الاذاعة والتليفزيون ، وكانت مجلة الاذاعة تابعة له تبعية اسـمية فأرسل الى بكلمـة لأنشرها مؤداها أن ما كتبته لا يعبر عن رأى الاتحاد فنشرت الكلمة وعلقت عليها فى نفس الصفحة بما معناه أن أصابع الكتاب حرة حتى لا يتخللها أصابع الآخرين من ذوى المناصب الحكومية أو من غيرهم ٠

وهاج يوسف بك السباعى وكان وزيرا للاعلام والمجلة تابعة له طبعا وقال لى :

ــ هل أكتب أنا هذا الكلام ٠

ــ ولماذا تكتبه أنت وهل كتبت أنت هارب من الأيام وقصر على النيل وشىء من الخوف ٠ أنت تعرف قدر حبى لك ولكن هذا لا يعنى مطلقا أن أكتب بقلمك ٠

وبيعت النسخة من المجلة فى هذا اليوم بخمسين قرشا وكان ثمنها الرسمى عشرة قـروش ٠ وعرفت أن الكثيرين وضـعوا المجلة فى اطار وعلقوها فى بيوتهم وأصحاب المحلات علقوها فى محالهم ٠

وظلت المقالة حديث الناس فترة طويلة ٠ وفوجئت يوما بيوسف السباعى يستدعينى الى مكتبه فى الوزارة ويفاجئنى بقوله :

ــ ما رأيك أن تأتى للعمل معى وكيلا للوزارة ٠

فقلت فى حسم :

ــ لا يمكن ، أستقيل أحسن ٠

ـ اترفض العمل معى ٠

ـ ارفض أن اترك الكتابة وأنا بهذا أحمى عهد السادات الذى يذيع انه يتيح الحرية للكتاب ثم ينقل كاتبا الى عمل ادارى لانه كتب مقالا لم تأمر الحكومة بكتابته ٠

ـ يا أخى انك لم تعين الا بطلوع الروح ٠

ـ ما زال عندى بضعة أفدنة ابيعها ولا تحمل همى ٠

ـ الوزراء غاضبون وثائرون ٠

ـ هذا شأنهم ٠

وفى يوم أبلغت أن أحضر جلسة مجلس الشعب التى سيلقى فيها الرئيس السادات خطابه وذهبت ووجدت جميع رؤساء مجلس الادارة للصحف والمجلات قد دعوا الى الجلسة وكان معنا عمى فكرى باشا رحمه الله ٠ وجلسنا فى مقصورة الملكة بالدور الثانى من الشرفة وألقى الزعيم خطابه الذى ألغى المعاهدة التى كانت قائمة بين مصر وروسيا ٠ وفى أثناء الجلسة صعد الينا من أخبرنا أن الرئيس يريد لقاءنا بعد الخطاب فى حجرة رئيس المجلس وانتهى الخطاب وذهبنا الى لقاء الرئيس وكنت حريصا أن أقود خطوات عمى فكرى نظرا لضعف نظره وكان الزعيم السادات واقفا حين دخولنا فوقفنا حوله بعد أن صافحنا وقال :

ـ نحن قلنا ما نريد قوله ولا أرى ضرورة لمهاجمة روسيا ٠

فوافق الحاضرون على رأيه ثم التفت الى قائلا :

ـ يا ثروت أكتب مقالة أخرى احسن الجماعة زعلانين ٠ أكتب مقالة أخرى ٠

قلت :

ـ لقد كتبت مقالة بعدها هل قرأتها سيادتك ٠

قال فى سماحة :

ـ قرأتها انما المقالة الأولى لم اقراها ٠٠ أكتب مقالة اخرى ٠

ـ أمرك ٠

وخرجنا وسرت مع عمى فكرى باشا وقال لى :

ـ ماذا ستفعل ٠

ـ لا أدرى ٠

ـ انه لم يستدعنا جميعا الا ليقول لك ما قال ٠

ـ هـــذا واضـــح ٠

ـ امـــدح الرئيس الســابق ٠

ـ المـــوت أهـــون ٠

وذهبت الى البيت وأدركت أننى اذا حاولت النـــوم فان النـــوم سيستعصى على فأمسكت بالقلم وكتبت ما معناه فى ظل الحرية التى أتاحها لنا أنور السادات سننسى ما فات ونحاول أن نقيم ما تحطم من نفوسنا ٠

وكان مقررا أن يسافر الصحفيون مع الرئيس السادات الى السعودية وسافرت فطالعنى فى السعودية أمر لم أكن أتصور أننى ملاقيه ٠ فقد تعرفت فى الطائرة بالدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام حينذاك ، وحين وصلت الى الفندق لم تمض الا بعض الساعة وحدثنى فى التليفون من يبلغنى أن وزير الاعلام فى انتظارى على الغداء وقد دعا معى الأستاذ أحمد زين وذهبنا وهناك التقيت لأول مرة بعالم الدعوة الاسلامى العالمى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وفرحت بلقائه كل الفرح وكنت قد شهدته يخطب جموع الحجاج فى البيت الحرام وكانت الدمعات تتقاطر من عينى ومن عينى زوجتى ونحن نستمع الى خطابه وقلت له هذا فاذا هو يقول فى خفة ظل لا تتأتى الا له :

ـ أى خطبة يا مولانا ٠٠ سمع على سمع ٠

واذا هو يلقى علينا مقالتى « فى أى شىء صدق » من الذاكرة فقد حفظها عن ظهر قلب ولا أحد يتصور ما داخلنى من شعور فى هذه اللحظات فما تصورت أن أسمع كلامى محفوظا من أحد مطلقا فما بالك وحافظه هذه الظاهرة التاريخية فى العالم الاسلامى ٠

وقال الشيخ الجليل :

ـ لقد قرأتها ثم ظللت أنظر اليها فما رفعت عنها عينى الا وقد حفظتها جميعا ٠

وكان فى رفقة الرئيس واحد من أنسباء الرئيس السابق وحاول

أن يقوم ببعض السخافات فى خفية عنى طبعا ولم يحاول أن يواجهنى فتجاهلت أمره وكأنه شىء غير موجود · وقد كان كذلك بالنسبة لى فعلا ·

وعدنا الى القاهرة وكان من المقرر أن يحدث تغيير عام فى الوزارة وفي الصحف على السواء فى نفس الوقت الذى كنا نستعد فيه للسفر فى رحلة الى أوروبا مع الرئيس · وظهر التأليف الوزارى الجديد فعلا وخرج يوسف السباعى من الوزارة وجاء مكانه جمال العطيفى وبدأت التغييرات في الصحافة وكان رئيس الوزراء الرجل المهذب الانسان ممدوح سالم ·

وبينما كنت فى مكتبى بالمجلة طلبنى رئيس الوزراء وحدد لى موعدا للقائه يخيل الى فيما أذكر أنه كان في نفس اليوم ··

ولا أنسى الجزع الذى بدا على أسرة المجلة الأمر الذى أسعدنى ولم أتصور أن يتغير مكانى بعد أن طلب منى الرئيس أن أكتب مقالة أخرى ولكننى على كل حال لم أكن مهتما · وذهبت الى مكتب رئيس الوزراء فوجدت معه الأستاذ احسان عبد القدوس الذى كان الى هذه اللحظة رئيسا لمجلس ادارة الأهرام فانتظرت وقليلا ما انتظر ودخلت الى ممدوح بك وكان رقيقـا الى درجة أنه لم يجلس الى مكتبـه وانما جلس الى الأريكة وجلست بجانبه وقال لى دون مقدمات :

- الرئيس يريد أن تكون كاتبا فى الأهرام ·

ودون ريث تفكير قلت :

- فـسوى ·

- عظيم ·· اذن لا تخبر أحدا واستمر فى عملك حتى يصدر القرار ·

- والسفر الى المانيا ·

- اذا لم يصدر القرار قبل السفر رافق الرئيس ·

وودعنى الرجل فى أدب جم ·

وتجمع بعض المحررين فى المجلة وراحوا يسعون لدى رئيس الوزراء ولدى سيد بك مرعى رئيس مجلس الشعب ولدى الرئاسة أن أبقى فى مكانى مما جعلنى أكلم سيد بك مرعى وأرجوه ألا يتغير قرار نقلى للأهرام وان الذى يقوم بعض المحررين يتم دون علم منى فقال سيد انهم يعرفون ذلك على وجه اليقين والجمع هنا تفيد الرئيس لا شك فى ذلك ·

وحدث فى هذه الفترة أن التقيت بالسيد بك مرعى ربما فى نفس يوم لقائى برئيس الوزراء وعرفت منه أن يوسف السباعى سيكون رئيسا لمجلس ادارة الأهرام ٠

فحين خرجت من مقابلة رئيس الوزراء حرصت أن أكلم اثنين صديق عمرى على حمدى الجمال وأخى الحبيب يوسف بك ٠ وجدت على الجمال بسهولة وقد فرح رحمه الله بنبأ ذهابى معه الى الأهرام فرحا هائلا ٠ أما يوسف بك فعلى غير العادة لم أجده فى أى مظنة من مظانه التى أعرفها جميعا فلم يطلبنى الا بعد ما يزيد عن ساعة فقلت له :

ـ أنا وراك وراك ٠

فضحك وقال :

ـ ورائى فين ؟

ـ أنا ذاهب معك الى الأهرام ٠

ـ مـــاذا ؟

ـ أخبـــرنى رئيس الوزراء اليـــوم أن الرئيس يريدنى كاتبـــا فى الأهـــرام ٠

ـ صحيح ؟

ـ صحيح ٠

ـ وأنا كيف عرفت انى ذاهب الى الأهرام ؟

ـ معلوماتى الخاصة ٠

ـ يعنى من أخبرك ؟

ـ المفروض انه سر ٠

ـ على أنا ؟

ـ لك حق ٠ ليس عندى سر عنك ٠ أخبرنى سيد مرعى يكفى ٠

ـ يكفى جـــدا ٠

طلبت من مكتبى فى المجلة الوزير الجديد جمال العطيفى لأهنئه بالوزارة ٠٠ وصاح فى فرح :

ـ أخيرا سنعمل معا ٠

ودهشت أن ذهابى الى الأهرام ما زال سرا عليه فقلت :

ـ كم كنت أتمنى ذلك ·

ـ تتمنى · وماذا حدث لهذا التمنى ·

ـ أنا ذاهب الى الأهرام ·

ودهشت دهشة واضحة فى التليفون ظهرت من ألفاظ كثيرة ثم سألته عن السفر الى أوروبا فقال لى أننى رسميا ما زلت فى مكانى · وان على أن أمضى فى عملى كأن شيئا لم يكن ·

وفعلا سافرنا الى ألمانيا ليبدأ الرئيس رحلته الى أوروبا وفى اليوم التالى لوصولنا عرفنا أن قرارا قد صدر بتعيين الأستاذ يوسف السباعى رئيسا لمجلس ادارة الأهرام والأستاذ أحمد بهجت رئيسا لمجلس ادارة الاذاعة ولم يذكر اسمى فى شىء من القرارات ·

وكانت رحلتى هذه رحلة ممتعة فأنا غير مطالب بعمل أو بكتابة شىء وكل ما على أن أتنزه · وكان على حمدى الجمال معنا فطلب الى ونحن فى الرحلة أن أتولى القسم الأدبى فى الأهرام فلم أمانع ، وحين عدنا مرت بضعة أيام ثم استدعانى يوسف السباعى ليخبرنى أن قرار نقلى الى الأهرام قد صدر ·

وبدأت عملى بالأهرام ولم يمر طويل وقت حتى فجعت بالرصاصة الغادرة المجرمة التى أصابت رجلا من أعظم الرجال الذين عرفتهم وأحببتهم فى حياتى يوسف السباعى · كان يوسف السباعى فى عهد الطغيان هو مانعة الصواعق عن الأدباء ولولاه لدمر الأدباء فى مصر تدميرا كاملا شأن كل ما هو كريم مشرق فى حياتنا رحمه الله رحمة واسعة وتقبله بين الصديقين والشهداء ·

★★★

دق جرس التليفون فى بيتى فى أحد الأيام وكان المتحدث د· طلبة عويضة أمين عام الحزب الوطنى بالشرقية وأخبرنى أن الرئيس يريدنى أن أنضم الى الحزب الوطنى لانه يريد أن يرشحنى لمجلس الشورى · ولما كنت مؤيدا كل التأييد للسادات فلم أجد ما يمنعنى من الانضمام وأرسل الى الدكتور طلبة أوراق العضوية وانضممت الى الحزب الوطنى ·

وكلمت زميل دراستى الوزير حلمى عبد الآخر أن يرشح الحزب عبد الفتاح الشناوى فى المطرية ووعد خيرا · وعلمت بعد ذلك أن اسمى عرض فى اجتماع الهيئة البرلمانية لمجلس الشعب فى الشرقية · كان

الحزب قد ارتأى أن يعرض أسماء المرشحين فى كل محافظة على أعضاء مجلس الشعب بها • وكان الحاضرون فى الجلسة خمسة وعشرين عضوا عرفت أنهم وافقوا بالاجماع على ترشيحى فى مجلس الشورى فحمدت الله على هذه الثقة • وسافرت لقضاء المصيف بالاسكندرية ومن هناك وقبل ظهور الترشيحات بيوم واحد طلبت أخى المرحوم حلمى عبد الآخر لأطمئن على ترشيح عبد الفتاح الشناوى فقال لى :

ـ لن يظهر اسمه فى الترشيحات ولن يظهر اسمك أنت أيضا ••

فضحكت وقلت :

ـ أنا لم أطلب الترشيح لنفسى •

فقـــال :

ـ الرئيس الســادات قال ان ثروت أباظة لا يجوز أن يرشح عن دائرة واحدة فى القطر المصرى بل من حقه أن يمثل مصر كلها ولذلك فقد قررت أن يكون اسمه بين المعينين لا بين المرشحين •

وقد سعدت بهذا التقدير وحمدت الله أن وقانى من جهد الانتخابات المضنى •

وفى هذه الأثنــاء كان اتحاد الكتاب قد أعلن أنه يرجــو الرئيس السادات الموافقة على أن يكون الرئيس الفخرى للاتحاد • ووافق الرئيس السادات وكان رئيس الاتحاد فى ذلك الحين توفيق بك الحكيم وكنت نائب الرئيس وحدد لنا الرئيس السادات موعــدا للقائه واهداء وثيقة الرئاسة الفخرية له فى منزله بالمعمورة وكنا فى رمضان وتناول أعضاء الاتحاد طعام الافطار بنادى السيارات بالاسكندرية وكنت قد أعددت كلمة ألقيها أمام الرئيس وبعد الافطار قصدنا الى استراحة الرئيس واستقبلنا بكثير من الحفــاوة وأحببت أن أمازح توفيق بك الحــكيم الذى أجلسه الرئيس بجانبه فذهبت وملت على أذن الرئيس السادات فاذا بالرجــل العظيم يهب واقفا حتى لا أحادثه وأنا واقف وهو جالس فقلت له بصوت يسمعه توفيق الحكيم :

ـ أتعرف سيادتكم لماذا أنابنى توفيق بك فى القاء كلمة الاتحاد ••

ـ لمــاذا •

ـ لانه سيكتب ولا ينال أجرا على ما كتب •

وضحك الرئيس ملء فمه وقال لتوفيق بك :

ـ لماذا يعاكسك ابناؤك يا توفيق بك .

وضحك توفيق بك ..

وألقيت كلمتي وعلق عليها الرئيس السادات تعليقا كريما ومن طريف ما دار حول الكلمة أن عضوا من الاتحاد مشهورا بتفاهته سألني هل أنت الذى كتبت هذه الكلمة فلم أجب سؤاله وانما رويته على سبيل الفكاهة لصديقي سعد وهبة فضحك وقال :

ـ ان لم يكن أنت كاتبها فلابد أن يكون طه حسين هو الذى كتبها فهذا الأسلوب لا يكتبه الا هو .

وقد رويت هذه الواقعة لأظهرك على مدى التفاهة التى قد يصل اليها بعض مدعى الأدب .

ومن طريف ما حدث فى ذلك اليوم أن الرئيس السادات بعد انتهاء مراسم الاحتفال ظل بيننا يجوس الحديقة متحدثا للأدباء وأذكر أننى قلت له :

ـ يا سيادة الرئيس أنت أول انسان فى التاريخ يضحك على اليهود .

فضحك وقال :

ـ بيجن يقول دائما لن أنسى ما فعلته بى عمرى كله .

قلت له :

ـ يا سيادة الرئيس سيادتك غضبت من البيان الذى كتبناه بينما كان البيان من ضمن علامات التمويه التى استعملتها سيادتك بذكاء شديد قبل المعركة .

فضحك وقال :

ـ فعلا .. فعلا لك حق .

ولم يتركنا الرئيس الا بعد أن رجوته أن يصعد الى البيت حتى يصيب قدرا من الراحة بعد هذا الجهد فقال :

ـ شكرا .. لك حق .

وصعد ....

ولقيته بعد ذلك فى أوائل أيام اجتماع مجلس الشورى فى لقاء استدعانى اليه فازددت به اعجابا فى الاجتماع الذى لم يكن معنا فيه ثالث ٠

وانتهى المصيف وعدت الى القاهرة وفى يوم بينما كنت فى مكتبى بالأهرام طلبنى أخى أنيس منصور فى التليفون وقال لى أن الرئيس يهنئك بتعيينك فى مجلس الشورى فشكرت صديق عمرى ورجوته أن يشكر الرئيس باسمى ٠

أما كلماتى فى مجلس الشورى فقد نشرت بالجرائد ولا أستطيع أن أجمعها ولا أرى داعيا لذلك أيضا ٠

ولكن وقعت قصة طريفة أجد من حقها أن أنشرها ٠ فى احدى الجلسات تكلم أخى عبد الرحمن الشرقاوى وكنت أعارض كل ما قاله فوقفت بعد جلوسه لأرد عليه وأذكر أننى شددت عليه النكير وتكلمت بحماسة معارضا له ٠ وجلست وكان عبد الرحمن يجلس ورائى فى المجلس فغمز كتفى وقال :

- ألا تحب أن تشرب فنجان قهوة ٠

- أحب جدا ٠

- هيا بنا ٠

وخرجنا أنا وهو نرتشف القهوة ونتحدث فى كل شىء الا ما دار فى الجلسة ، وكان الأعضاء كلما رأونا دهشوا وأبدوا لنا تعجبهم من جلستنا معا فكنا نقول لهم اختلاف الرأى شىء والصداقة شىء آخر ٠

★★★

فى يوم مصر الحزين الذى فقدت فيه زعيما من أعظم زعمائها كنت فى سويسرا والله وحده يعلم كم بكيت وأمليت رثاءه بالتليفون من لوزان ٠ ولم أطق أن أكمل الفترة التى كنت مقررا أن أبقى فيها خارج مصر حزنا على السادات فقطعت اجازتى وعدت الى القاهرة ٠

وكان د٠ صبحى عبد الحكيم رئيس مجلس الشورى فى ذلك الحين قد أصيب فى ساقه فى يوم المنصة المشئوم فبادرت بزيارته فأخبرنى أن الرئيس مبارك يريد أن يرانى ٠

وكنت قد التقيت بالرئيس العظيم فى اجتماعات الحزب الوطنى وتكلمت أمامه حين كان نائبا لرئيس الجمهورية ومن أفضاله على وعلى

كتاب مصر أنني طلبت فى أحد الاجتماعات أن تعفى الحكومة الكتاب الأدبى من الضرائب أسوة بالكتاب الجامعى وكانت حجتى أن الكتاب الجامعى سيوزع حتما أما الكتاب الأدبى فمصيره مجهول ٠

وفى الاجتماع التالى أعلن السيد الرئيس مبارك :

ـ واعفينا الكتاب الأدبى من الضرائب علشان خاطر الأستاذ ثروت٠

وأذكر أننى تكلمت أمامه بضعة مرات وكنت ألمح فى وجهه رضاءه عن كلماتى ٠

فحين أخبرنى د٠ صبحى أن الرئيس يريد أن يرانى بادرت بطلب المقابلة وبعد أيام قلائل كلمنى صديق لى على صلة بالحزب الوطنى ليخبرنى أن الرئيس سيرانى فى الساعة الواحدة من يوم كذا ٠

وقبل الموعد بربع ساعة كنت فى مقر الرئاسة فلقينى الرجل الذى اصبح من أحب أصدقائى أخى جمـال عبد العزيز سكرتير الرئيس وفى ابتسامة مشرقة قال لى :

ـ انك ستقابل الرئيس ولكن لماذا تاخرت ٠

ـ كيف ان موعدى الساعة الواحدة ٠

ـ بل موعدك الساعة الحادية عشرة ٠

ـ لقد كلمنى فلان أخبرنى أن موعدى الساعة الواحدة وليس من المعقول أن أتاخر عن موعد مع رئيس الجمهورية ٠ وأنا أدور بالسيارة منذ نصف ساعة حول المقر حتى أحضر قبل الموعد بربع ساعة ٠

وضحك جمال بك وقال ان الذى كلمك لا شأن له بمواعيد الرئيس وعلى كل حال حصل خير ٠

ولقيت الرئيس العظيم ومنذ ذلك اليوم وأنا أشعر اننى أحظى بثقته لانه أدرك أننى لا أكذبه فى شىء قط وأدرك أيضا أننى غير طامع فى شىء على الاطلاق ٠

وكلفنى الرئيس العظيم بعد ذلك ببعض مهام أرى من حقه على أن أبقيها طى الكتمان فقد كانت جميعها لمصلحة مصر ومصر وحدها ، وفى يوم من الأيام فوجئت بالأسـتاذ سامى متـولى صديقى وزميلى بالأهرام يكلمنى فى بيتى :

ـ مبـــروك ٠

ـ مبروك ماذا ؟

ـ ألا تعلم ٠

ـ لا والله لا أعلم ٠

ـ لقد رشحك الرئيس لتكون وكيلا لمجلس الشورى ٠

ـ أنا لا أعرف شيئا عن هذا مطلقا ٠

وكان موعد نومي في القيلولة قد حان فدخلت حجرتي ونمت كأنني لم أسمع شيئا ، وحين صحوت أبلغني أهل بيتي أن الأستاذ كمال الشاذلي سأل عني وقبل أن أطلبه طلبني وقال وهو يضحك قائلا :

ـ انت نائم يا اخويا ٠

فضحكت وقلت :

ـ هل هناك مانع ٠

وأبلغني بنبأ ترشيحي لوكالة مجلس الشورى التي ما زلت أشغلها حتى اليـوم ٠

أيهـــا القـــارىء العـزيز :

هذه لمحات من حياتي ورأيت أن أقدمها بين يديك قبل أن يجف مني القلم وترتعش مني اليد ٠ ربما أكون قد أخفيت شيئا ولا شك أنني نسيت أشياء ولكني أحسست ان من حق القراء الذين وهبوا لي رضاءهم الذي أحيا به وله ؛ أن يعرفوا بعض الخوافي من حياتي ٠ وأحمد الله اليهم أنني اليوم لا أطمح الى أي منصب فان أي منصب سيقف حائلا بيني وبينهم الا هذا المنصب الذي أشغله اليوم ، والذي أقنع به كل القناعة لانه يتيح لي أمرين هما كل ما أعيش له ، **أولهما :** أن أخدم في مجلس تشريعي مصر التي أعبدها بعد الله عبادة محب مقدس أرضها وسماءها وشعبها وهواءها وكل ما فيها ، **أما الأمر الثاني :** فهو أن أظل ممسكا بهذا القلم ليكون صلة بينك وبيني وهي صلة أعتبرها أنا أكرم الصلات وأشرفها وأرفعها قدرا في صلات البشرية جميعا والحمد لله على الكثير الكثير الذي أعطى والقليل القليل الذي منع ، له الشكر والفضل على الحالين تقدست آلاؤه ٠

ثروت اباظـة

الأهرام في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٩٢

الموافق ٣ ربيع ثاني سنة ١٤١٣

المقالات

(جزء أول)

خلال الفترة من ٢٥ مايو ١٩٧٦ الى أول أغسطس ١٩٧٨

نشرت هذه المقالات فى جريدة الأهرام

حديث الى مولانا الامام الأكبر

انا من الكثيرين الذين يكنون للامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود كل اجلال واعجاب وتقدير فهو رجل فيه كبرياء العلماء وتواضعهم ينظر الى الدنيا مستصغرا وينظر الى وظيفته فى الحياة مكبرا وهو عف الضمير واليد واللسان ، عالم واسع العلم تتيح له ثقافاته المتعددة أن تكون نظرته شاملة عميقة • وهو لا شك من المعالم الاسلامية التى تشرف مصر فى جميع محافل العالم • ولهذا جميعه أتيح لنفسى أن ألقى بالمشورة فى ساحته فيما يتصل بفيلم محمد رسول الله الذى منع الأزهر عرضه • وقد كنت اتمنى أن يشاهده مولانا الامام الأكبر ليدلى برأيه بناء على المشاهدة • ففكرة عرض فيلم اسلامى ليست ممنوعة فى ذاتها فقد ظهرت قبل اليوم افلام اخرى لا تختلف فى مضمونها عن هذا الفيلم وان كان يفضلها فى الاخراج وروعته • ظهرت أفلام « ظهور الاسلام » و « فجر الاسلام » و « الشيماء اخت الرسول » وجميعها ظهرت بموافقة من الأزهر • كما أن الأزهر وافق لى على فيلم كلفتنى به مؤسسة السينما وأن كانت لم تنتجه بعد بعنوان قلوب فى السماء •• وهو فيلم اسلامى • وظهر أيضا فيلم باكمله عن « خالد بن الوليد » وآخر عن « بلال مؤذن الرسول ». وهما من الصحابة •• وكانت القاعدة التى يطبقها الأزهر الا يظهر أحد من العشرة المبشرين بالجنة •

ومثل هذه الأفلام تتيح للشباب أن يعرف تاريخ دينه من الوسيلة الاعلامية التى يقصد اليها • وقد كانت هناك مفاوضة معى أن أشترك مع كتاب هذا الفيلم ثم انقطعت هذه المفاوضة وانى أشهد الله والحق اننى ما كنت لأستطيع أن أضيف أو أعدل مشهدا أو كلمة من مشاهد الفيلم أو حواره •

وانى أرى الأعداء يتربصون بديننا من داخل الوطن ويلبسون عباءة الاسلام ويمسكون خنجره ثم يوجهون عدوانهم الى الدين والوطن ·· وانا رجل مؤمن عميق الايمان لم يختلج فى نفسى شك الا الذى يؤدى بى الى اليقين ·· ومولانا الامام الأكبر يعرف عنى هذا ·· وأنا مطمئن كل الاطمئنان الى قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولكن هـذا لا يمنعنا أن نرد كيد الكائدين ومكر الماكرين ·

وهم فى كيدهم يحاولون أن يجعلوا ديننا السمح الذى أمرنا أن نوغل فيه برفق يبدو دينا عسرا عنيفا يتمثل أمام الذين لا يعرفونه وسيلة تضييق وأخذ بالخناق فينهار اقتصادنا وتتحطم آمالنا فى الانتعاش المالى · فان المذهب الذى يلحدون اليه لا يلتقط أنفاسه الا من العفن ولا يتفرع وينمو الا فى الدمار ولا تثبت جذوره الا فى الأرض الخراب ·

وبعد يا مولانا الامام فان أخشى ما أخشاه أعداء يتخفون فى ثوب الأصدقاء ولكننى فى نفس الوقت مطمئن الى صدق نظرتك وجلاء بصيرتك وقد ارتضيناك لديننا اماما وشأننا واياك فى هذا الدين ان تأمر فنأتمر وتنهى فننتهى وتسمح فنترخص وأنت بما ارتضيناك له جدير ·

من العاملين واليهم ··

من العاملين واليهم ··· جاءنى خطاب من احد العمال يقول فيه : « اننى من خلال ملاحظتى ومن خلال استعمالى لوسائل النقل العام لاحظت أن بعض العاملين بالمؤسسة يتعاملون مع الجمهور باستهتار شـديد · فمثلا تقبل السيارة على محطتها وهى غير مزدحمة ولكن السائق يابى أن يتوقف رغم وجود الركاب بالمحطة ورغم اشاراتهم له ان يتوقف · كما رأيت السائق فى كثير من المرات يتوقف فى منتصف الطريق والعربة شديدة الازدحام ليشرب كوب شاى أو عصير قصب رغم وجود هذه الأشياء بنهاية الخط · ومثل هذه الأشياء تجعل الأزمة تبدو وكأن ليس لها حل على الاطلاق حتى لو زيدت السيارات وأصلحت الطرق ·· فان العيب الأساسى هم العاملون بمؤسسة النقل العام · بل ان تصرفاتهم هذه تضغط على أعصاب الجمهور وتستفزه الى درجة اليأس ·· » ·

وقد أحببت أن أنقل الخطاب الذى جاء الى بعباراته ·· فكلنا يعلم أن البلاد تمر بأزمة طاحنة · وكلنا يعرف أن السيارات العامة غير كافية وأن التليفونات غير صالحة وأن الخدمات العامة جميعها ناقصة لدرجة مثيرة ·· ولكن هذا جميعه يهون اذا لم يتسرب اليأس الى قلوبنا ·· وانى اذكر اننى كنت أتحدث الى وزير سابق قبل أن يخرج من الوزارة وقلت

له فى أثناء الحديث عن شأن من الشئون العامة ان هذا الأمر لابد أن يصلح فقال « نصلح أيه ولا أيه » والواقع أن الكلمة صدمتنى من وزير مسئول وأذكر اننى قلت ان كل سفر طويل يبدأ بخطوة ٠٠ والواقع اننى لا أرى الخطوة أبدا بل أحيانا أراها الى الوراء تستطيع الأيام أن تدمر التليفونات والكهرباء والطرق والمواصلات لكن ويل لنا وللأيام ان هى دمرت نفوسنا ٠٠ اننا أشبه بمن يدخل بيتا قائم الجدران راسى الأسس ولكن الأثاث بداخله حطام جميعه ولابد لنا أن نبدأ برفع الحطام لنضع الأثاث الجديد ٠٠ اذا ظللنا نبكى الأثاث المطحون واذا هالنا وتولانا اليأس فلا سبيل لنا الى تجديده أبدا ٠

وكم أكره هذا الكلام وأنا أكتبه فان النصائح الموجهة الى الجماعات كلمات ضائعة فكل انسان يعرفها وترديدها ثقيل على نفس الكاتب والقارىء جميعا ٠٠ ولكننا نحتاج اليها لنصل الى ما نريد ٠ فاننى أوجه هذا الكلام الى كل مسئول والمسئولون أقل عددا من العاملين بطبيعة الأمر ٠٠ وان هؤلاء المسئولين اذا لم يلجأوا الى القواعد العامة التي تؤكدها التشريعات السماوية والقوانين الوضعية فلا أمل لنا ولا لهم ٠ لابد من العقاب والثواب ولابد أن يكون العقاب فى أيام محنتنا هذه شديدا رادعا ٠ واننا لنعلم أن عمر بن الخطاب شدد العقوبة على الذين يخفون الطعام فى عام الرمادة وهى سنة القحط الشديد الذى ألم بالناس فى أثناء حكمه ٠ وقد سمى عام الرمادة لأن وجوه الناس أصبحت فى لون الرماد من شدة الجوع ٠

وقد استطاع عمر أن ينجو بالناس من الأزمة دون أن تلحق أذى بنفوسهم وأن ألحقت بأجسامهم الجوع والهزال وبوجوههم لون الرماد ٠

ونحن هنا نستقبل ما نحن فيه بنوع من اليأس اللامبالى ٠٠ ولعل هذا اليأس هو الذى يجعلنا لا نتحطم فى داخلنا ولكن اذا ألم بنا اليأس الماما يجعلنا لا نقبل على اصلاح ما بنا فعلى مستقبلنا العفاء ٠

ان أول بوادر الأمل أن تطبق قانون الثواب والعقاب ٠٠ وأن يعم هذا القانون جميع مرافق حياتنا وأنا غير يائس ٠٠ فمنذ قريب روى لى صديق كريم أن خطابا جاءه من مهندس رى فى بلدته يطلب اليه أن يرفع ماسورة تروى حديقته منذ زمن طويل ٠ وذهب الصديق الى وكيل الوزارة المختص فوجده رجلا غاية فى الكياسة والأدب ولطف الحديث واستمع الى شكواه واطلع على الخطاب وطلب المهندس الذى صدر الخطاب من ادارته وبكل هدوء قال له يجرى تحقيق فورى مع المهندس الذى أرسل هذا الخطاب لأنى أشم فيه رائحة أرفضها ٠٠ أنا فى انتظار التحقيق بعد يومين اذن فهناك رؤساء يعرفون أن فى توقيع العقوبة على المخطىء انصافا للناس جميعا وانصافا للعاملين الذين يؤدون واجبهم وارضاء لوجه الله ٠٠

بغير توقيع العقوبة لا أمل في اصلاح وان انهمرت على أرض مصر كل وسائل الخدمات الحضارية ·· وان رئيسا لا يوقع العقوبة يسيء الى مصر قدر ما يسيء العدو وهو أشد على مستقبل مصر خطرا من كل عدو يتهددها أو يتآمر عليها ·

ويل للانســان من نفســه

فى بعض الأحيان يسلط القدر الانسان على نفسه ·· فيكون هو شر عدو يلاقيه ·· وشر انواع العداء أن يعتقد الانسان أنه قمة رفيعة باذخة بينما لا يظن الناس به هذا الظن ، حينئذ هو فى دوار مخيف آخذ · لأن الحقيقة دائما واحدة ولكنها عنده مزدوجة · هو يراهـا من ناحية والناس جميعا يرونها من ناحية أخرى ·

هو يرى أن كل تكريم أقل مما يستحق والناس ترى أن كل تكريم له أكثر مما يستحق ·· حينئذ يصاب هذا المسكين بنوع من الترفع يقضى على الباقية له عند الناس ·· فان كان كاتبا كتب ما لا يفهمه الناس لأن الناس فى رأيه غوغاء وسائمة وعليهم هم ان يفهموا ما يكتبه وليس عليه أن يكتب ما يفهمون ·

وان كان تاجرا نظر الى الزبائن فى تكبر وترفع فهم عنه هاربون ، وهم من بضاعته نافرون وان كان يبيع لهم أنسام الحياة ·

وهكذا سيكون أمره أن مررت به على كل مناحى العمل فى الحياة ·

وهو شر ما يكون مع زوجه وأولاده ··

فان كانت زوجته ذكية وحاولت أن ترضى غروره تعذر عليها هذا واستحال لأنها مهما تبذل له من ارضاء لغروره لن يرضى فهو فوق كل تكريم وارفع من كل تعظيم وحسب زوجته الله ونعم الوكيل ·

أما مع أولاده فالمصيبة أدهى وأمر ·· فان الأولاد فى هذه الأيام لا يحبون أن يصدقوا أن آباءهم قمم كما كان أبناء الجيل الماضى ينظرون الى آبائهم فحين يرى الأبناء أباهم منتفخـا كالديك الرومى ولا يجدون ما يبرر هذا الانتفاخ ــ ان أمكن وجود مبرر لغرور عامة ــ فان الأبنـاء تصاب بنوع من الاحتقار لآبائهم وويل لأب يحقره أبناؤه ·

وعلى كل حال فان عقاب هذا النوع من الناس يكمن فى الخلق الذى يتخلقون به فهم فى صراع دائم بين واقعين ·· واقع يتوهمونه وواقع يراه الناس وبين هذين الواقعين يعيش هؤلاء فى حريق خفف الله عنهم ومنحهم على بلواهم الصبر أنه قريب مجيب ··

ويل للتاريخ من هؤلاء المؤرخين

في زميلة صباحية كتب الدكتور عبد العظيم رمضان مقالا يقول فيه ان ما نراه الآن من ابتذال وعنف وانحرافات ، انما تفرضه بقوة واقتدار أوضاع العلاقات الانتاجية في المجتمع .. واننا لا نستطيع ان نغير قيم المجتمع الا بتغيير علاقاته الانتاجية .

ثم راح يضرب المثل على ذلك أن قيم الامتلاك للمال أو للعقار ، خلقت مجتمع الجنس الجماعي وتبادل الزوجات .

أما النظام الاشتراكي الذي تسوده علاقات الملكية العامة للشعب ، فمن الطبيعي أن تختفي منه قيم الامتلاك لحد بعيد ، وأن تختفي معها الأمراض الاجتماعية الناشئة عنها .. ولا غرابة أن تختفي جرائم الجنس والرشوة والتلاعب باقوات الشعب ، وخلو الرجل ، وتتشدد القوانين في ذلك حتى تصل الى الحكم بالاعدام ..

أما بالنسبة للنظام الاقتصادي الاسلامي حيث المال مال الله لكل انسان حق فيه وليس لأحد أن يستأثر به [هكذا يقول المؤرخ الأمين] وتختفي منه بالتالي العلاقات الرأسمالية المستغلة فمن الطبيعي أن يفرز قيما أخرى يتضمنه قانونه الأعظم وهو القرآن الكريم .

ويسوق الأستاذ الجليل رأيا فريدا أن مصادرة الأموال حق على كل زيادة غير معقولة في الأموال حتى ولو كانت لمجرد الشبهة كما فعل عمر مع سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وأبي هريرة وعمرو بن العاص اذ أخذ نصف أموالهم دون مقابل وضمها الى بيت المال .

ثم يزداد الدكتور ايغالا فيما ذهب اليه قائلا بأن أصحاب الفضيلة في بلادنا يشنون غزوات دون كيشوتية ضد الشيوعية غافلين — كما يرى — ان الشيوعية هي التي تحمل روح الاسلام وتعاليمه .

ذلك هو مجمل ما قال الأستاذ الدكتور المؤرخ • وأنا الآن حائر معه • بأى اسلوب أجيبه • هل أخذ كلامه مأخذ الجد وأفنده بما يعرفه • أم أضحك منه وأترك كل مسلم وغير مسلم يشاركنى فى الضحك •

فبناء على رأى الأستاذ أصبح حتما علينا أن نسميها روسيا الاسلامية لا روسيا السوفيتية • وحتما آخر علينا ان نولى وجوهنا نحن المسلمين شطر الكرملين لتكون ثالثة القبلتين ونصدف عن الكعبة التى يلتف حولها أولئك الذين يحاربون الشيوعية عن غفلة منهم بما تحمله تعاليم الكرملين من اسلام •

المجتمع الرأسمالى فاسد • وما شأن هذا بتعاليم الاسلام • ثم اننا نعرف فســاده لأنه ينتقد نفســه حتى لنعرف كل خافية من أمره أما المجتمع الشيوعى فمغلق ومن يتنفس فيه بكلمة حق فمصيره الموت أو الطرد أو التشريد أو الهوان • ولو قلنــا ان الكتــاب مثل بسترناك وسلجستين ينشدون الحرية كل الحرية وأنهم ليسوا المقياس الذى يعتمد عليه فماذا نحن قائلون عن ساخاروف أبى القنبلة الذرية الذى وصف المجتمع الروسى وصفا أقل ما يقال فيه أنه يتنافى أو يتجافى مع وصف مؤرخنا المصرى الصميم •

وهل صحيح أن غريزة الامتلاك محيت من النظام الاشتراكى • فماذا عن حمام السباحة المغطى ذى الماء الدافىء الذى كان يملكه خروشوف • وماذا عن رئيسهم الآخر الذى يهوى جمع السيارات وكأنها طوابع بريد • وماذا عن الامتيازات الطبقية التى ينعم بها أعضاء الحزب بصورة لا مثيل لها فى أعتى الدول رأسمالية •

وما حكاية عمر هذه ؟! هل أنت مؤمن بها حقا أم هو تحطيم لكل شريف رفيع من مثلنا • ان ما طبقه عمر هو قانون « من أين لك هذا » وطبقه على عماله وبالطريقة التى رأى عمر أنها عادلة والتى لم يكن لها بديل فى ذلك العهد • أما لو كانت الأموال تصادر لمجرد أنها زائدة لصادر عمر عبد الرحمن بن عوف الذى ترك ذهبا كان يقسم بالفؤوس ووزع على أولاده العشرة أو الاحد عشر — لا أذكر — فأصبحوا جميعا أغنى أغنياء العرب ولم يصادرهم عمر • وأنت مؤرخ وتعرف خطبة الوداع « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ••• » وأنت مؤرخ ولابد لك أن تكون قد قرأت القرآن وما بى حاجة أن أذكرك « •• أهم يقسمون رحمة ربك • نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » سورة الزخرف ادع الى الشيوعية أيها الأستاذ ما شــاءت لك أمانتك العلمية أن تدعو

ولكنى أستحلفك ولا أدرى بماذا ولنقل بربك ماركس وبنبيك لينين أن تدع الاسلام وتبحث لك عن طريق آخر ان كان هناك لك طريق ٠

وقبل أن أنهى حديثى هذا اليك لى سؤال ٠

ان كان الاسلام حافلا بتعاليم الشيوعية ففيم أتعب ماركس نفسه ٠ ومن بعده لينين ٠ وفيم قتل ستالين أحد عشر مليونا من الكادحين من الشعب الروسى ليثبت دعائم الشيوعية ٠ ألم يكن ماركس قد درس الاسلام فيما درس من شرائع ليضع نظريته التى تنفى الدين عن الحياة نفيا تاما ٠ وان كان قد درسه ووجده كما ترى شيوعيا فى روحه ومجتمعه فلماذا احتاج الى انشاء نظرية جديدة لماذا لم يدع الى الاسلام وتنتهى المشكلة وتحقن الدماء ٠ وعلى أية حال ان الوقت لم يفت ٠ يستطيع الأستاذ المؤرخ أن يدعو الى مجتمع اسلامى ويترك المجتمعات الملحدة دون أن يحتاج الى هذا التعسف فى استخلاص النظريات وتحميلُ الوقائع التاريخية بما لم يخطر على بال أنها ستحمله ٠

تحية الى طالب أديب

● ● جاءنى خطاب من الطالب الأديب أحمد عبد المنعم القاضى وكم أنا شاكر له أن أرسل هذا الخطاب ٠ فان مثل هذه اللغة وهذا الالمام بالأدب العربى والثقافة عامة تجعل ظلام اليأس الذى يملأ نفوسنا ينعم بشعاع من الأمل ان بين الشباب من هو على وعى حقيقى بأدبه وبدينه وبثقافة بلاده وثقافة عصره ٠

وانى أريد أن أهمس فى أذن أديبنا الشاب ٠ ما اليك قصدت حين قلت أن الشباب يحتاج الى من يبسط لهم دينهم عن طريق العلم الذى يقبلون عليه ٠ فلو كان الشباب جميعا مثلك لوجدوا هم طريقهم دون تبسيط ٠ انما أنا أقصد تماما ذلك الشباب الذى جعل فيلما مثل « خلى بالك من زوزو » مستمرا فى العرض لمدة تزيد على ١٣ شهرا لذلك الشباب الذى لا يعرف أن ابن النفيس ــ كما ذكرت ــ هو مكتشف الدورة الدموية والذى لا يعرف أيضا أن ابن حيان هو أول الباحثين فى الكيمياء الحديثة والذى لا يعرف الصلة بين الكرسى وآية الكرسى ٠

فانت أيها الأخ الأديب لا تمثل جيلك ٠ أستطيع أن أتبين هذا من معلوماتك ومن لغتك على السواء ٠ ولعلك تتفق معى فى الرأى اذا عرفت أن خطابك هو أول خطاب يصل الى من طالب جامعى ليس فيه خطأ املائى ولا خطأ نحوى مما جعلنى أقرأه عدة مرات فرحا به متلمسا عندك كما قلت فى أول حديثى اليك شعاع أمل فى ظلام يأس ٠

وكما أردت أن تضحكني بأمثلتك ، دعني أضحكك بمثال من هـذه الخطابات • فقد جاءني البريد منذ أيام بخطاب شديد اللهجة يهاجمني أنا ونجيب محفوظ ويوسف ادريس • ويقول اننا جميعا نكتب ونظرنا الى السينما وانه قرأ على سبيل المثال « شيء من الخوف » فوجدها رواية هزيلة تافهة ثم رآها في السينما فأعجب بها وأن هذا شأنه مع كتب نجيب ويوسف جميعا ثم هو يتساءل في جدية • أين أيها الأساتذة القصص البوليسية ولماذا لا تكتبونها لو انكم حقا جادون •

واللغة طبعا من عندى فلا شك أنك أدركت أنه لم يستطع أن يقيم سطرا واحدا دون خطأ املائى أو لغوى •

هذا الشاب الذى لا يعرف قيمة الرواية البوليسية فى أدب الرواية هو يا أخى النموذج الذى أتحدث عنه • ومرة أخرى أحييك •

لابد للقـانون أن يستقر

●● قرأت خبرا هذا الاسبوع ان هناك اتجاها جديدا الى تغيير قانون الجمارك بالنسبة للسيارات بعد أن تبين للمسئولين أن القانون الحالى يتيح فرصة لبعض الناس أن تشترى بغير سبب •

وقد يكون ما تبين للمسئولين صحيحا • ولكن لماذا لم يقدر المسئولون هذا حين وضعوا القانون بادىء ذى بدء • ان الشرط الأول فى القانون أن يتمتع بالدوام والاستمرار وكثرة تغيير القوانين معناها أننا نعيش فى بلد بلا قانون على الاطلاق •

وان بقاء القانون مع استغلال بعض الناس له خير ألف مرة من تغيره فى كل شهر مرة •

ان مثل هذه القوانين تمثل اقتصاد البلاد والحالة القانونية فيها • ولا يمكن أن نتصور أموالا تأتى الينا وهى تشعر أنهـا قادمة الى بلد لا يستقر فيها القانون على حال •

ان المشرعين عندما يعرفون تماما معنى أن يتغير القانون • ومهما يكن الضرر المتحقق من قانون ما فانه أقل أثرا من الاضطراب العام الذى يجعل المال الأجنبى مذعورا فهونا ما فليس الأمر بهذا القدر من السهولة • أنه مستقبل شعب بأكمله • ولابد أن يعى المسئولون الذين يغيرون القوانين أى خطر يشيع من هذا التغيير الذى لا تبدو له نهاية •

الأهرام فى ٢٥ مايو ١٩٧٦

اثنين فلاج ٠٠ وهات مليم

جيل يستشرف اليوم خمسينات حياته ٠ مظلوم نحن جيل الأربعينات الذى ولدنا فى أواخر العشرينات ٠ وحين جاءت الثلاثينات التى كان الجنيه فيها يشترى عمارة ويبقى منه ما يشترى بيتا كنا نحن أطفالا وكان الحصول على القرش فى ذاته عملية تحتاج الى مناورة ومداورة ٠

وكنا فى هذه السنوات نحب أن نتفرج على السينما ٠ وكان أهم ما فيها حلقات الشجيع تومكس وغيره من مشاهير الأبطال ٠ وكنت أظل الأسبوع كله حريصا أن أبقى على قرش لى وقرش لزميل طفولتى ابراهيم الذى جاء من البلدة خصيصا ليكون رفيق ملعبى ٠

ثم نتعرض بعد ذلك للرعب الشديد ان يلحظ أحد تغيبى وتغيبه عن البيت فترة الساعات الثلاث التى نقضيها بالدرجة الثالثة من سينما الأهلى حتى اذا كبرت بعض الشىء ولم أعد احتاج لمن يلاعبنى دخل ابراهيم الى المطبخ سالكا طريقه الى أن يكون واحدا من خير الطهاة فى الأسرة وأتممت أنا رحلة الشقاء فى الدراسة ٠

وحين ألم بنا الشباب فى بواكيره الأولى التقينا به شبابا أسود لا نور فيه فقد أقبلت الحرب العالمية الثانية وأطفئت أنوار القاهرة أطفىء معها نور شبابنا ولولا أن رمت بنا الهواية الى الأدب والقراءة لقطعناه شبابا فارغا لا تداعبه أى منفعة ولا صخب ٠ ولكننا نحن الذين أحببنا الأدب وانصرفنا الى قراءته وجدنا متعتنا وضجيجنا جميعا فى القراءة وكنا نجتمع فى بيت أحدنا نناقش ما قرأنا ويمتد بنا النقاش حتى الوهن الأخير من الليل فنقوم الى بيوتنا وننقلب الى أهلنا وقد أوهمناهم أننا كنا نذاكر ٠

وفى ليلة سهرنا فى بيت صديقنا الأستاذ عثمان نويه الذى كان بمثابة الأستاذ لنا ولكن حبه للأدب كان يجعله يشاركنا فى حديث طه حسين

وتوفيق الحكيم والعقاد والدكتور حسين هيكل تاركين مربع أرسطو والمنطق والفلسفة والجغرافيا ٠

وأوغل بنا الليل والوقت صيف والنسمة رخاء وقمنا وقام معنا صاحب البيت لنمشي على غير هدى ٠

ولم أجد معي سجائر وقد كان العثور على سجائر فى هذه الأيام ضربا من المعجزات، ولهذا ظللت بخيلا بها حتى اليوم ٠

ووجدت دكانا يتخفى وراء الظلام ينير مصباحا خجولا يحيط شعلته باسطوانة ورقية من بقايا علبة سجائر قديمة ٠ وكان باب الدكان لا يزيد عن ربع ضلفة من ضلف الأبواب العادية ٠

ـ عندك سجائر نمرة ثلاثة ٠

ـ لا ٠

ـ عندك بحارى ٠

ـ لا ٠

ـ كرافن ايه ٠

ـ لا ٠

ـ ملك مصر أو سفير ٠

ـ لا ٠

وانغمست فى حديثي مع صاحب الدكان وتناسيت أمر من معى حتى وجدت يدا تبعث من الظلام تحمل نصف قرش وتضعه على منضدة البائع لتقول فى حسم :

ـ اتنين فلاج وهات مليم وحياة أبوك ٠

أدرك الأستاذ عثمان أننى أحادث الرجل بلغة لن يفهمها ٠ فلو كان عنده شيء مما ذكرت لما سهر الى آخر الليل ليهتبل ربحا لن يزيد عن ملاليم ٠ وأراد الأستاذ عثمان أن يعلمنى اللغة الصحيحة التى يمكن أن يفهمها ٠ اثنين فلاج وهات مليم ٠

أى أنه يعرف الثمن تماما وقد تعلمت الكثير من هذه الجملة البسيطة التى طالما ضحكنا منها بعد ذلك ٠

لمن أتكلم وماذا أريد أن أقول وكيف أصل بما أريد الى فهم من أكلمه • تلك هى مشكلة المشاكل أمام الكاتب أو المتحدث •

تستطيع أن تكون أستاذا عظيما فى الادب ولكن هذا لا يجعلك بالضرورة تعرف اللغة التى تخاطب بها من تخاطبهم • فهناك كلام يقال فى المدرج بأسلوب معين وألفاظ بذاتها وهناك كلام يكتب فى المجلات للندوات العامة • ومعرفة كل مجال وما يتطلبه من كلام هو الأساس الذى تستطيع به أن تصل الى الناس •

ولكن كثيرا من الأساتذة يكتبون فى الجرائد اليومية ما لاتحتمله الا المجلة المتخصصة وكثير منهم يكتب فى الكتب كلاما لا يسوغ الا فى الجرائد اليومية • وتختلط الأمور عليهم وعلى قرائهم ويقعون فى أحابيل « الأستذة » ويقع الجمهور فى أحابيل الخوف من التصريح بعدم الفهم • حتى لا يقال عنهم جهلاء ويصبح الكلام فى الهواء لاقيمة له ولا يجد له فاهما •• كم يحتاج هؤلاء الأساتذة الى عثمان نويه ليقول لهم اتنين فلاج وهات مليم وحياة أبوك •

دعوة كريمة من أستاذ كريم

كم كان أستاذنا زكى نجيب محمود رائعا فى مفكرته الأخيرة • وانى واثق أنه لم يصدر فى دعوته الى انقاذ تلميذه عن روح الأستاذ بقدر ما يصدر عن روح الانسان • فلكل أن يعتنق المذهب الذى يشاء وله أن يدافع عنه بكل المنطق الذى يملكه • ولكن ليس لاحد أن يصادر رأيه أو يعذبه لانه صاحب رأى •

ان الانسان هو أكرم ما خلق الله وأى مساس بحريته أو بجسمه أو بمشاعره انما هو وحشية وهمجية وانتكاس الى أبشع ما عرفته البشرية من عهود •

فليكن تلميذ أستاذنا هذا شيوعيا أو فوضويا أو ما يشتهى أن يكون انه وحده صاحب الحق فى تكوين عقيدته ولا سبيل لاحد عليه الا بالنقاش الحر ودفع الحجة بالحجة والرأى بالرأى • أما أن يكون النقاش باعتقال الحرية وأن يكون رد الحجة بالاعتداء على كيانه البشرى ويكون دفع الرأى بالتهديد فى النفس أو العرض أو المشاعر فذلك أمر تأباه الانسانية التى تسود هذا العهد الذى نعيش فى ظله •

أنا لا أعرف صاحب هذه المشكلة كما أنني حين قرأت مقال الدكتور زكي لم أهتد اليه ولكنني سمعت البعض يرددون اسمه وظللت مع ذلك لا أعرفه ولا أذكر انني التقيت به الا أنني عرفت أنه يعاني هـذا الذي يعانيـه منـذ نحو عشر سنوات فهو اذن قطعـة منسيـة من عهـد مضى والحمد لله ·

وانني واثق أن الدكتور زكي في ندائه انما يستثير المشاعر الكريمة التي يعرفها في القائمين بالأمر الآن ولا شأن للدكتور زكي أو لي بالناحية الطبية أنما الذي ننشده أن ننظر في حالة هذا المستغيث جماعة محايدة من الأطباء · واننا واثقون بضمائر الأطباء أما أولئك الذين كانوا يشرفون على المعتقلات فما هم من الأطباء ولا من الطب في شيء ·

والنظرية القانونية تقول ان الشريك في الفعل مثل فاعله · ولكن الوزر الذي يقع على كاهل المشاركين في التعذيب من الأطباء أكبر من وزر الشريك العادي فالمفروض في الطبيب أن يكون رحيما فهو الذي يأسو جراح الجسم والنفس فان أهمل فهو مجرم أما أن ساعد من يحطم الجسم ويسحق النفس فهو شر من مجرم ·

وعودا الى دعوة أستاذنا أحييه من أجلها وان كانت ليست غريبة على من هو في مثل خلقه الرفيع وثقافته العالية ·

الأهرام في ٢٢ يونيو ١٩٧٦

اقتراح الى التليفزيون

ترى هل فكر التليفزيون فى تسجيل التراث الأدبى من المسرحيات الشعرية والأعمال الأدبية الكبرى •

انى أقدم اليه هذا الاقتراح راجيا أن يبحثه •

لماذا لا تمثل روايات شوقى جميعا وروايات عزيز أباظه • وروايات الشرقاوى وصلاح عبد الصبور فى التليفزيون وانى واثق أنها ستجعل للتليفزيون رصيدا ضخما هو فى أشد الحاجة اليه كما أنه سيبيعه الى جميع تليفزيونات العالم العربى

واذا أضفنا اليها روايات الأستاذ على أحمد باكثير النثرية مع تسجيل ما لم يسجل من روايات رائد المسرح العربى توفيق الحكيم فاننى أعتقد أن روايات أستاذنا الحكيم وباكثير لا تقل كثيرا فى مستواها الفلسفى والفكرى عن مدرسة المشاغبين •

ولماذا لا يسجل التليفزيون روايات الريحانى على أن يقوم بتمثيلها كبار ممثلى الكوميديا وخصوصا فؤاد المهندس تلميذ الريحانى الأول •

ألا يكون هذا الاقتراح للتليفزيون مكتبة رائعة تغنيه لمدة عامين أو ثلاثة عن هذا الحرج الذى يعانيه والذى ينعكس على المتفرج المسكين كمدا وغيظا وألما وحسبنا الله ونعم الوكيل •

وكلمة احب أن أهمس بها للتليفزيون مادمت أتحدث اليه • ترى هل شاهد أحد الحلقة التى سجلتها أحدى المذيعات مع الفنان وائلى • ترى هل نسيت السيدة الفاضلة المذيعة أن هذه الحلقة تذاع فى بلد عربى اسلامى له تقاليده وأخلاقه وقيمه ولا أحب أن أفصل ما أجملت حتى لا أحرج نفسى ولا أحرج الفنان ولا أحرج التليفزيون أكثر مما هو محرج دائما • فان هناك أسرارا فى حياة الناس ينبغى لها أن تستتر ويجمل بمن يثيرها أن يكون رفيقا فى مسها ان كان لها أن تثار •

الاهرام فى ٢٩ يونيو ١٩٧٦

حـــواديت وملحوظة

الحر شديد شديد • والحديث الجاد ثقيل على المتحدث والمستمع معا • فما على لو حكيت لك بضع حواديت وما عليك لو انك قرأت ما أكتبه لك للتسلية ولازجاء الوقت •

هاتان حكايتان من صنـــع الحياة ولعلك تريـــد أن تسأل فلمـــاذا لا تصوغهما في قصتين وهذه بضاعتك ؟!

غير انى لا اجد فيهما شيئا أستطيع أن اصوغ منه قصة • فالحياة قد صاغت كلا منهما ولم تترك لى مجالا لاجتهاد •

ثم أنا أخشى اذا صغتهما أو صغت واحدة منهما أن تسألنى بطريقتك المعهودة « ماذا تريد أن تقول بقصتك » وانت محق • فانـــه لابد لى أن أريد شيئا من قصتى أما الحياة فانها تؤلف كما تشاءولا يجرؤ أحد أن يسألها ماذا تريدين • فهى غير حريصة على ارضائك ولا على ارضاء أحد • وهى ليست ملزمة أن تقدم لك حكمتها عن كل قصة تؤلفهـــا • فللحياة حكمتها الكلية الخالدة وليس يعنيها أن تكون لكل حـــكاية صغيرة لها حكمة قائمة بذاتها •

الحكاية الأولى : صداقة ساعات

عن صديقنا على • كان منذ أيام فى النادى وتعرف هناك بصديق جديد هو خيرى وحدث بينهما هذا الشيء الذى يحدث كثيرا بلا معنى ولا تبرير • أحس كل منهما أنه يعرف الآخر منذ سنوات • وفى لحظات أصبحا صديقين حميمين •

ـ أين تسهر الليلة •

ـ عند عصام ٠

ـ الله ٠٠٠ أنا الأخر مدعو عنده ٠

ـ نذهب معـا ٠

ـ لا بأس ٠ أترك سيارتى هنا ونذهب معـا ٠

وذهبا وظلا رفيقين طوال السهرة ٠ وازدادت الصداقة بينهما قوة ، حتى قارب موعد الرحيل فقالت ربة البيت ٠

ـ الهام ستأتى الآن ٠

وقال خيرى لعلى :

ـ أظن أنه حان موعد قيامنا ٠

وقال على :

ـ مستحيل لابد ابقى ٠

ـ لماذا ؟

ـ لارى الهام هذه ٠

ـ أتعرفها ؟

ـ دون أن أراها ٠

ـ كيف ؟

ـ انها صديقة لصيقة لابن عمى ٠

ـ ماذا تقصد بصديقة لصيقة ٠

ـ أى معنى تريد أن تفهمه ٠

ـ ولكنها متزوجة ٠

ـ وتريد أن تترك زوجهـا لتتزوج ابن عمى المجنون بها والذى ينفق عليها عن جنون ايضا ٠

ـ هل أنت واثق ٠

ـ اقول لك أنه ابن عمى ٠

ومرت صاحبة البيت بالصديقين ٠

ـ على أريدك ٠

وقام اليها وهمست ٠

ـ ماذا تقول لخيرى عن الهام ؟

ـ حكايات ٠

ـ سمعتك تتكلم عن الهام ٠

ـ من ضمن الحكايات ٠

ـ ماذا قلت له ؟

ـ أروى له عن حكايتها مع شريف ابن عمى ٠

ـ نهارك أسود ٠

ـ لماذا ؟

ـ لانه هو زوجها وهما مختلفان فى هذه الأيام ٠

ـ لماذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ أين باب الخروج ٠

وهكذا لم تستغرق الصداقة الجديدة أكثر من ساعات فى حياة الصديقين ٠

أى حكمة فى هذا لا أدرى ٠ أستطيع طبعا أن استخرج لك بعض حكم سخيفة ٠ لا تتحدث عن النساء اذا كنت لا تعرف من تتحدث اليه معرفة وثيقة ٠ أو حكمة أخرى أكثر سخافة ٠٠ لا تتعجل بالصداقة أو ما شئت ولكن المؤكد أن الحياة لم تقصد الى أى حكمة تريد أن تسمعها أو أحاول أنا أن أفتعلها افتعالا ٠

الحكاية الثانية : الزواج والقدر

لعلنى لم أعرف فى حياتى شخصا احب زوجته قدر ما كان عبد الحميد يحب زوجته فقد كان دائم الفخر بها والاكرام لها ٠ وكان سعيدا أنها تفصل له قمصانه وأنها أيضا تعاونه على العيش بالتدبير ٠ وكان يرى فيها الجمال الذى لا يراه فى أحد سواها ٠ ولم يكن عبد الحميد ساذجا ولا عبيطا ٠ وانما مارس الحياة ومارسته وعرف فيما قبل الزواج كل ما يعرفه الشباب قبل الزواج من لهو ومتعة بل ولعله بالغ بعض

الشيء في لهوه ومتعته • حتى اذا تزوج أصبح لا يعرف غير زوجته وعمله والصلاة والصوم والعبادة أعمق ما تكون العبادة •

وكنا حين نلتقي بعبد الحميد نصبح على ثقة أن الحديث لن ينقضي أو يأتي بذكر زوجته مرتين أو ثلاثا على الأقل • ولما كان يكبرنا في السن فقد كنا نخجل أن نعلق على حديثه هذا بغير ما يحب •

حتى كان يوم سمعنا فيه عجبا •

لم تكن زوج عبد الحميد أهلا لهذا الحب وهذا الوفاء •

وقد اكتشف هو الحقيقة المروعة ولكنه ظل ثابتا كالطود واجدا في صلاته وصيامه ملاذه الذي يلوذ به من النكبة النكباء التي تزلزل الجبال الشم •

كانت زوجته شابة في ريعان العمر ولم يكن هو يسبقها في العمر بسنوات كثيرة فكان عدم وفائها لاتبرير له الا أنها نوع من النساء لا يعرف كيف يكون وفيا •

طلق زوجته • ومشت الحياة •

وعرفت سيدة فاضلة تصلح زوجة لعبد الحميد • الا أنني أخشى أن أتدخل في مثل هذه الأمور فان الصلة بين الزوج وزوجه صلة لا مثيل لها في الصلات وأخشى أن تكثر بينهما المشاجرات فيلعنني كل منهما في كل مشاجرة وأنا احب أن ألعن بغير مناسبة •

الا أنني استخرت الله وقلت أقوم بالتجربة •

عرضت الأمر على عبد الحميد فرحب •

وعرضت الأمر على السيدة وأهلها فقالوا لابد للعريس أن يعلم انها لا تنجب فقد تزوجت من قبل ولم تنجب •

سألته فقال :

ـ وأنا أيضا تزوجت من قبل ولم أنجب ولا حاجة بي الى الانجاب وتزوجا • منذ خمسة وعشرين عاما تزوجا •

وقبل أن ينقضي العام الأول جاءني عبد الحميد •

ـ لن تصدق •

ـ ماذا ؟

ـ زوجتي •

ـ مالهـا ؟

ـ حامل ٠

ـ غير معقول !

ـ تلك ارادة الله ٠

ـ أجاد أنت ؟

ـ تلك ارادة الله ٠

ثم انجبت زوجته فتاة أسمياهـا أسما حبيبا الى وكأنمـا أرادا أن يشعرانى أنهما لا يلعنانى كثيرا والفتـاة الآن فى السنوات الأخيرة من الجامعة ٠

ولكن الحكاية لم تنته بعد ٠

لم يمر على زواج عبد الحميد عام وبعض عام حتى جاءنى ٠

ـ لن تصدق !

ـ ماذا ؟

ـ زوجتى الأولى ٠

ـ مالها ؟

ـ ماتت ٠

ـ كيف ؟

ـ مسكينة ٠٠٠ ماتت لأن زوجها رفض أن يأتى لها بطبيب ٠

ـ زوجها ؟!

ـ نعم فقد تزوجت الفتى الذى كانت تعرفه ٠

ـ اذن ٠

ـ مسكينة ٠٠٠ يرحمها الله ٠

وانحدرت من عينه دمعتان فهو وفى غاية الوفاء حتى لمن لم يف له ٠ فى هذه الحكاية انقلبت الحياة الى قصاص ميلودرامى الحكمة عنده يقولها بصوت جهير حتى لا تحتاج منى الى أى توضيح ٠ ومع ذلك لو كنت أنا الذى ألفت هذه القصة لما نجوت منك ولظللت تقول ما لهذا الكاتب أصبح ساذجا لا يعرف حتى كيف يروى قصته فى فنية أو بعض اتقان ٠ لهذا تركت الحياة تقدمها اليك لم أتدخل أنا وهل ترى انى أستطيع أن أتدخل !

ليست حكاية وانما ملحوظة

فاز الحزب الشيوعى الايطالى بحوالى سبعين كرسيا فى الانتخابات الجديدة • ولكن العجيبة ان الحزب الشيوعى نال هذه الكراسى لأنه قدم للناخبين برنامجا ضد الشيوعية •

وعلى الذى يعجب معى من هذه الملحوظة أن يرجع الى الوعود التى قدمها الحزب الشيوعى الى الناخبين •

الاهرام فى ١٩٧٦/٧/٦

القانون هو الحياة والحرية

من القواعد القانونية الأساسية انه لا جريمــة ولا عقوبة الا بنص ومعنى ذلك أن القانون وحده هو الذى ينشىء العقوبات على الجرائم وهذه العقوبات هى فى الواقع التى تحدد الأعمال المجرمة والتى لا يجرمهــا المجتمع ، واذن فالعقوبة وحدهــا هى التى تجعل الفعل جريمــة أو غير جريمـــة •

والمجتمع بغير عقوبة مجتمع بلا قانون والمجتمع بلا قانون فوضى فتوقيع العقوبة وحده هو الذى ينقذ المجتمع ويجعله صالحا أن يعاش •

ولا حياة بغير قانون • اذا اختفى القانون اندحر الاقتصاد وسقطت الحياة جميعا •

والنا نتكلم كل يوم عن العقاب والثواب • ثم لا نرى الا الثواب دون العقاب • نسمع عن السرقات ولكن المحاكم تتراخى فى اصدار الأحكام • ولا جناح عليها ولا تثريب فان القضايا تثقل كاهلها وتضطر تحت أثقال القضايا أن تتأخر فى نظر قضايا المال العام فيزداد اللصوص جرأة عليه ويزداد الصمت صمتا والتستر تسترا • لابد أن تنشأ محاكم خاصة • ومن قضائنا نفسه لا من غيره • وتتفرغ هذه المحاكم لقضايا الأموال العامة • وأرجو أن تكون أحكامها محاطة بكل الظروف المشددة والقانون لا يحتاج الى تعديل فالعقوبة على السارق الذى كان مؤتمنا على الشىء المسروق أشد بطبيعتها من العقوبة على من لم يكن مؤتمنا عليه •

بهذه الأحكام سيرتدع المجرمون • وبشىء آخر لعله أكثر أهمية • أن يحاسب مجلس الشعب كل من يعرف عنه فسادا • ولكن ترى هل يستطيع أعضاء مجلس الشعب أن يحاسبوا على الفساد • أو على الأقل هل يستطيع الموظفون منهم أن يحاسـبوا وزراءهم • فمن عجب ينبت

صوت يقول أنه ليس من الحتم أن تأخذ بما تأخذ به الدساتير الأخرى من عدم السماح لعضو مجلس الشعب بالجمع بين الوظيفة وعضوية المجلس . ولو أنعم صاحب هذا الرأى النظر متجردا من كل الدوافع فيما عدا الحق الذى يعرفه ويحيد عنه لوجد أننا لا ندعو هذه الدعوة لمجرد اجماع الدساتير عليها وانما لأن الموظف عند الوزير لا يستطيع مساءلة الوزير والقوانين لابد لها أن تراعى المشاعر البشرية الطبيعية .

أما القول بأن أعضاء مجلس الشعب سيلقون التشريد والهوان اذا هم لم يجمعوا بين عضوية المجلس وبين الوظيفة فأمر يدعو الى الدهشة . ان كان المقصود انهم بعد انتهاء مدة عضويتهم سيلقون هذا التشريد وهذا الهوان فما أيسر أن تهيىء الدولة لهم العودة الى الوظائف التى كانوا يشغلونها مع العلاوات المستحقة أيضا . أما اذا كان المقصود أن التشريد سيحيق بهم وهم أعضاء فهو أمر بعيد الاحتمال فان مرتب عضو مجلس الشعب أصبح فى ذاته حصانة التشريد والهوان وخاصة اذا نظرنا الى التسهيلات العديدة التى يحصل عليها أعضاء مجلس الشعب على أنه لا حرج على الدولة أن ترفع مكافأة عضو مجلس الشعب الى ضعفيها أو ثلاثة أضعافها بشرط ألا يجمع بين الوظيفة والعضوية أن الجمع بينهما الغاء تام للديموقراطية وعدم الجمع تثبيت لركن من أهم أركان الديموقراطية التى تقوم على محاسبة السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية .

خطاب فى البريد

سيدة لم تذكر اسمها ولكنى أقدم حالتها الى وزير عرف بين الناس بالعدل المطلق وبالانسانية . وهو الفريق الجمسى .

انها زوجة تزوجت زوجها وهو معفى من التجنيد واطمأنت بهما الحياة وأنجبا ثلاثة أطفال ولكن بعد ثلاث عشرة سنة فوجئا بقانون ظهر وطبق بأثر رجعى مؤداه أن يرتفع سن المطلوبين للجندية الى الخامسة والثلاثين . وهكذا وجد الشاب الذى مضى على زواجه ثلاثة عشر عاما نفسه مطلوبا للجندية ووجدت الأسرة نفسها ضائعة كهباءة هائمة . وسارعت زوجته تكتب مأساتها الى مجلس الشعب وأرسلت صورة من خطابها الى .

والسيدة ذات كرامة فهى لم تذكر اسمها أو اسم زوجها جاعلة من الأزمة التى تعانيها مشكلة عامة جديرة بالاهتمام دون نظر الى أسماء .

وانى واثق أن الفريق الوزير سيجد حلا لهذه المشكلة التى لا شك أن كثيرا من الأسر تعانى منها عناء شديدا ٠

رجال الفكر والتماثيل

يعتبر رجال الفكر في جميع أنحاء العالم المصابيح الذين سارت البشرية على هداهم ٠ وكلما زادت الحضارة فى دولة زاد اعتزازها برجال الفكر والأدب فيها ٠

وما من دولة زرتها فى أوروبا الشرقية أو الغربية الا وجدت تماثيل الأدباء ورجال الفكر ترصع ميادينها شهادة على أنها دولة ذات سبق فى ميادين الفكر والفن ٠

البلد الوحيد الذى تتخفى فيه تماثيل رجال الأدب والفن وراء الجدران هى مصر ٠ تماثيل قليلة ومستورة أيضا وكأنما نخجل أن بلادنا قد ولدت رفاعة رافع الطهطاوى ومحمود سامى البارودى وأحمد شوقى وطه حسين وسيد درويش وغيرهم ممن تركوا بصمات فنهم على الفن العربى جميعه ٠

وقد ذكرنى ما كتبه القصاص الرائد يوسف جوهر فى مفكرته يوم الأحد الماضى بهذا التقصير الذى نصر أن نكافىء به مصابيح حياتنا الفكرية والفنية والذين على مشرق هداهم ثمار الأدب والفن فى مصر وفى البلاد العربية جميعا ٠

وفوجئت فى مفكرة الأستاذ يوسف جوهر أن قاعدة تمثال ميدان التحرير خالية ٠ وكأنى لا أمر فى ميدان التحرير عشرات المرات فى اليوم الواحد ولكن الفراغ دائما لا يوحى بشىء ٠٠ كانت القاعدة الخالية تتمثل لى وكأننا نبنى تمثالا للفراغ أو للاجداب أو للا شىء ٠ وعندنا العمالقة والرواد والشموس ٠

وانى أتقدم باقتراح أن نقيم على هذه القاعدة الخالية تمثالا لآخر من تركنا من الخالدين ٠ وهو الدكتور طه حسين ٠

لن نخلد طه حسين بتمثال فى ميدان التحرير ٠ وانما سنخلد العبقرية المصرية التى تخرج الأدب العربى الحديث على يديها ٠

بمثله تشرف مصر ٠ ومثله فى مصر ممن يستحقون التماثيل المعلنة كثيرون علينا أن نجد لتماثيلهم الميادين فى الأيام القادمة ٠ وانما المهم أن نبدأ ٠

لا تستوى الحسنة ولا السيئة

أمر السيد محافظ القاهرة الا تسـير لحوم الذبائح مكشوفة فى الشوارع وهو أمر جدير بأن يهنأ عليه السـيد المحافظ • والحديث عن بشاعة هذا المنظر ومجافاته للذوق يجعل الموضوع وكأنه يحتاج الى نقاش أو كأنما يختلف فيه رأى ورأى •

والقائمـون بالعمـل التنفيذى بشر يضيقون بالهجوم ويسعدون بالمديح • وكان من الطبيعي أن تؤيد الصحافة هذا العمـل من السـيد المحافظ • ومن لا يريد أن يؤيد فلا جنـاح عليه اذا هو صمت • اما ان يتخذه بعض رسامي الكاريكاتير مادة للسخرية فهو أمر يدعو الى الدهشة والألم فى نفس الوقت •

لماذا تستوى الحسنات والسيئات • وكيف يقبل هؤلاء البشر من القائمين على السلطة التنفيذية على أعمالهم اذا هم وجدوا أعمالهم جميعا الطيب منها وغير الطيب محل نقد وسخرية •

انى اهنىء السيد المحافظ على هذا الأمر الذى أصـدره • وأتمنى لو زاد وأمر أن تغطى عربات القمامة التى نفتح عليها عيوننا فى الصباح فتذكرنا بتأخرنا وتقدم العالم وتذكرنا وتذكرنا •

ان كان لابد ان تكون القمامة فى عربة صدئة يجرها حمار أكثر صدأ فلا أقل من غطاء يذود عن العين والنفس والمشاعر ما تكره •

وبالمناسبة فهمت انه لا سبيل الى الغاء عربات الكارو فجـأة دون تمهيد لأن التموين يعتمد عليها وفهمت أنه لابد من عام أو عامين حتى يمكن الغاؤها • ولكن أليس من المستطاع أن تحدد لها مواعيد سير أو مواعيد عدم سير • وهذه الدراجات غير البخارية التى تحمل فوقها سيارات نقل والتى تتسبب هي وأخواتها من عربات الكارو فى اختناق المرور والناس جميعا •

ويكفى أن أقول اننى أقطع الطريق من بيتنـا الى الأهـرام فى عشر دقائق ماشيا وأقطعه فى خمس وأربعين دقيقة بالسيارة حتى نعرف فضل العربات الكارو وما يسمونها بالتريسكلات على أعصابنا ولا حاجة بنا ان نقول أوقاتنا فقد أصبح هذا الوقت سيفا يقطعنا دائما ولا نملك ان نقطعـه •

الأهرام فى ١٩٧٦/٧/١٢

من الحقيبة الانتخابية

قبل موعد الانتخاب بيومين جلس أصدقاؤنا يكتبون أسماء المندوبين فى لجان بندر الزقازيق وكان اعتمادهم الأكبر على الأستاذ ابراهيم السباع الموظف الكبير وكانت عملية اختيار المندوبين عملية أساسية حتى لقد طلبت الى الأصدقاء الذين يشاركون الأستاذ ابراهيم ان يتفرغوا لعملهم تماما حتى يتم ٠

وذهبت أنا لشانى وعدت الى البيت فى آخر الليل فعرفت انهم انتهوا من أسماء المندوبين جميعا فيما عدا بعض أسماء قليلة سيفرغون منها فى الصباح ٠

وكان الصباح هو اليوم السابق للانتخاب ولابد أن ننتهى من الأسماء فورا حتى يكون لدينا الوقت لتوزيع التوكيلات على هؤلاء المندوبين ويعرف كل منهم المكان الذى سيمثلنا فيه ٠

كان طبيعيا أن أسأل أول ما أسأل عن الأستاذ ابراهيم السباع ٠ وبدأت أخبار غريبة تصل الى ٠ أنها أخبار ذات نغمة خاصة يعرفها المخضرمون فى الانتخاب ٠ مريض ٠ زوجته مريضة ٠ أخته مصابة بانهيار عصبى ٠ مضطر أن يسافر الى القاهرة ٠ وأدركت فى الحال أن فى الأمر شيئا ٠ وسرعان ما ظهر الشىء ٠

المرشح المنافس رئيس للجامعة ٠ وابنة الأستاذ ابراهيم السباع طالبة بالجامعة والتهديد جاء صريحا ٠ ابنتك لن تنجح اذا ظللت تناصر من تناصره ٠

لا يستطيع أحد أن يطلب من الأستاذ ابراهيم السباع أن يتحمل أمام ابنته المسئولية ٠ وأشهد الحق لقد كان الأستاذ ابراهيم شريفا فترك

أسماء المندوبين الذين كان قد رشحهم وسافر الى القاهرة حتى يأمن شر التهديد · ولكن أصدقاءنا أصبحوا غير واثقين فى اخلاص هذه الأسماء واضطررنا في اللحظة الأخيرة ان نغيرهم جميعا ·

لم يكن هذا التهديد هو الأول وانما سمعته كثيرا أثنـــاء الحملة الانتخابية وكان التهديد يوجه الى الطلبة أحيانا والى آبائهم فى أحيان أخرى وقد وجد التهديد قوما يتسمون بالشجاعة كما وجد فى كثير من الأحيان قوما يخافون على مستقبلهم أو مستقبل أبنائهم ·

وانى لحريص على مستقبل هؤلاء الأبناء ولهذا فاسم ابراهيم السباع اسم اختلقته أنا اختلاقا حتى لا يظن الأستاذ ابراهيم اننى غاضب منه وحتى يطمئن على مستقبل ابنته ·

أنا اليوم لا يعنينى شىء من هذه التهديدات فهى لم تكن بذات أثر فى النتيجة ولكن كم يؤلمنى أن تصدر هذه التهديدات من رئيس جامعة وأساتذة فى الجامعة · وقد عشنا عمرنا نرى فى أستاذ الجامعة مشعلا من نور الحق · وعمادا من عمد الأخلاق · واماما من أئمة الشرف · وستمضى السنون ويتخرج الطلاب فى كلياتهم وسيصبح منهم أساتذة فى الجامعات ··· الله لهم ··· كيف سينظرون الى أساتذتهم يوم لا يبقى بينهم وبين أساتذتهم من صلة الا الذكريات ·

كنت طالبـــا بكلية الحقوق · وكان الدكتور عثمان خليل عثمان ــ رحمه الله ــ أستاذا فى الكلية وتجمعنى به صلة نسب فكنت أختلف اليه أسأله فيما يعرض لى فى مواد الدراسة جميعا من صعوبات ·

وكان الدكتور عثمان يحاضر فى مادة الادارى بالسنة الثانية · وقد ظللت وأنا فى السنة الأولى أذهب اليه حتى الأيام الأخيرة من الامتحان · وحين نقلت الى السنة الثانية التى يحاضر لها ظللت على عادتى اختلف اليه حتى أصبح بيننا وبين الامتحان شهران فاذا الدكتور عثمان الذى كان يعتبرنى أخا أصغر له يقول لى فى وضوح :

ــ اننى سأبدأ منذ الغد فى وضع الامتحان ولا أحب أن أساعدك منذ الآن فاننى أخشى أن أظهر اهتمامى بفصل سأمتحنك فيه فأكون قد خالفت ضميرى أو أخشى ألا أظهر اهتمامى فأكون قد خدعتك ·

كم أكبرت الرجل · لقد كنت أستعين بعلمه فى جميع المواد ولكنه أبى أن تكون بينى وبينه صلة على الاطلاق فى وقت يضع هو فيه الامتحان ·

وانقطعت طبعا عن زيارته بقية العام وواصلت زيارته بعد ذلك حين أصبحت فى السنة الثالثة وأصبح هو لا يحاضر لى ·

وفى هذه السنوات لم أفكر حتى أن أقدم هدية الى الأستاذ العظيم خشية أن تفسر الهدية بغير ما يقصد بها من الشكر · وفى هذه السنوات كنت أتناول عشائى دائما عنده وكنا نمزح دائما من ذلك التلميذ الذى ينتهز فرصة نسب فيغتال وقت الأستاذ الكبير وطعامه جميعا ·

هكذا كان الأساتذة ·

فان قلنا ان الدكتور عثمان كان نسيبا لنا ذكرت الدكتور حسنى عباس أطال الله حياته الذى تجمع الصداقة بين أبيه وأبى والذى كان يشرف على دراستى القانونية وهو يومذاك مدرس قسم فى كلية الحقوق وكان يأتى لى بالكتب التى لا أجدها متفضلا فى هذا جميعه مترفعا شريفا ·

ماذا فعلت السنون بأساتذة الجامعة ·

كيف أنسى الدكتور عبد المعطى الخيال عملاق القانون المدنى وهو يدعـو تلامذته أن يزوروه بمكتبه ليشرح لهم ما غمض أبا وأستاذا فى العلم والخلق جميعا ·

وكيف أنسى الشيخ محمد أبو زهرة الذى كنت أقصد اليه فى البيت فى مواعيد منتظمـة ولم يكن يعرف أبى ولم تجمعنى به الا الأستذة منه والتلمذة منى فى المدرج وهو الذى دعانى وظللت طوال سنوات الدراسة لا أفكر أن أقدم اليه الا الشكر ويرفضه ·

ماذا فعلت السنون بجامعاتنـا وببعض أسـاتذة جامعاتنا · كيف أتصور أن أرى مدرسا بالجامعة فى المعركة الأخيرة يوزع المنشورات بيده ويلتقى به بعض من يعرفه فيقف به آسفا ·

ـ ماذا تفعل ··· انك مدرس بالجامعة كيف توزع المنشورات ؟

ـ لابد لى أن أفعل ·

ـ لماذا ··· هل أنت متحمس لرئيس جامعتك الى هذا الحد ؟

ـ بل أقسم بالله اننى لن أنتخبه ·

ـ ماذا ؟

ـ هناك وظيفة مساعد أستاذ خالية أنالها وليكن مصيره فى الانتخاب ما يكون ·

هل استقلال الجامعة صنع لهذا ···

أتطلق يد رئيس الجامعة هكذا بلا رقيب ولا حسيب · أليس هناك مجلس جامعة يمنح ويمنع قيل أن بعض الجامعـات ليس لهـا مجلس

فويل للنشء اذن ٠

وقبول الطلبة أيضا فى المدن الجامعية ٠ لقد كان سيف المعز وذهبه ٠ أليست هناك لوائح لهذا القبول ٠ ولماذا لا تشرف عليه مجالس جامعية حتى ينتفى الغرض وينال كل طالب حقه مادام صاحب حق ٠

لقد انتهت المعركة الانتخابية ٠ ولقد خرجت منها راضيا ولكن مصر التى يشكل مستقبلها أساتذة جامعاتنا وطلابها أعظم من كل المعارك ومن أجل مصر وحدها أذكر هذا الحديث فالجامعات هى مصدر النور الى المستقبل ولا نور بغير شرف شريف وخلق منيع وسمو وترفع ٠ وقد كان هذا شأن أساتذتنا وهو لا شك شأن أساتذة اليوم ٠ وان كانت الأمثلة التى رأيتها تمثل نفسها الا انها تخيف وترعب ٠ فقد نقبل أن يتفشى الفساد فى مرافق كثيرة ولكن ويل لنا ولمستقبلنا ٠٠ ويل كل الويل اذا ظهرت فى الجامعة بوادر وان تكن قليلة من الفساد فلقد نقبل أن نعانى فى الحاضر ولكننا نقبل ذلك لينعم أبناؤنا بالمستقبل ٠ والجامعة هى المستقبل وهى الأمل وان مصر ترفض أن يصادر أحد مستقبلها فبهذا الأمل وحده تطيب لنا الحياة ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/٧/١٣

مقهى فى عرض البحر الأبيض المتوسط

الصيف عندى هو البحر ولا شيء آخر والرياضة كل الرياضة التى اقوم بها عوم عاجز على شاطىء من شواطىء الاسكندرية • وفى البحر الأبيض المتوسط اغرق متاعب عام بأكمله وانا فى هذا العام احتاج الى محيط فما احسب البحر يكفى متاعبى ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله • فبحسبى هذا الشاطىء الحبيب الذى اهفو اليه كل عام • اسعى اليه فى عامى هذا وإنا لأول مرة فى حياتى أعمل فى مكان ثابت احمل فيه مسئولية بعينها ومن يدرى فربما يشاء القدر ان اغرق وظيفتى ايضا مع متاعبى فى البحر الأبيض وما يدفعنى الى هذا القول اى بوادر او مقدمات وانما هى النفس التى عودت ان تكون بلا وظيفة مدة خمسة وعشرين عاما ولم تعد ان تثبت فى مكان واحد ••

تخرجت فى كلية الحقوق وسعيت الى الوظيفة سعيا حثيثا ولكنى لم أستطع لها نيلا • ولعل أطرف ما مر بى فى هذا السعى ما كان بينى وبين عبد الملك (بك) حمزة رحمه الله • فقد كنت أعرف أنه صديق لأبى وأن أبى تمرن فى مكتبه عندما تخرج فى كلية الحقوق فقصدت اليه وهو رئيس مجلس ادارة شركة الملح والصودا طالبا أن أعين بها فكان فى كل مرة يقول تعال بعد أسبوع وفى أسبوع من هذه الأسابيع ظهر كتابى الأول ابن عمار فحملته اليه لعله يكون شفيعا وقال قولته الثابتة تعال بعد أسبوع • وذهبت بعد أسبوع •

ـ يا ابنى أنا لن أعينك ••

ـ شكرا ••

ـ أنت عبقرى ••

ـ عبقرى ؟! ••

ـ ولا يمكن أن أدفن عبقريتك فى الوظيفة ..

وهكذا ظلت عبقريتى بلا وظيفة خمسا وعشرين سـنة أبيع فيها أرضى وأنفق من ثمن البيع وهكذا قدر لى الا يأخذ منى الاصلاح الزراعي قيراطا واحدا . وطبعا يرجع الفضل فى هذا الى عبقريتى المزعومة وحدها التي رفض عبد الملك بك ان يدفنها بالوظيفة ورفضت كل الجهات من بعده أيضا أن تدفنها بالوظيفة سواء كانت هذه الوظيفة عملا فى جريدة أو مجلة تؤهلنى له عبقريتى هذه ذات النوع العجيب أو كان العمل اداريا أو قانونيا تؤهلنى له شهادة الحقوق التى بذلت فى سـبيل الحصول عليها ثلاثة وعشرين عاما .

وكنت قبل أن أذهب الى عبد الملك بك قد طلبت من أبى عنـدما تخرجت أن يكلم الدكتور حافظ عفيفى أن يعيننى كمحام فى بنك مصر فاذا أبى يقول فى تعفف لم أعرفه فى غيره .

ـ هل تتصور أن أرفع سماعة التليفون لأقول لأى شخص عين ابنى وخجلت من نفسى وأنا أقول .

ـ لا ... لا أتصور

وهكذا ضعت أنا بين كبرياء أبى وعبقريتى وظللت خمسا وعشرين سنة بلا وظيفة وها أنذا أذهب الى الاسكندرية لأول مرة موظفا فهل ترانى أستطيع التمتع بالاسكندرية كما تعودت أن أتمتع . تلك تجربة جديدة لابد أن أمر بها حتى أستطيع الاجابة على هذا التساؤل .

فقد تعودنا منذ سنوات طويلة أن نجلس على مقهى داخل الأمواج وليس الجلوس على كراسى وانما هو تحريك الأرجـل واليدين بالصـورة التى تبقى على جسومنا طافية وأعضاء المقهى هم الدكتور الدمرداش أحمد وكيل وزارة الصحة السابق وعضو مجلس النواب ومجلس الأمة السابق أيضا فقد خرج من مجلس الأمة الى المعتقل وأصيب فيه بأزمتين فى القلب وظل فى المعتقل مع ذلك وكل هذا لأنه تجرأ فناقش نقاشا جادا فى أمر هو فيه متخصص وهو الطب الوقائى .

وأما العضو الثالث فهو الدكتور ابراهيم الدمرداش ـ ولا قرابة بين الرجلين ـ والدكتور ابرهيم الدمرداش رجل ذو شهرة واسعة فى عالم الهندسة وقد كان عميدا لكلية الهندسة وهو واسع الثقافة بشكل يدعو الى الذهول .

والحديث فى الندوة شعر من محفوظ الدكتور الدمرداش أحمد فهو من هواة الأدب الفطاحل ، أو ذكريات من ذكرياته فصلاته الاجتماعية متسعة تشمل العالم أجمع لا أستثنى منه قطرا ٠

ويروى الدكتور ابراهيم شعرا من نظمه فهو عضو فى المجمع ٠

ثم ينتقل بنا الحديث الى الأزمة الاقتصادية حتى اذا فرغنا منها وحللناها انتقلنا الى حل أزمات البلاد الأخرى مثل انجلترا والأزمة الاقتصادية بها وايطاليا والأزمة السياسية التى تعانيها فاذا قضينا على هذه الأزمات جميعا وأصبحت محاولة فى أمان الله ضربنا فى الماء ذراعا أو ذراعين وخرجنا الى ملابسنا على موعد لقاء فى اليوم التالى ٠

وحين نلتقى نتبين أن هناك بعض الفروع من الأزمات لم نتعرض لها فى أمسنا فنتناولها بالتمحيص ثم بالتشخيص ثم بالدواء فتنحل الأزمة بين أيدينا بقدرة قادر ٠

وهكذا نقضى صيفا هانئا على مقهى بين الأمواج ٠٠ أترى تتيح لى الصفحة الأدبية التى لابد ان أعرف محتوياتها كلمة كلمة ٠ والمفكرة التى لا مفر من كتابتها كل أسبوع أن أقضى صيفا مثل الذى كنت أقضى ٠ وان لم فمن اذن سيحل المشكلة الاقتصادية ومشكلة لندن وايطاليا وما يستجد من مشكلات فى أثناء الموسم لاسبيل لنا الا أن نترك الأمر بكامله لله الذى لايغفل ولا ينام سبحانه على كل شىء قدير ٠

القرية وخطبة الجمعة

كنت أظن أن اخواننا الفلاحين سيعتمدون على الراديو الترانزستور الذى انتشر فى القرى انتشارا هائلا فى معرفة دينهم ٠ ولكن العجيب انهم مازالوا يعتمدون على خطباء الجمعة فى معرفة هذه الشئون ٠ وبعض هؤلاء الخطباء علماء حقيقة تلقوا علومهم فى الأزهر الشريف وتمكنوا من أصول التشريع الاسلامى ٠ ولكن بعضهم يخطب لأن اباه كان يخطب الجمعة ولقد سمعت احد هؤلاء يدعو أن يؤيد الله السلطان فؤاد ويعز ملكه وينصر جنده ٠ وكان هذا فى عام ١٩٦٥ ٠

لعل هؤلاء الخطباء فى حاجة الى كتب حديثة تكون فى متناول اليد زهيدة الثمن ، وما أعظم أن يؤلف هذه الكتب علماء من فقهاء الوعظ الأئمة ٠

ولا باس حتى أن توزع مجانا دون أى الزام بالقراءة منها في الخطبة وانما تترك لمن يريد أن يستعين بها ٠

ان هذه الكتب لو قام عليها الأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف تجعل شرح القرآن الكريم وتعاليمه في أيد أمينة عليه فان الأمر أخطر مما نتصور ان هو ترك لمن لم يتعمق الدين الحنيف والقرآن والسنة ٠

انه لابد للناس جميعا أن يكون الحرام عندهم واضحا والحلال بينا٠ ولابد لهم أن يعرفوا رخصهم وأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه ٠

ولقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الذين يشرحون الدين اهتماما بالغا ويكفى أن نذكر حديثه الشريف ٠

« من احل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه من النار » لنعرف مدى اهتمامه بأن تعرف قواعد الدين على حقيقتها بلا تضييق يمسك بخناق الناس ولا توسعة تحلل الحرام وتهدم القيم ٠

هذا رجاء أضعه أمانة تحت أعين الأئمة واثقا اننى ناديت مجيبا وأسمعت أمينا ٠

تحية وعتاب للاذاعة

من احسن البرامج التى اعجب بها فى الاذاعة برنامج ثقافى درامى يذاع فى البرنامج العام اسمه من الأدب العالمى ٠ يختارون فيه قصة لأديب عالمى ويقدمونها بعجالة موجزة عن حياة الكاتب ثم يقدمون القصة وقد أعدت اعدادا دراميا أجده أنا فى غاية الجمال والاتقان ٠

اذن فالاذاعة تعرف كيف تكون الدراما رائعة ٠ وهى لاشك تدرك جمال اللغة العربية في الاذن فهذه القصص تعد باللغة العربية ٠

العجيب أن البرنامج العام الذى يقدم هذا نسمع له تمثيليات لاشك ان مؤلفيها يجهلون الفن الدرامى جهلا تاما ٠ فالحوار مباشر دائما والنصيحة تخبط النصيحة والحكمة تصك الحكمة والذى كنا تعلمناه أن الدراما والقصة والرواية جميعا قد صنعت لتنقذ الناس من النصائح والحكم ٠ فاذا ذكرت النصيحة أو الحكمة فى العمل الفنى سقط العمل الفني جميعا كأنه لم يكن والمؤلم اننا كثيرا ما نجد هذا التهافت فى

المسلسلات التى تستمر شهرا .. وهذه المسلسلات تحظى باهتمام كبير من المستمعين وما أجمل أن ننتهز هذه الفرصة لنقدم للناس عملا فنيا مرتفعا يستطيع أن يرتقى بالذوق العام .

ولست أدرى لماذا تقتصر التمثيليات الاذاعية على اللغة العاميه فيما عدا برنامج من القصص العالمى . الا تستطيع أن تقدم أيضا من القصص العربى ونجعل الناس يسمعون لغة عربية بعد أن كادت تكون غريبة عليهم . انه مجرد أمل فهل الى تحقيقه من سبيل .

الأهرام فى ٢٠/٧/١٩٧٦

من وحي الانتخابات

صلتي بالانتخابات قديمة وهي في نفس الوقت جديدة • فأغلب الظن انني ولدت وأبي يمر ببلدان دائرته فقد ظل عضوا بمجلس النواب منذ نشأة الحياة النيابية حتى اختاره الله الى جواره • وهكذا ظللت لفترة طويلة أضع في خانة وظيفة الوالد بالمدرسة عضو مجلس النواب أو وكيل مجلس النواب • أما بدء صلتي أنا بالانتخابات فقد كانت عام ١٩٤٢ وكان عمري ست عشرة سنة وكانت معركة مريرة بين أبي والحكومة يومذاك • وكانت دائرة أبي لأسباب سياسية حزبية هي الدائرة الوحيدة التي تجري فيها الانتخابات في القطر • فكانت الحكومة متفرغة لها • وأذكر من هذا العام انه بعد أن أدلى الناخبون بأصواتهم ونقلت الصناديق يحوطها أنصار أبي وشباب أسرتنا الى نقطة بردين مقر الدائرة أصر شباب أسرتنا أن يبيتوا حول الصناديق خشية التلاعب فيها واتصل مدير الشرقية بأبي قائلا : انه يطلب جلاء الشباب عن الصناديق • فقال أبي : انه حتى لو طلب هذا من الشباب فسيرفضونه وكان ما أراد الشباب ونجح أبي في الانتخابات •

ومنذ ذلك التاريخ وأنا أشارك في كل انتخابات أبي وتوفي أبي في عام ٥٢ • وفي عام ٥٦ أصر عمي أن يرشح نفسه ورجوته ألا يفعل فأصر فاشتركت في انتخاباته • وكانت هذه هي آخر انتخابات أشترك فيها •

وفي هذه الانتخابات الأخيرة شاء أخي أن يرشح نفسه فلم أجد بأسا من ذلك • وتوكلنا على الله وخضنا المعركة الانتخابية • واشتركت مناصرا لأخي بعد أن مرت بي عشرون سنة لا أشارك في المعارك الانتخابية •

وكان أول ما واجهني في القرى التي كنت أمر فيها أنها كما عهدتها

منـذ عشرين سـنة زاد على بعضهـا النور وزاد عليهـا جميعا الراديو الترانزستور ٠

أما النور فهو شيء عظيم ولكنه للأسف الشديد مقطوع فى أغلب أيام الاسبوع عن القرية ٠ ففى بلدتنا غزالة مثلا ظللنا اسبوعا كاملا بلا كهرباء على الاطلاق ٠ ولعمرى أى نور ذلك الذى يصلك فى فترات متقطعة وينكمش عنك فى الغالب الأعم من الأوقات والقرية التى لم تصلها الكهرباء تعد الاضاءة فيها على ما تعودت عليه من كلوبات ومصابيح غازية ٠ أما التى أدخلت اليها الكهرباء فانها تصبح وهى غير مستعدة لاستقبال الظلام ٠ واذا هى فجأة تجد أن النور أشاعة كاذبة ، والظلام حقيقة مؤكدة هى غير مهيأة لاستقباله ، فاذا الكهرباء التى قيل أنها وصلت اليها تنقلب عاملا قويا على وجود الظلمة لا اشاعة الضياء ٠

على كل حال هـذه ملحوظات عامة وسريعـة قليلة غاية القلة عما يحتاج اليه الريف وطبعا الموارد المالية للبلاد لا تسمح بمواجهة حاجات الريف ولا المدينة جميعا ٠

لكن الذى نرجوه ـ وما هو بكثير ـ اننا اذا صنعنا شيئا نتقن صنعه فالمرافق التى لا نتقن صنعها تكلف أكثر من المرافق المتقنة الصنع والدولة الآن فى حاجة الى كل مليم وليس عندها من مال يضيع فى أشياء تتم بشكل غير مرض ٠

هذا عن المرافق أما الناس فقد نلت من الانتخابات حصيلة للكتابة لم أكن أحلم بالحصول عليهـا ، وحتى الآن لا أدرى ان كنت سأحسن الانتفاع بها أم أنها ستصبح فكرا ضائعا مع كثير من الأفكار التى نرى أننا سنكتب فيها ثم لا نفعل ، ولهذا الخوف الذى يعترينى من تبديد حصيلتى أبدأ فأقدم الى القراء أعجب ما مر بى فى هذه الانتخابات ٠

وقد ذهبنا الى بلدة قريبة من بلدتنا واستقبلنا فى أولها الأستاذ أحمد المدرس باحدى مدارس الشرقية ورحب بنا ترحيبا شـديدا وعانق ذراعه ذراعى وأنا أمر بالبلدة جميعا وهمس فى أذنى أنه من بلدة المرشح الآخر ولكنه غير مقتنع به حتى لقد رفض أن يستقبله فى بيته وحين انطفأ النور بالبلدة كالعادة أرسلوا يطلبون منه الكلوب الذى يملكه ، فليس فى القـرية كلوب غيره ـ ألم أقل ذلك ـ فرفض أن يستضىء هـذا المرشح بكلوبه ٠

والأستاذ أحمد شاب ظريف ومريح حاضر النكتة ، لماح ، ذكى ، مظهره وحديثه يدعوان الى الاحترام ٠

أحببت الأستاذ أحمد هذا وأعجبت به وحين جلسنا قرب يوم الانتخاب لنختار المندوبين عنا في اللجان اقترحت أن يكون منهم ثم تركت الأمر لغيري ليختار المندوبين واختيروا فعلا وجاء يوم الانتخاب ٠

ومررت باللجان التي كانت قريبة من البلدة التي اخترت الجلوس فيها طوال مدة العملية الانتخابية ٠ وكانت لجنة الأستاذ أحمد من ضمن هذه اللجان دخلت الى اللجنة فوجدته يتصدرها فاعتقدت أنه مندوبنا وحتى أتأكد سألته فاذا هو يرتج عليه واذا هو مندوب عن الخصم الذي رفض أن يضيء له كلوبه ٠

وقد عرف النفاق منذ لا تذكر الانسانية متى ٠٠ ولكن الذي حز في نفسي أن يكون الأستاذ أحمد مدرسا مسئولا عن النشء ٠٠ عن أخلاقهم قبل علومهم وعن مثلهم قبل دروسهم ٠٠٠

وهزي اليك بجذع النخلة

قال الله في كتابه العزيز : « فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ٠ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » ٠

فالله اذن لم يساقط عليها الرطب الجنى الا بعد أن هزت جذع النخلة وهو قادر أن يقدم اليها من الطعام ما تحتاج اليه دون أن تعمل ٠ وهي جديرة أن تنال طعامها دون جهد فقد عانت آلام مخاض ولكن الله لا يحب أن يرزق عبدا لا يعمل بل انني أعتقد أن الله سمح للكفار أن يهزموا المسلمين في موقعة أحد حتى يعرفوا أنهم اذا لم يؤدوا واجبهم فان الله سيتخلى عنهم ٠

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حين رأى متعبدا لا ينقطع عن العبادة في المسجد فسأل صحبه عليه الصلاة والسلام « من يقوم بشأنه » فأجابوا « كلنا نقوم بشأنه » « فقال كلكم خير منه » ٠

واليوم وقد نجح النواب الجدد فاننا نرجو منهم أن تكون النيابة وسيلة لا غاية ٠ فهي شرف اذا عمل صاحبها ٠ وهي شرف اذا كان صاحبها شريف وهي مهانة اذا لم يكن كذلك فقديما قيل الساكت عن الحق شيطان أخرس ٠ وأرجو ان يبدأ النواب عملهم بأن يقترحوا الا يجمع النائب بين وظيفة في حكومة أو قطاع عام وبين النيابة ٠ تستطيع الحكومة أو القطاع العام أن تحتفظ للنائب بوظيفته يعود اليها حين يترك مقعد النيابة ٠ فليس

من المعقول أن يحاسب الموظف وزيره ولكن الطبيعى أن يحاسب عضو مجلس الشعب أى وزير ·

ان الناخب فى غاية الذكاء وهو يعرف النائب الذى يعمل والنائب الذى لا يعمل والنائب الذى يقتنع عن عقيدة والآخر الذى يصفق لأن الآخرين يصفقون · وما هى الا دورة أو شبه دورة من الزمن ويعود النائب ليصبح مرشحا مرة أخرى فاذا عمل فسيستطيع أن يلقى ناخبيه والا فانى أنصحه ألا يرشح نفسه ويعود الى العمل الذى كان يعمله قبل أن يصبح نائبا ·

وعلى النائب أيضا ان يذكر دائما أنه نائب عن مصر جميعا وانه مسئول عن أى فساد يقع فى أى مكان منها · ومصرنا رأت الكثير من العسف ونواب اليوم هم اختيار الشعب الحر من كل قيود الحكومة · فهم نوابها فعلا فاذا لم يخلص الأبناء للأم الكبرى وواضيعتا لنا فواضيعتا لكل ما هو شريف ونبيل فى حياتنا ·

ولكن لا ··· ان ما رأيته فى المعركة الانتخابية يؤكد لى ما عشت عمرى مؤمنا به ان الشرفاء فى مصر هم الكثرة الكاثرة وسيظلون كذلك لتظل مصر دائما فى قمتها التاريخية السامقة ·

الأهرام فى ١٩٧٦/٧/٢٥

رسـالة بقلم ناخب

أنت ياسيدى المرشـح سوف تسرف فى الوعود · فانا أرجوك أن تذكر جيدا أن الأيام تمر سراعا وما تخاله بعيدا ما يلبث أن يأتى قبل ان يرتد اليك طرفك · فاذكر وانت تعدنى اننى سأسألك عما وعدت اذا قدر لك وجلست فى مقاعد التشريع · ولا أحب أن أتصور الخجل الذى سوف ترسف فيه حين أسالك عما انجزت من وعد ولا تجد شيئا تقوله ·

انتخبك لأنك فلان الوزير أو فلان المدير وانا أريد أن أنتخبك لأنى أشهد فيك الشرف والأمانة فيما مر من أيامك قبل الترشيح · ان كنت ياسيدى غير واثق من نصاعة ماضيك فانصرف عن الترشيح واستر على نفسك عيوبها · فان العيوب ياسيدى ذات صوت مرتفع صاخب لاتختفى ومن رأى أنه ينبغى لها الا تختفى ·

وأنا ياسيدى المرشح أحب ان أنتخبك لأنك صاحب مبدأ · فأنا لا يهمنى منك الا المبدأ الذى تعتنق وأنا أريدك أن تكون شريفا مع نفسك ومع مبدئك · اعلنه وأروعنه ما تعرف أنه الحق ودع لى بعد ذلك حرية الاختيار بينه وبين مبادىء اخوانك المرشحين · أما اذا كان فى طيات هذا المبدأ الذى تعتنق أمر تحب أن تخفيه أو ترى ان من مصلحتك الانتخابيه أن يتخفى فأترك هذا المبدأ ولكن لا تخادعنى فانه من الصعب تمـــاما أن تخادعنى فأنت — لأنك مرشح — لا تعرف مقدار الحقائق التى تصـــل الى أنا الناخب عنك وعما تعتنق بل لعلنى أعرف من حياتك الخاصة الخافيه ما لا يعرفها الا الأقلون وبعد يا سيدى فبمقدار ما أدعو لك بالتوفيق فى دعايتك أدعو لنفسى بالتوفيق فى اختيــار أصلــح من يقول كلمتى ·· رعانى الله واياك بهديه وبعنايته أنه سميع مجيب ·

ثروت أباظة

الأهرام فى ١٩٧٦/٨/٢

عاشــق الليــل

سبحان الخالق العظيم جعل كل فرد من الناس نمطا مستقلا بذاته له مشاعره الخاصة وشكله الخاص وافكاره التى تتخلج فى اعماق نفسه لا يعرف أسرارها الا خالقها سبحانه ثم جعل لكل انسان بصمته الخاصة التى لا يتماثل فيها اثنان فى العالم • كأن هذه البصمة هى توقيع لفنان انتهى من عمله الفنى •

من هذا الشتات من الأفكار ومن المشاعر ومن التركيب الخلقى تتكون الشعوب ومن هذه الشعوب تتكون البشرية

فكل نظرية لا تدخل فى حسبانها ان الانسان مشاعر ورغبات وآمال وعواطف تضطرب بين الحب الجارف بلا حدود والكره القاتل لا يرده شىء ، نظرية لم تخلق للانسان وقد تصدق على الالة الصماء بلا مشاعر لها ولا آمال ولا آلام •

فى قريتى أنماط الناس على كل صنف ولون ، ولكن بعض أشخاص لا يستطيع النظر ان يعبرهم بغير انعام وتمعن •

عبد الحليم حسون : عرفته أول ما عرفته خفيرا نظاميا فى القرية • وكان عمدة القرية معجبا به أشد الاعجاب فهو أول من يتسلم سلاحه فى صفار الشمس وهو آخر من يسلمه بعد أن يصلى الفجر •

ولا يأتى جزء من الليل على عبد الحليم الا وهو يقظ لا ينام • فعبد الحليم يحب الليل ولا يطيق ان يفلت منه لحظة دون أن يعيشــها باكملها ، باعماقها جميعا ، ويستمتع بكل ما فى الليل وهو يستمتع بالليل على أى صورةله فهو يحبه أسود قاتم الظلمة معتما • وهو يحبه والنجوم على صدر سمائه • وهو يحبه والقمر يحيله الى هذا اللون الأزرق الذى يشيع فى النفوس الحب للحب والهوى للهوى والشفافية الشاعرة الرقراقة• ويسعد بغلالة القمر نسجتها يد الفنان الاعظم ويلقى عبد الحليم نفسه فى

هذه الغلالة سعيدا لا يدرى لسعادته سببا ولا يريد أن يدرى. وكأنما أدرك بحسه البدائي الصادق ان التغلغل فى أسباب السعادة يدمر السعادة . انما هى لحظة اشراق تومض فهو بها فى نشوة ولا يعنيه من بعد من أين جاءت هذه الاشراقة وكم ستمكث ومتى ستولى عنه وانما هو يلقى نفسه اليها فالدنيا جميعا هى لحظته تلك وليكن بعد ذلك ما يكون .

وما عرفت فى حياتى شخصا يقدس الحرية مثلما يقدسها عبد الحليم.

أحب وتزوج وانجب بنتا . وما ان جاءت البنت حتى تكشفت زوجة عبد الحليم على حقيقتها . لقد أرادت أن تفرض سيطرتها عليه فلا ينفق الا من يدها . ولا يخرج الا بأذنها ولا يصادق الا بأمر منها .

واتخذ قراره الحاسم .

الوقت شتاء ولكن لا يهمه . وهو يسهر الليل كله فى درك الخفر وللجسم حقوق لابد أن تؤدى .. فاذا خرج من بيته فالى أين يأوى .

لم يفكر ، كان قد اتخذ قراره .

لم يعد الى بيته والتمس من حقل شجرة ونام . وأصبحت الشجرة بيته . وحاولت الزوجة أن تسترده بكل الوسائل التى تعرفها المرأة فلم تفلح فحاولت ان تسترده بالوسائل التى تعرفها القرية ففشلت .

ـ ان ما بينى وبينك ورقة الزواج أستطيع أن أجعلها فى أى لحظة ورقة الطلاق وانا لا أريد أن أفعل هذا من تلقاء نفسى من أجل بنتنا ، لن أطلقك الا اذا طلبت هذا .

ـ عد وأفعل ما تشاء .

ـ أن المرأة التى تحب أن تسيطر لا تصلح لى .

ـ قلت أفعل ما تشاء .

ـ أنا لا أريد الا أن أكون حرا .

ـ فكن حـرا .

ـ لن أكون حرا الا وأنا بعيد عنك ..

ـ وبيتـك ؟

ـ مادامت فيه فهو ليس بيتى .

ـ وأنا كيف أعيش .

ـ هذا شأنك ما دمت تعرفين كيف تسيطرين فلابد أنك تعرفين كيف تعيشـين .

ـ وبنتـك ؟!

ـ لن ينقص ابنتى شىء الا أن أكون أنا موجودا .

ـ انت تعرف كم تحبـك .

ـ أنا طوال الليل فى الدرك تستطيع ان تأتى الى وقتما تشناء . وهى تعرف كيف تجدنى دائما .

ـ أليس هناك أمل ؟

ـ أما أنا فاملى كله ان أكون حرا وقد صرت حرا .

وهكذا اتخذ عبد الحليم قراره ونفذه ولم يجد معه حديث زوجته ولا شفاعة أصدقائه ولم تجد زوجته سبيلا الا أن تلجأ الى العمدة تستعينه على زوجهـا .

ـ ارجع ياولد الى زوجتـك .

ـ وما دخل هذا فى عملى يا حضرة العمدة ؟

ـ اننى آمرك .

ـ سعادتك تستطيع أن تأمرنى بما شئت فيما يتصل بعملى أما ما يتصل بزوجتى فلا يأمرنى أحـد .

ـ حتى ولا أنـا ؟

ـ وما دخلك أنت ياحضرة العمدة فيما بين الزوج وزوجته .

ـ أنا عمدة البلدة ياولد .. هل جننت .

ـ ياحضرة العمدة ابقى الله عليك العمدية . ولكن هل تسـتطيع بالعمودية ان تجعلنى أقبل زوجتى .. واذا كانت كريهة الى هل تستطيع أن تجعلها حبيبة يا حضرة العمدة الله وحده هو الذى يملك القلوب .. والصلة بين الزوج والزوجة لا يعرف أسرارها الا الزوج والزوجة انها صلة لا مثيل لها فى العالم ولا تكون بين اثنين آخرين أبدا فلا هى نفس الصلة بين الابن وأبيه ولا هى الصلة بين الابن وأمه ولا بين البنت وأمها .. صلة عجيبة انشأها سبحانه على نظام خاص فكيف تتصور ان تتدخل فيها بأوامرك ياحضرة العمدة .

ـ الله .. الله .. الله .. ما كل هذه الفصاحة .

ـ ولكنى على حـق ٠

ـ اذن فانت مرفـوت ٠

ـ سبحانه ٠٠ لا يترك أحد جائعا ٠

لم يكن المرتب يعنى عبد الحليم ٠٠ فهو يعرف أنه سيعيش ولكنه حزن أنه حرم من الليل ٠٠ حزنا لم يقم طويلا ٠٠ لقد كنت أسهر لانى خفير فماذا بى لو سهرت لانى حر ٠ سيضحك منى الناس ٠ ولكن ماشأن الناس بى ٠ لقد رفتنى العمدة لأعود الى بيتى ولكن ما الحرية اذا أنا لم اغتصبها اغتصـابا ٠

ومنذ ذلك اليوم وعبد الحليم لا ينام فى بيت أبدا ٠٠ فى الشتاء العاصف والريح تعوى فيختلط صوتها مع صوت الذئاب والمطر ينهمر فيدق الأرض وكأنه عديد من العصى الغليظة وطرقات القرية وحقولهـا لا يبدو فيها أنس أو وميض من نور تجد عبد الحليم فى العراء كل ما فعله لنفسه ليتقى لذعة البرد كيس فارغ من أكياس القطن مبطن بقش الأرز ويغمر عبد الحليم نفسه فى داخله وينظر الى الليل ٠ فهو يحبه أيضا حين يعصف وينهمر مطره وتعوى ذئابه ورياحه ٠

وتمر الأيام لتصبح سنوات وتكبر ابنة عبد الحليم ويأتى لها من يريد الزواج بها وتتزوج وتظل فى بيت عبد الحليم مع زوجها حتى لا تترك أمها وحيـدة ٠

وتمر أيام أخرى وتموت زوجة عبد الحليم ٠

وتقصد البنت الى أبيهـا ٠

ـ أبى قد كبرت ولم تعد تستطيع ان تظل على هذه الحال ٠

ـ وما هذه الحـال ٠

ـ تحتاج الى لقمة طيبة وهدمة نظيفة ونومة هادئة ٠

ـ أما اللقمة فانا كما تعلمين لا يغرينى الطعام وأما الهدمة ٠٠

ـ أعرف ٠٠ أعرف انك أنظف انسان فى القرية ولكنك ياأبى أنت الذى تغسل جلبابك كل ليلة ٠

ـ من يريد ان يكون حرا لابد أن يكون نظيفا ٠

ـ والنـومة الهـادئة ٠

ـ اتحسبين يا ابنتى اننى أنام فى العراء لانى لا أجد بيتا ٠

ــ أتحب أن تنام فى العراء ٠

ــ قولى لى ٠٠ كيف أعيش منذ تركت الخدمة ٠

ــ تؤدى الطلبات لاصدقائك فى البلاد الأخرى وفى البندر مقابل أجر ضئيل ٠

ــ يكفى لقمتى وسيجارتى ٠

ــ وما شأن هذا بنومك فى العراء ٠

ــ هل أعدم سقفا عند أصدقائى هؤلاء ٠ انما أريد أن أرى الليل وأنام فيه إنه يخيل لى أن الليل نفسه لا ينام الا اذا رآنى أنام تحت سمائه ٠٠ أنا يا ابنتى مخلص لأصدقائى كما تعرفين٠٠الليل هو أحب أصدقائى الى وهو أيضا أوفى الأصدقاء لى ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/٨/٣١

لماذا لا ينصح الأطباء

طالعني الدكتور احمد عبد العزيز اسماعيل في اهتمام شديد

ــ لابد أن تتوقف عن التدخين فورا

ــ أنا لا أدخن كثيرا على أية حال ٠

ــ لا كثيرا ولا قليلا ٠

ــ هل جد جديد ٠

ــ جديد خطير ٠

ــ يا ساتر يارب ٠

ــ لقد كلفت احدى شركات السجائر الكبرى جماعة من العلماء أن تجرى بحوثا عن مقدار تأثير السجائر فى احياء الخلايا السرطانية ٠ وظهرت البحوث فاذا هى ايجابية واضطرت شركة السجائر أن تعلن البحث على الملأ رغم ما يكلفها هذا من خسائر فالأمر اذن أصبح لا شك فيه ٠

ــ على كل حال أنا لا أعتقد أن الكمية التى أدخنها تدخل فى اطار هذا البحث ٠

ــ أنت حر لقد أعذر من أنذر ٠

وبعد ذلك امتنع الدكتور أحمد عن شراء السجائر تماما ولكنه كان كلما لقينى طلب منى سيجارة حتى لم أجد مفرا آخر الأمر أن اسأله فى جد ٠

ــ قل لى يا دكتور هل البحث الذى قام به العلماء كان عن تدخين السجائر أم عن شراء السجائر ٠

وضحك آخذا السؤال على محمل المزاح ولكن هذه الظاهرة عند الأطباء ما زالت تحيرنى فهم يمنعون الناس من أشياء ولا يحرمونها على

أنفسهم فالدكتور أحمد مثلا يصر كلما رآني أن يطلب الى أن أنقص وزني وهذا أمر لا يحتاج الى طبيب لاعرفه فأى صديق يراني يستطيع أن يبذل لى هذه النصيحة دون أن يكون على أى صلة بالطب ولكن العجيب أن الدكتور أحمد نصح أستاذنا توفيق الحكيم بهذا ولا عجب أن أستاذنا الحكيم أخذ بنصحه والأكثر استدعاء للعجب أن صحته تحسنت ولا أدرى ان كان رئيس اتحاد الكتاب أخذ بهذه النصيحة من باب الصحة أم من باب الوفر ولكن يخيل لى أن التوفير هو الذى أتاح لرئيسنا أن تتحسن صحته . ولكن الدكتور أحمد لا يأخذ نفسه بنصيحة انقاص الوزن هذه فهو بحمد الله ملىء مكتنز ولا يعبأ كثيرا أن يزيد وزنه .

وطبيب آخر . أو ملاك يعمل في الطب ويحمل اسم الدكتور عبد العزيز الشريف هو أيضا ممن أعجب لهم وان كنت أعجب به فى نفس الوقت . فهو حين يلتقي بمريض من مرضاه يعطيه من نفسه اضعاف ما يعطيه من طبه وفيما يعطيه من طبه الكفاية وفوق الكفاية . فهو لايعامل المريض على أنه حالة وانما يعامله على أنه انسان يعيش فى زمن تتكاثر فيه الأزمات فهو يسمع منه كل ما يتصل بحياته العائلية أو الشخصية أو العملية وآخر ما يسمعه منه مرضه فيخرج المريض من عنده وقد شعر أنه قد حصل على الشفاء أو هو على الأقل فى الطريق اليه . ولكن الدكتور عبد العزيز الشريف ينصح مرضاه دائما بالراحة وأخذ الحياة باليسر لا بالعسر وبالهوادة لا بالشدة . ثم هو يعامل نفسه بالعسر كل العسر وبالشدة كل الشدة فلا يرتاح لحظة وانما هو واهب حياته كلها للعمل حتى حين يسافر فى أجازة الى أمريكا وفى أمريكا لا يرضى أن يكتفى بالتمتع والمشاهدة ونسيان العمل وانما هو يقصد الى العمل فى مظانه ويقبل الدعوات لالقاء المحاضرات حتى يضيق به رفاق سفره ويحاولون أن يبحثوا عن مكان يبتعدون هم فيه عن العمل مادام هو مصرا أن يعمل دائما .

لماذا لا ينتصح الأطباء بالنصح الذى يبذلونه لمرضاهم أيظنون أنهم وقد تمرسوا بالأمراض قد أصبحوا واياها فى حالة صداقة وطيدة فهى تستحى أن تلم بهم . ولكنهم يعرفون أن المرض لا يعرف صديقا أم تراهم لا يعرفون ويحتاجون لجاهل فى الطب مثلى أن يذكرهم بهذه الحقيقة البسيطة .. وهل تراهم ينتصحون عنى ... لا أظن .

أبناء العجز

من الناس قوم يعيشون على هوامش الحياة . وحياتهم على هذا الهامش تتيح لهم أن ينقدوا صناع الحياة . انهم أشبه بالصبية التى تجمع

كرات التنس · او الكرة الخائبة فى ملعب كرة القدم · وهم يظنـــون أن مكانهم هذا يتيح لهم أن يهاجموا اللاعبين · وهم فى هجومهم يقذعون · والاقذاع منهم بقدر الحقد المرير الذى ينهش صـــدورهم نهشا · فالعجز مرير والشعور بالقصور قتال والانسان بطبيعته لا يحب أن يكون حيا كالميت وشر من الموت أن تعد للعبة ولا تشترك فيها ·

ينتشر هؤلاء فى كواليس المسارح وعلى أرصفة الاستديوهات وفى أروقة الصحافة انهم قوم طردتهم الفنون فعاشوا على هوامشها ·

فالصحفى مثلا لابد أن تتوافر فيه شروط كثيرة · أن يلتقط الخبر ويتقن صياغته ويبلور أهم ما يتضمنه · ولهذا لابد له أن يكون صـــاحب قلم · فاذا وجد شخص ما نفسه فى دنيا الصـــحافة والقلم لا يستقيم له وانما ينماع بين يديه ويتهالك يجن منه الجنون ويترك القلم الى مهاجمة كل صاحب قلم · والعجيب أنه يجهل أن الحقد لا يؤذى المحقود عليه بل هو على العكس يزيده قوة ومنعة وانتعاشا وازدهارا · وهذا الحقد نفسه يقتل الحاقد فالويل كل الويل للحاقد ولا ويل له الا من نفسه ومن النـــار التى تلتهم قلبه وأعصابه وكل جهاز فيه ·

وهذا الفشل قد مد الحياة بأقوام كثيرين يعيشون حياة فنان بلا فن يقدمونه وحسبك نظرة الى المغنين فى الموالد والمهرجين فى الطرقات ·

وما أعظم النكبة اذا ولى واحد من هؤلاء منصبا فانه يحس على الفور أنه أصغر من المنصب الذى يجلس فيه فيصاب بنـــوع من الهوس وأول صور هذا الهوس وأشدها خطرا محاولتـــه أن يحطم كل ذى مكانة · لأن منصبه الكبير يجعل شعوره بالصغار يزداد عمقا · فالآمال التى علقها على منصبه أن يجعل منه شيئا تنهار دائما ويصبح المنصب وبالا عليه بعد أن كان يظن أنه نعمة وخـير وبركات ولو ذكرت القذافى أدركت ما أريـد أن أقول · وما أحسب الا انك تريدنى أن أضرب لك بعض أمثلة ·· لا عليك فما أحب أن أحد خيالك ·· الق الى الحياة حولك نظرة تجد بهلوانات كثيرة صغيرة ·· وتظل صغيرة مهما تظن بنفسها انها كبيرة ·

خطاب ذو معـــان

وصل الى فى البريد هذا الخطاب الذى أقدمه اليك · وهو خطـــاب يحمل معانى كثيرة كلها رفيع وأصيل ومصرى وكريم وأنا أنشر الخطاب كما هو معتذرا اننى لم أرفع ألفاظ المديح التى تفضل بها الأستاذ صاحبه

على لأننى وجدت هذه الألفاظ داخل نسيج الخطاب نفسه حتى لاحسب أننى سأخل بأسلوبه المناسب اذا أنا تدخلت بحذف شيء منه حتى ولو كان مديحا وانى لأرجو أن تغفرها لى ٠

أما الخطاب نفسه فهو يسمو على كل تعليق فبحسبى أن أقدمه اليك ٠

سلام الله لكم وعليكم ٠٠ وبعد

« اللغة والثقافة » كلمتكم المنشورة فى صفحة الأدب فى أهرام يوم الجمعة الذى وافق العشرين من أغسطس ٠٠ شدنى اليها كل حرف فيها ٠٠ وطالعتها مرارا ٠ استزيد من الحق الذى يسرى فى سطورها ٠٠ وأستعيد معها ذكريات أواخر العشرينات ٠٠ حين كنا ونحن بعد تلامذة نستعد للامتحان الشفوى بقدر اهتمامنا واستعدادنا للامتحان التحريرى فى اللغات ٠٠

ولقد توقفت عند سطورها الأخيرة التى قلت فيها « واعتقد أن لا سبيل الى اصلاح هذا الا بأن يفرض على الطلبة فرضا منذ بواكر حياتهم الدراسية أن يحفظوا جزءا من القرآن يمتحنون فيه شفويا ٠ ويمكن أن يفرض على أبنائنا من الطلبة المسيحيين أن يحفظوا نصيبا من الشعر العربى » ٠٠ وهنا توقفت لاتبين ما تقول ٠٠ ولما تحققت من انك تريد أن تعفى الطلبة المسيحيين تحرجا من حفظ أجزاء من القرآن يمتحنون فيها أسوة باخوانهم من الطلبة المسلمين ٠٠ قلت « لا » ٠٠ وأمسكت بقلمى لاكتب لكم لماذا أقول « لا » ٠٠

« لقد كنا طلبة مسيحيين درسنا أول ما درسنا فى كتاب القرية على عريف بمقرعة يحفظنا القرآن مع اخواننا المسلمين ٠٠ وكان آباؤنا سعداء بما نحفظ وربما نردد فى بيوتنا ٠٠ ثم التحقنا بمدارس الأمريكان وكانت تدرس الدين المسيحى كمادة أساسية للمسيحيين والمسلمين معا ويؤدون فيها امتحانا عسيرا وكان أفذاذنا من المسلمين ٠٠ ثم كبرنا والتحقنا بالمدارس الأميرية وكانت مادة اللغة العربية فى التعليم الثانوى تستلزم أن يحفظ الطالب مسيحيا كان أو مسلما أجزاء من القرآن نصا وتفسيرا وأذكر من ذلك سورتى الحاقة والنور ٠٠ وأود أن أقول ـ وأنا على ثقة مما أقول ـ ان واحدا من المسلمين لم يتحرج فى دراسته للدين المسيحى وان واحدا منا لم يجد حرجا فى حفظ القرآن وترديده وتفسيره ٠٠ بل والأهم من ذلك كله أن واحدا من هؤلاء المسلمين لم يصبح مسيحيا ولا واحدا من أولئك المسيحيين قد أصبح مسلما ٠٠ انما انطبعت فى أذهاننا منذ

الطفولة والصغر سماحة الأديان ووقر في أذهاننا ان لكل منا دينــه الذى يعبد الله عليه ٠ كما وانى أشهد بأن كثيرين من جيل تلك الأيام صاروا فيما بعد قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون كما انطلق من بينهم قادة فى الفكر وفى السياسة وفى علوم اللغات يذكرون دوما ويدخرون دواما بانهم حفظوا أجزاء من القرآن صغارا وامتحنوا فيها كتابة وشفاها ٠٠

فهلا عدنا بأجيالنا الى تلكم الأيام سماحة ٠ وعلما ٠ وخلقا ٠ ولغة ٠ جميلة ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/٩/٧

بين المعاشات وسن التجنيد

ان كمية الخطابات التى وصلت الى بشأن موضوع المعاشات الذى كنت قد تناولته فى مفكرة لى لا يماثلها الا كمية الخطابات التى وصلت الى عن موضوع مد مدة الخدمة العسكرية الى سن الخامسة والثلاثين مما أكد لى ان كلا الموضوعين يشكل مأساة عامة جديرة بالنظر • فأما المشكلة الأولى فتتمثل فى كثرة القوانين الخاصة بذوى المعاشات واعطاء بعض بصورة فيها بعض العدل وحرمان آخرين بصورة فيها كثير من الظلم ولو شئت أن أدخل فى التفاصيل لقدمت ما عندى من خطابات من شتى فئات وأقسام من أرباب المعاشات •

ولم ترد الوزيرة ولا أحد من مكتبها على ما كتبت فى المرة الأولى والله وحده يعلم سبب الصمت • اعيذ السبب أن يكون كبرا واستبعد أن يكون زحمة العمل • فأما الكبر فلا أتصوره ولا أرضاه ، وأما زحمة العمل فان هذا الذى نتقدم به الى سماحة السيدة الوزيرة هو فى ذاته عمل وعليها وعلى مكتبها أن يدبر له بعض الوقت ليطمئن قوم ملهوفون على حياتهم بعد أن خدموا الدولة زهرة عمرهم •

وبهذه المناسبة لعله يجمل بى أن أروى ما سمعته فى اليابان عن أرباب المعاشات • فهم هناك يقدمون لمن يبلغ السن مبلغا كبيرا من المال ثم يختارون له عملا يقدم فيه خبرته الطويلة فى الميدان الذى كان يعمل فيه • فصاحب المعاش هذا ثروة قومية اكتسبت خبرة عظيمة فى الناحية التى كان يعمل بها وليس من المقبول أن تضيع هذه الخبرة على أرصفة الشوارع بحثا عن تحسين المعاش أو جلوسا فى مقهى لتبديد وقت أصبح عليهم ثقيلا • وانى أذكر اليابان بالذات لأن ثروتها الوحيدة تتمثل فى الطاقة البشرية بها ولا شىء آخر •

وبينما كنت اسمع هذه المعلومات فى اليابان ذكرت ما يحدث هنا لضباط البوليس الذين يحالون الى المعاش وهم فى نضرة عمرهم لا لشىء الا لأن الضابط منهم قد حصل على رتبة عالية وبقى بها سنتين • فان مدت له الخدمة بعد ذلك فلعام واحد وبأمر أعلى •

ان الضابط فى البوليس حين يحصل على الرتبة العالية يكون قد وصل الى خبرة فائقة فى ميدان نحن فى أشد الحاجة الى الخبرات فيه فكيف نستغنى عن هذه الخبرة وكيف نتصور ان رجلا فى الخمسين أو الخامسة والخمسين من عمره يجتنب الحياة لا لشىء الا لانه كان كفؤا أدى واجبه وصعد فى سلم وظيفته حتى بلغ فيها مكانا مرموقا • وبمن نستعين ان لم نستعن بهؤلاء الأكفاء • وماذا يمكن أن يراد منهم وهم فى عمر الرجولة • انهم لن يحاربوا ولن يلعبوا العاب قوى انما يطلب منهم ما كسبوه من خبرة وحنكة وتمرس الأمر الذى لا يستطيع أن يصل اليه الا من يلغ من العمر مبلغهم • وفى الأمن الذى لابد فيه من الخبرة والحنكة والتمرس !! ان هؤلاء الرجال الذين يحالون الى المعاش أو الاستيداع أو ما شئت من أسماء الابعاد عن الحياة لا يقدرون بمال الدنيا جميعا • فان الخبرة والانسان هما أكبر رأس مال فى جميع ميادين الحياة •

ولقد دخل الى البريد وأنا أكتب هذا الكلام وفى أول خطاب فيه وجدت الأستاذ رشاد حامد يكتب لى خطابا يقول فيه :

« اننى أعجب لماذا لم يصدر — حتى الآن — قرار باعدام أرباب المعاشات رميا بالرصاص ليخففوا بذلك عن حمل العاملين بالحكومة والقطاع العام » •

ويل للشجى من الخلى • ابعد جهدهم يشعرون هذا الشعور فنحن اذن دولة لا وفاء لها حين نقسو على مشايخنا وآبائنا وأساتذتنا •

ونحن دولة لا منطق لها حين نقصى عن الوظيفة رجالا لم يصلوا حتى الى الستين التى جعلنا منها حدا ينتهى اليه عمل العاملين بانحاء الدولة •

ونمضى مع خطاب الأستاذ رشاد حامد •

المعاشات ثابتة لا تزيد مليما واحدا يمكن أرباب المعاشات من مواجهة الغلاء فهم رغم كل ما يصنع بهم لا يزالون على قيد الحياة — أطال الله عمرهم • وهم يعولون أبناء فى مختلف مراحل التعليم والتعليم مجانى من قبل الحكومة ولكنه فى الواقع يكلف تكاليف باهظة • وهم أيضا يعولون فتيات على وشك زواج وحسبهم هذا حملا جسيما لا يطيقه الا القوى ذو الأيدى الشديدة • وبنك ناصر الذى يلجأون اليه لا يؤجل لهم أى قسط تحت أى ظروف •

والتأمين الصحي الذى كثر حوله التصفيق اقتطع منهم نصيبا من معاش فى افتراض مضحك ان كل من بلغ الستين لابد أن يكون محتاجا للعلاج والدواء والجراحة ٠ وقانون المعاشات لم ينفذ منه بند تعويض الدفعة الواحدة عما خصم منهم دون حق ويمنونهم بأنه قرار سوف يدرس فى مجلس الشعب بأمل أن يرد اليهم حقهم مقسطا ٠ وأخيرا يقول الأستاذ رشاد أنه يتصور أن قانون المعاشات به من العرقلة ما يجعله يشعر ان الذين وضعوه كانوا يؤمنون أن يسارع عزرائيل الى صاحب الحق قبل أن يدرك حقه ٠

ثم يصرخ قائلا « تصور أن أرباب المعاشات يرون أموالهم التى يستحقونها وهى تعويض الدفعة الواحدة وأقساط الاستبدال الزائدة توزع أمام أعينهم على العاملين كعلاوات وأرباح وحوافز وهم يتفرجون عليها والحجة مع ذلك تصك أسماعنا أنهم يخشون أن يصرفوها لنا — نحن أصحابها — فترهق ميزانية الدولة — وكأنما ميزانية الدولة لن ترهق الا اذا صرف الحق الى صاحبه ٠

هذا عن المعاشات ٠

أما عن سن الخدمة فى الجيش فيبدو أننا أخطأنا حين طرقنا باب الوزير وقد آن لنا أن نصحح الطريق اليوم ٠٠ ان هذا الذى نطالب بتعديله قانون لا يعدله الا مجلس الشعب وعلى الأعضاء أن ينظروا فى هذا الأمر بعين عادلة ٠

فسن الخامسة والثلاثين سن لا تصلح فى ذاتها للخدمة العسكرية ٠٠ ثم أن الرجل فى هذه السن يكون قد كون بيته ومستقبله وليس من الطبيعى ولا المعقول ان يقتلع من بيته ومن عمله الذى غالبا ما يكون قد وصل فيه الى مكان مرموق ومرتب يستره ليحصل على المرتب الضعيف الذى يمنحه الجيش اياه ٠

انها مأساة قاتلة تتربص لكل زوج على مشارف الخامسة والثلاثين وتتربص بزوجته وبأولاده وبمستقبلهم جميعا ٠

والدولة أم رؤوم ٠ فهل تصنع أم ببنيها ما يصنعه هذا القانون بالناس ٠

ترى هل يأمن أعضاء مجلس الشعب على أنفسهم ٠ ربما كان بينهم من يقترب من الخامسة الثلاثين ٠ ماذا هو صانع اذا انتزعه هذا القانون من كرسى النيابة ومن أهل دائرته ليصبح جنديا ٠٠ وياليته سيكون جنديا مفيدا فأغلب الأمر معه ٠٠ سيكون غير صالح لتمرين عنيف

أو جرى سريع أو مشى طويل الا اذا كان رياضيا محافظا على التمرين ٠ وحتى الرياضيون يعتزلون الملاعب ـ أغلب الأمر ـ وهم فى هذه السن ٠

ان الأمن هو أكرم شىء فى الحياة والخوف هو ابغض ما تواجه به الحياة أبناءها ٠ ولذلك نجد الله الرؤوف بعباده حين هدد بالخوف قال عز من قائل « ولنبلونكم بشىء من الجوع والخوف ٠٠ » لان الله سبحانه أكثر رحمة بعباده ورأفة ان يسلط عليهم الخوف كل الخوف ٠

ان هذا القانون القائم هو الخوف جميعه وانى لعلى ثقة أن القائمين بالأمر عندنا فى السلطتين التشريعية والتنفيذية مطالبون بأن يشيعوا الأمن والطمأنينة فى نفوس الشعب وانى أترك لهم أن يتصوروا حال أسرة تعيش بمرتب عائلها وقد بلغ عشرات الجنيهات تنزل بها النازلة على حين فجأة لتجد عائلها يتقاضى دريهمات ولتجد هذا العائل مقضيا عنها منتزعا من أعطافها تاركا مصيرهم نهبا للفقر المدقع والعاطفة المقفرة من الأبوة ، والأمومة المفجوعة فى زوجها وأب أولادها ورب دارها وقيم حياتها والحياة الناضبة من ماء الحياة ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/٩/١٤

لبنان .. دولة

حيث اغتصب أبناء صهيون أرض فلسطين العربية أنشأوا بذلك جريمة لم يعرفها العالم منذ اغتصب أبناء أمريكا أرض الهنود الحمر . مع فارق كبير . كان الهنود الحمر آنذاك شعبا متأخرا عن ركب الحياة واستطاع الوافدون من طريدى الشعوب وسفاحيها ولصوصها أن يأخذوا منهم أرضهم غصبا وعنوة ولكنهم مع ذلك لم يشردوهم من اقطار الأرض وسمحوا لهم بالبقاء وان كان بقاء مفزعا أسقطوا فيه كرامتهم وامتهنوا انسـانيتهم .

أما اليهود فقد استقبلوا الأرض العربية بعون من الدول الـكبرى وبالخداع وبالسلاح وبكل وسيلة بعيدة عن كل معنى من معانى الشرف أو الخلق .

وشرد أبناء فلسطين فى عرض الحياة وتكون شعب بلا مأوى .

ولكن لماذا تنتظر من اليهود غير ذلك وهم أعداء للعرب منذ ظهور الاسلام . كانوا طوال تاريخهم الأسود عونا على النبى ودينه ثم حربا على أتباع النبى ودينه .

والغدر من العدو أمر منطقى لا يدعو للدهشة .

وليس أمر الدول الكبرى بمختلف عن أمر الصهاينة . فهم لم ينسوا عداءهم للعرب وما زالت فى نفوسهم منه غصة لا تنقضى أبد الدهر .

لعل الموقف الوحيد الذى يدعو الى الدهشة هو تأييد دولة تلغى فكرة الدين من أساسها . ولكنها مع ذلك تقبل أن تقوم دولة العماد الأول فيها والأخير هو الدين اليهودى .

ولهذا فقد كان عجيبا أن تكون روسيا هي ثانية الدول التى تعترف بقيام اسرائيل بعد أمريكا .

وعلى أية حال فالغدر من العدو أمر طبيعى ·

ولكن الأمر العجيب هو غدر الأخ بأخيه اللبنانى باللبنانى والعربى بالعربى ·

كيف استطاعت نفوسهم أن تقبل هذا الافناء لأهلهم وذويهم ودولتهم·

من ينتقم من من ؟ ومن ينتقم لمن ؟

قومى هموا قتلوا أميم أخى   فاذا رميت أصابنى سهمى

هناك أيد خفية · وهي أيد ثقيلة تحركها أكبر دولتين فى العصر الحديث ولكن كيف أستطاعت هاتان الدولتان أن تحرضا شعبا أن ينتحر ·

من يستطيع أن يتصور أن تخطط أمريكا لتمزيق لبنان وتقدم روسيا السلاح لينفذ به تخطيط أمريكا · الدولتان اللتان تقفان على طرفى النقيض من العالم تتفقان ثم يتبلور اتفاقهما أول ما يتبلور على لبنان وشعب لبنان ويدفعان الشعب السورى ليكون أداتهما معا وهما لاشك قد أغرياه أن يأخذ جزءا من لبنان بدلا من الجولان ويستطيع بذلك زعماء سوريا أن يقيموا الأفراح ويطلقوا الحناجر بالخطب التى يقوم عليها حكمهم أنهم قد انتصروا وكسبوا لسوريا أرضا جديدة لعل الشعب ينسى أرضه القديمة · ولعل الشعب يرضى · وهم يأملون ألا يفكر الشعب أن أرض لبنان لا يمكن أن تكون كسبا لسوريا فالدولتان عربيتان والانسان لا يكسب شيئا اذا نقل مبلغا من المال من جيبه فى اليمين الى جيبه فى الشمال · ولكن الأرض تكون كسبا اذا استولينا عليها من عدو اغتصبها كأرض سيناء التى استرجعناها وكقناة السويس التى استردتها الجيوش العربية ·

لهفى على لبنان · يحيط به الظلم الفادح من الدولتين الكبريين · والطمع والجشع من الدولة الشقيقة ولعب الأطفال ومجانين الزعامة ومخبولى الانقلابات ··· لهفى على لبنان ·

بيوت كالعقيق

رحم الله شوقى حين قال فى قصيدته الخالدة مصائر الأيام يصف معاهد الدراسة :

وتكسر فيهم غرور الثراء   وزهور الولادة والمنصب
بيوت منزهة كالعقيق   وان لم تستر ولم تحجب
يدانى ثراها ثرى مكة   ويقرب فى الطهر من يثرب

اذا مـا رأيتهمـو حولهـا يموجـون كالنحل عنـد الربى

رأيت الحضـارة فى حصـنها هنـاك وفى جنـدها الأغلب

فالمفروض اذن أن يكون الجميع فى رحاب المعاهد الدراسية سواسية فلا يزهو طالب على طالب بثراء أبيه ولا تدل طالبة على الأخرى بغنى ذويهـا ٠

ولكن ما تقيمه المعاهد من مساواة يهدمه شارع الشواربى ليذهب الفتيان والفتيات وقد ارتدوا وارتدين من الملابس أغلاها وأفخرها ويكلف الأبناء والبنات آباءهم وآباءهن عنتا من أمرهم فكل شاب وكل فتاة خاصة لا يحب أو تحب أن يشـعر أو تشـعر بالمهانة عنـد المقارنة بالآخـرين والآخريـات ٠

ومن الآباء ٠ بل أغلب الآباء لا يستطيعون أن يدخلوا هذه المنافسة فبحسبهم أن يوفروا لأبنائهم وبناتهم ما يستر وبحسبهم أن يوفروا لهم المأكل والمسكن والمواصلات والكتب والدروس الخصوصية وهيهات لهذه الأشياء أن تتوفر الا بالجهد الجهيد والاقتراض واراقة ماء الوجه وغير ذلك مما يضطر له الآباء اضطرارا ٠

وحين يجد الأبناء والبنات أن الآباء لن يستطيعوا أن يواجهوا مطالبهم من الملبس الفاخر الذى يطاولون ويطاولن به الزملاء والزميلات يتولى الفتيان والفتيـات الأمر ٠

ونسمع الكثير من القصص التى ينكسر لها القلب ونصبح كلنا شفقة على مصير الجيل الجديد الذى ينحرف وما كلمة ينحرف الا لفظة هزيلة ضامرة لا تمثل ما يتردى فيه الشباب من سرقات والفتيات من أعمـال أخرى أعف عن ذكرها ٠

ماذا علينا لو وحدنا الزى فى الجامعة ولنجعل منه عدة نماذج تناسب مختلف الأشكال والأطوال والأحجام ٠ لعلنا بهذا نحد من الاسراف المخجل الذى يضطر له الآباء اضطرارا ليرضوا به غرور البنات والأبناء ٠ ولعل توحيد الزى هذا يجعل فتاة فى الجامعة تشعر أنها ذاهبة الى معهد علمى وليس الى حفلة راقصة أو حفلة تنكرية فلا تجعل من وجهها خشبة رسام تنكسب عليها الألوان عمياء زاعقة ٠ والا تبالغ فى تصفيف شعرها مما يكلف الآباء عنتا آخر هم فى غنى عنه بما تلقيه عليهم من اعنات وجهـد ومشقة ٠

عامـل فى قطـاع خاص

دخلت الى محل نظارات مصرى شهير بالاسكندرية وانتقيت علبة احتاجها لنظارتى وأعطيته خمسة جنيهات ليعطينى الباقى ووضعت العلبة

فى جيبى وفى انتظار الباقى سألت البائع الشاب عن نوع آخر من العلب. فقال أنه سيكون لديه فى الغد فقلت :

ـ أذن أنتظر الى الغـد •

ـ أمـــرك •

وأعطانى الجنيهات الخمسة وانصرفت •

وجلست أشرب قهوة فى مقهى قريب من المحل وبالصدفة المحضة وضعت يدى فى جيبى فاذا بى أجد العلبة •

وأدركت طبعا أن الشاب البائع نسى أن يطلبها فقمت مسرعا اليه وفتحت باب المحل لتستقبلنى ابتسامة عريضة على وجه الشاب البائع :

ـ وفيم أتعبت نفسـك •

ـ أذن فأنت تعرف أن العلبة معى •

ـ طبعـا •

ـ ولماذا لم تطلبهـا •

ـ أترضى لى أن أذكرك بمثل هذا •

لقد فضل الشاب أن يسكت ولا يذكرنى أننى وضعت العلبة فى جيبى دون أن أدفع ثمنها حتى لا يشعر بالحرج •

هذا المحل من أنجح المحلات وصاحبه شهير وله زبائن كثيرون • ليس غريبا أن ينجح لأنه يختار بائعه بهذه الكياسة وهذا الأدب •

أفكر جديا • لو كان حصـــل مع محل للقطاع العـام • أترانى كنت الآن أكتب هذه المفكرة • أم كنت سأكتب مفكرة أخرى عن القبض على وتسليمى للنيابة العامة بتهمة اختلاس علبة نظارة •

الأهرام فى ١٩٧٦/٩/٢١

حتى لا يضيع الحق

لكم نخشى على الحق أن يضيع فى زحمة الباطل ٠٠ واتهام برىء شريف أشد وقعا على النفس من ترك متهم ٠٠ وكم يؤسفنا أن يصبح الشرف شيئا يستحق المدح ، ولكن وسط الكثرة الكاثرة من غير الشرفاء لابد لنا ان نمتدح الشرفاء ٠

ومن القلة الشرفاء الذين تعاملت معهم فى حياتى ، رئيس مجلس ادارة هيئة السينما ، الأستاذ محمد الدسوقى ٠٠ فلقد شهدته يتعامل فى عهد سلفه الرجل العظيم ، خلقا وشرفا وأدبا ، عبد الحميد جودة السحار ٠٠ ثم شهدته يتعامل وهو رئيس للمؤسسة ، فاشهد الله والحق ما حاد الرجل عن جادة النزاهة ولا مال مع الهوى ولا تحيف ولا ظلم ٠

ومؤسسة السينما كلفت مصر فى عهودها المختلفة المال الكثير ٠٠ وقد كان مالها مباحا يوم ان كانت الحياة فى مصر لا تستدعى وجود مؤسسة سينمائية على الاطلاق ٠٠ ولكن حين هربت الأموال من مصر ، وأصيب المنتجون الأفراد بالذعر والهلع ، وتركوا مصر ، أصبح وجود مؤسسة السينما ضرورة ما كان للسينما ان تحيا بغيرها ٠٠ وانى لاتصور الى أى مصير كانت ستهوى السينما اذا لم تكن المؤسسة قائمة منذ منتصف الستينات ٠

وقد استقر الرأى على الا تنتج المؤسسة أفلاما لحسابها ، وانما تكتفى بضمان المنتج فى البنوك ٠٠ وقد ساعد هذا السينما على ان تظل واقفة على قدميها حتى يعود المنتج الخاص الى الميدان ، كما فرضت الهيئة حصارا على الفيلم الأجنبى وجعلت الفيلم المصرى ، شأن كل صناعة محلية ، مشمولا بحماية الدولة ، فأصبحنا نسمع عن الأفلام المصرية التى يستمر عرضها عشرين أسبوعا وخمسين أسبوعا ٠٠ واهتمت المؤسسة بانشاء دور عرض جديدة ، حين كثرت الأفلام وأصبح العرض فى حد ذاته مشكلة ٠

وانتعشت صناعة السينما ، ووجد المخرجون الشباب مكانهم ، واندفع الدم الجديد الى الفن السينمائى ، يزيده ثراء ونماء وقوة ، فرأينا أشرف فهمى ومحمد راضى ومحمد عبد العزيز وأحمد فؤاد ومحمد فاضل ٠٠ والانتعاش يولد الانتعاش ، وهكذا تشجع القطاع الخاص ورأينا فى ساحته مخرجين من الشباب ٠٠ وقبل هؤلاء ولد حسين كمال فى ساحة القطاع العام ، وأكد وجوده بأفلامه الأولى التى مكنت له وجعلت المنتجين يسعون اليـه ٠

وتجرأت السينما المصرية فى ظل الهيئة أن تدخل فى المضمار العالمى مهما يكن الدخول مترددا خائفا ٠

وتقوم الهيئة بعمل التجديدات فى الاستديوهات ، وان تكن بطيئة ، ولكنها خير من عدم التجـديد ٠

فالهيئة اذن ، وخاصة فى السنوات الأخيرة ، كانت مصدر أزدهار للسينما المصرية ، وهى بالطريقة التى تنهجها الآن من عدم الانتاج ، والاكتفاء بضمان المنتج لدى البنوك ، تضيق المجال للخسارة ، وتضيق المجال أيضا على راغبى الاثراء غير المشروع ٠

فلقد سمعنا الكثير عما كان عليه الحال قبل النظام الجديد ، وان كان جزءا مما سمعنا صحيحا ، فالعقاب لابد منه ، ولكن ليس معنى هذا أن نهاجم الهيئة جميعا ، ففى هذا الهجوم جناية على الحق ، وعلى المتقين لله والضمير فيما يفعلون ٠

وأنا من الذين يؤمنون بوجوب انكماش القطاع العام ، فلا تقوم الدولة الا بما يعجز الأفراد عن صنعه ، والذى لا شك فيه انه لولا هيئة السينما فى السنوات القريبة السابقة على سياسة الانفتـاح ، لتوقفت السينما المصرية تماما ٠

ابنتى هدية عيد ميلادى

كان عيد ميلادى منذ شهور ، وجاءنى ابنى بهدية شكرتها له ، وعلمت انها من ماله الخاص ، لان ماله الخاص يطيقها ٠

أما ابنتى ، فقد أهدت الى زجاجة كبيرة من الكلونيا المستوردة التى لا تحتملها مواردها ٠٠ شكرتها ولم أسألها من أين ، معتقدا انها استعانت بوالدتها ٠٠ وما هى الا أيام حتى عرفت مصدر الهدية ، فقد جاءتنى فاتورة الصيدلية التى أتعامل معها وفيها ثمن الزجاجة ، وهو ثمن أصاب الفاتورة

بالضخامة العريضـــة ، وأصاب محفظتى بالنحافة الشديدة ، وضحكت واحتسبت الله وسكت ٠

وكنت فى طريقى الى المصيف فتركت الزجاجة بلا حراسة فى الدولاب وعدت من المصيف الى الانتخابات حتى اذا عدت الى القاهرة لا قيم بحثت بطبيعة الحال عن الزجاجة ٠٠ اختفت الزجاجة ٠

والد صديقة لابنتى العزيزة أقبل عيد ميلاده ، فلم تجد شيئا تقدمه له الا الزجاجة التى أهدتها الى من مـــالى ، وانطبق على المثـل من مالى ولا يهنـــالى ٠٠

هكذا الأبناء دائما ٠٠ اليس كذلـك ؟

أنا والشـــباب

كتبت فى مفكرة سابقة أن الشباب المصرى لم يتمزق كما تمزق الشباب فى البلاد الغربية ٠٠ وكتب الى بعض الشباب خطابات يعجبون كيف لا أشعر بما يعانيه الشباب ، وكأنهم حسبوا اننى أعيش فى بلد غير مصـــر ٠

هون عليك أيها الشباب ٠٠ فأنا أعلم ما تعانون ٠

أنا أعلم ان الشباب الموفق الذى يحصل على الشهادة العالية ينال مرتبا قد يحصل عليه من لم يتخرج فى كلية بجهد يوم واحد ٠

وأعلم ان الشاب اذا أراد أن يتحصن فيتزوج لا يجد المهر ، فان وجده لا يجد المسكن ، فان وجده لا يجد مرتبه ولا مرتب زوجته يكفيانه لعيش الكفاف ٠

وأعلم أن الطلبة فى جميع مراحل التعليم يجهدون من قلة الموارد ، ويجهد آباؤهم لاكمال تعليمهم ، فيقطع الجميع حياة غاية فى الشظف والاجداب بلا ماء فيها ولا ظل ٠

وأعلم أن الطلاب الذين يدخلون الى الكليات لا يجدون مكانا للجلوس فىمدرجاتهم ، وحين تفوتهم المحاضرات يصبحون وجها لوجه مع الكتب لا سبيل لهم ان يجدوا معيدا أو مدرسا يهديهم السبيل ٠

وأعلم أن الشباب بعد هذا يعانى ما نعانيه جميعا من تكدس المواصلات وانقطاع الكهرباء وجفاف الحنفيات ٠

أعلم هذا جميعا فانا أعيش فى مصر وفى أعماق أعماق مصر ، ونبض قلبى يدق مع نبض مصر ، لا يتقدم عنها ولا يستطيع أن يتقدم ولا يتأخر عن نبضها ولا يطيق أن يتأخر ·

واعلم أيضا أن الشباب بعد هزيمة يونيو ، فقد الأمل وانهارت أمام عينيه أسوار الحصون التى شادها من آماله ، ومن ثقته ، ومن يقينه ·

كل هذا لا يخفى على ·

ولكن الشباب ، مع كل ذلك ، لم يتمزق ·

انه يعـاني ·

انه يحـــار ·

انه يتـألم ·

انه فى بعض الأحيان يثور ·

وهو فى بعض الأحيان ينحرف ·

ولكنه ، مع كل ذلك ، لم يتمزق ·

ان شبابنا زرع فى أرض من الايمان متراكمة الطبقات ، كلما امتدت جذوره فيها وجدت ايمانا ·

حتى الذين تزيغ قلوبهم الى الالحاد فما هى الا فترة ثم الى الايمان هم عائدون ·· ولهذا لم يتمزق الشباب ·

ومن وحى الايمان تضىء أمام أعينهم دائما اشراقات من الأمل اذا ألقوا بها إلى العقل خفت منها الشعاع ، وأن عرضوا لها بمشاعر اليقين والثقة بالله تفجرت منها ينابيع الضياء تملأ حياتهم أملا ، وتحميهم من كل تمزق أو ضياع ·

الأهرام فى ١٩٧٦/١٠/١٦

اليابان دولة حلت مشاكلها

كنت اتوقع أى شيء وانا جالس بمكتبى بالأهرام الا أن يطلبني رئيس مجلس ادارته ليسألنى فى تلطف ليس غريبا عليه ٠

ـ اتسافر الى اليابان لمدة ثمانية أيام

ودون ريث تفكير قلت

ـ أسافر ٠

والذى لا يعرفه السيد رئيس مجلس الادارة ولا يعرفه أحد أن زوجتى سألتنى قبل ذلك بيوم واحد دون أى مناسبة وكأنها كانت تقرأ الغيب ٠

ـ ألا تحب أن ترى اليابان ٠

وكنت فى هذه اللحظة عائدا الى بيتى بعد غياب أكثر من شهر فى الانتخابات فقلت مستبعدا الأمر وكأنه غير قابل للوقوع ٠

ـ لا ٠٠٠ وكيف أستطيع الذهاب الى اليابان ٠

وما يمضى على هذا الحديث أربع وعشرين ساعة حتى يصبح الحديث الذى كان يقال ازجاء للوقت ولمجرد خيال لا يعرف أحد مأتاه حقيقة واقعة ٠

أعددت ما أستطيع أن أعده للسفر وقصدت الى المطار قبل الساعة السابعة وعشر دقائق موعد قيام الطائرة ٠ وتأخرت الطائرة الى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة ثم زحفت ثم حلقت ثم بدأ الوقت يجرى ثم يمشى ثم يزحف ثم يقف ٠

فالرحلة اليابان تستغرق ثمانى عشرة ساعة تزيد عليها سبع ساعات هى فرق التوقيت فتجدنى وصلت الى اليابان فى الساعة الثامنة مساء من

اليوم التالى • ولقد شهدت من الطائرة ليلين وصباحا • وحين بلغت اليابان كان نهار القاهرة قد أصبح ليلا وليلها قد أصبح نهارا • وكانت مواعيد طعامى ومواعيد نومى قد أصبحت فى حاجة الى تعديل شديد أحمد الله أنه لا يستغرق منى جهدا •

فوجئت فى الطائرة بكثرة مرات الطعام التى يقدمونها للركاب وفوجئت أكثر بقبول الركاب أن يأكلوا كلما عرض عليهم الأكل الأمر الذى لم أستطع مجاراتهم فيه •

والرحلة الى اليابان بدعوة من شركة الطيران اليابانية (جال) وليس هذا هو السبب الذى امتدح من أجله الخدمة فى الطائرة • فالشركة تعرف لاشك أن الصحفيين طوال الألسنة وان وجدوا عيبا فلن يسكتوا عنه • وقد قيل لنا فيما قيل أنهم يقدمون لؤلؤة كهدية فى الطائرة وها أنذا أخبر زوجتى من الآن أن الهدية الوحيدة التى قدمتها الطائرة هى زوج من النعال بقصد استعماله فى الطائرة لطول المسافة أما ابن عمى ماهر أباظه وكيل وزارة الكهرباء الذى ذكر لنا مسألة اللؤلؤة الهدية فسيكون لى معه شأن عند عودتى ان شاء الله • حين وصلت الى اليابان لم أكن أفكر فى شىء الا فى النوم فقد أجهدنى السفر اجهادا لا مثيل له • وقد أخذوا بنا الى فندق لم أر مثله فى حياتى ضخامة وجمالا حتى لقد راعنى وأنا فى هذا التعب الذى بلغته به • وبحسب القارىء أن يعلم أننى حتى اليوم وقد مر بى بهذا الفندق ثلاثة أيام أتوه فيه فلا أكاد أعرف الا الطريق الى غرفتى والمصعد الذى يجب أن أركبه لأبلغ هذه الغرفة •

وفى الصباح كان اجتماع ليذكروا لنا نظام الرحلة وكان من المفروض بعد ذلك أن أحضر اجتماعا آخر أعرف فيه احصاءات عن اليابان ولما كانت هذه الاحصاءات مبذولة فى الكتب وحاضره من قريب لمن يشاء الاطلاع عيلها فقد فضلت أن أشاهد اليابان نفسها ، كلمت سفيرنا فى اليابان الدكتور محسن عبد الخالق الذى يزوره فى هذه الأيام عميد المجتمع المصرى أخونا الأكبر حموه الدكتور الدمرداش أحمد • وطلبت من أحد المرافقين أن يترجم عنوان السفير المكتوب بالانجليزية الى اليابانية ففعل وتفضل فرافقنى الى باب الفندق وأنبأ سائق التاكسى عن وجهتى فمعروف أن قليلا من اليابانيين يجيد لغة أخرى غير اليابانية •

وذهبت الى العنوان وبدأت أرى طوكيو •

كنت أتوقع أن أشهد اختناقات السيارات كما نعرفها نحن المصريين ولكننى وجدت السيارات تسير فى سيولة ويسر كاموال اليابانيين وقلت فى نفسى أصبرها على الألم الذى حز فيها عند المقارنة • هذه دولة غنية وليس غريبا على دولة غنية أن تيسر للسيارات أن تسير فاذا بسفيرنا يخبرنى عن حقيقة الأمر واذا هو لا يحتاج الى غنى بقدر ما يحتاج الى تصرف •

لقد انشأوا حول طوكيو وفى كل شوارعها طرقا علوية قد تبلغ الاربعة فى بعض الأحيان وكل هذا بدأ بطريق واحد فرضوا ضريبة هينة على من يسير فيه متوقعين أن تسدد هذه الضريبة تكاليف الطريق فى عشر سنوات فاذا هى تسدده فى ثلاث سنوات ومن حصيلة هذه الضريبة أقاموا طرقا أخرى وفرضوا عليها نفس الضريبة وهى مبلغ زهيد يتمنى اى راكب سيارة أن يدفعه ولا يرى ماتراه من عذاب فى شوارع القاهرة . وهذه ضريبة لن يدفعها الا صاحب السيارة وهو فى غالب الأمر قادر عليها فان لم يكن فليمش فى الطريق العادى بلا ضريبة . وهذه الضريبة على كل حال لا تتجاوز بضعة قروش .

وعلمت ويا لهول ما علمت ان الشركات اليابانية عرضت علينا أن تقوم بنفس هذه المشاريع عندنا ولكن الانفتاح المغلق عطل العروض التى كان من شروطها أن تسدد التكاليف فى عشر سنوات .

وعلمت أن عروضا مماثلة تقدمت من أجل المرافق الأخرى وعطلتها اللوائح التى أرجو أن تعدلها أو تلغيها الوزارة الجديدة .

ولكننى فرحت حين علمت أن شركات يابانية الآن تقدم خبرتها فى بعض المصانع المصرية وعلى رأسها الحديد والصلب بحلوان . وتلك خطوة تقرب الأمل ان نسير على الطريق .

أحمد الله اننى حتى الآن لم أتعرض للطعام اليابانى فالسفير والسيدة الفاضلة زوجته أنقذانى من هذا الموقف فأنا رجل يصعب عليه أن يغير ما نشأ عليه من أطعمة ولكننى عرفت من الدكتور الدمرداش أنهم لبوا دعوة كانت تكاليف الطعام فيها للفرد كافية أن تطعم عشرة أفراد فى أفخم مطاعم القاهرة وكانت الاصناف المقدمة فيها هى الأسماك الحية والجمبرى الحى واللنجوست الحى يأكلونه من الذيل بينما رأسه لايزال يلعب وشواربه ما تزال تتحرك . وقد استطاع الدكتور الدمرداش بقدرة فيه خارقة على التأقلم أن يجارى الآكلين أما السيدة زوجته والسيدة ابنته فقد ذهبتا بعد ذلك الى مطعم آخر لتتناولا عشاءهما .

وأنا بعد فى منتصف الرحلة ولا أدرى ما الذى تخبئه لى الأيام القادمة والأمل فى وجه الله كبير .

والأسعار فى اليابان غالية لكل ما لا تنتجه اليابان وهذا أمر أصبح طبيعيا فى جميع البلاد الغنية وهو فى نفس الوقت مروع للزائرين من أمثالنا .

أما أسعار البضائع اليابانية فليست بالرخص الذى نتصوره وهذا أمر يمكن احتماله دائما لانه يجعلنا ننصرف عن شراء هذه البضائع

فالأبيات العربية التي لا أذكر نظمها تقول اذا غلا الشيء حتى لا أطيق شراءه أصبح أرخص شيء بالنسبة لى لانى لن أشتريه وهكذا أسير بهذه الحكمة ٠

أكتب هذه المفكرة في يوم الثلاثاء والمفروض أنني ذاهب بعد غد الى أوزاكا اكمالا للرحلة التى دعينا اليها ٠ ولكنني في غد ذاهب باذن الله الى مبنى التليفزيون الياباني وكنت أتمنى أن أكتب عن مشاهداتي فيه ولكن الوقت لم يسمح لى بذلك فلابد لى أن أقدم هذه المفكرة الآن حتى تستطيع أن تصل القاهرة في الموعد المناسب وأرجو أن يتاح لى الوقت أن أكتب شيئا آخر عن هذه الزيارة غير المتوقعة لبلاد لا تملك من منابع المال الا الطاقة البشرية واستطاعت بها وحدها أن تصبح دولة من أعظم دول عصرنا الحديث ٠ ولعل هذا يبعث في نفوسنا نحن المصريين بعض الأمل ٠ وما الحياة ان لم يداعبها الأمل من حين الى حين ٠

الأهرام في ١٩٧٦/١٠/٢٦

فرصة كافية للقدر

لم يكن مجـــرد النجاح فى بكالوريوس الهندسة هو كل ما يصبو اليه • فقد كان يعلم أن البعثة الى انجلترا فى ذاك العام مقصـــورة على الأول فقط • فان لم يكن هو الأول فمعنى ذلك أنه لن يذهب الى هـذه البعثة • ومعنى ذلك ان تنهار آماله كلها • وبقلب واجف عنيف الوجيب انتظر النتيجة وظهرت •

لم يكن الأول • وانما كان ثانى دفعته • لم يحس انه نجح • لقد تساوى هذا النجاح الرائع بالنسبة اليه مع السقوط • فما كان يبغى أن يكون مجرد مهندس • انما هو يريد من الحياة أن يكون دائما على قمتها •

وقد تمثلت القمة عنده على شكل دكتوراه فى الهندسة واسم شامخ ضخم عملاق يمكنه أن يبنى فلا يبنى الا الأبنية الشامخة العملاقة •

من أين له بهذا اليوم • والسبيل الى البعثة مقطوع • وليس لدى أبيه أو ذويه وفرة من المال تتيح له ما تتيحه الحكومة للأول • وانهارت الحياة عنده وتصدع أمام ناظريه بنيان المستقبل •

كان شابا جميلا ، حسن السمت ، بهى الطلعة ، وكانت له قبـل النتيجة ابتسامة عذبة تأمر من يراه أن يعجب به ، فحين ذوت منـه هذه الابتسامة بقى له على رغم أنفه جمال الشـباب وحسن السمت وبهـاء الطليعة •

وتواثبت الى أذنه همسة وشوشه بها صديق لأبيه :

ــ هل جربت كل الوسائل ؟

ــ وهل هناك وسائل • لابد أن أكون الأول ، أو لا بعثة •

ــ يا بنى لكل هدف أبواب كثيرة •

ــ الا البعثــة •

ــ وفى مقدمة هذه الأهداف هذه البعثة •

ـ كيف يا عمى ٠٠ كيف !! بعثة قررت الوزارة أن تكون من الأول فقط نظرا لظروف الحرب العالميـــة ٠ وأنا لست الأول ٠ من أين تأتى الأبواب الأخرى ٠

ـ قل لى ٠٠٠ من المشرف على البعثات ؟

ـ فلان بك ٠

ـ هل أنت متأكد أنه فلان بك ؟

ـ نعـــم ٠

ـ أنه صـــديقى ٠

ـ وماذا يستطيع أن يفعل ؟

ـ قل لى ٠

ـ أقول لك ٠

ـ ألم تتخرج ؟

ـ أهذا ما تريدنى أن أقوله ٠

ـ الا ترغب فى الزواج ؟

ـ يا نهار اسود من الحبر ٠٠٠ أى زواج يا عمى ٠٠ أقـول لك بعثة وتقول لى زواج ٠

ـ الزواج هو البعثة ٠

ـ مـاذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ بعثة الى أين !!

ـ الى لندن طبعا ٠

ـ أتزوج ٠

ـ فلان بك عنده بنت ٠٠٠ غاية فى الأدب ومتخرجة فى كليـــة الآداب ٠

ـ آداب حقوق لا يهم ٠٠٠ أراها ٠

ـ لماذا ؟

ـ أليس معنى كلامك اننى سأتزوجها •

ـ طبعـــا •

ـ الا يرى الانسان عروسه •

ـ عادة من الطبيعي أن يرى الانســان عروسه ليعرف ان كانت جميلة أم قبيحة ، توافقه أو لا توافقه •

ـ أنت تعرف اذن اننى لابد أن أراها •

ـ نعم وأعرف أيضا أنك تتزوج من أجل مسألة أخرى بالمرة •

ـ يعنى ؟!

ـ يعنى لالزوم أن تراها مطلقا •

ـ عميانى •

ـ بالعكس •• على السكين •• أنت لا تتزوج زوجـة تختارهـا بمحض ارادتك • أنت تتزوج بنت فلان بك لتذهب الى البعثة مقدمات ونتيجة كل ما يهمك من أمرها أن يكون بيت فلان بك ولا شيء آخر • وأنا أضمن لك انها بنته ، وسأكلمه على أساس أنك رأيتها فعلا •

ـ توكل على الله •

ـ أنت متأكد •

ـ تماما • لكن لابد من احتياط بسيط •

ـ مثل ماذا •

ـ مثل أن يعرف فلان بك المقدمات والنتيجة •

ـ ترى ذلك ضروريا •

ـ لابد والا تزوجت ولم أذهب الى البعثـــة فبدلا من أن نكحلهــا نعميهـــا •

ـ ليس من الحتم أن يعرف المسألة بكل هذه الصراحة •

ـ هذا متروك للباقتك ••• انما لابد أن يعرف على كل حال •

وتم الزواج •••

ولكن هل يترك القدر مسألة كهذه دون أن يتدخل بسخرية عنيفة •

كانت الفتاة غير جميلة • وهذه حقيقة لم تكن تحتاج منى أن أذكرها فلا شك أن كل قارىء عرفها • ولقد رآها الفتى عاشق البعثة أشد قبحا من

حقيقتها · وليس فى ذلك أيضا شيء غريب · فانها ستلازمه ليلة ونهاره بل وفى العصر وفى المغرب أيضا ولكنه مع ذلك قبلها حبا فى البعثة واحياء للمستقبل الذى انهار أمام عينيه وقد تمت الخطبة على أساس أنها سترافقه فى البعثة وتدرس هى أيضا فى لندن · ولكن الأمر العجيب الذى تفضل القدر فتدخل به قبل أن يتم الزواج كان له أعظم الأثر فى حياة المهندس العظيـــم ·

كان يوما فى زيارة لخطيبته قبيـــل الزواج بأيـام قلائـل فاذا فلان بك ·

ـ مبروك ياباشمهندس ·

ـ الله يبارك فيك يا عمى ·· خير ·

ـ كنت سأسعى سعيا عنيفا لاجل البعثة من اثنين حتى تتمكن من الذهاب الى لندن ·

ـ وهل نجح المسعى ·

ـ لم أعد فى حاجة اليه ·

ـ لماذا ··· ماذا حدث ·

ـ اعتذر الأول عن عدم الذهاب فاصبحت أنك المرشـــح الوحيـــد للبعثة بفضل مجهودك وحده دون أن سعى منى أو من غيرى ·

خرج المهندس فى ذلك اليوم وقد أصابه دوار متلاطم أخاذ ·· ماذا عليه لو كان انتظر ··· وماذا لو فسخ الخطبة الآن تلغى البعثة جميعا · وما ذنب الفتاة · وما ذنب فلان بك ·

أنهما الآن زوجان وأبناؤهما تخرجوا فى الجامعة · ولكن الدكتور المهندس تعلم منذ ذلك اليوم ان يترك فرصة كافية للقدر قبل أن يتخذ أى قرار ·

كلمة معادة الى السيد زير الحربية

كنت قد توجهت الى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الحربيـــة الفريق أول الجمسى بكلمة فى مفكرة ٦ يولية أرجوه فيها أن ينظر بعين العدل للشباب الذى يندب للخدمة بعد أن قارب الثلاثين وكون حياته على انه معفى من الخدمة · وكان هذا الرجاء مبعثه خطاب من سيدة ذات أبناء

ثلاثة لم تقل اسمها • ومنذ ذلك اليوم والخطابات تنهـــال على جريدة الأهرام تطلب منى أن أعيد تذكرة الوزير الانسان وانى على ثقة أن مثل هذا الأمر لا يحتاج الى اعادة الكلام فيه وعلى ثقة أيضا أن الوزير الانسان لن يألو جهدا فى سبيل تحقيق العدالة لهذه الأسر التى تبينت من كثرة الخطابات أنها كثيرة وأنها تعانى أشد المعاناة من ابتعاد عائلها عنها فترة التجنيد •

الأهرام فى ١٩٧٦/١٠/٣١

شريعة الحضارة هي شريعة الغاب

شريعة الغاب فيما نعرف هي التي تكون الغلبة فيها للأقوى • وهي التي كانت سائدة حين كان الانسان غريزة بلا حس ومطالب جسمانية بلا مشاعر وحيوانا يوشك أن يكون أعجميا بلا روحانية أو فن أو بعض سمو •

وكان الانسان في هذه الفترة لايدرك معنى الا أن يأكل ويتوالد • فاذا تزعم منهم زعيم فبالقوة وحدها يتزعم حتى اذا علت به السن وأنهكته الأيام غلبه على أمره زعيم آخر وقد يكون هذا الزعيم ابنه وأرفق ما يصنعه بأبيه ان يرمى به الى عقر الدار كمية من الهمل يلقى اليه بالطعام القاء • فاذا حدثت مجاعة وقل الصيد فأول من يحرم من الطعام هو ذلك الأب وليقفه الموت ما دام ضعيفا لا يستطيع أن يحصل على قوته •

القوة وحدها هي السيد ولا سيد غيرها ، والعقل لا عمل له والمعاني الأخرى التي عرفتها البشرية فيما بعد غيب محجب لا يدري أحد من الناس عنه شيئا • بل قد نعرف عن الغيب خبرا أما هذه المعاني فقد كانت شيئا غير معروفا على اطلاقه •

ومرت الأزمان وادعى الانسان أنه تحضر وعرف الرقي والسمو والرفعة ، وأشرق العلم بأضوائه الساطعة ، وقامت الفنون على ألوانها وأشكالها المختلفة من موسيقى الى أدب الى فن تشكيلي الى تمثيل • وادعى الانسان أنه أصبح ذا مشاعر رفيعة يعرف الحب ويعرف الوفاء ويعرف طاعة الآباء والبر بهم ويعرف الصداقة ويعرف اسمى ما بلغته البشرية من التضحية من أجل الوطن أو الصديق أو الأب أو الابن •

ولعل هذه المعاني تكون بعض البشرية ببعض • ولكن أين هذه المعاني من صلات الدول بعضها ببعض •

لم تستطع هذه المعانى أن تمنع الحروب فشملت عهود التاريخ جميعا مستمرة متلاحقة حتى لايستطيع الانسان أن يذكر فترة من التاريخ مرت دون حروب تستطيل متلاحقة سنوات عددا أو تنكمش لتنتهى فى فترة وجيزة لتتبعها حروب أخرى تأخذ حرب برقاب حرب أخرى ٠

حتى كانت الحرب العالمية الأخيرة وانفجرت القنبلة الذرية لتمحق مدينتين فى اليابان ان وجد مفجرها عذرا هشا للقنبلة الأولى مدعيا أنه ينهى بها حربا عالمية استحال عليه أن يجد العذر للقنبلة الثانيـــة التى كان عنها فى غناء شديد الا أن يكون ميراثه من عهد الغاب هو الذى سيطر عليه وهو يلقيها بل لعله كان أكثر همجية من عهد الغاب لأن الانسان الأول كان يقتل ليأكل ولم يكن يقتل لمجرد القتل ٠

واستطاعت هذه القنبلة حين استقرت آمنة عند الدولتين الكبريين أن توقف الحروب العالمية ٠ ولكن هل توقفت الحروب العالميـــة بسبب السمو الانسانى أم بسبب خوف كل دولة من الاثنتين مما قد تلحقه به الأخرى ٠ المؤكد ان المعانى السامية لا شأن لها بتوقف الحروب الكبرى ولو ان احدى الدولتين أصابت القنبلة الذرية دون الأخرى لسيطرت على العالم أبشع ما تكون السيطرة ٠

وحين ضمنت الدولتان الكبريان ألا حرب بينهما قسمتا العـــالم بينهما فاما احداهما فتجتذب أنصارها من الدول بسكب المال عليهـــا واشعارها دائما انها تحتاج اليها ٠

وأما الأخرى فقد سلكت طريقا مختلفا كل الاختلاف فهى تستلب الدول الواقعة فى حوزتها مالها وتفرض عليها نظامها فرضا لارحمة فيه ولا شفقة ٠ حتى اذا حاولت دولة كالمجر ان تثور انطلقت اليها الدبابات الروسية تدوس الأطفال وتفعصهم بالهوام والحشرات ، واذا حاولت دولة أخرى أن تغير بعض الأنظمة فيها تهطل عليها « خمس دول » تتزعمهـــم روسيا بالسلاح وتسحق محاولة التغيير ٠

وتنتشر الحروب الصغيرة لتعوض العالم عن الحروب الكبرى فهو عالم دموى قوى الأواصر بأجـداده من عصر الغـــاب فهو بذلك أصـــبح لايستطيع العيش الا على الدماء ٠٠ « وويل للمغلوب ٠٠ » ٠

تسرق اسرائيل فلسطين ٠ وتتوالى الحروب بين مصر واسرائيـــل ونهزم هزيمة ٦٧ فاذا العالم المتحضر جميعا يشيح عنـــا بوجهه ويبـــدأ التعايش على أشـــلاء الجثث المصرية فى سيناء وتتفق الدولتان الكبريان أول اتفاق لهما على أن يتركا المنطقة فى حالة استرخاء عسكرى ٠ ولم لا

وقد غلبت دولة أخرى غلبة ساحقة وأصبح من المؤكد أن مصر لن تستطيع أن ترفع رأسها الى أبد الأبدين فلا خوف اذن من المنطقة وخير ما يصلح لها هو الاسترخاء العسكرى فما دمت لا تستطيع أن تغلب مت ٠ هذا هو منطق الحضارة الرفيعة فى قمة مجدها لايختلف فى شىء عن منطق الغاب السحيق البعد فى غياهب التاريخ ٠٠ أغلب أو مت ٠٠ وما الاسترخا على الهزيمة ٠٠ أليس هو الموت وما البأس بك أن تموت مادمت لاتستطيع أن تنتصر ٠ على هذا تتفق الدولتان ٠٠ الدولة التى تكتب على عملتها « بالله نحن نؤمن » والأخرى التى ترفع شعار المادية وتعتمد فلسفتها على الشعار الذى رفعوه « بالله نحن نلحد » أقصى الروحانية وأقصى المادية ٠ كلاهما اتفق على أن الاسترخاء هو الأخلق بالمنطقة والأجمل بها والأحرى

وتشمخ علينا الأنوف اننا هزمنا وتتعالى تفهات الاحتقار من الصديق قبل العدو ٠ ونرتكس على الذل والمهانة والاحباط ٠ ونمشى فى البلاد العربية التى استمدت ثقافتها وحضارتها من ثقافتنا وحضارتنا منكبى الرؤوس انكسرت منا العيــون وذلت الرقاب وانهزمت نفوسنا داخـل نفوسنا فكان كل فرد منا يحس أنه هو نفسه هزيمة ٦٧ لا يحملها وانما يمثلها فهى هو وهو هى ٠

وننتفض للحق أول نصر عربى فى العصر الحديث فاذا الدولة التى تمثل قمة الحضارة تلتفت الينا فى دهشة اكبارا والعجب اعجابا والتعجب اجلالا وتنتصر نفوسنا داخل نفوسنا ويمثل كل منا انتصار ٧٣ وكأنه هو هو الانتصار ٠

ألم تستطع الدول المتحضرة أن تذكر حضارتنا حين العـالم جهل ومجاهل ٠

ولم تستطع أن تذكر تزعمنا الثقافى للمنطقة جميعا حتى ونحن فى أشد أوقات الهزيمة والاندحار ٠

ولم تستطع أن تذكر لنا مهد النبوات وأرض الرسالات ومشرق الفكر الدينى وأغنى بـلاد العــالم بالآثار ٠ ففيم اذن يكتبون على عملتهــم « بالله نحن نؤمن » ٠

انها شريعة الغاب لم تترك نفس الانسان حتى وهو فى أرقى عهود حضارته وسموقه ٠٠ أينسون كل هذا ولا يلفتهم الينا الا أننا حققنا النصر الأخير ٠ ألم يكن تاريخنا جميعا نصرا لنا وللانسانية ٠

ويل للانسان من الانسان ٠٠

توعية الجماهير

لا أعرف شعارا أسخف من شعار توعية الجماهير هذا ، ولعل جمعية تنظيم الأسرة هى أعظم دليل على ما أذهب اليه • فهذه الجمعية فيما أعتقد قامت لتبث الوعى بين الجماهير أن يحددوا النسل حتى لاينوء رب الأسرة بعدد كبير من الأولاد ويصبح وهو لايستطيع الانفاق عليهم • وحتى لا ينوء الوطن بأبنائه فيصبح وهو غير قادر على القيام بشأنهم •

ومنذ قامت هذه الجمعية والأطفال ينسلون الى الحياة زرافات ولا أقول وحدانا •

وتنظر حواليك فتجد الأسرات كلما كانت جاهلة كثر فيها النسل وكلما ازدادت بها الثقافة قل فيها الأطفال •

والأسر المثقفة لا صلة لها بجمعية تنظيم الأسرة ولا بالشعارات التى ترفعها •

ومن عجب ان تحاول هذه الجمعية بث دعايتها عن طريق التليفزيون المقصودون بهذه الدعاية لا يكادون يجدون طعام يومهم فما خطبك بالتليفزيون •

وكنا ظننا أن انتشار الراديو فى القرى سيجعل الفلاح يجد ملهاة أخرى غير انجاب الأطفال فاذا بالأمر يزداد سوءا ويلازم داره مع الراديو ويزداد الانجاب •

وجمعية تنظيم الأسرة فيما أعتقد •• ذات ميزانية والا فمن أين تنفق على دعايتها وعلى مرتبات الموظفين بها •

ترى أيعتقد القائمون بأمر هذه الجمعية أنهم حققوا أى نجاح بدعايتهم وبتوعيتهم للجماهير • وان كان هذا ظنهم فأين أثره •

الحقيقة أن الوعى يأتى من داخل الانسان وهو لا يأتى من فراغ وانما يأتى من تفكير والتفكير لايكون الا مع شىء ، ولو يسير من الثقافة والثقافة لاتكون الا مع شىء ولو قليل من العلم والعلم لا يكون الا بتعلم القراءة والكتابة فلو شاءت هذه الجمعية أن تكون ذات نفع فلتنس ولو الى حين مشكلة تحديد النسل ولتنفق جهدها ومالها فى مشكلة تحديد الجهل •

فاذا قرأ الأمى فكر واذا فكر سيعرف هو من تلقاء نفسه كيف يحدد نسله وتصل الجمعية الى ما تنشده •

الاهرام فى ١٩٧٦/١١/٢

الهتلرة ·· والتهتلر ·· !

كنت فى مكتبى بنادى القصة حين

دخل الى صبرى سكرتير النادى

وابتسامة عريضة على شفتيه

ـ هتلر يريد أن يلقاك

ـ ياساتر يارب ·· هتلر مرة واحدة

ـ لابد أن تلقـــاه

ـ طبعا فهل يعقل أن يطلب هتلر لقـــاء أحد ولا يلقـــاه ·· دعه يتفضل ·

وأقبل فتى فى ريعان العمر حسن السمت أســـمر الوجه فى غير شحوب ضامر فى غير هزال قصير القامة · لولا الطريقة التى يصفف بها شعره ويركب بها شاربه على وجهه لمرت به عيناك لاتكاد تلحظه · وهو فى تصفيفه لشعره وفى تركيبة لشاربه قريب الشبه من هتلر فعلا ·

جلس الفتى وتكلم ·· أنه فعلا مقتنع أنه هتلر · وعنده ما يثبت ذلك بضع مجلات تشرت عنه كلاما هو مقتنع بصحته ومطمئن الى جديته · وطبعا لم أحاول أن أناقش هذه الصحة أو تلك الجدية كما لم أحاول طبعا أن أناقش هتلريته · وخرج الفتى بعد أن اقتنع أننى سأحاول أن أنشر رسالته على الناس ولم أؤكد طبعا أننى سأفعل ، وكانت الحجة فى يدى قوية لم يجد سبيلا الى مناقشتها وهى أننى لم أكن أعمل كاتبا منتظما فى أية صحيفة أو مجلة ·

ومرت الأيام ·

وكنت جالسا بمكتبي بمجلة الاذاعة حين دخل من ينبئني أن هتلر يريد لقائي ووجدت نفسي واقعا في شر أعمالي . ماذا أنا قائل اليوم . ها أنذا أعمل في مجلة عملا منتظما . وليست في يدي حجة تقف بي عن نشر كل ما يريد نشره . ولم أفكر في رفض مقابلته فمثله يجرح جرحا بالغا اذا رفض أحد لقـاءه . ودخل هتلر وقدم الى مقالاته وهي دعوة الى العالم بالنظام الذي يرضاه لهذا العالم ووجدت نفسي أقول له .

ــ يا أستاذ هتلر مثل هذا الحديث لا يجوز أن ينشر بمجلة الاذاعة. فهي مجلة محلية واهتماماتها السياسية محدودة ولا تستطيع أن تحمل عبء رسالتك .

فانصرف عني وأنـا لا أدري أن كان قد اقتنع بحجتي أم لم يقتنع فمن ميزاته أنه يكسو وجهه بحجاب شمعي يرد عنه التلون بالمشاعر التي تعتمل في نفسه . وتلك ميزة يتمنى كثير من كبار الساسة لو حصلوا عليها .

وانقطع ما بيني وبين هتلر منذ ذلك الحين الى أن أذكرتني به أنباء سمعتها عنه منذ قريب فوجدت اسمه يفرض نفسه على فرضا وأفكر في شأنه تفكيرا جادا فيم أضر هذا الهتلر بالذات الناس . ان كل هتلر حقيقي خرب نفوسا ، ودمر دولا وحطم فترات من التاريخ ، وشل الزمن عن المسير ، وانشأ من الشباب أجيالا حائرة لا تعرف الصواب من الخطأ ، ولا تفرق بين الخير والشر ، ولا تدري لنفسها متجها أو قبلة . أن هتلر ألمانيا مات منذ نيف وثلاثين عاما ولكن آثاره مازالت باقية في ألمانيا وقد قسمت بعد أن بذلت الجهود الضخام لتوحيدها .. وانهار الجيل الذي نشأ في زعامته وفقد ثقته بكل شيء فقد كان لا يثق بأحد ولا بشيء الا هتلر .

بل ان أنجح هتلر عرفه التاريـخ هو نابليون .. كسب لبـلاده الانتصار وفرض عليها الخراب وعداء الدول وانتهى أمره وحيدا في جزيرة وانتهى الأمر ببلاده بهزيمة جعلت انتصاراتها جميعا تنقلب الى هزائم . وفيم أفادت من النصر وقد كلفها الأموال والأرواح والمستقبل وظلت فرنسا تعاني من عقدة حكم الفرد وترفضه فاختارت لنفسها الجمهورية البرلمانية وأصبحت الوزارات فيها تتغير في سرعة تغيير الثري المترف لملابسه حتى لقد كانـوا يسـخرون من وزراء فرنسا قائلين ان أفـراد الشعب الذين لم يصلوا الى الوزارة أقل من الذين وصلوا وظل الحال بها على هذا حتى قلب ديجول الجمهورية الى جمهورية رئاسية لا فردية فيهـا وانما ضمن الاستقرار للسلطة التنفيذية حتى تستطيع أن تؤدي شيئا من المشروعات

الهامة • وبعد ديجول عاد الصدام مرة أخرى بين قصر الرئاسة ورئيس الوزراء والله وحده يعلم الى أين يؤدى هذا الصراع • ولكن الذى لا شك أن شبح هتلر فرنسا ــ نابليون ــ مازال ماثلا فى عقول الفرنسيين وتفكيرهم •

وحديث الأفاعى طويل المدى • فلو أننى تناولت كل هتلر آخر لما اختلف الحديث عن الحديث ولا بعدت النتائج عن النتائج •

ويحاول البعض أن يقول أن الخلفاء الراشدين كانوا أيضا حكاما منفردين بالحكم ولكنهم كانوا عادلين • وهذا وهم فالحاكم المفرد ــ الهتلر ــ ليس حاكما منفردا بالسلطة التنفيذية فقط وانما هو منفرد بالتشريع أيضا • فلا دستور يمسك بيده أن تبطش ولا قانون يحيط به أن يهوى • أما الخلفاء الراشدون فقد كان القرآن دستورهم وهم انما يفسرون أحكامه أما ما لا يحتاج الى تفسير من هذه الأحكام وما سبقت به سنة معروفة من النبى عليه الصلاة والسلام فهو مفروض عليهم فرضا لا يفكر واحد منهم أن يحيد عنه بل انه لا يقبل فى شأنه أى نقاش •

فحين ابتعد حكام المسلمين عن القرآن ووجدوا من يحرفون لهم كلام الله بما يحقق لهم مطامع الدنيا بدأ نظام الحكم الاسلامى كله فى الانهيار لأن الحكام يومذاك أصبح كل منهم هتلرا قبل أن يظهر هتلر •

وهتلر ألمانيا تفضل على العالم فيما تفضل بنظرية الجنس الارى الذى هو فى رأيه سيد الأجناس فجعل شعبه مكروها من كل من لا ينتمى الى جنسه وظل الجيل كله يسخر من شخص يفرق بين الجنس والجنس وبين الانسان والانسان •

ومن الهتالرة من يتهتلرون على حساب شعوبهم واخوانهم الأقربين ولعلى أقرب مثل ذلك مشروع الهتلر الذى يريد أن يتهتلر فلا يجد من يتهتلر عليه الا أبناء عمومته وأهله وعشيرته • فالقذافى كان يستطيع أن يتهتلر على اسرائيل وكان يستطيع أن يشارك فى حرب رمضان ولكنه وجد هذه الهتلرة ستزج به الى حرب مع العدو الحقيقى فابتعد عنها وراح ينفى الانتصار ويغض من المجد الذى حققته مصر للعرب ولهذا الجيل أجمع وللتاريخ الاسلامى •• وقف كالقراقوز يتهتلر فى الهواء ويسب المنتصرين حتى اذا القوه وراءهم ظهريا سلط أمواله أن تخرب فانتشرت كالوباء تمحق لبنان مع الماحقين وتحاول التدمير فى القاهرة وتحاول التفريق بين الكويت وبين اخوانها •

وهكذا نجد أن هتلر الذى يصفف شعره ويركب شاربه ويحاول انه ينظم الكون بمقالته هو أطيب هتلر عرفناه • فانه لا شر ينتظر منه ولا عليه أن يكون هو وحده الذى يؤمن بأنه هتلر • فان الحقيقة التى يعرفها هو هى الحقيقة الوحيدة التى تعنيه وليكن رأى الناس جميعا بعد ذلك ما يكون •

وهتلر هذا لا يفترق فى داخله عن أى متهتلر مثل القذافى وبعض هتالرة آخرين • الفارق الوحيد أن القذافى وأشباهه وجدوا مالا بين أيديهم والمال فى ذاته مقنع لمن لا ضمير له فاقتنع معهم بهتلرتهم كل سـنكوح ساقط الكرامة يبيع بلاده وكرامته وضميره من أجل حفنة دنانير ويهتف يحيا هتلر وان كان هو يعلم فى دخيلة نفسـه انه لا هتلر هناك وانما قراقوز • وهو يعلم أيضا أنه حتى لو كان هتلر فالأخلق به أن يقول يسقط هتلر فليس بين الكتاب شريف يرضى لنفسه ان يكون طبلا للديكتاتورية •• أقصد للهتلره ولكن الهتلرة التى صبت على العالم جعلت القيم تميد والحقائق الثابتة توشك أن تهوى فأصبح فريق كبير من الكتـاب يهاجم الحرية ويهاجم الديموقراطية ويدعو أو يوشك أن يدعو الى الحكم الهتلرى وسنده أن الديموقراطية فى كثير من الأحايين تتكشف عن بعض مفاسد • وهؤلاء الكتاب يعلمون كل العلم ان كشف المفاسـد انمـا هو من أعظم ما تبلورت عنه الديمقراطية وان نظام الفرد المطلق يبقى على المفاسد تحت الغطاء تتراكم حتى يضرب القبيح بجذوره فى الدولة كلها •

وكلنا يعلم وهؤلاء الكتاب يعلمون أن للنظام الديموقراطى عيوبه ولكنه أقل الأنظمة عيوبا فهو من صنع البشر والكمـال لله وحده ولكن ثبت أن الشرور تستشرى بأسوأ نتائجها بعيدا عن الديموقراطية لأن الديمقراطية هى فى حقيقتهـا التقنين الطبيعى للحرية وفى ظل الحرية تصطرع الآراء وينفذ أقربها الى الكمال • وفى ظل الهتلرية لاصراع وانما هو فرد فعال لما يريد وليذهب الوطن وأهل الوطن جميعا الى الجحيم والى ما هو شر من الجحيم • وقنا الله شرور الهتلرية والملبين لها من متسقطى الأموال ساقطى الحياء انه سبحانه بعباده أرحم الراحمين •

الاهرام فى ١٩٧٦/١١/٥

حديث عن المعاشـات

● جاءنى خطاب عن قوم مظلومين من أرباب المعاشات وقع عنهم محمد جلال الشريف وأحمد موسى سالم وحسن عبد الكريم • يقولون فيه :

« أصدرت وزارة التأمينات فى عام ١٩٧٥ قانونا للتأمين والمعاشات ظهر فيما بعد أنه لا يحقق العدالة التى لابد أن تتوافر لقوم جديرين بكل رعاية واحترام • فالقانون أغفل تماما أصحاب المعـاشات الذين تركوا الخدمة فى المدة الواقعة بين ٩ سبتمبر سـنة ١٩٧١ حتى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٤ وحرمهم من أى زيادة لمعاشاتهمرغم ان هؤلاء هم الذين عاصروا موجة الغلاء الطاحنة وعلى الرغم من ان هؤلاء بالذات يتقاضون معاشات هينة الشأن لا تتجاوز الأربعين جنيها •

ثم أعلنت وزيرة الشئون الاجتماعيـة عن مشروع لقانون جديـد تحاول به أن تستدرج العيوب التى ظهرت فى القانون الأول • ولك أن تضحك اذا قلت لك ان القانون الجديـد جاء كسابقـه وتكررت المأساة وكانت حقل تجارب فقد اشترط على هذه الفئة من أصحاب المعاشات أن يكونوا قد قضوا أكثر من ٢٦ عاما فى الخدمة حتى يمنحوا علاوة قدرها خمسة فى المائة ومعنى ذلك هو عدم اعتراف هذه الوزارة بأن هناك غلاء لابد أن يواجهه أرباب المعاشات » •

وينتهى الخطاب عند ذلك وقد رأيت أن أقدمه لانه لابـد لوزيرة الشئون الاجتماعية أن تعرف ان الغلاء حين يحل بالأمة فهو يواجه الجميع لا فئة دون فئة والذى لا شك فيه ان هذه الفئة التى أرسلت هذا الخطاب تعيش بمصر وتواجه من غلائها ما نواجهه نحن وما تواجهه السيدة الوزيرة أيضا ولعلها به أدرى فالمفروض فى السيدات أن يدركن وقع الغلاء ادراكا تاما • وحين أعلنت مصر ان التأمين ستشمل مظلته المصريين جميعا فهمت

ان التامين ليس على أنه فتات يلقى الى الناس وانما فهمت التأمين بما توحى به الكلمة ... التأمين .. هو أن يصبح الانسان فى أمان من الحاجة والعوز والخوف من الغد والقلق على مستقبل أولاده ... التأمين مشتق من الأمن ... واين لمثل هؤلاء ان يأمنوا وكيف لا تتيح لهم الدولة أن يعيشوا فى ظلال من الأمن وقد وهبوا لها زهرة شبابهم أما كفاهم الفراغ القاتل الذى يعانون . ولو كانت الأعمال التجارية رائجة لاستطاعوا أن يبحثوا عن عمل غير مرهق يستعينون به على الحياة الصلبة الصلدة التى يعيشون ولكن هذا الغلاء لعنة الله عليه كحلقة الشيطان يسبب فقرا والفقر لا يستطيع أن يواجه الغلاء وهكذا دواليك . الا بعض الرحمة .

اذن فهى حسرة

● **فمنذ سنوات لم نر فى نتائج الانتخابات وزيرا يدخل انتخابات الاعادة .. اذن فهى حرة والا لتدخلت الحكومة لتنقذ وزراءها ومن هم فى مناصب الوزراء ان يعاد الانتخاب بينهم وبين منافسيهم . فالحكومة لن ترعى أعز من الوزراء فانهم هم الحكومة . فما لقوم ينزلون الى الناخبين لا يعتمدون على شيء الا أن يقولوا قولتهم الفاشلة أنهم مرشحون عن الحكومة . لقد تهاوى هؤلاء القوم وما التفت اليهم الناخب ولا اهتزت له شعرة مما يدعون . ولقد شهدت الانتخابات واشهد أنها كانت نزيهة ولكن اللجان كانت أكثر من عدد قوات الشرطة . والسيارات التى توزع مندوبى اللجان كانت قليلة وهكذا بدأت كثير من اللجان عملها فى الساعة الحادية عشرة تقريبا . وشهد مندوبون عن المرشحين عملية الفرز ولكنهم لم يتمكنوا من الرقابة الفعالة التى تطمئن المرشحين . وان كان جميعهم يقول أن العاملين فى هذه اللجان كانوا بعيدين عن الشبهة من حيث الغرض وان لم يكونوا بعيدين عن الخطأ الذى قد يقع فيه كل انسان والذى يمنعه أن يقع الرقابة الفعالة لمندوبى المرشحين فى عملية الفرز .**

واننى أرجو بالحاح ان يتدارك وزير الداخلية قلة الشرطة فى اللجان فقد جاءت على اللجان عشرات كثيرة كان العمل فيها مستحيلا حتى أن كثيرا من اللجان كانت تتوقف حتى يتاح لها أقل قدر من النظام يمكنها من أداء عملها .

واليوم ألا يحق لنا أن نلقى نظرة على بعض المرشحين وأخرى الى الناخبين .

لقد استقل كثير من المرشحين الذين يشغلون مناصب سيارات الحكومة وأموال الاتحادات التابعة لهم وطوابع البريد الحكومية وكانوا

بهذا يحاولون ايهام الناخبين أن الحكومة هى التى رشحتهم منتهزين فرصة أن منبر الوسط رشحهم بين من رشحهم • وقد بلغ بهؤلاء التبجح أنهم كانوا يقولون قولتهم هذه رغم أن منبر الوسط لم يرشحهم وحدهم فى دوائرهم وانما رشح غيرهم أيضا •

ورأيت قوما يستغلون مناصبهم فى جعل الموظفين الذين يعملون تحت رئاستهم أو حتى غير الموظفين يقومون بالدعاية الصارخة لهم •

لهؤلاء الذين أمرنا أن نخفض لهم جناح الذل من الرحمة فلا يجوز لدولة كريمة أن تجعلهم هم يخفضون أجنحة الذل والشكوى ولا يجوز أن نضع فى حياتهم شيئا يشكون منه والا فمن الرحمة نحن براء •

ولكن العجيب ان الناخبين سخطوا على هذا الوضع ورفضوه وهكذا كانت الحكومة غاية فى النزاهة بينما كان بعض عمالها مثالا لا يحتذى فى عدم النزاهة •

ان هؤلاء القوم ـ للأسف العميق الشديد ـ يتولون مناصب المفروض أن يكونوا فيها نماذج رفيعة فى العفة والبعد عن الشبهات والتنزه عما يمس ضمائرهم أو يخدش كرامتهم أو يطعن فى ذمتهم • فالمفروض فيهم أن يكونوا رواد اخلاق وأئمة مثل رفيعة فاذا هم ينزلقون الى أبخس مهاوى الاستغلال للوظيفة والاستلاب لأموال الدولة والى مسماة من الرذيلة لست أدرى كيف ستعتدل بعدها قامتهم أمام من يتخذونهم قدوة ونبراسا •

ليس من المحتم أن يصبح النبراس والأمام عضوا بمجلس الشعب ولكن لابد للنبراس أن يكون مرفوع الهامة أمام الناس أجمعين •

ان مصر لها أن تعتز بالتقدم الذى أحرزه الناخبون فيها وارجو أن يأتى يوم تعتز فيه مصر بجميع المرشحين لا ببعضهم فقط • فان مجلس الشعب هذا الذى تقبل عليه مصر فى عهدها الجديد المفروض فيه انه سيقوم المعوج وسيأخذ المنحرفين أخذا وبيلا حتى يطمئن الانفتاح الى الطريق الذى سيسير فيه ولم نسمع ولا يسمع التاريخ بمعوج يقوم معوجا ولا بمنحرف يؤاخذ منحرفا • فنحن لا نحتاج فى مجلس الى شىء قدرة حاجتنا الى الشرف ••• الى النزاهة ••

ولا يستقيم فى العقول أو النفوس أن يكون المستغل لأموال الحكومة وهو الأمين عليها شريفا •• أو نزيها •

ان القانون الجنائى يشدد العقوبة على السارق اذا سرق شيئا كان هو أمينا عليه • فاذا كان هذا مع غير المتعلمين فكيف الأمر اذا كان السارق

على درجة من العلم · ان العقوبة الأشد التى تقع عليه هى احتقار الناس وهو عقاب مرهوب اذا كان الجانى على جانب من الكرامة أو الاحساس · أما اذا لم يكن فلا عقوبة هناك ولا تشريد والأمر لله من قبل ومن بعد ·

شوقى فى خلود ذكراه

ظل الشعر لفترة طويلة من الزمان هو المرآة التى يرى فيها العربى وجه امته وتاريخها السابق ومجدها اللاحق · وفى ظل ازدهار الشعر ظهر عمالقة الأجيال المتنبى والبحترى وابن الرومى وأبو نواس والشريف الراضى وغيرهم ممن رصعوا تاريخ الشعر العربى بثروات باذخة القيمة شاهقة البناء ·

وحين حكمت مصر بمن عجمت ألسنتهم تدهور الشعر حتى يكاد التاريخ يسقط كل الشعراء الذين وجدوا فى هذه الحقبة المظلمة من تاريخ مصر ·

وبعد فترة من اضمحلال الشعر العربى فى مصر وفى سائر البلدان العربية فى عصر المماليك والحكم الفرنسى بدأت فكرة الحرية تبدو فى الأفق ولمع هذا الأمل الجديد فى سماء الشعر فاذا بالأدب العربى يستمع الى شدو البارودى واسماعيل صبرى وبعض آخرين كانوا كالهمهمة يسبق بها المغنى غناءه والشادى شدوه ·

ثم انفجر الشدو والغناء فاذا هو شوقى عملاق الجيل الحديث من شعراء العرب واستطال حجمه وعلت هامته فاذا هو يطاول المتنبى وأرى أنا ويرى كثير غيرى أنه سبقه وأصبح له أن يقول :

رب جار تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى بمـاقى معزيـا وطنى أو مهنئـا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشرق وكان العزاء فى أحزانه
وأصبح من حقه أن يقول لأم المحسنين لاتروم غير شعرى موكبا
أن شعرى درجات الخالدين كل فضل لم أصنعه زائل
خالد الحمد بما صنعت رهين

لم يكتف العملاق بأنه أعاد الشعر العربى الى سالف مجده فواكب ثورة الحرية التى من منابعها نرشف حتى اليوم بل انه يميل الى الغرب وينظر الى الشعر هناك لغة فى المسرح فاذا هو يطلع على العالم بخوالده كليوباترة ومجنون ليلى وعنترة وعلى بك الكبير ، ويحب للشعر أن يضحك

فيكتب الست هدى ويحب للشعر أن يرتفع بلغة الغنـاء فيكتب للمغنين الناشئين شعرا وزجلا فاذا هو ظاهرة جيل وأجيال وعملاق مصر والعالم العربى ، على مشرق قصائده يسير السائرون ويخلد شوقى مع الزمان ٠

وفى ذكراه نلقى هذه الزهرة حول دوحتـه الغنـاء الشماء المعطار وما زهرة عند روضته الا تحية وفاء من جيل استنبع فنه ونهل من فيضه ودان له بالفضل ولابد له أن يتقدم الى ساحته فى يوم ذكراه بالوفاء كل الوفـاء ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/١١/٩

وماذا بعد ؟

نسعى فى مناكبها ويبلغ بنا الجهد أقصاه وتنسعر حولنا الحياة وتتلاحم حولنا الأكتاف كلها ملهوج مندفع الى غايته لا يبالى فى سبيل هذه الغاية صديقا يوقع به أو رفيقا يتركه ويمضى لاهثا يلتمس الرى وهو عطشان ، أو مزيدا من الرى وهو مرتوى • والغنى يغرى بالغنى وحين يزيد المال عن الحاجة ينقلب صاحبه الى وحش كاسر كثيب تبرز أنيابه فهى الخناجر المسنونة تفتك بكل من يرجو منه خيرا أو يأمل عنده مكرمة •

وليس للغنى حد يقف عنده وليس له أمد ينتهى اليه • وما دام المال أصبح فى ذاته غاية لا وسيلة فويل لمن يجمعه • أنه يشقى حياته كلها ولا يعرف المتعة أبد الدهر وكلما زاد المال عنده زاد حرصه عليه وسعيه الى مزيد منه •

ولكن ماذا بعد ••

والأخرون ممن تغريهم الشهرة ويبحثون عنها بالطرق المشروعة وغير المشروعة وفى سبيل الشهرة يفقدون احترامهم لأنهم ينقلبون الى بهلوانات وقراقوزات ويتشقلبون ويحرصون أن يتشقلبوا أمام الناس • وما أبأس داء حب الشهرة اذا دخل قوما المفروض فيهم أن يكسبوا احترام الناس دون نظر الى كمية الناس الذين يعرفونهم وأصدق مثل لهؤلاء هم القضاة • فالقاضى يجب أن يكون عادلا وكريم السمعة بين من يعرفونه فاذا فكر فى الشهرة أصبح مضحكا وفقد العدل وكرم السمعة فى آن معا •

وطالب الشهرة لذاتها أغلب الأمر فيه أنه يطلبها من فراغ فلو كان صاحب موهبة حقيقية فانه يترك الشهرة تسعى اليه ولا يسعى هو اليها فان هذه الشهرة ذات خلق وضيع تدمر من يبالغ فى طلبها وتأتى خاشعة لمن لا يأبه بها أو يفكر فيها •

ولكن هب الانسان قد بلغ من الشهرة ما أراد لنفسه أن يبلغ أو فوق ما توقع أن ينال •

والآخرون ممن يلهب ظهورهم حب السلطة ويرضى غرورهم أن يامروا فأمرهم طاعة واشارتهم نفاذ ، والايماءة قرار • هؤلاء فى حال من الهم شديد • فهم لا يطيقون أن يعارضهم أحد • يخيل اليهم أنهم آلهة وهم بشر ، خطاءون مثل كل خطاء ، ولكن الفارق بينهم وبين الناس أنهم يتوهمون أنهم آلهة فلا يقبلون رأيا غير رأيهم ، وحين يرون خطأ الرأى الذى اعتنقوه يستكبرون أن يعترفوا بخطئهم بينما الناس يعرفون أنهم ناس وأنهم يخطئون ويصيبون •

أولئك الآلهة تسلط عليهم أنفسهم وهى التى تدمرهم • وحين يتهاوى مجدهم وينهار تصبح مصيبتهم أعظم لأنهم بنوا حياتهم على أنهم آلهة والآلهة لا تتهاوى ولا تنهار •

ولكن هب أنهم أصابوا المجد الذى به يحلمون وسمحت لهم ظروف الحياة أن يبلغوا المجد الذى ينشدون وفوق ما ينشدون •

ماذا بعد •

أنهم جميعا يعرفون أنهم ميتون • ولكل منهم فى ذلك مذهب ومتجه • فصاحب المال يقول أترك لأولادى شيئا يعيشون به وان لم يكن صاحب ولد قال أؤمن شيخوختى وكل منهما يعرف أنه يخدع نفسه ويختلق عذرا ما هو بصحيح •

وصاحب الشهرة يخالها المجد وليس غريبا أن يطلب الانسان المجد وهو لا يدرى أنه أخطأ الطريق •

ومن يهوى السلطان يخيل أنه على الطريق وما بعجيب من مثله أن يجهل الطريق •

ولكن الناس ــ سائر الناس ــ يقولون وماذا لو أصبنا من المال ما يستر علينا حياءنا ، ومن الشهرة ما يرفع بين الناس قدرنا ، ومن المجد ما يجعل منا أناس يرضى عنهم قومهم ويكنون لهم التقدير والاجلال • ماذا نفيد من هذا جميعا ونحن الى التراب عائدون وسيرث الله الأرض ومن عليها • ان هذه الحياة الا فترة انتظار ثم عدم لكيان البشر وحياة أخرى لا ينفعنا فيها الا ما كنا قد أدخرناه من أعمال صالحات ومن المؤكد أنه ليس بين هذه الأعمال الصالحات حب المال حبا جما ولا طلب الشهرة ولا التفرد بالرأى •

ولو أخذنا بهذا الذى يقول به الناس •• سائر الناس لانقضت حياتنا دون أن نقدم لها شيئا • ولعل ما جاء فى الأثر من أن نعمل لدنيانا

كأننا نعيش أبدا وللآخرة كأننا نموت غدا خير نبراس لنا نسير عليه . فانا جميعا ــ نحن الناس ــ قــوم على السفر وفى انتظار المركب التى ستقلنا الى الحياة الأخرى أيا كان نوعها والسعيد منا من عرف كيف يقطع فترة الانتظار هذه والسعيد السعيد من يعرف أن طريق حب المال أو حب الشهرة أو حب السلطان ليس هو الطريق وعلى كل منا أن يبحث عن طريقه ويستلهم من الله هداه .

حكايات .. للدكتور الزيات

جمعتنى مائدة افطار بالدكتور الزيات وزير خارجيتنا السابق . وأنا أعجب بالرجل منذ عرفته فى رحاب أستاذنا عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين من سنوات بعيدة وكان لابد أن يسوقنا الحديث الى لبنان وأحداث لبنان وقد قلت فيما قلت أنه من العجيب أن يكون أول اتفاق بين روسيا وأمريكا على العرب فقال الدكتور الزيات لقد روع العالم أجمع أن العرب اجتمعوا لأول مرة فى حرب أكتوبر . وأحس العالم وعلى رأسه الدولتان الكبريان بالخطر الداهم الذى يتعرضون له اذا هم سكتوا عن العرب متجمعين . فقلت ولكنهم اختاروا سوريا العربية لتنفذ لهما ما تتوقان اليه فروى لنا الدكتور الزيات قصتين من الأدب الرمزى أعجبت بهما كل الاعجاب أما الأولى فعن شجرتين فى غابة أصبح عليهما الصباح فوجدتا بينهما سلاح فأس لا يد له فقالت الشجرة الصغرى .

ــ ان هذا السلاح ينبىء أن هناك يدا ستمتد لنا بالقطع فى يومنا هذا فقالت الشجرة العجوز .

ــ اذا لم يجد القاطع فرعا منا نحن الأشجار فانه لن يستطيع أن يهوى علينا .

وأما القصة الثانية فعن صياد راش سهمه أى وضع الريش فى نهايته حتى يكون أكثر نفاذا . وبينما طائر يحلق فى السماء رماه الصياد بالسهم المريش فأصابه وبينما الطير يهوى الى الأرض نظر الى ريش السهم فوجده من طائر مثله وحينئذ فقط دمعت عيناه .

لنا الله فاننا نحن العرب نحن الأشجار ويد الفأس ونحن نحن الطير ونحن نحن ريش السهم . لنا الله .

نظارة الولد السعيد

نجلس من حين الى آخر فى مقهى يضم أصدقاء اختلفت مشاربهم وتنوعت .

انهم تعارفوا على هذا المقهى منذ زمن بعيد • وبينما أب عجوز لا يمل أن يحكى عن أبنائه فكلهم بحمد الله موظف مرموق فى وظيفته مبلول اليد ينال مرتبا يكفيه ويغنيه • وهذا الصديق من السذاجة حتى لا يدرى أن الحديث عن الأبناء موضوع لا يهم ــ فى غالب الأمر ــ الأصدقاء ولكنهم يستمعون اليه فى اناة حتى لا يجرحوا مشاعره •

وفى يوم كسرت نظارة هذا الوالد السعيد واستطاع أن يقاوم ويأتى الى المقهى مرة أو اثنتين ثم اختفى •

وحين طالت به الغيبة قصد اليه أحد أصدقائنا ••

ــ خيرا لماذا انقطعت عنا •

ــ أنا بغير نظارة والسير فى الليل خطر •

ــ ولكنك قريب من المقهى •

ــ يكفى أن أعبر الشارع مرة واحدة حتى يحدق بى الخطر من كل سبيل •

ــ ولماذا لم تشتر نظارة أخرى •

ــ غالية •

ــ آه ••• ماذا عن أبنائك •

ــ الله يبقيهم يزوروننى دائما •

ــ لماذا لم تقل لواحد منهم انك تريد نظارة •

ــ أنا لا أطلب منهم شيئا •

ــ وهم ••• ألم يلاحظوا أن نظارتك كسرت •

ــ لا أدرى ••• لم يسألنى أحد منهم عنها •

ــ قم بنـــا •

وأخذه الصديق واشترى له نظارة وعاد الى المقهى بنظارته الجديدة وليس عجيبا أنه عاد الى نفس حديثه المفضل عن أبنائه ومراكزهم المرموقة ومرتباتهم الكبيرة وحبهم له واهتمامهم به ••• لا ليس عجيبا ؟ •

الأهرام فى ١٩٧٦/١١/١٦

مظهر ممزق لنفوس متماسكة

تعرض العالم الغربى لحربين عالميتين توشكان ان تكونا متتاليتين وقد أحدثت هذه الحروب ظواهر مدمرة أصابت أكثر ما اصابت الشباب الذى كان طفلا أو لم يكن قد ولد عند نهاية الحرب · وتبلور أثر هذا الدمار على نفوس الشباب وما لبث أن انعكس على الأدب كما انعكس على سلوك الشباب ·

واعتقد أن هذا الانعكاس هو الذى أوجد لنا الأدب غير المعقول أو الأدب العبثى وقد استطاع هذا النوع من الأدب ان يمتد فى سرعة فائقة حتى أوشك أن يغطى السطح الأدبى فى العالم أجمع · ومن المعروف أن الموجة السريعة الاندفاع سريعة الانحسار · ولهذا ما لبثت الموجة أن تراجعت · ورايى فى هذه الموجة العبثية انها تصلح أن تكون فكرة لرواية أو روايتين أو لقصة أو قصتين ولكنها لا تستطيع أن تكون نظرية أدبية · ولعل انحسار موجتها تأكيد لما ذهبت اليه ·

وعند غير الأدباء اتضح هذا الدمار فى الشعور المطلقة والملابس الممزقة والمظهر الرث · وما أظن تمزق الثياب الا نوعا من تمزق النفوس · واجتاحت الموجة العالم وظهر قوم يقولون نحن غاضبون وسألهم الناس فيم الغضب فلم يجدوا شيئا يقولونه واندثرت موجة الغضب ليظهر الهيبيز ساخطين على نواميس الحياة وقوانينها ولا يجدون حلا ألا أن يطلقوا شعورهم ويتخذوا ما يتخذونه من رث الملابس والمظهر جميعا ثم ما لبثت جماعة كبيرة منهم أن قالوا أنه لا صلاح لهذا العالم ألا بأن يعود الى الله واتجه جانب كبير من الهيبيز الى الله أخيرا ·

كل هذه التغيرات تحدث فى الغرب لتعبر عن التمزق الذى عانوا منه ولكن ظهورها فى مصر شىء يدعو الى العجب فلا الذين يكتبون الأدب العبثى من الشبان يعرفون لماذا يكتبونه ولا الذين يطلقون شعور رؤوسهم يدرون لماذا يطلقونها وانما سمعوا أن الغرب فعل ذلك ففعلوه عن غير رأى ودون تعمق ·

ولقد وقفت من القضية غير المعقولة موقفا اعتبره الشباب موقف مناهضة وحرب وعلم الله ما الى المناهضة ولا الى الحرب قصدت فكل ما أرادت ان افعله أن أكون أمينا مع نفسي فلا أحكم على شيء أنا لا أفهمه ٠ وحين قدمت هذا لأحد الشبان قال لى أبحث لك عن مترجم والحقيقة أن البحث عن مترجم من العربية الى العربية أمر لم يكن ميسورا هذا الى جانب أن المترجمين سيختلفون فى تفسير النص ولهذا رأيت الا أستمع الى النصيحة الغالية الجادة التى تفضل بها أحد الشباب فجاءت فى ذاتها نوعا من أدب العبث ٠

أما (الهيبز) المصريون فهم أيضا لا يعرفون لماذا يفعلون ما يفعلون فان جاز التمزق للغرب فهو عندنا غير جائز فنحن شيبة وشبابا لم نبتعد عن الدين ولم تمزقنا الحروب التى خضناها فقد استطعنا ان نحصن أنفسنا عند الهزيمة ، والا فكيف انتصرنا ٠.لم يكن هناك سبيل الى النصر بنفوس ممزقة ٠ نحن اذن لم نمزق وان كنا قد مررنا بأوقات مرهوبة عصيبة خائنة الا أن شبابنا ظل متماسكا لأنه كان يجد دائما ما يؤمن به وكان حرصه على الدين أعظم سند له وظهر ٠

ولهذا فانا أعقد أن تقليدا للغرب فى هذا التمزق لا يناسب حقيقة متماسكة وانما هو مظهر ممزق لنفوس متماسكة ٠ على أننى حين ذهبت الى أمريكا وأغلب بلاد ٠ أوروبا هذا العام وجدت أن نسبية الهيبز هناك ضئيلة ٠٠٠ أنها لاشك ، أقل من نسبتها فى مصر وأنا لم أقم باحصاء طبيعة الحال ولكن هكذا بدت لى البلدان التى مررت بها سواء كان ذلك فى أمريكا أو أوروبا ٠

خطـاب كـريم

تعليقا على حديث لى فى هذه المفكرة وخطاب نشرته بها جاءنى هذا الخطاب الرائع من المستشار نجيب ويصا اندراوس بالاسكندرية وانى اوثر ان انشره بلا تمهيد له ولا تعقيب فانه يحمل فى ذاته التمهيد والتعقيب جميعا ـ تحية واحتراما وبعد ٠

أعجبت كثيرا بما قدمتموه من مفكرتكم وأخص بالذكر ما نشر يوم ١٤ سبتمبر تحت عنوان (خطاب ذو معان رفيعة) الذى علق فيه الأخ مرسله على كلمتكم المنشورة فى أهرام الجمعة ٢٠ أغسطس والخاص باللغة والثقافة وما يستلزمه اتقانها من ضرورة تكيف جميع الطلبة فى كافة المستويات حفظ أجزاء من القرآن الكريم وفيه الكثير من الأخلاقيات التى تناسب كل سن دون تفرقة بين مسلم ومسيحى على ما كان العمل بين العشرينات والأربعينات عندما كان الجميع يحضرون دروس الدين ـ خصوصا

فى مدارس الامريكان - وحضور المسلم لدروس الدين المسيحى لتفهم المثل التى فيه لم يكن ليؤثر عليه فى دينه وكذلك حضور المسيحى وحفظه لما فى القرآن الكريم من مثل لم يكن ليؤثر عليه فى دينه بل كانت المعانى والقيم السامية ، التى ينادى بها كل دين تعم الجميع وقد انطبعت فى الأذهان منذ الطفولة والصغر كما استقر فيها ان لكل دينه الذى يعبد الله عليه فنشأت تلك الأجيال على الأخوة والمحبة .

ولئن كنت أؤيدك فيما ذهبت اليـه عما تضمنه ذلك الخطاب من معان رفيعة الا اننى أبعث اليك بمعان أرفع كثيرا مما ذكرت - تلك المعانى الأرفع والأعظم وردت فى كتاب خطته يد الامام على كرم الله وجهه وختم بتوقيع بصمة النبى صلى الله عليه وسلم .

واسم ذلك المكتوب فى العهد الشريف ورد نصه فى كتاب خطط المقريزى ص ٥ ، ٦ طبعة المطبعة الأميرية واليك الكتاب :

(من محمد بن عبد الله الى كافة الناس اجمعين ... كتبه لأهل ملة النصارى ومن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جعل لهم عهدا . فمن نكث الذى فيه وخالفه الى غيره وتعدى ما أمره كان لعهد الله ناكثا . ولميثاقه ناقصا وبدينه مستهزئا وللعنته مستوجبا سلطانا كان أم غيره من المسلمين . وان اختبىء راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعه « كنيسة » فأنا أكون من ورائهم اذب عنهم من كل غبرة لهم بنفسى وأعوانى وأهلى وملتى وأتباعى لأنهم رعيتى وأهل ذمتى وأنا أعزل عنهم الأذى فى المؤن التى يحمل أهل العهد فى القيـــام بالخراج الا ما طابت نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا اكراه على شىء من ذلك يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيتا من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شىء من كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء منازلهم . فمن فعل شيئا من ذلك فقد نكث عهد الله وسوله) - وبعد تأكيد هذه المعانى استطرد حتى قال (ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلون الا بالتى هى أحسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم أذيه المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا وان صارت النصرانية عند المسلمين فعليهم برضاها ويمكنها الصلاة فى بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عسى ميثاقه ورسوله ويعاونون على حرمة بيتهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح المسلمين بل المسلمون يذودون عنهم ولا يخالف هذا العهد أبدا حتى تقوم الساعة وتنقضى الدنيا) .

انظر ياسيدى الى المحبة المتدفقة ببساطة وسهولة فى هذا العهد الشريف الأمر الذى دعا ـ عصور الاسلام الأولى ـ الأخ المسلم يقطع عهدا أو حقا مع أخيه الذى يقول فيه (دمى دمك وهدمى هدمك وترثنى وارثك وتثأر بى وأثأر بك) •

الا ما أجمل ما احتواه (العهد الشريف) من وصية نادى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شعوب المسلمين وحكامها فى مشارق الأرض ومغاربها اذ لو سارت عليها الشعوب قاطبة لساد الحب وعم السلام •

وها هو ذا رئيسنا المحبوب أنور السادات الذى حصل بحق وجدارة على اجماع الشعب على تجديد رئاسته يسير على هذا النهج عندما خاطب لبنان فى رسالته الى شعبه الشقيق قائلا (اتوجه اليكم مباشرة برسالتى لا أفرق بين أحد منكم أو أخص طائفة دون أخرى أو جماعة بعينها أو حزبا بذاته • وانما اتوجه الى الشعب اللبنانى بجميع طوائفه وانتماءاته فكل أبناء لبنان لنا أخوة • أخوة فى العروبة وأخوة فى النضال) •

فحبذا لو قامت الدولة بطبع صورة (العهد الشريف) ونشره لتعم فائدته الجميع ويمنع كل من تسول له نفسه الاعتداء على أماكن العبادة أو الطعن فى عقيدة الآخر كيلا يصبح ناكثا لعهد الله ورسوله •

معنى هــذه الانتخابات

معنى هذه النتائج أن مصر تستشرف اليوم عهدا جديدا ! وتقف على شاطىء الديموقراطية الصحيحة • فالحكومة لأول مرة بعد زمن طويل تريد للشعب أن يقول كلمته دون أن تشير له خفية باصابعها • أن أصابع الحكومة اتمثلها هنا شخصا معنويا كانت بعيدة كل البعد عن كلمة الشــعب •

ولكن الحكومة ليست شخصا معنويا فقط انما يمثلها عمالها الذين يتولون وظائفها الكبيرة والصغيرة على السواء • هل استطاع هؤلاء العمال أن يرتفعوا الى أفق الشخص المعنوى الشريف الذى يمثلونه •

فى هذا نظـر ؟!

رأينا جهات تؤيد أصحاب الوظائف الكبيرة تملقا لا اقتناعا وتقربا لا ايمانا • ورأينا رؤساء يستخدمون أموال الدولة فى دعايتهم ••• والأمر هنا يدعو الى الدهشة !!

فهم يطلبون من الشعب أن ينتخبهم ليحاسبوا الحكومة ممثلة فى موظفيها عن أى انحراف • فاذا هم منحرفون قبل أن يدخلوا الى قاعة مجلس

الشعب • ان هذا الذى فعلوه يجمع الغباء الى الانحراف ولذلك رفض الناخبون أن يختاروا أمثال هؤلاء لأن الناخبين فى جملتهم أذكياء وتتجه ضمائرهم الى أصحاب الضمير فى أغلب الأحيان •

ان الفساد قد غشى حياتنا فترة طويلة من الزمان والحكومة بهذه الانتخابات تفتح صفحة جديدة واضحة النصاعة • ولكن كثيرا من العاملين فى الحكومة لا يدركون هذه الحقيقة فالشرف غير وارد فى تصورهم •

ومادمنا نتكلم عن الحكومة فلابد أن نذكر ان النظام لم يكن على الصورة التى نرجوها • ففى احدى البلاد كانت هناك ثمان لجان وكانت قوة الشرطة ضئيلة حتى أن النظام اختل فى كثير من فترات الانتخاب ولعل هذا كان لكثرة عدد اللجان فى الانتخابات الأولى ولكن أعتقد أن السيد وزير الداخلية سيستطيع تلافي هذا فى انتخابات الاعادة •

الأهرام فى ١٩٧٦/١٢/٧

كتابان للامام الأكبر

اقرأ في هذه الأيام كتابين لمولانا الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود أما الأول فهو من تاليفه وعنوانه أوروبا والاسلام وأما الثاني فهو من تحقيقه وعنوانه « لطائف المنن » تاليف العارف بالله ابن عطا الله السكندري .

« والاسلام في أوروبا » يتنـــاول في مجمله الحملة التي شنها المستشرقون على الاسلام وكيف كانوا يكيدون لدين الله بمفتريات لا تستند الى أي سند تاريخي الا الحقد والكذب. وقد استطاع الامام الأكبر أن يجعل المستشرقين الحاقدين يرد بعضهم على بعض ويهدم بعضهم حجج البعض فمثلا حين يرى دوزى أن محمدا كان سوداوى المزاج يلتزم الصمت ويميل الى التنزهات الطويلة فريدا والى التأملات المستغرقة في شعاب مكة الموحشة ، يرد لامانس « كلا ، ليس هناك ما يثبت اعتكاف محمد وعزلته وكراهيته المشهورة للنسك » .

وبينما يفترى نلدكه ان عوامل بعثة محمد ورسالته انما هي نوبات الصرع التي كانت تتغشاه يرده المستشرق دوغويه أن هذا بعيد الاحتمال ويهدم هذا الافك بقوله بأن الحافظة في المصروعين تكون معطلة على حين أن حافظة محمد كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي .

وحين يرى جريم أن الآراء الاشتراكية لا الآراء الدينية هي التي قادت محمدا الى الرسالة بدليل تشديد محمد في الزكاة التي يسميها جريم ضريبة ويتمثل عنده هذا التشديد بتخويف المكيين من يوم الحساب مرتئيا أن النبي كان يتخذ الاكراه الروحاني وسيلة للبذل والسخاء .

.. يهدم سنوك هرغرنجة هذه النظرية المضحكة بقوله ان كل هذه الآراء غريبة سواء نظرنا الى المنقول في السيرة أو الى ظروف البيئة العربية اذ ذاك وينهار تحت قلم سنوك الرأى القائل بأن الاسلام في الأصل أقرب الى أن يكون اشتراكية نشأت عن بؤس ذلك الزمن وفقر بنيه من أن يكون دينا .

ويمضي مولانا الامام الأكبر في ايراد رأى المستشرق الكاذب ويعف هو عن تكذيبه ويترك شخصا آخر من نفس الفصيلة هو الذى يكذبه ٠

والجزء الأول من الكتاب يقدم مستشرقين شرفاء أمنـاء على الحق صادقين مع أنفسهم ومع الناس ٠

والكتاب على صغر حجمه قمة من القمم وفيه احاطة شاملة ليست بعجيبه على رجل في مثل ثقافة مولانا الامام ٠

أما الكتاب الثانى الذى قام الامام الأكبر بتحقيقه فهو عالم روحانى شفيف ٠ وفيه هوامش للدكتور المحقق جديرة هى فى ذاتها أن تصبح كتابا رائعا خالدا اقرأ معى :

« ولقد كان الاسلام توجيها وكان مبادىء ٠ ومن توجيه الاسلام أن وجود الله لا ينبغى ان يوضع موضع البحث ، وكل من وضعه موضع البحث فانه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى الى توجيه بشرى ٠ انه يبتغى غير الاسلام موجها ٠ ولقد ابتغى المسلمون الأول الاسلام توجيها كما ابتغوه مبادىء ، وسار الأمر على ذلك الى ان تسللت الفلسفة اليونانية كميكروب خبيث الى الجو الاسلامى ، تسللت فى عهد المأمون ، وتولى كبر هذا التسلل المأمون وشجعه على ذلك معتزلة عصره وقابل المؤمنون ذلك بكثير من النفور » ٠

الى أن يقول في الهامش نفسه :

« وفرق بين أن تأخذ قضايا الوحى مأخذ المستسلم المسترسل معها على ما تريد وأن تأخذها محكما فيها عقلك أو عادلا بها الى اتجاه خاص أو شارحا لها على نزعة معينة ٠ وبتعبير آخر : فرق بين أن تصدر عن الوحى متفهما له بعقلك وبين أن تصدر عن عقلك متفهما للوحى ٠ ولعل بعض الناس لا يرى فرقا في التعبيرين ولكن الفرق كبير اذا نظرنا الى الوضع الانسانى : فهو اما أن ينطلق من الوحى قائدا العقل الى الخضوع له واما أن ينطلق عن العقل محاولا تأويل الوحى بما يوافق النتائج التى وصل اليها العقل ٠ والأول طريق المؤمنين المسلمين والثانى طريق الفلاسفة أو نهج الوثنيين » ٠

الى أن يقول :

« واذا كان الوجود الالهى ــ مجرد الوجود ــ موضع شك وريبة فماذا يبقى من أمور الدين لا يوضع موضع شك وريبة ؟ ! ٠

ان الايمان فى هذه الأوضاع الوثنية لا يتأتى له الا أن يخبو شيئا فشيئا حتى يصبح كلا ايمان ٠

وهذا هو ما حدث لبعض الأفراد فى الأمة الاسلامية !

لقد وصل ايمانهم الى درجة تشبه أن يكون معدوما ، وما ذلك الا لتغلغل النهج الوثنى فى بحث قضايا الدين ومبادئه ٠

لقد أصبحت ــ قضايا الدين ــ كل : قضاياه ــ موضع بحث وهل يتأتى أن تبقى قضية من قضايا الدين فى مجال اليقين بعد أن وضع وجود الله ــ مجرد وجوده سبحانه ــ موضع البحث ؟ نستغفرك اللهم ونتوب اليك ! ونعود فنقول ان الدين فى نفسه محفوظ بحفظ الله لكتابه العزيز ٠ « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أما الكتاب نفسه الذى قام مولانا الامام الأكبر بتحقيقه فهو نبع من نور الهى وفناء فى ذات الله فى عابرة وضاءة الاشعاع نقية المصدر والمتجه رفيعة المعنى واللفظة ولو حاولت أن أقدم بين يدى القارىء مثلا لقدمت الكتاب جميعا ولكننى مع ذلك سأقدم حوارا بين ملك من الملوك وبعض العارفين بالله قال الملك :

ــ تمن على ٠

فقال له ذلك العارف :

ــ الى تقول هذا ؟ ولى عبدان ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص ٠ فأنت عبد عبدى فكيف أتمنى على عبد عبدى ٠

وفعلا ٠ ماذا يستطيع ملك أن يعطى شخصا لا شهوة عنده ولا حرص ٠٠٠ ان هذا الشخص يملك كل شىء لأنه لا يملك شيئا الا الايمان ولا يريد أن يملك شيئا الا أن يبقى عليه هذا الايمان ٠

مصر فى خطبة الرئيس

أنهى الرئيس خطبته بقوله : ــ

« قدر مصر أن تكون قلب هذه المنطقة وروحها وهو قدر مصر أن تلعب هذا الدور الرائد عربيا ودوليا وان تتحمل تبعاته الباهظة والعالم كله يعلم حق العلم ان مصر ليست مجرد نقطة على خريطة العالم دون مضمون بل ان تاريخ مصر طويل وعريق ٠٠٠ مصر عظيمة فى تاريخ البشرية ٠٠٠ مصر مهد للقومية ثابتة الأركان قوية الدعائم ٠٠٠ مصر مضمون سياسى ومركز اشعاع حضارى منه ينبع التقبل العالمى لنا ، الثقة الدولية فينا ، الاقتناع الكامل لأنه لا حرب الا بمصر ولا سلام الا بمصر فليتقهقر الحقد ليحل محله الحب ليس فقط على المستوى الداخلى وانما أيضا على المستوى العربى ولتتراجع الخصومات والأحقاد لكى يحل محلها الاخاء والوفاق والعطاء ولنتجه كلنا الى مصرنا الحبيبة وشعبها

الخالد نشقى من أجل أن نصنع الحياة على أرض هذا البلد الأمين شريفة قوية على طول الزمان » ٠

وتلك هى مصر ٠ وأشهد الله لقد رأيت الحاقدين عليها بعد الهزيمة وقد وهموا أن دور مصر الحضارى قد انتهى وأخذ البعض منهم يعد جناحيه أن يحلق فى سماء العرب ٠ ولكن من أين له الأجنحة وهى مهيضة ٠ فان الزعامة لا تكون وليدة يوم وليلة وانما هى تاريخ طويل وزعامة مصر ولدت مع التاريخ وليس لها نهاية ٠ شهدتهم يصفقون كلما تناول خطيب مصرنا بسوء وشهدتهم يتلمظون على مائدة القيادة يحسبون أن دورهم فى تقدم الصفوف قد حان وشهدتهم يعتبرون أن نهاية مصر أصبحت شيئا لا يحتمل مجرد النقاش ٠ حتى كان نصر أكتوبر الخالد فخمدت آمالهم وانطوت أجنحتهم ولملموا أشرعة لم تتح لها الفرصة ان تخوض العباب ٠ وارتفع لواء مصر خفاقا على العالمين واضطروا أن يعودوا الى الوراء صاغرين فاللهم لا حقد اليوم وانما اعتزاز بمصرنا وحين نعتز بمصر فانما نعتز بالعروبة كلها فمصر هى تاريخ الحضارة وهى درة العالم العربى ومن هنا تنبعث أشعة النور فى دياجير الظلمة وسوف يظل من هنا النور حتى يرث الله الأرض ومن عليها وسوف تظل مصر شامخة شماء ينتشر مجدها فى سماء العالم الى أبد الأبدين ٠

حـرية الانتخـابات

حرية الانتخابات شىء جليل وجديد على شعبنا ٠ ليست حرية الانتخابات هى عدم تدخل السلطة فقط وانما هى أمانة فى عنق كل مسئول ٠ فكل من يستغل سلطاته فى التأثير على الناخبين يتلاعب بحرية الانتخابات ٠ وكل مرشح قدر له أن يكون فى مكان سلطة يحمل عبء شرف الانتخابات وليس من شرف الانتخاب أن يستعمل شخص مسئول مثلا سيارة الحكومة فى المرور بالدائرة ٠ وليس من شرف الانتخاب ان يغدق صاحب السلطة على النقابات والهيئات من أموال الجهة التى هو أمين على أموالها ٠

ومثل هذه التصرفات تحط بقدره فان السؤال البسيط الذى سيرد على الأذهان ٠٠ أين كان هذا الاغداق قبل الانتخابات ٠

والسؤال الطبيعى الثانى ٠٠٠ ما مصير هذا الاغداق بعد الانتخابات وخاصة اذا سقط صاحب السلطة ؟

ان الشعب الناخب ذكى ولماح وكم أتمنى أن يكون المرشح فى ذكاء الناخب ٠

الأهرام فى ١٩٧٦/١٢/١٤

خطاب من الدكتــورة الــوزيرة

جاءنى هذا الخطاب من الدكتورة وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية وانى أنشره بنصه •

تحية طيبة وبعــد ••

« اطلعت على مقالكم الذى نشر بجريدة الأهرام بعددها الصادر يوم ١٩٧٦/١٢/١٤ تحت عنوان (المعاشات وسن التجنيد) ،وبقدر ما سعدت للاهتمام بقضايا أرباب المعاشات عرفانا بعطائهم لمصر على مدى حياتهم الوظيفية بقدر ما آلمنى ما أشرتم اليه من ارجاع السبب فى عدم الرد على مقالكم السابق الى الكبر أو زحمة العمل » •

« وأود أن أطمئنكم الى انتفاء السببين لا لسبب الا لانى اطلعت بنفسى على مقالكم الذى نشر يوم ٢ ــ ١١ ــ ١٩٧٦ تحت عنوان حديث عن المعاشات وطلبت دراسة النقــاط التى وردت بالمقال ، واحاطتكم بما ينتهى اليــه الرأى ، وبالفعل تم الرد بالكتاب رقم ٩٤٨ بتاريخ ٢١ ــ ١١ ــ ١٩٧٦ باسم السيد الأستاذ رئيس التحرير » •

« أما عن الكبر فيعلم الله أن هذا ليس من طبعى • بل أن صفة الكبر أعدها من أبعد الصفات التى تتناسب مع متطلبات وطبيعة العمل الاجتماعى والانسانى الذى أتشرف بمنصبى كوزيرة للشئون والتأمينات الاجتماعية بمسئولية الاشراف عليه »

« وأما عن زحمــة العمــل •• فما هو العمــل المتصور فى وزارة التأمينات الاجتماعية ان لم يكن على رأسه التعرف على مشاكل ومطالب المؤمن عليهم وأصحاب المعاشات والمستحقين عنهم والعمل على حل هذه المشاكل والاستجابة لما يثبت عدالته من مطالب » •

« أعود الى النقاط التى أشرتم اليها بمقالكم الأخير حول أصحاب المعاشات وبعض مطالبهم ، حيث أرجو الاحاطة بالآتى :

« **أولا** : أصحاب المعاشات محل تكريم وتقدير الدولة بصفة عامة وأجهزة التأمينات الاجتماعية بصفة خاصة ولقد ترجم هذا التكريم فى العديد من المزايا التى استحدثها قانون التأمين الاجتماعى الموحد رقم ٧٩ لسنة ١٩٧٥ حيث اشتمل على نوع جديد من التأمين وهو تأمين الرعاية الاجتماعية لأصحاب المعاشات » .

« وتأخذ هذه الرعاية أشكالا متنوعة منها دور تكريم أرباب المعاشات للاقامة الكاملة ، وتوفير المكتبات الثقافية والنوادى والوسائل الترفيهية» .

« وقد أخذ النوع الجديد من أنواع التأمين الاجتماعى طريقه الى التنفيذ العملى فى حدود الاعتمادات المالية المخصصة لهذا الغرض » .

« **ثانيا** : ما من فرصة تتاح لاعادة النظر فى المعاشات واضفاء المزيد من المزايا والتيسيرات الجديدة لصالح أصحاب المعاشات والمستحقين عنهم [وعلى الأخص محدودى الدخل منهم] الا وتسارع الوزارة وتتخذ من الاجراءات ما يكفل لهؤلاء المواطنين مواجهة متطلبات الحياة » .

« **ثالثا** : التأمين الصحى على أصحاب المعاشات اختيارى وبالتالى لا تستقطع أى مبالغ من المستحقات المعاشية لهذا الغرض الا لمن يرغب باختياره فى الانتفاع بخدمات التأمين الصحى مقابل أداء نسبة رمزية من تكاليف الرعاية الصحية » .

«**رابعا** : روعى أن يشمل مشروع قانون تعديل بعض أحكام قانون التأمين الاجتماعى معالجة موضوع تعويض الدفعة الواحدة عن المدة الزائدة لاستحقاق معاش كامل (أكثر من ٢٦ سنة) بالنسبة لمن احيلوا للمعاش قبل ١ ــ ٩ ــ ١٩٧٥ بصورة تحقق العدالة بينهم وبين من احيلوا للمعاش بعد هذا التاريخ وتتناسب مع الامكانيات المادية لصندوق التأمين والمعاشات » .

« وقبل أن أختتم رسالتى اليكم يسعدنى أن تشرفونى بزيارتكم حتى يتسنى إطلاعكم على الجهود التى تبذل فى مجال التامين الاجتماعى والانجازات التى تحققت لصالح المواطنين » .

« وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

وزيرة
الشئون والتأمينات الاجتماعية
دكتورة ــ عائشة راتب
فى ١٦ ــ ١٢ ــ ١٩٧٦

وانى ليسعدنى أن تهتم الدكتورة الوزيرة بشأن اعتبره أنا جديرا بكل رعاية وبقوم أعتبرهم ويجب أن تعتبرهم الدولة جديرين بكل عناية واجلال وانى يسعدنى أيضا أن أستجيب لدعوة الدكتورة الوزيرة ولكننى أرى أن أصحب معى بعض العاملين بالقوانين من أربات المعاشات أنفسهم حتى يستطيعوا مناقشة الوزيرة فيما يشعرون به من غبن القوانين لهم ٠

وانى لعلى ثقة ان مثل هذا اللقاء سيشفى نفوسا عزيزة علينا وما اجمل أن يسفر هذا اللقاء عن تنفيذ ما تقتنع الدكتورة الوزيرة بأنه عدل ٠

أسيوط والجامعة والذكريات

تفضلت كلية التربية بجامعة أسيوط فدعتنى هذا الأسبوع الى ندوة بالكلية ويذهب تاريخى مع أسيوط الى عام ١٩٤٦ حين كان عمى عزيز اباظة مديرا لأسيوط وكنت أنا على مشارف الشباب أتطلع أن أتزوج زوجتى التى كانت مقيمة مع والدها فى أسيوط ٠ وذهبت الى هناك فى زهوة الشباب ونضارته وفى تطلع المحب ولهفته ٠ العالم كله يومذاك شفاف وردى ، والمستقبل طويل مضىءأراه فى توثب الشباب فأوشك أن اتبينه جميعا لا تغيب عنى منه خافية ٠ والحياة يومذاك نشوة ، الماضى منها والحاضر وما هو فى مطوى المستقبل غيب ٠ وكنت يومذاك من شداة الأدب انشر مقالاتى بمجلتى الرسالة ــ رسالة الزيات ــ والثقافة التى كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر وكان النشر فى واحدة من هاتين المجلتين شرفا يتطلع اليه الكثيرون وكان نشر هذه المقالات يسعدنى سعادة ما أظننى عرفتها فيما كتبت بعد ذلك جميعه ٠ لقد كنا فى تلك السن التى يسعدها مالا يستحق أن يسعد ويحزنها ماهان من الأمر وصغر ٠ وكان الفرح يأتى شديدا صاخبا حتى ليحسب الشباب ان لن يحزن أبدا وكان الحزن اذا ألم بنا يلم جهما صارخا حتى لنحسب أن لن نسعد أبدا ٠

وفى الأسبوع الماضى ذهبت الى أسيوط أجرجر ساقين عدا عليهما الروماتيزم وجسما قاوم الحياة ثلاثين عاما مرت به منذ الزيارة الأولى وقلبا أصبح قليل الفرح قليل التواثب كانما ركب العقل فيه فهو قلب يفكر قبل أن ينبض ٠

ولكن العجيب أننى وجدتنى قد تركت نفسى هناك والعجيب أننى حين وجدت نفسى لقيتنى كما تركتها لم ينل منها الزمان وان تكن قد نالت منه ٠ وجدت نفسى فى شباب الجامعة هناك يتطلعون الى المستقبل

فيرونه مرسوما كما يشاءون له أن يرسم · وهم فى سعادتهم صاخبون وأحمد الله لم أرهم فى حزنهم ولكننى أستطيع أن أعرف نوع الحزن · انهم نفسى التى تركتها على ضفاف نيل أسيوط والتى بقيت كما تركتها تتجدد فى ابتسامة كل شاب لمستقبله ولهفة كل فتى الى فتاته ·

وسأل الشباب وقلت · ما أجمل أن تجد الشباب حريصا على قيمنا الخلقية وعلى لغتنا آسفا أنه لم ينل منها حظا ، باحثا عن طريقه اليها ·

وكرمنى عميد كلية التربية وأساتذتها فمروا بى فى مبانى الجامعة الرائعة الفخمة وزرت كلية العلوم ليستقبلنى الدكتور عبد العال مباشر عميدها الشرقاوى الذى تمنعنى شرقاويته أن أطريه بما يستحقه ·

ورأيت بعضا من الأدوات العلمية الحديثة وشعرت فى كل خطوة أخطوها اننا يحق لنا فعلا أن نعتز بمصر وبأبنائها · وتألمت حين وجدت مستشفى الجامعة قائما غير قائم ، مبنيا غير عامل فقد توقف بناؤه منذ فترة طويلة وجاءت الطبية له ولكنها مازالت فى صناديقها منذ سنتين عددا تنتظر أن يكمل البناء ، زفرة عميقة وألم ممض وذكريات من الماضى القريب تدفع بالدمع الى عيوننا فيشوه صورة الحاضر وندفع الدمع عن عيوننا دفعا لعلنا نستطيع أن نتطلع الى المستقبل بعيون صافية مثل عيون الشباب ·

تحية منى الى العمداء والأساتذة وتحية الى شبابى الذى تركته فى أسيوط منذ ثلاثين عاما ثم وجدته كما تركته متجددا فى ابتسامة الشباب وفى مشاكله التى قد يراها اليوم كبيرة وما يلبث الزمن أن يجعله يعرف كم هى هينة أمام شبابه ·

الاهرام فى ١٩٧٦/١٢/٢١

رفقا بالتصــوف والمتصوفة

جاءني خطاب من الدكتور منيع عبـد الحليم محمود أجـد نفسي مشوقا الى نشره كاملا • فانا لا أعـلم ما هذا الهجوم الضارى على فـكرة التصوف وهي فلسفة قاومت الأجيال ولها منطقها الدينى الرصين الذى اذا نوقش فانما يناقش بالحجة الهادفة المطمئنة لا بأوامر الالغاء والتظاهر بالتحضر فلكل دين من الاتباع من يؤمن بالمعجزات الخارقة للمسير العادى لطبيعة الكون • ولم يقل أحد أن هذا الايمان يعتبر نكوصا عن الحضارة والأخذ باسبابها • فانه لا صلة مطلقا بين ما يؤمن به الشخص وبين مقدار تعلق هذا الشخص نفسه بالحضارة والتفكير العلمى •

وأننى أعتقد أن التظاهر بالحضارة والتثقف دون حضارة حقيقية أو ثقافة عميقة يجر كثيرا من الناس أن يقفوا تحت لافتات هم لا يؤمنون بها وانما يحبون تحتها أن يطلق عليهم لقب المثقفين •

وانى لأعجب لقوم قبلوا أن يقوم بينهم من يدعو الى الالحاد واستبعاد فكرة الله ولا يقبلون أن يقوم من يدعو الى التصوف دون حتى أن يقرأوا عن التصوف شيئا •

ولست أنسى أن من بين ما قرأته فى التصوف قول بعضهم أنك اذا دعوت الله بقولك يا كريم فانه عز وجل سيقول لك كن كريما مثلى أو اذا قلت له ياحليم فانه يقول • فكن يا عبدى حليما مثلى • ولكنك ان قلت يا الله فانك تخاطب كل ما فى ذاته سبحانه وتعالى من صفات وتناشد الاسم الذى لا يشاركه فيه أحد •

ولعل هذا المثل ينبىء عن بعض فكر المتصوفة من أنهم ينتمون الى الله وحده ويبحثون عن الطريق الأمثل لذاته العليا وحدها •

وأنا لست من المتصوفه ولكنني أقرأ فى بعض كتب لهم وأشهد الحق اننى أجد فكرا عميقا رصينا ليس من السهل رفعه فى جملة واحدة أو فى جملة متشنجة ·

والخطاب الذى كتبه لى الدكتور منيع يدل على أله الشديد من هذه الحملة المسلطة عليه واننى اذ أنشر خطابه أرجو أصحاب الأقلام اذا تناولوا شأنا يتعلق بالدين أن يرتفعوا الى مستوى الشأن الرفيع الذى يعرضون له مستبعدين كل دافع شخصى أو رغبة لم تجد الى التنفيذ سبيلا · يقول الدكتور منيع ··

لقد تعرض بعض مدعى العلم ممن يسمون أنفسهم [كاتبا اسلاميا للكتاب الذى تشرفت بتحقيقه وهو كتاب [الأخلاق المتبولية] للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، وكان وجه تعرضهم للكتاب هو بعض الكرامات التى ذكرت عرضا فى الكتاب لمجرد بيان عدم اهتمام السادة الصوفية بها وانها ليست الا بعض ما يحدث على يد صبيان المريدين صحيح انها حقيقة مؤكدة عند أهل الطريق الصوفى فان أنكارها يترتب عليه انكار النبوة وكيفية خلق سيدنا عيسى عليه السلام وجميع المعجزات الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم وبالتأكيد فان أى شخص كانت له لحظات صفاء مع الله سبحانه وتعالى تحدث له أمثال هذه الخوارق ولكنها ليست هى الأساس فى الطريق الصوفى ، ان التصوف حب واتباع · حب الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع لمنهجه التشريعى والعقدى والخلقى والكتاب ــ كتاب الأخلاق المتبولية ــ بهذه النظرية الروحية يقدم لنا معنى الحب ومعنى الاتباع والسبب فى تحقيقى لهذا الكتاب أننى تحدثت فى الفصل الثالث من رسالتى للدكتوراه عن محاولة انشاء مدخل لعلم أخلاق اسلامى وكانت فكرة هذا البحث هو أن الأساس الاسلامى للأخلاق هو [اسلام الوجه لله] والنموذج الأمثل لذلك هو [عباد الرحمن] : ولكن الأخلاق الاسلامية نفسها والتى تدرس فى الجامعات بالتلفيق بينها وبين مذاهب الفلاسفة تلك كانت المشكلة ، وذلك كان مناط البحث الدائب وضمن ما بحثت فيما بحثت كانت الدراسة فى الأخلاق عند الصوفية ووجدت أن الأخلاق الصوفية ليست منفصلة فى مظهرها أو فى جوهرها عن الأخلاق النابعة من الكتاب والسنة بل تأكلت انها التطبيق السليم والحقيقى لها وعثرت على كتاب [الأخلاق المتبولية] فى أضابير المخطوطات فكان الكنز الذى قدم لى ما يزيد على الألف تطبيق للنظرية الاسلامية والنموذج الاسلامى وتعرض فيها لجميع أمور الحياة والأخرة مثل أمور السياسة والحكم والاقتصاد ومعاملة الناس فى جميع أمورهم والتخلق بأخلاق الله والزواج والطلاق والرحمة وعصمة الأنبياء

ما يزيد على الألف تطبيق وكلها بالتفصيل بل ان الكتاب هو عبارة عن علم الاجتماع الاسلامى وعلم النفس الاسلامى بعد أن طال البحث عنهما وحتى الآن لم يقدم لنا فيهما العلم السبيل الأمثل للدراسة فيهما اسلاميا حتى كان هذا الكتاب · كنت أحب ونحن فى أوائل حرية الصحافة ان لا يكون الهجوم على هذا الكتاب بتلك الطريقة السفيهة التى جعلت كثيرا من الناس يظنون بهذه الحرية بعض الظنون فى نفس الوقت الذى يحترم فيه الاسلام ويقدس وينزه العرض عن أن يمس وفى الوقت الذى يقول فيه الامام الشعرانى : اعلم يا أخى ان مرادنا بالأخلاق المحمدية حيث أطلقناها فى هذا الكتاب وغيره ما يعم الصريح والمستنبط من نص أو قياس كما أطلق العلماء لفظ الشريعة على ما يشمل الصريح والمستنبط وكما أطلقوا مذهب المجتهد على ما صرح به ، وعلى ما فهمه المقلدون له من كلامه أى فكما يسمى ما ذكرناه شريعة ومذهبا كذلك يسمى ما استنبط العارفون من أخلاقه صلى الله عليه وسلم بأخلاق المحمدية فافهم ·

ويقول : وأسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يحفظ هذا الكتاب من كل حاسد وعدو يدس فيه مما يخالف ظاهر الشريعة لينفر الناس عن النظر فيه فتأمل يا أخى فى أخلاق الكتاب بعين الاعتبار والانصاف تعرف الصادق من غيره ·

دكتور منيع عبد الحليم محمود ·

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

بعض التفكير قبل الاعلان

نشرت الأهرام بتاريخ ٣ ديسمبر هذا الخبر ··

« تبدا كليات الجامعات من الأسبوع القادم تطبيق نظام الاستماع الذى يسمح فيه لمن يرغب حضور محاضرات احدى الكليات نظير رسم قدره ٣جنيهات فى السنة لكل مقرر من مقررات الدراسة وبحد أقصى عشرة جنيهات لجميع المقررات » ·

والى هنا ينتهى ما يهمنى مما نشر · والحقيقة اننى لم أقرأ هذا الخبر عند نشره وانما أرسله الى الأستاذ مصطفى الفضالى من الاسكندرية مع تعليق ساخر مرير زاده مرارة ان القارىء وجد فى نفس العدد فى صفحة الأدب تعليقا على تضخم عدد الطلاب فى الجامعة حتى لا تطيق مدرجات الجامعة أن تستوعبهم ·

والقارىء محق فى سخريته ومرارته جميعا فمثل هذه الأخبار حين تنشر تجعلنا نشعر بالهزل المضحك الذى يتسم به بعض رافعى اللافتات . لقد عشنا على اللافتات الكاذبة ردحا من الزمن . وكانت هـذه اللافتات صاحبة الفضل الأول فى التمزق الذى انصب على الشعب حائرا بين ما يراه منشورا وبين ما يعانيه من ضائقة تحيط به من كل جانب .

كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ولعلها أولى الكليات التى يسعى اليها راغبو الاستماع بها فى السنة الأولى ما يقرب من خمسة آلاف طالب لا يجدون مكانا للجلوس أو الوقوف . فان وجدوا عزهم الهواء ليتنفسوه حتى لقد اغمى على بعض منهم من هول الزحام . ثم يتجرأ المسئول فينشر أن الجامعـة ستقبل مستمعين من الخارج من أين وهى لم تكفل المكان للمتعلمين من داخلها .

اننا اليوم نضع خطواتنا الأولى على طريق الديمقراطية . وأبشع ما تكرهـه الديمقراطيـة مخادعـة الشعب عن حقائقـه . لانـه فى ظل الديمقراطية ليس المهم أن ترضى رئيسك وانما المهم أن ترضى الشعب . فالديمقراطية كما قد لا يعلم أصحاب اللافتات هى حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب . والشعب يغضب كل الغضب ان أحس أن أحـدا من السلطة التنفيذيـة يحاول أن يخدعـه أو يستر الحقائق عليه وقد يكون الحق مريرا ولكن لابد للشعب أن يعرفه بكامله حتى يشارك فى مواجهته . والأشد مرارة من الحق هو اخفاؤه فان المريض اذا أخفى على الطبيب داء عجز الطبيب عن معالجته . وليتأكد المسئول الذى أدلى بهذا التصريح أن أحدا لن يحاسبه على ضيق الجامعات بطلابها ولكننا لاشك لابد أن نحاسبه اذا أخفى هذه الحقيقة مستظلا بلافتة من الكذب والسراب .

الأهرام فى ١٩٧٦/١٢/٢٨

ليس مصادفة ٠٠ ولا عجيبة !

تعود الأستاذ محمد حسنين هيكل ان يتربص مقعيا بالوصيد ليهاجم سياسة مصر فى الداخل والخارج كلما رأى رئيسنا فى رحلة الى الخارج ليفاوض رؤساء الدول فى شأن القضية العربية والأزمة المصرية ٠ وحينئذ ينبعث صوته النشاز ليشكك في سياسة الرئيس ٠ وهو يظن أن صوته النشاز هذا سيجعل الرؤساء يتشككون في مقدار التفاف مصر حول رئيس مصر ٠

وتكرار هذا التصرف ليس صدفة لأن الصدفة تكون بتكاتف عوامل خارجية لايد للمتصرف فيها ٠ بينما المتصرف هنا فى تمام حريته لا اكراه عليه في اختيار الوقت الذى يرفع فيه عقيرته ويموه بصوته ينعق بخرافاته

اللهم الا اذا كان سادة سادته هم الذين يختارون الوقت ٠

سادة سادته منهم الروس [!] فسادته المباشرون هم القذافي وبطانته وهؤلاء لا عقل لهم على الاطلاق حتى يختاروا الوقت ويومئوا بالساعة المناسبة ليعقر هيكل مصر ٠ فالذى أظنه ــ وهو الأرجح ــ ان سادة سادته وهم أئمة التخريب والتآمر والتدبير الخائن هم الذين يوقتون وهل هناك أقدر من الروس فى اختيار الوقت المناسب لتنفيذ المؤامرات ، والانقضاض على الشعوب ٠ وان كانوا فى هذه المرة قد خابوا فى اختيار الأداة التى تعقر فالدول تعرف من هو هيكل ومصر تعرف من هو هيكل ومثله اذا

صات لا يستمع أحد لصوته لأنه صوت كريه مثل النفاق والخداع والغش والرذيلة والاحباط فترة طويلة من الزمان ٠

والروس أعلم الناس بحقيقته ولكنهم لا يجدون فى مصر غيره ٠ ومن

أين لهم بغيره · فان الخونة فى مصر قلة ومجال الاختيار عند المتآمرين الروس ضيق أشد الضيق ·

أما ان الروس أعلم الناس بحقيقة هيكل فالرواية التى قرأتها فى كتاب لمؤلف أمريكى والتى نقلتها عنه مجلة لبنانية تؤكد ذلك · وهى رواية قصيرة كل القصر فيها من صفات الرواية دلالتها العميقة وهى رواية حوارية طرفا الحوار فيها خروشوف وهيكل حين التقيا فى موسكو والقصة نشرت من قبل ولكن هيكل منع نشرها فى مصر ولكن الذى يهمنى أنه أراد أن يمارس أسلوبه فى الكتابة فى حواره مع خرشوف المهم أن خروشوف اتهمه بأنه عميل أمريكى [يومئذ] قال له :

ـ جئت وأخذت شيكين

وقال هيكل

ـ أنا ·· أبدا

وأخرج خروشوف ورقة من جيبه

ـ وهذه أرقام الشيكات ·

وقال هيكل :

ـ انها شيكات عن مقالات كتبتها لمجلات أمريكية ·

وقال خروشوف

ـ عجيبة انك لم تلاحظ ان الشيكات صادرة من المخابرات الأمريكية وليس من المجلات التى كتبت لها ان كنت كتبت رغم القصة المشهورة للآن ·

فالروس يعلمون اذن ان الأستاذ هيكل سلعة لمن يدفع الثمن والبضاعة التى فى يده دائما سمعة مصر ومستقبل شعبها المطحون الذى يحاول أن يتاجر بأسمه بعد أن كان رحا طحونا تدمر ·· نفسه وعرضه وماله ·

ولهذا لم نعجب حين ثارت الاقاويل حول الأرقام التى أشاع هيكل انه قبضها ثمنا لكتبه · فقد قيل فيما قيل ان هذه الأرقام ليست حقيقية وانها انما ذكرت لتغطى مصدر الثروة الهائلة التى ينعم بها هيكل اليوم · وقد قيل فيما قيل ان هذه الأرقام صحيحة وان الناشر فعلا تعاقد معه على ان يدفع له هذه المبالغ ولكن هناك عقدا آخر خفيا بين الناشر وبين مجنون ليبيا أن يأخذ هيكل هذه المبالغ عن طريق هذا الناشر وقد يقول قائل وما حاجة مجنون ليبيا أو هيكل الى هذا وهو يستطيع أن يعطيه فى

الخلفاء ولا يشعر أحد • ولكن المال لا يستطيع أن يختفي والمبالغ هائلة فلابد ان يبحثوا لها عن مصدر شبه معقول • ويستطيع هيكل الذى زيف تاريخ ثلاثة عهود من تاريخ مصر ان يزيف مصدرا لثرائه العجيب !

وطبعا لم يدر فى ذهنه ان قوما كثيرين سيجدون هذه المبالغ التى يعطيها له الناشر مبالغا فيها •

فهو فى ميدان الكلمة لا يساوى الكثير لانه لا يستطيع ان يكتب الا فى موضوع واحد هو تزييف الحقائق وجعـــل الخسيس من الأمور شريفا والشريف خسيسا •

وهو فى ميدان الضمير لا يساوى الكثير لأنه سلعة كثر بيعهـــا وشراؤها والضمير اذا كثر تداوله فى الســـوق وذاع من أمره ما ينبغى له ان يستتر يرخص ويهون فما يحتاج أحد ان يعلى ثمنه •

ليس صدفة اذن ان ينعق هيكل كلما ذهب الرئيس الى مفاوضات فى العالم • وليس صدفة ان يرتفع صوته من البلاد الواقعة فى الستار الحديدى والدولة التى وضعت الستار الحديدى حـول هذه البـــلاد • فروسيا والبلاد المنكوبة باحتلالها يفزعها تجربة الديموقراطية التى تواصل نجاحها فى مصر وفى صلات مصر ببلاد العالم العربية وغير العربية على الســـواء •

وليس عجيبا أيضا من الأستاذ هيكل ان يتقصـــد مصـــالح مصر بصوته النشاز فمصالح مصر عنده تتمثل فى شىء واحد ليس غيره ، وهو أن يعود رئيسا لمجلس ادارة الأهرام مع رئاسة تحريرها ومادام هو مقصيا عن هذا الكرسى فلتذهب مصالح الشعب الى الجحيم • فالشعب •• شعب مصر لا يمثل عنده شيئا • بل انه يكره أشـــد الكره ان تنجح مصر فى سياستها الخارجية أو ان تحل أى أزمة من أزماتها الداخلية • وقد باع مصالح مصر وهو فى الأهرام فلا يضيره ان يبيعها وهو مقصى عنه •

انه يكره ان يرى مصر على أحسن علاقة بالدول الشقيقة لأن هذا يمثل نجاح التجربة التى هو مقصى عنها •

ويكره ان تحـل مصر أزماتها الداخليـة لأنه اذا حلت هذه الأزمات لن يجد طبلا وان يكن أجوف ليبكى عليه سوء الحال •

والذى يبيع ضميره مستعد دائمـــا ان يبيع أى شىء • فحب مصر شرف لايعرفه تجار الضمير فى ساحات الدول •

وهيكل يريد أن تحدد اقامته أو تمس حريتـــه بأى لون من ألوان المساس ليثبت أن الديموقراطية عندنا غير قائمـــة وان الكلمة لا تتمتع بحريتها ٠

وان فيما قاله عن مصر لخيانة عظمى يحاسب عليها القانون العام ولكن أحـدا مع ذلك لم يتعرض له بهذه التهمة ولن يجـد من ينفذ له أمله هذا ٠

فهل من مبلغ لهيكل ان دوره فى الحياة المصرية قد انتهى فليس له عودة الى الأهرام الا أن يذكر بمثل هذا الذى تذكره به ٠ وليس له من سبيل ان يحيد بنا عن الديموقراطية فهو أهون من أن يجعل مصر وحكام مصر الحرة يحيدون عن منهج ارتضـوه وطريق بنوه فبلغوا به النصر وبلغوا به عنان الســماء ومشـــارف الرحمة لتصـبح الحياة خليقة ان تعاش ٠

قصـــة بيت وصحته

سـألنى الكثيرون عن البيت الذى أوردته فى المفكرة الســـابقة ٠ وللبيت قصة وتصحيح ٠٠ أما القصة فهى ان قائلته هى عائشة أم أبى عبد الله محمد نفايه ملوك الطوائف ونهـــاية الحكم العربى فى الأندلس وأما التصحيح فهو : ابك مثل النســاء ملكا مضاعا ٠٠ لم تحافظ عليــه مثل الرجال !

الأهرام فى ١٩٧٧/١/١

خطاب جدير بالمناقشة

كم كنت أتمنى أن أكتب في شيء آخر هذا الاسبوع فقد قلت كل ما عندي في المقالين السابقين عن الأستاذ محمد حسنين هيكل الا أن خطابا وصل الى من الأستاذ عادل عبد العزيز محمد دياب من حقوق الاسكندرية يستفسر فيه عن بعض نقاط أرى أنها جديرة بالاجابة والمناقشة •

يتساءل الأستاذ عادل لماذا لم ينشر ما قاله هيكل والواقع أن ما قاله هيكل نشر في جميع الجرائد وكان من أهم ما قاله أن حوادث ١٨ و ١٩ يناير كانت نتيجة سخط الشعب وكانت انتفاضة شعبية رافضة للحكم • ثم أخذ بعد ذلك على مصر أنها توطد علاقاتها مع أمريكا وينعى عليها انها تركت الاتحاد السوفيتي •

حين يقال هذا ورئيس جمهورية مصر في أمريكا فعلا ويفاوض الرئيس الأمريكي من أجل مصلحة مصر الى أى مدى يصبح موقف الرئيس حرجا ؟! ولاشك أن أى مصرى يتمنى النجاح لهذه المفاوضات ولابد في فترة المفاوضات الا يظهر شرخ في الجبهة الداخلية والا أصبح الرئيس لا يمثل الشعب جميعه وذلك ما حاول الأستاذ هيكل أن يصنعه ومن هنا قلنا انها خيانة عظمى لأن هذه الأقوال تضر بالمصلحة القومية للبلاد التي يجب عندها أن تتلاشى كل الخصومات والرغبات الشخصية ولعل في كلامي هذا ردا على الجزء الرابع من خطابك اما أن هذه الخيانة لا يتقدم بها أصحاب الشأن لتكون موضوع محاكمة فهذا أمر تقديري وقد يرى من في يدهم الأمر أن المصلحة العامة تقتضى عدم محاكمة المخطىء لأن الجريمة أولا وقبل كل شيء سياسية والسياسة ليست جامدة جمود القانون • ومصر – كما تقول وكما أؤمن – أولا وأخيرا فوق الجميع •

أما حديثى عن هيكل فى ميدان الكلمة فانا أعتقد أن هيكل ظــل لفترة طويلة هو الكوة التى نتلمس منها أخبارنا فى حالك الظلام ومن هنا جاءت أهميته واننى أعتقد أن الأستاذ هيكل نال فرصة فى هذه الفترة وانه بالحاسة الصحفية أحسن استغلالها فى كل شىء • أما حين تصبح الأخبار مشاعة بكل الجرائد على السواء فان الأستاذ هيكل يفقد أهميته• وقد حاول أن يكون فى العهد الجديد كمــا كان فى العهــد القديم ولكن استحال عليه هذا فقد رأى عهد السادات أن الجميع عند رئيس الجمهورية يجب أن يكونوا سواء لا فضل لأحد منهم على الآخر •

وبعد فالأستاذ هيكل محلل ســـياسى حين تتوفــر عنده المصادر أما اذا لم تتوفر فهو اذن كما قلت لا يساوى فى ميدان الكلمة الكثير •

أما أن أمله أن يعود الى جريدة « الأهرام » فلا شك يا أستاذ عادل أن هذا الذى أقوله من قبيل الحدس والتخمين فان أحدا لم يتسرب الى نفس الأستاذ هيكل ليعــرف ما تهفو اليــه أطمــاعه أما قولك أنه رفض المنصب الوزارى فلعل هذا يكون دليلا على صــحة ما أذهب اليه فان « الأهرام » هى المكان الذى يستطيع أن يجد فيه الأستاذ هيكل نفسه وقد عمل وزيرا ولكنه لا شك لم يجــد فى المنصب ما يجده وهو جالس على كرسيه فى جريدة « الأهرام » •

أما ما تشير اليه من مقال هيكل الذى أهاج عليه مراكز القوى فانى أترك لك أن تحكم على شخص ظل لمدة عشرين عاما يكتب فى جانب حتى اذا رأى أن هذا الجانب قد آل الى السقوط تحول الى جانب آخر محاولا أن يتحصن به من ماضيه •

وبعد يا أستاذ عادل فانه حبيب الى نفسى أن أناقش خطابا مثل خطابك فالمنطق يستطيع دائما أن يكون حكما عدلا فان كنت قد اقتنعت فما أحب هذا الى والا فأنا على استعداد دائمــا أن أتلقى ما يعن لك مــن مناقشة • ولك تحياتى ودعائى لك بالتوفيق •

هــكذا المصريون

●● كان صديقى طالبا فى الكلية • وكان والده يرســـل اليه مرتبا يجعله مبلول اليد طوال الشهر وكان هذا يغرى زملاءه أن يطلبوا اليه دعوتهم الى غداء أو عشاء • وحدث مرة أن طلب اليه رفقته أن يدعوهم الى عشاء يكون السمك هو الطبق الرئيسى فيه فحدد لهم اليــوم الثالث

من الشهر المقبل فقد كان مرتب شهره نافذا وكان يقدر أن المرتب الجديد سيصل اليه قبل موعد الدعوة ٠

وحل الشهر الجديد ولم تحل النقود وأصبح وهو فى أول الشهر أكثر افلاسا منه فى آخر الشهر ٠

ولم يكن يعنيه هذا الفقر لولا الدعوة التى حدد موعدها لأصدقائه ٠٠ وما كان ليستطيع أن يؤجلها فما كان الأصدقاء ليصدقوا دعواه بالافلاس فقد كان دائما موفورا أمامهم ٠ وكانوا سيرمونه بالبخل فقد كان فى هذه الأيام تهمة يرفض كثير من الناس أن تلتصق بهم ٠

فكر صديقى كثيرا كيف يواجه هذا اليوم الثالث من الشهر ٠ وكان فى غمرة تفكيره حين مر على الكواء الملاصق لبيته والذى يكوى له ملابسه -

ـ مالك ٠

ـ لا شيء ٠

ـ لأول مرة لا تلقى السلام ٠

ـ مشغول ٠

ـ لا شيء فى الدنيا يساوى مشغوليتك ٠

ـ دعوت أصدقاء لى على العشاء فى غد ولم يأت مرتبى ٠

ـ كم تـريد ٠

ـ جنيهـــا ٠

كان الجنيه أكثر من الكفاية فى هذه الأيام ٠

ـ لا تحمل هما ٠

وفى صباح اليوم الثانى كان الكواء عنده وكان يعطيه مائة وخمسين قرشا وحاول أن يكتفى بالجنيه ولكن الكواء أصر ٠

ـ انت لا تعرف الظروف ابق معك المائة والخمسين قرشا ٠

وتمت الدعوة وأكل الأصدقاء وبعد اليوم المشهود بيوم واحد وافى المرتب فذهب صديقى الى الكواء ٠

ـ شكرا هاك نقودك ٠

ـ عظيم ٠٠ نرجع للمرأة كردانها ٠

ـ كردانها ؟!

ـ كانت تظن انه لن يعود ٠

ـ ماذا تقصد ..

ـ لقد رهنت كردان زوجتي .

ـ هل هذا معقول .

ـ ولماذا خلقت النقود ان لم تسترح بها نفوسنا .

ـ ولكن هذا غير طبيعي .

ـ بل أكثر من طبيعي .. لقد أحضرت لك المبلغ فارتحت أنت وشعرت أنا بسعادتك فارتحت أنا .. ماذا يستطيع الكردان أن يفعل أحسن من هذا .. توكل على الله هكذا مصر .. وهكذا أبناء مصر .

الأهرام في ١٩٧٧/١/١١

يا قلم المرور ظلمت الـوزير

رزح الموظفون ردحـا طويلا من الزمن تحت شـعار أن الوزير ذاته مصونة لاتمس • وهذا التعبير لا يعرفه شبابنا فأنا محتاج أن أعرفهم به• لقد كان هذا الشعار يطلق فى عهد الملكية فكان يقال أن الملك ذاته مصونة لاتمس • لأن الأصل الدستورى أن الملك يملك ولا يحكم ولكن هذا الأصل الدستورى طمس فى دستورنا المصرى أيام الملكية لأن واضعى الدستور أوجدوا بالدستور مادة تبيح للملك أن يقيل الوزارة • وفى اعتقادى أن هذا النص هو الذى أتاح للملك فاروق أن يعيث فى البلاد فسادا فلولا هذا النص ما أصبح للملك الحق فى الحكم •

وقد يقول البعض أنه لولا هذا النص لظل الوفد يحكم وأنا أخالفهم فالوفد كان دائما يصبح مكروها فى آخر مدة حكمه حتى اذا أقيـل عاد الشعب فأحبه مرة أخرى كأقوى ما يكون الحب لأنه بهذه الاقالة يمثـل القوة التى تعارض جبروت الملك • ولو ان الأمر ترك للشعب ولو ان الملك لم يستخدم حق الاقالة لبقى الوفد دورة •• أو دورتين ثم يسقطه الشعب بينما الوفد لم يكمل دورة طوال الفترة الدستورية الملكيـة بفضل حق الاقالة هذا الذى دمر حياتنا الدستورية • فالشعب بطبيعته يستطيع أن يختـار لنفسه ويحسن الاختيـار • ولن ينسى أحد كيف أسقط الشعب الانجليزى حزب المحافظين برئاسة تشرشل بعد خروجه من حرب ظافرة وأذكر ان أستاذى الدكتور لويس مرقص شفاه الله كان بانجلترا فى أيام الانتخابات وجرى نقاش بينه وبين شاب انجليزى سأله الدكتور لويس •

ــ من ستنتخب ؟

ــ حزب العمال طبعا •

ــ ولكن تشرشل كسب لكم الحرب •

ــ ولكن ليس هذا سببا أن نجعل منه يوليس قيصر آخر ٠

ولكن الذى حدث عندنا فى أيام الدستور الملكى ان الملك جعل من نفسه بفضل مادة الاقالة قيصرا وأصبح يولى ويعزل كما يشـــاء محتميا وراء الشعار أن الملك ذاته مصونة لاتمس ٠ وان كان كبار رجال الأحزاب ضربوا بهذا الشعار عـرض الأفق وقدموا عريضتهم الشهيرة التى جعلت قيصر مصر فى ذلك الحين يجن جنـــونه فقد كان معودا ان تـكون ذاته مصونة لاتمس ٠

وانتهت أيام الملك ومرت سنوات ثم فجـأة جثم الطاغوت على قلب مصر وأصبح الوزير وهو ذاته مصونة لاتمس بل أصبح أتبـــاعه وأتباع أتباعه ومن تبعهم بافساد الى يوم الدينونة وهم جميعا ذواتهم مصـــونة لاتمس ٠ وتعود الموظفون هذا وصغار العاملين فى الحكومة ٠

حتى اذا جاء عهد السادات ٠ وصاح الرئيس الله أكبـر وأعلن ان الانسان فى مصر هو الذات المصونة التى لاتمس ظل صغار الموظفين وهم فى غيهم يعمهون لم يفيقوا على صيحة الحرية ولم يدركوا بعد ــ وكيف لهم ان يدركوا والمرء ما تعود ــ ان الحرية هى القانون وان أول ما يتمثل القانون فى المساواة بين الناس فلا فضل لانسان على انســـان ولا امتياز لوظيفة على وظيفة فالوزير فى قمة الهرم الوظيفى يستوى مع أصغر موظف فى الدولة يكمن فى السفح من هذا الهرم مادام كلاهما يؤدى واجبـــه ٠ ولن يظلم الوزير بشر من موظف يعطى الوزير حقا ليس له أو لا يطبق عليه قانونا يتحتم ان ينطبق عليه ٠

كنت لبعض شأنى فى وسط البلد ٠ ووجدت سيارة واقفة على جانب من الطريق فوضعت سيارتى خلفها ونزلت لما كنت أبغى من عمل ٠ وحين عدت لم أجد سيارتى ووجدت السيارة التى وقفت من خلفها ٠

سيارتى والحمد لله لا تغرى بالسرقة ولذلك نفيتها تماما من ذهنى وسألت بوابا وجدته عند سيارتى :

ــ أهى سيارتك ٠

ــ هل أخذها الونش ٠

ــ نعـــم ٠

ــ ولماذا لم يأخذ السيارة الأخرى ٠

ــ انها ســـيارة الوزير ٠

لكم يظلم رجال المرور الوزير . فأنا لا أشــك ان الوزير لايدرى ما صنعه بى . فقد ظننت أن الوقوف مســموح فوقفت . ولا بأس على رجال المرور أن يرفعوا سيارتى فانه لابد ان يعاقب المخطىء ولكن لابد ان يعاقب كل مخطىء . وانى الآن موجه حديثى الى قلم المرور .

انك أيهــا القلم المرورى بين واحــدة من اثنتين اما ان تضع على سيارات الوزراء لافتة مكتوبا عليها « سيارة وزير » حتى لايحاول فرد من أفراد الشعب ان يحتذى بها ويفعل مثل ما تفعل .

واما أن ترفع اللافتات المكتوب عليها « ممنوع الوقوف » لتضــع بدلا منها « مخصص لسيارات الوزراء » .

وهناك ثالثة تغنيك عن الاختيارين وهى الأحكم والأصل والأحق والأعدل . ان تعاملوا سيارة الوزير كما تعاملون سيارة الخفير وتفتحوا عقولكم لصيحة جديدة تردد صداها فى العالم أجمع ان الانسان المصرى يتمتع بالديمقراطية ولم تصل بعد الى آذانكم أو لنقل انها لم تصل بعد الى عقولكم .

النظرية لغير واضعها

كان الشاعر شيللى يرى ان الفضيلة لاتتمثل الا فى الفلاســفة والفقراء . وقد أعجب غاية الاعجاب بالفيلسوف جودوين وبكتابه « العدالة الاجتماعية » وكان جودوين يرى ان الزواج انما هو سجن لا أكثر وكان شيللى يرى أن السماء ليست عادلة حين تحاســب المخلوقات الضعيفة التى ركب فيها ضعفها ولو كانت الســماء قادرة حقــا لما جعلت البشر الضعفاء يخرجون من طاعتهــا . ولو كانت السماء منطقيــة مع نفســها أو مع الحق لما عاقبت أولئك الضعاف بعد أن أتاحت حرية الاختيار بين الخطأ الممتع والصواب المقيت .

وكان يرى أن ليس هناك تقاليد ثابتة وانما لكل عصر تقاليــده الخاصة به التى تتولد من ظروف العصر وطبيعة الحياة فيه . ولهذا أعجب شيللى بأفكار جودوين الذى سحق فكرة الزواج ومزق فكرة الشرعية فيه فقد كان رجلا لا دين له متمردا على كل القيم الدينية وغير الدينية .

وهو نفسه كان من رجال الكنيسة وتزوج مرتين . وأنجب ابنة .

وأحب شيللى ابنة جودوين وكان متزوجا من غيرها • فوجد ان من الطبيعى أن يهرب مع الفتاة التى أحبها والتى يمثل أبوها الأفكار المتحررة التى آمن بها شيللى غاية الايمان •

واعتقد شيللى وهو محق فى اعتقاده ان جودوين سيبارك هروب ابنته مع من تحب دون ان يقوم بينهما زواج ولم لا وهو الذى وضع النظرية • ولكن شيللى فوجىء بفيلسوفه الأثير يثور عليه ثورة عارمة ويعلنه أنه سيقاطعه ويقاطع ابنته مدى الحياة قائلا له مادام فى جسمى ذكاء واحساس فلن أرضى عن هذه الفعلة أبدا وانى أعتبرك أكبر شقاء فى حياتى •

وهكذا نجد ان أصحاب النظريات يضعونها لغيرهم • فهم يفكرون للناس ولا يحبون أن يلتزموا بأفكار أنفسهم فليس عجيبا أن نجد الشيوعية اليوم تقول لكل حسب حاجته ثم يحدد أمراؤها هذه الحاجة فيجعلون من الانسان حيوانا لاتزيد حاجته عن لقمة عيش سوداء وامرأة يتزوجها عند موظف ويطلقها اذا شاء عند موظف ويعيش معها كالبهائم فى غرفة تجمعه وزوجته بازواج وزوجات آخرين وآخريات •

حتى اذا بدأ الأمراء يفكرون فى حاجتهم هم وجدت هذه الحاجات تزرى بحاجات الملوك • فمنهم من يهوى جمع السيارات الأمريكية وغير الأمريكية ومنهم فى مصر من يركب السيارة المرسيدس ويعيش عيشة قياصرة التاريخ •

وحجتهم لديهم حاضرة وقريبة • هم يفكرون للناس ويطبقون لهم نظرية البؤس وحيوانية الانسان وانهيار آدميته اما عندما تصل النظرية اليهم فهى نظرية الرفاهية والرغد والبلهنية والاسراف الذى يخجل منه أكثر الرأسماليين وقاحة وجبروتا •

ان أئمة الشيوعية فى مصر وفى موسكو كلهم جودوين • كلهم يعتنقون النظرية الشيوعية لينفردوا بالغنائم • كلهم يريد أن يجعل من جماجم الكادحين سلمه ومن عرق العمال مسبحة ومن دماء الفلاح مرقاة الى قمم المجد •

وليس أدل على ذلك من ان الشيوعية كانت وما زالت وسوف تظل تفرض على الشعوب من حكامها بفعل السلاح ولم نسمع وما أظننا سنسمع عن دولة اختار فيها الشعب الكادح من البروليتاريا طريق الشيوعية •

والشعب يستطيع أن يصنع أى شيء الا ان يواجه سلاح الجيش الذى تسلطه عليه الطبقة الحاكمة فى البلاد الشيوعية والبيت القديم شهير ·

جلوا صارما وتلوا باطلا وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وفي الأمس القريب سألنى شاب لماذا لا تثور الشعوب على حاكميها فى ظل الشيوعية ، فذكرت له أن روسيا وحدها قتلت أحد عشر مليونا لتثبت أركان الشيوعية في روسيا ويوم ثار عمال مصنع وهم البروليتاريا الكادحون سحقت الدبابات المصنع بمن فيه وسوته بالطريق العام · فهم يهتفون باسم العمال ويقتلونهم فتذكر أبيات شوقى الخالدة ·

منار ، يا ابن العم ما هذا الخبر رفعت قيسا فجعلته القمر

والآن أغريت بقتله الزمر كفعل جزار اليهود بالبقر

يبراها من العيوب وعقر ·

وهكذا يفعل أمراء الشيوعية بالعمال والفلاحين · يرفعون ألويتهم ليحكموا باسمهم ثم يقتلون فيهم الآدمية والانسانية ومن شكا منهم أو احتج قتل هو نفسه حتى لايبقى منه شيء ·

ألم أقل لك أنهم كلهم جودوين يحتضنون النظرية بشرط واحد هو أن تطبق على غير أمرائهم وما أبأس الأمراء اذا هم بأمراء الشيوعية قورنوا ·

الأهرام فى ١٩٧٧/١/١٨

مهرجان من البطــولات الزائفــة

وفى حين من الدهر رفع فى مصر شعار الفرد فى سبيل المجموع ٠ وهذا الشعار يبيح لرافعيه أن يمحقوا انسانية الانسان فى سبيل المذهب وهم يسمون المذهب المجموع ٠ وباسم هذا الشعار حطم الفرد فى هذه المجتمعات وتحول الى آلة ٠٠٠ كل فرد تحول الى آلة صغيرة حتى حين تلد هذه الآلة تلد وتظل آلة ٠٠٠ ولابد لكل آلة من وقود ووقود الآدمى لقمة العيش وباسم هذه اللقمة حطم المذهب انسانية الانسان ٠ فليس من حقه أن يشعر أو يكون لنفسه أملا يعيش به أو تكون له حياة خاصة تهب له الدفء والطمأنينة وأمن الحياة ٠

الكتاب فى هذا النوع من المجتمعات تحولوا الى آلات كاتبة يضرب عليها أعضاء الحزب وقراراته وليس من حقها أن تكتب شيئا غير ممهور بتوقيع الحزب والكاتب الذى أراد أن يصبح كاتبا كان مصيره الطـرد والنفى والتحطيم والدمار ٠

وفى مصر كان المجموع عندنا شيئا آخر ٠ لم يكن حزبا لا ولا كان مذهبا وانما كانت جماعة من اللصوص والمجرمين والسفاكين محقوا الفرد فى سبيل أنفسهم وسموا أنفسهم هذه المجموع وسمعنا عجبا ٠

سمعنا عن واحد منهم اشترى لنفسه قصرا على ساحل المليونيرات فى جنيف على البحيرة الشهيرة ٠

وسمعنا عن آخر ذهب الى فرنسا هاربا مما يعلم أنه منتظره فى المحاكم حين ينظر القضاء فى أمره وحين ذهب الى فرنسا أدعى الفقر وقدم عقدا من اللؤلؤ الى سيدة فرنسية صديقة لزوجته وطلب اليها أن تبيع العقد لحسابه وتقول السيدة أنها جاءت بأعلى الأسعار لعقده هذا ولكنه رفض البيع واسترد العقد ويوم استرده كان يركب سيارة مرسيدس آخر موديل وادعى لها انه اشتراها وأرسل نقودها الى الشركة قبل أن

يغادر القاهرة ولم يسأله أحد ومن أين أتيت بثمنها فى القاهرة ولو كان سئل لأجاب الفرد فى سبيل المجموع • وهو طبعا المجموع المقصود •

هذا الفتى الذى أحكى عنه يسكن فى شقة اشتراها فى شارع فى باريس وهذا الشارع معروف أنه أغلى شارع فى العالم أجمع بغير استثناء• فالمجموع الذى قصد اليه الشعار فى مصر هو المجموع من اللصوص والأفاقين الذين جعلوا مصر وأموال مصر وأبناء مصر نهبا مباحا لهم ••

ولو أنصفوا لكان الشعار المجموع من أجل الأفراد حتى يستقيم الشعار مع العمل ويوافق الكلام التصرف •

ماذا لو طبقنا شعارهم هذا اليوم ومحقنا الفرد من أجل المجموع • من الطبيعى أن الجهة التى تفسر هذا الشعار هى الجهة الحاكمة • فالجهة الحاكمة اليوم لو رفعت هذا الشعار ماذا تراها فاعلة بقبيل من الناس يذهب الى خارج مصر ويهاجم الحكم فى مصر • اذا طبق الحكم الحالى هذا الشعار عليهم وأخذهم أخذا وبيلا أتراهم حينئذ يرون فيما يفعله النظام ظلما •

ولنترك الشعار قليلا • ان هذا القبيل الهزيل الذى يتسقط رزقه وشهرته من أحزاب العالم الشيوعية يدين — لا شك — بالولاء للشيوعية• فماذا ترى •

الشيوعية فى قوم يتركون بلادهم ويخرجون الى بلاد أجنبية ليهاجموا الحكم فى بلادهم •• أتراهم لو كانوا فى حكم شيوعى كانوا يستطيعون أن يعودوا الى بلادهم آمنين مثلما سيعود هؤلاء الهزلاء الهازلون ••

فى ظل الأمن والحرية سيعودون أن مصر رفعت شعار الفرد لا المجموع • وما شعار الفرد الا احترام لآدمية الانسان وانسانيته والقيمة التى أحاطه الله بها والتى كرم بها أن له عقلا وشعورا وعواطف وأحاسيس •

أعزها وأشرفها وأعلاها شأنا حب الوطن الذى ينتمى اليه ويسعى فى الحياة تحت لوائه وفى ظل اعلامه •

وما المجموع أليس هو الفرد ولذلك لم يكن عجيبا أن يقول الله لنبى الانسانية والاسلام صلى الله عليه وسلم « •• أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا •• » •

وحين تعلن مصر أنها تريد اشتراكية الفرد فهى تعلن فى نفس الوقت أنها تريد اشتراكية المجموع لأن سعادة الفرد هى سعادة المجموع •

وتمحق سعادة الفرد اذا هى بنيت على شقاء فرد آخر ويجب أن يمحق الفرد كله إذا بنى سعادته على شقاء أفراد آخرين فالاستغلال مرفوض بكل صوره وتحت أى شعار والاحتكار مرفوض بكل صوره وتحت أى شعار ٠

وامتهان آدمية الانسان مرفوض بكل صوره وتحت أى شعار وانما هى العدالة ٠٠ تبذل جهدا وتنال المقابل غير مظلوم ولا أنت ظالم لاتبغى على أحد ولا يبغى عليك أحد ٠

هذا هو شعار الفرد الذى رفعنا أعلامه فلا سجن لفرد لم يرتكب جرما ولا تهديد لانسان فى عرضه أو أمنه أو ماله أو كيانه ٠

وانما هو القانون وما يقضى به والحق وما يراه والعدل وما يفرضه من سلطان ٠

وتحت هذا الشعار يمرح الغواة فى غيهم ونرى أنفسنا محاطين بمهرجان من البطولات الزائفة الصغيرة ٠ فهم يعلمون اليوم ان يد القانون وحدها هى ما تقف أمامهم ٠ وأن أحدا لن يعتقلهم ولن يهدد أعراضهم وأعراض ذويهم ومالهم ومال ذويهم ومستقبلهم ومستقبل من يلوذ بهم ٠

هى الحرية اليوم يستغلها كثيرون أرى منهم للأسف بعضا يباع ضميره وباع قلمه وباع مصريته وما أعظم ما باع وما أهون ما نال ٠ ثمنا بخسا لبضاعة لا يرتفع الى ثمنها ثمن ٠

وأرى بعضا منهم ينتهز فرصة الديمقراطية ويثب على أكتافها يريد أن يعلن أنه بطل لأنه يعارض ولا بطولة هناك ٠ فالمعارضة اليوم لا شجاعة فيها ومن أين تأتيها الشجاعة والسلطة التنفيذية قد ألزمت نفسها ألا يعامل الأفراد الا بالقانون ٠

وقد كنا نحن جديرين بالمعارضة أيضا فقد مارسناها سنوات عمرنا جميعا ، ومارسناها وشواظ الظلم نار محرقة والحكم اذا رحم ــ وما كان يرحم ــ كانت رحمته القتل ٠ ونحن نعلم ان المعارضة ذات بريق ٠ وأنها تكسب المعارض لمعة ٠ ولكننا ــ والحمد لله ــ لا نحب البريق الزائف ٠ ونحن ــ والحمد لله ــ فى غنى عن اللمعة الخادعة ٠

انما هى مصر التى ننظر اليها وهبنا لها نفوسنا وأقلامنا وأولادنا وكل ما نملك هو حل لها ٠

وهبنا لها نفوسنا ونحن نعارض الظلم والقوم الظالمين ونهب لها نفوسنا ونحن نؤيد العدل ومن بالعدل حكم ٠

فما لهؤلاء الصغار يبحثون عن بطولات لن تتهدى اليهم ٠ انهم أشبه ما يكونون بالأطفال الصغار ركبوا العصى وسموها خيلا وما كانت بخيل ٠

ان الميزة الأولى للديمقراطية هى انها لا تقوم الا بالمعارضة ٠ والمعارضة المجدية فى الديمقراطية هى تلك التى تهدف الى العيب وتبغى اصلاحه ٠ وهذه المعارضة الشريفة لابد منها حتى تنجح التجربة التى نخوض غمارها ولابد لها أن تنجح ٠ والمعارضة الشريفة هى التى تقال على المنبر الذى أعد لها ٠

أما عضو مجلس الشعب الذى يذهب الى أوروبا ويوجه الطعن على الحكم فى مصر فهو خائن يتصيد لا أقول البطولة وانما يتصيد رضاء حزبه الشيوعى والدولة التى ينتمى اليها هى موسكو وليست مصر وأول شرط فى عضو مجلس الشعب المصرى أن يكون مصريا ٠

والعضو فى مجلس الشعب الذى يملأ الدنيا ضجيجا خارج المجلس أحرى أن يقدم معارضته فى المجلس وبالطريقة التى تجعل منه عضوا مصريا يبغى الاصلاح لا التهريج والتقدم لوطنه لا الطنطنة لنفسه ٠

اننا اشبه بمريض قضى فى فراش المرض نيفا وعشرين عاما ثم وافته العافية وغادر الفراش فأرجله توشك ألا تتمكن من الأرض ٠ وليس عجيبا أن تتخلج السيقان منا ٠ فلا بأس بنا أن يخطىء بعض النواب عن قصد شريف فهم على أية حال الى الحق راجعون وانما اليأس كل اليأس فى قوم الى غير مصر ينتمون ولهدف غير مجدها ورفعتها يهدفون ٠

أولئك لا نغفر لهم ولا تغفر لهم مصر فان الأم تحب وتعطى ولكن جرحها من الولد أعمق غورا وأبعد فى الأسى من جرح يصيبها من العدو ٠ أن جرح الأبناء لامهم هيهات هيهات أن يندمل ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٦/٢٥

الأمس لا يعود

سرت في دروب السياسة هذه الأيام همهمة أن حزب الوفد بسبيله الى التكوين • وقد تعلو هذه الهمهمة حينا فتصبح ضجيجا أو قد تتخافت لتعود وانية الخطو هينة الصوت • وليس الضجيج بمستغرب ولا هو عجيب والتخالف أيضا طبيعي ومعقول فبين الضجيج والخفوت يبين أن في الأمر ترددا وشدا وجذبا واقداما واحجاما •

وتكوين حزب في ذاته أمر منتظر من المعقول أن يواكب ظهور قانون الأحزاب • ولكن الأمر الذى لا أجد فيه معقولية أن يعود حزب الوفد الى الحياة فانه ان صح هـذا في الأذهان لانتظرنا أن يظهر حزب الأحرار الدستوريين وحزب الهيئة السعدية خاصة وان زعيم الهيئة يتمتع والحمد لله بصحته وبعبقريته الخطابية والسياسية •

ولكن الحقيقة أن هذه الأحزاب لم يعد أمامها سبيل • ويبدو أن الذين يكونون الحزب نسوا أنه قد مر على حل الأحزاب أربع وعشرون سنة كاملة تغيرت فيها ناس وأفكار ومفاهيم والشباب اليوم يوشك ألا يعرف عن هذه الأحزاب شيئا •

وأصغر جيل يعرف أمرها هو هذا الجيل الذى انتسب اليه أنا • ونحن جيل يمد يده اليوم الى بداية الخمسينات من حياته • ونحن جيل تعلمنا مما مر بنا أن نلتف حول قيم لا أشخاص وحول أفكار لا أفراد •

وربما كان من الاصلح لي أن أذكر لشبابنا شيئا عن هذه الأحزاب القديمـة •

كانت أهم أحزاب في مصر هي حزب الوفد ويتمتع بأغلبية شعبية كبيرة • وحزب الأحرار الدستوريين وكان أعضاؤه أغلبهم من المثقفين ومن أصحاب الأسر الكبيرة التى تنتمى الى الفلاحين ، وحزب الهيئة السعدية

وهو حزب انشق عن حزب الوفد فى أواخر الثلاثينيات واتحد مع حزب الأحرار الدستوريين مع ابقاء كل من الحزبين على اسمه وتكوينه • وحزب الهيئة السعدية أيضا كان يعتمد على الأسرات الوفدية التى تنتسب الى الفلاحين •

والحقيقة أن برامج الأحزاب الثلاثة كانت واحدة لا تكاد تلمح اختلافا بين حزب وحزب • والحقيقة أن حزبى الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية منشقان عن حزب الوفد الأول وان اختلفت بينهما أسباب الانشقاق وموعده •

أما الحزب الرابع فقد كان الحزب الوطنى وقد رفع شعارا متطرفا لامفاوضة الا بعد الجلاء وواضح من هذا الشعار أنه غير قابل للتنفيذ فان أقرب سؤال يرد الى الذهن عند سماع هذا الشعار ••• فيم المفاوضة اذا تم الجلاء ؟! • وقد كان من مبادىء هذا الحزب الا يشترك فى الوزارات أبدا اصرارا منه على مبدئه ألا أن زعيم الحزب اشترك فى الوزارة واشترك غيره كثيرون ، وفيم أعلم لم يرفض الوزارة من هذا الحزب الا الأستاذ فكرى أباظة •

على أية حال فانه باستثناء الحزب الوطنى كانت برامج الأحزاب الثلاثة جميعا واحدة لايختلف فيها حزب عن حزب وقد كانت الأهداف الأولى التى توشك أن تنحصر فيها برامج الأحزاب هى اجلاء المحتل الأجنبى والعمل على تقدم البلاد الاجتماعى والاقتصادى ولعله من الانصاف أن نقول أنه لم يعرف عن أحد رجال هذه الأحزاب أنه باع وطنه للانجليز •

من بين رجال هذه الأحزاب من ثارت الأقاويل حول ذمته المالية ومنهم من أخرج من الوزارة لما ثار حوله من شائعات ولكن تهمة الخيانة لم تثبت على أحد "

ولعلنا نستطيع فى كلمات قلائل اجمال الظروف التى نشأ فى ظلها كل حزب من هذه الأحزاب

أما حزب الوفد فقد نشأ أول ما نشأ لمفاوضة الانجليز وكان يضم برئاسة الزعيم سعد زغلول كل الرجالات الذين كونوا الحزبين الآخرين مع آخرين من كبار رجال السياسة الذين آثروا الا ينضموا الى أحزاب فيما بعد •

أما حزب الأحرار الدستوريين فقد انشق على سعد فى أعقاب المفاوضات الأولى التى قام بها الوفد وكان ذلك فى عام ١٩٢٢ •

أما الهيئة السعدية فقد انشقت على حزب الوفد بعد معاهدة ١٩٣٦ انشق حزب الأحرار الدستوريين لأنه كان يعارض سعد فى كثير من خطوات المفاوضة •

وانشقت الهيئة السعدية لأن زعماءها كانوا يعارضون مصطفى النحاس فى كثير من تصرفات الحزب الوفدى ٠

وبعد الانشقاق ظلت برامج الأحزاب متشابهة توشك أن تكون واحدة لاخلاف بينها ٠

فالخلاف اذن بين هذه الأحزاب بعضها وبعض كان اختلافا قائما على الأشخاص لا المبادىء ٠

وجاءت ثورة ١٩٥٢ وحلت الأحزاب ٠ وخرج الانجليز وبخروجهم يسقط الهدف الأول الذى كانت الأحزاب تبنى عليه وجودها ٠

واتجه الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى بعد ثورة ٥٢ الى اتجاهات تغلب عليها أفكار مبدئية معينة وان كانت لم تطبق تطبيقا سليما ٠

ثم جاءت ثورة التصحيح فوضعت أفكارا مبدئية تصحح الاتجاه الاقتصادى وتفتح الآفاق لمشارف اقتصادية جديدة ٠

وتغيرت الحياة فى مصر تغيرا تاما ٠ومر على هذه الأحزاب وهى منحلة أربعة وعشرون عاما كاملة وبضعة شهور ٠

يريد اليوم حزب الوفد أن يرجع عجلات هذه السنين جميعها الى عام ١٩٥٣ ٠٠٠

هيهات ٠

والا فما اصراره أن يسمى نفسه حزب الوفد ٠٠٠ أى وفد ؟! ان الوفد كان موفدا للمفاوضة ٠٠٠ ففيم المفاوضة اليوم ٠

ويقول قائل ان اسم حزب الوفد يجمع الأنصار حول الحزب الجديد ٠فهو ــ فيم يقول القائل ــ أشبه بالاسم التجارى ٠٠٠ مثل عمر أفندى الذى لا وجود له فى الحقيقة ومع ذلك فهو اسم تجارى هام ٠

واننى أكبر الحزب ــ أى حزب ــ أن يكون تجارة أو يتشبه بالتجارة ٠ فالمفروض فى السياسى أن يخسر ماله فى سبيل وطنه ٠ وليس هكذا المبدأ التجارى على أى مذهب من مذاهب التجارة ٠

والمفروض فى الحزب أن يكون صادقا ٠ ومن أول شرائط هذا الصدق أن يكون اسمه متفقا مع مبادئه ٠ فما هو الفكر السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى الذى يدل عليه حزب الوفد ٠ وقد كان حزب الوفد القديم يجمع بين أعضائه أقصى اليمين مع أقصى اليسار ٠ وما هكذا يمكن أن يكون للحزب انما الحزب كما تعرفه الحياة الديمقراطية هو تجمع متماثل من أشخاص يؤمنون بمذاهب متقاربة حتى توشك أن تكون واحدة ٠

لابد اذن فى أى حزب جديد ينشأ أن يعتنق فكرا سياسيا واضحا متبلورا والسياسة تجمع فى ثوبها الاقتصاد والأفكار الاجتماعية وليس هناك فكر سياسى بلا أفكار اقتصادية واجتماعية واضحة ٠

فماذا يعنى اذن لفظ حزب الوفد فى التعبير عن أى فكر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ٠

لقد كان فى حزب الوفد الرأسمالية فى أعتى صورها متمثلة فى أشخاص يقفون على قمة التنظيم الحزبى وكان بين شبابه من يجنح الى اليسار الذى يوشك أن يكون أقصى اليسار ٠ فأى لون من ألوان الوفد القديم سيمثله حزب الوفد الجديد ٠

واليوم اذا أراد أن ينضم الى حزب الوفد عنصر جديد لا صلة له بالوفد القديم ماذا تعنى بالنسبة اليه كلمة الوفد التى أصبحت تاريخا ولاشىء الا التاريخ ٠ وشىء آخر أهم من هذا جميعا يجب أن نفكر فيه ومبدؤنا الأساسى أن الوطنية قبل الأحزاب ٠

ولا شك أن اى حزب يتكون اليوم سيكون معارضا ٠٠٠ فمادام لا يفكر فى ظل حزب الأغلبية الممثلة بمجلس الشعب فهو معارض ٠

ونحن اليوم مقدمون على فترة من أدق فترات تاريخنا ، ومؤتمر جنيف ينظر الينا وننظر اليه والنظرات فيها من جانب العدو طمع وغطرسة الذليل المنهزم الذى يريد أن يثبت أنه ليس ذليلا ولا منهزما ٠ وفيها من جانبنا اصرار على أن نسترجع ما سلب من أرضنا وما اغتصب من حقنا ٠

أيرى أى مصرى اليوم أن الوقت الآن مناسب لتكوين أحزاب معارضة أو أى أحزاب على الاطلاق ٠

اننا فى ظل تجربة ديمقراطية تسير خطواتها الأولى فهى تجربة وليدة ولم تثبت خطاها بعد ولكننا فى ظلها نحيا فى أمن على نفوسنا وأعراضنا وأموالنا ٠

أليس من الأوفق أن نذهب الى مؤتمر جنيف دون محاولة أخرى فى الداخل حتى ولو كانت هذه المحاولة ترمى الى اكمال التجربة الديمقراطية والأخذ بيدها حتى تشب عن الطوق ٠

وحين يتهيأ الوقت وتتاح الظروف لتكوين أحزاب فانه يجب وجوبا لا محيد عنه ولا منصرف أن تلتئم هذه الأحزاب على أفكار لا أشخاص ومبادىء لا أفراد ولابد أيضا لهذه الأفكار وهذه المبادىء أن تكون على وعى بما حدث فى مصر طوال ربع قرن ٠٠٠ فانه هيهات أن يرجع الأمس

الأهرام فى ١٩٧٧/٢/١

الأستاذ هيكل .. بين الدفاع والهجوم

من الناس من لا يصلح الا بغيره وفى مقدمة هؤلاء الناس الأستاذ محمد حسنين هيكل فقد ظل لفترة طويلة يشرع قلمه ليجعل الظلم عدلا والانهيار بناء وقتل الانسان حياة وتدمير البشرية ازدهارا والاندحار نصرا وخراب مصر انتعاشا .

دافع عن الحراسات ودافع عن الحروب المتلاحقة التى كبدت مصر أموالها وما تقترضه أيضا من أموال ودافع عمن قتلوا فى السجون ودافع عن الرعب الذى بثه حكم ما قبل ١٥ مايو فى نفوس مصر جميعا وتوج حياته فى ظل هذا العهد بالدفاع عن هزيمة ٦٧ التى كانت هزيمة فريدة فى تاريخ الحرب والعرب بل والعالم اجمع .

ويبكى اليوم الأستاذ هيكل وتسقط دموعه مدرارا من أجل الشعب المسكين علم الله ما للشعب سقطت دموعه وانما يبكى سلطانه الزائل وكبره المحطم وتعاليه الذى أمحى مع كل الظلم الذى أمحى .

الشعب يعانى ونحن نعلم . ولكن هذه المعاناة نتيجة طبيعية لقتل الانسان فى داخل الانسان بيد العهد الذى ينتسب اليه هيكل .

الشعب يعانى ونحن نعلم .. ولكن هذه المعاناة نتيجة دماء الشعب وعرقه الذى استلب ليرمى به على جبال اليمن وفى أرض سيناء وفى بطاح الكونغو .

الشعب يعانى ونحن نعلم . ولكن هذه المعاناة نتيجة اللصوص الذين تولوا الأمر فى العهد الذى يدافع عنه وامتصوا أموال الشعب وكان الأستاذ هيكل على رأسهم مستحلا لنفسه ما لم يحلل لغيره من مرتب مضاعف واعفاء من الضرائب .

الشعب يعانى ونحن نعلم ولكن هذه المعاناة نتيجة القيم التى دمرها العهد الماضى وحسبنا نظرة الى شعار من شعاراته حين قال الولاء قبل الكفاءة فعلم الشباب الطامح الى مستقبل مضىء ان ليس عليه الا أن ينافق الحاكم ليبلغ من النجاح مالا يتحقق له بالعلم والدرس والبحث والكفاءة ٠

والأستاذ هيكل يبكى اليوم وما أحرانا أن نهمس فى أذنه :

بكيت مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال

وان كان هذا البيت قد قيل لملك فما هو بغريب على هيكل فهو أيضا كان ملكا طاغية مستبدا يمنح ويقرب ويبعد ولاراد لأمره ولا معقب على قوله ثم زال عنه هذا جميعا ليصبح انسانا مثل كل الناس فهو لايجد وسيلة تصل بينه وبين ملكه الضائع الا أن يتعلق بمجنون آخر قابع هناك فى ليبيا أطبق عليه جنونه الفنى الواسع الثراء ٠

فالأستاذ هيكل وان كان قد بلغ الملك فى يوم من الأيام الا أنه كان ومازال وسيظل لا يصلح الا بغيره ٠

ما الذى يهاجم هيكل اليوم ٠

اننا لانلجأ الى روسيا ٠٠ وهو يعلم مصير هذا اللجوء ٠ فقد ارتمينا فى أحضانها أيام حكمه فكانت هزيمة ٦٧ ولا أزيدك ٠

ويقول أن الشعب هو الذى انتفض على أى شىء ينتفض الشعب أيثور الشعب لأنه نال حريته ٠ أيثور الشعب لأنه أصبح آمنا لاخوف عليه اطمأنت أسرابه وهدأ طائره وارتاح قلبه واستطاع أن ينام وهو يعلم أن الصباح سيطلع عليه وهو بين أهله وأسرته ٠

أيثور الشعب لأن عرضه لم يصبح مهددا ٠

أيثور الشعب لأن حياة أفراده لم تصبح مهددة فى كل لحظة أن تقتلع ليرمى بالأجساد جيفا فى الصحراء ٠

وان عجبت ولابد لك ان تعجب فما أيسر ان تسأل الأستاذ هيكل أى مصير كان سيلقى لو أنه قال ما يقوله اليوم فى العهد الماضى أيام مراكز القوى ٠ القتل والعرض المهدد والتعذيب والتمزيق والكلاب المسعورة أقل ما كان ينتظره ٠

عن أى شعب يتكلم الأستاذ هيكل ٠٠ أهو يقصد ذلك الشعب الذى هزم فى ٦٧ وانتصر فى ٧٣ ٠ شعبنا هذا المصرى هو الذى يتكلم عنه الأستاذ هيكل أيريد أن يقول عنه أنه قبل الهزيمة وسكت عنها وثار على الانتصار وانتفض ضده ٠

هيهات لشعب مصر أن يفعل ذلك وانمـــا قد تصنعه فئـة تنتهى بولائها لغير مصر وبدينها لغير الله ٠

ضباط الشرطة مرة اخرى

●● جاءتنى خطابات كثيرة من ضـــباط الشرطة بعضـــها موقع وبعضـــها غير موقع ولعله يجمـــل بى أن أقدم هذين المثلين فان فيهما ما يستحق الامعان وأعمال الرأى يقول الأول ٠

لو تحقق ما تدعو اليه من ابقائنا حتى الستين لوجدت فى مصر أعظم وأوفر أمن ولوجدت رجالا للأمن مخلصين ساهرين ٠

ان الاحالة للمعاش فى سن مبكرة هى السبب الأساسى فى كل هذا الذى تراه ٠٠ وما لا تراه أحيانا ٠٠ فهو الذى يدفع قيـــادات الشرطة الحساسة [عميد وعقيد] للانصراف عن أداء الواجب بحثا وراء عمـــل للمستقبل أو بحثا وتنقيبا عن واسطه قد تشفع للترقيـــة حتى يستمر الضابط فى الخدمة وغالبا ما يتم ذلك على حساب وقت العمل وكرامة العمل ٠٠ وأبحث معى كم من عالم فى القانون ويحمل أرقى الشـــهادات احيل الى المعاش ولاتوجد محكمة فى مصر كلها تعطى حقا لضابط احيل الى المعاش ٠ فحق الوزير مطلق فى هذا الشأن ٠

وخطاب آخر جاء فيه ٠

« نحن ضباط الشرطة عاهدنا الله على الاخلاص لهذا البلد واشهدنا الله على أداء الواجب نحو الوطن ٠ لكن هناك فجوة رهيبة بيننـــا وبين الواقع ٠٠ ضباط الشرطة الحاصلون على الدكتوراه وما يعادل الماجستير [دبلوماتين] يتعرضون للمطاردة ويحالون الى المعاش عند رتبة العميد ٠ نطالب بما تطالب به ومع ذلك فهناك مزيد من قرارات الاحالة الى المعاش قبل سن الخمسين عشرات وعشرات فقد خرج على المعاش فى هذا الشهر ٨٦ وعجيب ان الوزير لايستطيع أن يفصل أقل ســـاع فى وزارته دون سبب قانونى ومع ذلك فحق احالة الضابط الى المعاش سلطة مطلقة فى يد الوزير لا معقب عليها ٠

كيف نعمل ونحن فى هذا الحال كيف نؤدى عملنا بينما مفروض علينا ان نسعى لايجاد عمل آخر عند الاحالة للمعاش فى ســن مبكرة ٠ وكيف نوفر الأمان لغيرنا ونحن نفتقد الأمان فى مستقبلنا ولانجده كيف ننفذ القانون ونحن من ضحاياه فلعل المسئولين يسمعون صرختنا ويعدل

القانون بصورة توفر لنا بعض الرحمة وتعطينا فرصـــة لاداء الواجب ٠ اعطونا بعض الأمان نحقق لكم كل الأمان » ٠

ولا أستطيع أن أعقب على الخطابين فقد هزني كل منهما من الأعماق واني واثق انهما سيبلغان من قلب السيد رئيس الوزراء حيث ينبغي لهما أن يبلغـــا ٠

أسفي شديد لأعضاء مجلس الشعب

●● أصحيح انه تقرر ان يحصل عضو مجلس الشعب على خمسة جنيهات مقابل حضور الجلسة ٠ ان كان هذا صحيحا فان أسفي شديد ومرير ٠

أبعد كل هذه الامتيازات التي يهنأ بهـــا أعضـــاء مجلس الشعب يقررون لأنفسهم خمسة جنيهات لحضور الجلسة ٠ لايخفف من الأسف أن الجنيهات الخمسة للذين يقيمون خارج القاهرة ٠ الميزانية مدينـــة وأعضاء مجلس الشعب مشغولون بمنح أنفسهم خمسة جنيهات فى مقابل كل جلسة يحضرونها ٠

لقد كتبت قبل اليوم أطالب أن يخرج النائب من وظيفته طوال مدة نيابته وقيل ان النائب قد لا ينتخب مرة أخرى ٠ وقلنا لا بأس أن تحفظ له وظيفته يعود اليها بعد انتهاء فترة النيابة ٠ وقد طالبنـــا بذلك لأن السلطة التشريعية التى يمثلها النائب المفروض فيها أن تحاسب السلطة التنفيذية التى هو موظف فيها وهذا يتناقض مع كل عرف دستورى ٠

ولكن النواب لم يكتفوا بالبقاء فى وظائفهم وانما أيضا استمنحوا الدولة خمسة جنيهات لكل جلسة ٠٠ مرة أخرى ٠٠ ان أسفي شديد ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٢/٨

الأمن ‥ والاسراف الوظيفي

الأمن هو أهم ما تعمل عليه الدولة : فمظاهر الأمن هي التي توحي بالثقة لراس المال الوافد أو غير الوافد ٠ ولا تشمل مظاهر الأمن عدم السرقة فحسب وانما تشمل كل مناحي الحياة ٠

والقوانين الصغيرة اذا لم تجد من يحميها فالقوانين الكبيرة أيضا لن تجد من ينفذها ٠

وأنا واحد من أفراد الناس الذين يسيرون في الشوارع ولا أعرف عن احصائيات وزارة الداخلية الا ما تنشره ٠

ومما أرى في المرور أجد أن كثيرا من القوانين لا ينفذ ٠

فمثلا الشوارع التي يفرض المرور فيها اتجاها واحدا تجد الاتجاه الآخر منها مستعملا دون أي تحرج والحديث ـ بطبيعة الحال ـ عن الشوارع الجانبية في الأحياء البعيدة عن وسط المدينة ٠

واستخدام آلة التنبيه في الأفراح كمزامير فرح ممنوع بحكم القانون وما عليك الا أن تتجول في الأحياء حتى تجد أن المحتفلين بالأعراس لا يشعرون ان فرحهم اكتمل الا اذا خربوا رؤوس غير المحتفلين بأصوات آلات التنبيه في محاولة فجة وقحة للتنغيم وعلى مشهد ومسمع من شرطي المرور المعلق على برجه ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا ففي أطواء الظلام لا تستبين الأرقام وهو لا يستطيع أن يترك مرقبه وينزل الى هؤلاء المعتدين على القانون وعلى كل معاني الذوق ٠ وهل هناك أسخف من قوم لا يتم فرحهم الا بمضايقة الآخرين ٠ فاذا ذهبنا الى الريف وجدنا عدد الخفراء قد قل في القرى وهو في المراكز يكون أوضح في قلته وما أحداث بيلا ببعيدة ٠

هناك نوع من الاستخفاف بالقانون مرجعه لاشك قلة المنفذين لهذا القانون وصعوبة الحياة التي تعيشها هذه القلة ٠

هذا مع تضخم لا مثيل له فى الموظفين فى كل مكان لا نحتاج فيه الى موظفين .

وحتى ينضج الرأى ويبين سأقدم اليكم مقارنة استطعت أن أحصل عليها لبعض الوظائف فى مركز منيا القمح وبهذه المناسبة أنا لست من رعايا هذا المركز وانما انتمى الى مركز الزقازيق .

كان عدد ضباط الشرطة بهذا المركز فى عام ١٩٤٠ ثمانية ضباط . وظل حتى عام ١٩٧٧ ثمانية مع الزيادة الهائلة فى عدد السكان .

اذن فلنلق نظرة على النيابة العامة فنجد أنها كانت عام ١٩٣٥ مكونة من عضوى نيابة وهى فى عام ١٩٧٧ مازالت كما هى .. وكذلك الأمر مع القضاة .

نقارن بين هذه الأرقام وبين عمال الزراعة . ومعروف أن الرقعة الزراعية قد قلت بما تم من أبنية وما أخذ فى الاصلاح الزراعى فمعروف أن الشعار المرفوع فى الاصلاح الزراعى بالنسبة للأرض « الداخل مفقود والخارج مولود » وبهذه المناسبة أيضا لم يؤخذ منى ولا من أبى ولا من أخوتى قيراط واحد فى الاصلاح الزراعى .

المهم أن مساحة الأرض الزراعية قد نقصت فلنر اذن كيف تمت مواجهة هذا النقص .

كان عدد الموظفين بالزراعة حين الأرض لم تنقص ثمانية .

وأصبح اليوم بعد نقص الأرض ثلاثمائة .. نعم هو كما قرأت ثلاثمائة .

موظفو البلدية كانوا أحد عشر أصبحوا أيضا ٣٠٠ ثلاثمائة .. والنتيجة طبعا الحفر والمستنقعات فى المركز كله .

فالموظفون الذين يتعاملون مع الناس فى تناقص أو ثبات مع زيادة فائقة فى عدد السكان . والموظفون الذين لا يصنعون شيئا فى زيادة لا مثيل لها .

وحتى يستقر الأمن لابد من زيادة الضباط والشرطة جميعا ولكن الذى نفعله نحن يدعو للأسف الشديد .

الضابط يخرج على المعاش فى سن الخمسين وربما قبل ذلك . أى أنه حين يبلغ السن التى أستطيع فيها أن أستفيد من تجاربه أخرجه على المعاش لارقى غيره فتتسارع الترقيات ويتسارع الخروج ويصاب عدد الضباط بانهيار فى وقت نحن فى أشد الحاجة اليهم . وكان من المعقول أن أقدم لهم العلاوات كاملة . دون أن تصحب الترقيات علاوات حتى لا يخرجوا الى المقاهى وهم فى قمة نضوجهم وخبرتهم .

أما بالنسبة للشرطة فالموقف أدهى وأمر . فمن المعروف أن المجند من الفلاحين لا يرجع الى حقله أبدا وانما يطلب التعيين فى الحكومة . وبدلا من أن يقبل التعيين فى الشرطة يبحث عن وظيفة فى جامع حتى ينال مرتبا ولا يصنع شيئا .

وهو معذور فمرتب رجل الشرطة الذى يجب أن يسد حاجته حتى يصبح أمينا ومسئولا عن أمن الناس هزيل الى درجة أنه أقل من الحد الأدنى لأية وظيفة فى الدولة . وكذلك بطبيعة الحال مرتب الخفير . فليس عجيبا أن يعزف الناس عن الانضمام الى رجال الشرطة . وحاولت الوزارة اصلاح هذا فألغت شرط معرفة القراءة والكتابة فيمن يعين شرطيا على أن يمحو أميته فى مدى عام من تعيينه . وبطبيعة الحال يتم التعيين ويسقط الشرط لأن أحدا لا يتعلم . هذا الاهدار لمعرفة القراءة والكتابة مضحك فى حد ذاته لأن الشرطى الذى يجهل القراءة والكتابة سيكون بعون الله أداة تدمير للأمن لا محافظة عليه .

ليس من سبيل الا أن ترتفع مرتبات رجال الشرطة ولا يخرج الضابط الى المعاش الا حين يبلغ سن الستين شأنه فى ذلك شأن جميع موظفى الدولة .

خطاب الى يوسف جوهر

● أثار مقالك عن حقوق المؤلفين أحزانا وشجونا فى نفسى ... لا كمؤلف انتهبت حقوقه ولكن كمصرى يرى رئيس جمهوريته يصدر أمرا ويبطىء الموظفون فى تنفيذه ويوقع وزير فى دولته قرارا فيصبح القرار عن مرؤوسيه عدما من العدم .

أن هذا التهاون بحقوقنا يا أستاذ يوسف قد جعل الذين يتعاملون معنا من الخارج أيضا لا يحترمون حقوقنا . فنحن نهب مشاع وأرض متاحة لكل مجحف ظالم .

وقد سمعت بعد أن نشر مقالك يا أخى يوسف أن وزارة الاعلام تجرى الآن تحقيقا فيما جاء بحديثك . فاطمأن قلبى واستراح وهدأ خاطرى بعد قلق وأنشرح صدرى بعد ضيق . فاليأس كما تعرف احدى الراحتين . والذهاب الى منطقة التحقيق نهاية غير حميدة لكل أمل قد يداعب صاحب حق .

أتريد مثالا .

أذكر التحقيق فى شئون الطيارات وما قيل فيها .

أذكر التحقيق مع الاتحاد التعاونى .

أذكر التحقيق مع موظفى هيئة الأوقاف .. وبالمناسبة ما الهيئة ؟ أهى تابعة للوزارة أم الوزارة تابعة لها ... والا فكيف صاح الشيخ الذهبى صبحه الله بالخير بأعضاء مجلس الشعب ... انقذونى من رئيس الهيئة ... سؤال جانبى لا تتعب نفسك يا أخى يوسف فى الرد عليه .

أذكر التحقيق فى سارق البنك .

أذكر التحقيق مع مجرمى بيلا .

فاذا ذكرنا هذه التحقيقات فقط ولم نتعب أنفسنا بالرجوع الى المصادر للعثور على تحقيقات أخرى لكانت وحدها كافية أن نطمئن على مصير القرارات والأوامر الصادرة لرفع بعض الظلم عن الكتاب .. وكما قلت لك اليأس احدى الراحتين .

الأهرام فى ١٩٧٧/٢/١٥

دماؤنا تتـكلم

لأول مرة فى تاريخ القضية الفلسطينية يقول رئيس جمهوريـة أمريكى انه من الضرورى أن يكون للشعب الفلسطينى وطن قومى بعد أن عانى كثيرا ولعدة أعوام .

ونحن لا نستطيع أن ننسى التصريحات السابقة التى كان يدلى بها رؤساء أمريكا .

فلا مفر لنا أن نقر أن سياسة أمريكا قد تغيرت . ولا مفر لنا أيضا أن نتساءل لماذا تغيرت .

فكلنا يذكر موقف أمريكا بعد حرب ٦٧ . وكلنا يذكر عدم احتفالها بأمرنا وموقفها المتعنت من مصر ومن القضية العربية جميعا .

اذن فجديد جد .

الجديد هو دماؤنا التى روينا بها النصر فى أكتوبر وشعور أمريكا أننا دولة لها من الحضارة الحربية ما لها من الحضارة التاريخية . وأننا أقوياء ننشد السلام لا مهازيل فرار نبغى عفوا عند المقدرة ونلوذ بالدول الكبرى لتحمينا من جيش اسرائيل المفترس .

ولو أن الوضع بقى على ما كان عليه لظللنا كما كنا هباءة هائمة فى المعترك الدولى لا يحفل بها أحد ولا تسـاوى المعاهدة معنا الحبر الذى تكتب بـه .

ولو أن الوضع بقى على ما كان عليه لظل اعتقاد العالم فينـا على ما كان عليه . وقد كانوا يعتقدون أننا نكثر الكلام ولا نحسن أن نفعل شيئا .

وأننا نعد ولا نفي ونهدد ولا ننفذ ونصادق ولا نصدق ٠

قد استطاعت سياستنا فى تلك الأيام فى عبقرية غباء لا يدانينا فيها أحد أن تعادى كل الناس من اخوان فى الساحة العربيـة الى دول كبرى الى دول صغرى وهذا جميعه مع قوة مهترأة حائرة تفشل حتى فى الهرب والانسحاب ٠

ولو أن الوضع بقى على ما كان عليه لظل العرب جميعا أعـداء لنا ولما استطعنا أن نخوض حربنا المنتصرة ولواجهنا بعد الحرب التى كانت ستؤدى بنا الى هزيمة محققة فقرا مدقعا لا ينقذنا منه أحد ولا تمتد الينا فيه يد صديق ومن أين لنا الصديق ونحن لم ننجح الا فى العداوة واثارة الأحقاد ورى الكراهية وانماء السخط والغضب والقطيعة ٠

فبفضل الحب والحب وحده انتصرنا فى حرب أكتوبر ٠

أحب الجيش وطنه حين أحس أنه وطنه ٠

وأحبنا العرب وأحببناهم ٠

وأحبتنا الدول وأعجبت بجيشنا ٠

وقبل هذا جميعا أحببنا الله وصحنا الله أكبر وانتصرنا ٠

وفى عنفوان المعركة وهى بعد محتدمة أعلن الرئيس السياسى الذى يحب مصر ولا يستغلها ٠ والذى يقدم مصلحتها على مصلحته وعلى الجعجعة اللفظية الرخيصة « اننى لا أحارب أمريكا » ٠

فكان فى اعلانه هذا منتصرا نصرا يعادل النصر الحربى ٠٠٠ لانه انتصر على نفسه ٠٠٠ ورفض أن يحاول كسب مجد شخصى رخيص فى سبيل مجد مصر والعرب جميعا ٠

كان هذا الاعلان اعلانا لأمريكا أن رئيس مصر سياسى متبصر يزن ما يقول ويعرف قدر المسئولية التى يحملها على كتفيه ولا يلقى بالكلام وهو لا يدرى الى أين يصل وكيف يكون أثره على بلاده ومستقبلها ٠

وبعد الحرب مددنا للسلام يدنا نرد بها على يد للسلام مدت الينا وكانت النتيجة الاتفاقيتين اللتين عقدتا لفك الاشتباك ٠

وتعالت الأصوات : بعنا القضية من أجل حفنة الرمال ٠

اللهم جلت حكمتك ٠ فلينظروا اليوم ماذا يقول رئيس جمهورية أمريكا وعلى الملأ ٠

ولينظروا اليوم وزارة الخارجية الأمريكية وهى تؤكد أن تصريحات الرئيس الأمريكى كانت موضع دراسة دقيقة مسبقة من جانب المسئولين فى الحكومة الأمريكية ٠

فالتصريح اذن لم يأت عفو خاطر الرئيس الأمريكي وانما هو ابن دراسة وتمحيص وأعمال رأي ·

فنحن اذن لم نبع القضية وما كان أيسر أن نبيعها لولا ما تعرفه مصر أن قدرها هو أن تكون زعيمة العالم العربي اعلام البلاد العربية جميعا أعلامها ·

ولو أننا كنا نبحث عن مصلحة أنفسنا فقط لقضي الأمر في لحظات واسترجعنا ما فقدنا من أراض ومعها أرض أخرى اذا شئنا بشرط واحد معروف هو أن ننفض من القضية الفلسطينية يدنا ·

ونقدم هذه اليد عن مصر وحدها ·

وأنا لا أشك أن كل الأطراف الأخرى سترحب بابتعادنا عن ساحة القضية ولا أشك أننا لو فعلنا ـ وما كنا بفاعلين ـ لانهالت علينا الخيرات ·

ولكننا صمدنا لهجوم الأوراق الصفراء من زعامة ليبيا وغيرها ومضينا في سياسة الحب الجديد التي أرضيناها فكانت النتيجة هو هذا التصريح الذي يعتبر أعظم تمهيد لمؤتمر جنيف الموشك على الانعقاد ·

ان هذا التصريح الذي أدلى به رئيس جمهورية أمريكا انما هو دماؤنا التي أهديناها الى قضية فلسطين · وهو سياستنا المتبصرة الواعية التي عالجنا بها الأمور بعد الحرب ·

وهو نتيجة لزيارة الرئيس الى أمريكا وقد شهدتها ورأيت كيف أصبح الناس هناك يحبوننا لا الجهات الرسمية وحدها ··· فالحب دائما لا ينتج الا حبا ·

نحن اذن لم نبع القضية من أجل حفنة رمال ·

نحن لم نبع القضية لاننا مازلنا حتى اليوم وسياستنا قائمة على أساس أن العرب وحدة وأن القضية الفلسطينية هي قضية العرب أجمعين لا قضية شعب واحد ولا جماعة ·

وحفنة الرمال هذه هي أرضنا ولعمري اليست قضية فلسطين جميعا التي بذلنا من أجلها دماءنا وأموالنا في حرب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ و ٧٣ هي في حقيقتها من أجل أرض مثل أرضنا هذه اغتصبها المغتصب في غفلة منا وصدقت على سرقته الدول الكبرى جميعا في محاولة دولية أن يجعلوا السرقة شريعة والاختطاف حقا مكتسبا ·

فاذا قبلنا أن يرد لنا الغاصب جزءا من أرضنا بعد حرب انتصرنا فيها نكون قد بعنا القضية من أجل حفنة من الرمال ·

أليست أرضنا عزيزة علينا كما كل أرض عزيزة على أصحابها . القضية قضيتنا بذلنا فيها الدم والمال وعانينا من أجلهـا شظف العيش في ضيق الشعب وأحاطت بنا في سبيلها الأزمات المالية التي ما كانت لتحيط بنا لو أننا نأينا بأنفسنا عن قدرنا الذى نعرف أنه قدرنا .

واليوم وبعد هذا التصريح هل لنا أن نلمح في الأفق القريب شعاعا من التفاؤل تهتدى به خطواتنا الى جنيف .

كراما موفورين نذهب اليه تضافرت أيدينـا في سبيل قضيتنـا وتوحدت قلوبنا ... فالحب اليوم هو شريعتنا عليه اجتمعنا وانتصرنا وبه دائما نجتمع وبه دائما ننتصر .

الأهرام في ١٩٧٧/٢/٢٥

ان مع العسر يسرا

هنالك فارق كبير بين أن يكون الانسان فى حاجة ماسة الى المال وبين أن يكون مطحونا والله سبحانه جل وعلا يجعل لكل انسان شيئا يمتع به حياته فيصبح سعيدا قرير العين حتى وان احاطت به المتاعب من كل سبيل ٠

فاذا القيت حولك نظرة رأيت عجبا ٠

ترى الفتى يقود العربة الكارو يجرها حمار هزيل يكاد ينهد تحت الحمل الذى يجره ٠ والفتى بجانب الحمار لا يستطيع أن يركب العربة حتى لا يزيد الحمل ثقلا ويخيل اليك أن التعاسة قد خلقت لتصورها هذه الكوكبة من الانسان والحيوان ٠ فما أن تمشى قليلا مع الحمار والعربة والفتى حتى يطالعك صوت غناء رخيم ينبعث اليك من قريب وتتصور كل شىء الا أن يكون هذا الغناء منبعثا عن هذا الفتى الممزق الثياب ، الضامر الجسم ، الشاحب الوجه ٠ وربما تلفت حواليك باحثا عن مصدر الغناء ٠٠٠ تلفت ما شاء لك التلفت ، فلن تجد الا هذا الفتى ٠ وهو هو نفسه صاحب الغناء ٠

والفلاح المصرى فى الحقل يرعى أرضه فى برد الشتاء القارس ، أو فى حر الصيف اللاهب تأكله الرياح وتهز كيانه ، أو تحرقه الشمس وترمض جسمه ٠ والفأس فى يده لقفها كابرا عن كابر من يد السبعة الآلاف سنة ضاربة فى أعماق الأرض والتاريخ لا تضيق بها يده ولا أرضه ولا تاريخه ٠ لا يحمى رأسه بغير منديل هين فى الصيف القائظ أو تلفيعة من الصوف فى الشتاء الصقيع ٠ وهو مع ذلك من داخله سعيد هانىء ٠ فهو يعلم أن القاعة وقد أشاع الفرن فيها الدفء غاية الدفء تنتظره فى الشتاء ٠ أو القمر والمصطبة والرفاق والنكتة والابتسامة تنتظره مع نسمة المغرب الرخية فى الصيف ٠

فاذا مررت ثمة على أخيك أو أبيك أو ابنك هذا الفلاح وجدت صوت غناء يختلط مع صوت الفأس وقطرات العرق أو عزيف الرياح . واياك أن تتعب نفسك في البحث عن مصدر الغناء . انه في هذه المرة راديو ترانزستور صغير على كومة السماد أو فوق الجلباب أو بجانب المزود الذى تأكل منه البهيمة .

ونحن شعب نستطيع أن نخلق السعادة في نفوسنا ونشيعها حولنا ... ولا نحتاج الى كثير جهد لنصنعها . فاننا نجدها رابضة في حضن كف يمدها اليك صديق بسلام مشتاق فيه هذه الضغطة الخفيفة من يده الى يدك . ونجدها في ابتسامة صريحة مشرقة من شخص قدم الينا معروفا أو قدمنا اليه معروفا . فان المعروف بيننا نحن المصريين وسيلة من وسائل توطيد العلاقات وليس يهمنا من الذى يقدمه ومن الذى يستقبله . فاننا نحمد الذى يلجأ الينا لنزيل عنه هما لانه يقدم بين أيدينا ثقته فينا والثقة بنا عند الناس أمر يستحق أن نشكر عليه الناس . ونحن نشكر من يقدم الينا المعروف لاننا بطبعنا أهل وفاء .

ونحن نستطيع أن نجد السعادة عند الفجر حين يوقظنا الشعاع الصافى من الضياء تزفه الينا زقزقة العصافير الكثيرة على الأشجار الكثيرة التى مازالت شماء بيننا رافعة الرأس على الرغم من كل الأشجار التى قطعتها أيد غير عادلة عاثت فى مصرنا فسادا .

ونحن نستطيع أن نجد السعادة فى سؤال عابر يلقيه ابن لنا أو بنية يريد أو تريد أن يطمئن أو تطمئن على صحتنا نحن الأباء .

ونحن نستطيع أن نجد السعادة فى دعاء أم أو نظرة حب من أب .

ونحن نستطيع أن نجد السعادة من زوجة ترعى شأننا ويعنيها ما يعنينا من أمرنا وتقدم من قلبها ومن مالها ومن نفسها ما يقيم لنا طريق الحياة اذا عاج ما يعدل دورانه اذا هو حاد .

ونحن هنا فى مصر فى كل كيان فرد منا دنيا من الحياة تغلب عليها السعادة وترفرف فى أنحائها أنغام الطمأنينة جناحاها الايمان برب كبير عظيم وحب للناس كل الناس . نؤمن فالايمان قوام دمائنا ونسيج عروقنا ونبض قلوبنا . ونحب فالحب هو الأصل عندنا وهو قوام نفوسنا وسداها وأساس حياتنا وسمت نفوسنا .

الملحد عندنا خارج عن القبيل ليس منا ولسنا منه ... وهو مسكين لو تعمق نفسه لوجد الايمان فى داخله وهو ينكره ، يسيطر عليه وهو يدحضه ... وأغلب الأمر فى شأنه أنه بالحادة ينال المال ولو أنه أظهر ما يرسو فى أعماقه من أيمان لنضب ماله وجفت يده ... أو هكذا يظن ... ولو كان الايمان يشمل ظاهره وباطنه لعلم أن المال يأتى للانسان —

ولا يستطيع انسان أن يصده عنك ولكن هو غى من لا يعرف الرشد وخطأ من لا يعرف الصواب وفى كل طائفة فى الناس أو شاب فلا يضيرنا أن يوجد بيننا هذا الاستثناء • فالاستثناء تثبيت للقاعدة •

ومن لا يعرف الحب عندنا أقل من القليل ••• وهم قوم نما الحقد فى نفوسهم نمو السرطان فالتهمها ••• وهؤلاء المناكيد يلقون عقابهم فى ذوات أنفسهم ••• وأى عقاب أشد للنفس من نفس سوداء لا ومض فيها ••• ترى الأفراح فتنعق فيها غرابا وتشدو الدنيا حواليها فاذا الشدو فى أذنيها أنين وتغنى حولها الحياة فالغناء فى أسماعها ولوله • ان الحاقد يلقى من حقده جزاءه • ومن الكره عنده ينزل بنفسه العقاب •

أما نحن أبناء مصر المؤمنين فمهما يكن من شأن اقتصادنا ومهما يكن من أمر سنوات عجفاوات مررن بنا فنحن دائما نقول مع القرآن المنزل • ان مع العسر يسرا • ان مع العسر يسرا • أو نقول مع المسيح بالناس المحبة وفى الأرض السلام •

هل أصبحنا على الطريق ؟

● تعودنا أن نذكر دائما العيوب • أليس جميلا أن أروى لك اليوم شيئا ستفرح له كما فرحت • تقول سيدة مصرية عادت منذ أيام قريبة من جنيف أنها وصلت المطار فى السابعة الا خمس دقائق وكانت خارج المطار فى طريقها الى بيتها فى الساعة السابعة وعشر دقائق أى أن اجراءات المطار لم تستغرق منها أكثر من ربع الساعة مع معاملة غاية فى الأدب والذوق حتى لتقول أنها بما رأت عقدت مقارنة بيننا وبين أرقى دول العالم وأنها خرجت من المقارنة بأننا لا نقل عنها شأنا •

وقد عزمت منذ سمعت هذا الحديث أن أنقله الى الناس فمن حق الذى يحسن عمله أن نقدم له الشكر •

وبهذه المناسبة • كم أرجو أن تنتهى قريبا التحقيقات التى قرأنا عنها فى شأن صفقات الطيارات • فقد روع الناس مما قرأوا جميعهم وأنا منهم نريد أن نطمئن أن الجانى قد لقى جزاءه اذا كان هناك جانى فان لم يكن فليعلن على الناس براءة من اتهمتهم الأخبار المنشورة ولنبحث عن المجرمين الآخرين فان البطء فى هذه الاجراءات يثير الكثير من البلبلة التى ما أظننا فى حاجة اليها الآن ••• وقد سبق أن اقترحت أن يخصص النائب العام نيابة خاصة للأموال العامة ويخصص وزير العدل دوائر خاصة لهذه الجرائم حتى لا تتأخر القضايا فى التحقيق وفى الأحكام •• وما أظن أن شيئا يمنع تنفيذ هذا الاقتراح •

مجلة جــــديدة

●● مجلة عربية تطبع فى باريس تكتب بها أقلام مصرية فى بعض الأحيان وتكتب هذه الأقلام عن مصر · وتقول هذه الأقلام ان ما مر بمصر من سحق للكيان البشرى وهدم لقيم الانسان وتحطيم لكل معنى كريم من معانى الحياة انما يجعله مقبولا وسائغا « الشرعية الثورية » ·

هذه الأقلام شيوعية معروفة · وهى تحاول أن تجد الاعتذار لنفسها لانها تدافع عن هذا العهد الذى ذاق فيه الشيوعيون أنفسهم شر ألوان المهانة والتعذيب فضاعت من بينهم معانى الشرف وهتكت فى أيام هذا الحكم أعراض ما كانت لتهتك وقد أخرجهم العهد بعد ذلك من السجون وألقى الى أيديهم مقاليد الصحافة والاذاعــة والاعلام والثقافــة جميعا فأصبحت كلها فى لون الدم من الحمرة ولكن هذا جميعا لا يعيد للشرف السليب سلامته ولا للعرض المثلوم طهره ·

فاخترعوا كلمة الشرعية الثورية · وهذه الكلمة أيضا عاجزة عما عجزت عنه المناصب الكبرى التى بلغوها · ولكنها مع ذلك غير مقبولة ·

فانه ليس مع الظلم شرعية · وان لهم أن يبحثوا ما حلا لهم البحث عن الاعذار وللناس أن يصدقوا قولهم أو لا يصدقوه · ولكن الشرعية على أية حال براء من الظلم أى ظلم مهما تكن صورة هذه الشرعية التى يتعلقون باستارها ·

وهذه المجلة تصدر بأموال معروفــة المصدر · وهؤلاء الشيوعيون الذين يكتبون فيها يعرفون هذا المصدر كل المعرفــة فالأمر فى شأنهــا شائع · ولكنهم أيضا يدافعون عن القذافى كما يدافعون عن الظلم وما هذا منهم بغريب ·

ولكن لماذا يتكلمون عن غير مصر · فانهم بدفاعهم عن القذافى الذى أصبح أخيرا الحليف الأول لروسيا فى الشرق أصبحوا ينتمون لغير مصر وأصبحوا يعلنون انتماءهم بعد أن كانوا يخفون أمره ويستترون شأنه ·

ان الأخبار التى تجدها متناثرة فى العددين اللذين صدرا من هذه المجلة تدل على العداء الشديد لمصر · وان كانت فى بعض الأحيان تنشر موضوعات واضح فيها انها ذر للرماد فى العيون ·

ان هذه الأقلام التى تنكرت لمصر أقلام رضيت لنفسها أن تقدم ولاءها الى دول أخرى · والشيوعيــة بطبيعــة مذهبها تفــرض أن يكون الولاء للشيوعية العالمية · ولكن الأحزاب الشيوعية فى فرنسا وايطاليا رفضت

هذا المبدأ فى جملته وتفصيله وقد كنا نرجو أن يكون الحزب الشيوعى المصرى فى مثل وفاء الأحزاب الشيوعية الأخرى لبلادها • ولكن ليس لنا على الشيوعيين من سبيل فان كانوا هم وهم مصريون لا يريدون أن يحبوا مصرهم كما نحب نحن مصرنا فان أحدا لا يستطيع أن يلقى بهذا الحب الى نفوسهم • ولكن مصر مهما يدبروا فهى دائما المنتصرة وان رغمت أنوف •

الأهرام فى ١٩٧٧/٣/١

حيــاة الدول فترات

حين يهوم الصمت الخائف المذعور ، ويتحشرج الهمس فى الحلقوم، وتموت الكلمات على الشفاه ، ويتشعب الخوف وينتشر فى خلايا الانسان فيصبح الجسم ولا حركة به الا الرعدة والقشعريرة والرعشة • وتتهرأ الكبرياء فى الكيان الآدمي ولا تخلف وراءها الا الذلة والهوان والانتكاس • وحين تشحب الشمس فتصبح ظلالا ويظلم الشعاع فيمسي سوادا وترتكس النجوم فى بهيم الليل فيسترها الطغيــان وتختفى •• حينذاك تسقط الحيــاة •

وقد مرت مصر بهذه الفترة من حياتها ثم عبرتها • ولكنها كانت فترة ويجب ألا ننسى أنها وجدت وأننا عشناها أو متناها ولكننا على أية حال عاصرناها مهما يكن الحال الذى كنا عليه ونحن نعاصرها •

وحياة الدول فترات • وقد أعقبت هذه القطعة الســاقطة من حياتنا فترة أخرى • فترة قالت الله • وقالت الحرية وقالت القانون •

وظن الناس بهذا القول مختلف الظنون فبالخوف طال عهدهم • وتلصصت الكلمات طريقها الى الشفاه ، ثم وقفت الكلمات تنظر حواليها الى الطريق أهو آمن فتنطلق الكلمات وتخرج الى الحياة أم هو الخديعة والمكر والاستدراج فتعود الكلمات وتمضى كما كانت صمتا مع الصمت وخوفا مع الخوف وكيانا مع الذعر •

ووجدت الكلمات الطريق آمنة فخرجت ثم خرجت •• ثم عربدت • ثم أصبح الحديث فى الصحف وبين الناس وهو لا شيء الا النقد والمآخذ والرفض ••

انهم يرفضون ما خلفته الفترة الأولى ففى ظــل الخوف ســفح اقتصادنا وذهبت أموالنا مجللة بدمائنا على جبال اليمن وفى ســفوح الكونغو وفى رمال سيناء ٠

وفى ظل الفترة الأولى كانت الأموال ترمى رميا لقلب أنظمة الحكم فى البلاد لحساب الرعب الذى كنا نعيش أو نموت فيه ٠

وفى ظل الفترة الأولى كانت الأموال تنهب بلا رقيب ولا مساءلة ، فالشكاية التى شاعت وعربدت حتى أصبح لا حديث الا غيرها هى ، حقيقتها شكاية من أيام فترة عمياء من حياة مصر ٠ ويحاول الشيوعيون ومن يلف لفهم أن ينسبوها الى فترة الله والحرية والقانون ٠ ويخيب فألهم وتسقط حجتهم ولا يصدقهم أحد ٠

وما زلنا فى فترة الشكوى هذه ٠ وقد طالت الفترة أكثر مما يجب أن تطول فالتطور الطبيعى أن ننتقل الى الفترة التالية ٠

وفى الفترة المنتظرة ٠ التى نقول فيها ما يجب أن نعمله لنواجه ما نشكو منه ٠

كان من الطبيعى أن نبدأ بحســاب من نهب أموالا ٠ وقد ظهرت بعض حالات تناولتها الصحف أياما ثم ران عليها الصمت ٠ وأغلب الأمر أن هذه الحالات رهن التحقيق الآن ولكن الاجراءات تطول والناس تحب أن تطمئن أن من نهب أموالهم نال عقابه ٠ وليس هذا هو المهم انما الأهم أن يعرف من يشرفون على أموال الناس ان العقاب لهم بالمرصــاد اذا هم خانوا الأمانة أو نسوا الشرف أو حادوا عن الطريق ٠

ومن الطبيعى أيضا أن يبعد عن أماكن الاتصال بالجماهير كل من كان ضالعا مع الفترة الأولى ممثلة فى أبطال ١٥ مايو ٠ فهؤلاء أصحاب مصالح أساسية الا ينجح النهج الجديد الذى نسير عليه ٠ وهؤلاء حتى اليوم يقفون كالافعوان على منافذ الانفتاح والضرائب وغير ذلك مما يستعين به حكم القانون على المضى فى سبيله ٠ وهؤلاء أيضا يقفون بسمومهم فى الجامعات يبثون السم النقيع فى أذهان أبنائنا الطلبة ٠ وقد يتخفى بعض منهم برداء الشيوعية أو يتخذ غيرها لباسا وستارا وجميعهم مجرم لا ينتمى لمصر بولائه وانما ينتمى الى جماعة كان من محاسيبها ثم زالت دولتها ٠ أو ينتمى بولائه لجيبه والسفارات اليوم من الدول الشيوعية تدفع الكثير وسفارة المجنون الرابض على حدود مصر هى أيضا تعمل على التخريب فان لم تنجح فى تخريب الأبنية فهى تسعى الى تخريب الذمم فان خربت ذمم قوم لهم بالطلبة صلة أو كانت من الأصل خربة أصبح العلاج عسيرا ٠

والطلبة فى أغلبيتهم الكاثرة يريدون أن يعرفوا بقلب نظيف وعقل رشيد لا يميل يمنة ولا يسرة • ولعل خير دليـل على ذلك ما أرسله الى الأخ صالح أمين نافع الذى ناقشت خطابه فى المفكرة قبل الأخيرة أرسل فى صدق وشرف خطابا يخبرنى فيه انه اقتنع بما سقته اليه من حجج • وقد فرحت بهذا الخطاب وشعرت ان أبناءنا الطلبة كبار فيهم كبرياء وخلق وصدق مع النفس ومع الناس وكل ما يحتاجون اليه ان يكون أساتذتهم ورواد فكرهم أنقياء الضمير لاينتمون لغير مصر ومصر وحدها •

السقوط النهائى

●● أعطانى الأستاذ الكبير حسين أبو الفتح مجـلة المستقبل اللبنانية ولفت نظرى فيها مقال جدير بأن أقدمه اليك • فالأستاذ حسين أبو الفتح صحفي متعمق وكان نقيبا للصحفيين ويستطيع بخبرته أن يضع يده المدربة الواعية على المواضيع الهامة •

يلخص المقال كتابا جديدا صدر عن دار « الحريات عـام ٢٠٠٠ » الفرنسية التى يشرف عليها الكاتب الفرنسي جان فرانسوا رفيل وعنوان الكتاب « السقوط النهائي » للكاتب « ايمانويل تود » والسقوط النهائي الذى يعنيه المؤلف الشاب هو سقوط النظام القائم حاليـا فى الاتحـاد السوفيتي ويشرح الكاتب نظريته قائلا •• هنـاك رأيان غريبـان فى الاتحاد السوفيتي رأى أهل اليمين الذين يتعاملون معـه وكأنه حقيقة ثابتة لا تقبل التغيير • ورأى الشيوعيين الأوربيين الذين يرون فى موسكو نهـاية المطاف والحـلم الأزلى للنظـام الشيوعى الذى أرسى قواعده كارل ماركس ويرى المؤلف أن الرأيين خاطئـان لأن المجتمع السوفيتي يعانى من أزمات قد تنفجر بعد خمس أو عشر أو عشرين سنة •• ويرى الكاتب أن هذه الأزمات تتمثل فى جمود الوضع الاقتصـادى والتمايز القومى داخل الاتحاد السوفيتي وتصـاعد حالات المعارضة والمظاهرات وحوادث العنف • ويمضى المؤلف الشاب فى تفصيل كل سبب من هذه الأسباب ثم يتكلم الكاتب بعد ذلك عن الارهاب ويقول أنه لم يتفرد به العصر الستالينى بل انه مازال يسيطر على روسيا حتى اليوم فالحكام فى خوف دائم من الانتقاد ولذلك فهم يستعينون دائما بالشرطة الأمر الذى يدل على وجود تناقضات طبقية واجتماعية لم تحل بعد على عكس ما تدعيه خطب المسئولين الرسميين • ويستشهد الكاتب بنظريات ومؤلفات كتاب يسـاريين ويمينيين حول حتمية تفكك دولة الديكتاتورية البروليتـارية وتحولها الحتمى الى دولة بوليسية فيختار من فلاسفة اليسار « ميشيل

باكوينم » الذى توقــع هذا التحول وجـــادل فيه ماركس ٠ ثم « روزا لوكسمبورج » التى حذرت من هذا الخطر فى رســـــائل لها شـــهرة الى لينين ٠

ومن فلاســـفة اليمين يستشهد بالمفكر الانجليزى « هيلر بيلوك » و « ماكس ويبر » و « ج ٠ ك ٠ جالبريث » ٠

ويقول المؤلف ان خروشوف حاول تحرير النظام من عدم المساواة الناشئة عن الميزات التى يحظى بها أعضاء الحزب ولكن مرحلة خروشوف كانت قصيرة والسبب أن المستفيدين من هذه الفوارق أحسوا بالخطر من جراء السياسة الخروشوفية التى ستقضى على ما يتمتعون به من ميزات ٠

ويمضى الكاتب قائلا ان تفكك الامبراطورية السوفيتية أمر محتم خلال السنوات العشرين المقبلة والأسباب هى الجمود الاقتصـــادى حيث لم يصل العامل السوفيتى بعد ستين سنة من الثورة الى نفس مستوى زميله العامل فى إيطاليا أو أسبانيا أو حتى فى المكسيك فبرغم أن الدولة تخصص سنويا ٢٥٪ من الدخل القومى لاستثمارات جديدة فان العائدات تقتصر فقط على زيادة فى عدد الآليات وليس فى كميــة الانتـــاج ٠ ثم البيروقراطية التى لاتوزع الآليات حيث يجب أن توزع بل هى تحـــاول المتاجرة بها ٠ ثم مركزية التخطيط التى ثبت فشلهـــا فى بلد شاسع المساحة كالاتحاد السوفيتى الذى تبلغ مساحته ٢٣ مليون كيلومتر مربع ٠ أما العامل الأهم فى فشل الإنتـــاج فهو الحالة السلبية للعمـــال الذين لايجدون أى تحسن ملموس فى مستوى معيشتهم منذ ثلاثين ســـــنة بل يلاحظون أن معظم جهودهم تذهب للصناعات الحربية ولرفع سمعة الاتحاد السوفيتى عالميا ٠

الى هنا ينتهى ما أردت أن أقدمه اليك من هذا المقال عن هذا الكتاب أما أنا فلا تعليق عندى ٠٠ لا ٠٠ لا تعليق ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٣/٨

فرعــون ومــوسى

جمعني مجلس هذا الاسبوع بالأستاذ الكبير مصطفى مرعى . وان لحديثه لعمقا يندر أن تجد له مثلا وان له لطلاوة وعذوبة . وفى مثل الشهاب يندلع منه الضياء أشار اشـــارة الى فرعون وموسى وكيف ان فرعون وهو فرعون حين كذبه موسى لم ينزل به العقاب فور التكذيب وانما طلب منه البينة . واستبانت هذه الحقيقة أمامنا وكأننا لم نكن من قبل قد سمعنا بقصة فرعون وموسى .

ورجعت أنا الى المصحف الشريف لأتدارس معك هذه القصة .

فى سورة القصص نعرف هذا الفرعون حيث يقول عز من قائل .

« طسم . تلك آيات الكتـــاب المبين . نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يســتضعف طائفة منهم يذبح أبنـــاءهم ويســتحى نســاءهم أنه كان من المفسدين » .

صدق الله العظيم . هكذا اذن كان فرعون فهو رجل علا فى الأرض واستكبر حتى لقد خيل اليه أنه اله ولا اله الا هو . يفـرق بين الناس ويزرع بينهم الكره والبغضاء والإحن والأحقاد حتى يصبح الأمر كله اليه. فحين يسود الحقد يتسيد الدكتاتور وينقلب من آدمى الى وحش بشــع لا مثيل له بين الوحوش حتى ليظن بنفسه أنه الرب الأعلى . وهكذا الآدمى حين يستشرى ويخرج عن آدميته لا يظن بنفسه أنه أصبح وحشا ويظن أنه أصبح الها .

وهكذا كان لابد للسماء أن ترسل له من يرده الى الحق في شأن الناس وشأن نفسه • فان أبى واستكبر فان للسماء معه شأنا أى شأن • وننتقل الى سورة الأعراف •

« وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين • حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل » •

أتراك أدركت خطورة هذا القول الذى ألقى به موسى فى ساحة فرعون • أنه يلغى شرعيته تماما • أنه يقول له لست الها لأن موسى رسول من رب العالمين • وليس الها هذه معناه أنك لست ملكا • أى أن شرعية حكم فرعون جميعا تسقط بهذه الجملة •

لو كان فرعون من هؤلاء الذين أزالهم ١٥ مايو الشهير الجهيز لقتل موسى قبل ان يكمل جملته ولذبح أبناءه واستحيا نساءه •

ولكن فرعون الذى كان فى ذلك الحين الها منصبا من الكهنة وتجمع فى يديه سلطات الدين والدنيا جميعا • لم يقتل موسى من فوره وانما ولنعد الى الذكر الحكيم •

« قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين » •

اذن ففرعون لم يوقع الجزاء من فوره وانما طلب أن يرى البينة • أى أنه كان يقبل الحجة ويسمعها ولا علينا بعد ذلك ان يأخذ بها أو لا يأخذ أما الفراعين الذين تولوا أمرنا ردحا كريها من الزمن فلم يقبلوا فى يوم من الأيام ان يسمعوا الحجة • وانما عقابهم يسبق تفكيرهم • والحراسات والتقتيل والعذاب الراصد نازلة بغير وعى ولا تفكير •
ترى أحدث تطور فى الديكتاتورية أيضا •

فى الثورة الفرنسية كانوا يحاكمون المتهمين ويحكمون عليهم بأحكام مسبقة ثم قال مشرعو الثورة لروبسبير أنه بما أنه ظل الله فى الأرض فانه يستطيع أن يعرف المجرم بمجرد النظر اليه وهكذا انتهى أمر هذه المحاكم الى أن القضاة كانوا يجلسون ويمر بهم المتهمون ويكتفون بالنظرة العابرة فيلقون بناء على ما توحى به هذه النظرة الى المقصلة أو الى الحياة •

وفى عهد هتلر كان يقتل من يقتل ويسفك الدماء فى جماعات ولكنه يحترم أصحاب الكفاءات وينتفع بكفاءاتهم لصالح ألمانيا •

وعند موسيلينى كان يولى صاحب الكفاءة ما يصلح له •

الا فراعين مصر قبل ١٥ مايو فانهم بعبقرياتهم كانوا ينزلون العقاب بغير حتى هذه النظرة التي كان يلقيها قضاة الثورة الفرنسية ·

ورفعوا شعار الولاء قبل الكفاءة · فاختفت من مصر الكفاءات وبقى اصحاب الولاء أو أصحاب النفاق اذا شئت وأصبنا بما نعانيه اليوم ·

فاذا كنا اليوم نضع أنفسنا على الطريق · واذا كنا نعود الى الحرية والقانون واذا كان الولاء اليوم لمصر وليس للعجول الآدمية التي جعلت من أنفسها أصناما تعبد · واذا كنا نستعيد لمصر مكانتها الاقتصادية · ووجهها الحبيب الى البلاد العربية · واذا كنا حطمنا القيود والأصنام وقلنا الله أكبر ولا اله الا الله · واذا كنا قد استطعنا أن نعبر الهزيمة والذلة والهوان الى النصر والكبرياء والشموخ · اذا كنا قد فعلنا هذا جميعا وقد فعلناه فلا تعجلوا علينا أيها الأخوة وأيها الأبناء فلقد طالما بعدنا عن الطريق الأمثل ولقد أصبحنا فى حاجة الى كثير من الجهد وكثير من الوقت · فالثقة تزول فى لحظة ولكنها تعود في سنوات ·· وهي عائدة لاشك في ذلك لأننا اليوم نعرف الطريق وليس بيننا اليوم فرعون وانما بيننا حكم ديمقراطى · والحكم الديمقراطى هو حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب · وهذا النوع من الحكم يغرى رعاع الفكر وخاملى النفوس ومرضى الأحقاد · ويخيل اليهم أنهم يستطيعون فى مهرجان الحرية أن يكونوا مقصلة الديكتاتورية · وفى موجات الحق أن يكونوا أبطال الشاطىء يصيحون ولا ينقذون ويصرخون وبدلا من أن يبنوا يهدمون ويرفعون عقيرتهم بالشعارات المهينة وبدلا من أن يكونوا عونا على تشييد الصرح واعادة الثقة يجعلون من أنفسهم عملاء التخريب والهدم وتدمير الثقة بنا وببلادنا ·

فهونا علينا أيها الأخوة ولا تاخذوا علينا أن وقف كاتب منا يقول بينكم أنه يتمنى أن يحتلنا العرب · فان هذا الكاتب فى هذا الذى قال لايعبر حتى عن نفسه فانه يستحيل على أى مصرى أن يقرن رغبة الاحتلال بمصرنا التي عاشت عمرها وبذلت فجر شبابها وشموخ قوتها لترد عن نفسها الاحتلال وبهذا الذى بذلت استطاعت ان تبقى على نفسها السمات المصرية العربية لا تنخدع ولا تلين ولا تذوى ·

فكلمتنا عربية وخلقنا مصرى وحبنا هو مصر وأملنا هو مصر وماضينا هو مصر وحاضرنا هو مصر ومستقبلنا هو مصر ·

مصر حرة خالصة الحرية لنفسها ولأبنائها ولأبناء أبنائنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها ·

ان كلمة قالها فرد منـــا أيهـا الأخوة العرب لا تعبر عن مصر بل ولا تعبر عن هذا الكاتب نفسه فقد يخطىء اللسان ولكنه لا يستطيع أن يستمر فى الخطأ وأنتم أيها الأخوة قد عرفتم مصر وصحبتم أمجـــادها ودرستم ثقافتها وانها هى ثقافتكم ٠ فما كلمة بدرت من فرد منا لعله فى لحظتها لم يكن يدرك ما تستثيره فى نفوسكم ونفوسنا ٠ فاغفروها له فان من شأن الأخ أن يغفر ٠ أما نحن فقد غفرنا ٠

الأهرام فى ١٥/٣/١٩٧٧

ان الحق قديم

كتب الى صالح أمين نافع بكلية طب القاهرة خطابا أراه أنا جديرا بكل اهتمام • فهو مكتوب فى رزانة ووضـوح بدون انفعـال وبمنطق جدير ولا شك ان يكون محل تقدير ومناقشة •

يأخذ صالح على ما كتبته فى مفكرة لى أعيب فيها على الطلبة سلوكهم وضمور ثقافتهم • وهو يقول انه لم يتعود منى فيمـا أكتب هذا الموقف ويقول انه أرجع السبب فيما كتبت الى أحد احتمالين • الأول ان يكون ما كتبت صادرا من نفسى ومن واقع تحليلى وفهمى للأمور وهو يرى ان واجبه فى هذه الحالة ان يردنى الى الصواب الذى قد يكون ملتبسا على •

والاحتمال الثانى اننى آثرت أن أجرى فيما يجرى فيه الآخـرون نائيا بنفسى عن كلمـة الحق وهو فى هذه الحالة يأسـف من أجـلى أسفا شديدا •

واننى اطمئن أخى صالحا • والله ما كتبت فى حياتى غير ما أدين به وأؤمن ، ولو كنت غير ذلك لما ظللت خمسة وعشرين عاما متخرجا فى كلية الحقوق وكاتبا وليس لى جريدة ثابتة أكتب فيها ولا عمل دائم فى أية جهة • ولكن لا عليك يا أخى •

أنا أيها الأخ أرفض تماما ان أجعل من نفسى بطلا صغيرا • وأعرف أن نقد الحاكم مهما يكن الحاكم مستحقا للتأييـد يكسب الكاتب مظهرا براقا ولكنه فى نفس الوقت رخيص • لقد تعودت أن أسـتلهم نفسى فيما أكتب وبهذا بلغت ما تفضلت به على فى صدر خطابك من تقـدير ولو لم أكن صادقا مع نفسى ومعك لكشفت الزيف عندى منذ سـنوات على الآن أكثر من ثلث قرن وأنا أكتب •

وأنا يا أخى أرى اصطناع البطولة جريمة فى حق الكاتب والقارىء والمجتمع جميعا • وأنا أعلم ان الناس يحبسون أن يسمعوا نقدا للحكام مهما يبلغ حبهم لهذا الحاكم • وحسبك أن تذكر أن عمر وهو عمر لم يستطع أن يجعل الناس يجمعون على حبه وما اختلفوا فى أمره الا منذ أن صار أميرا للمؤمنين •

دعنا الآن نتناول خطابك فقرة فقرة • تساءلت أين هى الحرية فى شأن البرقية التى أرسلها كمال الدين حسين اذا كانت الأهرام لم تنشرها •

والحقيقة أنك لا تدرى ان عدم الحرية كان من شانه أن يخفى شان البرقية تماما فلا تنشر فى أى جريدة بل ولا ينشر عنها شىء أيضا ولك ان تذكر الخطاب الذى أرسله كمال الدين حسين نفسه من معتقله الى الرئيس السابق فاختفى أمره ولم نعرف عنه شيئا الا بعد أن انتهى الحكم جميعه •

والجرائد لها أن تختار ما تنشر وما لا تنشر ولعل القائمين على شأن الأهرام رأوا أنه لا داعى هناك لنشر البرقية • بل ولعل عدم نشر البرقية فى الأهرام يدل فى ذاته على الحرية فلو كان يملى على الجرائد ما تنشر لنشرت البرقية فى الأهرام كما نشرت فى الأخبار والجمهورية •

فنحن اذن نتمتع بنصيب من الحرية شك فيه اما أن تملك الجرائد للفئات والأشخاص كما تقول فأمر لا نطيقه دفعة واحدة فنحن يا أخى أشبه بمريض أقام فى الفراش نيفا وعشرين عاما ثم بدا بعد ذلك أولى خطواته على أرض الحرية •• أنه لا يستطيع أن يركض والا تكفا واضطرب سيره وطريقه • وها أنت ذا ترى كيف استخدم المخربون هذا القدر المتاح من الحرية • وأنت يا سيدى لا تدرى كم نعانى من الألم لأننا مازلنا نبقى على شىء من آصرة القربى بيننا وبين دولة عربية تلقى بأموالها جزافا لتسقط الحكومات العربية الشريفة ليتولى الزعيم المجنون هناك أمر العرب جميعا • وما أظنك فى حاجة منى أن أذكرك بما حدث فى لبنان الشقيق •• أن مصر أيها الأخ تعيش فى غابة متوحشة من شراسة أعداء منهم الكبار يريدون أن يلتهموا وطننا ومنهم الصغار يريدون أن يلهوا بأقدارنا وانى واثق انك فهمت عنى تماما ما أعنيه •

أما سؤالك عن الشيخ الغزالى وكيف عزل عن القاء الخطبة أتعتبر هذا تنكيلا حقا •• الا تدرى أن هناك أشياء أهم بكثير من الشقشقة وأردية البطولات الهزيلة •• وأنا سأشير اليك بعنوان وأترك لذكائك ان يفهم عنه •• الا ترى أن الوحدة الوطنية فى مصر عنصر من أهم عناصر

الحياة الآمنة فى بلادنا بل وفى الشرق جميعه • أتراك تنكر على ولى الأمر ان يقمع الفتنة اذا رأى بصيصا منها يفكر أن يشتعل •• أم ترى يترك الأمر فوضى لاقوام له •

أما سؤالك عما أخذته على الطالب فأنا أريد أن أدخل معك فى تفاصيل فأدب الحديث شيء نسبي ولهجة الحديث نفسها من أهم ملامح هذا الأدب ولست أدرى لماذا أجد نفسى واثقا أنك أنت بالذات لو حادثت أباك أو أخاك الأكبر لاخترت ألفاظا غير التى اختارها الطالب السائل ولاخترت أيضا لهجة أخرى •• أن خطابك فى نفسه حمل عنك كل ما أردت قوله ولكن فى أسلوب عفيف حملني أنا على احترامك واحترامه •

أما الفساد الذى تتكلم عنه فانه لايضير أحدا أن يذكره فكلنا يعرفه ولكن ألا ترى ان القوانين الأخيرة تعين على تلافى هذا الفساد والا ترى ان المحاكمات الأخيرة فيها اتجاه جاد الى محاكمة الفاسدين •

الا أننى ارى واظنك ترى معى أنه لابد أن تنتهى هذه المحاكمات فى أسرع وقت ممكن وهذا لن يكون الا اذا خصص وزير العدل دائرة قضائية أو دائرتين لمحاكمة اللصوص الذين نهبوا المال العام •• وهذا أمر طبيعى بل ولجأت اليه النيابة العامة فى الأحداث الأخيرة لتعجل النظر فى قضايا المحبوسين حتى لا يطول أمد حبسهم • والمتهمون فى قضايا سرقة المال العام هم أيضا يحتاجون الى سرعة البت فى قضاياهم حتى لا يظلوا فترة طويلة وشرفهم معلق بين البراءة والتجريم وبعد يا أخى صالح ان كنت قد أقنعتك فما أحب هذا الى وان لم أكن فاننى على استعداد دائما ان أعود الى مناقشة آرائك فليس أحب الى من الحق •• وأنه ليسعدنى أن أرتد اليه اذا كنت قد حدت عنه فقديما قال عمر بن الخطاب أعدل من عرفه الناس من الحكام • « فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل » فليكن هذا أساس النقاش بينى وبينك وانى مؤمن به وأرجو الله ان تؤمن به مثلى •

فى أى مكان •• الا الجامعة أو الاعلام

ان بعض المشرفين على الجامعات ينتمون بولائهم الى ما قبل ١٥ مايو وهؤلاء المشرفون هم الصلة الحقيقية بين الطلاب والدولة • ويستطيع كل ظالم للحق منهم أن يموه الأهداف ويميل بالصواب • واننى أخشى على أبنائنا الطلبة أن تصبح الحقائق مشوهة بالنسبة اليهم بل اننى أخشى على كل مكان اعلامى يشغله من ينتمى بولائه الى ما قبل ١٥ مايو وما تمثله

هذه الحقبة من معان بغيضة مقيته مهينة للانسان المصرى بل مهينـــة للبشرية جميعا ٠

ومعرفة هؤلاء ليست بالأمر العسير ولسـنا نطالب لاقدر الله ان نوقع بهم الجزاء أو العقاب فما الى هذا اللون من التعامل ينتمى من يدينون بالحرية والديمقراطية وانما كل ما نهفو اليه ان تبعد هذه الوجوه عن أبنائنا الطلبة وعن اعلامنا المصرى ٠ فهم بما يمثلون لا صلة لهم بمصر ولا ولاء لهم الا لشعوب أخرى وأفكار غير أفكارنا ٠ آمالهم غير آمالنـا وما تكون فى نفوسنا وليدا من آلامنا وآمالنا ٠

ولقد مضى على ١٥ مايو سنوات كثيرة واتيحت لهم الفرصة أوسع ما تتاح الفرصة لينتموا بولائهم لمصر ولكنهم رفضوا ان يحبـوا مصر وما زالت أيديهم تعبث بكل شريف رفيع من قيمنا ومقدساتنـا ٠ نرى آثارهم فيما يعاملون به طلبة الجامعة ونرى آثارهم فى برامج الاذاعة والتليفزيون تبدو حينا هامسة كفحيح الأفاعى وكأنهـا تتحسس رد الفعل ٠ فاذا اطمأنت شيئا علا منها الصوت الكريه وخلعوا الأقنعة وتبدوا على حقيقتهم النكراء ٠

يستطيع هؤلاء ان يلوا من المناصب ما يشـاءون ولكن المؤكد ان الجامعة والاعلام لا يصلحان مسبحا لهم ولا مكانا ٠

نقابة الصحفيين المصرية

نضطرب فى الحياة ما حلا لنا الاضطراب ولكننا حين ندخل نقابة الصحفيين نصبح صحافيين مصريين فقط ٠ لا نفكر الا فى مصلحة النقابة المصرية ٠ وجميعنا نحن أعضاء النقابة الذين قيدنا فيها قبل انشاء كلية الاعلام ننتمى بشهاداتنا الى غير الصحافة فلم تكن هناك مدرسة لتعليم الصحافة وانما كانت الصحافة ـ وأظنها مازالت ـ خبرة ٠

ونقابة الصحفيين واجهة مصرية غاية فى الخطورة وأهم ما ينبغى لها ان تمثل مصر ، وان يكون رائدها ونبراسها وسمتها متجها الى مصر وحدها لمصر ولاؤها ٠ ومصر هى القيم التى ندين بها والايمان الذى نؤمن والخلق الذى به نتخلق ٠

مصر هى تلك الحضارة العريقة الضـاربة بجذورها فى أعماق السنين والتاريخ وهى المسيحية والاسلام وهى ما بنته الأيام من أفكارنا وما تكون فى نفوسنا وليدا من آلامنا وآمالنا ٠

ونقابة الصحفيين هي النقابة التي تمثل جانبا من أهم جوانب الاعلام المصري فما ينبغي لها الا أن تمثل مصر ، ومصر وحدها ، في حب صارخ نحبها وفي تحمس ملتهب نتحمس لها ، وفي اندفاعة واعية ذكية نبذل أنفسنا في سبيلها ،

وليس سوى مصر يجمعنا في هذه النقابة ، وحسب النقابة ان نجتمع فيها باسم مصر وحسبنا نحن أن نجتمع في حب مصر ،

الأهرام في ١٩٧٧/٣/٢٧

الذكرى تنفـع المـؤمنين

حديثي اليوم الى قوم عرفتهم وعايشتهم ورأيتهم يقطعون الحياة رعبا وهما وهلعا ، ان مضى بهم يوم لا يلقون فيه ضرا انتظروا الضر فى غدهم . يبيتون ليلهم مفزعة يصدق عليهم قول المتنبى :

أرانب غـير انهـم ملوك مفتحـة عيونهـم نيـام

كانوا يضيقون بأسمائهم ويضيقون بأموالهم بل ويضيقون بما قدموا لمصر الحبيبة من ايثار وتضحية .

كان أرحم ما ينزل بهم مصادرة الأموال . وكانوا يعرفون أن اخوانا لهم فى الثراء واخوانا لهم فى الدين واخوانا لهم فى المصرية تلقفهم السجن برحاه الملعون وما ان لا كهم بأسنانه الضروس الفاتكه حتى مات منهم من مات وترك من ترك بقية من آدميـة لا تصلح للحياة بل ولا تصـلح حتى للموت .

ولقد رأيت قوما ماتوا خارج السجن وخارج الحراسة مما قد يقع عليهم من سجن وحراسة . وأخبار التعذيب استفاضت ودمغتها أحكام المحاكم بصورة لا يكابر فيها الا أحمق أو سخيف .

وكانت الحراسة حين تنزل بعائلة أو فرد لا تستأذن ولا تستأنى ولا تمهل وانما تبيت الجماعة منهم أول الليل وهى تمارس ما يمارسه الانسان فى حياته وملكه فلا يكتمل الليل الا وهى جمـاعة معزولة عن الحياة مبعدة عن أموالها وعن انسانيتها فهى نهب للسجن أو للتشريد وللضياع ملقاة الى الفاقة واستجداء العيش أو استجداء الرحمة ولا سبيل لها الى شىء من هذين .

ولقد عرفت منهم قوما كانوا يذهبون فى كل شهر لاستلام النفقة التى حددتها لهم الحراسة وكانت النفقة بضعة قروش فرضت لهم ذلا وهوانا وسميت النفقة ليذكروا دائما ان الطلاق قد وقع عليهم من الدولة.

وفى ظل هذه الفترة المرهوبة نشأت فئة أخرى من الأثرياء . استغلت مصر المغلقة فتاجرت فى كل شىء .. تاجرت فى القوت وفى قطع الغيار للآلات والسيارات وفى الملابس . وجن بها الثراء حتى أصبحت لا تعرف كيف تتصرف فى أموالها .

واليوم صدر قانون يطلب الى المواطن أن يعلن عن ثروته .

وقد استطاع الذين يعيشون على ترويج الاشاعات أن يثيروا اللغط حول هذا القانون .

وواقع الأمر ان هذا القانون لا يضيف شيئا بالنسبة للعاملين بالدولة والقطاع العام فكلهم يقدم اقرارا بثروته وثروة أسرته تطبيقا لقانون من أين لك هذا وانما يخاطب هذا القانون غير العاملين بهاتين الجهتين . ولقد سمعت الكثير خائفا . وتمثل هذا الخوف فى سحب أموال وشراء ذهب . وأنا أعرف أن رأس المال دائما خائف ولكن خوفه فى هذه المرة يدعو الى العجب . فلو كانت الدولة تفكر فى الاستيلاء على هذه الأموال لعادت الى الحراسات فطبقتها . ولكن الدولة تغيرت ولم تعد فكرة الحراسات ترد لها على بال . انما الفترة التى عشناها تجعل الذعر مازال راسخا فى النفوس يشككك دائما ويرسل الناس يظنون بحكامهم الظنون.

لقد ثارت شائعات كثيرة عن قوم شرفاء وأحيط كثير آخرون بهالات من الشرف .

والاساءة الى الشريف فيها من الظلم قدر ما فى تشريف اللص من تزييف .

وتغنى كثيرون بالأمانة وهم لصوص وابتلع كثير من الشرفاء القصص واشاعات الاساءة تحيط بهم .

أليس من حق الشريف أن تحميه الدولة أليس من حق المجتمع أن يعرف الذى تلاعب بارزاقه وأقواته ودمائه .

ان هذه الاقرارات لا تثير الذعر الا فى نفس اللصوص وما علينا حرج ان أحس لصوص المجتمع بالخوف . ومع ذلك فمعروف أن هذه الاقرارات ستظل سرية .

ولقد بدأت هذا الحديث بلمحة عن الماضى . وانى اليها أعود فاذكر هؤلاء الذين أتحدث عنهم . اما كانوا دائما يقولون لو ان الدولة فرضت علينا الضرائب لقدمناها مرحبين .

من يعين الدولة اذا لم يعنها أثرياؤها ونبغاؤها .

ان الأطباء والمحامين والمهندسين وجميع العاملين بالمهن الحرة لا شك قد انتفعوا بالطمأنينة التى سادت مصر .. فأى بأس عليهم ان هم قدموا مما ربحوا نصيبا للدولة تقيم بها أمرها .

هل ينكر الأطباء ان القانون الذى تسيد الدولة قد جعل رزقهم أكثر سعة .. زادهم الله رزقا ولكن الا يذكرون مصر وهم فى بحبوحة وهى تعانى .

والمحامون خير من يعلم أن الحرية هى الأساس الأول فى وجود المعاملات المالية ومن المعاملات المالية تولد القضايا فليذكروا أمسهم القريب ويقارنوا بينه وبين يومهم ولا أزيد .

والمهندسون أكان يقدر لهم أن يبنوا كل هذه الأبنية التى يقيمونها ان لم تنطلق أجواء الحرية فتتنفسها الأموال التى كانت مستورة وراء الظنون وخلف السدود .

انما أنا أذكر .. والذكرى تنفع المؤمنين .. ان مجرد الحديث لا يفيد الدولة فى شىء .. واذا لم يقف المصريون بجانب مصر فلن يقف بجانبها أحد . واننا لا نستطيع أن نطلب العون من صديقنا الا اذا استنفدنا العون عند أبنائنا ومصر فى انتعاشها تعطى لنا ..

توفيق الحكيم يناجى العالم الاسلامى

تعودنا دائما أن نسأل أستاذنا توفيق الحكيم « ماذا تكتب فى هذه الأيام » فيمصمص شفتيه قائلا « أكتب ؟ ماذا أكتب ؟ أنا حتى أصبحت لا أقرأ ؟ وما هو الا الشهر أو بعض الشهر حتى يظهر له عمل ضخم من أعماله الضخام .

ولكنه فى هذه المرة فاجأ الناس جميعا والعالم الاسلامى خاصة باضخم كتاب يحمل اسمه وهو كتاب المختار من تفسير القرطبى والمكتبة العربية يندر أن تجد كتابا هاما مثل هذا الكتاب الذى أخرجه أستاذنا الحكيم الى الحياة .

والتوفيق دائما يسير فى ركاب أستاذنا والا فكيف تأتى لكتابه الرائع هذا أن يظهر فى نفس الوقت الذى تقرر فيه أن يكون الدين مادة أساسية فى الدراسة يمتحن فيها الطالب يسقط اذا سقط فيها ولا ينجح الا اذا اجتاز امتحانها ٠

والحقيقة أن الشريعة الاسلامية عندنا نحن الذين لم نتعلم تعليما دينيا أقرب الى الاشاعة منها الى الحقيقة ٠ فأغلب الذين يتحدثون عن الشريعة الاسلامية لم يقرأوا فيها القراءة التى تؤهلهم للحديث عنها وربما كان الذين درسوا الحقوق مثلا مؤهلين لتفهم الشريعة ولكن لابد لنا أن نقرأها حتى نلم بها الالمام اللائق بنا كمتحدثين فى الشريعة أو حتى كمسلمين ٠

ولا سبيل الى تفهم هذه الشريعة السمحة الا بقراءة التفاسير المعروفة ٠

وتفسير القرطبى الذى اختاره أستاذنا من أهم هذه التفاسير ان لم يكن أهمها ٠

وهو يقع فى عشرين جزءا راح أستاذنا الحكيم يقرأه فى امعان وتبصر حتى اختار منه مادة أنتجت هذا المجلد العظيم الذى فوجئنا به منذ أيام قلائل ٠

وأنى منذ حصلت على هذا المجلد وأنا لا أقرأ فى شىء غيره ولهذا يطيب لى أن أنقل اليك بعضا مما قدم به أستاذنا مجلده العظيم ٠

« ما نراه اليوم فى مصر والبلاد العربية من الاهتمام المخلص بالدين والرغبة الصادقة فى الاستزادة من معرفة جوهر الاسلام وأحكامه مما يقتضى الرجوع الى المنبع الأصلى للشريعة لمن يريد الاتصال المباشر بالنصوص وتفسيرها فى أمهات المراجع المعتمدة مثل التفسير الكبير للقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن المشهور بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعا يبلغ من الضخامة فى مجلداته العشرين طبقا لآخر طبعة ٠ فقد رأيت أن أقوم بمثل ما قام به صاحب « مختار الصحاح » للتيسير على الناس باستخراج مختار فى مجلد واحد للجامع لأحكام القرآن ٠

وقد حرصت فيه على ما سبق أن حرص صاحب مختار الصحاح فى مختاره من الاقتصار على ما لابد لكل متدين ومسلم وقارىء للقرآن من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن وخاصة فى أيامنا هذه التى ظهرت فيها الرغبة على أشدها فى الرجوع الى مصادر الدين »

وما أصدق ما ذهب اليه أستاذنا في مقدمته فلاشك أن معرفة الدين معرفة صحيحة هي السياج الذى نحيط به مجتمعنا فلو عرف الناس دينهم لما وجد بينهم المنقطع الذى يحرم ما أحل الله ويضيق على الناس الخناق فيوشك أن يقتلهم باسم الدين ·

ومعرفة الدين تتيح للوحدة الوطنية أن تزداد قوة فاننا بهذه الوحدة بهرنا العالم أجمع حتى أن غاندى نفسه قال لسعد زغلول لقد استطعت أن تصنع ما عجزت آنا عنه فالتقاء الأديان عندك فى صفاء ومحبة أمر يطوق اليه كل بلد تتعدد الأديان فيه ·

أن معرفة الدين أساسية للدنيا والدين معا · فلو عرف الناس دينهم حق معرفته لما وجد الملحدون من شيوعيين وغير شيوعيين مراحا سهلا لهم فى عقول الشباب · بل لو عرف الدين حق معرفته ما وجد تجار الدين عونا عند الشباب على سفك الدماء واغتيال الناس باسم الدين ·

ان معرفة الدين حماية لنا من كل متطرف أرعن ملحدا كان أو كان ضيق الأفق لا يعرف السبيل الأقوم فيتبعه ·

وعودا الى كتاب أستاذنا العظيم وتهنئة له أن أثرى المكتبة العربية بهذا المؤلف العظيم ·

الأهرام فى ١٩٧٧/٣/٢٩

جبل الجليد •• سطحه وأسفله

قولة شاعت بين الناس شفاها أو كتابة فى بعض الأحيان اننا اذا قلنا ان الشيوعيين هم الذين حركوا ثورة الناس فاننا نعطيهم أكثر من حقهم • وان الانتخابات الأخيرة قد أظهرت حقيقة حجمهم وفى هذا القول كثير من اغماض العين عن الحقيقة •

صحيح أن الشيوعيين لم يفوزوا فى الانتخابات الأخيرة الا بمقعدين • والأكثر صحة أن هذين المقعدين لم يفز بهما الفكر الشيوعى وانما فاز بهما الشخصان اللذان يمثلان هذا الفكر رغم انهما شيوعيـان لا لأنهما شيوعيان • فأحـد الاثنين من عائلة كبـيرة فى الدائرة كثيرة الاتصالات والأصدقاء والذين انتخبوه لا يهمهم من شانه أن يكون شيوعيا أو غير شيوعى • وثانى المقعدين فاز به شخص يعرفه ناخبوه معرفة شخصية وقد انتخبوا منه هذه المعرفة ولم ينتخبوا الشيوعية فيه •

هذا نعرفه جيدا وصحيح أيضا أن هناك كتابا شيوعيين ظاهرين على السطح الأدبى وأن هناك بعض شباب اضطر أن يصطنع الشيوعية اصطناعا ليتاح له النشر والوجود الأدبى فى فترة كانت الشيوعية فيها هى المسيطرة على الصحافة المصرية جميعا •

هذا أيضا نعرفه جيدا •

وصحيح أيضا أن كثيرا من الشيوعيين أصبحوا يقتاتون من الشيوعية بعد أن ارتبطوا بها وعرفهم الناس رافعين شعاراتها وأصبحت الجرائد والمجلات العربية الساذجة والجرائد والمجلات فى الدول الشيوعية تتعامل معهم لأنهم صبغوا أنفسهم بهذا اللون وأصبـح تخليهم عن لونهـم هذا يفقدهم المال الغزير المنهمر عليهم •

كل هذا نعرفه •

ولكن هل هؤلاء هم الشيوعيون الذين أثبتت أجهزة الأمن انهم يثيرون الشغب والفوضى والخراب والدمار بين ربوع مصر ·

ان الشيوعيين كجبال الجليد في المحيطات يبدو منه جزء يسير لاقيمة له بينما يختفى الدمار الحقيقى تحت المحيط ·

والتنظيم الشيوعى لايلقى بالا لهذا الجزء الصغير الذى يبدو على السطح وانما اعتماده كله على الجزء المختفى فى أسفل الماء ·

والذين وجهوا المظاهرات وأمدوها بالنيران وبالشعارات هم هؤلاء الأسافل المختفون الذين لايعرفهم أحد · أو الذى يخيل اليهم آن أحدا لا يعرفهم · وهم أيضا لاقيمة لهم رغم أنهم يدبرون بليل ويتخفون عن الأعين ويبتعدون عن الوضوح · فهم فى تدبيرهم يصدرون عن غباء شديد ·

وهل أدل على غبائهم من أنهم جهزوا الهتافات ووزعوها على مختلف محافظات الجمهورية فكان الهتاف الذى يسمع فى أسوان هو الذى يسمع فى الاسكندرية ·

وهل أدل على غبائهم من أنهم استهدفوا بحرائقهم أشياء ثابتة · فالذى حاولوا احراقه فى مصر العليا هو نفسه الذى حاولوا احراقه فى الدلتا والاسكندرية ·

وهل أدل على غبائهم من أنهم كانوا يمسكون صفارات يوجهون بها العاملين معهم ويمرون عليهم بسيارات معلنة ·

هم لا قيمة لهم · ولكن لاشك انهم دبروا · وانهم كانوا يتوقعون هذه الزيادة فى الأسعار · وكانوا قد أعدوا أنفسهم لاستغلال هذه القرارات ليثيروا عليها ثائرة الشعب ويدمروا مصر ·

واليوم ظهر المختفى ووضح · وأصبح الذين فى أسفل المحيط معروفين · ولكن ربما كان هناك غيرهم ·· لا يهم ·

فالذى لاشك فيه أنهم عرفوا الحقيقة التى لا مجال لمناقشتها ·

لقد تجمع شرهم وألبوا الناس وحرقوا المنشآت ووسائل المواصلات وحاولوا الاعتداء على الصحف وبيوت الشرطة ومبانى الاطفاء لينفذوا أملا ضخما تمتلىء به نفوسهم وهو قلب نظام الحكم واجهاض تجربة الديموقراطية ·

أما الحكم فقد ظهر لهم أنه ثابت كالطود الأشم وأن ألاعيب الصغار هذه لاتؤثر ولا تمس من رسوخه واستقراره ·

لأنه حكم قام على القانون لا على الفوضى ٠

لأنه حكم قام على الرحمة لا على الطغيان ٠

لأنه حكم قال الله ولم يقل الشـيطان ٠

لانه حكم اعتمد على الديموقراطية لا على الديكتاتورية ٠

ولهذا فهو باق وراسخ ٠

أما النظام الديموقراطى الذى حاولوا أن يجهضوا تجربته فقد أثبت انه أصلح نظام للشعب ولهذا حماه الشعب وفى ظل هذه الديموقراطية سحبت القرارات وأصبحت موضع نقاش وتأييد ومعارضة ٠٠ وما دامت هناك مناقشة فهناك ديموقراطية ومادامت هناك ديموقراطية فهناك ثبات واطمئنان وأمن ٠

ترى هل آن لهم اليوم أن يقمعوا شرهم وأن يبلغوا بآمالهم الى نهاية اليأس ٠٠ كفاهم تخريبا وتحطيما وتدميرا ٠٠ علم الله أنهم لايخربون ولا يحطمون ولا يدمرون الا أنفسهم وآمالهم ٠٠ فيوم تحيط بهم أعمالهم فليذكروا بيت عزيز أباظة :

ما رمانى رام فاقتص منـه
أنا نفسى الذى عصفت بنفسى

الثقافة الضحلة والسذاجة

قلت فيما قلت ان بعض الجرائد والمجلات العربية الساذجة ترتبط بالكتاب الشيوعيين ٠ والحقيقة أن هذه ظاهرة شهدتها فى بعض الشباب فى البلاد العربية ٠ فقد استطاع الشيوعيون لكثرة ما أطلقوا على أنفسهم اسم التقدميين ٠ ولكثرة ما أوهموا الناس ان التمسـك بالدين رجعية والتمسك بالديموقراطية تأخر ان يلقوا الهلع فى نفوس هؤلاء الشـبان ان يقال عنهم انهم رجعيون فامسكوا بأهداب الشيوعية ليوهموا أنفسهم أولا ويوهموا الآخرين من بعد أنهم مثقفون تقدميون ٠

والمصيبة الأدهى أن بعض أصـحاب الجرائد والمجلات العربيـة يتمتعون بكمية وافرة من الجهل وهم فى جهلهم هذا يهلعون أن يكشف أحد جهلهم وهم أصحاب جرائد ومجلات فهم يسدلون ستار الشيوعية على جهلهم عساه يخفى ما ينبغى له أن يستتر ٠ ولو أن هؤلاء اعتنقوا الشيوعية عن علم ودراسة لهان الأمر ولكنهم يتخذونها حلية كسياراتهم الفارهة

وقصورهم الشامخة وكل ألوان الرفاهية التى يتمتعون بها . فمن المعروف مثلا أن دخل الفرد فى الكويت هو أعظم دخل فى العالم . فكيف نتصور أن دولة كهذه يكون فيها شيوعيون الا أن تكون الشيوعية عندهم لونا من التظاهر بالثقافة .

لو ان هؤلاء فكروا قليلا لعرفوا أين الثقافة .

هل مصادرة رأى الكتاب والفنانين واصدار الأوامر والتعليمات لهم بما يكتبون أو لايكتبون ثقافة وتقدمية .

هل قهر الروائيين أمثال بسترناك وسولجستين وغيرهما تقدمية وثقافة أم رجعية وتأخرية .

هل جعل الأدب جميعه بوقا واحدا لاتتغير فيه نغمة ولاتند عن تياره فكرة تقدمية أو رجعية وتأخرية .

ومن ناحية أخرى . أيهما أسبق فى الحياة الالحاد حين كان الناس يعبدون الناس أو الحجارة أم الفكر الدينى حين الناس يعبدون خالق الناس والحجارة جميعا .

ان لم يكن الكبت والقهر رجعية فما الرجعية ؟ وأن لم تكن العودة الى الأصنام وعبادة الفرد رجعية فما الرجعية ؟ لعل الآخذين بالشيوعية يعرفون بالصفوف التى تقف لتلقى نظرة على أموات الشيوعية .. أليست هذه هى عبادة الفرد فى أبشع صورها .

بعضا من الفكر يا أنصار الفكر والتقدم .

مكالمة

كتبت منذ أيام قريبة فى الأهرام أطالب القائمين بالأمر باعلان الخسائر والمبالغ التى بذلتها مصر فى حرب ٥٦ وحرب اليمن وحرب الكونغو وحرب ٦٧ وحرب ٧٣ وبند أمن الدولة الداخلى وبند أمن الدولة الخارجى ليعلم الشعب اليوم لماذا نعانى ما نعانى وليعلم أنهما تراكمات عشرين عاما وتزيد من الانفاق على ما يجب أن ننفق عليه وعلى ما لا ينبغى لنا ان ننفق عليه .

ويوم ظهور هذه المقالة كلمنى فى التليفون شاب لم يذكر اسمه وقال « اننى طالب جامعى واننى واخوانى نشكرك على ما كتبت اليوم لأننا شباب حائر لا يعرف الحقيقة ويهمنا أن نعرفها » .

اذن فهذه الحقائق ليست معروفة · واذن فالشعب المتعلمون فيه وغير المتعلمين لايدركون هذه الحقائق ويظنون ان ما نعانيه وليد الحاضر· الا يرى القائمون بالأمر اذن أن واجب الاعلام الأول اليوم أن يجعل الشعب يعرف لماذا نعانى ·· ان لم يكن هذا واجب الاعلام فما واجبه اذن ·· أما كفانا تمثيليات حمراء تنهب أموالنا ووقتنا وتمجها النفس لصوتها المرتفع الذى لا فن فيه ·

أليس من الخير لمصر ولنا أن نعرف الحقائق بدلا من زيف الشعارات ؟

الأهرام فى ١٩٧٧/٤/٥

يا وزارة الثقافة بالأدب

●● رفقا فالأدب هو أعظم معالم الثقافة وهذا الذى يصنع باخواننا من الأدباء الموظفين العاملين بادارة الأدب لا يمكن وصفه الا أنه اجحاف بحق الأدب والأدباء جميعا وانى لعلى ثقة أن الدكتور جمال العطيفى لا يعلم ما يصب على أدبائنا وكتابنا من قهر واعنات وانى اقدم له خطـــاب أولئك العاملين ولا أعلق ففى الخطاب ما يغنى عن كل تعليق :

الأستاذ ثروت أباظة ٠٠ سكرتير اتحاد كتاب مصر ٠

مقدمه لسيادتكم الأدباء والكتاب العاملون بادارة الأدب الهيئة العامة للفنـــون ٠٠٠

يعرضون الآتى :

صدر القرار الجمهورى رقم ٣٤ فى يناير ١٩٧٦ بانشاء ادارة الأدب ٠٠ وحاول الأدباء والكتاب ـ بجهد وصدق ـ النهوض بهذه الادارة الوليدة التى كانت أملا يراود أحلامهم ٠٠ ولكنهم اصطدموا بعقبات كثيرة حالت دون تحقيق أملهم ٠

والعقبة الأولى هى المكان ٠٠ حيث تعمد المسئولون فى هيئة الفنون وضع ادارة الأدب فى نصف بدروم منزل الشاعر أحمد شوقى ٠٠ والمكان لا يليق بآدمية الانسان ٠٠٠ فما بالكم اذا كان هذا الانسان فنـــانا ٠٠ والمكان عموما غير صحى ـ خاصة فى الشتاء ـ وهو يهدد الكل بالروماتيزم ٠

وأما العقبة الثانية فهى الميزانية ٠٠ فلقد تركت ادارة الادب بغير ميزانية على الاطلاق ٠٠ وكاتبنا هيئة الفنون فى ذلك عشرات المرات ٠٠ لكننا كنا نتلقى نفس الاجابة ٠٠ لا ميزانية ٠٠ وبالتـــالى فان نشاطنا الحقيقى توقف ٠٠ فلا مسابقات أدبية بهدف اكتشـــاف جيل جديد من الأدباء ٠٠ ولا ندوات ٠٠ ولا حلقات دراسية ٠٠ ولا محاضرات ٠ ولا مكتبة ٠٠٠ ولا شىء على الاطـلاق ٠٠ وبذلك يـكون المسئولون فى الهيئـة قد أراحوا واستراحوا ٠٠ وهذا هو هدفهم الحقيقى ٠٠ وبذلك أصبحت ادارة الأدب مجرد حضور وانصراف فقط ٠ ولسنا ندرى يا سيدى سر هذه اللعنة التى تصيب الأدباء فى مصر ٠٠ فهم اذا وجدوا تجمعا حقيقيا يوحد كلمتهم ويتيح لهم الفرصة كى يمارسوا نشاطهـــم وابداعهم ٠٠ شتتهم الروتين واللوائح والعقول غير المسئولة ٠

اننا نتوجه اليكم بندائنا ٠٠ وليس هناك من هو أحق منكم بهذا النداء ٠٠ فأنتم سكرتير اتحاد كتاب مصر ٠٠ وأنتم أقدر على التعاطف مع قضيتنا وأحلامنا وطموحنا من تلك العقول غـير المسئولة المسيطرة على هيئة الفنون ٠

اننا أعضاء ادارة الأدب نواجه الآن موقفا مؤلما للغاية ٠٠ انهم يحاولون حل هذه الادارة وعدم تدعيمها بالميزانية اللازمة ٠٠ وتوزيع هؤلاء الأدباء « الرحل » على أماكن أخرى غير ادارة الأدب ٠

ان الحلم الذى عملنا على تحقيقه ٠٠ وعمـــل معنــا كل المخلصين والجادين والشرفاء ٠٠ هذا الحلم يتبدد الآن على أيدى رجال الهيئة العامة للفنون ٠٠ انهم باختصار شديد لا يطيقون كلمة الأدب والأدباء ٠٠ والهيئة العامة للفنون تحاول بكل ما تستطيع محاصرة هذه الادارة وتعويق عملها بغية حلها وتصفيتها وتشتيت الأدباء منها ٠

وتفضلوا بقبول أصدق آيات التحية والتقدير والاحترام ٠

« العاملون بادارة الأدب »

المعاشات ٠٠ ونهـاية حديث

●● لقد برت الوزيرة بوعدها وحددت لى موعدا مع بعض المتحدثين عن أرباب المعاشات وقد صحبنى الأستاذ عواد اسماعيل محمد رئيس رابطة قدامى الموظفين كما صحبنى الأستاذ عبد الله الوكيل سكرتير عام الرابطة

وآخرون وصحبني من ضباط البوليس المحالين على المعاش العميد أحمد عبد الغفار وآخران ٠

وأشهد الله والحق أن الوزيرة كانت غاية في الكياسة وتقبلت ثورة آبائنا بصدر رحب وخلق كريم ٠ وقد انتهى الاجتماع بالاتفاق على مبادىء عامة رضي عنها ممثلو رجال المعاشات أما تفصيل ما اتفق عليه فاعتقد أن الأستاذ عواد يستطيع أن يمر به كل من يريد أن يعرف ٠

أما فيما يتصل بضباط الشرطة فقد كان واضحا أن وزارة التامينات ليست هى صاحبة الاختصاص ٠

النفـــــاج

● ● لم يعرف العالم بعد مقاييس ثابتة للنجاح او الفشل ، ويبدو أن شعور الانسان أنه ناجح ، أو شعوره انه فاشل ، هو المعيار الوحيد ٠٠ ولكن هل يستطيع انسان بالغا ما بلغ نجاحه أن يطمئن لهذا النجاح ؟ ٠٠ أو هل يقبل انسان أن يعترف في داخل نفسه أنه فاشل اغلب الأمر ان الناجح دائما فى قلق ٠ والفاشل دائما فى أمل ٠

أرى قوما أظن أنهم ناجحون فى حياتهم فاذا هم يتصرفون تصرف الفاشلين وتصرف الفاشلين واضح لا تخطئه العين فهو دائما يشهر سلاح الكرامة فيما لا يتصل بالكرامة ٠ فان خالفته فى رأى فقد أهنت كرامته وان نسيت له موعدا فقد أهنت كرامته وان اعتذرت عن عدم قبول دعوة له فقد أهنت كرامته ٠ فكرامته فى ذهنه شىء هلامى غير واضح ٠ ومع هذا الاهتمـام الفاشل بالكرامة ، نجده يشرب الخمر حتى يلتوى منه الفعل واللسان ويصبح مزقة متهرأة لا كيان لها ولا كرامة على الاطلاق ٠

وترى قوما آخرين بلغوا مناصب تظن أنت أنها تستطيع أن تمدهم بنوع من الثقة بالنفس والشعور بالنجاح فى الحياة حتى اذا جلسوا اليك بادروك بحديث لا ينتهى عن أنفسهم والحديث عن النفس من أعظم معالم الفشل أو على الأقل من أعظم معالم الغباء وليس شر منه الا من يروى عن نفسه وقائع لم تحدث على سبيل الزهو والافتخار وهو ما نطلق عليـــه « فشار » أو « معار » واسمه فى العربية « نفاج » ٠

ولا صلة لهذه المادة بمادة الخرافة ٠ فمادة الخرافة تنسب الى رجل فى الجاهلية كان يدور بين القبائل ينقل اليهم الأخبار والذى يذكر عنه أنه

كان يتزيد في هذه الرواية وينشيء من الأحداث ما لم يقع حتى يبهر سامعيه ولعله كان يصيب منهم بعض المال ، وما لبثت القبائل أن تبينت كذبه فأصبحت تنسب اليه كل حديث لا يتسم بالمعقولية أو الصدق فمشى اسمه على الأجيال علما على الكذب والتزيد · وهكذا نشأت الصحافة بين العرب في هذا اللون البعيد عن الصدق والأمانة · ولم يكن خرافة في حديثه يحاول أن ينسب لنفسه شيئا لم يصنعه وانما كان يكذب للكذب وللابهار فقط دون أن يقيم من نفسه بطلا ·

· أما النشار أو المعار أو النفاج فيحاول الابهار بما يروى عن نفسه هو من بطولات وأعمال أنشأها خياله وفي القاموس المنجد تنفج الرجل افتخر بما ليس عنده ، وهذا التنفج أعظم دليل على فشل الانسان في داخله · وشر أنواع الفشل أن يشعر الانسان في داخله بالفشل · الا أن هؤلاء النفاجين يمتازون بخصلة لا يمتاز بها غيرهم ، أنهم ما يلبثون أن يصدقوا أنفسهم ويطمئنوا الى نفاجهم فيصبحون بقدرة قادر أكثر الناس رضاء عن أنفسهم وما يلبثون أن ينظروا الى عباد الله نظرة متعالية مترفعة فان أحدا من الناس لا يستطيع أن يقوم بما يقومون به من بطولات وما داموا هم مطمئنين أنهم يقومون فعلا بهذه البطولات فليصدق من شاء أن يصدق وليكذب من شاء أن يكذب فانما الدنيا جميعا هي نفسه وليذهب من شاء من الآخرين الى أي جحيم يختاره ·

ومن الناس نفاجون بالفعل لا بالكلام فقط · أولئك قوم يطيب لهم أن يصيحوا دون داع الى الصياح وينفعلوا دون داع الى الانفعال · حتى اذا كان لابد أن يصيحوا وينفعلوا أصبحوا دجاجات مذعورة تبحث عن المهرب والمخبأ ·

أولئك قوم كثر ظهورهم في الفترة الأخيرة · أولئك الذين صمتوا والأعراض تنتهك والأموال تستلب وأمنهم ·· أمنهم هم يمزق كل ممزق · حتى اذا ساد الأمن وسلمت الأعراض واطمأنت الأموال جار صوتهم وارتفع كل مرتفع وعلا منهم الصياح واطمأنوا بلعب الأطفال هذا الذي يلعبون أنهم أبطال · والأمر الذي يحيرني بعض الحيرة ·· أهم مقتنعون فعلا أنهم أبطال أم هم يعرفون الحقيقة من أنفسهم ويخادعون. علم الله أنهم لا يخدعون أحدا وانما أنفسهم وحدها التي يخدعون ·

حديث عن الضرائب

●● أستطيع أن أقول مطمئنا وفي هدوء أنه ليس بين مرتبات الموظفين جميعا بادئا بالوزراء منتهيا حيث شئت من الانتهاء مرتب يكفي

صاحبه فى مصر ، بحيث يستطيع بمرتبه وحده أن يقف فى مواجهة عادلة مع مطالب البيت والأولاد ، وقد شكا الى موظفون يحصلون على مرتب الوزراء · وكانت شكواهم مؤلمة · فان أولئك قوم بذلوا من جهدهم ما بذلوا حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من وظائفهم فان نضيق بهم الحياة بعد ذلك ويضيقوا بالحياة هم وأهل بيتهم أمر تأباه كل المعانى الكريمة فى الحياة ·

واذا كان هذا حال هؤلاء ترى فما خطب المرتبات المنهارة التى ينالها الغالبية العظمى من شعبنا الذى جارت عليه حروب ثلاث وظروف فرضت عليه فرضا ·

أبعد هذا الضنك تفرض على أولئك الموظفين ضريبة دخل عام أيضا · لقد كنا تعلمنا فى كلية الحقوق أنه لا ازدواج فى الضريبة فما للضرائب اليوم تزدوج وتثلث وتربع ·

واذا كان لموظف مسكين بعض أفدنة قليلة تغل عليه فضلة من رزق تضاف هذه الغلة الى مرتبه ويخصم عليها ضريبة دخل عام · أما يكفى ما يخصم من المرتب من ضرائب وتأمينات وغير ذلك حتى ليصبح المرتب المنتعش السمين هزيلا متهافتا مصابا بكل أنواع الانيميا ان كان للانيميا أنواع ·

اننى أقترح على الناظرين الآن فى قانون الضرائب الجديد أن يعفوا المرتبات من ضريبة الدخل العام · وحسب المرتبات ما تلقاه من خسف ومن ظلم بما يرمى عليها من خصومات وحسبها أيضا ضعفها وهزالها أمام متطلبات الحياة التى لا تنتهى · تلك المتطلبات التى أصبحت وحشا ضاريا يطحن الأموال جميعا ويستلب الرفاهية بل الأمن من كل البيوت · الأمر الذى لا شك فيه أن ضريبة الدخل العام لا تشكل للدولة دخلا يستحق العناء ، بل انى أعتقد أن ما يبذل فيها من جهد ومن مرتبات لموظفى الضرائب أكبر كثيرا مما تعود به على الدولة ·

لترتفع الضرائب ما شاءت أن ترتفع عند المنبع بالنسبة للشركات والأعمال الكبرى · فمثل هذه الشركات هى التى تستطيع أن تقدم للخزانة أموالا مشرفة أما الأفراد فليس لديهم ما يغنى الخزانة شيئا · وكنا قد تعلمنا فى الاقتصاد أن الدولة الغنية هى التى يكون الأفراد فيها أغنياء لأن غناهم هذا يعود على الدولة · فأغلب الأمر أن الأفراد اذا جرى المال فى أيديهم سيشترون ويبنون وينشئون والدولة تأخذ ضرائب على كل حركة اقتصاد من بيع أو شراء أو بناء أو انشاء · ومن هذه الحركات

الاقتصادية تغنى الدولة وتزدهـر • فغنى الأفراد هو فى حقيقته غنى للدولة • ونحن اليـوم لانبحث عن هذا الغنى ـ لا قدر الله ـ وانمـا كل ما نهفو اليه أن يعيش الأفراد وأن يلتقوا بصـباحهم فى شىء من الأمل ويلتقوا بمسائهم فى شىء من الرضا • والله لنا ولهم أنه سـبحانه ملاذ من لا ملاذ له وأمل من لا أمل له •• سبحانه •

الأهرام فى ١٩٧٧/٤/١٢

هـذه هى الحرية

لو كانت هذه البرقية التى كتبها كمال الدين حسين قد أرسلت الى الملك فاروق ما سمح بنشرها فى الجرائد ٠

ولو كان هذا النقاش الذى دار بين رئيس الدولة والطلاب قد دار فى عهد الملكية لما أذيع بالاذاعة والتليفزيون والصحف ٠

اذن فهذه هى الحرية ٠ كاوسع ما عرفت مصر الحرية ٠

وأذن فرئيس الدولة واثق من نفسه واثق ان حكمه ثابت راسخ لا تهزه برقية غير مسئولة ولا جماعات من طلبة ساقتهم الى هذه الآراء اهواء من جهل ولست أحب لهم ولا لنفسى ان أقول غير ذلك ٠ فانهم أبناؤنا وما يصيب كرامتهم يصيبنا ويصيب مصر فى مستقبلها وهو اعز ما تدخره للأيـام ٠

ولعله يعزينا ويطمئن نفوسنا ان الطلبة فى جموعهم العريضة غير هؤلاء الذين رأينا ٠

كما أن نواب الشعب فى أغلبيتهم لا تمثلهم هذه البرقية الرعناء التى تنطلق عن غير فكر وعن غير روية وعن غير علم ٠

وما هـذا بعجيب على شخص رأى نفسـه فى يوم من الأيام برأس المجلس الأعلى للفنون والآداب وفيهم من فيهم من علماء الجيل وأعلام الأدب العربى وحسبى وحسبك أن أذكر طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم الذين كانوا أعضاء بالمجلس الذى يرأسه كمال الدين حسين ٠ فهو معذور حين يحسب أنه عبقرى وأى عبقرى ٠

ولكن العلم لا يعترف بالمظهر وانما يعنيه الجوهر ٠

والجوهر عند السيد كمال الدين حسين لا يركن الى ثقافة ولا يتكىء على علم ولا يستند على بحث أو منطق ٠

فلو كان يدرى شيئا عن الدستور أو الحرية لعرف أن الرجوع الى الشعب انما هو قمة الديموقراطية ٠ فالأمة هي مصدر السلطات ٠ والرجوع الى الاستفتاء رجوع الى المصدر الأصلي الذى انتخب مجلس الشعب ٠

وما كان أيسر على رئيس الجمهورية أن يستصدر هذه القوانين من مجلس الشعب والأغلبية الساحقة تؤيد الحكومة ولكنه فضل العودة الى الشعب جميعه فى أمر يتصل بأمن الشعب جميعه وحياته ومستقبله ٠

ويبدو أن كمال الدين حسين لم يكن بمصر فى هذه الأيام الفوضوية من يناير ، والا فكيف لم يدرك أن مدن مصر وعلى رأسها القاهرة والاسكندرية كانت فى حرب طاحنة مع الاحقاد والسخيمة السوداء والغوغائية والانهيار الخلقى ٠ وان حياة الناس كانت مهددة ، وان أموالهم كانت معرضة للحرق أو للسلب بفعل ما أثاره الشيوعيون وأنصارهم من أحقاد طبقية وآفات أستغلوها عند الدهماء من اللصوص وقطاع الطرق والخطافين ٠

وأن هذه الأفعال لو كانت ارتكبت وعلى رأس الدولة زعيم لا يؤمن ايمانا عميقا بالديموقراطية لالغى كل التنظيمات التشريعية وأعلن الديكتاتورية ٠

وقد كان السيد كمال الدين حسين خليقا أن يفكر كثيرا قبل أن يقارن هذا الحكم الذى نعيش فى ظله بالحكم الآخر الذى يشير اليه ٠ وأين الموت من الحياة وأين تدمير النفس الانسانية من الحفاظ على حقها فى التعبير بعد أن اطمأنت الى سلامتها البدنية وبعد أن أمنت على أموالها انه لن ينهبها أحد ٠ وأين خطابه يذهب متخفيا يسعى فى بهمة الليل من برقيته تنشر فى الصحف وأين مكانه وهو مقهور مذعور خائف يتلفت أن يكمن له فى ظله من يغدر به ٠ منه اليوم عضوا فى مجلس الشعب فى انتخابات لو زورت لما نجح فيها ٠

لقد اتسعت ساحة البطولات الزائفة وضل فيها الساعون فما يدرون أين يولون الوجوه ٠

زيفوا الحرية حتى أصبح الشعب لا يفهم ما هى الحرية أيها الشعب أن ما نراه اليوم هى الحرية ٠٠٠ ان الحرية هى التى يسأل فيها الرئيس الشعب ٠ وهى التى لا قهر فيها ولا عذاب ولا اعتقال ولا خنق للانسان ولا قتل للحياة ولا سفك للدماء ٠٠٠ والذين يغتالون الحرية هم هؤلاء الذين ألبوا الشعب على أرزاقه ٠ وعلى أمواله وعلى مصره ومصرنا ٠

ولو كان ذكر التاريخ القريب لذكر ما حدث في فرنسا مهد الحريات ومنبع النور حين أقام الطلبة المتاريس في الشوارع فركب ديجول الطائرة وذهب الى ماسو قائد الجيش الذى لم يكن واثقا كل الثقة من موقفه منه وسأله عن رأيه ورأى الجيش فيما يصنع الطلبة بباريس وحين قال ماسو ان الجيش مع السلطة مطمئنا . ولم يلجأ الى البرلمان وانما لجأ الى الاستفتاء الشـعبى .

وقبله نابليون ـ وهو بعد ضابط ـ حين رأى الغوغاء يهددون أمن باريس لم يتردد وهو ابن الثورة أن يقيم بجنوده المتاريس ويخمد غوغائية الجماهير بقوة السلاح .

ورئيسنا اليوم لم يلجأ الى السلاح وانما الى الشعب يلجأ .. أهذا عمل نعارضه فيه ...

ياصاحب البرقية ... لو كنت على شىء من الثقافة لعلمت أن تأييد الحاكم فى كثير من الأحيان يشكل بطولة لا ترقى اليها معارضته ، فاذا حاولت استغلال الجوع لتعارض وتقيم من نفسك بطلا فقد خذلت شعبك وخذلت كل شريف نقى فى حياتنا . والشعب الذى تحاول ان تداهنه اليوم يعرف تماما أين يكمن الخير له وهو أيضا الكفيل بأن يحافظ على حريته وعلى مستقبله وعلى أمنه .

سؤال وله اجابة

● كتب الى الأستاذ أحمد رياض من السيدة زينب يتحدى أن انشر ما يقول وتلك وسيلة يلجأ اليها الكثيرون حتى ننشر مالا يستحق النشر ولو كان التحدى مقصورا على مجرد الحديث عن حرية الصحافة مثل الخطاب الآخر الذى جاءنى هذا الأسبوع من خائف مذعورا ما زالت رواسب العهد الماضى تسيطر عليه فلم يذكر اسمه ما اهتممت بالنشر . فالحديث عن الحرية بعد ما شهدته مصر فى هذه الأيام الأخيرة من حرية حديث قوم يجهلون ابسط معانى الحرية . ويظنون ان الفوضى هى الحرية وهذا ظن أنفه من أن يتناوله كاتب بالتعليق أو الشرح .

أما الأستاذ أحمد رياض . فقد قال كلاما كثيرا ولعل الشىء الذى يستحق التعليق هو بعض أسئلة كثيرا ما سمعتها .

أين أموال الدعم ؟
أين أموال القنـال ؟
أين أمـوال البترول ؟

ويظن السائلون أن مصر أصبحت جميعا سرقة ونهبا حتى أن هذه الأموال جميعا سرقت وهذه الأسئلة تطن فى كثير من البلاد العربية فى محاولة انقاذ للشهامة العربية ومحاولة ايجاد عذر فى حبس المال عنا ٠

ولكن ان تدور هذه الأسئلة فى مصر فشىء عجيب ٠

فأموال الدعم العربى وأموال القنال وأموال البترول جميعا تنفق هنا فى مصر ٠٠٠ تنفق على مرتبات الخريجين الذين تعهدت الدولة بتعيينهم جميعا وتكدسوا يقبضون المرتبات ولا يصنعون شيئا ثم يتساءلون أين الأموال ضاعت ٠

وتنفق على دعم العيش حتى يضمن للانسان المصرى لقمة العيش ان كان حرم من رفاهية العيش وتنفق فى تخفيف العبء على بنى مصر بعد أن ذهبت أموالهم فى الحروب فى ظل الفترة الماضية من حياتنا ٠

لاشك أن هناك من يسرق ٠ ولكن المؤكد أيضا أن بيننا الشرفاء ٠

ولاشك أن هناك أموالا تسرق ولكن هذه الأموال مهما تضخمت فهى جزء لا يكاد يذكر ٠ بل ولا يجوز أن تذكر السرقة اذا نحن ذكرنا الدعم العربى وأموال القنال وأموال البترول وعجيب ان يذكر البترول عندنا كمصدر من مصادر الثروة وكاننا أصبحنا ننال من هذا البترول الأموال الطائلة بينما الحقيقة ان البترول عندنا ينتج بالقدر الذى يفى بحاجتنا فقط :

انما هى دعوى أطلقها الشيوعيون ليخربوا بها مصر ٠ فهم يرجون أن تسرى الاشاعة الى البلاد التى تمدنا بالدعم لتوهمهم ان أموالهم تسرق ويرجون أيضا ان يتساءل أبناء مصر الفقراء هذا التساؤل حتى تدمر نفوسهم ويرفضون الحكم جميعا فالشيوعية كما هو معروف تربتها الخراب والرفض ٠

وارى أن القوانين التى تعرض على الاستفتاء ستكون ذات أثر فعال فى موضوع السرقات وهو أمر لابد أن يعالج بحسم ٠ لا لقطع دابر هذه الأسئلة ولكن لأن سرقة الأموال فى ذاته كارثة لابد أن تواجهها الدولة بالحسم والشدة ٠

والطلبة فى مؤتمرهم

● أن مظهر الطلبة الذى رأيته فى لقائهم مع الرئيس ملأ نفسى ألما ٠ فأدب الحديث ثقافة والرئيس أب ويستطيع الأب أن يحتمل ابنه ٠

ولكن لو كان هؤلاء الطلبة على شيء من الثقافة لعرفوا كيف يحترمون رمز بـلادهم ٠

ولو كانوا على شيء من الثقافة لما تحدث وهو جالس الى الرئيس ولما اختار الآخر هذا الأسلوب وهو يتحدث ٠

ولكن ماهى الثقافة التى اتحدث عنها ٠ يقال ثقف الرمح أى شذبه مقصـولا ٠

وهذه الثقافة تأتى من حصيلة خبرات الانسان ٠٠ من القراءة بادىء ذى بدء ثم من صلاته بالمجتمع وبالناس ٠

ويبدو أن الفترة التى عاشها شعبنا صورت لهؤلاء الأبناء أن تجاوز حقوقك واعتداءك على حقوق غيرك هو الوضع الطبيعى فى الحياة ٠

والا لما قال قائلهم أنهم يرفضون حكم السادات لانه رفع الحراسات وألغى الاتحاد الاشتراكى ولم يلق باسرائيل الى البحر ٠

فالحراسات اذن هى الوضع الطبيعى للحياة ٠٠٠ فواسفى ٠٠٠ عزائى الوحيد ان كان الى عزاء من سبيل ان يكون الطلبة الذين لم أشهدهم فى التليفزيون على غير هذه الثقافة وعلى غير هذا الوعى وعلى غير هذا الأدب ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٤/١٩

لن يحكموا بلادنا

شهدتهم فى أيام أكتوبر الخالدة وكانوا يظنون اننى أصبحت قريبا منهم لأننى وقعت بيانا استغلوا فيه أسماءنا ووقعوه معنا وكنا فى هذه الأيام نظن الا حرب هناك وان حديث الحرب للتخدير وليلقى علينا الصمت فقد كنا خارجين وشيكا من حكم يقول ولا يفعل ، ويعد ولا ينفذ ، ويقهر الذى يتساءل ، ويدمر الذى يتعجب • فلم يكن عجيبا أن نقول ما قلنا فى بياننا من اجل مصر ماقلنا • وما كنا ندرى ولا قام فى حسباننا ان الشيوعيين سيستغلون أسماءنا نحن الذين جعلنا مصر مبدأهم وحياتهم وأملهم وكل مالهم فى الوجود • حتى اذا جاءت حرب أكتوبر كنا نحن الذين وقعنا البيان اول الذين هنأوا أنفسهم بانتصار مصر • ورأينا كيف وقعت الهزيمة على مزق العالم التى تسمى نفسها اسرائيل •• ورأينا العالم كيف يستقبل انباء العبور وأصبح النصر حقيقة ان حاول احد أن ينكرها رده الى الحق الانهيار الذى أصيب به العدو • والاعجاب الذى احاط به العالم عبورنا •

شهدتهم يومذاك وعليهم من الحزن قتره ومن الانكسار ذله وكأنهم هم اسرائيل • ولم يخجل واحد منهم أن يقترب الى ويهمس •

ــ تلك هزيمة أبشع من هزيمة ٥ يونية •

ــ تقصد لاسرائيل •

ــ بل أقصد لمصر •

دهشت •• أيستطيع انســـان أن يكره بلده الى هذا الحد • فما عيشه فيها وما بقاؤه بها ولماذا لايرحل عنها ويتركها لأبنائهـــا حتى اذا طعموا جناها ونبتها كان هنيئا واذا شربوا من نيلها شربوا مريئـا

أكان سما هذا الذى غذاهم سنوات عمرهم وأعمار أجدادهم • فما هذا النكر الذى يقولون ؟ وما هذا النكران الذى يظهرون ؟ وما هذا المقت الذى يقطرون •

وكتب ظلهم ومظلتهم فاذا هو يجعل الجيب الذى صنعته اسرائيل وكأنه الهزيمة الساحقة لمصر وللمصريين حتى لقد قال كلاما لم تجرؤ اسرائيل نفسها أن تقوله عن جيبها هذا • ووقع فى نفوس المصريين هم ونكد واحبـاط حتى اذا تم النصر بهت الذى كفر ولم ينطق • فلو كان الجيب ذا شأن ما قبلت اسرائيل ان تتنازل عما تنازلت عنه •

وحين تم الاتفاق صاح صائحهم وعلا ضجيجهم اننا بعنا القضيه من أجل حبة رمل • وهم طبعا لا يعرفون أن حبة الرمل هذه هى التى قدمنا من أجلها دماء شبابنا وعصير جهادنا ونعيم دنيانا وهناء حياتنا انها حبة رمل من مصر • ولكنهم الى غير مصر ينتمون • وبفكر غير فكرها يدينون • ولولاء غير ولائها ينتسبون •

وقبعوا كالذئاب الجائعة بعين يقظى ونفوس تشتعل مقتا لمصر ولأبناء مصر • يهتبلون الفرص الى تلوح حتى اذا علموا أن أسعارا جديدة فى طريقها الى الشعب دبروا أمرهم وفعلوا فعلتهم •

واليـوم •

انهم مقدمون الى النيابة العامة والنيابة العامة هى الجهة الرسمية التى تحقق فى الجرائم التى يرتكبها الأفراد أو الجماعات ضد الشعب واسم النيابة معناه انها الجهة التى تنوب عن الشعب فى محاسبة المعتدين على الشعب •

هم اذن لم يعتقلوا • ولم تطلق عليهم الكلاب المسعورة من الحيوان والبشر •

وهم اذن لم يتعرضوا للاعتداء على الأعراض والأبدان والإنسانية داخل الانسان •

وهم اذن لم تصادر أموالهم ولم تفرض عليهم الحراسات •

وهم اذن لم يلق بهم الى صحراوات مصر قتلى لا يعرف لهم أهلوهم قبرا يزار •

وانما هم يحاكمون محاكمة عادلة لا تختلف عن محاكمة أى متهم آخر •

فاذا رأت النيابة أنهم متهمون وقدمتهم الى المحاكم ، ورأت هذه المحاكم وهى المحاكم العادية وليست محاكمة استثنائية انهم مذنبون فلابد أن ينفذوا الحكم كاملا •

فان ما ارتكبوه ليس جريمة سياسية وانما هو تدمير لأمن المواطنين وتخريب للمال العام واعتداء على الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة • وليست هذه جرائم سياسية • ومن ثم فلا يجوز التهاون معهم •

ان هذا التهاون قد أضر بنا كثيرا • بل لعله أغراهم ان يرتكبوا ما ارتكبوا • واطالة الاجراءات مع المتهمين فى الجرائم العامة يجعل الشعور بالأمن مضطربا • وان لم يشعر الشعب ان المخطىء سيعاقب والمحسن سيثاب تنهار القيم جميعها عنده •

ولعله من الأصلح أن تنشأ دائرة خاصة من قضاة المحاكم للنظر فى قضايا المال العام فانه لا يجوز ان نسمع عن السرقات ثم تتطاول الأيام والسنون حتى نسمع عن العقوبة التى وقعت على المذنبين •

جنة من سراب

لقد مرت على الشيوعية اليوم ستون عاما • وكانت الشيوعية قد وعدت حين قتلت الملايين أن الذين سيبقون أحياء على أرض الشيوعية سيعيشون فى الجنة •• ولى صديق ذهب الى روسيا ثلاث مرات •• كان فى مرتين مدعوا دعوة رسمية وكان فى الثالثة زائرا غير رسمى • وقد روى لى أنه شهد من المرتين الأوليين نعيما مقيما وهناء ورغدا •• حتى اذا ذهب فردا غير رسمى شهد مدينة تعتبر من أغنى المدن •• الماء فيها من طلمبة واحدة لم تمد به المنازل •

وانما يملأون الأوانى من هذه الطلمبة كما كان الحال فى الريف المصرى منذ سنوات •• وهذه مدينة •• وبطبيعة الحال الكهرباء لم تصل الى هذه المدينة •• وبطبيعة الحال تستطيع أن تتصور الحياة كلها فى جنة الشيوعية •

ونسمع عن هذه الجنة فى ألمانية الشرقية وكيف وصل الضيق ببعض الذين يعيشون فيها أنهم ركبوا قطارا ودخلوا به فى السور القائم بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية مقدرين واحدة من اثنتين اما أن ينجوا ويتركوا الجنة أو يموتوا • فالموت عندهم أرحم من الجنة التى يعيشون فيها •

ولا أريد أن أعيد ذكر المجر وتشيكوسلوفاكيا فالجميع يذكر ما حدث فيهما •

ان النظريات السياسية ليست نظريات ميتافيزيقية تقال ولا يهم أن كانت تطبق أو لا تطبق • انما هى نظريات قامت أولا وأخيرا من أجل حياة الناس والتطبيق فيها هو النظرية لا انفصال بينهما بل هما متلاحمان

متلاصقان كوجهي العملة لا يفترقان • ولقد سمعنا النظرية ورأينا تطبيقها ومن العبث اليوم أن نناقش النظرية بعيدا عن تطبيقها • انما التطبيق وحده هو الذى يجب أن يناقش اليوم وليس غيره •

ولقد طبقت النظرية الشيوعية فى أنحاء شتى من العالم ومن واجب علماء المجتمع والاقتصاد أن يناقشوا اليوم التطبيق ويكفوا عن مناقشة النظرية • فالنظرية والاسم مشتق من النظر دون العمل لم تعد ذات شأن الآن وانما هى جزء من التاريخ الفلسفى الاهتمام به اهتمام جدلى لا قيمة له وانما الذى يناقش اليوم هو التطبيق بعد مرور ستين عاما عليه •

لقد تبلورت النظرية تماما ووضحت آثارها •• ولا أريد أن أناقش فلست عالما اجتماعيا ولا عالما اقتصاديا وانما أنا مشاهد • ولقد شهدت روسيا وهى تعلن الانفتاح على الغرب اذن فالنظرية أفلست عند التطبيق •

وشهدت الأحزاب الشيوعية الأوربية تعدل عن نظرية حكم البروليتاريا • وعن نظرية مصادرة الأموال الخاصة المنتجة • وتأخذ بفكرة الحافز الشخصى •• اذن فالنظرية أفلست عند التطبيق •

وفيم هذا الحديث أسوقه •• أكان المخربون المدمرون يفكرون فى خير مصر أو يتوهمون أن نظريتهم ستجلب الرفاهية والسعادة لمصر •• اللهم لا •• أنهم يعرفون من حقيقة تطبيق نظريتهم ما لعلنا نجهل •• اللهم ما أرادوا الا نفعهم الخاص ورفاهيتهم هم حكاما ينهبون حريتنا ويقتاتون من أمننا وسلامة أمتنا •

ولكن هيهات •• هيهات •• فوالله ثم والله لن يكتب لهم أن يحكموا مصر هذه المؤمنة الطاهرة وان كان لهم من الشيطان كل ظهير •

حديث معاد

الخطابات لا تنقطع عن الأهرام فى شأن سن التجنيد الذى ارتفع الى الخامسة والثلاثين مما يؤكد أن قوما كثيرين يصيبهم هذا القانون بنوع من الرعب ينغص عليهم حياتهم جميعا وها أنذا أعيد الكتابة فيه •

ولقد سمعنا أن قانونا سيقدم الى مجلس الشعب فى هذا الشأن • ولكننى لا أعرف شيئا مؤكدا فان أحدا لم يتصل بى بصفة رسمية من المسئولين • وهو موقف لا شك أنه غير سعيد بالنسبة للآلاف الذين يترقبون اجابة فى هذا الشأن •

وربما كانت الاضطرابات الأخيرة عائقا بعض الشيء ان يفكر المسئولون فى موضوع آخر ٠٠ ولكن وقد هدأت الحال وبدأ الناس يعيشون حياتهم التى ألفوها ٠٠ ألم يحن الوقت أن نسمع شيئا ٠٠ اننا لا نملك الا الأمل ٠٠ وما هو بقليل ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٤/٢٦٠

والملائكة

حين يرتفع الانسان الى مسابح السماء وتدف له أجنحة كأجنحة الملائكة يحقق جانبا فى الانسانية أصبح معطلا غائبا عن الحياة ٠

وقديما قيل ان الحيوان صنع من الشهوة وان الملائكة صيغت من الروح وان الانسان ركب من كليهما ، فمن غلبت شهوته على روحه كان شرا من الحيوان ومن غلبت روحه على شهوته كان خيرا من الملائكة ٠

ومنذ عهد ليس قريبا اتهم أحد الضباط بأنه يتآمر على قلب نظام الحكم وزج به الى المعتقل دون محاكمة وما لبث أن جاءه من جاءه ٠

ــ اعتذر يفرج عنك فى الحال ٠

ــ أعتذر عن ماذا ؟

ــ عما فعلت ٠

ــ فاذا كنت لم أفعل شيئا ٠

ــ اعتذر والسلام ٠

ــ اذا اعتذرت فقد أعترفت اننى صنعت شيئا ٠

ــ أنت تريد أن تبقى فى السجن ٠

ــ أنا لا أريد أن أعتذر عن شىء لم أصنعه ٠

ــ حتى لو أدى ذلك الى أن تبقى فى السجن سنين لا تعرف لها عددا ٠

ــ أن أبقى فى السجن وأنا مرتاح الضمير خير من أن أكون خارج السجن وقد صنعت شيئا لا يرتاح اليه ضميرى ٠

ـ محاولة بطولة ٠

ـ بل محاولة شعور بالرضاء عن النفس ٠ ان نفسي اذا أغضبتها أصبح عذابها لى أكبر من أى سجن أو قيد ٠ ان نفسي هذه لا تتركنى فى صباح أو مساء وستظل تنغص على عيشى جميعا فارضاؤها عندى خير من تركى للسجن ألف مرة ٠

ورفض الضابط أن يعتذر وظـل فى المعتقل الى أن فتحت جميـع المعتقلات ٠

لو كان هذا الضابط صنع هذا فقط ما اهتممت بهذا الحديث عنه٠ فالذى يرضى ضميره ليس ملاكا وانما هو انسان يقارن بين حرية النفس والحرية من القيود ويختار حرية النفس ٠

ولكن الذى وقع لهذا الضابط فى السجن هو الذى جعلنى أقدم قصـته ٠

مرت على السجين فترة فاذا هم يأتون له بزميل فى السجن ٠ وتقوم بينهما صلة أقرب ما تكون بصلة الأبن البار بالأب صاحب المثل الرفيعة٠

أما الأبن فمهنـدس فى بواكير عمـره وأما الأب فهو من عرفت ٠ أما التهمة التى دخل بها المهندس الى السجن فليس لها أى أهمية فقـد لا تكون هناك تهمة على الاطلاق ٠

أعجب الضابط بالمهندس وأحبه وأحب المهندس الضابط حتى كان يوم سمعا فيه أن المهندس أوشك على الخروج من السجن فتقدم المهندس الى الضابط ٠

ـ لقد عاشرتنى وعرفتنى كما يعرف الأب أبنه ٠

ـ واحببتك أيضا كما يحب الأب ابنه ٠

ـ وانى أريد لهذه العلاقة أن تتوطد ٠

ـ ليس من سبيل ٠ فليس هناك علاقة أوطد من علاقة الأب بابنه ٠

ـ ان لك ابنة وأريد أن أخطبها ٠

ـ لكم أحب ذلك ٠

ـ لقد عرفتها وعرفتنى من زيارتها لك وما أظنها ترفضنى ٠

ـ اسمع ان ابنتى فى الجامعة ٠

ـ أعرف ذلك ٠

ـ والأغلب الأمر أنها ستجد من يخطبها ٠

ـ لا شك فى ذلك

ـ ان أردت أن تقدم لى معروفا فاخطب ابنة أختى ٠

ـ أخطبهـــا ٠

ـ انها لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولن تجد شخصا يكرمها فكن أنت هذا الشخص ٠

ـ سأكون ٠

هنا ارتفع الانسان الى مسابح الملائكة ٠ كلاهما كان عظيما أما الأب والخال فقدم مصلحة ابنة أخته على مصلحة ابنته وفضل أن يخطب الشاب الذى عرفه وأحبه وأعجب به والذى يستطيع أن يطمئن على فلذة كبده اذا هى عاشت فى حماه ابنة أخيه وليس ابنته ٠ وأما الشاب فقد قبل فى سبيل الصـــداقة والاعجاب بالمثل الرفيعة التى رآها فى الضابط أن يخطب فتاة كل ما يعرفه عنها انها تجهل القراءة والكتابة وهو من هو علما وثقافة ٠

وخرج المهندس من السجن وخطب ابنة أخت الضابط ٠

ولم تنته القصة ٠

بدأ المهندس يعلم الفتاة ٠ ثم انتظمت فى الدراسة ٠

واليـــوم ٠

المهندس فى بعثة فى أمريكا والفتاة معه تعد نفسها لتنال الدكتوراه فى الآداب ٠

ان السماء دائما تحب الملائكـة ٠

النصــيحة

قديما قيل أن النصائح هى أبغض الطيبات الى النفوس ٠ ترى هل تجدى النصيحة فى شىء ٠

اذا جاءك منتصح يطلب الرأى أتظن حقا انه يريد أن يعرف رأيك ٠ انه واحد من اثنين اما انه يريد أن يصنع شيئا ما ويريد أن تؤيده فان لم تفعل فهو لن يأخذ بنصحك وأما أنه لا يريد أن يصنع هذا الشىء فهو يريد حجة تركن اليها نفسه حتى لا يصنعه وعلى الحالين نصحك لا قيمة لـــه ٠

وهذه النصائح فى التليفزيون والاذاعة أتجدى فى شيء ·

هل هناك لص لا يعرف ما ينتظره اذا كشف أمره ·

هل هناك أحد لا يعرف أين الخير وأين الشر ·

اننا جميعا نعلم أن الجنة حفت بالمكاره · لان الشر ممتع والمحرم تطلبه النفس فهل تجدى فى ذلك نصيحة ·

اننى شخصيا أعجب من اللصوص وخاصة أولئك الذين يدخلون فى تزويرات بنكية يعلمون أنها ستكشف ان عاجلا أو آجلا · كيف يتأتى لهؤلاء الناس أن يلقوا برؤوسهم آخر النهار على وسادة ويصيبوا من النوم ما يصيبه البرىء ·

كيف لا ترتجف نفوسهم ذعـرا من قول الناس عنهم أنهم لصوص أفاقون لا شرف لهم ولا ضمير ·

كيف يقبلون أن يكون أبناؤهم حاملين لوزرهم ما أقاموا على الحياة ولكن أهم يجهلون شيئا من هذا ؟

انهم يعلمون كل العلم · ومع هذا يزورون ويسرقون وتزداد فى كل يوم نسبة المزورين ·

والحقيقة اننى لا أعرف لهذا علاجا فالدول المتحضرة فيها من السرقات مثل ما عندنا بل لعلهم يتفوقون عنا فى السرقة · فالحضارة اذن لا دخل لها فى هذا الأمر · انما المؤكد على كل حال اننى أرى أن النصيحة الصريحة التى تتقدم بها وسائل الاعلام عبث · وأنه لابد لهذه المشاكل أن تبحث لنفسها عن طريقة أخرى تقدم بها نصيحتها · ولا أعتقد أيضا أن الأعمال الدرامية التى أصبحوا يطلقون عليها هادفة تصلح لهذا الأمر · فالعمل الدرامى الساذج يحض على الجريمة بدلا من أن يحاربها ·

الذى لاشك فيه أن الحياة تشابكت بحبال من البغض والكراهية والاحقاد وأصبح المال يسيطر على معاقد هذه الحبال وجن الناس فأصبحوا يحاولون انتهابه من أى سبيل حتى ولو قادهم هذا السبيل الى السجن والاحتقار · وكما هى معقـدة متشابكة هذه الحبال تجـد موضوع المال غريبا تتلاحم فيه المتناقضات جميعا · فالناس جميعا تحب المال لتكون موضـع احترام الآخـرين ومع ذلك يسعون اليـه بما يجعـل الآخرين يحتقرونهم · والعجب ألا عجب من هذا جميعا أن الناس تحترم اللص وهى تعرف أنه لص ولا يبدأ احتقارهم له الا حين ينكشف أمره · انهم يحترمون المحتال الذكى ولا يحترمون المحتال الغبى · فالاحترام والاحتقار لا يتفاعل مع الشرف أو النزاهة وانما مع اتقان الاحتيال أو عدم اتقانه

وان كان لابد من المفاضــلة فالمحتال الفاشــل ـ لا شك ـ خير من المحتال الناجح لأن الفـاشل فى أغلب أمره يكون مبتدئـا مازال هشا لم يملك الصنعة ولكن الناس لا يهمهم من هذا جميعه الا أن يظل أمر المحتال مكتوما لا عن المجتمع فالمجتمع لا يهتم وانما عن النيابة العامة ٠

المـــرور

ظاهرة عجيبة أصبحت منتشرة هذه الأيام ٠

الشوارع ذات الاتجاه الواحد البعيدة بعض الشىء عن وسط المدينة أصبحت فجأة ذات اتجاهين ٠ وليس ذلك بأمر المرور وانمـــا بوقاحة السائقين وحرصهم على كسر أوامر المرور ٠

أننى من أكثر الناس الذين يدفعون مخالفات فى القاهرة فان ما أدفعه يكون لادارة المرور ثروة سنوية لا بأس بها ٠ ولكننى مع ذلك لا أرى حلا لمشكلة المرور الا برفع قيمة المخالفات رفعا يجعل الناس تفكر كثيرا قبل ان تخالف ٠

أما أنا فمخالفاتى جميعا بلا اســتثناء هى الوقوف فى الممنوع ٠ ولن أدافع عن هذه المخالفة فهى خطأ لا شك فيه مهما يكن العذر فيها واضحا ٠ ولكننى مع ذلك أدعو الى رفع قيمة المخالفات جميعا بلا استثناء ٠ ولا أرى مانعا أن تصل العقوبة لمن يسير عامدا فى شارع ذى اتجاه واحد على عكس اتجاهه الى الســجن أو سحب الرخصــة فالمرور لا ينقصه العابثون أيضا ٠ وحياة الناس ليست هينة ؛ والذى لا شــك فيه اننا سنظل نخالف المرور طالما بقيت المخالفة قروشا قليلة لا تذكر ٠

الأهرام فى : ١٩٧٧/٥/١٠

الجهـة التى أرضيها

ويقولون ما زدت فى كثير من مفكراتك عن عرض بعض خطابات ساقها اليك البريد فانت لا تختلف فى شىء عن الباب الملاصق لمفكرتك والذى يحمل بريد القراء وكان تعليقى الطويل الذى أشفع به الخطابات هذر لا طائل تحته • وكانى لا أختار من هذه الخطابات ما يشكل مشاكل عامة تنصرف الى فئة كبيرة من الناس • ولكنها العين التى تريد ان تقدح متصورة انها تنقـد •

ولو اننا اغفلنا ما ياتى به الينا البريد لقيل عنا اننا حبوس ذواتنا ننتبذ من الشعب مكانا قصيا ومن مشاكل الجماهير برجا عاجيا •

ولو كتبنا دون أن نذكر الخطابات وأصحابها قيـل اننا ننسب لأنفسنا ما ليس لنا ونوهم أننا أصحاب الرأى بينما هو مزجى من البريد ونحن نخفى حقيقته ولو كتبنا كل مفكراتنا عما نقرأ قيل ما أيسر ما اختار يقرأ ساعة أو بعض ساعة فى المساء ثم يرمى بما قرأه على القراء بلا جهد ولا ابتكار •

وإن كتبنا ما يعرض لنا فى حياتنا وجعلنا كل مفكراتنا كذلك قيل وما شـأن النـاس بما يعرض لك وان حكينـا من حكايات الآخرين قيل ما أبسط ما يعرضه لقد أصبح الكاتب الروائى ذو الرأى والفكر حكاء حواديت على آخر الزمان •

ولو اننا علقنا على أحداث الساعة وأدلينا فيها برأى قيل رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ما للأديب وللسياسة •

كل من لا يجد كلاما يكتب فى السياسة صنعة من لا صـنعة له ومطية من لا يجد مركبا •

ولو اننا ألقينا الى التاريخ البعيد أو القريب نظرة وعقدنا المقارنات بينه وبين حكم بذاته أو حاكم بعينه قيل رمز دون حاجة الى رمز والغز حين الايضاح لا لوم عليه ولا تثريب ·

وان عرضنا فى المفكرة لمشكلة أدبية قيل وما شأن قراء المفكرة بالأديب والادباء أليس الأجدر بهذا الكلام أن يكون فى صفحة الأدب وان كتبنا فى الدين قيل تفيهق ولبس العمامة على رأس لا شأن له بأمور الدين ·

ومنذ عشرين عاما ظهرت لى رواية تناولها ناقد بقدح أصابنى أنا شخصيا وكلمت أستاذنا نجيب محفوظ وأنا مغيظ محنق أسب وألعن فاذا هو يقول فى هدوء « هون عليك أتريد أن تكتب ولا تسمع الا مديحا ··· اننا لو أرضينا نصف قرائنا لبلغنا أقصى غايات النجاح » ·

وأنا منذ بدأت الكتابة لا احاول أن أرضى الا جهة واحدة وقد ارضيتها طوال الثلث قرن الذى أمسكت فيه القلم ··· هذه الجهة هى ضميرى أنا · وأحمد الله ما كتبت شيئا يخالفه وقد غضب أقوام على ما كتبت ورضى آخرون وأنا لا أنظر الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وانما عينى وقلمى على ضميرى هذا وحده وقد شقيت بهذا شقاء ماديا وسعدت بهذا سعادة لا يعرفها الكثيرون فليقل قائل ما يريد فاننى عن هذا النهج لن أحيد ·

رجاء الى أعضاء مجلس الشعب

أحسست وأنا أتابع جلسات مجلس الشعب بعض الأعضاء يتكلمون وعيونهم حيرى تبحث عن البطولة من أى طريق والبطولات فى عصور الحرية ليست سهلة المنال · فما دمت تعلم انه لا بأس عليك أن تقول ما شئت بأية وسيلة شئت فلا بطولة · وما دمت تعلم أن المعتقلات قد أقفلت ووسائل التعذيب قد محقت الى غير رجعة فلا بطولة هناك البطولة الوحيدة التى يستطيع أن يدركها المتكلم فى مجلس الشعب أن يكون أمينا فى نقده صادقا فيما يعرض له من موضوعات · والبطولة التى لا تأتى عن طبيعة والتى لا تواجه موقفا يستحقها بطولة جوفاء تجعل صاحبها صغيرا ·

والمعارضة شىء أساسى تنعدم الديمقراطية بغيرها وتنعدم معها الحياة النيابية بطبيعة الحال · ولكن لا بد أن تكون المعارضة جادة والافقدت احترامها عند الناس واذا فقدت المعارضة احترامها فقدت وجودها وتأثيرها · فليس من الحتم أن تعارض المعارضة الحكومة فى كل شىء لتبقى على نفسها اسم المعارضة · بل أن تأييد الحكومة فى الأعمال التى تستحق

التأييد يجعل المعارض محترما عند الناس ويجعلهم يصغون اليه مؤمنين بما يقول ويجعل الحكومة نفسها تقدر رأيه حين يعترض على عمل لها . فمثلا حين يترك الوزراء السيارات الكبيرة ويركبون سيارات صغيرة لابد أن تعترف المعارضة أن هذا عمل جدير بالتأييد فهو اجراء يتمشى — ولا شك — مع ما تعانيه الجماهير من جهد . ويدل — على الأقل — أن وزراء الشعب يحسون بما يعانيه الشعب . كان من الطبيعي أن تمتدح المعارضة هذا التصرف . فان رأت أنه عمل طبيعي لا يستحق الشكر كان من الطبيعي أن يترك الأمر دون تعليق عليه . ولكن خيل للمعارضة انها اذا فعلت سيسحب منها لقب المعارضة فاسمع عضوا بمجلس الشعب يتحدث عن لون هذه السيارات التى يستخدمها الوزراء . انها خضراء . عجيبة أترضى المعارضة اذا أصبحت السيارات حمراء أو صفراء ما هو اللون الذى تريده المعارضة اذن ؟ أهذا موضوع يستحق التعليق فى مجلس الشعب السلطة التشريعية العليا فى البلاد .

وعضو آخر خيل اليه أن المعارضة هجوم لفظى وياليته كان هجاء أدبيا اذن لحمدنا فيه الفن الأدبى اذا أمضنا منه اللفظ المنحرف . الا أنه هجاء يستمد مراجعه من روايات المسارح التهريجية التى كنا نتمنى أن يفنو تأثيرها فى من هم أقل ثقافة من أعضاء مجلس الشعب .

ان مجلس الشعب اليوم أمل كبير وانى أسألكم يا أعضاءه بحق هذا الوطن ألا تخذلوا الأمانى الكبار المعلقة عليكم .

ان الشعب يجب أن يسمع منكم الحقائق لا محاولات فارغة فى البطولة اللفظية .

ان الشعب يريد من مجلس الشعب ألا يتصدى عضو فيه لموضوع الا بعد أن يقتله دراسة وتمحيصا حتى اذا قال كلمته وصلت حيث ينبغى لها أن تصل .

ليس من المهم أن يعلق العضو على كل ما يعرض على المجلس ولكن المهم أن يكون تعليقه جديرا بالأمانة العظمى التى يضعها الوطن على أكتافه. وعضو مجلس الشعب يجب أن يعرف أنه يمثل مصر كلها لا الدائرة التى انتخبته فقط فليلق نظرة الى الشعب أجمع لا الى ناخبيه وحدهم .

يا أعضاء مجلس الشعب اننا نرجوكم باسم الشعب أن تدركوا كم هى عظيمة هائلة تلك الآمال التى نعلقها بتصرفاتكم وبأقوالكم وبمجلسكم معارضين كنتم أو كنتم مؤيدين .

ذكريات من اليابان

كان لابد أن تمر هذه الفترة حتى أستطيع الكتابة مرة أخرى عن اليابان فقد كان وجودى فيها دون رفيق رحلة آخر يشعرنى بالوحشة الشديدة والوحدة القاتلة • ولولا السفير والدكتور الدمرداش لحزمت أمتعتى وعدت فى اليوم التالى من الرحلة مهما يكن فى ذلك من جهد ومشقة • فالشعب هناك لا يعرف لغة الا اللغة اليابانية وليس هذا غريبا فلغته تستغرق عمره كله ليعرفها • وهكذا لم يكن بينى وبين أحد حديث. وانما كل التفاهم الممكن قصاصة من ورق عليها عنوان السفارة مكتوب باللغة اليابانية أدور بها على سائقى التاكسى فمن فهمها منهم أركبنى وأنزلنى دون أن نتبادل كلمة واحدة ومن لم يفهمها أشار برأسه أو بيده أن لا فأفهم أنا وأتجه الى سائق آخر •

وزاد من وحشتى الأسعار هناك • ففى الفندق الذى أنزل فيه وجدت رباط رقبة أعجبنى وأن لم يبهرنى • ولما كنت أعلم أن الدكاكين التى تقام فى الفنادق دائما غالية الثمن فقد ترددت كثيرا قبل أن أسأل عن ثمن هذه الكرافته • وأخيرا جمعت شجاعة لا أدرى ماتاها ولعلها شجاعة المفلس الذى يغلب السلطان ودخلت الى المحل •

ــ بكم هذه ؟

وفى المحلات يتكلمون الانجليزية بطبيعة الحال ولكن بالقدر الذى يقولون به الثمن •

ــ بسبعين ألف ين •

لم أصدق أذنى فمعنى هذه الكلمة التى قالها أن رباط العنق الذى لم يبهرنى يساوى مائة وأربعين جنيها استرلينيا • وأحببت أن أصحح الأمر لمجرد المبدأ فقط •

ــ تقصد سبعة عشر ألف ين •

ودون تردد قال •

ــ أقصد سبعين ألف ين •

وخرجت دون أن ألقى عليه أية تحية فقد أدركت أن الصلة بينى وبينه انقطعت الى الأبد •

وحين وهمت أن الحرير اليابانى رخيص واننى أستطيع أن أشترى حلة أو اثنتين انهارت آمالى جميعا فالقطعة التى تستطيع أن تصنع لى حلة تكلف هى أيضا مائة وأربعين جنيها •

بطبيعة الحال هذا الغلاء يدل على أن فى اليابان من يستطيع شراء مثل هذه الأشياء ولكن قبل أن أختم كلمتى أحب أن أذكر تعليقا لحرم السفير حين علمت بسعر الكرافته قالت :

ـ حين أعرف أن شخصا ما يلبس كرافته بمائة وأربعين جنيها فاننى أحتقره ·

وأعتقد أن غالبية الناس فى العالم أجمع تشارك حرم السفير فى هذا الشعور ·

الأهرام فى ١٩٧٧/٥/٢٤

اسبوع من الشباب والأمل

كنت بين واجبين كل منهما حبيب الى نفسى قريب اليها يعنينى أن البيهما ولكن ظروف الزمان والمكان وقفت دون ذلك فكان على أن أختار ٠

كنت بين واجب حضور توزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقة نادى القصة وبين حضور مؤتمر وندوة بالاسكندرية ٠

فأما جوائز نادى القصة فانه يهمنى كل الأهمية أن أكون بين الحضور فأنا أعمل بالنادى وأنا عضو به منذ نيف وعشرين عاما ويعنينى أن أرى عيون الشباب المنعمة بالأمل وهى تنظر الى المستقبل رصعة لهم فوزهم بالجوائز ويسعدنى أن أشد على أيديهم وأدعو لهم بالتوفيق والصبر فى طريقهم الذى يضعون أقدامهم على أوله ٠

أما المؤتمر والندوة بالاسكندرية فيقوم بهما شباب من الجامعة أحرص على لقائهم ما وسعنى الجهد وأحرص على تلبية دعوتهم مهما يصادفنى من عراقيل فى هذا السبيل ٠

وحين تنازعتنى الرغبتان وتجاذبنى المكانان رأيت أن أحسم أمرى آخر الأمر وأذهب الى الاسكندرية فقد عرفت ان الشباب هناك اعتمدوا على أن أحضر مؤتمرهم وندوتهم وقد يكون فى غيابى ما يشكل نقصا فى تجمعهم ٠

أما توزيع الجوائز فيقوم به فى كل عام الأستاذ يوسف السباعى نائب رئيس النادى وفى وجوده الغناء كل الغناء ٠

كان المؤتمر فى الاسكندرية بناء على دعوة موجهة من طلبة فى كلية الطب وكان موضوع المؤتمر العلمى الشباب والتنمية ٠

وفجأة وجدت نفسى فى وسط علمى كامل أوشك أن أشم به رائحة المعامل وبدأ الشباب يتحدث منهم المعيد ومنهم المدرس ومنهم الأستاذ ومنهم الطالب ٠

رعاك الله يا مصر وما زلت مولد آمال تتجدد بتجدد الأمل فى بنيك ٠ الشباب هناك يعرف ما تعانيه بلده ويريد أن يحطم المستحيل ليصل ببلاده الى السعادة والرغد والهناء والرفاهية ٠

تناقش الشباب حول الهجرة أو البقاء ٠٠٠ شباب متبصر يعرف طريقه منهم من يزوده فى حماسة رومانسية تريد لبلادها السعادة ومنهم من يزوده فى حماسة واقعية يرى فى سعادة الأفراد سعادة الأمة ٠ ومصر دائما هى الدماء التى تسرى فى أحاديثهم وهى الباعث وهى الأمل حتى الشباب الذى يفكر فى الهجرة نرى مصر فى عينيه وفى شعيرات عروقه وفى ومض عينيه ٠

شباب جاد هازل ٠٠ ليس الحديث عنده بضاعة وانما عمل ، فترى هناك وتسمع عن تجارب قام بها شباب الطلبة مع الأساتذة أصحاب الكراسى فى القرى ليعرفوا أدواء الريف وليحاولوا علاجه وهم فيما يقومون به من تجارب يعتمدون على مواردهم المالية وخدها ويبذلون فى سبيل ذلك أشد الجهد والمعاناة ٠ قد يقول قائل شباب صالح قوى ويتحمل هذا الجهد ولكنك تذهل حين ترى الأساتذة الذين يتخطون الكهولة وهم يضحون براحتهم وبما تعودوه فى بيوتهم من دعة وهناء ليذهبوا الى الريف حيث لا يتوفر لهم سكن يصلح ولا مقام يجدر بمن كان فى مثل سنهم يعملون مع الشباب يدا بيد فى محاولة جادة للتعرف على أدواء الريف ولتبصير الفلاحين بما ينبغى لهم أن يصنعوه حتى يتغلبوا على بيئتهم ٠

ان الذين ينظرون الينا من وراء الأكداس الذهبية على اننا شعب خربت جنباته فأصبح يبابا لا يرون الا تافة الأمور وحقيرها ٠

نعم ان الطرقات عندنا مليئة بالحفر والمواصلات أصبحت مقاطعات من القطيعة لا المقاطعة والغلاء فاحش والأجور هزيلة ٠

نعم اننا شعب طحنته الحروب التى خضناها من أجل العرب ولكن أيها الناظرون الينا من وراء الأكداس الذهبية اننا الأغنى واننا الأكثر ثراء بل ان ثراءنا الفاحش جدير بكم أن تحسدونا عليه وانكم لتفعلون ٠

أن شابا واحدا من شبابنا وأستاذا واحدا من أساتذة جامعاتنا يساوى كثيرا من الذهب الذى يتصور البعض انه من الممكن يعيرنا به ٠

ان شبابنا هنا لا يركب السيارات الفارهة ولا يمشى فى الأرض مرحا ولا يفكر انه خارق الأرض أو بالغ الجبال طولا ولكنه شباب يتعلم في تواضع العالم وكبريائه ويبنى لمصره في كل يوم ثراء هيهات هيهات أن يصل اليه ثراء الذهب ٠

ملأني الزهو بأبناء الطب وبأساتذة الطب وبدأت بعد سنوات طويلة من اليأس أنظر الى المستقبل فى أمل بسام سعيد ٠

وكان يوم الأربعاء موعدى مع ندوة فى كلية الحقوق ٠٠ ولكلية الحقوق دائما رنين فى قلبى لم تغيره الأيام ففى هذا المعهد تخرجت وان كان تخرجى فى حقوق القاهرة فلا بأس فحقوق الاسـكندرية أختها وصنوها ٠

وأنا من الذين لا يحنون الى أيام الدراسة ٠ بل أنى كلما ذكرت الامتحان والرعب الذى يتولانا ونحن اليه ذاهبون والذهول الذى يتغشانا ونحن هنا صادرون أصاب بنوع من الانهيار العصبى لا يزول عنى أو أذكر اننى تخرجت واننى لن أتعرض لمثل هذا من بعد ٠

فاذا حل بى كابوس فى النوم فالكابوس هو اننى مازلت طالبا واننى امتحن وأسأل الذين يعذبوننى بالامتحان ما لكم تفعلون بى هذا ألم أتخرج فما هذا الامتحان وهكذا يتمثل لى الكابوس خليطا بين الحقيقة السعيدة اننى تخرجت والوهم المخيف اننى لابد لى أن أمتحن ٠

ولكن هذا جميعه لا يمنع أن لقائى بالحقوق والحقوقيين يملأ نفسى سعادة فينشرح صدرى وترتع نفسى فى هناءة أى هناءة وصفاء أى صفاء ٠

أحس وأنا بين الحقوقيين اننى بين عشيرتى الأقربين واخوانى وأبنائى فى طريق الحياة ٠

وفى كلية الحقوق كان زميل ندوتى الدكتور على البارودى العميد السابق للكلية والأستاذ بها الآن والرجل الذى زاحم كتاب الرواية بعمل جديد من روايته مسافرون بلا زاد ٠

وكان الزميل الآخر هو الأستاذ محمود فوزى المحامى الشاب والأديب الشاب أيضا ٠

وكانت الندوة أسئلة من الطلبة نجيب عليها نحن ٠ كانت الأسئلة كلها جادة فيها حماس الشباب وحكمة الباحث عن الحق ٠

كان من الأسـئلة التى وجهت الى من الذى تقصـده بروايتيك الرمزيتين « هارب من الأيام وشىء من الخوف » وكان واضحا أن صاحب السؤال قد قرأ الروايتين وأجاد قراءتهما وكان واضحا أيضا أنه يعرف رأيى فى موقف الكاتب من تلك الطلاسم الرمزية فى أعماله ٠ فانى دائما أقول ان الكاتب لا يجوز له أن يحدد المعانى التى قد يصل اليها القارىء فهذا التحديد يقتل خيال القارىء ويفقر الثراء فى العمل الأدبى وصاحب

السؤال أرادنى فى هذه الجلسة العائلية الكبيرة المتسعة أن أتخلى عما كنت أنادى به ٠

وأجبت صاحب السؤال والجواب قاعدة أحسب انها خليقة بأن تكون معروفة فانه مهما يكن العمل الأدبى قد رسم شخصية معينة واستوحى جوانب هذه الشخصية فى العمل الفنى فان هذه الشخصية بعد ان يتم العمل يجب ان تموت ولا يبقى الا الشخصية الفنية ٠ ذلك لأن الانســان مصيره الموت الذى لا شك فيه بينما العمل الفنى يجب أن يبقى بعد حياة الانسان ٠ ومهما يكن هذا البقاء ضعيفا أو قويا فانه على أية حال بقاء ٠ فالبقاء خاصية من خواص العمل الأدبى والفنى بينما الفناء خاصية من خواص الانسان العادى سواء كان هو الموحى أو هو المستوحى ٠

وتكاثرت الأسئلة وحاول بعض قليل من الطلبة أن يميل بندوتنا الأدبية الى السياسة فلم أر بدا أن أرجو هؤلاء الطلبة من محبى السياسة الى لقاء آخر بعد الندوة ٠

وكان هذا اللقاء والعجيب أن جميع الطلبة قد شاركوا فيه. الاختلاف الوحيد هو اننا أصبحنا وقوفا وهم يتحلقون حولى بعد ان كنا جلوسا فى نظام وهدوء ٠ وهكذا شأن السياسة ترغم على الوقوف دائما ٠ فى هذا اللقاء تبينت أن شبابنا ملىء بالخير ويحب بلده حبا خالصا لا شبهة فيه ٠ بينهم المتعجل وبينهم المتأنى ولكنهم جميعا يعرفون الويلات التى لقيتها مصر وبعض منهم قليل يريد اصلاحها فى عجلة من شبابه ولكن الأغلبية الكاثرة تعرف ان الخطى الوئيدة هى دائما الخطى السديدة ٠

سلام على شباب الاسكندرية وجامعتها بجميع كلياتها فقد التقيت فى المؤتمر والندوة بطلاب من الهندسة والآداب والتجارة وغير ذلك من كليــات ولعلهم الآن يظنون أن تحيتى اليهم مجاملة وهم لا يعرفون أى سعادة عدت بها من جمعهم الرائع الملىء بالبشريات والآمال وحسب من كان مثلى أن يجد جمعا يجدد فيه الأمل ويرسل الى نفسه البشريات

الأهرام فى ١٩٧٧/٥/٣٢

الشباب والحرية

جاءني خطاب على جانب من الأهمية لأنني احسب أن الأفكار التي أبان عنها صاحب الخطاب تدور في رأس كثيرين من امثاله الشباب • الخطاب من الأستاذ محمد عبد الوهاب حسن بكلية آداب القاهرة وأحسب أن أبدا حديثي اليه انه يجب علينا يا أستاذ محمد أن نحمد الله جميعا ان جاء علينا الزمن الذي تستطيع أن تكتب فيه هذا الخطاب وتمهره باسمك الصريح غير خائف من السلطات غير مشفق من قهر أو أعقاب لهذا الخطاب • وقد مر علينا حين من الدهر كان مجرد التفكير في شيء يدور حول الحرية او حرف من حروفها يجعل نفوسنا تجزع من نفوسنا ، وعقولنا تتبرأ من عقولنا ، وضمائرنا تقفل دون ضمائرنا •

فانت اليوم تنادى بمزيد من الحرية وتطلق نداءك في اسلوب عربى مبين لولا ما به من أخطاء نحوية قليلة لكان اعجابى به شديدا •

لا عليك ولا علينا من هذا الآن فالذى لا شك فيه انك الى غير اللغة قصدت والى غير الابانة ونصاعة الاسلوب هدفت تقول يا أخى عن وصف موضوعك •

« انه موضوع قديم حديث •• الا وهو موضوع الحرية والديموقراطية فى مصر اليوم فالحديث لم يتوقف ولن يتوقف عن الديموقراطية وعن الحرية .» ؟

وتقول :

« لقد قرأت كثيرا لك ولغيرك عن هـذا الموضوع ولكن الكـلام شيء والواقع الذى ألمسه وأعيشه وأحسه شيء آخر وبمعنى أدق شيء متناقض مع القول تماما فالحرية اليوم لهـا شروط خاصـة والديموقراطية لهـا مواصفات معينة فمن افتقد هذه الشروط وتجاهل هذه المواصفات حرم من الحرية والديموقراطية » •

وليس أدل يا أخى محمد على أن حديثك هذا لا يمثل الحقيقة من اننى أنشره لك وأستسمحك أن أناقشه فما دمت صاحب رأى فلابد لك أن تستمع الى صاحب رأى ٠

ما أظن العهد قد بعد بزمان كانت حرية مراكز القوى فيه هى هتك الأعراض واستلاب الأموال واختطاف الأرواح وتمزيق الأجسام والأرحام وصلات الاخوة والقربى بين الناس ٠

ولا شك انك سمعت عن حفل التكريم الذى أقيم فى عهد مراكز القوى لفتاة وشت بأخيها لدى السلطة منبئة أن أخاها يتناول العهد فى جلساته الخاصة بالتجريح والنقد ٠ وأنت يا أخى ترى أن الحرية ليست حقيقية لأن بعض صحف طلابية قد احتجبت ٠

هل كنت تقرأ هذه الصحف يا أستاذ محمد ؟

وهل الحرية عندك هى الفوضى ؟

وهل الحرية هى التشهير بالذمم والأعراض والقيم بلا دليل ثابت وبلا ضمير يراجع وبلا حق واضح ٠

وهل الحرية أن ينفصل بعض الشباب فى جامعاتهم عن جميع طبقات الشعب ليكونوا دولة داخل الدولة لها صحافتها الخاصة ولها اتجاهها الخاص ٠

وهل الحرية أن نلقى الاذن ولا أقول اليد الى العدو ولا نستمع الى الصديق وهل الحرية أن تصبح الحقيقة ملكا لصاحب الغرض لا لصاحب الحق ٠ من جعل الحرية شيئا كهذا أو شيئا من هذا ؟!

انما الحرية قانون وليست الحرية فوضى ٠ ويوم تصبح فوضى يصبح القهر والظلم أرحم منها ٠

وأنت يا أستاذ محمد تقول وانى ناقل ما تقول بنصه ٠

« ماذا يمكن أن تقول فى هذه الحقائق بينما يترك الاقطاع ورأس الفساد فى مصر ما قبل الثورة ٠٠ يترك يتكلم ويتحدث مهاجما الثورة ورجال الثورة ويوزع خطابه فى نقابة المحامين ويطبع فى كتاب داعيا لعودة حزب الوفد ليحيى عهد الفساد ويشيع من جديد الافساد وهو يصرح علنا فى الصحف أنه يتشرف بتمثيل الاقطاع ٠

ما معنى هذا ؟! ألست معى فى أن للحرية « مقياسا » « معينا » وللديمقراطية « معيارا » « خاصا » مقياسا يسمح لفلول الاقطاع بالعودة للحياة بينما يخنق هذا المقياس صحف الطلاب ويمنعهم من المشاركة فى صنع الحياة فى مصر ٠

وأكتفى بهذه الفقرة من خطابك يا أستاذ محمد وأرانى أجذب منك يمينى فما أنا معك وهيهات لى أن أوافق على ما تقول فالقول عندك قد اختلط والأمر فى نظرك قد اضطرب فما أصبحنا ندرى أهى الحرية ما تريد أم هو القهر • وهى الديمقراطية ما تبغى أم هى الفوضى •

أتأخذ على الحكم أنه ترك الناس تقول ما تشتهى أن تقول وتأخذ على العهد أنه واجه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والرأى بالرأى • فما هذا الذى كنت تهفو اليه • أن يعود صاحب الرأى الى السجن أو الى الصمت • ما هذا الذى كنت تبغى • أن تظل مصر راسفة فى قيود الرأى الواحد والحزب الواحد والصوت الواحد والطبل الواحد والزمر الواحد • شاه هذا من رأى ومن صوت ومن طبل ومن زمر •

أكل ما تبغيه أن يسمح لبعض الطلبة أن يهاجموا الأعراض ويتهموا الناس بالباطل ويتلاعبوا بمشاعر الجماهير ويتاجروا بآلامه ومعاناته •
أهذا هو واجب الصحافة ؟

هل واجب الصحافة أن تصبح كنائحة المآتم تمزق الجراح لأهل القتيل وهم أدرى بجراحهم منها •

أيحتاج الشعب لمن يقول له ان الطرق مليئة بالحفر وان العيشة فى غلاء لا يحتمل وان التليفونات لا تعمل وان المواصلات لا توصل •

أنا لا أقول أن واجب الصحافة أن تستر العيوب ولو أنك قرأت ما تكتبه الجرائد لوجدتها مثلا تتعجل الفصل فى قضايا المال العام :

ولكنى أقول ان الصحافة عليها أن تنقل للشعب ما يفتح لهم أبواب الأمل •

والأمل الصادق هو الذى أعنيه لا الأمل الكاذب فالأمل الكاذب يزيد أعباء الحياة ثقلا وانهدام الأمل الجديد يزيد اليأس مرارة •

ولكن حين نرى الشوارع تحفر اليوم لتوضع سلوك جديدة للتليفونات الا تسمح لنا يا أستاذ محمد أن ندع الأمل يداعب نفوسنا ونرجو أن تحل احدى المشاكل التى نعانيها •

يا أستاذ محمد أذكر ـ ولابد انك ذاكر ـ أن هذا الحكم ورث عهدا دخل فى عدة حروب أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر حرب ٥٦ وحرب ٦٧ وحرب اليمن وحرب الكونغو •

وكان لابد لهذا العهد أن يدخل حرب أكتوبر التى لولاها ما وجد الانسان المصرى نفسه داخل نفسه •

اتستطيع يا أستاذ محمد أن تذكر لى ماذا قالت صحف الطلبة عن حرب أكتوبر هل أعطتها حقها التاريخى ..

اذا كان لك أن تطالب بالصحافة الطلابية يا استاذ محمد فلابد لهذه الصحافة أن تكون مصرية أولا .

وبعد يا أستاذ محمد من قال ان الصحافة المصرية بعيدة عن ايدى الطلبة وأنا واحد من الناس أفرح أشد الفرح حين أجد أعمالا تستحق النشر للشباب . ولكن كلمة تستحق النشر هذه هى موضع الخلاف وكل من يمسك قلما ويخط حرفا يخيل اليه انه أصبح أعظم أديب فى العالم فان رأى القائمون بالنشر غير ذلك فهم الجهلة وهو العالم وهم الخونة وهو الأمين وهم قتلة الحرية وهو الحر .

وهذا الكلام يا أستاذ محمد لا يقصد به شخص بذاته بل اننى أحسب انك أنت بالذات غير مقصود به فان اسلوبك يدل على أنك قرأت وان كنت مازلت مصرا على انك لابد أن تزيد من عنايتك بالنحو مهما تكن أخطاؤك النحوية أقل من أخطاء غيرك بكثير .

وبعد يا أستاذ فقد نشرت ما ظننت أنه لن ينشر . وما أظنك أردت أن تنشر رأيك ولا تسمح لى بنشر رأيى معه ولهذا أجزت لنفسى أن أناقشك وحسبك هذا وحسبى دليلا على أن حجم الحرية الذى تحقق فى بلادنا كبير بعد أن كنا قد يئسنا أن نرى أى وجه من وجوه الحرية يشرق على مصر .

الأهرام فى ١٩٧٧/٦/١٤

نحن أخوة والأعداء أكثر

في عام ١٩١٩ احتضن الهلال الصليب وقامت الثورة من المسلمين والأقباط لا هدف لها الا حرية مصر وجلاء الغاصب عنها .

وقد حاول الانجليز ان يثيروا الخلافات بدعوى أشهروها أنهم انما يدافعون عن الأقليات فخذلهم الأقباط خذلانا مبينا ورفضوا أن يكونوا سلاحا على أنفسهم وعلى مصرهم .

ومنذ ذلك الحين عاش الاخوان متحابين في وئام يعتبران وادى النيل منبع حبهما والوئام بينهما . ويتبادلان فيما بينهما من معاملات خير ما يتبادله أخوان .

وعندنا فى القرية عائلة قبطية تعيش منذ زمن لا نعرف متى بين اخوالها من الفلاحين المسلمين فى حب لا أعرف له مثيلا ومن هذه العائلة كان يوسف عبد الملاك وكان له محل بقالة وكان الاقبال عليه من القرية يكاد يقضى على أعمال البقالين الآخرين وكان أهل القرية يقولون ان يوسف صاحب ذمة ويرضى بأقل الربح .

وكان من هذه العائلة عطا الله أفندى وقد مارس التجارة وأكرمه الله فى آخريات أيامه وكسب من القطن مكاسب طائلة وكان من الذكاء بحيث توقف عن التجارة بعد هذه المكاسب .

ولم أر أهل القرية فرحوا بغنى أحد قدر فرحهم بغنى عطا الله أفندى رحمه الله .

وكان من هذه العائلة نجار وكان اقبال أهل القرية عليه يدعو الى الدهشة والاعجاب فى آن معا .

واذا كانت هذه المشاعر الفياضة النقية فى قرية صغيرة الاحتكاك فيها بين الناس شديد والمصالح فيها متشابكة متلاحمة فان هذه المشاعر

تجد فى المدينة المدى الأوسع وأرض الحب الأخصب والهواء الطيب الذى يغذيها ويزيدها نقاء ونماء ٠

ومنذ قريب كتبت هنا فى الأهرام اقتراح أن يتعلم الأطفال القرآن الكريم ليستقيم به لسانهم العربى ولعلى من تحرج خشيته قلت انه لا بأس أن يتعلم أبناؤنا الأقباط أشعار التراث ليقيموا بها لسانهم العربى ٠

وجاءنى بعد ظهور المقال خطابات كثيرة من أقباط يقولون انه لا حرج على أبناء المسيحية أن يتعلموا القرآن وقال أحدهم فى اسلوب عربى فصيح رفيع انه فى القرية كان يتعلم القرآن وكان أهله يسعدون وهم يسمعونه يردد آيات القرآن فى أفنية منازلهم وهو يقول ان هذا كان شأنه وشأن غيره من الأقباط ثم حين اشتد عودهم وذهبوا الى المدارس الأجنبية وكان معهم مسلمون وكانوا يقرأون الانجيل ويقول الكاتب فما أسلم الأقباط ولا تنصر المسلمون ٠ وشاعت هذه الروح الجميلة في جميع الخطابات التى جاءتنى فى ذلك الحين ٠

وقد عشنا عمرنا نرى أنفسنا أصدقاء للأقباط ونراهم أصدقاء لنا كذلك نحن وكذلك كان آباؤنا من قبل فما رأيناهم ينأون بجانب لهم عن صديق قبطى لأنه قبطى ولا رأينا أحدا منهم يميل عنا لأننا مسلمون ٠ وكم صادقنا من أصدقاء لا نعرف ديانتهم وانما ظللنا فترات نظن أنهم أقباط ويتضح لنا بعد سنوات أنهم مسلمون فما اختلفت المعاملة عن المعاملة ولا تغيرت الاخوة عن الاخوة ولعل أقرب مثل الى ذهنى ما حدث بينى وبين الأستاذ رأفت الخياط الذى عرفته فى الأربعينات وأنا معتقد أنه مسيحى حتى كان رمضان فى الستينات فاذا هو يقول أمامى أنه صائم وأعرف بعدما يقرب من عشرين عاما أنه مسلم وقد كان أخا لى قبل أن أعرف ومازال أخا لى بعد أن عرفت وان كان قليل الاتصال بى فى هذه السنوات الأخيرة ٠

وشهدت عمى عزيز أباظة مديرا لأسيوط ثم بعد أن ترك منصبه فلم أجد أصدقاء مقربين اليه مثل أقباط أسيوط جميعا بلا استثناء وكان قد دعا قوما كثيرين الى أسيوط وهو مدير لها فى احدى المناسبات وكنت بين المدعوين فاعتبر بيوت كثير من الأقباط بيوتا له وأنزل بها من دعاهم وكان مبيتى فى منزل ليون بك ويصا رحمه الله ٠

وحدث منذ سنوات قريبة أن رشحت روايتى « لقاء هناك » للانتاج السينمائى ٠٠ ولكن الرقابة اشترطت موافقة الأزهر والكنيسة ، فكانت فرصة لى أن تعرفت بقداسة البابا شنودة وجلست اليه مرات نتدارس السيناريو ولم أدهش حين وجدته يبدى ملاحظات من شأنها اجلال الاسلام والحفاظ على قيمه ورسالته ٠

فقد كان هذا ما انتظره من عالم جليل له ما للبابا شنوده من عمق النظرة وجلاء الرؤية ٠

وفي حرب أكتوبر لم يعرف العدو ان كان المصرى الذى يحاربه مسلما أم قبطيا ٠

وهكذا فكل سعي بين الأخوين انما هو الى خيبة وارتكاس فان المسلمين في مصر لا يعرفون فارقا بينهم وبين الأقباط فيها ٠ وهؤلاء الذين يسعون بينهم بضلالة حاولوا من قبل أن يسعوا بحرب شنوها على الدين جميعا فما أفلحوا وان الأقباط والمسلمين جميعا يعرفون أنهم معا جنود على الالحاد في شتى صوره وعلى اختلاف وجوهه الكريمة ولهذا نسمع كارتر رئيس أكبر دولة مسيحية يقول انه لم يبق الا القيم الدينية لنتمسك بها وبهذه القيم نجح فى انتخابات الرئاسة ٠ والالحاد يحارب المسيحية كما يحارب الاسلام فليس عجيبا أن تتحد المسيحية والاسلام لتواجها الالحاد ٠

وأعداء الدين يحاربونه أيضا بالتشنج الدينى فهم حين يفشلون فى حربهم المعتمدة على تجاهل الدين يحاربون بسلاح جديد هو التشنج والجهالة العمياء وديننا يدعونا أن نوغل فيه برفق ودين المسيحيين يدعوهم الى التسامح لا التشنج ٠

ان أعداءنا نحن المسلمين هم أنفسهم أعداء الأقباط ٠ فان كانوا قد استغلوا فئة جاهلة من هنا أو من هنا فان الأغلبية الكاثرة تعلم اننا شعب واحد له أعداء كثر ٠ لنا أعداء من الملحدين ولنا أعداء من الصهيونية العالمية ولنا أعداء من مجانين الزعامة وصانعى الشعارات ومدبرى الجرائم يقتلون بها الأبرياء من المسلمين والأقباط جميعا وكلنا مسلمين وأقباطا نعرف أعداءنا من العملاء فى الداخل أى أصحاب الشعارات وحلفائهم المخابيل فى الخارج ٠

وكلنا ـ مسلمين وأقباطا ـ سنحارب هؤلاء الأعداء بكل الايمان بالله الذى نتسلح به ولن يفلح المنافقون الخونة أن يثيروا الا المحبة والاخاء بيننا والا التفانى والوفاء كل الوفاء للوطن ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٧/٥

تعليق على عضو مجلس الشعب

جاءني من الأستاذ حنفي محمود جمعة المحامى هذا التعليق وانى أنشره كما جاء .

بعد التحية . تعقيبا على تعليقكم على خبر نشر فى مجلة ٦ أكتوبر مضمونه أن أحد أعضاء مجلس الشعب ضبط متلبسا بسرقة بضائع من أحد المجلات التجارية بمدينة لندن قيمتها ٥٠٠ جنيه وأنه أفرج عنه بضمان السفارة المصرية واشارة الى مطالبتكم مجلس الشعب باتخاذ ما يراه من اجراءات نحو هذا العضو فانى أتشرف باحالتكم الى نص المادة الثالثة من قانون العقوبات ويجرى بما يلى : ـ

[كل مصرى ارتكب وهو فى خارج القطر فعلا يعتبر جنـــاية أو جنحة فى هذا القانون يعاقب بمقتضى أحكامه اذا عاد الى القطر وكان الفعل معاقبا عليه بمقتضى قانون البلد الذى ارتكب فيه] .

وتنص المادة الرابعة على أن النيابة هى التى تقيم الدعوى العمومية عن الفعل الذى يرتكب فى الخارج .

واعمالا لهذه النصوص فانه يقتضى عرض الأمر على مجلس الشعب لرفع الحصانة عن العضو المذكور وانما يقتضى قبل اتخاذ هذا الاجراء أن تتحصل النيابة العمومية على صـــور رسمية من التحقيقات التى أجريت بالخارج بحيث اذا تبين صحة التهمة فترفع الدعوى بعد رفع الحصانة .

ويشترط لمحاكمة المصرى الذى يرتكب فعلا أن يكون الفعل معتبرا جريمة فى ظل قانون الدولة التى ارتكب فيها وأن يكون مؤثما فى ظل القانون المصرى وبشرط ألا يكون قد حوكم فى الخارج .

ودون مساس بالأشخاص الذين طواهم الزمن فان أحد باشـوات العهود السابقة وكان عضوا فى مجلس الشيوخ ارتكب فعلا شائنا فى مدينة باريس ولم يحاكم أمام المحاكم الفرنسية الا أن الدعوى الجنائية

رفعت بطريق الجنحة المباشرة فى مصر على اعتبار ان بعض الأفعال المكونة للجريمة ارتكبت فى مصر وقدم المتهم أمام محكمة العطارين وقد أصدر قاضى المحكمة المرحوم [أحمد حسنى خير الله] وكان من أبرز القضاة حكما بتاريخ ١٩٣٩/١٢/٥ قضى بحبس المتهم أربعة شهور مع ايقاف التنفيذ وقد تعرض الحكم فى أسبابه الى المواد السابقة •

وقد تأيد الحكم من محكمة الجنح المستأنفة برياسة القاضى الممتاز [يحيى مسعود] وكان محامى المتهم من أكفأ المحامين مقدرة وكفاءة ولم تنجب مصر مثله حتى الآن وهو الأستاذ مرقص فهمى كما أن محامى المدعى المدنى كان الأستاذ نجيب الهلالى باشا •

وكانت مرافعة هذين المحاميين الكبيرين مساجلة فقهية واستعراضا شائقا لأحكام الشريعة الاسلامية وأقوال الفقهاء فضلا عن شراح القانون العصريين وقد استغرقت مرافعة الأستاذ مرقص فهمى حوالى الاسبوعين أمام دائرة الجنح المستأنفة •

هذا وتجدون حكم محكمة جنح العطارين منشورا بمجلة المحاماة السنة ٢١ العدد الثانى صحيفة ١١٦ وما بعدها •

الى هنا ينتهى خطاب الأستاذ المحامى واعتقد أن أى تعليق عليه لا يضيف شيئا "

وخطاب آخر

وجاءنى هذا الخطاب الآخر وأحس اننى أؤيد كل كلمة فيه فاسمحوا لى أن أنشره كما هو :

« وبعد لا يهم ذكر اسمى فيكفى اننى مواطن [كنت رئيس شركة كبيرة وأنا الآن فى المعاش] تأثر بمقالكم الأخير [حتى لا تثور النفوس] المنشور فى أهرام يوم ٧٧/٩/١٣ وأود أن أعلق على الموضوع الأول : كيف نواجه السرقات •

كلمتكم عن موضوع السرقات قوية لمست فعلا وترا حساسا عند المواطنين فكانت حديث العيد •

ان مشكلة مواجهة السرقات بحزم سهلة !! حلها بسيط يكمن فى الغاء النص الذى استحدثته قوانين ١٩٦١ والخاص بعدم فصل العاملين المنحرفين واحالتهم الى النيابة العامة • فيعود الانضباط الى سابق عهده ويأخذ المسئولون بتلابيب اللصوص •

لقد قضى قانون العاملين الصادر فى سنة ١٩٦١ بأن مال شركات القطاع العام هو مال عام وان يحال كل من يرتكب سرقة أو اختلاسا الى النيابة لتحقق معه ففقدت الادارة سلطتهـــا فى توقيع الجزاء الحق على المنحرفين فصاروا لا يأبهون بها ٠

ومن ذلك التاريخ صارت السرقات والاختلاسات تتوالى وتنمو وتكبر وتتضخم حتى صرنا نسمع ونرى سرقات بربع مليون جنيه فى بنوك وشركات ما كان يمكن أن يحدث فيها شىء من ذلك ٠

فقدت الادارة فى كل مكان هيبتها وسلطتها وأصبح العاملون بين ناقم لا يكاد ينتج من فرط يأسه اذ يرى اللصوص الكبار والصغار من حوله تنهب باليمين وبالشمال ، وبين مقلد منتهز للفرص ليسرق هو الآخر أو فى القليل يرتشى ٠

واجراءات النيابة بطيئة جدا ومهارة المحامين الذين يوكلون للدفاع عن المنحرفين زائدة [وما نراه فى قضية التكفير شاهد عدل] ، أعرف قضايا محالة للنيابة من ١٩٦٥ ولم تبت فيها للآن ، واللصوص المتهمون فيها مازالوا يعملون ، يسرحون ويمرحون ويثرون ، يركبون السيارات الخاصة ويكيدون الشرفاء والادارة !! ولو أحصينا القضـــايا المحالة الى النيـــابة عبر السنين والتى لم يبت فيهـــا للآن لبلغت المئات ان لم يكن الألوف ٠

لن ينصلح لنا حال ما لم يعد للادارة سلطتها فى فصل المنحرفين كما كان الحال قبل سنة ١٩٦١ [ولا مانع من احالتهم الى النيابة بعد فصلهم لينالوا جزاءات صـــارمة أخرى كالسجن ورد الأموال المنهوبة] ـ ذلك لأن الناس ـ كل الناس ـ فى الشرق وفى الغرب ٠ وليس عندنا فقط لا تلتزم بالاســـتقامة وبالجـــد فى العمل الا اذا علمت ان الادارة قادرة تماما على توقيع العقاب وعلى منح الثواب ٠

فى روسيا الآن ـ التى منها أخذنا عدم فصل العمال ـ يشنقون المختلسين واللصوص ٠

وفى الغرب لا تجسر النقابات العمالية ـ وهى التى قد تســـقط الحكومات ـ اذا قررت يوما الاضراب الشامل لا تجسر على ان تتدخل لدى ادارة أى شركة فى موضـــــوع عامل تقرر فصـــــله ، فهذا حق الشركة لا منازع فيه ٠

ويشاركنى الرأى الأستاذ كمال نجيب المحرر بالأهرام اذ يقول فى الأهرام ١٩٧٧/٩/١٨ تحت عنوان [الطريق الى طيران أفضل] وهو يتحدث عن مشاكل مؤسسة مصر للطيران ما نصه ٠

هناك معوقات تؤثر على الانتاج وتصرفات تسىء الى سمعة المؤسسة الوطنية [يقصد سرقات] دون أن يكون لدى قيادتها السلطة التى تمكنها من القضاء على هذه المعوقات أو مواجهة التصرفات الخاطئة [كل الشركات فى هذا سواء] بقرارات واجراءات حاسمة تضع حدا سريعا لها ٠

وهـذا هو بيت القصيد ، وهو ما يجب حسمه بالقـانون الجديد المقترح ٠

ان الحل الوحيد كما قدمنا لا يكون الا باعطاء السلطة للادارة لتتصرف مع المعتدين على أموالها بدون وساطة ومساءلة من أى جهة أخرى ، وهو كما ترون حل سهل ميسر يتناول مادة واحدة فى القانون ٠

وخطـاب آخـر

وحول نفس الموضوع جاءنى هـذا الخطاب من المواطن جمال غازى ٠
تحية طيبة وبعد

قرأت مقال سيادتكم بجريدة الأهرام [حتى لا تثور النفوس] وقد عبر هذا المقال بصدق عما يحسه المواطن الشريف فى هـذا البلد وعن الأشياء التى تثيره وتجعله يحقد على المجتمع وعلى من فيه ٠

ان كل ما كنت أحب أن أكتبه من أمثلة لمـا يثير نفوسـنا كتبته سيادتكم ٠

سيدى ٠ نقرأ فى الصحف عن انحرافات واختلاسـات وعمولات وتسيب فظيع فى جميع النواحى ونسمع عن تشكيل لجان تحقيق ولجان لتقصى الحقائق وغيرها وننتظر النتيجة ولا فائدة وينسى الموضوع ٠

ان هذا السكوت على الانحرافات وعدم جدية التحقيقات يمس سمعة اناس شرفاء أبرياء فى قمة المسئولية والا لماذا يرضون بما يحصل فى بلدهم ٠

اذا أردنا لمصر ولشعب مصر ان يضحى ويتحمل عن رضا كل ما نعانيه نتيجة لما تعرضنا له من حروب وضغوط يجب ان يشارك الجميع فى المعاناة ويجب أن يؤخذ المنحرف بكل شدة ٠

لقد أصدر السيد رئيس الوزراء قوانين وتعليمات لمحاربة الضوضاء ومواكب الأفراح والمرور والنظافة الخ ٠

وأقولها وبكل أسف أن هـذه القوانين لم تنفذ مازلنا تعبانين من الضوضاء ومن مواكب الأفراح الخ ٠

لا يكفى أن يصدر قانون بل يجب أن ينفذ ويتابع التنفيذ •

فالى الآن وبعد صدور القوانين بمدة طويلة مازال كتابنا الأفاضل يكتبون عن الفوضى ومازال الشـعب شـكواه تنتشر فى الجرائد من الضوضاء •

الأهرام فى ١٩٧٧/٧/١٢

المـال والقـانون

من أعظم الأخطاء التى يقع فيها الكتاب تقسيم المجتمع الى طبقات ووسم كل طبقة بسمات خلقية معينة . ليس صحيحا أن المجتمع ينقسم فى أخلاقه الى طبقة ثرية وطبقة متوسطة وطبقة فقيرة . هذا تقسيم اقتصادى ولا يصلح بحال من الأحوال أن يكون تقسيما اجتماعيا .

أعرف فقراء يزهدون فى المـال ان لم يكن شريفـا بعيدا عن كل دنس . وأعرف أغنياء يتهافتون على المال مهما تكن مصادره وأن كان ملوثا بكل القذر الذى تعرفه الدنيا وان كانت السماء بعض هذا القذر .

رأيت رجلا فقيرا يستقيل من عمله ويرفض أن يستمر فيـه لان ابن صاحب العمل كان يريده أن يستر عليه تغيبه عن المدرسة . وأبى اخلاصه وعظمت امانته أن يخون رب البيت فى مستقبل ابنه فأبلغ أن الابن لا يذهب الى المدرسة واستقال من العمل .

ورأيت مرة غنيا واسع الغنى ومن اسرة شهيرة يطلب مكالمة خارجية فى داخل القطر كان أجرها فى ذلك الحين ثلاثة قروش . وبعد أن انتهت المكالمة وقال ما يريد سألته عاملة الترنك :

ـ هل تكلمت .

ـ ألم تسمعى .

ـ أنا لا أعرف اذا كنت تكلمت أم لا .

ـ اذن أنا لم أتكلم وألغ المكالمة .

فالرجل الثرى أراد أن يغتال الدولة فى ثلاثة قروش صـاغ وهو من هو ثراء وطيب أصل .

الرجل الفقير الذى رعى أمانة صاحب البيت لايدل على طبقتـه . والرجل الثري الدنيء لا يدل علي طبقته . بل أن كلا منهما يمثل نفسه

وحدها وخلقه وحده · من يعف عن ملايين الملايين من الجنيهات فمن بين الطبقة الفقيرة الكثيرون الذين يأكلون مال النبى ومن بين الطبقة الثرية ·

انما هى أخلاق تتشكل فى كل انسان على حدة ولاشك أن للبيئه أثرا كبيرا فيها ولكن هذه البيئة ليست من الحتم أن تتأثر بالغنى أو الفقر وانما البيت الشريف يكون شريفا لأن الشرف هو النبراس الذى يعيش به وله · ومع ذلك كم من بيوت شريفة انبتت نباتات شوهاء لا شرف فيها ولا خلق ولا ذمة ولا ضمير ·

ولو أن باحثا اجتماعيا نظر فى السجون ومن تحوى لوجد أن الفقر العامل الأساسى في ارتكاب الجرائم ولكنه ليس وحده العامل بل ان هناك عوامل أخرى تساعده · وكم من فقير أبى أن يسرق · وكم من غنى سرق وكم من سارق سرق لانه لا يعرف مثلا تحميه وترد يده الى الشرف ·

وقد يسرق السارق تحت وطأة الحاجة الشديدة ولو توفرت له وسائل الحياة لعف ولكن مثل هذا قلة لا يقاس عليها ولا يتوسع فيها ·

وظاهرة السرقة ــ خاصة من المفروض أن يكونوا القدوة والمثل ــ يجب أن يضربها القانون بيد من حديد ·

ومن وجهة أخرى اذا لم يفق المشرع الى قانون العمال ويضع العقوبة الى جانب المثوبة فلا أمل فى أى تقدم اقتصادى ·

لقد اصبحت نكتة الآن أن الشخص الوحيد الذى يمكن أن تنزل عليه العقوبة هو الوزير ومن فى مرتبة الوزير ·

أن كثيرا من الناس لا يسرقون لانهم يخافون القانون فاذا لم يكن القانون حازما حاسما فهم سيسرقون ·

وأن كثيرا من الناس ــ والعمال من الناس ــ لايؤدون عملهم الا اذا خافوا من العقوبة فاذا لم تكن هناك عقوبة على التقصير فلا أمل مطلقا فى يقوم العامل بواجباته ولا أمل مطلقا أن يتحسن اقتصادنا ·

والذى لا يؤدى واجبه لص يسرق ثقة الدولة والمجتمع ·

ما أيسر أن تطالب الدولة بحقك فى أن تعيش وأن تكون الاجور كفء الأسعار ولكن لابد أن تؤدى أنت أيضا واجبك ليكون عملك كفء أجرك وكفء ما قدمته لك الدولة من ثقة ·

عضو مجلس شعب فى لندن

●● ان كان حقا ما نشرته مجلة أكتوبر فهو كارثة خلقية لابد أن تتخذ فيها اجراءات حاسمة وسريعة بل أننى أرجو الا ننتظر انتهاء الأجازة ٠

وقبل أن أعلن اليك الخبر كما نشرته المجلة كان العنوان « اضبط حرامى فى مجلس الشعب » ثم يقول الخبر « هل صحيح أن أحد أعضاء مجلس الشعب كان فى لندن فى أوائل شهر أغسطس سنة ١٩٧٧ وانه قد قبض عليه بتهمة سرقة بضائع قيمتها ٥٠٠ جنيه استرلينى من محل سلفردج فى لندن وأنه لم يتم الأفراج عنه الا بعد أن قدمت السفارة المصرية فى لندن خطاب ضمان من الحكومة المصرية ٠ واذا كان هذا صحيحا فما هو موقف مجلس الشعب من العضو الحرامى » ٠

الى هنا وينتهى خبر أكتوبر ٠ وهو خبر على صغره يحمل صفعة عنيفة الى كل مصرى فى مصر وفى العالم أجمع ٠ فهذا العضو لا يعرف أنه يمثل شعب مصر كلها ٠وأنه يمثل الشعب بناء على اختيار الشعب ٠ فهو فى تمثيله للشعب أكثر أصالة من الوزير ٠ فأن الوزير اختيار شخصى أما عضو مجلس الشعب فهو اختيار شعب بأكمله ويمثل شعبا بأكمله ٠

ان هذا الذى حدث جريمة فى حق مصر كلها وأعتقد أن مجلس الشعب يجب أن يجتمع خصيصا ليظهر للعالم مدى اهتمامه بتوقيع العقوبة على مقترف هذه الجريمة ٠

ان الذى فعله هذا العضو أشهار للعالم أن السرقة أصبحت غير محرمة فى مصر وأن مال غيرك ملك مباح لك ٠ وهذه الفكرة وليدة الفترة المظلمة التى سبقت ثورة مايو فان لم يعمل مجلس الشعب سريعا على اصلاح هذه الفكرة بأن يقطع اجازته ويجتمع من فوره فانى أخشى أن تظل هذه الفكرة لاصقة فى الأذهان ٠

من الطبيعى أن يستدعى مجلس الشعب ويقطع أجازته فى الأحداث الكبرى وأنا اعتبر هذا الذى حدث من الأحداث الكبرى خاصة فى هذه الفترة التى تجاهد فيها مصر لتسترد سمعتها وكرامتها وشرفها أمام الدول ٠

صور ولا فعل

●● خرج علينا الأهرام هذا الأسبوع بصور لبائعين متجولين يبيعون للناس الميكروبات فى الشوارع ٠ وقد عجبت من وجود هذه الصور

وعجبت أكثر من تحذير التليفزيون لنا ألا نشرب أو نأكل من الباعة المتجولين • هل هؤلاء الباعة يتمتعون بالحماية الأجنبية التى كان المحتلون يتمتعون بها قبل الغاء الحماية •

لماذا لا تمنعهم الحكومة من بيع سمومهم فى هذه الفترة الصحية الحرجة • لقد أعلم أن هؤلاء الباعة يقفون بسمومهم عند كل تجمع فهم على أبواب المدارس والمصانع بل هم وهذا أدعى والعن على أبواب المستشفيات فلماذا لا تمنع الحكومة وجودهم • أو لماذا لا تفتش تفتيشا دقيقا على بضائعهم وهذا أضعف الايمان • وان كانت لهم رخص فلتسحب فى هذه الفترة الصحية الحرجة فنحن فى حالة استثنائية •

لقد نجحت وزارة الصحة فى أن تحمينا من الكوليرا حتى الآن ولابد لها أن تواصل جهودها حتى تمر هذه الفترة بسلام •

فالنظافة فيما أحسب هى أولى خطوات الحضارة • ولا بأس علينا أن نخطو هذه الخطوة •

الأهرام فى ١٩٧٧/٧/١٩

ذكـــرى صـيف

كانت مقالتي الثانية الى مجلة الثقافة بعنوان شعراء مغمورون وكانت عن شاعرين لهما فى حياتى أثر بعيدهما توفيق عوضى أباظة وهو شاعر علم نفسه القراءة والكتابة والشعر ولم يختلف الى مدرسة فى حياته ٠ وأما الشاعر الثانى فهو الأستاذ أحمد حسين القرعيش وهو أول من علمنى الكتابة والقراءة مبتدئـا بالخط الرأسى والخط الأفقى ٠ وكنت أجلس مع الشاعرين طوال شهور الأجازة نقرأ حتى يطلع علينا الصباح ٠ فكانت هذه المقالـة التى نوهت فيها بالشاعرين وسلمتهـا الى أستاذنا المرحوم أحمد بك أمين ٠

وكانت القصيدة التى اخترتها للأستاذ توفيق عوضى أباظة لهـا قصة ٠ فهى شكوى أرسلها للمرحوم المستشار جمال الدين أباظة يشكو فيها ابن أخيه الشاعر عزيز أباظة ٠ وكان عمى عزيز من ارحب الناس أفقا وأوسعهم ذهنا وقد استأذنته أن أنشر هذه الأبيات فأذن فكتبت المقالة وأعطيتها لأحمد بك ٠

وأخبرت أبى اننى أعطيت مقالة لمجلة الثقافة وانها ستنشر ٠ ومكثت أنتظر نشر المقالة ولكنها لم تظهر وحل بنا الصيف فسافرنا الى رأس البر والمقالة أيضا محتجبة لا تظهر وقال لى أبى يبـدو أنها لن تظهر فمسنى ضيق شديد ٠ وكنت فى هذه الأيام أنتظر نتيجة امتحان الثقافة أيضا وكنت خائفا من هذه النتيجة خوفا شديدا فكان وقع الانتظارين شديدا على شدة لا يعلمها الا الله ٠

وفى يوم نزلت لاستحم فى البحر فاذا أنا أجد رجلا كبيرا يحيط نفسه بقرعتين وهو نوع من الثمار الجافـة الجوفـاء تحمى الانسان من الغرق ٠ والعجيب أن الرجل الكبير كان واقفا فى البحر وهو مع ذلك متشبث بالقرعتين فهو لا يدخـل الى المغرق من البحر ومع ذلك يخشى

الغرق . دعانى هذا أن أقترب من الرجل واذا بى أفاجأ بأحمد بك أمين أمامى .

ـ صباح الخير يا بك .

وعرفنى ورد التحية وبعد حديث قصير لم ينتظر الرجل حتى أسأله عن المقالة وانما بادرنى هو قائلا :

ـ مقالتك أوقفت أنا نشرها .

ـ لماذا .

ـ لان الأبيات تمس الشاعر عزيز أباظة .

ـ لقد أستأذنته .

ـ هل يمكن أن يكتب لنا بسماحه بنشرها حتى يصبح موقفنا أمامه كريما .

قلت :

ـ فان لم يتيسر ذلك .

ـ لماذا .

ـ لانه ليس هنا وسيمر وقت طويل حتى أجده .

ـ هل عندك أبيات أخرى للشاعر .

ـ نعم .

ـ أكتبها بدلا من هذه القصيدة

وأعدت كتابة المقال بأبيات أخرى ولم يمر الا أسبوع حتى كان المقال منشورا وكانت نتيجة الثقافة قد ظهرت وأراحنى الله من تعب الانتظار .

أما أبيات توفيق عوضى أباظة فأعتقد أننى نشرتها قبل ذلك ولكن يطيب لى أن أنشرها مرة أخرى فهى من أدب الخطابات التى يندر أن يعثر القارىء على مثيل لها .

جمال الدين والدنيا سلاما ... يضوع شذى كانفاس الخزامى
وبعد فهل أتاك حديث قوم ... نكلمهم فيأبون الكلاما
بعثت الى عزيز القول شعرا ... أحييه فما رد السلاما
فان يك أكبر الشعراء طرا ... وأسماهم وأرفعهم مقاما
فقد نادى اله الناس موسى ... وناجى العبد من خلق الاناما
وبنت النمل كلمها بنى ... وبادلها المحبة والوئاما
فلست أقل من نمل ضعيف ... وليس أجل من ملك تسامى

أما شعر الأستاذ أحمد حسين القرعيش فكان غزلا أذكره حتى اليوم واری من حقه أن أذكر الأبيات

قالت أحبك صادق قلت الدلائل قاطعات
قالت وعهدك قلت باق ما رعت عهدى الحياة
قالت وحبى قلت فصل مثلته الغانيات
قالت وعهدى قلت ذاك هو الامانى الكاذبات
ضحكت وقالت هكذا من قبلك العشاق ماتوا

رحم الله الشاعرين واثابهما خير ثواب ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٧/٢٠

الصعود ببطء

ألم أقل لك ان الحديث فى غير السياسة أجدى على وعليك أو هو لاشك أمتع لى ولك ٠٠ وما البأس بنا أن نطرح السياسة أويقات من حياتنا بدلا من أن تظل ناشبة فينا أظافرها حتى لا نفكر اذا فكرنا الا فيها ولا نكتب مقالاتنا الا داخل اطارها ٠٠ بل انها فى حين من الدهر سيطرت حتى على الروايات التى نكتبها والفن الذى نعيش فى ظلاله ٠

فى ذلك العهد كانت الكلمة الحرة ميتة لا نستطيع احياءها الا اذا لففناها بتلافيف الرمز والرواية ، فظهرت روايات كثيرة سياسية فى ذلك الحين ٠٠ ويبدو ان فرحة الانطلاقة قد سيطرت على أقلامنا حتى أصبحت لا تريد أن تكتب فى غير السياسة ٠٠ فهونا هونا أيها القلم ٠٠ فان الاندفاع بك لا يليق وقد شاب صاحبك وابيض فؤاده ، والصمت به أليق ، والعود الى الفن أحمد ٠٠ فاذا عزنا أن نقول المقالة السياسية فما اليأس فى قصة ، وان لم فحدوتة مما يرويه الرفاق فى جلسات التسلية والترفيه ٠٠ فالسياسة بقدر ما هى هامة ، وبقدر ما هى خطيرة ، فان الترفيه أيضا هام وخطير ٠٠ ولعلك بعد أن تسمع بقصة مما يرويه الناس فى جلسات الترفيه تستطيع أن تعود الى السياسة تعمل فيها قلمك فان استعصى عليك الأمر فلتعمل فيها فكرك ، وليس من الحتم أن تقول كل فكرك ، فبعضه يكفى ٠

حديثى اليك اليوم عن قصة رويت لى وما أظن شأن الراوى يعنيك ، فانى أحسب أن القصة نفسها هى التى تعنيك وانما لعلك تريد أن تثق انها وقعت ، أم تراك أيضا فى غنى عن هذا الوثوق ، انما شانك معها أن تقرأها فان أعجبتك فبها ونعمت ، وقد بلغت من نفسك ما أريد أن أبلغ ٠٠ وان لم تعجبك فالأمران عندك يستويان ، ولا يهمك من بعد ان كانت قد وقعت أو هى محض خيال ٠

ولكننى على أية حال مبادر فمطمئنك أنها وقعت وانى عرفتها ممن أثق فيه أنا وممن لو عرفته معرفتى به لوثقت به أنت أيضا ٠

وانى أرويها لك كما وقعت تماما ، لا أهذبها بخيال لى أو بتحريف ·· ولو كنت أشاء أن أقدمها كقصة فنية ، لكن شأنى فى روايتها لك غير هذا الشأن ولكان لى فى كتابتها لك طريق آخر غير هذا الطريق ·· والذين يكتبون القصة أو يقرأونها يعرفون أن هذا الذى أفعله الآن أبعد ما يكون عن القصة المبتدعة فى فنها الحديث ، وأن كان قريبا غاية القرب من أسلوب لبسته القصة فى عهودها الأولى ثم اندثر هذا الاسلوب مع الزمان وتغيرت به الأيام الى غير هذا ، بل الى ما يناقض هذا كل التناقض ، ويختلف عنه كل الاختلاف ·

القصة تروى عن زوج وزوجة تزوجا فى بواكير الشباب الأولى ، ومر على زواجهما خمسة وعشرون عاما ، أما الزوج فأصبح يحوم حول الخمسين من عمره ، وأما الزوجة فتصغره بسنوات ثلاث ·· ولكنها فتية المظهر ، شابة التجاعيد ، جميلة الملامح ، على الرغم من أولادها الأربعة الذين تخرج منهم من تخرج ، وبقى منهم من بقى فى الجامعة أو على مشارفها ·

أصيب الأب بذبحة صدرية مفاجئة ، ولحسن حظه أصابه المرض وهو فى بيته واستدعى له الأطباء ·· ولكن ـ لسوء الحظ ـ تقطن العائلة فى الدور السادس من عمارة ليس بها مصعد ·· ولم يستطع الصعود الى المريض الا الشباب من الأطباء ·

وتم علاج الرجل ، واستطاع أن ينزل ويذهب الى طبيب كبير أجرى عليه الكشوف والرسوم والأشعة ·

ـ أنت الآن بصحة جيدة ·

ـ الحمد لله ·· ولكن هناك مشكلة ·

ـ وهى ·

ـ انى أسكن بالدور السادس ·

ـ هذا خير لك ·

ـ ماذا تقول ؟

ـ الطب الحديث ينصح مرضى القلب بالحركة وصعود السلالم ·

ـ ستة أدوار ؟

ـ لو عرفت كيف تصعدهم لكان هذا فى مصلحتك ·

ـ وكيف أصعدهم ؟

ـ دون أن يحمل القلب عبئهم ·

ـ وكيف ؟

ـ أولا تصعد ببطء شديد ٠

ـ وثانيا ؟

ـ تجلس فى الدور الثانى ٠٠ وفى الدور الرابع ٠

ـ وكيف ؟

ـ تبحث عن صديق فى الدور الثانى وآخر فى الدور الرابع ٠

ـ البركة فى الست ، فالعمارة جميعها أصحابها ٠

وخرج الرجل الى زوجته ٠

ـ البركة فى سميرة ٠

ـ سميرة ؟ ٠٠ من سميرة ٠٠٠ ؟

ـ سميرة الزوجة التى توفى زوجهـا العام الماضى وسعيت لها فى المعـاش ٠

ـ آه تذكرت ٠

ـ تسكن فى الدور الثانى ٠

ـ والرابـع ؟

ـ صديقك عبد الكريم أفندى ٠

ـ آه ٠٠ صحيح ٠٠ انما اسمعى ٠

ـ قـــل ٠٠

ـ أنا لن أتهجم على الناس فى بيوتهم ٠٠

ـ لا تهجم هنـاك ٠

ـ كلمى أنت سميرة هانم والأستاذ عبد الكريم ٠

ـ من عينى ٠٠٠

وهكذا أصبح الرجل يصعد السلم ببطء شديد ٠٠ وأصبح يستريح فى الدور الثانى عند سميرة هانم ٠٠ وفى الدور الرابع عند عبد الكريم أفنـدى ٠

والعجيب انه كان يجد نفسه يحتاج الى راحة أكثر فى الدور الثانى من تلك التى يحتاج اليها فى الدور الرابع ٠

والعجيب أن صحته تحسنت تحسنا ملحوظا ، الا أن شيئا عجيبا كان يحدث فى مشاعره ، وما لبث لسانه أن ترجم هذا الشىء العجيب الذى كان يحدث فى مشاعره ٠

فسميرة هانم أصبحت سميرة ، ويوما بعد يوم خطب الرجل سميرة وتزوجا ٠٠٠

ألم أقل لك أنه شفى تماما ‧‧ وهل أدل على الشفاء من أنه أصبح زوجا للدور الثانى والدور السادس فى وقت معا ‧‧‧

خبر يحتاج الى تفسير

قرأنا ان مدير عام شركة مصرية للسياحة فى أمريكا اختلس ربع مليون دولار ، وانه تم فصله واعتبار المبلغ ديونا معدومة ‧‧ ترى هل نسى المحرر الذى أتى بالخبر أن يذكر أن المدير المذكور قدم الى النيابة؟‧‧ أم انه لم يقدم ؟ ‧‧ أنا لا أستطيع أن أتصور أن الخبر انتهى الى هذا المدى ‧‧‧

لابد أن هناك تفصيلا لم يذكر ، فهل من سبيل الى معرفة التفصيل ؟ ‧‧ فانى أخشى أن يقرأ اللصوص فى الشركات هذا الخبر فينشطوا فى السرقة أكثر من نشاطهم المعتاد ‧

الأهرام فى ١٩٧٧/٧/٢٦

حين يشيخ البحر

مرت بنا فى الاسكندرية أيام خيل الينا فيها ان البحر قد شاخ وأنه أصبح عاجزا عن ان يموج ثانية • كانت المياه منه تصل الى الشاطىء عاجزة لاهثة كأنها حيوان أخذ منه الجهد مأخذه فهى ترتمى على الرمال ارتماء من يتشبث بالحياة وينشب فيها أظافر يائسة مرتعشة توشك أن تموت •

وكان الهواء قد مات فعلا حتى لقد خيل الينا أنه لن ينسم أبدا •

واذا كان هذا حالنا ونحن على شاطىء البحر فى الاسكندرية فالله فى عون البعيدين عن الشواطىء •

فى هذا الجو يجمل بنا أن نتناول حديثا بعيدا عن السياسة فالسياسة ان اعجبت قوما اغضبت آخرين وان رضى بحديثها بعض ضاق به بعض أكثر •

والأخذ فى غير حديث السياسة أمتع للقارىء وأيسر للكاتب وخاصة أن كان الكاتب مثلى مرن على كتابة الرواية والقصة وعرف بهذا اللون بين الناس وأصبح عذره بين يديه اذا هو قدم الى قارئه من حين الى آخر حكايـة •

وقد يسأل من يسأل فمالك لا تصوغ هذه الحكايـة قصة قصيرة تضاف الى مجموعة جديدة أو رواية طويلة تضاف الى ما كتبت من روايات •

وأيسر اجابة على ذلك ان أبطـال هـذه الحكاية يفسدون الحبكة الروائية ويهدمون الصدق الفنى فهم بأعمالهم الخارقة للعادة يحولون دون جعل قصصهم أعمالا فنية • لانها أعمال يرفضها التصديق ويأباها المنطق ولابد للعمل الفنى أن يتسم بالصدق والمنطق جميعا •

ومع كل هذا فالحكاية التى اقدمها قد وقعت فى الحياة فعلا ذلك أن الحياة لا يعنيها فى كثير أو قليل أن يصدق الناس ما تؤلفه من قصص وروايات وانما يعنيها أن تؤلف وليس يعنيها من يستقبل العمل الفنى

ولعل أبيات شوقى فى قصيدته الخالدة مصاير الأيام خير دليل على ما أذهب اليه ·

قطيع يزجيه راع من الدهر ليس بلين ولا صلب
أهابت هراوته بالرفاق ونادت على الحيد الهرب
وصرف قطعانه فاستبد ولم يخش شيئا ولم يرهب
أراد لمن شاء رعى الجديب وأنزل من شاء بالمخصب
وروى على ريها الناهلات وزد الظماء فلم تشرب
والقى رقابا الى الضاربين وضن بأخرى فلم تضرب
وليس يبالى رضا المستريح ولا ضجر الناقم المتعب
وليس بمبق على الحاضرين وليس بباك على الغيب

وهذه القصة ــ مع كل المقدمة التى قدمتها عن السياسة ــ مازلت لا أدرى أهى سياسية أم غير سياسية ·

تبدأ القصة حيث تنتهى الأفلام المصرية بزواج فتى مهندس شاب بفتاة ثرية واسعة الثراء ·

وتمضى بهما الحياة فينجبان البنين والبنات ·

ولكن المهندس بارع فى النفاق فهو يضع رجله دائما حيث ينتفع من وضعها ·· ويمد يده لينال مالا أو منصبا ·· وهو لم يعمل نفاقه على ذوى السلطان فقط وانما أعمله واجاد اعماله على زوجته الغنية حتى استطاع أن يحول أموالها كلها الى حوزته فأصبح مالكا لكل ما كانت تملكه ·

ولما كان النفاق يجهده غاية الجهد فقد تعرف بسيدة أخرى أخذت عليه مسالك تفكيره كلها فأصبحت تأمر فينفذ أمرها · وكانت السيدة متزوجة · ولم يكن طلاقها سهلا ولكنها ــ لانها قادرة ــ أسطاعت أن تجعل زوجها يطلقها · وصورت هذا الطلاق للمهندس المنافق على أنه تضحية من أجله كبرى · ولم يكن المهندس محتاجا لاقناع فقد استنفد أغراضه من زوجته بعد أن أصبح المال كله ماله هو ·

طلق زوجته وتزوج السيدة الأخرى ·

وكما تدين تدان ·

استطاعت السيدة الأخرى أن تبتلع ماله هو جميعا ·· أقصد المال الذى استلبه من زوجته الأولى استلبته منه زوجته الثانية جميعا ·

وكان فى هذه الفترة قد بلغ منصبا تستطيع هى أن تنتفع به كما استطاع هو أن ينتفع ·

وبمعرفة قادرة استطاعت أن تصبح السيدة الجديدة مستأجرة لخمس وثلاثين شقة خالية من الأثاث · أثثتها هى وأصبحت تؤجرها جميعها مفروشة · والشقق جميعها باسمها · وهكذا أصابت المال والشقق جميعا ولم يبق للمهندس الا منصبه ·

ولكن متى دامت المناصب حتى تدوم له ما هى الا دورة زمن حتى أبعد عن منصبه وحينئذ وجدت الزوجة المخلصة ـ المخلصة لنفسها ـ أن الاوان قد حان ليطلقها واذا كانت قد استطاعت أن تحصل على طلاقها الأول فهى على طلاقها الثانى أكثر قدرة ··· وطلقها ·

وهو اليوم رهين المحبسين من فقر وبطالة ···

أما هو فقد نال جزاءه وهو بعد على قيد الحياة أما هى فأغلب الأمر ان جزاءها سيكون فى الحياة الثانية وان ربك لبالمرصاد ·

ترى أوجدت النغمة السياسية الخافية فى هذه القصة··· ما أحسب انها فاتت ذكاءك ···

فقد صنع هذا المهندس ماله وشقق زوجته ومنصبه فى عهد كان النفاق فيه هو البضاعة الوحيدة فى السوق ·

وأخشى أن أمضى فى الحديث الى أبعد من هذا فأجد القلم قد انغرس فى اسماءالأشخاص وتنقلت الحكاية الى نميمة وما أشتهى هذا لنفسى ولا لقلمى ·

ترى هل استطعت أن أخفف عنك وطأة الحر · ان لم أكن فاذكر أن هذا عهد قد مضى وانه لن يعود · وحين تذكر هذا ستحس نسمة من أمن ومن ريح طيبة رخاء ترطب حولك أعباء الحياة ·

الأهرام فى ١٩٧٧/٨/٢

رجاء الى أساتذة الجامعات

رفقا باللغة العربية يا أساتذة الجامعة انا أعلم ان تخصصكم فى غير اللغة العربية • ولكن لغتكم هى اللغة العربية • وانتم خير من يعرف كيف يهتم الأساتذة فى بلاد العالم المتحضر بلغتهم فعن طريق هذه اللغة • وعن طريقها وحده يستطيع العلماء ان يصلوا بعلمهم الى حيث ينبغى له أن يصل • وعلم بلا لغة علم أبكم لايفيد •

اننا حين نرى أساتذة الجامعة يسومون لغتهم ولغـــة قومهم هذا الخسف وهذا العذاب لا نستطيع أن نلوم الطلاب وهم يلحنون ويهدمون كل القواعد اللغوية • فما دام أســـاتذتهم يسبقونهم فى هذا الميــدان فلا بأس عليهم أن يمشوا فى طريق الخطأ الذى عبده ومهده لهم أساتذتهم •

وليست القواعد اللغوية شيئا هينا لامعنى له • فقد يخيل الى أن أحدكم سيقول وماذا علينا أن لحنت منا اللغة مادمنا قد أوضحنا أنفسنا لمن يستمع لنا •

واعتقادى أن أســـتاذ الجامعة لابد أن يكون أهلا للاحترام فى كل ما يصدر عنه •• وأساتذة الجامعة عندنا أغلبهم كذلك والحمد لله • ومصادر الاحترام كثيرة أولها الخلق ثم العلم ثم المظهر والجوهر •

ومعرفة اللغة العربية دليل على كل هذه المظاهر •• فمعرفة اللغة خلق لأنك تعلن بها أنك تحترم قومك وتحترم لغتهم •

وهى علم مهما يكن نـوع التخصص الذى نذرت له نفســـك فى محراب المعرفة •

هى المظهر والجوهر لأنك ستنطق بها فاذا نطقت لغة سليمة كنت رجلا يعنى بأن يكون مظهره سليما • والمظهر فى أغلب الأمر وفى النواحى العلمية خاصة يدل على الجوهر •

ان الانسان ينتقى لملبسه أفخر القماش وأجمل الكرافتات ثم لايعنى بعد ذلك أن يعرف لغة قومه ويتقنها • هذا تناقض • فما دمت تريد أن تبدو محترما أمام الناس وأنت صامت فلابد لك أن تبدو أكثر احتراما حين تتكلم خاصة وأنت أستاذ فى الجامعة والعلم منتظر منك مؤمل عندك •

وقد يبدو المطلب عسيرا لمن جاوزوا السن من هؤلاء الأساتذة مع أن الحديث النبوى الشريف يقول « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وفى حديث آخر يحضنا أن نطلبه ولو كان فى الصين وما كانت هناك طائرات تصل الجزيرة العربية بالصين • وأساتذة الجامعة دائما يقولون لا نهاية للعلم والشاعر طاهر أبو فاشا يقول •

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ويغريه بنيله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الانسان فى الدنيا ضئيلا خلف عقله
كلما ازداد علوما زاد ايمانا بجهله

وعلى أية حال قد يبدو مع ذلك الأمر عسيرا على الأساتذة أن يتقنوا اللغة العربية وهم فى سن الأستذة • فليس أقل لكى يحافظوا على المظهر ويكونوا نبراسا لتلامذتهم أن يقرأوا ما سيلقونه من خطب فى وسائل الاعلام على من يتقن اللغة فيضبط لهم الحروف • فانه لابأس أن تستعير كرافتة مادمت غير قادر على شراء واحدة •

وقديما كانت واقعة ترويها كتب الأدب فقد قال قائل •

● أنا لا أهتم بضبط اللغة ولا أرى لذلك معنى فاجابه عالم كان بمشهد •

● ماذا تفعل لو قلت لك أنى قاتل ابنك ووضع ضمتين على لام قاتل فقال محاوره •

● أسألك لماذا ؟

فقال العالم

● فاذا قلت لك أنا قاتل ابنك ووضع ضمة واحدة على لام قاتل فقال محاوره •

● أخرج سيفى وأقتلك •

فقال العالم

● أرأيت ماذا تستطيع ضمة واحدة أن تفعل .

فليس التشكيل شيئا هينا وانما به تعرف معانى الكلمات وما أظن أن عالما فى الجامعة لايحب لكلماته أن تجهل معانيها .

تأييد الخونة

فى مظاهرة تزعمتها من كانت وزيرة فى عهد الطغيان فى مصر هتفت ضد مصر .

وفى مهاجمة مصر . تقدم المصريون الشيوعيون المقيمون بباريس يقدمون ولاءهم للمجنون الجديد الذى يريد أن يفجر المنطقة بصواريخ الأطفال التى يلهو بها .

لا الوزيرة السابقة مصرية ولا الشيوعيون المقيمون فى باريس مصريون .

أنهم ينتسبون بولائهم الى روسيا التى أصبح القذافى ينتسب اليها بولائه وينتسبون بعواطفهم الى الدينار الذى أصبح دينهم الجديد . وما اليأس عليهم وهم بلا دين على الاطلاق .

أما الوزيرة السابقة فقد جلست على كرسى الوزارة حين غفل الزمان عن كل ذى كرامة وقدم الحقراء من أمثالها ليحملوا ألقاب الوزارة ويحملوا معها كره الشعب واحتقاره وليحملوا أيضا ان يكونوا عبيدا فى ساحات مراكز القوى أو مراكز الفساد .. واختر أى الأسماء شئت فلن تعدو الحقيقة مهما يذهب بك الاختيار .

أما هؤلاء الشيوعيون من أبناء المصريين والذين أصبحوا وهم ليسوا بمصريين فقد أطبقت الحرية على أنفاسهم فما عودوا أن يعيشوا فى جو منها انما يريدون الخنق والقتل ودمار الانسان وتحطيم القيم .

انهم يريدون ذلك الجو الذى شاع وازدهر وتعملق بعد الهزيمة .

ان جو الهزيمة لمصر هو الجو الصالح لهم . لأنه الجو الذى يجعل مصر تركع للاتحاد السوفيتى فيمرحون هم ويعيثون فى بلادنا فسادا .

أصبحوا جميعا بالدينار الليبى يدينون وبالروبل الروسى يعيشون .

ليس عجيبا اذن من الشيوعيين المصريين أن يقدموا ولاءهم لرجل يحارب اليوم مصر ويحاول أن يعتدى على حدودها .

القميص الأحمر الذى يرتدون هو القميص الذى ترتديه الوزيرة السابقة وان كان احمرار القميص الشيوعى من دماء أبناء الشعوب ومن لون العلم الروسى فان القميص الآخر احمر من دماء الشعب المصرى التى أريقت فى جبال اليمن وعلى صحراء سيناء وعلى أرض السجون والمعتقلات ·

ولكن ربك لا ينصر القوم الظالمين وقد انتهى فى مصر الظلم ولن تقوم له بعد اليوم قائمة · وقد جربوا بأنفسهم فى ١٨ ، ١٩ يناير وجربوا بالتكفير والهجرة واليوم يحاولون أن يجربوا بمجنون ليبيا ولكن كل أسلحتهم ردت الى نحورهم ولن يكون لهم الا الخزى والهزيمة ولن يكون لنا الا النصر والفخار ·

الأهرام فى ١٩٧٧/٨/٩

عمر أفندى هو أورزدى باك

كان الناس يطلقون على عمر أفندى أورزدى باك وكان الاسمان كلاهما تجاريين ناجحين فى عهد من العهود ٠

ولعلك الآن تعجب أن افتتح حديثى اليك بهذه المقدمة التجـــارية وأنا رجل لا صلة لى بالتجارة ولا خبرة ٠ فان صبرت معى لتبينت أننى الى غير التجارة أقصد ٠

فلقد سمعت ـ والعهدة على الراوى ـ أن حزب الوفد المصرى الذى كان قبل الثورة والذى يحاول ورثته غير الشرعيين أن يعيدوه الى الحياة اليوم بعد أربعة وعشرين عاما سيتخذ لنفسه اسم الوفد الديموقراطى ٠ وأظنك الآن أدركت ما يشـــير اليه صـــــدر حديثى عن عمر أفنـــدى وأورزدى باك ٠

الا أن حزب الوفد المصرى كان اسما له معنى وهو اسم عزيز على تاريخ مصر فاليه انضم كل انسان فى مصر بدءا برجالاتها الذين كونوا الوفد المصرى الى كل فتى فى مصر كان فى ذلك الحين لا يزال باقيا لا تكتمل الألفاظ على شفتيه ٠

وكان الوفد برجالاته موفدا لمفاوضة الانجليز وكان المصريون جميعا قد وكلوه فى هذه المفاوضة ٠ فالوفد اذن كلمة لها معنى ولها مدلول ٠ وهى اليوم بلا معنى ولا مدلول ولا وجود أيضا ٠

وكانت كلمة مصرى أيضا لها معناها ومدلولها فهى تفرق بينه وبين الوفد البريطانى الذى كان سيفاوض بالنيابة عن بريطانيا ٠

وأرى أن كلمة الديموقراطى التى يراد بها أن تلحق باسم الوفد الذى يراد تلفيقه اليوم كلمة غريبة فى وجودها جميعا أيريدون ان يقولوا أن الوفد الأول كان وفدا ديكتاتوريا أما هذا فديموقراطى ٠ ان كان كذلك فاستروها عليه ان كنتم تريدون أن ترفعوا اسمه شعارا على حزبكم الجديد ٠

وهكذا يبين لك أنهم أرادوا أن ينتفعوا باسم عمر أفندى ولكنهم حوروه الى أورزدى باك وعلم الله أن التغيير لايفيد الحزب الجديد فى شىء ٠

ولكن هناك سؤالا حائرا أنا أعرف جوابه ولكن حيرة السؤال آتية من أن الآخرين يعرفون الجواب أيضا ولكنهم عن الحق يميلون والى غيره يتجهون ٠

من هم ورثة حزب الوفد الحقيقيون ٠ أهم الذين انضموا اليه شبابا وبذلوا أرواحهم وحرياتهم فى سبيله منذ هو فكرة تهم بالوجود ٠ أم هم الذين انضموا اليه وهو حزب مكتمل يتولى الوزارات ويولى الوزراء٠

أهم الباذلون الذين ضحوا أم هم المنتفعون الذين ارتفعوا على سلمه لا يبذلون من أنفسهم شيئا أو قد يبذلون بعض المال ان بالغوا فى البذل ٠

أهم الذين عرفهم وتبناهم سعد الرئيس الأول للوفد أم الذين عرفهم النحاس ولم يكونوا فى عهد سعد قد وجدوا فى عالم السياسة على الاطلاق ٠

الذى نعرفه أنه فى ميدان السياسة يتقدم صاحب التضحية وصاحب السبق فى ميدان البذل لا فى ميدان الانتفاع ٠

فان كان هناك اليوم من يجب أن يفكر فى اعادة حزب الوفد فهم اذن الذين ضحوا بحياتهم حين كان الوفد فكرة وحين كان مصطدما مع المستعمر وهؤلاء يدركون أنه قد مر على الأحزاب منذ حلت أربعة وعشرون عاما وأن مفاهيم الناس قد تغيرت ٠ وان الأجواء التى كانت تصلح لأحزاب الأمس لا تصلح لنفس هذه الأحزاب اليوم ٠٠ وان الناس الذين كانوا يلتفون حول أشخاص أصبحوا لا يلتفون الا حول أفكار وأن الشباب اليوم الذى يصل عمره الى الأربعين لايعرف عن أحزاب ما قبل الثورة شيئا ومن عرف منهم شيئا عنها فكما يعرف عن تاريخ مصر لا حاضرها ٠

ولقد كنت جالسا الى واحد من هذا الرعيل . وقال « أشهد أن مصر اليوم تشهد موقفا خارجيا لم تشهد مثيلا له منذ عهود طويلة . فهى على أحسن صلة بالعرب جميعا . وبالغرب والشرق على السواء . اذا استثنينا روسيا في الكتلة الشرقية وليبيا في العالم العربي . والخلاف مع الدولتين بسبب تصرفهما لا تصرفنا نحن » .

وفكرت في هذا الذى قاله ولعلى زدت أن روســـــيا لا تعرف من العلاقات الا علاقة الاحتلال ولا تقبل علاقة الصداقة . أما ليبيا فكان الله في عون رئيسها .

وقال السياسى العتيد أن هذا الموقف الخارجي الذى تتمتع به مصر هو خير جو ندخل فيه الى مفاوضات لحل مشكلة بذلت مصر في سبيلها الدماء والأموال مدة ثلاثين عاما . فتكوين أحزاب اليـوم والدخول في صراعات حزبية لا يتفق مع الوطنية وما يجب أن نكون عليـــه الآن ، أن المفاوض المصرى يجب أن يذهب الى جنيف مؤيدا بكل القوى المصرية . هذا هو رأى الساسة الوطنيين .

وانا أرى أن هذا هو التفكير الوطنى الذى يجدر بقوم يعرفون حق وطنهم غير باحثين عن زعامة أو نابشـــين عن رياســة قائمة في ركام التاريخ .

بيـــان رســمى سوفيتى

●● جاء فيه « ان الكرملين اعترف في منشور رسمي بوجــود نقص حاد في مستويات الخدمة والبضائع بالمجمعات الاســـتهلاكية في الاتحاد السوفيتي . وقد وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومجلس الوزراء اللوم للوزارات والمؤسسات المسئولة عن القطاع التجارى في هذا الشأن . وذكر المنشور أنه يوجد نقص في بعض البضائع داخل المجمعات الاستهلاكية بينما توجد كميات كبيرة منها في المخازن في الوقت الذى يلقى فيه المواطن السوفيتي معاملة غير لائقة من البائعين . وذكر مجلس الوزراء واللجنة المركزية أن مصـــانع كثيرة ما زالت مستمرة في انتاج سلع ليس هناك طلب عليها وأن تجار الجملة والتجزئة ليس لديهم وسائل النقل الكافية والمعدات اللازمة . والجدير بالذكر أنه قد ترددت

فى الأونة الأخيرة أنباء عن وجود أزمة في اللحوم ومنتجات الألبـــان وقد أشار ليونيد بريجنيف الزعيم السوفيتي نفسه الى أن الاتحاد السوفيتى قد أنتج جبلا من الأحذية بلغ عددها ٧٠٠ مليون زوج أحذية فى عام واحد ولكن هذا الكم الضخم لم يرض ذوق المستهلك السوفيتى » ٠

اذن فهذا هو ما قدمته الشيوعية للكادحين ٠ معاملة سيئة ونقص فى الضروريات وأحذية مرفوضة من الذوق العام ٠ أهذه هى نتيجة تجربة استمرت ستين عاما ٠ وصلوا فيها الى الفضاء بدماء الكادحين من الفلاح والعامل وهم مع ذلك بكل تبجح يحتلون الدول الشرقية جميعا ويمتصون خيراتها ويفرضون عليها أنفسهم بالسلاح وبالقهر ويضعضعون الأطفال فى المجر ويحتلون تشيكوسلوفاكيا بخمس دول من دول الستار الحديدى كل ذلك ليصلوا بأبناء هذه الشعوب الى ما تشكو منه الدولة الأم على لسان الكرملين ومجلس الوزراء ٠

ألا ترى معى أن كلمة الأم أبعد ما تكون عن موضعها ٠ وأين الأمومة الحانيـة الرحيمـة من هذه الدولة التى تفرض أمومتهـا بالســحق والمدفع والدماء ٠

مسرحيـة شـيوعية فى التليفزيون

●● هى تمثيلية مسلسلة استغرقت أربع حلقات للسهرة كلها واسمها الرحلة يدعو الكاتب فيها الى هدم جميع القيم فيجب على الأب أن يعلم ابنته الرقص والا فهو متأخر ويجب أن تهدم كل المعانى الكريمة التى نعيش بها لأنها تتنافى مع التقدمية التى يدعو اليها ٠ وهذه المعانى تقال فى خطب ظلم بواحدة منها الممثل العبقرى محمود المليجى واحتار فيها المخرج الذى أحسن اخراج المسرحية على ما بها ٠

وعلى أية حال ما كنت لاعنى بالتعليق على المسرحية جميعها لولا أن الكاتب أعلن على لسان احد أبطاله فى لهجة خطابية أيضا أنه لا حرية مع الفقر ولا حرية مع الخوف ٠

أما أنه لا حرية مع الخوف فهذا مما لا شك فيه فالحرية هى قتل الخوف ٠ أما أنه لا حرية مع الفقر فتلك دعوى شـيوعية مضحكة ٠٠

فالمذهب الشيوعى بنتائجه التى نراها يوزع الفقر مع الخوف فى وعاء واحد فكل شيوعى يتمتع بالفقر بقدر ما يتمتع بالخوف فى جنة الشيوعية الفيحاء ٠

ان المؤلف ينادى بدعوى الشيوعيين الساقطة الماحقة للبشرية المهينة للانسان ٠ الحرية مقابل رغيف العيش وكأنما لا تجتمع الحرية مع رغيف العيش فى مجتمع واحد ٠

وها نحن أولاء فى مصر نعانى ما نعانى من الفقر ولكننا مع ذلك نجد رغيف الخبز ونجد منذ بدء الحكم الحالى الحرية ٠ ان المكان الطبيعى للرغيف هو ظل الحرية ٠

أما آن الكلام أن ينمحى ٠٠ وأما آن لهذه النغمة المهينة المقززة أن تختفى من تليفزيون مصر الحرة ٠٠ التى أصبحت الحرية فيها هى شعارها الذى لا ترتضى شعارا غيره وظلا ليس ترضى بغيره ظلا ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٨/٢٣

هم أولاد الحقد الاسود

ما هؤلاء انهم أبناء الحقد الأسود · أبناء العهد الذى كانت الكلمة فيه تحارب بالدم · وتدفع فيه الحجة بالقتل · أبناء عهد مزق الأعراض ، وشتت القيم ، وسحق الأخلاق ، وأبعد الدين ، وقهر القانون ، حطم الرؤوس ، وضيع الذمم ·

أبناء عهد أعلنت فيه الطبقة الحاكمة ان موقف المدين اقوى من موقف الدائن · وصاحت فيه مصر انها لن تدفع الديون المستحقة عليها ·
ذلك العهد الذى ابتلعت فيه السجون الأجسام ودمرت النفوس وسحقت الرأى واعتدت على الشرف حتى لم يصبح هناك شرف وداست كل ذى كرامة حتى لم تعد هناك كرامة ·

هذا العهد الذى نرى أذياله اليوم يقتل بعضهم بعضا وتطفو على سطح الحقيقة ملايين الجنيهات التى كانت تخفيها السرقة واللصوصية وخيانة الأمانة واستباحة أموال الدولة واستغلال مواردها ومصادرها ·

هذا العهد الذى كانت الكلمة فيه ترتعد فى الأجواف لاتظهر · والفكرة تميع فى الرؤوس لا تكتمل · والكرامة توءد فى مكامنها لاتبين ·
هذا العهد اذا ولد فلا يلد الا هؤلاء الطغاة من الأطفال ، المجرمين من الصغار ، القتلة من الجهلاء ·

أعمل فيهم الحقد الأسود يديه فهم حاقدون وانشب الجبروت فى قلوبهم أظفاره فهم طغاة وأصبح الطغيان ايمانهم لا الدين فهم سفاحون ·

يعتنقون الدين يسترون به حقدهم وطغيانهم وتجرعهم للدماء يدعون أنهم أصحاب فكرة وليس لهم عقل يفكرون به لأن من لاقلب له لا عقل له ·

هم شر من الحيوانات الكاسرة لأن الحيوان خلقه ربه بغير تفكير فهو لايملك الاختيار ولأن الحيوان الذى هو أشرف منهم لايهاجم الفريسة الا اذا جاع ولا يعتدى الا اذا اعتدى عليه ٠

انهم أبناء عهد أرسي فى نفوسهم أن الدماء رخيصة ، وان أرواح الناس لينة الشأن مضاعة ، وانه لا كرامة لعلم ولا لعلماء ، وان الانسان لايجوز له أن يكون صاحب رأى ولا كلمة ٠

والعصا من العصية ولا تلد الحية الا حية ٠

فنحمد الله ونشكره ان العهد لم يتمخض الا عن هذه القلة مهما تبدو كثرة وما ألف وبعض ألف من ملايين الشباب يستنكرون فعل هذه الطغمة ويقبلون على المساجد منشرحة صدورهم من الايمان متفرحة قلوبهم بالعقيدة السمحة الغراء ٠

ملايين من الشباب يستنكرون فعل هذه الطغمة كما استنكروا من قبل رأى طغمة قامت مبادئها على الحقد والالحاد ٠ وعلى قمع الرأى الا رأيهم وسحق الانسان داخل الانسان وقتل الشرف والكرامة والعرض والقيم فى حياة البشر ٠

ملايين من الشباب يحبون الله ويكرهون الاجرام ويكبرون العلم ويبغضون الشيوعية ٠

كيف نجا هؤلاء وهم الكل لا يكسر اجماعهم هذه الفئة الضالة من حقد العهد الذى نشأوا فيه ٠

ان نفوسنا نحن المصريين تكره الحقد وتطرده وتتأبى على كل ما يضيع القيم العليا فى الحياة ٠ ولأننا كذلك نشأ جيل أبنائنا شريفا رفيعا متساميا ٠٠ ان كان محتاجا الى التثقيف فهو غير محتاج الى الكرامة والخلق الرفيع ٠ وان كان تعليمه منتقصا غير كامل فان ايمانه بربه كامل غير منتقص ٠

وقد قرأت منذ قريب حديثا رائعا لفضيلة الشيخ متولى الشعراوى وزير الأوقاف يقول فيه ان الدعوة الاسلامية والداعين لايختارون الطريق الصحيح ليصلوا به الى قلوب الشباب ٠

وهذا كلام صادق وحق

وحق أيضا أن أبناءنا لايتلقون علومهم بالطريقة التى تسمح لهم ان يصبحوا مثقفين فالمدارس تضيق بأبنائها والمدرسون الذين يتولون شئون

التدريس لم يكملوا هم دراستهم بصورة تتيح لهم أن يعلموا غيرهم ٠ وهم أيضا لايكفون لتدريس هذه الأعداد الضخمة فى المدارس ٠

والجامعات يكثر الطلاب فى مدرجاتها ومعاملهـــا حتى ليصبح من المستحيل أن يتلقوا العلم كما يجب أن يتلقوه ٠

والكتب الجامعية غالية الثمن والدروس الخصوصية فى الجامعة لايطيق مواجهتها الا أصحاب الثراء البعيد والمال العديد والجاه العتيد ٠
وبهذا يجد الطلبة أنفسهم فى حالة يرثى لها ٠

والكتب الثقافية غير مبذولة لطلابهـا ولست أنكر أن الكتب التى تنتج عن المكتبات للكتاب مرتفعة الثمن بصورة لايستطيع معها أن يقتنيها الا القلة ٠

وليست هنـــاك مكتبات عامة لتقدم هذه الكتب مجانا الى طالبى الثقافة ٠

وحين تنكمش الثقافة تزدهـر الجريمـــة ويتعملق التطرف الذى لايمسك به علم أو فهم أو تعمق ٠

وحين يفشو الجهل لابد أن ننتظر وجـود هذا الاجرام واللغة منذ قديم تقول جهل عليه أى أساء اليه وقديما قال عمرو بن كلثوم :

الا لايجهلن أحـــد علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل مرتبط بالاساءة مستمد منها فى مادته اللغوية وفى فعـله وفى معناه ٠

فاذا صاحب الحقد الجهل نشأ هؤلاء الذين يدينون بالاجرام وبالقتل وبالخراب وبالدمار ٠

لابد أن ينظر فى أمر التعليم كله لافى شـــأن الدعوة الاســلامية وحـدها ٠

ولابد أن يتيسر الحصول على الكتاب لمن يسعى اليـه ٠ بل يجب وجوبا لا محيد عنه أن يسعى الكتاب الى الشباب ٠

ولابد أن يفهم القائمون على أمر الشباب أن الرياضة وحدها ليست هى الشباب وانما الثقافة قبل الرياضة ٠

فواضيعتا لنا ونحن نرى البرامج التليفزيونية تقدم برامج تشرح أصول المصارعة الحرة وكرة القدم وكرة السلة وكل أنواع الكرة والمصارعة وليس هناك برنامج يصارع الجهل فيقدم أصول اللغة العربية أو التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم على مختلف ألوانها ٠

وواضيعتنا لنا ونحن نجد برنامج نادى السينما يقدم لنا حياة الممثلين على الشاشة ولا نجد برنامجا يقدم لنا حياة تولستوى أو هيجو أو ديكنز أو المتنبى ٠

وواضيعتنا لنا ونحن نجد ما يشبه وزارة للشباب كل همها المباراة التى تقام هنا أو هناك وليس فيها من يصيح بها ان الشباب ثقافة قبل أن يكون مباراة ٠ وان العناية يجب أن تكون بالرأس فى داخلها قبل أن تكون بالقدم واليد والعضلات ٠

ان شبابنا معطاء طيب ٠ وجميعه يبحث عن نفسه ولابد أن تتقدم اليه نفسه ممثلة فى كتاب لا فى ممثل أجنبى ولا فى كرة قدم ٠

وأعلم ان الدولة تحمل العبء الأكبر من تخلف مرافقهـا ولكن ما تنفقه على الرياضة تستطيع أن تحتجز نصفه لتنفقه على الثقافة ٠

فالثقافة هى الميدان الذى يجب أن يلتقى فيه الشباب بنفسه حتى يظل بعيدا عن هؤلاء السفاحين أبناء الحقد والدمار والضياع والماضى الذى اندثر والذى لن يستطيع هؤلاء الأطفال المجرمون أن يعيدوه ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٩/٢٠

حـديث عن الأحـزاب

لن نستطيع الفوضوية والاجرام والاعتداء على أمن الناس وحياتهم ان تميل بالحكم عندنا من القانون الى الديكتاتورية •

فان الرئيس الذى استطاع ان يكظم غيظـه فى أحـداث يناير وان يتمسك بالقانون أعظم ما يكون التمسك لن تميل به فئة بلا ضمير عن الطريق الذى ارتضاه لنفسه •

ومن المعروف أن استقرار الأمن العـام هو أهم ما تسعى اليـه الحكومات • وهذا الذى يحدث عندنا اليوم واجهته لندن منذ قريب وأنا لا اشك ان القائمين على الأمن عندنا بالغون ان شاء الله ما نرجو ان يبلغوه

ولكن لابد أن نقول ان رجال الشرطة فى الشوارع قليلون • ولابد أن نقول ان المرتب الذى يحصل عليه العاملون فى الشرطة قليل • وأن هؤلاء الرجال لابد ان نوفر لهم الأمن فى حياتهـم حتى يوفروا لنا الأمن فى حياتنا •

ولابد أن نذكر بما آل اليه حال الخفراء فى القرى من قلة فى العنصر البشرى وفى عنصر السلاح معا •

ان هذه الفتنة التى يوقد نارها أطفال وجهال ومجرمـون لابد أن تواجه بالحزم الصارم • والقانون يستطيع أن يكون حازما صارما •

ان هناك فئات كثيرة تريد أن تنتهز من حكم القانون فرصة لتعيث فسادا فحكم القانون يزلزل المبادىء التى تؤمن بها • فكل متطرف يحاول أن يثبت أن القانون ليس هو الشكل الأمثـل للحـكم • لكن مصر التى عرفت طريقها لن يستطيع المجرمون من المتطرفين أن يرسموا لها طريقا آخر والله من فوقنا خير الحاكمين •

قرأت منذ أيام مقالا ممتعا للأستاذ عبد الحميد الكاتب عن بعض النواحي الحزبية فأنا أكتب له هذه الكلمات اليوم أناشده الحق أن يكتب لنا عن الأحزاب • فان هناك الكثير مما يقال • والذين يكتبون عن أحزاب ما قبل الثورة لم يزيدوا عن ان يذكروا ما كانت تهاجم به الأحزاب بعضها البعض • والكتابة التاريخية لابد لهـا أن تبتعد عن الغوغائية والرخص والأحكام السريعة المبتسرة التي يطلقها قوم يصلحون أن يكونوا طبالين أو مهرجين ولا يصلحون أن يكونوا مؤرخين وكتابا منصفين •

وقد قرأت فيما قرأت كتابين عن أحزاب ما قبل الثورة وكان الكاتبان من الشيوعيين ولقد عجبت ولابد أنك ستعجب معي أن الكاتبين حاولا أن يثبتا أن الشيوعية هي صاحبة الفضل في التطور الاجتماعي والسياسي في مصر بينما كلنا نعرف أن الشيوعيين كانوا يعيشون في مصر عيشة أحقر من حياة الجرذان والفئران وبنات عرس • في سراديب مجهولة من الحياة العامة والخاصة • ولم يكن أحد منهم يجرؤ أن يطل برأسه على المعمور • وأنهم لم يكن لهم وجود رسمي الا يوم أعلنوا حل حزبهم الذى لم يجرؤ في يوم من الأيام ان يعلن عن وجوده • فيوم ظهر يوم مات • ثم استشروا بعد ذلك في الحكم فسادا وعانوا فيه كما يعبث المجرمون ومحترفو التخريب •

فأنا أرجو الأستاذ عبد الحميد أن يكتب لنا عن الأحزاب كتابة ترضى الضمير والحق •

وليبدأ يوم تكون الوفد في ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ ثم ليذكر لنا الخلافات التي انشبت أظافرها في الحزب وكيف تكون حزب الأحرار الدستوريين في عام ١٩٢٢ ثم ليذكر لنا تصريح ٢٨ فبراير وموقف الوفد منه وليفصل لنا حقيقة هذا التصريح الذى أصبح السلطان في مصر ملكا تحت ظله وأصبحت به مصر مملكة وأصبح لها دستور وبرلمان وتمثيل خارجي وليذكر لنا التحفظات الأربعة الشهيرة •

وليذكر لنا الأستاذ الكاتب كيف تألفت لجنة الدستور وكيف أنها رميت بأنها لجنة الأشقياء والمجرمين ثم كيف أصبح الدستور الذى وضعته من أعظم دساتير العالم في ذلك الحين ثم كيف مادت من تحته الأرض بسوء تصرف الملك •

وليذكر لنا الأستاذ عبد الحميد الكاتب كيف نشأ الحزب السعدى وما هي الخلافات الحقيقية التي جعلت رجلين في نزاهة النقراشي وأحمد ماهر ووطنيتهما يتركان الوفد •

ثم ليذكر لنا تاريخ حزب الوفد مع السراى وتاريخ الأحزاب الأخرى فى تفصيل نستطيع أن نعرف به حقيقة هذه الأحزاب وما قدمته لمصر من خير ومن شر ٠

وقد قال الرئيس السادات أن حكم الأحزاب لم يكن شرا كله ٠ وقد عاصر السادات هذا الحكم وعمل بالسياسة العامة فى ظله فما لنا اذن لا نسمع من المتحدثين عنه الاذما وقدحا ٠

ان مصر لم تقف من عام ١٩٢٣ الى عام ١٩٥٢ ٠ لمن يرجع الفضل فى هذا التقدم الذى بلغته ٠

ونحن نعلم أن الاحتلال كان يجثم على أنفاس مصر ، وكان الاحتلال مفروضا علينا فرضا من دولة لم تكن الشمس تغيب عن أملاكها وما كنا نطيق أن نحاربها ولم يكن لنا معها حيلة الا المفاوضة وهى يوم خرجت لم تخرج الا بعد مفاوضة وبعد أن أصبحت سياستها أن تصفى الامبراطورية وتلملم ظلها المنتشر لتصبح دولة من الدرجة الثانية مدركة فى ذكاء أن مجدها قد آن له أن يغرب وان امبرطوريتها قد حان لها أن تصبح مملكة ٠

ولعل الأستاذ عبد الحميد الكاتب يكتب لنا عن الغاء المعاهدة وبواعثه السياسية الداخلية وأثاره الخارجية والداخلية ٠ ولعله يكتب لنا عن ٤ فبراير كتابة ترضى الله والحق ٠

والأستاذ عبد الحميد كاتب مخضرم وما أعظم أن يكتب لنا عن رجالات الأحزاب وعن الأبواب التى دخلوا منها الى السياسة ٠ فمنهم الكثير دخلوا من باب ثورة ١٩ ومنهم من دخل من باب الثراء والأسرة ومنهم من دخل بلا مناسبة ان التاريخ اليوم جدير أن يكتب لانه ان لم يكتب التاريخ فى عهود الحرية وقع تحت التشويه والكذب والبهتان ٠

اذا كتب هذا التاريخ وعرفه الناس أصبحوا على وعى بخير هذه الأحزاب وشرها ٠ وأدركوا أن الصورة التى تكونت بها لم تعد صالحة للفكر السياسى اليوم فقد كانت الأحزاب جميعا تقوم حول أشخاص واليوم لابد من أفكار تقوم حولها الأحزاب ٠ وقد مرت على البلاد سنوات تقترب من ربع القرن وتغير المجتمع وتغير فكره وتغيرت القيم فيه فلابد للحزب الجديد أن يكون على وعى بهذا التغير ٠

ولكن يبدو أن بعض القوم لايدركون بعد هذا التغير الذى حل بالمجتمع فهم يحاولون أن يعيدوا الأحزاب بالهتاف والصراخ والغوغائية

ونقل هذه الوسائل قد تصلح فى لحظتها وما يلبث ترابها أن ينكشف عن فراغ ٠

ولو أن التاريخ عرف على حقيقته وعرف الشباب حقيقة هذه الأحزاب بلا مبالغة فى الذم ولا مبالغة فى المديح وانما بالحق الذى هو جدير بالمؤرخ لعرفوا ما يجب أن تقوم عليه أحزاب اليوم من مبادىء وأفكار لا من أشخاص وهتافات ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/٩/٢٧

١٩٧ م

خطــاب فى موعــده

هى فتاة فى ريق العمر ونضرته وكان فتاها شابا يعمل فى مطبعة وكان يكسب ما يقوم بشأن بيته . وتم بينهما الزواج ومشى بهما العمر رضيا هانئا تلك الهنـاءة التى تخلو من الأحـداث الكبرى ولا تخلو من الخلافات الصغيرة التى تنشـأ بين زوجين فى أول حياتهما الزوجيـة . فالزوج ذو عادات وتربية خاصة والزوجة لها بدواتها وتربيتها الخاصة . وحين تصطدم التربية بالتربية والنشأة الغريبة بالنشأة الغريبة لابد أن تنشب هذه الخلافات الصغيرة وربما كانت الحياة تحلو بهذه الخلافات فهى آخر الأمر تصل الى صلح ووئام وتجديد للهوى وارساء للبناء وتأكيد للحب وتوثيق لرباط الزوجية أقدس ما خلق الله من صلة ومن عقود .

وانجبت الزوجـة الشابـة ولدين ولكن حدث أمـر ليس بعجيب ولا شاذ وقد يسأل سائل ففيم اذن اهتمامك به وكتابتك عنه وانت تعلم أنه ليس بعجيب ولا شاذ .

وربما راق لى أن أجيب على هذا التساؤل .. فالواقع أن الكاتب يكتب وهو لا يعرف لماذا يكتب وانما كل الذى يدريه أن شيئا ما لا يدرى مأتاه هزه هزا عنيفا ودفع به الى الكتابة . وليس يعنيه فى شىء أن يكون هذا الذى يكتبه جديدا على الناس أم قديما .

وقال عنترة قبل ظهور الاسلام وفى غروب الجاهلية . هل غادر الشعراء من متردم . فوحقك ليس بين الناس من جديد فالشر قديم قدم قابيل وهابيل والخير قديم قدم آدم ومن أعقبه من انبياء .

كان جار الزوجين شابا فى مقتبل العمر ينتمى الى أسرة عريضة شهيرة بين الناس . وكان للشاب سيارة وضيئة وابتسامة آسرة وأهم من هاتين كانت له سمعة أنه ثرى وأنه يحب أن ينفق من ثرائه هذا .

ولم تهتم الزوجة أن هذا الشاب جاهل لم يكمل تعليمه ٠ وكان من الغباء بحيث لاتستطيع أن تستبين غباءه ٠

بالغ الفتى فى اظهار محاسن سيارته ٠ وبالغ أيضا فى اطلاق ابتسامته على قلب الزوجة وترك سمعة ثرائه تنساب اليها في سيل جارف حتى اذا أيقن أنه وقع من نفسها حيث يريد أن يقع بدأ حديثه ٠

ولم يكن هذا التخطيط عن ذكاء ــ لا قدر الله ــ وانما هو مران تعود به أن يصاحب الفتيات ٠ وفيم ينشغل الجاهل الجميل الا بالنساء ٠

وقد تجد بين الناس أغبياء وانما يتقنون من حياتهم جانبا واحدا ٠ وهم فى هذا الجانب الذى يتقنون يصبحون اعلاما متمرسين حتى ليبدو الفرد منهم وكأنه ذكى شديد الذكاء ٠

أشار اليها فرفضت فالح فامتنعت فاغراها بنزهة بريئة بالسيارة فتمنعت تمنع النساء التى قيل عنهن يتمنعن وهن الراغبات ٠ وأدرك الفتى بخبرته أنها أصبحت من أولئك الراغبات فاعاد الالحاح فقبلت ونزلت الى السيارة ٠

ــ اتعرفين كم أحبك ٠

ــ انبى متزوجة ٠

ــ أعلم ٠

ــ وأم لطفلين ٠

ــ وأعلم ٠

ــ فما اصرارك هذا ٠

ــ وهل للحب أسباب ٠

ــ أنت غني وجميل ٠

ــ اترينني جميلا ٠

ــ وأنت تعلم ٠

ــ اذن ٠

ــ تستطيع أن تجد غيرى كثيرات ٠

ــ ولكنى أريدك أنت ٠

ــ وماذا تريد لعلاقتنا هذه ٠

ــ ما تريدين أنت ٠

ــ أنا لا أعرف الا الزواج ٠

فليكن ما تريدين ٠

ـ كيف ٠

ـ تتركين زوجك ٠

ـ هل هذا معقول ٠

ـ وكيف يمكن أن يتم زواجي ٠

ـ لا يمكن ٠

لم تقتنع في النزهة الأولى بالسيارة ولكنها في الثانية والثالثة والعاشرة أقتنعت ٠

وحين تريد الزوجة أن تترك زوجها لا يمنعها شيء خاصة اذا كان الزوج شريفا ولا يقبل أن يعيش مع زوجة لا تحبه ٠

طلقت الزوجة من زوجها وتركت طفليها له ومكثت شهور العدة في بيت أبيها ثم تزوجت السيارة والابتسامة الآسرة ٠

كانت قد ورثت عن أمها نصف بيت فباعته ٠ فهي لم تعد في حاجة الى رأس مال يؤمن حياتها فليس بعد غنى زوجها أمان ٠ وهي تريد ثمن نصف البيت هذا لتشعر انها غنية هي أيضا ٠

وكان أبوها رجلا في اخريات عمره يعيش مما يتقاضاه من معاش ٠

ويبدو أن الأب لم يكن راضيا على تصرف ابنته أو يبدو أن الموت قد حلا له أن يختطفه دون ابداء أسباب فالموت غير محتاج الى تقديم أسباب٠

وأصبحت الزوجة القديمة الجديدة ولا عائل لها الا زوجها ٠

ما هي الا شهور قلائل حتى اتضحت الامور جميعا ٠

الابتسامة تكشير عن انياب وليس ابتسامة فالفتى ذو الأصل العريض كثير الشجار كثير المطالب لا يرضيه شيء ٠

والسيارة كانت آخر ما يملك وكان لابد أن يبيعها فهو لم يعد لديه ما ينفقه عليها ٠ بل لم يعد لديه ما ينفقه الا ثمنها ٠

ـ ومن أين سنعيش بعد ذلك ٠

ـ سأسافر الى السعودية ٠

ـ وان لم تسافر ٠

ـ المسائل منتهية ٠

انفق ثمن السيارة ولم يبق شيء الا نصف البيت ينفقان منه ٠

أوشك هذا المال أيضا أن ينفذ ٠

وبقى مشروع السفر الى السعودية فاشترى تذكرة السفر من مال زوجته واتفق معها أن يسافر ويرسل اليها ما يمكنها من اللحاق به ٠

وفى الطريق الى المطار ٠

ـ هل بقى معك شيء من النقود ٠

ـ خمسون جنيها ٠

ـ هاتيها ٠

ـ وأنا كيف أعيش ٠

ـ فى ظرف أسبوع سيكون عندك ما تشائين من مال ٠

ـ وماذا أعمل فى هذا الأسبوع ٠

ـ ليس صعبا أن تدبرى أمرك لمدة أسبوع ٠

ـ امرى الى الله ٠

واخذ الخمسين جنيها ٠

وبعد أسبوع فعلا وصل اليها خطاب من زوجها ٠

لم يكن به مال وانما كان به ورقة طلاق ٠

وتسالنى فيم أقص هذه القصة وهى فى كل يوم على شاشة السينما٠ ولكننى اليوم انقلها اليك من الحياة لا من السينما ٠ وأنا مع ذلك لا أدرى لماذا أحببت أن أقصها عليك ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/١٠/٤٠

الغاء حزب اليسار لا يلغى اليسار

ليس فى أحزاب العالم أجمع حزب يحسن أن يرفع الصوت منه كما يحسن ذلك حزب اليسار فان لهم صوتا يجعل من يسمعه يحسب انهم أغلبية ساحقة ، وقد مارسوا هذه اللعبة فى مصر قبل الانتخابات وفى أثنائها وكان الناس يعتقدون أنهم سيحصلون على مقاعد عديدة فى مجلس الشعب لا تقل عن أربعين أو خمسين ممثلا • ثم تكشف غبار المعركة فاذا هما اثنان • أحدهما نجح بما لعائلته من صلات • والآخر بما له هو من أصدقاء فى الدائرة •

وفى هذه الأيام ينظر مجلس الشعب قانون الأحزاب • وواضح أن القانون يشترط الا يقل عدد أعضاء الحزب عن عشرين • ولا يسرى هذا الشرطة على الأحزاب القائمة فى المجلس •

وقد سمعت من بعض أعضاء المجلس ومن خارجه احتجاجا على هذا الاستثناء • وهم يرون أن يطبق القانون على جميع الأحزاب ما كان منها قائما وما هو فى مطوى الغيب مشروع •

وهم طبعا يريدون بذلك أن يلغوا حزب اليسار •

والحقيقة أن هذه هى المرة الأولى فى تاريخ مصر التى يسمح فيها بتجمع يسارى يمثل تمثيلا ظاهرا لا استخفاء فيه •

والحزب الشيوعى القديم لم يعلن شأنه الا يوم أعلن حل نفسه فى الصحف فى أوائل الستينات • وكان حديث الناس فى ذلك اليوم ، كيف ينحل حزب لم يعلن تكوينه أو وجوده •

والذى لاشك فيه أن الحزب لم يحل يوم أعلن حله ، بل ظل قائما فى الظلام كما كان شأنه دائما وأن كان بهذا الاعلان قد حاول أرضاء السلطة فى هذه الأيام ورضيت السلطة وسلطت يد الشيوعيين على جهات

كثيرة من حياتنا واضطر الذين اصبحوا فى مناصب الا يتصلوا بالشيوعية العالمية الا فى استخفاء شديد ·

وفى هذه الأيام النكدة تسربت الشيوعية الى شباب كثير يتعجل الغنى أو يتعجل السلطة أو يتعجل الشهرة ·

وكانت القاعدة الا يعين الشيوعى الا شيوعيا والا يتيح الفرصة الا للشيوعيين وهكذا استطاعوا فى هذه الفترة أن يغطوا وجه مصر تعينهم على ذلك عصابة ١٥ مايو الذين كان يربحون من صلاتهم بالشيوعيين أموالا لاحصر لها وحسبك أن تذكر هذه الاطنان التى شاءت السلطة يومذاك أن تكشف أمرها ولعله من الطريف أن اروى حوارا جرى بينى وبين أحد أقرباء على صبرى زعيم العصابة الذى استجلب أطنان السجاجيد والفراء ··

سألت :

ـ أصحيح ما يقال عن هذه الأحمال التى جاءت ؟

فقال القريب ··

ـ نعم صحيح ·· ولكن العجيب فى الأمر انه فى كل مرة يسافر كان يستجلب حمولات أكثر من هذه الحمولة ولم يحاول أحد أن يسأله أو يكشف أمره ··

المهم ان الشيوعيين سيطروا فى هذه الفترة سيطرة كاملة ولم يكن لهم حزب معلن وإن كانت لهم أحزاب تعمل تحت الأرض ·

واليوم يراد لهم من بعض الناس أن يلغوا حزبهم ·

وأحسب أن من واجبنا أن ننعم النظر فى الآثار المترتبة على بقاء لافتة الحزب أو الغائها ··

ماذا يحدث اذا بقى الحزب·· لا شىء الا أنه علامة على أن الديمقراطية المصرية الجديدة تسمح بوجود حزب ينتمى الى نظرية لا توافق على قيام الأحزاب · وتحت هذه اللافتة سيقف هذان العضوان وقد يستطيع طبلهما أن يجمع اليهما عضوا آخر أو عضوين · وحينذاك يصبح العمل تحت الأرض مرفوضا بكل معيار أو مقياس أو عدالة أو قانون ·· فما دام يسمح للشيوعى أن يظهر فما الذى يدعوه أن يختفى وحينذاك أيضا تصبح جريمة أن يلجأ أعضاء الحزب سواء كانوا أعضاء فى مجلس الشعب أو لم يكونوا الى خارج البلاد ليسيئوا الى سمعة مصر والى النظام القائم بها ·

أما اذا وافق مجلس الشعب على الغاء هذه اللافتة الشاحبة التى تحمل شعار اليسار فانهم سيجعلون منهم مظلومين وسيخرجون الى بلاد العالم يستجدون الشفقة فى أغلب أمرها تتزيا فى زى أموال وسيتباكى المهرجون على الحرية وأن كانوا هم خانقوها ومدمروها ·

فليبق حزب السيار فهو لا يساوى شيئا فى بقائه أو فى الغائه ولنجعل الذين سيبكون فى بلاد العالم سخفاء ولنسقط الحجة التى يستجدون بها العون أو الشفقة ·

وعلى أية حال فان الغاء حزب اليسار لا يلغى اليسار · فالمؤمنون به أو اذا شئت التعبير الصحيح ، الملحدون فيه سيظلون على الحادهم وعلى أفكارهم المدمرة العفنة سواء ضمتهم لافتة أو لم تضمهم ·· وعلى أية حال فالحزب ، والذى يعالنون بشيوعيتهم لا يمثلون الا جانبا هزيلا غاية الهزال من عددهم ، وعددهم هذا الظاهر والمختفى جميعا لا يمثل نسبة ذات شأن فى الحياة المصرية أو الشعب المصرى وأن ظنوا هم بأنفسهم انهم شىء له وجود أو قيمة ·

ميناء دمياط

من المشروعات التى تتوق اليها محافظة دمياط أن ينشأ فيها ميناء بحرى والواقع ان دمياط ميناء قديم وان كان ميناؤها قد عدا عليه الزمان فلا شك ان اعادة الميناء ستعود بالخير الوفير على أبناء دمياط جميعا بل وعلى مصر كلها ·

فليس منا الا من سمع عن تكدس البضائع والسفن فى ميناء الاسكندرية وبورسعيد ولاشك أن انشاء ميناء دمياط سيخفف الضغط وسيزيد من عدد السفن الراسية والبضائع المصدرة والمستوردة جميعا ·

ولاشك ان انشاء ميناء سيكلف مبالغ باهظة ، ولكن هذه التكاليف ما تلبث أن تسترد فى زمن يسير وليس انفاقا مخيفا ما يعود على البلاد بالكسب ·

وأبناء دمياط على ذكاء شديد فهم يبذلون فى سبيل مينائهم هذا جهدا حصيفا متبصرا فقد اصدروا كتابا فى هذا الشأن ويهتم نائب دمياط بهذه الأمنية اهتماما عظيما واننى حين أرفع صوتى معهم اتمنى أن يحقق الله أمانيهم التى هى بعض من امنيات مصر ·

الأهرام فى ١٩٧٧/١٠/٢٦

لا خلاف فى الديمقراطية

وصل الى من الأستاذ ابراهيم عبده خطاب يعلق به على مفكرتى فى الأسبوع الماضى وانى لأشكره على جميل ظنه بى وأعرض على القراء ما يخالفنى فيه · أو ما يظن أنه يخالفنى فيه ·

وقد كنت أرجو أن يكون دفاعى الطويل عن الديمقراطية شفيعا لى عنده فيحسن الظن بما ذهبت اليه فى مفكرتى السابقة · فان مواقع الكلام تعرف بتاريخ قائله وفى كل ما كتبت كانت الديمقراطية وفكرة الدستور هما الشعار الذى أكتب فى ضيائه وانى لم أكتب فى ضياء شعاع آخر منذ عرف قلمى هذا طريقه الى الورق أو الى الناس · وقبل أن استرسل فى هذا الحديث أحب أن أسوق اليك رأى الأستاذ ابراهيم عبده ثم نلتقى بعد ذلك ·

من الأمور التى تصدمنى ليس ما يقال فى عودة « الوفد » باسمه القديم أو باسم جديد ، وانما أزعجنى الرأى بأن الوقت غير مناسب لتكوين أحزاب معارضة حتى نفرغ من جنيف ، وأن الحزب الذى يسعى الوفديون الى تكوينه سوف يكون حزبا معارضا ولا ينبغى أن تكون معارضة فى الداخل فى مثل هذا الوقت العصيب ·

واذا كانت المعارضة خطرة فى هذا الوقت ولا ينبغى أن تقوم أحزاب لها ، فيجب أن نسرح مجلس الشعب الى أن ينتهى جنيف حتى لا تكون هناك أسئلة أو استجوابات · ويجب أن يستريح كل صاحب رأى فلا تشرع الأقلام للنقد والمعارضة ، وأحيانا المعارضة المشوبة بالتجريح ·

لقد عشنا الحرب العالمية الثانية : فاذا كان أولئك الذين حاربوا فى ظل أحزاب معارضة عرفت كيف تسمو على خلافاتها فى سبيل الوطن والهدف ، وكان المنهزمون أولئك الذين خلت بلادهم من أحزاب المعارضة وصمت الرأى الآخر عندهم صمت القبور ·

وهل أولئك الذين سوف تواجههم فى جنيف عطلوا أحزابهم عن آداء واجباتهم حتى يفرغوا هم أيضا من جنيف ؟

أن أى حزب معارض سوف يكون سندا للمفاوض المصرى ولن يكون بحال عقبة فى الطريق ، بل قيام حزب معارض اليوم ضرورة للحاكم ، فهو وثيقة دولية على أنه حاكم قوى يجىء الى ساحة جنيف وراءه معارضون بيد أنهم يساندونه فى جهاده صفا واحدا مع مؤيديه ، وليس هذا بالشىء القليل ٠

فأنا اذن قلت أن المعارضة خطرة ٠ وبناء عليه فهو يرى أن نسرح مجلس الشعب حتى لا تكون هناك أسئلة أو استجوابات ٠ وهو يرى بناء عليه أيضا أن يستريح كل صاحب رأى فلا تشرع الأقلام للنقد والمعارضة ٠٠

وحين تكون المقدمات غير صحيحة يمكن للنتائج أن تكون أى شىء ويمكن أن أواجه أنا بعد هذه السنوات الطوال بمن يظن بى أننى أعارض المعارضة ٠ ويذكرنى أن الديمقراطية انتصرت على القهر فى الحرب العالمية الثانية وكأنما طلبت اقفال الديمقراطية والعودة الى الدكتاتورية ٠ الا ترى يا أستاذ ابراهيم أنك حملت الحديث فوق ما يحتمل وأنت من أنت صلة بالكلمة ومعرفة بأسرارها ٠

فأنا أعلم يا أستاذ ابراهيم من النشأة الأولى ومن الطبيعة التى جبلنى الله عليها ومن الشهادة التى اعطتنى اياها كلية الحقوق ، وأكد علمى سنوات سود مهتكة الجوانب ممزقة الأيام مشردة اللحظات مفجعة مرتكسة عاجزة مهزومة منهارة كانت قبل ١٥ مايو ٠

أعلم من هذه وتلك أنه لا حياة للانسان حتى يكون انسانا فى غير الديمقراطية ٠

وأعلم أيضا ياأستاذ ابراهيم — وكنت أظن أنك تعلم انى أعلم — أنه لا ديمقراطية بلا أحزاب ٠ ولا أحزاب بلا معارضة ٠

وأعلم أيضا ٠٠٠ وقد أقول انه لابد لك أن تعلم أن الديمقراطية فى مصر اليوم وليدة تمر بفترة النقاهة بعد مرض قاتل جثم عليها عشرين عاما أو يزيد ٠

وأنا أعلم أن المريض فى فترة النقاهة لايعود الى اكتمال صحته اذا لم يعد الى طبيعة حياته رويدا رويدا فى غير اندفاعه ولا تسرع ٠

وما قلت الذى قلته من تأجيل الأحزاب الى ما بعد جنيف الا حرصنا على الديموقراطية ورغبة منى أن تعود حين تعود وكل الأجواء تساعد على انتعاشها وثبات أركانها وتوطيد دعائمها ٠

وأنت تعلم أن المعارضة فى أعظم بلد ديمقراطى وهى انجلترا صمتت طوال فترة الحرب · وأنت تعلم أن المعارضة فى انجلترا معارضة رشيدة تمرست بالديمقراطية وعاملتها سنين عددا ·

ويكفى أن تلقى نظرة على المعارضة عندنا ··· الا ترى البطولات التافهة تحاول أن تثب على أكتاف الحقائق وعلى صدر المصالح الوطنية العليا · أنا يا سيدى أخشى من هذه المعارضة ·

أخشى المعارضة غير الواعية · ولا ضير عليها أنها غير واعية فقد عاش الناس فترة كبت وأصبح يلذ لهم اليوم أن يشهروا سيوفا من خشب حاسبين أن فى هذا شجاعة ·

لو أن الديموقراطية كانت مستقرة عندنا · ولو أن أركانها توطدت لما طلبت أن تؤجل الأحزاب ·

ولكن الذى أعلمه أننا نتعلق بالديموقراطية ونتمسك بأهدابها · والذى أعلمه أنه ديموقراطية بلا أحزاب · ولكن الذى أثق به أن مطالبتنا بالديموقراطية وبالأحزاب جميعا من أجل المصلحة الوطنية العليا · فالديموقراطية والأحزاب وسيلة لا غاية ·

فحين طلبت أن تتأجل الأحزاب الجديدة الى ما بعد جنيف فكرت فى الوطن · وخشيت أن يشغلنا الأقل عن الأعظم والهين من الأهداف عن الرفيع السامق من الغايات ·

وبعد فقد صبرت البلاد بغير ديموقراطية عشرين عاما · وبدأ رئيس الدولة التجربة وعشنا فى ظلها آمنين · والتجربة لم تكتمل بعد وهى فى طريقها الى الاكتمال فهل يضيرها كثيرا أن تنتظر بضعة أشهر حتى لا يشغلنا تكوين الأحزاب عن دعم المفاوضين باسم مصر · وحتى يظهر وجهنا أمام العالم متحدا · والأحزاب القائمة تظل قائمة لانها فى وجودها لا تشغلنا عن القضية · فأن أخشى ما أخشاه أن يلهو النـاس بتكوين الأحزاب ويطربوا لصوت المعارض والمزايد والنهاز لفرصة فقر نعانيه وتطغى هذه الأصوات غير الوطنية على قضية استنفـدت منا دماء ثلاثين عاما وأموالا ما زلنا عاجزين أن نعوض بعضا منها ·

فلا عليك يا أخى الأستاذ ابراهيم فما نشدت غير مصلحة الوطن ·· وبالأمس كنت مع كبير من كبار رجال الأحزاب المصرية القديمـة وقال كلمة أنا متمسك بها بل وأعتقد أنها هى الدستور الذى يجب أن يرفعه رجال الأحزاب جميعا · قال نحن وطنيون قبل أن نكون حزبيين · هكذا نحن وهكذا يجب أن نكون وهكذا يجب أن نظل ·

الأهرام فى ١٩٧٧/١١/٢٠

نيران نيرون تتحول الى مشاعل مصرية

كان لابد أن البى دعوة الى روما وجهتها للأستاذ يحيى حقى ولى أكاديمية دى لينسى ليقدم كلانا بحثا فى الأدب العربى الذى تهتم به هذه الأكاديمية العتيدة وكان موعد السفر قريبا كل القرب من اليوم الذى فجعنا فيه بمقتل الشهيد يوسف السباعى وكنت احمل مع جرحه الغائر جرحين آخرين احدهما سبقه ببضعة أيام وكان السهم قد اختار لنفسه الصديق الانسان الدكتور الدمرداش أحمد ٠

ثم جاء اليوم الذى كرثنا فيه بيوسف وفى يوم توديعه فجعت فى قريبى وأستاذى المرحوم ابراهيم عبد الله أباظة الذى تمرنت عنده على المحاماه ثم زاملته فى مكتبه منذ عام ١٩٥٠ وحتى بعد أن اعتزلت المحاماة ظلت حجرتى بمكتبه الى عام ١٩٧٠ حين اختار رحمه الله أن يقيم بالمكتب حتى لا يضطر فى كل يوم أن يتجشم الطريق من مصر الجديدة الى مكتبه بعابدين ٠ وحين تركت المكتب ظلت صلتى به كما هى فما كانت تلمذتى ولا مرانى ولا كانت حجرتى بمكتبه هى صلتى به أو صلته بى وانما هو حب واعجاب واكبار وطريق من العمر قطعته معه والى جانبه وكنت أشعر منه بحنو الآباء والأخوة فكان فى هجير الحياة نسمة وكان فى شتائها دفئا وارتحل عن الدنيا فى حياء واطراق وخجل شأن العظماء وذكرت قول شوقى :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى

ووقفت على قبر يوسف حتى حجب عنا محياه السمح العطوف ثم انكفأت أودع أستاذى وأخا عمرى فى نفس اليوم ٠

ثم أنا لابد لى من السفر فى اليوم التالى وقد تكسرت فى نفسى أغصان كثيرة من الحب كنت أتخذها ظلا وارفا وكنت أتخذها من الحياة وقاء وذهبت الى روما ٠

كان رئيس الندوة المستشرق الشهير فرانشسيكو جابر يللى وكان من المقــرر أن يتحــدث فى اليوم الأول هو الأستاذ يحيى حقى على أن أتحدث أنا فى اليوم التالى ·

وكانت الندوة فى يوميها عن الأدب المصرى ·

وقد تحدث جابر يللى وأكذب لو قلت أننى فهمت عنه الا الأسماء التى ذكرها من الشعراءوأشهد أنــه ذكر أسماء كثيرة تدل على اطلاعــه الواسع على أدبنا وقد تحدث بعده الأستاذ يحيى حقى واختار أن يتكلم بالفرنسية مرتجلا وقد تكلم عن مشكلة ازدواج اللغة العربية والحيرة التى يقع فيها الكاتب حين لا تسعفه الكلمة العربية بما تؤديه اللفظة العامية ·

وتكلمت أنا فى اليوم الثانى عن تطور الرواية المصرية وكان حديثى باللغة العربية وتولى ترجمته الدكتور ميلاد عضو البعثة المصرية بروما وربمــا نشرت بعض من هــذا الحديث فى صفحة من صفحات الأهــرام الأدبية ·

الا اننى قدمت للحديث بكلمة عن فقدان يوسف السباعى وكان الأستاذ يحيى حقى قد أشار فى اليوم السابق أننى سأحدثهم هذا الحديث ولهذا تشجعت أن أتحدث عنه واعتذرت اليهم أن أحملهم أشجانى وحزنت لقدر مصر التى شاء الله أن تراق دماؤها فى الحرب والسلام فان صبرنا على الدماء تراق فى الحرب فكيف صبرنا عليها تراق فى السلام ·

وحين انتهيت من المحاضرة عقب الأستاذ المستشرق جابر يللى وكان كريما وعظيما حين طلب من الحاضرين الوقوف دقيقة حداد على الشهيد يوسف السباعى ·

وفى ذلك اليوم دعينا الأستاذ حقى وأنا الى حديث نلقيه فى نابولى وحدد لنا الموعد فقبلنــاه وذهبنــا الى جامعــة الدراسات العربية بنابولى فوجدنا شبابا يهتمون بأدبنا غاية الأهتمام وكانت الأسئلة منهم تدل على متابعة للأدب المصرى وحب له ·

ونابولى قريبة كل القرب من الجزيرة ذات السحر الذائع الصيت كابرى ولكن الوقت رفض رفضا باتا أن يسمح لنا بالذهاب الى هناك · وما كل ما يتمنى المرء يدركه · وبعد ذلك بيوم واحد تركنى الأستاذ يحيى حقى وتوجه مع السيدة حرمه الى فرنسا وبقيت وحدى فى روما وكان المستشار الثقافى المصرى الدكتور نبيل سالم قد دعانى لالتقى بالطلبة الذين يدرسون العربية بروما فى المركز الثقافى المصرى · وذهبت الى هناك فوجدت بيتا قديما بذل فيه المستشار الثقافى جهدا فاذا هو انيق رحب كأنه روح مصر المضياف وعلمت أن هذا القصر كان ملكا لنيرون وانه

منه أطل على روما وهى تحترق ولكن رجال الثقافة المصريين احالوا نيران نيرون الى مشاعل ثقافية عربية • والتقيت هناك بشباب ايطالى مهتم باللغة العربية غاية الاهتمام وكان حديثنا بالايطالية حينا ينطقون هم بها واجيبهم أنا بالعربية ويترجم لكلا الجانبين أساتذة مصريون أو المستشار الثقافى الدكتور نبيل وحينا أخر بالانجليزية فلا نحتاج الى ترجمة وقد التقيت هناك وبين هؤلاء الشباب بأعجوبة ما كنت أحسب أننى سألتقى بها أبد الدهر فقد كان بين هؤلاء الطلبة شاب شيوعى والى هنا لا عجب انما العجب العجاب والأمر الذى لا يكاد يصدقه أحد أنه كان شابا غاية فى الأدب والتهذيب سواء فى الرأى يسوقه أو فى الحجة يستقبلها ••

وقد مكثت بروما بعد ذلك بضعة أيام لا أستطيع أن أذكرها وانسى الفضل الذى سكبه سفيرنا هناك وقد التقيت فيه بشخصية يفخر بها كل مصرى فالأستاذ سمير أحمد الذى يصر الا يلحق بأسمه لقب دكتور يجيد الفرنسية والانجليزية والايطالية ولغات أخرى اجادة تامة وكان قد وصل من الدكتوراه فى الولايات المتحدة الى خطواتها الأخيرة وعاقته الظروف أن يتمها وإن كان قد ألف من الكتب لجامعات أمريكا ما يفوق التأليف للدكتوراه ولكنه فى صدق مع الناس وفى اعتزاز وترفع يأبى أن يضفى لقب الدكتوراه الى اسمه •

ولعل هذا الصدق يسفر عن شخصيته وعن صدقه ولكن لا أحسبه يسفر عن أدبه الجم وكياسته وفهمه لعمله فهما عميقا مشرقا لمصر • فأنه من الحـزن أن الفترة القاتمـة من حياة مصر والتى عـزلت الشعب عن السياسة جعلت هذه الشخصيات بعيدة عن الأضواء حتى ليظن الناظر الى الساحة المصرية أن البلاد خلت من الكفاءات والرجال • ولكن هيهات فمصر غنية برجالها كل الغنى وان كان الظلام حجبهم فان النور سيسطع حولهم ويعود الى مصر اطمئنانها الى أبنائها وبأبنائها • وبعد فقد يعجب عاجب ان القى هذا الحديث جميعه ولا أتكلم عن روما التى تعتبر معرض أوربا الدائم لروعة الفن الخالدة • والتى زحمها من الفنانين جمع يكفى أن يكون واحد منهم فى أمة حتى تصبح الأمة ثرية فى فنها باذخة •

وما أحسب أننى استطيع أن أتكلم عن هذه الروائع التى تستقبلك فى كل ميدان من ميادين روما وفى كل ثنية من ثنايا طرقاتها •

فأنا لست الرجل الصالح للكلام عن مقدار الروعة فى هذه الفنون فلست فى هذا الفن متخصصا وانما أنا ازاءها فرد من عباد الله الذين يحبون الفن ويكبرونه ويصل الفن الى العميق البعيد من نفوسهم فينعشها ويلقى اليها سكبا من الماء الخالد الذى لا ينضب •

وقفت أمام رسوم رفاييل خاشعا كأنى فى محراب ووقفت فى كنيسة سيستينيا مبهورا ووقفت أمام تماثيل روما وقد تراءت لى الدنيا حبا وجمالا وفنا وكأنما هى قد خلت من حقير أو جشع أو مأفون ٠

وفى كل مرة أرى هذه الشواق الفنية تجتذبنى الهة الفن الرفيع الى عوالم جديدة لا عهد لى بها فكأنما أنا مخلوق جديد لا صلة له بالأرض ولا وشيجة تجمعه بالمادة انما أنا روح خالص ولكننى اذا تصديت بأكثر من هذه الألفاظ التى تعبر عن اعجاب عام وقعت فى محظور من الأمر أخشى أن أتردى فيه وألقى اليك حديثا لا يرتفع الى مستوى النقد الفنى كما ينبغى أن يكون ، فأقف بك عند هذا مشفقا عليك من قول لا يفيدك على نفسى من رأى لا أجيده ٠

ثم الى باريس

ورأيت نفسى قريبا من فرنسا فقلت أطوف بمناثر العرفان وروعة القديم وشموخ الحديث وتطور الانسان الى اسمى مدارج الانسان ٠

وكان الجديد فى باريس المركز الثقافى الذى انشاه بمبيدو فقصدت اليه فى رفقة من قريبى محمود أباظة الذى أوشك أن يقدم رسالته فى الدكتوراه ومن الدكتور نبيل السخاوى أستاذ الفلسفة ٠

وقفت أمام البنــاء الخارجى وهو رســم أقره بمبيدو من بين مئات الرسوم وقد اراد به أن يصفع عصر المادة والانابيب والمداخن وكأنما أراد أن يقول للعصر أنك لم تصبح شيئا الا ذلك العادم الأسود من دخان قاتل يخرج من هذه المداخن أنه رسم يقول شيئا ولكنه شىء ليس جميلا على أية حــال ٠

فاذا تركت الباب الخارجى ورسم البناء الذى يحيط به سرت فى أنابيب من البلاستيك جعلتنى احس اننى أسير فى امعاء بناء ثم رأيت ما فى داخل البناء ٠

الانســان هو أهم عنصر فى حيــاة الدول المتحضرة البنــاء من الداخل يقدم للباحثين كل ما يريدون وكل قسم مختص بناحية من نواحى الحياة على اختلاف نواحيها وفى كل قسم عــدد من شاشات التليفزيون أو مكبرات الصور الفوتوغرافية ترى فى التليفزيون ما تشاء من أفلام علمية أو تاريخية أو جغرافيــة وترى فى الشاشة الأخرى ما شئت من الصور ٠

والأطفال هناك فى حلم علمى مثقف يشاهدون ما تهفو اليه نفوسهم معلومات ٠

ان هذا البناء الذى يبدو ظاهره مسخا مشوها يمثل انحدار القرن العشرين يحوى داخله عملاقا متفردا يمثل عظمة الانسان فى القرن العشرين ٠

وانى اليوم أفكر ولابد لى أن أفكر ٠ ترى لو لم نكن قد انفقنا مالنا والمال الذى اقترضناه على أمجاد شخص واحد قذفت بنا الى حروب متعاقبة أما كنا جديرين أن نكرم الانسان العربى بأن نقدم له حضارة العالم فى أيسر سبيل ولكن هيهات تنفع لو ٠ وانما بحسبنا أن نقول اليوم ان السلام اذا تهيأ لنا استطعنا أن نتفرغ لبناء الانسان العربى بعد أن دمرته الحروب ولبناء مصر بعد أن طحنها الغباء ولله الأمر من قبل ومن بعد ٠

الأهرام فى ١٩٧٧/١٢/١

فاتبع رأسها الذنبا

كان الله لصديقى لقد تركنى فى حيرة مؤلمة لايدرى فيها أين طريقه وكيف يتجه وقد نقل الى حيرته لم أستطع ان أمده بعون من رأى أو أنصحه بنافع من مشورة قال صديقى لى وهو تائه زائغ العينين ·

ابنى شاب فى العشرين أوشك أن ينتهى من دراستهوهو على خير ما يتمنى والد لولده أن يكون فهو يؤدى فـروض الله فى غير تظاهـر ولا افتعال وانما هى صلة بينه وبين الله لا يحب أن يطلع أحدا عليها · وهو غير متزمت بعد ذلك فله أصدقاؤه وله طرائفه ·

أحب أن يبدأ حياته العملية مبكرا فراح يوفر من مصروفـه حتى اشترى عجلا رباه وباعه واشترى بثمنه عجلين وهكذا حتى استطاع فى سنة وبعض السنة أن يصبح مالكا لأربعة عجول ·

وقال له أصدقاؤه فى القرية أنه يستطيع أن يحصل على علف لهذه العجول من الحكومة بشرط أن يؤمن عليها ·

واستدعى الموظف المختص الذى وزن العجول فوجد أنها تنقص عن الميزان المطلوب فهى اذن غير صالحة للتأمين ولا يستطيع الشاب اذن أن يحصل على علف لها بالثمن الرسمى ·

وانصرف الموظف ليرسل من يخبر الشاب أنه يستطيع أن يتقاضى عن هذا النقص فى الوزن اذا حصل على مبلغ من المال ·

ـ لمن ؟
ـ لنفسـه ·
ـ ولكنه موظف ·
ـ غلبان ·
ـ هذه رشوة ·

ــ اعتبرها صدقة ٠

ــ وكيف تكون صدقة وأنا أدفعها فى شىء لا يرضى الله ٠

ــ كل القرية تدفع له ٠

ــ ولكن هذا لا يرضى الله ٠

ــ وفيم نخالف الله اذا ساعدنا فقيرا محتاجا ٠

ــ انه يفرض اتاوة ولا يطلب صدقة ٠

ــ ولكنك تستطيع أن تعتبرها صدقة ٠

ــ أنا لا أكذب على الله ولا أكذب على نفسى ٠

ــ لابد من هذا حتى تسير الأمور ٠

ــ أسأل أبى ٠

وذهب الشاب الى أبيه ٠

ــ اذا أعطيته نلت العلف الذى أريد ولكن كيف أتوقع أن يبارك الله لى فى هذه التجارة وأنا افتتحها بمعصية وجاءنى الأب حائرا ٠

ــ اذا قلت لأبنى لاتدفع اقفلت فى وجهه جميع الأبواب فجميع الأبواب الآن لا تفتح الا بالرشوة واذا قلت له ادفع حطمت القيم الرفيعة التى تأصلت فى نفسه ٠ وانه ليقتلنى ان أحطمها أنا بدلا من أن انميها وأباركها واحمدها له وأحمده لها ٠ ماذا يمكن لأب يريد مصلحة أبنه أن يفعل القيم أصبحت عملة مطرودة من السوق ، أؤدمرها فى نفس أبنى بعد أن تكونت فعلا أيرضى الله هذا ٠

ومع حيرة الأب جمعت حيرتى وجئت أكتب هذا الذى أكتبه اليوم ٠

لقد استطاع العهد الماضى أن يدمر كل القيم ثم هو جلب الفقر والخراب على الشعب فازدادت القيم مواتا وخذلانا وذبولا ٠ هل أصبح من الحتم على الأباء اليوم أن يلقنوا أبناءهم الرشوة والفساد حتى تنفسح أمامهم الطريق ٠

وهناك حقيقة مخجلة ٠ هذا الموظف الذى طلب الرشوة موظف صغير ولا يغفر له الفقر أن ينال ماليس له بحق ٠وكان ينبغى على رئيسه أن يبطش به فانى واثق أن رئيسه يعلم فهذه العمليات ذات رائحة تزكم الانوف وكل موظف واضح المعالم عند رؤسائه ولكن الرئيس لا يبطش بالموظف المرتشى ٠٠ لا عن رحمة وان ادعى الرحمة وانما لان الرئيس هو الآخر يرتشى ٠ وينصلح عمل الرأس فيه فاسد ٠

الحقيقة ان هؤلاء الرؤساء فى الحكومة وفى القطاع العام منتشرون والغالبية العظمى منهم فاسدة أو تتستر على فساد ٠

هؤلاء الرؤوس صنعتهم الأيدى النتنة التى كانت تحكم مصر قبل ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ٠

وهذه الرؤوس مازالت تحتل أهم مناصب العمل فى حياتنا سواء كان ذلك فى الحكومة أو فى القطاع العام ٠

وقد استطاع الرئيس السادات أن يقضى على دهاقين الفساد وعمالقته ولكن هؤلاء لم يكونوا الا ذيول الأفعى أما رؤوس الأفعى فهم كثير وهم يسدون علينا منافذ الحياة وانهم مازالوا أحياء أقوياء هذه الرؤوس كثيرة تغلق أبواب الأمل فى عين مصر بالفساد الذى تشيعه والذى تعمل على اذاعته بين الناس حتى لقد وصل أمره الى باريس فسمعته هناك من بعض قوم يريدون أن يأتوا الى هنا بمشروعاتهم ولكنهم يخافون من هذا الذى يشيعه الفاسدون بما يعملون وما يذيعون على السواء وهؤلاء الفاسدون يعرقلون كل خطوة جادة الى التقدم الاقتصادى لمصر لانهم ينتمون الى عصر يمثل أسوأ فترات التدهور الاقتصادى الذى تردت فيه مصر ٠

وهذه الرؤوس تجعل أعداء النظافة من الفئران التى تتخفى فى الظلام القذر يتهامسون بالحكايات والأقاويل ولا يستطيع أحد أن يكذبهم ٠

وانى اليوم أصيح بالزعيم الذى أطاح بذيل الأفعى بالبيت القديم الذى يأبى الا أن يظل جديدا ٠

لاتقطعن ذنب الأفعى وترسلها ٠

ان كنت شهما فاتبع راسها الذنبا ٠

فلقد أصبح دهاقين الفساد الذين كشطوا فى ١٥ مايو الذنابا اليوم بجانب الرؤوس التى كانت ذيولا ثم تعملقت فسادا ورشوه وارتكاسا ٠

واذا كنا نذكر شيئا مما تتناوله الصحافة فما هو الا شيء هين مما تتناوله الألسنة فى المجالس الخاصة ٠ هامسة لانها تعودت على الهمس ولم تدرك بعد الحرية التى تعيش فيها ٠ وهامسة لأن الهمس يكسب الكذب ثوب الحقيقة فلا ندرى انصدق فويل لمصر اذا صدقنا أم نكذب فلماذا اذن لا يعجل العقا بالى المفسدين الذين تواترت فضائحهم ٠

اننا لاننسى يوم وقف محمود محمد محمود حين كان على رأس ديوان المحاسبة فى عهد الوزارة الوفدية الأخيرة يطلب بيانات عن مبلغ الخمسة آلاف جنيه التى أخذها كريم ثابت من مستشفى المواساه ويومذاك انصب الوعد والوعيد على صاحب الخلق الرفيع محمود محمد فصمد وقصد اليه وزير الداخلية يومذاك يلوح بالوعد متمثلا فى رتبة الباشوية وبالوعيد متمثلا فى الاقالة فأبى محمود محمد ثم قدم استقالته ٠ وقدم الأستاذ

مصطفى مرعى استجوابا فى هذا الشأن ان أمثال محمود محمد موجودين فى مصر فهى ما زالت عامرة بالشرفاء • ولكن ديوان المحاسبة هو الذى لم يصبح له وجود فلو عرف موظف أن ديوان المحاسبة سيراجع تصرفاته وأعماله وان لهذا الديوان اختصاصاته الخطيرة الهامة لتردد المواطنون كثيرا قبل أن يرتكبوا ما يرتكبون •

ان عودة ديوان المحاسبة بالفعل لا بالاسم أمر على غاية من الأهمية وهو ان عاد اليوم فلن يعوقه عن عمله سراى ملك أو مصالح محتل فهو أذن سيصبح خيرا مما كان عليه قبل الثورة • ان توسيع اختصاصات هذا الديوان يوفر مراقبا هاما على أعمال الموظفين فطبيعة عمله أن يكون عين الشعب الواعية اليقظة على تصرفات الهيئة التنفيذية •

ولو ان مجلس الدولة استرد ما كان قد منح له من اختصاص لم يمارسه الا فترة قصيرة جدا لاكتملت المراقبة والمحاسبة بتوقيع الجزاء ، وقد كان هذا الاختصاص يمنح لمجلس الدولة حق محاكمة العاملين فى الدولة اذا خالفوا القانون مبتدئا بالوزير منتهيا الى أصغر موظف • حينئذ يعلم الوزير انه لا يملك أن يخالف القانون •

فاذا حافظ الوزير على القانون حافظ الوكيل وحافظ من تلاه من الموظفين وينتظم العمل أو يقترب من الانتظام •

ان عهد الديمقراطية يعنى أن يسود القانون واذا لم يبدأ القانون بكبريات الأمور وجسامها فقد أهم عناصره واسسه •

ان القانون حين يكون هو الرقيب سيرغم الموظف الذى لا يراقبه ضميره ولا يراقب الله أن يخاف رقابة القانون •

واذا اطمأن الشعب الى رقابة القانون انقطعت السنة تتفلت الى آذان الناس بهمس يسمعه الناس ويحارون • لا يدرون أيصدقون أم يكذبون أما اذا وجد ديوان المحاسبة ومجلس الدولة فان المنصفين من الناس والذين لا غرض يحركهم يستطيعون أن يصنعوا كل مثير للأقاويل الكاذبة ويومذاك سيصنعونه بالحق الذى لاشك فيه ولا ابهام •

الأهرام فى ١٩٧٧/١٢/٥

قيس ولبنى تعود من الماضى

كنت عازفا عن الكتابة هذ الأسبوع ومالى لا أفعل ؟! أليس من حقى أن أنصرف عن الكتابة اذا كنت غير راغب فيها • ولماذا أرغب ؟ وقد احس حشرجة الكلمات على قلمى تريد أن تنطلق فتموت • وقد جربنا عهدا زريا كانت الكلمات فيه تموت وهى همس متخافت النبض فى نفس صاحبها ما يلبث أن يتسارع الى الفناء والصمت • وأى فارق بين كلمة تموت فى نفس صاحبها وأخرى تموت على سن القلم وثالثة تموت موءودة بعد ولادتها • فالكلمات لا تعيش الا اذا بلغت حيث ينبغى لها أن تبلغ • ولكن حيث تردنا المجاملة حينا وتصدنا الصداقة حينا آخـر وتموت الكلمات موءودة جاذ لنفس الكاتب أن تعزف عن الكتابة فالكتابة حياة • وكل كاتب يشهد مصرع كلمـة يلوذ بالصمت حتى لاتتكرر امامه مأسـاة كلمـاته •

وهكذا فزعت الى الصمت أريد أن أتوقف حينا أو بعض حين حتى يعود الى نفسى نشاطها وانسى الكلمات التى قتلتها • ولكن لك على حق • وأنا أحب أن أرعى حقك • فنحن على موعد نلتقى هنا كل أسـبوع وقد يضيق كثيرون بموعد لقائنا ولكن الأغلبية الكاثـرة لاتضيق واذا كانت الكلمات لاتغضب البعض لتترضى الأكثر فاولى بها أن تتخفى فى أستار الغيب لايحس بها أحد • فالكلمة حق • ولكل حق معارض ولكن المؤيد أكثـر •

الكلمة حق عند صاحبها والقارىء يعرف كاتبه ومتى هو على حق مع نفسه ومع ضميره ومتى هو على خداع وعلى نفاق • ومن هذه المعرفة التى يكونها القارىء عن كاتبه تتم معالم الكاتب •

وبعد فلعلك تعجب من هذا الحديث أسوقه اليك لا تعرف أسبابه ولا دواعيه ولكن أليس من حقى أحيانا أن أشكو اليك وأطلق الى سمعك

أهة ضاقت بها جنبات نفسى • أتعتبر من حقك وجدك أن تشكو الى فاذيع شكواك على النـــاس وليس من حقى أنا أن أهتف بك لتخفف عن نفسى ألما أو لا بثك خاطرة ضقت بها فسعيت اليك ان تشاركنى ما أضيق به •

ان كنت ترى أننى تجاوزت ما بينى وبينك من اتفاق غير مكتوب فاليك اذن أعتذر •• ولاتخذ سمتى اذن الى ما كنت أنوى أن أسوقه اليك فى أسبوعنا هذا •

فى الاسبوع الماضى كانت هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية تقيم العيد الثقافى الثانى للاسكندرية •

وقد دعيت الى هذا الاحتفال لأشارك فيه ولأشهد رواية قيس ولبنى لخليفة شرقى على المسرح الشعرى عزيز أباظة !

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشـقينا

ذهبت الى الاسكندرية لأشهد هذه الرواية التى لم أشـــهدها منذ قرابة ثلاثين عاما فقـد ظن المشرفون على المسرح فى هذه الفترة أنهـــم يستطيعون أن يخفوا وجه عزيز أباظة عن الشعر العربى اذا هم لم يفسحوا بين رواياته وبين الظهور على المسرح •• لأن مثلهم يجهل معنى أن يكون الشاعر عزيز أباظة ولأن مثلهم يجهل أن أحـــدا لن يستطيع أن يحجب الفنان العملاق عن الخلود •

ذهبت الى مسرح سيد درويش حيث كانت تعرض المسرحيـة وقد توقعت أن أجد المسرح خاليـــا الا من قلة من الذين يحبـون الشعر • فالشباب لم ير هذه المسرحيات وما كنت أتوقع أن يقبل على مشاهدتها •

وكانت المفاجأة الأولى أننى وجدت المسرح مليئا بالمشاهدين الأمر الذى أدهشنى وأدهش معى السيد محافظ الاسـكندرية الذى ينبغى أن أشكره على اهتمامه بالحركة الأدبية والثقافية والفنية بالاسكندرية •

وبدأ التمثيل • الممثلون يحبون الشعر الذى يلقونه وقد علمت أن الأستاذ عبد الحميد سليم الموجه الأدبى الذى قام بدور الحباب والد لبنى هو الذى أشرف على نطق اللغة العربية •

كان الشعر على ألســنة الممثلين الهواة الذين يمثلون شعرا باللغة العربية لأول مرة ينساب فى سهولة ويسر وفى موســـيقى حبيبـة الى النفس •

اذن فالناس تحب الشعر وتحب المسرح الشعرى وليس صـــحيحا ما يشاع من أن الشعب يريد السهولة العامية • التجربة تثبت دائما أن

الشعب يحب الفن الأصيل والفن الرفيع وقد كان مخرج الرواية وممثلها الأول موفقا غاية التوفيق فى اخراجه للرواية وفى تمثيله دور قيس • وقد استطاع أن يتغلب على المشاكل المادية بملابس بدت لى مناسبة وبمناظر بسيطة ومعبرة فالفنان دائما يعرف كيف يصل الى غايته مهما تكن العقبات فى سبيله •

اذا كانت هذه الفرقة من الهواة تجشمت الجهد لتخرج هذا العمل الأدبى الكبير أليس الأجدر بفرقنا المسرحية أن تعيد الى وجه المسرح المصرى اشراقه وسموقه ورفعته باعادة روايات شوقى وعزيز أباظة والشرقاوى وعبد الصبور •

أليس المسرح الذى ينتسب الى الدولة المصرية أجدر بأن يقدم الأعمال الرفيعة لشعرائنا الذين نعتز بانتاجهم فى العالم العربى ونتيح بذلك السبيل للمخرجين والممثلين أن يقدموا أعمالا جديرة بأن تنتسب الى الدولة •

ولعله يخلق بى أن أذكر أن الفنان كمال حسين قد اتصل بى منذ بضعة شهور ليخبرنى أنه بسبيله الى اخراج قيس ولبنى وأنه يريد أن يناقشنى وحددنا موعدا للقاء ثم اختلف الموعد ولم يتجدد الاتصال • ففكرة تمثيل هذه الروايات اذن لم تعد بعيدة عن أذهان العاملين فى المسرح •

ولقد رجوت السيد الوزير مرارا وربما أكون قد رجوته فى ندوة تليفزيونية حضرتها معه أن يخصص مسرحا للأعمال الأدبية الكبرى العربية والمترجمة ووعد بذلك • وأشهد أنه نفذ جانبا من الوعد فرأينا أعمالا عالمية مترجمة ولكننا بعد لم نشهد مسرحية من تراثنا الشعرى أو تراثنا الأدبى المنثور لتيمور أو باكثير مثلا • وقد يطيب لى وللسيد الوزير أن نذكر معا بيت شوقى الخالد :

احرام على بلابله الدوح   حلال للطير من كل جنس

الدين خلق

قد أرى بعض الشباب الذين تحدثت عنهم فى مفكرتى السابقة حائرين بين الفترة التى عاشوها وبين معتقداتهم ودينهم • وقد أرى كثيرا منهم يقيم الصلاة فى مواقيتها ويصوم رمضان ويؤدى الزكاة اذا كانت مفروضة عليه • وفى نفس الوقت يبارك قهر الانسان وتدمير المشاعر •

ويقول قائل منهم لقد تعلمنا وما كنا لنتعلم لولا هذه الفترة • ولقد شعرنا بالعزة وما كنا لنشعر بها لولا هذه الفترة •

وانى أسالهم أما كان يمكن أن يتعلموا ويظل الانسان كريما •

وهل كان لابد لهم أن يدمروا معنى الحياة ليشعروا هم بالعزة • وهل كانوا يشعرون بهذه العزة وهم مرعوبون مرتجفون •

وهل يرون أن هذا الاذلال الذى نزل على كثير من الناس هو الذى أتاح لهم أن يشعروا بالعزة وهل يعتقدون هم أن عزتهم ينبغى أن تقوم وتبنى على اذلال الآخرين •

وهل هم واثقون ان هذا السخط لم ينزل الا على الأغنياء • ألم يكن الاخوان المسلمون والشيوعيون فى بعض الفترات ضمن الذين ذاقوا الهول والهوان •

فانى ذاكر قصة رواها لى شيوعى صديق ولو كان تليفونى يعمل لاستأذنته أن أذكر اسمه ولكن التليفون معطل منذ شهر ولذلك أجد نفسى مضطرا ألا أذكر اسمه لإنى لم أستأذنه •

قال انه كان مقبوضا عليه بتهمة الشيوعية وكان مرحلا فى القطار الى الواحات ثم وقف القطار فى احدى محطات الصعيد فنزل هو وأخوانه الى جانب القطار وكانت يده مغلولة الى حديد القطار حتى لايهرب وكان القيد طويلا يسمح له أن يقف الى جانب القطار ولكن لايسمح له أن يسير• وفجأة ودون انذار سار القطار وصديقى الشيوعى على الرصيف وقبل أن يتمكن من العودة الى القطار وظل القطار سائرا مسافة نصف كيلو كانت كافية أن يقيم صديقى فى المستشفى عدة شهور •

اذن فالعذاب لم يلحق الأغنياء وحدهم ولم يصب على فئة بعينها وانما جمع أقصى اليمين وأقصى اليسار وما بينهما •

أيرضى الله هذا ؟

ان هؤلاء الشبان الذين يقيمون الصلاة ويقفون عند حدود الله لا شك يعلمون ان الدين خلق • وانه المعاملة" • والصلاة معاملة بين الانسان وربه وهذه صلة الله وحده يجزى بها أما الصلة بين الانسان ومجتمعه فانها اذا لم تتخلق بخلق الأديان فان الانسان يصبح عندئذ كريها عند مجتمعه وربه فى ان معا •

ان هؤلاء الشـباب الذين يقيمون الصـلاة ويقفون عند حدود الله عليهم أن يقرأو سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ويروا كيف كان هؤلاء الائمة يكرمون الانسان ويحترمون حدوده ٠

وانى أذكر قصة عن عمر بن الخطاب تروى لى أن قاتل أخيه قصد اليه وهو أمير مؤمنين فقال الأمير ٠

ـ أنت قاتل أخى ؟

ـ نعـم ٠

ـ لا أحبك حتى تحب الأرض الدما ٠

ـ أو مانعى هذا حقـا ؟

ـ لا ٠

ـ فانه لا يأسى على الحب الا النساء ٠

فهكذا كان العدل عند هؤلاء الأئمة والعدل هو تكريم الانسان واسمع معى عمر بن الخطاب يقول لأحد ولاته ٠

« اس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » ٠

فعمر يأبى لمن يوليه الأمر ان يبتسم لشخص ويعبس لآخر ٠

هكذا كان الانسان قيمة عظمى فى الاسلام وهكذا هو دائما وسيظل ٠

أيها الشباب تعلموا ماشئتم وأشكروا من أتاح لكم هذا التعليم ولكن اذا لم تستطيعوا بتعليمكم ان تعرفوا معنى العرض ومعنى الشرف ومعنى الكرامة ومعنى العدل ومعنى الانسان ومعنى الحرية ومعنى الرعب ومعنى الذعر ومعنى الحرمات المنتهكة ومعنى الظـلم والقهـــر والجبروت ٠٠ فما تعلمتم شيئا ٠ وكل ما انفق عليكم ذهب هباء بلا فائدة ٠

لقد تعلمتم لتعرفوا أن الحياة يجب أن تكون شرفا لا خنى وكرامة لا ذلة وترفعا لا صغارا واباء لا هوانا ٠٠ فان لم تعرفوا هذا فما تعلمتم شـــيئا ٠

انكم تصطنعون الحيرة التى أنتم فيها ٠ فانه لا حـيرة بين الشرف والهوان وبين العدل والظلم وبين الانسان واحط أنواع الحيوان ٠

الاهرام فى ١٩٧٧/١٢/٧

والحديث موجه الى رئيس مجلس الشعب

الأمر الذى لاشك فيه ان المهندس سيد مرعى من أكثر الناس خبرة بالحياة البرلمانية فلقد عاصرها من أربعينات هذا القرن وهو رجل شديد الذكاء لماح • فليس غريبا اذن ما نراه من قدرته البارعة فى رئاسة الجلسات وليس غريبا ما نجده منه فى كثير من الأحيان حين يشير اشارة قصيرة فاذا هى فى اختصارها وذكائها محاضرة كاملة • فاليه اتجه فالذى لاشك فيه انه لا يرضى عن هذه القوانين التى تطالعنا من مجلس الشعب •

ليس من المعقول أن يصدر المجلس قانونا فى الضرائب ينسحب على الماضى فمن المعروف ان القوانين الضرائبية تشبه القوانين الجنائية والقوانين الجنائية لا تنسحب على الماضى على اى صورة من الصور فان احدا لا يستطيع أن يتصور ان قانونا قد يصدر فى الغد يجرم فعلا لم يكن مجرما اليوم ومع ذلك يقع العقاب على الذى فعل هذا الفعل حين لم يكن جريمة • ان اى عقل او ضمير أو منطق او عدل لا يقبل هذا •

ولو كان الذين يضعون قوانين الضرائب من الخبراء لكان هذا الرأى البدهى فى حسبانهم وهم يضعون القانون •

والسيد المهندس رئيس المجلس يعرف تماما ان هذه القوانين ينبغى لها أن توضع بخبراء فى شأن الضرائب •

فالقانون الذى لا يدرس دراسة وافية وبعقول خبيرة كارثة وطنية لا سبيل الى رفعها •

والقانون لا يجوز أن يضعه الا الخبراء فيه • والادهى من ذلك اننى عرفت ان النواب الذين كانوا فى الجلسة عند التصويت على القانون كانوا لا يتجاوزون العشرين عضوا وانى ألجأ الى رئيس مجلس الشعب • أيرضيه هذا ؟

أليس من الطبيعى أن تعدل اللائحة بحيث يتحتم وجود ثلثى الأعضاء او أغلبيتهم على الأقل عند التصويت على القانون • فالذى نسمعه أن الأعضاء يثبتون حضورهم عند بداية الجلسة فاذا بدأت المناقشات أخذوا يخرجون الواحد بعد الأخر حتى اذا جاء موعد التصويت لم يبق بالجلسة الا عدد قليل لا يصلح مطلقا أن يمثل الرأى الحقيقى ويقول الناس ان العضو لايحضر الا مناقشة القانون الذى يعنيه وينسى العضو بذلك أنه نائب عن الأمة كلها ان كل قانون يصدر هو مسئول عنه مسئولية مباشرة •

وانى واثق ان السيد المهندس رئيس المجلس لا يقبل هذا • أيكتب القوانين من ليس خبيرا فيها ويناقشها من لا يحضر مناقشتها ثم تصدر بعد ذلك قوانين الدولة تحمل الى العالم مقدار فهمنا للقوانين • وويل لنا اذا فهم العالم ان هذا هو فهمنا للقوانين •

ان عندنا المشرعين الذين وضعوا دساتير دول وعندنا تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وكلية الحقوق عندنا قديمة وخبراء القوانين والضرائب عندنا على أعلى مستوى فكيف لا نستفيد منهم •

ان أى قانون يصدر انما هو عنوان ضخم على مصر وعلى الحياة المصرية والعالم ـ وهو يرقبنا ـ سيتخذ من هذه القوانين علامات على مقدار فهمنا للديموقراطية وللحرية وللقانون • والقانون هو أهم مظاهر الديموقراطية والحرية فان يصدر قانون يجعل الضرائب تنسحب على الماضى أمر ترفضه العدالة القانونية ولذلك فالدستور ينص على عدم رجعية القوانين فالأصل انه لارجعية فى القوانين وغير ذلك استثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ولا يعقل أن يكون قانون ضرائبى استثناء من هذه القاعدة الأساسية •

وأنا يدفعنى الى هذا الحديث ما علمته وقرأته اليوم فى الصحف من ان أكثر من عضو تقدموا طالبين اعادة المناقشة فى قانون رجعية الضريبة على التصرفات العقارية ، وعلى كل حال ألا تستطيع الضريبة العامة على الايراد أن تغنى الدولة عن هذه القوانين الاستثنائية •

وما نسمعه أيضا عن قوانين الشقق المفروشة يجعلنا نخاف خوفا شديدا على ما ينتظر هذه القوانين من مصير •

فالله وحده يعلم ان كثيرين فى مصر يعيشون من هذه الشقق المفروشة وهناك سيدات أرامل تركن شققهن وعشن مع أخوة لهن بعد أن دفعن لهم أو لهن جانبا من الايجار الذى يصبنه من شقتهن المفروشة ويسترن أنفسهن بعد ذلك بما يتبقى لهن • أمثل أولئك يدفعن ضرائب •

وكثير من الطلبة يتعاونون ليعيشوا معا فى شقة مفروشة لولاها لاصبحوا بلا مأوى . ولو قسا القانون أمتنع عليهم أن يجدوا مكانا .

وكثير ما نجد أشخاصا آخرين لا مورد لهم الا شقة مفروشة يعيشون من جدواها . ان لم تكن القوانين رحمة فهى كارثة . فمن يرفق بالشعب .

ان لم يرفق به ممثلوه وأبناؤه .

والحديث موجه الى رئيس مجلس الشعب ، ارفعوا الضريبة ما شئتم على الذى يؤجر شقتين أو أكثر . فهذه تجارة لا يشرعها العدل ولا يقبلها الضمير ومن الطبيعى أن تتقاضى عليها الدولة ما شاءت من ضرائب أن تفرضوا ضريبة عالية على الشقة الواحدة فأنتم بذلك تنزلون الفقر بقوم كثيرين لا يستغلون أحدا وانما كل ما يهدفون اليه هو أن يعيشوا .

وهناك رأى سمعته أن الزوجة اذا كانت لها شقة مفروشة ولزوجها مثلها أعتبر القانون ذلك الأمر وكأن فردا واحدا يؤجر شقتين وهذا الرأى لا يدرك أن الاسلام فرق بين ثروة المرأة وثروة زوجها وما أحسب أن أعضاء مجلس الشعب يريدون أن يهدموا قاعدة دينية .

انما يمكن القول انه اذا كان هناك قاصر وأجر شقة فانه حينئذ يمكن اعتبار شقته للأسرة جميعا فالقاصر لا يجوز له أن يتصرف فى ماله . والفرق كبير بين القاصر والزوجة فى حالة القاصر لابد أن يستلم الايجار الولى الطبيعى وله فيه حق التصرف أما فى حالة الزوجة فان لها أن تستلم الايجار ولها أن تتصرف فيه كما تشاء .

وهذا الحديث الذى أسوقه انما هو رأى أدلى به لأبين لحضرات أعضاء مجلس الشعب أن الأمر ليس بالسهولة واليسر التى يتناولون بها القانون وانما لابد من خبراء لينظروا الى جميع جوانب الحياة وحينئذ يخرج القانون بعيدا عن العثار ويتقبله الناس فى رضا واقتناع .

أربعون يوما

غدا يمر اربعون يوما على وفاة يوسف السباعى . غدا يمر أربعون يوما على مأساة عصفت بقلوبنا جميعا فلا مر الأيام يخفف من لوعتنا ولا محاولتنا التعزى مجدية ولا نحن نستطيع النسيان . فالجرح عميق بعيد فى أغوار النفس . لقد أحببنا يوسف ولا يعزينا فيه أنه مات موت شهيد وانه فى سبيل مصر مات . لا شىء يعزينا ولكننا مع ذلك لا نملك الا أن نواصل الحياة لأن الحياة لا تريد الا أن تواصل سيرها وليس يعنيها أن نسير معها أو نحتجب فانها ماضية وليختر كل انسان مركبه .

تلح على اليوم ابتسامة يوسف · فقد كانت تذكرنى بأبى · وقد يجد الانسان صديقا فى الحياة ولكن هيهات يجد من يذكره بأبيه ·

أنا رجل كتب على الا أخاف انسانا على الأرض · فلا أخشى غير الله وأنا مستجير برحمته من خشيته · وبلطفه من جبروته · ولكننى فى الأرض كنت أخشى رحمة أبى بى ففى ظلال رحمته انسى نفسى واجد فى ايماءة منه وطرفة عين واشارة ·

وخشيت ابتسامة يوسف · فقد خالفته كثيرا وسرت فى طرق كثيرة كان يسير فى غيرها وكنت اذهب الى لقائه وأنا أدعو الله فى نفسى أن يثبتنى أمام ابتسامته لا أمام غضبه · فغضبه يسير سهل قريب الرضى وأنا عليه قادر ولكن ويلى من نفسى أمام ابتسامته · وكم حمدت لنفسى أننى دائما كنت أستطيع أن أفعل ما يميله على ضميرى رغم ابتسامة يوسف ·

لقد حاول الكثيرون أن يجعلوا من يوسف عدوا لهم ولكنه بابتسامته تحداهم ورفض أن يكون عدوا حتى ولو رفضوا هم أن يكونوا أصدقاء ·

وبعد فما لهذا الحديث لو شئت أن أمضى فيه نهاية ولكنى أحس أننى يجب أن اقمع نفسى فالنفس فى مثل هذه الأحيان تحتاج الى قمع ··· وانى قامعها ·

ردا على خطاب

جاءنى خطاب من الشاب عادل دياب يقول اننا نسرف فى مهاجمة العهد الماضى وان كثيرا من الشباب حائر فقد عاش يسمع المديح ثم فجأة طالعه هذا الهجوم وهو يدعو الشباب الى الحب والى ترك الحقد ·

أولا يا بنى أننا حين نهاجم العهد الماضى انما نهاجم الحقد وندعو الى الحب فقد كان قوام ذلك العهد وأسسه ودعائمه وبواعثه وأهدافه ومعانيه الخفية والظاهرة جميع هذا كان حقد ·

وأنا يا بنى لم يمسسنى من ذلك العهد شىء فأنا لم أفقد فدانا ولا قيراطا وأنا كونت اسمى فى مصر وفى العالم العربى فى ظل ذلك العهد · وأنا حاصل من ذلك العهد على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى حين نلت جائزة الدولة عام ٥٨ فالأمر ليس شخصيا بالنسبة لى · صحيح أننى لم أعمل فى وظيفة عامة فترة العهد جميعا ولكن هذا ليس شيئا يدعونى الى مهاجمة العهد فقد كان من الطبيعى أن أبعد عن الوظائف

العامة وأنا لم أكتب كلمة مديح واحدة فى العهد جميعه وهذا ما أحمد الله عليه فأنا لم اتغير ولم اتلون • ولقد حاول بعض أعوان العهد من ذوى السلطة والنفوذ أن يقربوا بينى وبين أمراء العهد فرفضت فما تصورت يوما أن اهادن من يقتل شعبى وبلادى ولا أحب يابنى أن أكشف رموز رواياتى وقصصى ولكن لعلك اذا وجدت ناقدا لعرفت أننى أيضا لم أكن شيطانا أخرس وانما كنت اتلمس السبيل لكلمتى أن تصل الى حيث أريدها أن تصل ••• وقد كانت تصل •

وبعد يا بنى فلا عليك أن تحتار فتاريخ العهد لم يكتب بعد وعندما يكتب التاريخ كتابة سليمة لا غش فيها ولا خداع ستعرف ما قدمه ذلك العهد ولماذا نشقى به حتى اليوم •

والتاريخ يا بنى لا يعرف الحقد فالذين يصنعون التاريخ والذين يحكمون البلاد ليسوا موتى بالمعنى الذى يقصده الحديث « أذكروا محاسن موتاكم » فانما يصدق هذا على عامة الناس الذين لم يؤثروا فى حياة الناس تأثيرا فعالا ولذلك نجد القرآن يهاجم فرعون مصر هجوما شديدا وقد كان ميتا يوم نزل القرآن وانما يضرب الله الأمثال للناس من واقع التاريخ فنحن حين نهاجم العهد انما ننبه الناس حتى لا تقع هذه الأخطـــاء مرة أخرى • والله يابنى يقول « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا » وانى أسألك كم مرة قتل الناس جميعا فى ذلك العهد ؟

ويابنى حين تستباح أعراض النساء وكرامة الرجال وحياء الناس تسقط الحياة جميعا • وانى أرجوك وألح فى الرجاء أن تجلس وحدك وتغمض عينيك وتفكر ماذا يعنى ان يستباح عرض سيدة شريفة لاذلال زوجها ولن اقسو عليك يا بنى وأقول لك أتتصور مثل هذا يحدث بسيدة تتصل بك بصلة رحم بل حتى لن أقسو عليك وأقول اتتصور مثل هذا يحدث لسيدة تعرفها وتكن لها الأحترام •

هذا يا بنى بعض من كل عريض ضخم بلينا به فترة حقيرة من الزمان فلا تعجب يا بنى فما هاجمنا عن حقد وانما هاجمنا الحقد فيه ولقد كان كله حقـــدا •

الحـرية حـق للجميـع

حمل الى البريد خطابا من عبد العُزيز حسن عبد العزيز يقول فيه انه رشح نفسه لعضوية المجلس المحلى فى قها ورفض التنازل لمنافسـه مرشح حزب الوسط ونقل الى خارج بلده حيث لايدرى فهو منذ أربعة وثلاثين يوما لا يعرف الجهة التى نقل اليها وكلما توجه الى مكان يرشدونه اليه رفضه المكان فهو في حلقة مفرغة لايوقع على دفتر ولا يعرف لنفسه عملا أو مكان عمل ٠

ومثل هذه الشكوى ليس مكانها المفكرة فالأهرام يفرد مكانا خاصا لمثل هذه الشكاوى الفردية وليس من عملى ان أتنـاول المشكلة الفردية بالتعليق فانى أحسب ان عمل الكاتب هو ان يعلق على المسائل العامة التى تمس أركان المجتمع ٠

ولكن هذا الخطاب الذى أقدمه ليس شكوى فردية أنه أساس من إسس الديموقراطية وعمود من عمدها الأصيلة يوشك أن ينهار ٠

واذا كنت أنا أرفض الشيوعية فلأننى أرفض الديكتاتورية وأرفض تدمير كيان الفرد وأرفض ما تدعو اليه من انكار الدين ٠ ولا يجوز أن أقبل من نفسى ما أرفضه عند غيرى ٠

لقد سأل صاحب الشكوى عن السبب الذى نقل من أجله الى حيث لا يدرى فكان هذا الحوار الذى أضعه كما أرسله ٠

ـ لماذا نقلت ولم أرتكب ذنبا ٠

ـ لأنك عضو بحزب اليسار ٠

ـ اليسار حزب شرعى وله نواب بمجلس الشعب ٠

ـ لدينا تعليمات صريحة بنقـــل وتشتيت أى عضو فى أى حزب معارض ٠

ـ أنا غير مقتنع أن هناك مثل هذه التعليمات ٠ فرئيس الجمهورية أعلن الديموقراطية ورئيس الوزراء متمسك بالديموقراطية وكل الجرائد تتحدث عن الديموقراطية ٠

ـ انه مجرد كلام فالحقيقة أنه لا يوجد الا حزب واحد هو حزب مصر ومن يعارضه يعارض مصر وينتمى الى دولة أجنبية ٠

ـ أنتم تشوهون التجربة الديموقراطيـــة وتسيئون الى الرئيس السادات والى حزب مصر ٠

ـ ألم تسمع ما قاله حامد محمود وفؤاد محيى الدين داخل مجلس الشعب أن حكومة حزب مصر لأعضاء حزب مصر فقط ٠

ـ أمعنى هذا أن يخرب بيتى ٠

ـ عليك أن تستقيل من حزب اليسار وتنضم الى حزب مصر ٠

ـ أنا مقتنع بحزب اليسار فكيف أنضم الى حزب مصر وسأكتب الى الصحف بأمرى ٠

ـ لن تجد أحدا يسمع لك ٠

ـ سأكتب الى ثروت أباظة ٠

ـ اذن فقد وقعت فى شر أعمالك فهو شديد العداء لحزب اليسار وسيشعر بالسعادة والبهجة حينما يعرف أن أحد أعضاء حزب اليسار مهدد بضياع مستقبله وخراب بيته دون مبرر ٠

والى هنا ينتهى النقاش ٠

وأبدأ حديثى الى عبد العزيز « كيف تؤمن بالديموقراطية كل هذا الايمان وتؤمن باليسار فى وقت واحد ؟ » لا عليك فهـذا شأنك وربما كنت من هذه القلة النادرة التى تمثل اليسار المصرى الشريف الذى يريد الخير لمصر بما يتصوره من خير فى المبادىء اليسارية ٠

وأيا كان شأنك ومهما يكن اتجاهك فالتصرف الذى تم معك مرفوض بكل معيارحر وهو مرفوض أولا من الفكر الديموقراطى ٠

ليس لرئيس أن يحاسب مرؤوسه بما يعتنق الرؤوس من مبادىء -

وفى هذا الحوار كلام كثير ينبغى أن يناقش ·

فالحقيقة أن الرئيس أعلن الديموقراطية وأن المؤسسات النيابية والشعبية تنفيذ لهذا الاعلان ·

وليس صحيحا أن حكومة حزب مصر لأعضاء حزب مصر · فحكومة حزب مصر لشعب مصر بما فيه من يمين ويسار ووسط وما فيه من مسلمين ومسيحيين ويهود وما فيه أيضا من ملحدين ومن يدينون بأية ديانة يرتضونها لأنفسهم بهائيين كانوا أو غير بهائيين · فحكومة حزب مصر تحكم مصر جميعا وكل فرد فى مصر مسؤلية فى أعناقهم هم مسئولون عن أمنه وعن غذائه وعن صحته وعن عمله وعن كل ما يتعلق بحياته الخاصة والعامة على السواء ·

وليس صحيحا أن كل يسارى أو شيوعى انما يتبع دولة أجنبية فهذا حضيض لم يتهافت اليه الا بعض الرؤوس فى المنظمات الشيوعية ولكن كثيرا منهم آخرين يعتنقون مذهبهم عن اقتناع انه الحل الأمثل لمصر وأنا أعرف يساريين ينتمون لمصر بكل خلجة من خوالج شعورهم ويعبدون الله بكل صدق وخشوع ومهما يكن الأمر فلا يجوز لى أن أرتكب ما أعيبه عند غيرى ·

وليس صحيحا يا أخى أن ثروت أباظة سيبتهج لهذا الظلم الذى يقع عليك فلقد طالما حزنت للظلم الذى أوقعه الشيوعيون على معارضيهم فى مصر وفى غير مصر ، وأنى أحزن نفس الحزن للظلم يقع على شيوعى فى مصر أو فى غير مصر ·

فكل ظلم مقيت وكل ظالم كريه مشوه النفس لا يقبله الله ولا الناس ·

وان أعظم سخطنا على الشيوعية أن الذين نفذوها فى أنحاء العالم كانوا وحوشا بشرية تبرأ منهم الانسانية · ويكفى أن نذكر أنهم قتلوا دولة بأكملها ليثبتوا الشيوعية فى روسيا · فكان ضحاياهم أكثر من أحد عشر مليونا من النفوس البشرية · وقتلوا مائة وخمسين ألفا من الأطفال والنساء والرجال فى ثورة المجر ضد الشيوعية ·

اننا نكره منهم أن الانسان عندهم غير كريم ومشاعره لا قيمة لها وما كنا نرضى لمن يعتنقون الديموقراطية والحرية أن يتخلقوا بخلقهم أو ينهجوا نهجهم والا فلا خير فى الحياة ·· فى كل الحياة ··

اننى أعتقد أن الديموقراطية هى أشرف المبادىء لأن حرية الانسان فيها مقدسة وهذا المبدأ وحده يشفع لها فى كل الأخطاء التى ترتكب باسمها ٠

فاذا لم نقدس هذا المبدأ فلا ديموقراطية اذن هناك ٠

وفى شكوى أخرى من الجهة المقابلة كتب عادل أحمد الجمل من ميت سلسيل مركز المنزلة دقهلية وهو طالب بكلية الهندسة جامعة القاهرة قسم مناجم ٠

يقول الأستاذ عادل :

« ان الشيوعى فى القرى أخطر منه فى الحضر ذلك لأن من يسمعه ليس لديه الثقافة الكافية لدفع نواياه الخبيثة أضف الى ذلك تلاعب الشيوعيين بالألفاظ وركوب موجة الأسعار مما يضاعف من خطورتهم ٠

وقريتنا بها أكبر تجمع شيوعى ٠ فالقرية مقسمة بيننا وبين الشيوعيين » ٠

ويقول وهذا هو الخطير الذى من أجله أكتب هذا الحديث :

« موظف الجمعية الاستهلاكية لا يصرف الكستور لفلان لأنه لا يؤمن بالفكر الشيوعى ٠ ناظر المدرسة يحول بنت فلان الى مدرسة بعيدة لأن والدها لم ينضم الى حزب اليسار ٠

حتى المشرف الرياضى لمركز الشباب كان يرشح فريق الكرة من بين أعضاء منظمة الشباب والآن يرشح الفريق حسب الاتجاهات السياسية لسيادته فهو يحفظ الميثاق وبيان ٣٠ مارس ومن حفظهما ياسعده ياهناه » ٠

والأستاذ عادل يطلب الى أن أبلغ شكواه الى وزير الشباب ولكننى فضلت أن أبلغ شكواه الى الرأى العام ٠

وانى لأحس بالألم الشديد لما حدث لعضو اليسار كما أحس بالألم الشديد لما يحدث فى قرية ميت سلسيل ٠

فالوجهان كلاهما كريه لا يمثلان حرية الرأى واحترام القيم الانسانية وان كان هذا هو الفهم الحقيقى للديموقراطية فقد ضاعت الديموقراطية ٠

ان الذى يستغل وظيفته ليملى مذهبه واتجاهه الفكرى شخص

لا يحترم الفكر الانسانى ولا الكيان البشرى الذى يجب أن يتمتع بالحرية أول ما يتمتع .

وان كان الحزب اليسارى فى ميت سلسيل يمارس ما يمارسه الحزب الشيوعى فى روسيا فليعلم أننا لسنا فى روسيا ولن نكون .

واننا هنا فى مصر بلد المآذن الألف والأزهر الشريف والدين القيم الذى كرم الانسان ورفعه على العالمين ومصر لن تسمح لحزب ميت سلسيل أن يهدم حرية الانسان وكرامته وعقله . كما لا تسمح للموظفين فى قها أن يحطموا الديموقراطية والحرية ويشردوا شابا يتلمس طريقه ويرى فى اليسارية طريقا صالحا . ومهما يكن هذا الرأى خاطئا فانه لا يجوز بأى حال أن يكون هذا الرأى سببا فى ايذاء صاحبه .

اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد .

عودة الى ادارة الادب

ربما حتم على عملى كسكرتير لاتحاد الكتاب أن أقف بجانب زملائى فى الاتحاد . ولكننى لست من الذين يخادعون الحق فى سبيل زمالة أو صداقة . وما كنت لأنشر هذا الذى أنشره ان لم أكن مقتنعا به . وانى أعجب أن يقف السيد وكيل الوزارة هذا الموقف الظالم للأدب والأدباء جميعا . فالذى أتصوره أن يكرم الناس الأدب والأدباء والذى لا شك فيه أن هذا الاكرام ينبغى له أن يبدأ فى وزارة الثقافة . فاذا ظلم أديب فى هذه الوزارة فان الشعور بالمرارة هناك فادح ولاذع وأليم . وأنا لا أتصور أن يبدأ هؤلاء الأدباء بالشكوى ان لم يكن الظلم الذى يقع عليهم ثقيلا لا تطيقه النفس الانسانية . ولا أريد هنا أن أقول ان نفس الأديب شفيفة يمضها الظلم ويحرقها الامتهان . فما أطالب بمعاملة خاصة لأعضاء نقابتى وانما غاية أملى أن يحظى الأديب منهم بما يتمتع به أمثاله من الموظفين . فالدولة ليست مطالبة برعاية النفس الحساسة عند الأديب وانما الدولة مطالبة برعاية انسانية الانسان عند الموظف .

ولا يؤلم النفس شىء قدر ان تلتوى أمامه الحقائق ويقف ازاءها عاجزا لا يطيق لها تصحيحا . ويزداد هذا الألم ايغالا اذا لوى الحقائق رئيس يتحصن بمنصبه من العدل ويحتجز الحق عن الملأ بما يملك من سلطان .

وانى أقدم فى هذه المفكرة الرد الذى كتبه موظفو ادارة الأدب على مارماهم به السيد وكيل الوزارة • والوزير المسئول عن الوزارة زميل لهؤلاء الكتاب فى نفس الاتحاد الذى نشرف بالانتساب اليه وانى واثق أن هذه الحقائق التى قدمها الأدباء لم تصل الى مسامع الوزير وانى أقدمها الى عدالة الوزير ولا أقول الى زمالة الوزير تحت عنوان « ادارة الأدب » أو «ادارة الفوضى» رد السيد عبد الحميد حمدى فى بريد الأهرام على ما أثاره أدباء ادارة الأدب فى مفكرة الأستاذ ثروت أباظة ، يقول انه أحال الأدباء للتحقيق معهم بسبب التغيب عن العمل ، وهذا لا يتفق مع الحقيقة فى شيء ، فالحقيقة تقول :

١ ـ أن السيد عبد الحميد حمدى قد هاجم أدباء ادارة الأدب بألفاظ غير لائقة ، ومهينة ، بل ومزرية بكرامة الأدباء ، مدعيا أنهم لا يتحركون الا من أجل الوظيفة ، وانهم مجرد « دراويش » وذلك بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٨/١/٢٥ •

٢ ـ رد أدباء ادارة الأدب على هجوم السيد عبد الحميد حمدى عليهم ، مفندين كل الأقوال والادعاءات التى قالها •• طالبين منه أن يواجههم فى ندوة علنية ، محتكمين فى ذلك الى ضمير الجماهير والقراء وذلك بتاريخ ٢/١ بنفس جريدة الأخبار •

٣ ـ لم يمض غير أيام الا وقد أحال السيد عبد الحميد حمدى أدباء ادارة الأدب للتحقيق معهم ، وكانت تأشيرته تقول بالحرف الواحد « للتحقيق فيما نشر اليوم بجريدة الأخبار » وهذه التأشيرة موجودة بخطه لدى الشئون القانونية بالهيئة •

الحكاية اذن ليست حكاية حضور أو انصراف ، وان كان هو يحاول أن يوحى بذلك •• ثم اننا الأدباء نريد أن نعرف أين نحضر وأين ننصرف •• ان المكان الذى تشغله ادارة الأدب لا يليق بالانسان •• انه حجرة مظلمة رطبة ببدروم أحمد شوقى ، محاطة بالتراب والقاذورات من الداخل والخارج ، انه مكان لا يصلح الا للجرذان ولا يليق بآدمية الانسان •• ومع ذلك نحضر فيه •

اننا نريد أن نسأل السيد عبد الحميد حمدى هل أصبحت القضية قضية حضور وانصراف ، ونحن الذين بح صوتنا طوال سنتين فى عهده من أجل طلب ميزانية للادارة بلا فائدة ؟ ان كل الأعمال التى نقوم بها هى بالمجهود الذاتى وعلى نفقتنا الخاصة •• ان القضية أكبر من مجرد الحضور

والانصراف ، انها قضية كرامة الأدباء التي يحاول السـيد عبد الحميد حمدي أن يهدرها ، لكننا نؤكد له انه لن يستطيع ٠

اننا نطلب من اللجنة الثقافية بمجلس الشعب أن ترسل الينا لجنة لتقصى الحقائق على الطبيعة ، لنرى أينا المخطىء وأينا المصيب ٠٠ وليعرف جماهير القراء أينا هو الذى يلوى الحقائق ويغير جوهر الأشياء ٠٠

اعضاء ادارة الأدب

وليس لى على هذا الحديث تعليق وانما ربما يكون لى اليه عودة ٠

الأهرام فى ١٤/١٢/١٩٧٧

خطاب من الـواقع

اقدم هذا الخطاب الذى جاءنى من اقتصادى كبير يعمل مستشارا اقتصاديا فى أبى ظبى وقد طلب الى الا أذكر اسـمه الا عنـد الضرورة والحقيقة اننى أجد ذكر اسمه هاما لما له من سمعة طيبة فى علمه وخلقه على السواء وهو الأستاذ محمود صدقى مراد وهو يقول :

طالعت الكلمات الصريحة التى كتبتها حول موضوع رجعية ضريبة البيوع العقارية .. وكذلك اشارتك الى ضرائب وقيود الشقق المفروشة .. واننى أتفق معك فيما ذهبت اليه فى مقالك ، ولكننى اختلف معك حين تذهب الى أن غالبية المنافقين جهلاء وأن غالبية العلماء جهلاء فى فن النفاق. فقد أصبح العلماء ايضا أساتذة فى فن النفاق .

فلو أخذنا ما جرى فى مجلس الشعب كمثـل تطبيقى لرجعيـة الضرائب وما سبقه من مناقشات عن الضرائب على الانتـاج الزراعى والثروة الحيوانية والدواجن وكذلك موضـوع بيع الشقق وتأجيرها ، لوجدنا أن من تبحث عنه من علماء فى الاقتصاد أو القانون كانوا متوفرين فى هذه المناقشات ومع ذلك ــ وكما سأوضح لك فيما بعد ــ يلاحظ أن هؤلاء العلماء نسوا أو تناسوا على الأصح البديهيات فى موضوع الضرائب ولست أدرى السبب ؟ وكما يصعب على أن أوجه الاتهام لهم فانه يصعب على أن ابرئهم اذ ليس تحت يدى الدراسات ولا البيانات ولا المبررات التى استندوا عليها .

ولكن نظرا لأنهم تجاهلوا البديهيات التى لا يختلف عليها اثنـان من خبراء الضرائب ــ وهم من العلماء الأفاضل فى هذا الميدان ــ فاننى أسمح لنفسى أن أرجح أنهم تناسوا علمهم فى مقابل ارضـاء الشعب سياسيا بالتظاهر بأنهم يبحثون عن العدالة الضريبية أو فى مقابل ارضاء

الحاكم عندما تشدد فى تحقيق العدالة الضريبية ٠ وكلنا يسلم أن جموع الشعب ليست خبراء فى علم الضرائب كمـــا أن الحاكم ليس خبيرا فى علم الضرائب ٠

وأرجح أنهم خشوا ان هم استخدموا علمهم وضمائرهم فى تحديد مفهوم العدالة الضريبية وما قد يترتب عليه من بعض الاعفاءات للمستثمرين والمنتجين من أصحاب الدخول المرتفعة أن يتهموا فى شعبيتهم أو يخسروا رضاء الحاكم ٠

أليس هذا نفاقا يا سيدى ؟

فهم يعلمون جيدا أن العدالة الضريبية ليست باخضــــاع الأرباح أو الدخول الى ضريبة نسبية فقط والا لكان أمرها ســهلا اذ أن العدالة بهذا المفهوم الضيق قد تؤدى الى الظلم ٠ ولنأخذ أمثلة عملية تفسر لنا الفرق بين العدالة الضريبية بمفهومها العلمى الموضوعى الواسع والعدالة الضريبية بمعناها الظاهرى الضيق الذى أخذوا به ســـواء فى قانون الضرائب أو بعض القوانين الأخرى للاسكان أو غيرها من القوانين :

المثال الأول المظهر عدالة ضريبية والنتيجة ظلم ضريبى :

كأن تفرض ضريبة على منتجى السلع الغذائية أو الضرورية بخاصة ، كمزارع الفاكهة مثلا والتى يفوق الطلب المعروض فيهـا ، والنتيجة أن يرفع المنتج السعر بما ينقل عبء الضريبة الى المستهلك ، وتكون النتيجة زيادة أسعار الفواكه ، بالنسبة للشعب ٠

المثال الثانى المظهر عدالة ضريبية والنتيجة اشـــــتداد الأزمة فى الحاجيات الشعبية الأساسية : كفرض الضرائب العقارية والتوسع فيها وادخالها فى وعاء الضريبة العام على الايراد ٠

فمن المسلم به منذ انشاء نظام الضرائب فى سنة ١٩٣٩ أن ميزانية الدولة تعجز وحدها عن القيام بدور رائد فى تنمية الثروة العقارية كما أن مدخرات القطاع الخاص ورغبة الأفراد فى التملك العقارى وتفضيله على أى استثمار آخر هو الذى يقوم بدور فعال فى هذا الميدان سواء المستثمر الصغير الذى يبنى لنفسه مسكنا أو يزيد الانتاج بضعة أفدنة يملكهـــا بزراعتها بالفواكه والخضروات أو تربية بعض المواشى أو الدواجن ٠٠ الخ وسواء فى ذلك المستثمر الكبير الذى يقدم على اصلاح الأراضى البور أو يقيم العمارات لبيعها شققا أو يعمل على اعداد وتقسيم أراضى البنـاء وبيع الأرض بالقطع الصغيرة وكذلك الشقق للمستثمر الصغير ٠

وقد أثبتت التجربة العملية في الربع قرن الماضي أن تدخل الحكومة في هذا الميدان سواء بسلاح الأسعار أو بسلاح الضريبة أو بالاجراءات الادارية قد أدى الى استفحال أزمة الاسكان وارتفاع أسعار المواد الغذائية خاصة الخضر والفوكه واللحوم ٠٠ الخ ٠

ولذلك من الحكمة لتحقيق العدالة بمعناها الواسع لجموع الشعب تشجيع القطاع الخاص بكافة الوسائل على زيادة الانتاج من المساكن والمواد الغذائية ٠ فالتوسع في فرض الضرائب العقارية والضرائب على الانتاج الزراعي والحيواني سيقلل من هذا الانتاج ٠

فما بالك لو فرضت بعض هذه الضرائب بأثر رجعي هذا الأثـر الرجعي الذي سيترتب عليه الاخلال بمراكز مالية وقانونية استقرت فعلا فضلا عن الآثار الخطيرة على المستقبل للاستثمار المحلي والأجنبي ٠٠ اذ كيف يطمئن المستثمر للمستقبل ؟؟ ان رجعيـة الضرائب لهـا أضرار تفوق الحصر ٠

المزايا التي تتحقق منه ـ والتي لا تتعدى تحصيل بضـعة ملايين لا قيمة لها بالنسبة للدول ولا عبرة باعفاء بعض دخـول لبعض المنتجين لبضع سنوات فهذا الاعفاء المؤقت قد يخفف من الآثار الضارة على مجموع الشعب ولكن آثاره باقية على مستقبل الانتاج لهذه الحاجيات الأساسية التي تعاني منها السوق نقصا خطيرا ٠

المثال الثالث : حظر بيع أكثر من ١٠٪ أو نسبة مئوية من الشقق أو فرض ضرائب على الشقق المفروشة أو وضع حدود لها :

مظهره : تحقيق وفرة في المساكن الخالية بينما تكون النتيجة نقص المعروض من الشقق للبيع فتزداد الأزمة استحكاما ٠٠ وكذلك ارتفـاع ايجار الشقق المفروشة أو نقص حصيلة البلاد من العملات الحرة ٠ ولأن غالبية هذه الشقق المفروشة في الأحياء الراقية كما أن غالبيتها مؤجـرة لأجانب فلا فائدة تعود على جموع الشعب من مثل هذه الاجراءات بل ان النتيجة الحتمية هي هروب المستثمرين أو تقليل عددهم وبالتالي نقص عدد المساكن المعروضة ٠

وغير ذلك من الأمثلة أردت أن أعرضها وكلي ثقة أن علماءنا من أعضاء مجلس الشعب على علم ودراية بها ولكنهم كما يبدو يفضلون ارضـاء العواطف الشعبية والظهور بمظهر المدافع عن حقوق الشعب على ارضـاء ضميرهم العلمي أفلا أكون محقـا حين أقول أن الجاهل المنافق له عذره أما العالم المنافق فله جهنم ؟؟

ولا أغالى اذا قلت اننى أعبر عن رأى أغلبية العاملين فى الخارج من المصريين لأننا هنا نمثل قطاعا كبيرا من المدخرين والمستثمرين الذين يعيشون بعيدا عن بلادهم العزيزة وقلوبهم وأحلامهم ان يضعوا مدخراتهـــم فى بلادهم ليساهموا فى الاستثمار والتنمية ٠

والى هنا ينتهى خطاب الأستاذ محمود صدقى مراد وهو يسفر عن شيئين ٠ أولا أن العلماء الذين تنزهوا عن الغرض يرون ما ذهبنا اليه من الظلم الفادح الذى يتحقق بتطبيق قانون الأثر الرجعى على البيوع التى تمت فى الماضى والأثر البالغ الخطورة بتطبيق قانون ضرائبى جائــر على الشقق المفروشة ٠

أما الأمر الآخـــر الذى يسفر عنـــه الخطاب فهو نظرة المصريين المقيمين فى الخارج الى هذه القوانين وكيف أنهـم يرقبونها بقلوب واجفة ستنتهى بهم الى العزوف عن المساهمـــة فى انعاش الاقتصـــاد المصرى بما يدخرون من جهد يبذلونه خارج بلادهم ٠

واذا كان هذا رأى المصريين فما ظنك بما سيراه المستثمرون الأجانب الذين لا يذهبون بأموالهم الا الى بلاد يطمئن فيها المال ويقـــر مضطرب القوانين فيها فرأس المال بطبيعته جبان وليس على استعداد أن يسعى الى حيث تفرض قوانين شاذة استثنائية فمثل هذه القوانين تجعلهـــم دائما فى قلق مفزع أن تصدر قوانين أخرى مثلها فى أى وقت من الأوقات ٠

وأذكر أن من المبادىء الأولى التى تعلمناها فى كلية الحقوق انه لابد للقانون أن يكون مستقرا مطمئنا ثابتا وليس مهددا بالتغيير فى كل وقت ولهذا وضعت الدساتير شروطا كثيرة وصـــعبة عند تغيير القوانين أو انشائها ٠

وبعد فلقد كنت قد عزمت الا أعود الى هذا الموضوع مرة أخرى ولكن هذا الخطاب جعلنى أحس ان الواجب يحتم على أن أنقل هذا الرأى الهام الى الشعب فان ضميرى لا يسمح لى أن أكتم مثـــل هذه النظرة الثاقبـــة والعملية فى وقت معا ٠

الأهرام فى ١٠ يناير ١٩٧٨

لو •• عرفت المعارضة واجبها

انحسر العهد الماضى عن فئة لا تفكر الا فى منافعها الخاصة غير عابئة بمصلحة مصر وشعب مصر • وقد استطاع ١٥ مايو أن يطيح بالرؤوس ، ولكن اذناب هذه الرؤوس ما زالت تعمل فى الحكومة وفى القطاع العام • وهى تكون جماعة تثرى ثراء فاحشا من غير طريق شريف • وهذه الجماعة تطحن من تمتد اليها أيديها من الشعب والشعب يئن ، ولكن مخلفات ١٥ مايو قوم بلا قلوب وبلا ضمير وبلا رحمة • انهم قوم تباعد بينهم وبين الانسانية وهيهات لغير الانسان أن يرحم •

وجرائد المعارضة تخرج علينا كل يوم باتهامات تسعد بهـا أفكار الناس لأنها تجعل أهداف اتهاماتها الشرفاء لا اللصوص • فجرائد المعارضة لا تبحث عن خير مصر وانما تبحث عن الاثارة وتشويه الوجوه الكريمة التى لا يشوب تاريخها شائبة • وجرائد المعارضة تنتمى احداهمـا الى قوم يتلقون أوامرهم من خارج مصر وترتبط مواثيقهم بمن لا دين لهم ولا خلق• ولهذا فنحن نراهم أعداء لكل ما أجمع الشعب على احترامه واجـلاله والاعجـاب به •

هم أعداء الله والدين ومن عجب انهم دائمـا يحاولون أن ينفوا عن أنفسهم هذه الحقيقة وكأنما صنعها لهم أعداؤهم صنعا واختلقوها عليهم اختـلاقا •

ومحاولتهم لنفى هذه التهمة فيما يبدو لى تنفيذ لأوامر صادرة اليهم من القيادة العليا الا يجعلوا الدين مثارة نقاش فى المرحلة الحالية • وهم يعلمون انهم لو عرضوا أنفسهم على جموع مصر الغفيرة من فلاحين وعمال بلا دين فسوف يسحقهم الفلاحون وسوف يحقرهم العمال فالدين فى مصر أصيل نبت مع انسان مصر ومع حضارتها •

وهؤلاء الشيوعيون رفضوا مبادرة السادات مع أن الشعب المصرى أجمع فرح بها ورأى فيها خلاصة من حرب ثلاثين عاما ، ورأى فيها انها كشفت اسرائيل على حقيقتها فلم تصبح هذه الدولة الداعية للسلام ٠

وغير هذا كثير رفضه هذا الجانب من المعارضة ٠

والجانب الآخر من المعارضة يعارض للمعارضة دون فكر واضح يلتف حوله ويقيم منه دستورا له واضحا ٠

وهكذا نجد المعارضة عند هؤلاء وأولئك نوعا من الضربات العمياء لا تصيب مكانا وانما تثير ضجيجا ٠ والضجيج ان ثار على غير أساس ما يلبث أن يبوخ ويصبح هزلا لا جد فيه ٠

وأنا الآن أكتب فى جريدة الأغلبية وانى واثق أن هذه الأغلبية ترحب بالمعارضة النظيفة التى تهدف الى خير مصر ومصلحة الشعب. فلو أن هاتين الجريدتين المعارضتين حاولتا العثور على العيوب الحقيقية في القطاع العام أو الحكومة ، وأظهرتا عليها الحكومة لتقيم المعوج وتصلح الفاسد لأصبحت المعارضة حينئذ جديرة بالاعجاب والاكبار من الحكومة ومن الحزب الحاكم ومن الشعب أجمع ٠

فالذى لا شك فيه أن هناك أشياء ينبغى أن يعرفها الحاكم ٠ وينبغى على الشعب أن يكشف عنها فاذا كان الفرد العادى يخشى على مصالحه التى قد تكون وديعة بين خائن أو لص فان المعارضة تستطيع أن ترفع عن كاهل هذا الفرد ما تنوء به وتكشف هى الحقائق لأولى الأمر ٠

وانما ينبغى أن تعرف المعارضة أن شرف الناس ليس أمرا هينا يخوض فيه من يشاء كيف يشاء بلا رقيب الذى يوقع العقاب بغير دليل يستوى فى ظلمه مع الحاكم والحاكم الذى لا يوقع عقوبة بلا دليل يظلم أسرة ، الذى يغضى عن المنحرف عينا تعرف حقيقته وتتستر عليها ٠

الحاكم الذى يوقع عقوبة بلا دليل يظلم أسرة ، والحاكم الذى لا يوقع العقوبة على من يستحقها يظلم شعبا وكلا الحاكمين ظالم ٠

فلو أن المعارضة أعانت الحاكم على العدل لنالت احترام الناس كل الناس واحترام الحاكم قبل جميع الناس ٠

الأهرام فى ١٩٧٨/١/١٧

حديث عن الحشيش

قد يعجب البعض لهذا العنوان الذى اخترته • وقبل أن أتخذ سمتى الى ما دعانى الى هذا الحديث أبادر فاعلن من لايعرفنى اننى لا أدخن هذا المخدر ولا أتعاطاه بأى وسيلة من وسائل التعاطى • وانما جاءنى خطاب فى هذه الأيام من طالب جامعى محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة الاتجار فى الحشيش • والاتجار بالمخدرات جريمة يجب أن يعاقب عليها القانون ولكن أن تكون العقوبة أشغالا شاقة مؤبدة فهذا أمر أعتقد أن المشرع يجب أن يعيد فيه النظر فقد صدر هذا التشريع فى وقت كان يراد فيه نفى تهمة التحشيش عن بعض المشتركين فى الحكم وقتذاك • وقد كانت الاشاعات تملأ الدنيا عن شخص بذاته كان من أهم الحكام •

والحقيقة أن هذا التشريع أيد الاشاعة بدلا من أن ينفيها • وعلى كل حال فليس هذا بسبب طبيعى تصدر من أجله القوانين • وقد كان هذا القانون عند صدوره مدعاة للدهشة ولعله أفلح فى أن يكون الهاما لكثير من النكت ، فقد كانت النكتة لفترة طويلة هى الصحافة الحرة الوحيدة التى يتمتع بها الشعب المصرى • وربما كان هذا هو الشىء الوحيد الذى أفلح فيه هذا القانون فان الاتجار فى المخدرات لم ينقص وكل الذى حدث أن ثمن الصنف قد ارتفع •

ولعله من الطريف أن أقدم اليك لمحة تاريخية عن الحشيش أنقلها نقلا من كتاب المكيفات للدكتور عبد العزيز أحمد شرف • فهو يقول :

« ظهر استعمال الحشيش من آلاف السنين بالهند والعجم ولكن انتشاره كان قليلا وربما لاعتياد الصينيين استعمال الأفيون • ولقد انتشر الأفيون بمصر واليونان تركيا فى القرن الخامس عشر ثم دخل العراق قادما من الفرس • ولقد انتشر الأفيون ومشتقاته من مئات السنين

وزاد انتشاره بعد الحرب العظمى الأولى حيث سئم النـاس حياة الجد والعمل فى أيام الحرب المفزعة فأدمنوا الأفيون والهيروين ملتمسين الراحة والخمول وعدم التفكير فى سوء حالتهم فجعلوا المخدرات غذاء لنفوسهم ودواء لأمراضهم وأكسيرا لحياتهم . أما أوراق نبات الكوكا فكانت معروفة عند هنود أمريكا منذ عهد قديم . وكان أول استعمالها عام ١٨٥٩ . ولم يقتصر اســتعمال المخدرات على بلدان الشرق فقد تبين كذلك أن الحشيش انتشر فى أمريكا وأوروبا من قديم الزمان وقد استعمله أدباء الغرب منهم بودلير ١٨٧٢ الذى وضع كتابا فى الحشيش بعنوان الجنة المصطنعة وجوتيه الذى وضع كتابا بعنوان نادى الحشاشين . وهذان قد صورا النعيم الذى يزعمه الحشاش أحسن تصوير » .

والى هنا ينتهى حديث الدكتور عبد العزيز أحمد شرف وهو غير زميلنا الأديب الدكتــور عبد العزيز شرف الذى يزاملنى فى الصفحة الأدبية للأهرام .

المهم أننى حين قرأت هذا الذى كتبه الدكتور شرف ذكرنى بالنعيم الذى عاش فيه بعض الكبار فى جحيم ٦٧ . فقد كانت البلد تحترق وهم يهيمون فى وديان النعيم المصطنع والذى لاشك فيه أن هذا القانون حين صـدر قد أكد الاشـاعة التى كانت تدور همســا عن الحاكم الحشـاش كما سبق أن قلت ثم جاءت حرب ٦٧ فزادت هذا التأكيد ثبوتا ان كان يحتاج الى ثبوت وتأكيد .

ولعله قد حان لى أن أظهرك على السبب الذى دعانى الى كتـابة هذا الحديث اليك لقد وصل الى كما قلت خطاب منذ أيام كتبه طالب بالجامعة وعمل فترة بتجارة المخدرات وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وقد كتب الى من السجن يقول أن الله يقبل التوبة وأنه وجميع اخوانه فى السجن ينتظرون على أمل أن يعدل هذا القانون فهم لا يتصـورون أن يكون هذا القانون طبيعيا .

والواقع أن التشريعات القانونية يجب أن تصـدر دون أن تحركها أسباب مفتعلة طائشة . فالقانون وجه من أهم وجوه الدولة . ووجـود قوانين غير طبيعية يدل على أن المشرع ليس طبيعيا وقد كان المشرع عنـد صدور هذا القانون غير طبيعى فعلا وينبغى أن تصحح هذه القوانين التى صدرت فى هذه الفترة .

وقد يجد بعض أعضاء مجلس الشعب حرجا أن يطالب بتعديل هذا القانون ولكن اذا نظر الأعضاء فى الأثر الذى ترتب على تطبيق هذا القانون

زال الحرج • فالحقيقة أن هذا التشديد المتعسف لم يؤثر مطلقـــا فى انتشار المخدرات • والحقيقة أيضا أن كثيرا من القضاة كانوا يتلمسون الطريق ليبتعدوا عن تطبيقه وتكون النتيجة أن التاجر المتمرس الواعى يتهرب من تطبيق القانون فلا تمتد يد القانون الا الى صغار التجار السذج الذين لم يعرفوا كيف يهيئون للقاضى الفرصة لتخفيف الحكم •

حديث مع بعض الشباب

تعودنا أن نتكلم عن العدالة وعن كرامة الانسان وعن الحرية وعن حقوق الانسان وكأنهـــا أمور مسلم بهـــا من الناس كل الناس • لكن حدث لى هذا الاسبوع حادث جعلنى أحس أن الموازين العامة قد انقلبت عند بعض الشباب بحيث أصبحت أعتقد أنه يجب علينا نحن الكتاب أن نتحدث بلغة أخرى غير اللغة التى تعودنا التحدث بها •

كنت فى فرح لابنة قريب لى فى الزقازيق واذا بثلاثة شـــباب يجلسون خلفى ويسألوننى : أأنت فلان « قلت أنا هو » قال قائلهم : « نريد أن نجلس دقائق اليك » •

ولن أنقل اليكم النقاش الذى دار بيننـا ولكن دعونى أنقل اليكم بعض أفكارهم •

يرون أن الحراسات عدالة لأنها وقعت على فئة وزعت عليها الأموال توزيعا خاطئا منذ أيام الدائرة السنية •

وقبل أن أسترسل أحب أن أذكر أن صاحب هذا الرأى نطق الدائرة السنية وقد وضع الضمة على السين والشدة على الياء فأصبحت الدائرة منسوبة الى أهل السنة ولعل هذا يريك مقدار العلم الذى يتمتع به •

وهو يرى أن من الطبيعى أن تسترد الأرض من أحفاد الأحفاد غير ناظر انهم ربما لا يكونون هم الملاك بعد أن مر على تسلم الأرض من الدائرة السنية مائة سنة تقريبا تشتتت فيها الأرض ومات ناس وعاش نـاس وتزوج قوم وعقم آخرون ولكن هو يرى ذلك •

ويرون أن التعذيب والاعتداء على الأعراض وكل ما قرأناه لم يقع واذا كان قد وقع فضحاياه من أعداء الوطن من أمثـال عائلة الفقى التى يرون أنها خائنة لأنها عارضت عرابى وحين سألتهم ولماذا يكون كل من عارض عرابى خائنا • وفى حالة الأرض والفقى كيف يحاسب الأحفاد عن رأى الأجداد ولكن هذه عدالتهم وهم يرون أن رغيف العيش أهم من الحرية وسألتهم كيف يأكلون العيش اذا كانوا خائفين •

ويرون أن كل غنى « فهلوى » لص وانه لا مكان للنبوغ فى الحياة . واضطررت أن أسألهم عن رأيهم فى عبد الرحمن بن عوف فلم يقل قائلهم الا أن التجارة هى السم الذى يتستر بالشرعية وهى أشد أعداء العدالة الاجتماعية التى لا تتمثل عندهم الا فى الشيوعية .

وبعد فليس هؤلاء الا قلة لا يزيدون عن ثلاثة ربما انضم اليهم اثنان أو ثلاثة آخرون أثناء النقاش . ولا تدل آراؤهم على الاتجـــاه العام عند الشباب وانما الذى أرقنى ثلاث ليال أن العهد السفاح استطاع أن يدمر القيم العظمى فى نفس الشباب المصرى لا المرافق المصرية وحدها . واذا كانت المرافق يمكن اصلاحها فكم يحتاج مثل هؤلاء من الوقت حتى يمحى الحقد من نفوسهم ويفهموا أن العدوان على انسان عدوان على الانسانية جميعـــا .

وأعتقد الآن أنه ينبغى للكتاب أن يشرحوا البديهيات بدلا من أن يتكلموا عنها وكأنها معروفة ومفهومة ومستقرة . لابد أن يشرح الكاتب ما هى العدالة وما هو الأمن وما هو الذعر وما هو العرض وما هو الحرية وما هو القانون ولابد أن يشرح الكاتب المبادىء الانسانية التى شرعها الله تعالى فى جميع الأديان ولابد أن نسأل هؤلاء عما يكون موقفهم اذا تعرض أهلهم لمثل ذلك ولابد قبل كل شىء أن يعرف مثل هؤلاء الشباب – وأرجو أن يكونوا قلة – أن الحقد دمار وأن الحب حياة . وأن الفوارق الطبقية يمكن أن تكون حافزا لنجاح الفقير ليصبح غنيا ولا يجوز لها أن تكون وسيلة لتدمير الغنى ليصبح فقيرا . وانه ليس صحيحا أن كل غنى لص وكل فقير شريف فالشرف يعرف طريقه للجميع .

واذا لم يؤمن الشباب بالنجـاح والنبوغ والتفوق فســـلام على المســـتقبل .

الأهرام فى ٢١/٦/١٩٧٨م

عملاق من التاريخ الحديث

يلح على ذهني هذا الأسبوع ذكرى رجل من أعظم رجالات التاريخ المصرى فى السياسة والقانون على السواء وهو الفقيه العالم عبد العزيز فهمى وزير الحقانية التى أصبح اسمها العدل ورئيس محكمة النقض ومؤصل الفقه القانونى والدستورى وصاحب الفضل الأول فى ابداع الأسلوب القانونى ٠

وقد عرفت الرجل فى آخريات أيامه وكنت أذهب اليه مع صديقى الأستاذ عبد الفتاح الشناوى فى مصر الجديدة وكان كلانا حريصا ان يفتح له مواضيع الحديث ثم نستمع ٠ وقد كان الرجل بحرا عميق الغور لم تهدأ أمواجه حتى وهو فى السن المتقدمة التى كنا نزوره فيها ٠٠

وقد قرأت منذ قريب أو أنا فى الحقيقة أعدت قراءة مذكرات الأستاذ الصادق الأمين محمد كامل سليم عن المغفور له سعد زغلول ٠

وقد أعجبت فيها بقصة رواها عن عبد العزيز فهمى فهو يقول ان أعضاء الوفد الذى كان يفاوض الانجليز مع سعد زغلول كانوا جميعا يعيشون فى فرنسا على حسابهم الخاص ثم حدث ان انضم الى الوفد المرحومان مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وكان كلاهما رقيق الحال فقال بعض أعضاء الوفد ان العضوين الجديدين لايستطيعان أن ينفقا من مالهما على اقامتهما فى أوروبا ورأى رجال الوفد انه لا يجوز أن يجرحا العضوين فينفق الوفد من ماله على اقامتهما وحدهما وانتهى الأمر ان تقوم ميزانية الوفد باقامة الوفد جميعه وقر قرارهم ان يأخذ كل عضو مبلغا من المال ينفق منه على اقامته ٠

ورفض عبد العزيز فهمى ان يأخذ شيئا ولكن زملاءه قالوا له ان هذا سيحرج الأعضاء جميعا فقبل ٠

والى هنا لا غرابة فيما ترويه القصة ولكن الأستاذ محمد كامل سليم يمضى فى روايته قائلا ان عبد العزيز فهمى حين كان مقيما على نفقته الخاصة كان يقيم فى فندق من فنادق الدرجة الأولى فى غرفة أنيقة لها حمام وتتوافر فيها كل وسائل الراحة .

ولكنه حين أصبح يقيم على نفقة الوفد بحث عن حجرة رخيصة فوجدها فوق سطح أحد المنازل القديمة ولا حمام لها ولكنها كانت زهيدة النفقات فاقام فيها حتى اذا انتهت أيام المفاوضة أعاد الى خزينة الوفد أربعة أخماس المبلغ الذى تسلمه . وأنا شخصيا تعودت ان أروى هذه القصة ثم لا أعلق عليها بشىء .. أتراني أنت محتاجا الى تعليق .. أو فلنقل هل تحتاج أنت الى تعليق ؟

وقد روى له الأستاذ عبد الفتاح الشناوى المدير العام بالاصلاح الزراعي وصديق زياراتي اليه رواية عن عبد العزيز فهمى شهد نهايتها ولم يشهد بدايتها .

كان لعبد العزيز فهمى صديق عزيز هو الأستاذ يوسف نحاس وقد كان يوسف نحاس هذا شهيرا فى زمانه فقد كان من أعظم خبراء القطن خاصة والاقتصاد عامة . ولأنه خبير خسر فى سنة ١٩ كل أمواله فى بورصة القطن . وكانت زوجته سيدة فاضلة تقبلت الخسارة فى روح عالية وفى آنفة وكبرياء فتركت دارها الواسعة الارجاء وانتقلت الى حجرة واحدة وطلبت الى أهلها وأصدقائها ان يمتنعوا عن زيارتها .

ولم يكن يزور يوسف نحاس فى ذلك الوقت الا صديقه عبد العزيز فهمى . وكان يمد يوسف نحاس بالعون دائما حتى تجاوز المحنة واستعاد ماله ومرت الأيام .

وكان الأستاذ الشناوى جالسا الى عبد العزيز فهمى فى عام ٤٦ فاذا بيوسف نحاس يدخل عليهما لا ماشيا على قدميه وانما محمولا على نقالة وقد كسرت ساقه . ودار الحديث رهوا وعبد العزيز فهمى متعجب من هذه الزيارة فالطبيعى ان الذى تكسر ساقه يزار ولا يزور .

— أتريدني فى شيء .
— نعم .
— فقل .

تحرج يوسف نحاس قليلا وأدرك عبد العزيز فهمى .

— قل فالذى تراه معنا مثل ابنى فان لم تقل أمامه ما تريدنى فيه سأقوله أنا له .

ـ اسمع فى سنة ١٩ كنت تعطينى أموالا المؤكد انك لاتعرف عددها.

ـ هل جننت أتأتى الى محمولا لتقول هذا الحديث السخيف ·

ـ دعنى أكمـــل ·

ـ قــل ·

ـ لقد أعطيتنى فى هذه المحنة أربعة آلاف جنيه ·

ـ أهذا ما يتعبك ·

ـ اسمع لقد علت بى السن وكسرت ساقى والكسر فى مثل سنى غير مأمون العواقب ·· أنا أعرف انك لا تعرف شيئا فى شئون المال وقد اشتريت لك بهذا المبلغ بعض الأســـــهم قيمتهــــا اليوم اثنـــان وعشرون الف جنيه ·

ـ هذا ليس مالى ·

ـ هو مالك سواء أردت أو لم ترد ·

ـ أنا لن أقبله ·

ـ أسمع يا عبد العزيز نحن كلينا لم يبق لنا فى الحياة بقية ومالك اليوم ملك لابنك محمد ·· استدعه ·

وجاء محمد وعرض عليه الأمر فاحرج ولكنه وجد طريقا يفلت منه.

ـ أنا ما شأنى بهذا الموضوع أنتما صديقان فلا دخل لى بينكما ·

وترك يوسف نحاس الأسهم واستدعى حماليه وانصرف ·

وقد يظن البعض أن عبد العزيز فهمى كان ساذجـــا يعطى المال ولا يعرف مقداره ثم لا يطالب به ولكن القصة التى سأرويها لك على ما فيها من طرافة تريك أنه كان على غير ما تظن ·

كان له أخ يشرف على أرضه وزراعته وكان يطالب أخاه بالحساب فيتوانى ثم يتناسى ولا يأتى الحساب ·

وفى يوم بينما عبد العزيز فهمى فى قريته كفر المصيلحة أخبره انه سيبنى لنفسه بيتا وســـــأله عبد العزيز فهمى عن مكانه فاراه المكان فاستصوب رأيه وبدأ الأخ يبنى وكان عبد العزيز فهمى طوال فترة البناء يشير على أخيه بالتعديلات التي يرى انها تجعل البنـــاء أكثر كمالا ·· حتى تم البيت · وفوجىء الأخ الذى بنى البيت بأثاث عبد العزيز فهمى يدخل الى البيت ويفرش فيه وعبد العزيز فهمى جالس على أول كرسى وضع فى البيت · وقال عبد العزيز ·

ــ لقد بنيت لى بيتا عظيما اشكرك عليه ٠

ــ بنيت لك ؟!

ــ طبعا بنيت لى ٠

ــ ولكنك تعلم أننى كنت أبنى البيت لنفسى ٠

ــ الذى أعلمه انك تظن انك تبنيه لنفسك ٠

ــ والحقيقــة ٠

ــ الحقيقة انك تبنيه لى ٠

ــ كيف هذا ؟

ــ أولا لأن هذه الأرض التى اخترتها ملك لى وليست ملكا لك ٠

ــ أكنت تعرف هذا ٠

ــ من أول يوم ٠

ــ نعم هى ملك لك ولكنى كنت أنوى أن اشتريها منك ٠

ــ وهل قلت لك أنا انى أريد بيعها ٠

ــ والآن ٠

ــ الآن تقدم لى الحسابات التى ظللت أطلبها منك سنوات وسنوات وأنت تتهرب من تقديمها الى ٠

ولم يجد الأخ سبيلا فقدم الحساب وناقشه عبد العزيز فهمى ثم اعطاه الفرق بين ما أنفقه فى بناء البيت وبين ما كان فى ذمته له ٠

وما زال هذا البيت حتى اليوم هو بيت محمـــد عبد العزيز فهمى بكفر المصيلحة ٠

وما دمنا نتحدث عن عبد العزيز فهمى فانه يطيب لى أن أروى واقعة حدثت له فى آخريات حياته فقد ذهب الى المحكمة ليترافع فى قضية خاصه وشعر القاضى بأنه متعب فسأله ٠

ــ أتحب ان تجلس ٠

وقال عبد العزيز فهمى ٠

ــ الحقيقة اننى متعب وأحب أن أجلس ولكن بشرط ٠

ــ وما الشرط ٠

ــ ان يجلس محامى الخصم ٠

وهذه الواقعة الصغيرة الحجم مثل عبد العزيز فهمي هي نفسها هائلة الحجم مثل عبد العزيز فهمي أيضا رحمه الله ·

كنت حين أزوره أجد بجانبه قطعا من الشيكولاته وفي يوم لاحظ أن نظري مثبت عليها فضحك قائلا ·

ـ أتعرف لماذا أضع هذه الشيكولاته بجانبي ·

ـ لا أدري ·

ـ انها لأحفادي · فقد جاءتني الشيخوخة في ساقي ولم تأت الى في رأسي فأنا اذا أردت أن أنتقل من حجرة الى حجرة أحتاج الى حفيد منهم أتوكأ عليه ولكن العفاريت يأبون أن أتوكأ على واحد منهم اذا لم يأخذوا الشيكولاته فأنا أبقيها الى جانبي وكأنها بنزين سيارتي التي أسير بها في بيتي ·

ويل للآباء من الأبناء ·· أحفاد عبد العزيز فهمي يأبون ان يتوكأ عليهم هذا العملاق الا اذا أخذوا الثمن أليس هذا هو الجيل الجديد فانهم لو عرفوا المجد الذي يتوكأ على أكتافهم لقدموا هم اليه كل ما يملكون ·· ويل للآباء من الأبناء ·

الأهرام في ٢٤ يناير ١٩٧٨

اذن فقد ألغي ؟!

اذن فقد ألغى مشروع هضبة الأهرام وسقطت جميع الاشاعات التى تطايرت حوله . ونستطيع اليوم أن نتوجه الى الشعب .. ماذا ترى فى هذه الاشاعات .

لقد ذقنا الويلات فى العهد الماضى ولهذا كانت الاشـاعات هى لغة الشعب الوحيدة التى يستطيع بها أن يفرج عن الغليان والرعب يعتملان فى نفسه .

وتغير الحكم وأصبح الوزير مسئولا أمام مجلس الشعب ومع هذا لم تسكت الاشـــاعات يبثها الى النـــاس قوم أرادوا أن ينتهزوا مـــن الديموقراطية فرصة ليهدموا النظام أجمع .

وانعقدت سحب الاشاعات مشفوعة بالهمس المتخافت والعين الغامزة .. واشارة اليد المؤكدة فاذا الاشاعات حقائق لا تقبل المناقشة وتصدر الأحكام بلا استئناف ولا حتى محاكمة . فمطلق الاشاعة يعتبرها مقدمة مؤكدة لنتيجة محتومة . وحين يكون الشعب معرضا للمعاناة تصبح هذه الاشاعات بالنسبة اليه لونا من ألوان الاسترواح النفسى .

وكم دخلنا فى مناقشات أراد فيها المناقشون أن نطلق أحكامنا على أساس أن الاشاعات حقائق وهم يسندون الاشاعات الى أسماء المفروض فيها انها عليمة ببواطن الأمور حتى يصبح النقاش واقفا أمام واحدة من اثنين اما أن تكذب وأنت لا تملك التكذيب واما أن تقبل الاشاعة على انها حقيقة فيصبح حكمك أبترا مبتسرا لا عدل فيه والحقيقة ان هناك بعض كلمات تصدر عن الوزراء فى بعض الأحيان تساعد هذه الاشاعات أن تنمو وتزدهر وتتفرع فحين يقول وزير أعرف حصافته واكن له كل تقـدير ان ما خفى بشأن أحد أعضاء مجلس الشعب أعظم مما عرف يحس الشعب

أن هناك أشياء تخفى على الشعب بينما المفروض الا يخفى عليه شيء • حين يقول الوزير هذا يصبح الشعب معذورا اذا ألقى الى الاشاعات أذنا صـــاغية •

والذى لا شك فيه أن هناك مخلفات للعهد الماضى مازالوا يعملون فى مختلف نواحى الحياة العامة ولا شك أن الضمير منهم قد مات وان النسم منهم فى خراب ولكن الذى لا شك فيه أيضا ان الحكومة واجهت بعض هؤلاء وقدمتهم الى المحاكمة •

فاذا كان من المحتم أن نذكر الفساد فمن المحتم أيضا أن نذكر ما يتخذ ضده من اجراءات • وكلا الأمرين واجب وطنى •

ولعله يجدر بى أن أسرى عنك بعد هذا الحديث الجاد ففى الاسبوع الماضى ذهب أحدهم ليشترى بطيخة فقال له البائع ان ثمنها مائة وخمسون قرشا واستهول المشترى الثمن فقال مشتر آخر كان واقفا ألم تسمع أن ســـعر البطيخ لن ينخفض ولن تفرض التسعيرة الا بعـــد أن يبيع سيد مرعى مزارع البطيخ التى يزرعها • بقى الآن أن أضـــحك فأنا من الشرقية وأعلم علم اليقين أن سيد مرعى لا يزرع بطيخا مطلقـــا • فاذا أضفنا الى هذه الاشاعة ما قيل عنه أن عنده مزرعة لتربية الثعالب واذا أضفنا أن الثعالب التى يصلح فراؤها للملبس الفاخر لا تستطيع أن تحيا فى مصر وان البلاد التى تصنع فراءها لا تربيها فى مزارع واذا أضفنا الى كثير من مثل هذه الاشاعات اشاعات أخرى كثيرة نجد أن مطلقى الشائعات أغبياء فهم يخلطون الحق بالباطل ويفقد الشعب ثقته بالكذب والصدق جميعا ويصبح فى بلبلة مقيتة •

واعتقد أن هناك جانبا من التقصـــير يقع على عاتق الكثيرين فى السلطة التنفيذية وأحسب أنهم لو واجهوا هذه الاشـــاعات فى مهدها بالحقيقة ليشعر الشعب بالاطمئنان • فلقد نحتمل الغلاء ولكن لا نتحمل أن يرفل قوم فى الرفاهية من أموال الشعب حين الشعب لا يحصل على ضرورات الحياة •

وأرى بعض صحف تنشر أخبارا عن بعض ناس يحتكرون توكيلات بأكملها فى محافظات وينتمون الى ذوى سلطان ثم لا أسمع تعقيبا على هذا الذى نشر ولقد نسمع أن بعض الناس قد حصلوا على وظائف كبيرة وهم فى بواكير حياتهم لنسب ينتسبون اليه ثم نسمع بعد الخبر صمتا لا معقب عليـــه •

أليس الأجدر بهؤلاء الذين يذكر أسماؤهم في مثل هذه الأخبار أن يبادروا بتبيان الحقيقة فيها ٠

ان الشيوعية العالمية قد تحالفت مع الصهيونيسة العالمية لزعزعة الثقة في حكم مصر ٠

وقد كنت عند شيخ المحامين في مصر الأسستاذ مصطفى مرعى ، هذا الاسبوع فقال لى ان كل من يحاول أن يشكك فى الحكم المصرى اليوم انما يتحالف مع الشيوعية العالمية والصهيونية العالمية ٠

فوجود السادات على رأس الحكم خطسر داهم بالنسسبة لهاتين الجبهتين فالجبهتان تحاولان أن تضعفا حكمه كما تحاولان أن تزلزلا أثر المبادرة المصرية التى صعقتهم جميعا والتى مازالت ناجحة على الرغم من كل الجهود التى يبذلها الصهاينة والشيوعيون والبعثيون وأغنياء المال فقراء العقل فى ليبيا ٠

ويقول كبسير المحامين المصرى الصميم ان كل ما يشسوب الجهساز التنفيذى لا يجيز لنا أن نتخذ منه وسيلة للنيل من حكم السادات الذى أدى للبلاد العربية أجل الأعمال بانتصاره فى أكتسوبر وبمبادرته التى ستظل الأجيال تذكرها الى الأبد والتى لا أشك أنها ستزداد نجساحا مع الأيام وهذا الذى يقوله المحامى الكبير مصطفى مرعى هو رأى كل مصرى شريف لا يبحث لنفسه عن منفعته وانمسا تسيطر على تفكيره مصر فقط ومصلحة مصر التى هى فى نفس الوقت مصلحة العرب أجمعين ٠

واليوم يحاول كتاب كثيرون أن يركبوا خيولا خشبية من البطولات فيهاجموا كل ثنيه من ثنايا الحكم فى مصر ٠ وهؤلاء الكتاب أنفسسهم عاشوا فى العهد الماضى وجعلوا من أقلامهسم مزامير للأعراض المباحة من الرجال والنساء وللسجون والمعتقلات وللأرواح المزهقسة وللاعتداء على القضاء وحتى القانون وعلى الأمن وعلى الأموال ٠

وهم هم أنفسهم يحاولون اليوم أن يسالوا عن الحرية وعن القانون ٠٠ عميت أبصارهم وارتجت على قلوبهم الأقفال ، المعتقلات اليوم خالية ولكل انسان بعد صدور القوانين أن يتظلم منها الى القضاء ونحن أمنون على انسانيتنا وكرامتنا وأموالنا اذا كسبناها بالحلال ٠

ولقد أعلم أن بعضا من الناس سيرمينى بالدفاع عن الحكم خضوعا للسلطان وقد كنت أستطيع أن أسكت حتى لا أجتلب هذه القالة عن نفسى ولكننى أشعر اليوم أكثر من أى وقت مضى اننى اذا سكت ولم أقل ما أنا

مقتنع به كل الاقتناع فأنا اذن جبان أنافق فئة من الرأى العام وأحاول أن أبني لنفسى بطولة أنا نفسى غير مقتنع بها فبضميرى وحده أقف موقف التأييد ولا يدفعنى الى هذا الموقف الا ما أعتبره أمانة الموقف وأمانة القلم.

والكتاب الذين يكسبون الآلاف المؤلفة فى البلاد العربية ليسوا أعظم منى شأنا • وربما عرفتنى البلاد العربية ولم تعرف منهم أحدا وقد كنت وما زلت أستطيع أن أحصل على ما شئت من أموال ودون حتى أن يطلب منى مهاجمة الحكم فى مصر فأنا ـ والحمد لله ـ فى غنى عن مرتبى الذى أناله من الأهرام وهو يصل لاهثا الى نصف ما ذكره الرئيس عن مرتبات الصحفيين •• وقد عشت بغير مرتب خمسا وعشرين سنة بعد تخرجى فى كلية الحقوق وأستطيع أن أعيش خمسا وعشرين أخرى بغير هذا المرتب ان كان فى العمر بقية •

فما أكتب اليوم الا لثقتى التامة أنه يجب أن أكتب ويجب أن أؤيد هذا الحكم الذى انتشل الانسان المصرى من حياة الذلة والهوان والذى رد الى العرب كرامتهم بحرب أكتوبر ورفع السياسة العربية الى مدارج الحضارة بمبادرة السادات تلك التى لا تزال أصداؤها ترن بمسامع العالم فتحمل دعاية اسرائيل وتجعل منها دولة معتدية بغيضة عند أمريكا وأوروبا على السواء بعد أن ظلت سنوات تستغل حصافة السياسة العربية وألفاظها الجوفاء الهازلة •

فاذا أيدت هذا الحكم فمن أجل الانسان العربى أؤيده • ومن أجل مستقبل مصر ولأننى أؤمن دائما أن الحق أحق أن يتبع •

الأهرام فى ٣١/١/١٩٧٨

ثم الى القيم نعــود

اقرا فى هذه الأيام كتاب وصف مصر لمؤلفه ج · دى شابرول وقد قام بترجمته الاديب المتمكن زهير الشـــايب · وانى ابدأ فاهنىء الأســتاذ زهير على خلقه وعلى اسلوبه · فاما خلقه فقد تبلور فى انه يطبع هذا الكتاب الضخم على نفقته الخاصة ولو كان فى سعة من المال لما عجبنا لهذا الجهد المالى الذى يبذله ولكنى أعلم عنه أن موارده المالية لا تكاد تفى بحاجته وحاجة اسرته · ولا شك ان هذا الاعجاب منا يصاحبه شىء من التعجب الا تتصدى دور النشر فى القطاع العام أو الخاص لنشر هذا المؤلف البالغ الأهمية ويكفيها توفيقا أن وجدت أديبا متمكنا من لغته ومن اللغة الفرنسية يقوم بترجمته فى صبر لا يطيقه الا الأقوياء ·

أما عن الأسلوب فقد استطاع زهير الشايب فى براعــة لا تتاتى الا لصاحب القلم الصناع أن ينسينى تماما أننى أقرا ترجمة وانما أنا مع هذا الكتاب أشعر دائما أن الكتاب عربى أصيل الفــه مؤلفــه بالعربية لا بالفرنسية · ولولا تهجم المؤلف على بعض تقاليدنا لنسيت تماما الأصل الفرنسى · ولقد لفت نظرى فى الجزء الأول من الكتاب الذى صدر منه جزءان فصل عن احترام الشيوخ · يقول الكتاب ·

« ينبغى علينا القول بأن الشرقيين وان كانوا قد أهملوا تعلم العلوم والآداب الا أنهم قد استطــاعوا على الأقــل أن يحتفظوا ببعض آثار من العادات والفضائل البدائية · والا فهل ثمة عند أمم الشرق ما يستوجب المديــح أكثر من ذلك الاحترام العميق الذى يكنونه نحو الشيخوخــة · ويتميز المصرى على وجه الخصوص بهذا الشعور النبيل · ولقد حض عليه محمد فى تعاليمه لحد ان وجد انه من الضرورى أن يجعل ذلك مبدأ دينيا ومدنيا فى وقت معا · وحتى اليوم فان شيئا لم يستطع أن ينال من قوة هذه التعاليم التى حتمها المشرع · كما أن الوضع الحالى للتقاليد سوف يهيىء لهذا الأمر فرصة لبقاء أطول · وفى مقابل ذلك فان المفكر يستطيع

أن ينعى على الشعوب الأوربية ـ التى تطورت صناعتها ومعارفها لحد مذهل ـ هذه اللامبالاة الشديدة نحو الشيخوخة فى الوقت الذى تعمل فى مجتمعاتهم قوانين تنطق بالحكمة وتشهد بالعبقرية والاتقان العظيم لواضعيها » ٠

وليس هذا الذى يذكره كتاب وصف مصر أمرا يحتاج الى بحث أو أعمال نظر فكل الذين كتبوا عن مصر واجهتهم هذه الحقيقة ٠

ويقول الكتاب أن هذا التقليد قديم فى مصر قدم التاريخ ثم هو يقول فى بساطة وصدق :

« أما السبب الذى ظلت بفضله هذه الفضيلة الحميدة بعيدة عن أى تغيير فهو أن الشعوب التى تمارسها لا تعانى من ذلك الفساد الروحى والأخلاقى الذى تعانى منه عادة المجتمعات الكبيرة وتجد سعادتها فى المباهج الطبيعية ونادرا ما تبحث عن هذه المباهج بعيدا عن وقائع حياتها الداخلية » ٠

ويذكر الكتاب أن هيرودوت ذكر هذا التقليد فى كتابه عن مصر تلك اذن كانت حالنا فى الماضى السحيق البعيد وفى الماضى الأقل بعدا لكتاب وصف مصر مؤلف فى فترة احتلال فرنسا لمصر ٠

وأذكر من الماضى القريب حادثة تهزنى كلما ذكرتها ٠

ففى أزمة طاحنة مرت بها مصر تعرضت عائلة عبد الرازق لدين ضخم يستغرق أملاكها جميعا أو يكاد ٠ وكان الدائن هو بنك مصر ٠ فأرسلوا الى طلعت حرب يرجوله أن يسمح لهم ببعض تيسيرات تجعل الحياة ممكنة بالنسبة اليهم ٠

وذهب الرسول يرجو طلعت حرب فاذا هو يثور فى وجهه ويرفض أن يقدم للأسرة أى عون أو تيسير ويخجل الرسول فيرجوه أن يعطيهم موعدا ليلتقوا به ويقبل طلعت حرب ويحدد الموعد ٠

ويأتى كبار اسرة عبد الرازق ويتقدمهم أخوهم الأكبر وهو يعمل بالزراعة فى المنيا ولا صلة له بالحياة العامة ومن خلفه حسن باشا عبد الرازق ومحمود باشا عبد الرازق ومصطفى باشا عبد الرزاق الذى أصبح شيخا للأزهر وتنازل عن رتبة الباشوية لأول وآخر مرة فى تاريخ مصر وعلى عبد الرازق ولم يكن قد أصبح باشا بعد وان كان فى ذلك الحين يتمتع بشهرة واسعة فهو صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم الذى يعتبر أول ثورة على العرش المصرى الحديث ٠

وجلس أفـراد اسرة عبد الرازق وراحوا يعرضون مطالبهم الواحـد بعد الآخر وطلعت حرب يوافق على كل مطلب لهم فى غير تردد وفى سماحة ورضى . والرسول الذى كان بين الأسرة والبنك جالس فاغرا فـاه من الدهشة . ماذا جـرى . كيف غير طلعت حرب موقفـه من النقيض الى النقيض .

وتنتهى مطـالب الأسرة وينتهى اللقـاء ويخرج الأخوة كما دخلوا يتقدمهم أخوهم الأكبر ومن خلفه الباشوات وأصحاب الأمجاد العلميـة والسياسية جميعا . ولا يخرج صديق طلعت حرب وانما يبقى والدهشة لا تزال تعقد لسنه . حتى يستطيع أن يكمل جملة آخر الأمر .

ــ ماذا جرى .

ــ جرى أن هؤلاء الباشوات وأساتذة الجامعة والأزهر دخلوا يتقدمهم أخوهم الأكبر الذى لا يحمل لقب باشا والذى لا تحيط به هالة الشهرة العلمية أو السياسية .... كل ما يمثله أنه الأخ الأكبر . وان أسرة تقدم الأكبر فيها رغم كل الأمجاد التى يتمتع بها الأخوة الأصغر سنا أسرة يجب أن يقف الى جانبها كل مصرى لتظـل أبواب بيتها مفتوحـة للمثل العليـا وللأخلاق الرفيعة .

وأذكر حادثة أخرى فى أسرة أخرى كان فيهـــا أخوان فارق السن بينهما لا يتجاوز السنوات الثلاث أو الأربع وكان الأخ الأكبر فى الستين والأخ الأصغر فى السابعـة والخمسين أو السادسة والخمسين . وكان الأخ الأكبر يعمل فى الزراعة ولا يتجاوزها الى غيرها بينما كان الأصغر مغامرا يضارب فى البورصة بعنف .

كان الأخ الأصغر صاحب أولاد كبار متزوجين فهو أيضا صاحب أحفاد ليسوا أطفالا فقد كان الزواج فى ذلك الحين مبكرا .

وفى يوم فوجىء الأخ الأكبر ان مراهنات البورصة قد اوقعت أخاه فى دين يتجاوز آلاف الجنيهات وانه اذا لم يدفـع الدين فورا فأرضـه منتزع ملكيتها ومباعة بالمزاد العلنى .

ويبادر الأخ فيدفع عن أخيه المبلغ جميعه . ويذهب الأخ الأصغر ليشكر أخاه .

فى هذه المرة وجدتنى .. فمن تراك تجد اذا أنا مت .

ويقوم الأخ الأكبر من مجلسه ويخلع حذاءه وينهال به ضربا على أخيه الأصغر الذى هو جد لشباب والأخ الأصغر لا يرفع يده ليرد ضربه أو يفتح فمه ليبدى احتجاجا حتى يهدأ الأخ الأكبر ويلبس حذاءه ثم يخرج الأخوان الى الناس كأن الغرفة التى انفردت بهما لم تشاهد شيئا .

كان هذا ٠

ثم نسمع فى العصر الحديث ٠٠٠ عصر الحقد والضياع ٠٠ عصر المادة والالحاد أن فتاة ذهبت الى المخابرات لتخطرهم أن أخاهـا الأكبر يخوض فى أشخاص الحكام بما لا يرضى الحكام ٠٠ لم يكن عضوا فى جماعة مخربة ولا هو متآمر وانما كل ما كان يصنعه انه يبدى آراءه أمام أخته التى تحمل دمه والتى رضعت المورد الذى أرضعه والتى شبت على يديه وعينيه ٠

ثم يزداد الخطب هولا فاذا أنا أسمع أن الجماعة السرية التى بثها العهد الماضى لتكون له جاسوسا وعينا غادرة على أعدائه قد أقامت حفل تكريم للفتاة التى دمرت الأخوة وحطمتها ووشت بأخيها لتنتاشه ألوان العذاب والقهر والتنكيل ٠

لو لم تكن فترة الحقد التى عشنا فيها قبل ثورة مايو قد صنعت بنا الا تحطيم هذه القيم الكريمة التى عشنا بها آلاف السنين لكفاها خزيا ٠

ان هذه الفتاة التى وشت بأخيها هى دستور الحياة فى جميع البلاد الشيوعية ٠ فالشيوعية حـين تحاول تحطيم الدين انما تتقصـد أكرم ما وصلت اليه المبادىء الانسانيـة بالدمار ليصبح تحطيم القيم الأخرى بعد ذلك أمرا هينا لا يحتاج الى جهد ٠

ونحن حين نحارب الشيوعية لا نخشى على أموالنا فالكتاب فى النظام الشيوعى من هذه الطبقات التى تجد من الرغـد فى العيش ما لا يجـده الكتاب فى أى نظام رأسمالى فهم الآلات الكاتبة التى تدق عليها أصابع الحزب الأوامر والتعليمات والتبريرات التى تجعل طبقة تعيش فى رفاهية وبلهنية وشعبا يعيش فى قهر وفقر واذلال ٠

انما نحن نحارب أن يمحى الانسان من الحياة ليبقى الحيوان منه ونحارب أن تمحى صلات القربى والرحم والصداقة وهذه المعانى الرفيعة السامية التى تندى بها البشرية هجير الحياة وحرها ليبقى الحقد والغدر والوشاية يقتل بها أفراد الحزب كل معنى كريم فى الحياة ٠

وبعد فقد أتاحت لى قراءة كتاب وصف مصر أن تتداعى هذه المعانى الى نفسى والى قلمى ٠ وربما أتاحت لى أيضا أن أرجو الله أن يرد الينا قيمنا وأخلاقنا فهى وحدها التى نستطيع بها أن نعيش ، أما الفقر فى الخزانة وأما التليفون المعطل وأما الطريق غير الممهد فأمور نستطيع أن نصبر عليها بل ونستطيع أن نعيش بغيرها اذا اقتضى الأمر ٠

ان كل اصلاح خارج النفس البشرية ميسور وتستطيع الحياة أن تمضى بدونه فما عرف أجدادنا التليفون ولا عرفوا الطريق الممهدة ولا عرفوا الدولة الباذخة الغنى ٠

ولكنهم عرفوا الأخوة الشريفة والقيم الرفيعة لأنهم عرفوا الله وبالايمان به عاشوا ٠

واذا كان الغرب قد تحطمت فيه بعض قيم واذا كان قد مسه الزهو بما حققه من تقدم علمى هو ذا اليوم يصرخ عودا الى القيم والا فقد ضاعت الحياة ٠٠ فان هذه القيم عمد ثابتة فى أركان المجتمعات الانسانية قد تلهو عنها العين حينا ولكنها اذا أهملتها سرعان ما تدرك حاجتها اليها ٠٠ واليها دائما تعود ٠

الأهرام فى ٧ فبراير ١٩٧٨

الأحزاب والركائز الشعبية

قامت ثورة ١٩١٩ عقب رفض الانجليز للمطالب المصرية التى تقدم بها الثلاثة الكبار سعد وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى • وكان القبض على سعد وزملائه نتيجة لهذه المطالبة. ونتيجة طبيعية للروح الوطنية الطاغية التى راح يجمع الشعب بها التوقيعات ليجعل مطالبة الزعماء بالجلاء مطالبة شرعية • وكانت هذه التوقيعات توكيلا من الأمة لهؤلاء المتحدثين باسمها حتى تسقط دعوى المستعمر : ان المتحدثين لا يعبرون عن رأى الشعب وتسارعت الأحداث وتكون حزب الوفد ••• تكون فى الشعب روحا وتمثل فى زعمائه تجسيدا لروح الشعب •

وذهب الوفد الى باريس ولندن وفاوض ثم اختلف أعضاء الوفد مع رئيس الوفد وتزعم المخالفين عدلى يكن فانفصل العدليون عن الوفد وتكون حزب الأحرار الدستوريين وكان تأييدهم الشعبى قائما على المثقفين فى الشعب وعلى الأعيان •

واقف هنا قليلا لأفسر كلمة الأعيان هذه فقد أطلقت عليها الظنون وتحملت الكلمة المسكينة غير ما تعنى •

فكثير من الناس يظنون أن الأعيان هم الأثرياء وهذا فهم يدل دلالة مؤكدة على أن المفسرين للكلمة منسلخون تماما عن حقيقة الشعب المصرى • فالأعيان المصريون ليسوا هم الأغنياء ، فكم من غنى لا قيمة له فى قريته ولا قيمة له فى بيته ، انما تأتى القيمة لهؤلاء الناس ويطلق عليهم لقب الأعيان من طريقة معاملتهم للناس • فهم يحرصون ان يؤدوا الواجبات الاجتماعية ، وهم للناس ملجأ عند الشدة يعينون المحتاج منهم والمضطر ويقفون الى جوارهم سندا على الدهر وعونا •

وعلى هؤلاء اعتمد حزب الأحرار الدستوريين واستغل أعداؤه هذا فراحوا يرمونه بأنه حزب الاسرات وحزب الأقلية ولكن الأمر الذى لاشك

فيه والذى تؤكده أرقام الناخبين لأعضائه انه كان حزبا له ركيزة شعبية هى التى اتاحت له الحيـاة حتى يوم الغيت الأحـزاب على يـد ثورة ٢٣ يوليو .

وتكون الحزب السعدى بعد معاهدة ٣٦ وبعد أن أخذ حزب الوفد اتجاها يتنافى مع ما كان يؤمن به أحمد ماهر والنقراشى فانفصل الحزب السعدى وكان له أيضا مؤيدون وقفوا الى جانبه حتى نهاية الأحزاب فى مصر .

وهذه الأحزاب كان يجمعها جميعا انها كانت ملتفة حول أشخاص فالحزب الوفدى كان ملتفا حول سعد ثم حول النحاس . وحين انفصل الحزب السعدى قال ان النحاس انحرف عن مبادىء سعد ولذلك سمى نفسه الحـزب السعدى والأحـرار الدستوريون كان يطلق عليهم اسم العدليين ثم التفوا حول محمد محمود من بعد والحقيقة فى أمر هذا الحزب ان الأغلبية فى ناخبيهم كانت تنتخب الأشخاص برغم عداء هؤلاء الأشخاص للوفـد وهؤلاء الناخبون كانوا ينتخبون الأحرار الدستوريـين للصلة الشخصية التى كانت تربط بينهم وبين المرشح ولو ان هؤلاء الناخبين تحللوا من هذه الصلة الشخصية لانتخبوا مرشح الوفد .

وأيا ما كان الأمر فان هذه الأحزاب كانت لها ركيزة شعبية تتمثل واضحة وعلى نطاق واسع عند الوفد وتتمثل بصورة مؤكدة وربما أشد حماسا عند أنصار الحزبين الأخرين . وقد كان هذان الحزبان يقولان دائما انه لو كانت الانتخابـات تجرى عن طريق القائمة لفـازوا بأعضاء برلمان يماثل عددهم أعضاء الوفد ان لم يزد عليه .

وعلى كل فهذه الأحزاب كان لابد لها أن تنتهى حتى لو لم تقم الثورة بتصفيتها .

فهى أولا كانت قائمة على أشخاص والأشخاص الى زوال . وفكرة قيام الأحزاب حول أشخاص اندثرت من العالم أجمع وأصبحت الأحزاب تمثل أفكارا تلتف حولها وتدافع عنها ويتجمع حولها المؤيدون أو يعارضها المعارضون .

وهذه الأحزاب ثانيا كانت برامجها متطابقة لا تكاد تجد أثر اختلاف بين برنامج حزب وبرنامج حزب آخر . وانما هى جميعا تهدف أول ماتهدف الى تخليص البلاد من الاحتلال .

وحتى نكون منصفين فأننا لا نستطيع أن نحكم على هذه الأحزاب حكما منصفا فقد كانت جميعا تعمل فى ظل احتلال هى لايد لها فيه . وقد كان كل منها يحاول أن يتخلص من هذا الاحتلال بالصورة التى

يراها أكثر نفعا للبلاد ولكننا أيضا لا نستطيع ان ننسى بعض ثمرات . كتلك البرقية التي أرسل بها النحاس إلى هيئة الأمم حين كان النقراشي رئيس الوزراء يومئذاك يصيح في وجه الانجليز ولأول مرة في تاريخ مصر وفي أكبر محفل دولي « اخرجوا من بلادنا أيها القراصنة » وراحت برقية النحاس لتقول ان النقراشي لا يمثل شعب مصر .

ولكن لابد لنا أن نعترف ان هذه الأحزاب كانت بين ضغط السراى من جهة وضغط المحتل من جهة .

وقد كان دستور ٢٣ هبة من المحتل والسراى في وقت معا . وعقد الهبة هو العقد الوحيد الذي يمكن الرجوع فيه وقد كان الانجليز بما لهم من قوة وجبروت يستطيعون الغاء الدستور وفرض الأحكام العرفية في أي وقت شاءوا والعمل الحزبي تحت هذه الظروف لا يتيح لنا أن نحكم الحكم الصادق على هذه الأحزاب .

ولكن لنا أن نقول في ثقة كاملة انها كانت أحزابا لها كل مقومات الأحزاب وكذلك كان الأمر أيضا مع الحزب الوطني رغم شعاره الرومانسي الخطابي ورغم انه رفض الاشتراك في الحكم أول الأمر من صدور دستور ٢٣ ثم مالبث أن اشترك في الوزارة مع الحزب السعدي وحزب الأحرار الدستوريين ومع الوزارات المحايدة أحيانا ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر حافظ رمضان وعبد الرحمن الرافعي وعبد العزيز الصوفاني وزكي علي .

أما الأحزاب التي لم يكن لها مقومات الحزب فهي حزب الاتحاد وحزب الشعب وهي أحزاب عاشت ببقاء رئيسها في الوزارة وماتت بخروجه منها . لأنها لم تكن متركزة على ركائز شعبية وانما قام عمادها على شخص أو أشخاص واعتمد كيانها على المنفعة العاجلة .

أسوق هذا الحديث جميعه لألتمس من هذا التاريخ القريب أن يذكرنا ان الحزب لابد له أن يقوم على ركائز شعبية تتمازج مع الزعامات فيه وتتحد الأفكار وتتواصل الاتجاهات وحينئذ يستطيع الحزب أن يوجد ويستطيع الحزب أن يبقى .. هذا التواصل بين الشعب والحزب ينبغي له أن يقوم على وطائد رأسية عميقة حتى يعرف الشعب زعماء حزبه من التجربة الانتخابية ثم في التجربة البرلمانية ومادمنا اليوم أحرارا نضع لأنفسنا ما نشاء من دساتير فلماذا لا نفكر ان تتسع دائرة الانتخاب بيننا .

فالمنطقة التي تجرى فيها الانتخابات الآن مقطعة الأواصر غير متصلة فنرى الانتخابات تجرى في القرى لاختيار العمد .

ونرى الانتخابات تجرى لاختيار أعضاء مجلس الشعب ·

فنحن اذن ننتخب من يشغل مركز رئيس القرية التنفيذى ·

وننتخب من ينتخب الذى يشغل مركز رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء فالانتخاب يجرى اذن في القاعدة وفى القمة كما يحب ان يسميها الكتاب ·

أما ما بين القاعدة والقمة فيتم بالتعيين ·

وقد كان هذا مفهوما أيام الاحتلال فقد كان المديرون هم السلطات التنفيذية فى الأقاليم وكانت الوزارة تريد دائما أن تظل هذه السلطات فى يدها لتضمن الأمان لنفسها أولا ولجيوش الاحتلال بعد ذلك ·

أما اليوم فلا احتلال بيننا ·· أليس من الطبيعى أن يرشح كل حزب مرشحين لمنصب المحافظ وتجرى الانتخابات لاختيار أولئك المحافظين · نستطيع طبعا أن نضع للمرشحين لهذا المنصب شروطا ينبغى أن تتوافر فيمن يشغل هذا المنصب كأن يكون سنه أكثر من أربعين سنة وأن يكون حاصلا على مؤهل عال فليس من المعقول أن تكون أمة التعليم فيها مجانى وخريجو الجامعات عندنا آلاف ويتولى المناصب الكبرى عندنا غير المؤهلين بالعلم ·

هؤلاء المحافظون يستطيعون أن يكونوا صلة قوية حقيقية بين الأحزاب والشعب ويستطيع الشعب أن يحس أن القنوات بهم مفتحة بين السلطة التنفيذية وبين الجماهير ·

ولابد قبل هذا أن يكون الفكر الواضح الجلى هو العماد الذى يلتف حوله الحزب وينبغى أن يطرح هذا الفكر على الجماهير مشفوعا ببرنامج الحزب والخطوات التى سيسيرها اذا ألقيت اليه مقاليد الحكم ··· فحينئذ يشعر الشعب ان الحزب الذى يختاره مستنبع من أعماقه ··· وانه جزء من صميمه يمثل فكره وينبض بنبضه وينطق بلسانه ··· فكل حزب انما يمثل جزءا من الشعب ويجسد الصميم من هذا الجزء والنبض منه والقلم واللسان ·

الأهرام فى ١٩٧٨/٢/١٤

بين قديم وحديث

ليس الطغيان جديدا على العالم فهو قديم قدم الزمن ، وليس عجيبا هذا على الزمن الأرضى الذى بدأ بمخالفة أبى الخليقة لأوامر ربه والذى بدأ أول رحلته على الأرض بأن قتل الأخ أخاه حتى يأتى شاعر بعد ذلك بأزمان وأجيال ليقول :

والظلم من شيم النفوس فان   تجد ذا عفة لا يظلم

ولست أدرى لماذا يلح الحجاج على ذهنى فى هذه الأيام فأذكر قصة تلك الفتنة التى اندلعت تقف منه موقف المعارضة وتثير على ظلمه النفوس فى القبائل والمدن والقرى ويتمكن الحجاج من رؤوس الفتنة ويضع لمحاكمتهم قانونا لم يسمع الناس به من قبل فقد قال : من اعترف انه كافر فانه سيطلقه ومن قال انه مسلم سيقتله • وطبيعى انه أراد بذلك أن يعلن العصاة انهم اذا اعتذروا عن حربهم له واعترفوا انهم بهذه الحرب كانوا كفرة امنوا القتل ، اما من أصر منهم على انه حاربه وهو مؤمن مسلم فانه سيقتلـه •

وجرت المحاكمة على هذا المنطق العجيب وقتل الحجاج من قتل وأطلق من أطلق ، وفى أثناء المحاكمة تقدم اليه شاب فتى وسأله الحجاج :

ـ على أى دين أنت ؟

ـ على دين محمد •

ـ اقتلـوه ••

وتقدم بعد الشاب شيخ عجوز احنت الأيـام ظهره وأرعشت يديـه وسأله الحجاج :

ـ على أى دين أنت ؟

فقال الشيخ محملا تجارب السنين :

ـ على دين أبيك الشيخ يوسف ..

ويفرح الحجاج بذكر أبيه وينسى القاعدة القانونية التى ابتدعهـا ويقـول :

ـ لقد كان والله قواما صواما . أطلقوا الرجل .

ولكن الشيخ لم ينته عند هذا وما نفعه بحياة لا يقول فيها ما يريد فاذا هو يشد النكير على الحجاج فيقول له :

ـ يا كافر .. أيقول الفتي انه علي دين محمد فتقتله وأقول انى على دين أبيك فتطلقنى ولو لم يكن لأبيك مساءة الا انه أبوك لكفاه خزيا .

ولست فى حاجة من بعد أن أقول أن الحجاج أمر بالرجل فقتل . وأى عجيبة فى ذلك ! وهل كان العجوز ينتظر غير هذا بعد أن عرك السنين وعركته ، ولكن الرجل فاضل بين الكلمة الحرة وبين الحياة أو ما بقى من الحياة فاختار الموت . ولا يحسبن أحد أن الحياة رخيصة عند المسنين انما هم يحرصون عليها حرص البخيل على ما بقى لديه من مال قليل . وانما هى الحرية التى يرخص عندها كل ما هو ثمين حتى البقية الباقية من الحيـاة .

واذكر قصة أخرى بين الحجاج وعمران بن حطان ولم يكن فيها الحجاج حجاجـا :

فعمران بن حطان شاعر من شعراء جيله ويروى عنه انه كان قبيح الوجه متزوجا من سيدة جميلة غاية الجمال وكانت تقول له :

ـ كلانا فى الجنة يا حطان .

ـ لمـاذا ؟

ـ لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت فلك أجر الشاكرين ولى أجر الصـابرين

وقد خرج عمران على الحجاج وحاربه حربا ضارية لا هوادة فيها ثم تمكن منه الحجاج فمثل أمامه فحاكمه محاكمة صورية ثم قال :

ـ خذوا ابن الفاعلة .

وبهذه الجملة المسفة أمر بقتله فأمر الأخذ عن الحجاج أمر بالقتل ووقف عمران لا يتحرك وانما نظر الى الحجاج نظرة مزدرية وقال له :

ـ لبئس ما أدبتك أمك يا حجاج ... كيف أمنت لسانى أن أردها عليك ... هل بعد الموت منزلة أصانعك عليها ؟

وفوجىء الحجاج بما جابهه به ابن حطان ووجده على حق • ووجد عمران قد صان لسانه أن يخوض في أم الحجاج في لحظة يستطيع فيها حتى الجبان أن يقول للأمير ما يشاء وهل بعد الموت منزلة •

ارتج على الحجاج فأمر فأطلق عمران بن حطان وعاد الى صحابه وراحوا يقولون له « والله ما أطلقك الا الله فينبغي عليك أن تعود الى حربه » ويرفض عمران بن حطان ويقول في ذلك ابياتا أذكر منها :

أأدفع الحجاج عن سلطانه   بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول اذا وقفت تجاهه   في الصف واحتجت له فعلاته

ولست أدري ان كنت قد رويت لك هاتين القصتين من قبل أم لا •• ولكن المؤكد أنني حين رويتهما اذا كنت قد فعلت لم أعمل النظر في المقارنة بينهما • وكيف استطاعت الحرية أن تقتل الشيخ وكيف استطاعت هذه الحرية نفسها أن تنقذ ابن حطان • والسفاح في القصتين واحد لم يتغير فلو كان قد تغير لما جازت المقارنة •

ولكن هل السفاح دائما واحد • أم هو عدة أشخاص في جسد واحد يغضب فيقتل أو يرضى وتسجح نفسه فيعفو • وقد يكون ما أغضبه لايستحق الغضب وقد يكون ما ارضاه لا يستحق الرضا • نفوس عجيبة نفوس السفاحين ••• فان أحدا لا يدرى كيف يعاملهم ومن أى الجوانب يهز نفسا خيرة فيهم ــ ان كان في نفوسهم خير ــ وأى الجوانب يتقى حتى ينجو من الغضب والغضب عندهم قريب كثير الجوانب •

وأذكر حاكما فردا مستبدا أراد أحد الشعراء أن يبالغ في تملقه فقال ذلك البيت الشهير •

انت الذى تنزل الأيام منزلها   وتنقل الدهر من حال الى حال

وظن الشاعر المنافق انه بلغ بممدوحه اقصى غايات المديح ولكن الملك الممدوح روع من هذا المديح وكانت نوبة من التقى تركب نفسه في هذه اللحظة فاذا هو يقول لحراسه •

ــ أخرجوا لسانه من قفاه •

وهكذا لم يكتف بقتل شاعره وانما مثل به أيضا •

وهكذا نجد الذين ينافقون السفاحين كالقابضين على الجمر لا يدرون أصابوا بما فعلوا أم أخطأوا فأمهم هاوية •

وقد كان ما سمعناه عن هؤلاء السفاحين جديرا بان يجعلنا لا نعجب مما واجهتنا به الحياة متمثلا في طغاة العهد الماضي من آكله الكرامات الانسانية والأجساد البشرية •

ولكن الحقيقة ان المقارنة تزيدنا دهشة فأين العالم ومفاهيمه وقيمة منذ ألف وأربعمائة عام ونيف من عالمنا هذا ومفاهيمه وقيمه ٠ فقد كان الدم رخيصا وحياة الناس هباءات لا قيمة لها ٠ ومع تطور البشرية أصبح الانسان وحرماته هى أعظم ما فى الحياة ٠ وكان القرآن الذى كرم الانسان ورفعه على العالمين مازال جديدا عند هذه النفوس التى خربتها الجاهلية ودمرها الجهل فلم يكن عجيبا أن يظهر حجاج فى هذا الزمان وانما كان العجيب ٠ ان يظهر أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى وعثمان ثم عمر بن عبد العزيز ٠

أما فى عصرنا هذا وبعد أن وضع الانسان قدمه على أرض القمر كيف توجد نسخ أخرى من الحجاج ؟ واذا كان حجاج الماضى يقتل ويعفو فحجاجو زماننا يقتلون ولا يعفون ، وانما يمثلون بانسانية الانسان ويدمغ القضاء عملهم ويشهره على الملأ ومع ذلك يظل لهم انصار ٠

ويخاطبنى أحد هؤلاء الانصار فى التليفون محاولا ان ينال منى وكأنه حسب اننى لا أعرف ان لى منهم عدوا مبينا ، ويريد أن يؤكد هذا المؤكد ٠

والذى يجهله انه لا يشرفنى شىء فى الحياة قدر الشرف الذى أحس به فى خصومتى للشيوعيين ولانصار الظلم والطغيان ، والذى يجهله اننى أتقرب بحربهم الى الله فى علياء سمائه حين ينكرون هم وجوده والى الوطن الحبيب حين يتنكرون هم له ٠

ولقد سمعت أن واحدا من دهاقين العهد الماضى قال يوما أن الشعب هو الذى أغرانا بظلمه فقد قبل كل ما صنعناه ولم يبد منه غضب أو سخط ٠ ولو كان هذا الطاغية يعرف شيئا من أدب العرب لذكر البيت الشهير :

على الذم بتنا مجمعين وحالنا من الرعب حال المجمعين على الحمد فأى عجيبة ان يخاف الشعب من العذاب يؤيده السلاح ويؤازره غياب الضمير ٠

واذكر — على أى حال — قصة لاخينا عبد الفتاح الشناوى حين كان مديرا بمكتب وزير الأوقاف فى أوائل عهد الطغيان ، فوصل اليه خطاب من مدير مكتب أحد الوزراء الكبار موجها الى الوزير مباشرة فأمسك بسماعة التليفون وقال لمدير المكتب :

— مدير المكتب لا يكتب للوزير مباشرة

— أتعرف من أنا ٠

— نعم مدير مكتب الوزير ٠

ـ أنا فـلان .

وكان اسما تنخلع له قلوب الشجعان فى ذلك الحين ومع ذلك فهو لم يكتف بهذا وانما ذكر وظيفة أخرى يشغلها تخر لها الجبابر ساجدين واذا بالشناوى يقول فى هدوء :

ـ ولكنك مع ذلك مدير مكتب وقد كتبت الخطاب بهذه الصفة

ـ يلعن أبوك

ـ يلعن أبوك

ـ انت ابن

ـ انت ابن ستين ..

وماهى الا دقائق حتى استدعى الوزير مدير مكتبه ـ الشناوى طبعا ـ وسأله ماذا فعلت

ـ حافظت على كرامتك

ـ وهل طلبت منك أن تحافظ عليها

ـ وذهب الشناوى الى بيته وأعد حقيبة السجن وانتظر .. ثم قام، ولم يحدث شىء وفى الصباح دق جرس التليفون عند الشناوى .

ـ مـن

ـ أقـول ولا تشـتم ..

ـ أنا لا أبدأ بالشـتم ..

ـ انا فلان .. وانى أعتذر اليك .. فهل يكفيك هذا أم أجىء اليك

كان هذا فى أول الأمر وقبل أن يعم الطغيان وبعد سنوات التقى مدير المكتب هذا وقد أصبح وزيرا وأكبر بكثير من وزير بابن أخ الشناوى وتعرف عليه وقال له :

ـ لو كان فى مصر عشرة رجال مثل عمك ما كان هذا حالنا .

وانه لعجيب أن ينتظر الطغاة ان يردهم الناس عن طغيانهم ولا يحاولون هم أن يقيموا من ضمائرهم رادعا .. فيتطور بهم الأمر من الشتم الى الضرب الى الاعتداء على كل كرامة يعتز بها الانسان الى عهد من الظلم والبؤس والجبروت لم يعرف العالم له مثيلا فى قديم أو حديث وحسبك ان تقرأ حيثيات الحكم فى قضية كمشيش فاذا قرأتها فان أى تعقيب بعدها لن يضيف جديدا ، الا ان تشعر أمنا فى النفس وطمأنينة ورضا أن هذا العهد قد انقضى .

الأهرام ١٩ فبراير ١٩٧٨.

أخي يوسف ٠٠ أصحيح ما سمعنا ؟

كيف استطاعت هذه الرصاصة أن تنفذ الى قلبه ٠ أنه قلب حصنه صاحبه من الحقد والبغضاء فلم يكن يحوى الا حبا ٠

حاول الكثيرون أن يجعلوا منه عدوا فأحبهم فعجزوا أمام حبه أن يكرهوه ٠

لقد كان ابتسامة مشرقة على وجه الزمن فهل أراد الله سبحانه أن يرفعه بسمة مشرقة على مشارف الجنة ٠٠ والا فلماذا يقتل يوسف السباعى ٠ ان كان فى هذه الأرض من يأمن القتل فهو يوسف ٠٠ بل لقد كنا نحسب أن الموت سيأتى اليه بعد زمن بعيد خجلا من أن يقترب منه ٠٠ مغمضا عينيه حتى لا يرى ابتسامته فينثنى عنه لا يقترب ٠

كيف يموت ٠ لقد كان حياة فى نبض الحياة ٠ سامقا على كل صغار ، رفيعا عن كل حقد ، شامخا على أى كراهية ٠٠٠ فكيف يموت ؟

أن هذه اليد التى امتدت اليه شوهت وجه حياتنا جميعا ٠ أدعى أصحابها أنهم أصحاب حق عند العدو ثم لم يقتلوا من بعد الا الأصدقاء ٠

قتلوا من كان يمنعنا عنهم ٠ قتلوا من أفسح فى دار الأدباء مكانا لهم قتلوا من كان لا يلقاهم الا بالود الخالص والحب الشريف والقلب المفتوح والابتسامة الطفلة المضيئة ٠

ولكنهم يكرهون الضياء ويكرهون الشرف ويقتلون الود ٠

لقد كان يوسف السباعى علما من أعلام مصر فى كل مكان شغله فى مصر ٠

ولم يكن الا خيرا عند الشدة وشفاء عند الحقد وأملا عند اليأس أيقتلون الخير عندنا والشفاء والأمل ٠

ان كان قال ما لا يرضون عنه فكلنا نقوله معه ولتكن صدورنا ملاذا لأحقادهم ورصاصهم ولتكن الغصة في نفوسنا غصتين ٠٠ غصة أننا نقتل والأخرى أننا بيد الصديق نقتل ٠

أن يكن يوسف قد مات بجسده فهو حي في كل قلم شريف في هذا البلد ٠

وأبدا لن يقتل القلم الشريف مهما يتصايح عزيف الرصاص من حوالينا ٠

أننا كلنا يوسف ٠ ولقد كان والله أخا وصديقا للناس كل الناس وللشرف ٠ وللعفة ٠ وللأمانة ٠ وللمسئولية ٠ وكم يتمنى كل شريف أن يكون ذلك الانسان الذى ارتحل عنا ٠

أننا سنكتب الكلمة التي قالها وسنكتب الكلمة التى كان يحب أن يقولها ٠ ولينطلق الرصاص

ما أعظم شوقي وهو يقول :

وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاها الزمن
ويعنى خلا القول من لفظه وحلم تطاير عنه الوسن

١٩ فبراير ١٩٧٨

المجتمع هو أنت

تمنيت ـ علم الله ـ أن أكون قصاصا أستنبع الخيال لا الحقيقة في هذا الذى أرويه لكم وتمنيت ـ علم الله ـ أن يكون من روى لى هذه القصة كاذبا أو مبالغا أو متزيدا ولو انى ما عرفت عليه الا الصدق والدقة والأمانة ٠

وانى ما زلت أتمنى أن تكون هذه القصة حالة فردية لا تدل على ظاهرة وان كنت أخشى أن تخذلني الأماني مع ما تطالعنى به الحقائق ٠

فحين أسمع من طبيب كبير مسئول فى قصر العينى أن أكثر من حالة وفاة وقعت بالمستشفى لأن مستشفى قصر العينى أعرق مستشفى فى الشرق الأوسط جميعا ٠٠ ذلك المستشفى الذى تخرج فيه الطبيب المصرى والعربى والافريقى وبعض الأطباء العالميين المستشفى ليس به جهاز رسم للقلب ويحدث هذا ونرى بعض الحلقات التليفزيونية فنجدهم فى أمريكا يسعفون مرضى القلب بجهاز رسم متنقل فى سيارات الاسعاف يرسم وتظهر صورة الرسم على لوحة فى المستشفى الذى تتبعه السيارة ويعطى الطبيب أو الأطباء من المستشفى أوامرهم للهيئة التى تصاحب السيارة فى تجوالها ٠

وقد تقبل النفس الانسانية ما أصابنا من تخريب نتيجة الحروب التى خاضها بنا عهد الطغيان والأطماع الامبراطورية ولكن النفس الانسانية تحتم علينا أن يكون انقاذ المرضى أول ما ننفق فيه أموال دافعى الضرائب ٠

وعلى كل حال فليس هذا بالحديث الذى أردت أن أقدمه اليك فى يومى هذا ٠ فهو بالنسبة لما سأرويه لك ضئيل الأهمية على جسامته ٠

وأعود فأقول : اننى كنت أتمنى لو أن هذا الحديث محض قصص ، الخيال عماده ووحيه وكنت جديرا بأن أقول عنه خيال سقيم بعيد عن انسانية الانسان وبشرية ذلك المخلوق الذى فضله الله على العالمين ٠

ولكن · وعليك أن تمتلك روعك · ما أقدمه اليك حق ، شر ما يكون الحق · وصدق ، أبشع ما يكون الصدق ·

في مستشفى كبير من مستشفيات الاسكندرية كان يضرب به المثل في مصر كلها بالنظام والاخلاص في العمل · ولقد قدر لى أن أنزل به يوما وبعض يوم في ذلك الحين البعيد وأشهد أن ما كان يروى عنه من النظافة والنظام كان أقل من الحقيقة التى شهدتها ، وشهدها كثير من أقرباء وأصدقاء قدر لهم أن ينزلوا به أيضا ·

ولكن هذا الذى حدث منذ قريب كفيل أن يطلعك على مدى التدهور الذى بلغه ··· كان بالمستشفى شيخ مريض يحتمل مرضه في اذعان ويشيع ابتسامته وضحكاته على زملائه المرضى وعلى الممرضات والممرضين جميعا فأصبح حبيبا لهم يحبون أن يمازحوه ويعاتبوه ليحظوا بضحكاته وبنكاته التى يبعثرها عليهم ·

وفي ليلة هادئة جلست الممرضة ومعها ممرض يقومان بنوبتهما من السهر على راحة المرضى ·

ولكن الليل طال بهما والمرضى لا يطلبون شيئا وأصابتهما الملالة ويريدان أن يقطعا ليلهما بما يسلى ويقطعا رتابة الساعات البطيئة التى تسير مع الضيق غير عابئة بما يحسان من ركود ·

قال الممرض :

ــ ضعيني على هذه النقالة ·

ــ ثم

ــ ثم اذهبي الى صديقنا الشيخ وقولى له ان مريضا مات وانك تريدين عونه لتنقليه الى الطابق الأسفل ·

ــ ثم

ــ دعيني معه في المصعد ·

وفعلت وفعل ··· ركب النقالة وراحت الممرضة تدفعه الى باب العنبر الذى ينام به الشيخ الطيب الضحوك · وذهبت اليه تسأله العون فلم يضمن به · وقام من نومه وراح يدفع معها النقالة حتى باب المصعد · ثم استأذنت منه الممرضة مدعية أن المصعد لن يتسع لها وله وللنقالة ومدعية أيضا انها تشفق عليه أن ينزل السلم وحده وعزمت عليه أن تنزل هي على السلم وينزل هو مع النقالة في المصعد ·

الضوء فى المصعد هين لا يكاد الانسان يرى فيه راحة يده · والشيخ وحده مع الميت المزعوم ·

وفى لحظة مفاجأة هب المريض الذى كان يدعى الموت ليصرخ فى وجه الشيخ المريض ·

وفى المصعد استبدل الميت المزعوم بميت حقيقى فقد مات الشيخ فى لحظته وأخذ مكان المريض العابث وبدلا من أن تستقبل الممرضة ضحكات الشيخ والمريض استقبلت بهتة المريض وجثة الشيخ ·

وأتصور أن المستشفى فصلت المريض والممرضة العابثين واذا بمن يروى الحادثة يقول ان شيئا لم يحدث لهما الا اذا كان جزاء هينا أصابهما بعد شهور متطاولة من وقوع الحادثة ·

ويهولنى الأمر وها أنذا أرويه لك لنفكر معا كيف يمكن أن يستقيم بنا الأمر من غير قصاص يقع على المخطئين والمنحرفين والهازلين فى مواطن الجد والعابثين ، وأدوات عبثهم حياة الناس وأرواحهم ·

ان القصاص الذى يقع على واحد ينقذ الآلاف : فليس الامتناع عن القصاص رحمة وانما الرحمة فى أن يقع · وحين يقول الذى خلق البشر ان لنا فى القصاص حياة · لم يقلها عبثا ، فهو يعلم نفوس البشر التى سواها وألهمها فجورها وتقواها ويعلم أن كثيرا من هذه النفوس لا ترعوى ولا تتوجه الى الهدى الا اذا كان القصاص يلوح لها فى طريق الفساد والاهمال والعبث ·

أنا يائس من أى اصلاح فى أى مرفق أو جانب من جوانب حياتنا اذا لم يكن القصاص حاسما وسريعا وغير قابل للرفع أو الالغاء ·

فقد سمعنا عن أحكام مشددة وقعت على بعض فئات ثم سمعنا والأسى والأسف واللوعة تملأ نفوسنا ان الأحكام قد ألغيت وان القصاص قد رفع ·

أين العدل فى هذا · وكيف يستوى المحسن والمسىء · اذا كان الذى رفع الجزاء يظن انه راحم وشفوق فهو واهم · لقد ظلم كل الذين يعانون من أخطاء هؤلاء العاملين وهم جمهور عريض ·

وهو قد ظلم كل من أحسن عمله وجعله يعتقد ان المسىء فى العمل كالمحسن فتنهار الموازين وتنقلب المعايير وتسقط الحياة ويستحيل الاصلاح ويظل فينا الفساد ناشبا أظفارا من اليأس والألم والقنوط ·

ليس هناك نظام فى العالم لا قصاص فيه · الدول الديمقراطية توقع قصاصها بقوانين لا يجرؤ أحد أن يغيرها · وهذا القصاص عماد الحياة فيها سواء كان العمل حكوميا أو ملكا لأفراد ·

والدول الشيوعية توقع القصاص بجبروت تكاد لولا ثقتنا بهوان الانسان عندها ان نراها معذورة فيه ٠

فالقصاص يصل فيها الى قتل العامل المهمل شديد الاهمال ٠ ويوقع هذا القصاص في ظل حكم يقولون عنه أنه حكم الطبقة العاملة ٠

وها نحن أولاء نراهم فى اليوم يوقعون العقوبات السياسية بالنفى الى مناطق تجهل الحياة الطريق اليها ٠

ونحن لا نطالب بذلك وانما كل ما نرجوه أن يعرف كل مسئول عن عمل فى أى مكان ان هناك عقابا سينزل به اذا هو تهاون أو قصر ٠ واذا هو سرق أو ارتشى ٠ ويكون هذا الحكم عاما بادئا فى عنف من أكبر وظيفة فى العمل العام أو الخاص حتى أصغر وظيفة منه ٠

ان كل من يتولى عملا فى مصر وخاصة طبقة العمال قد نال حقوقا وأصبحنا جميعا محصنين ضد عسف أحد بنا أو ظلمه فالقانون يحمينا من الفصل ولكن يجب أن يحمى هذا القانون نفسه الشعب من ظلمنا له ٠

ليس من المعقول أن يوفر الشعب الأمان لنا ولا يوفر الشعب الأمان لنفسه منا ٠

اننا اذا لم نكن عالمين باننا معرضون للعقاب سيتعرض الشعب منا لكل الأهوال ٠ ستكون حياة الناس رخيصة عندنا وستكون أموال الشعب سائبة فى أيدينا بلا صاحب يحاسبنا على انتهابها ولا رقيب يردعنا ان نلصها ونبددها بغير حق ٠

ينبغى أن تكون الشئون القانونية فى كل وزارة أو مصلحة أو شركة عامة أو شركة خاصة صاحبة الحق فى توقيع الجزاءات علينا اذا ثبت منا الخطأ وليكن لنا الحق بعد ذلك ان نلجأ للمحكمة لترد عنا الظلم اذا وقع علينا الظلم ٠

اما ان نظلم نحن العمال الجمهور العريض فلا نحاسب فاذا ظلمنا رئيس ونحن أفراد حاسبناه فأمر لا يقبل منطق أو حق أو قانون أو خلق ٠

ان ظلمنا نحن سيقع منا على الشعب جميعه أما ظلم الرئيس لواحد منا فسيقع على فرد منا واحد ٠

وليس هناك مجتمع يحمى الفرد من المجتمع ولا يحمى المجتمع من الفرد ٠

اننى أحسب أن كثيرا من القوانين فى هذا الشأن قد صيغت فى جهالة حمقاء وفى رعونة وعدم ادراك ٠ وأعتقد انه ينبغى أن يعاد النظر فى كل هذه القوانين ٠ فالعدل لا يتصور ان يصبح الشعب بلا حماية ٠ فاذا حيـــاة الناس وأمـوال الجماعة حل مبـــاح لكل عابث ولكل من لا ضمير له ٠

ان العدل جزاء وثواب كفتـــا ميزان لا تغيب الواحدة منهمـا عن الأخرى وويل لدولة الميزان فيها بكفة واحدة والحق فيها لا يلازمه واجب ٠

الاهرام فى ٢٤ فبراير ١٩٧٨

لم يعد شيء غريبا

صرح خدام أن سوريا لن تقبل الصلح مع مصر الا اذا اســـتقال السادات فالى سيادة الرئيس أتوجه بهذا الحديث ٠

يجب ياسيادة الرئيس السادات أن تستقيل لأن خداما يريد الصلح مع مصر ورياستك للجمهورية تقف عقبة دون هذا الصلح ٠

ولا شك أن سيادتك تدرى الخير الوفير الذى يعود على مصر من هذا الصلح ٠ فالرئاسة السورية رئاسة صريحة ليس يعنيها أن تنتصر فى الحروب أو تنهزم وانما كل ما يعنيها أن تهز المنابر بالخطب الرنانة واللافتات البراقة والشعارات المشتعلة وليكن بعد ذلك من أمر الحرب ما يكون والكلام كما تعرف سيادتك أسهل كثيرا من العمل ٠ لايهم ان يقتل الناس فى حروب منهزمة ٠ ولايهم ان يتجرع الشعب الجوع ويقتات الهواء ويعيش العيشة الضنك ويحيا الحياة المهينة فبحسبه أن الرؤساء وأتبــاعهم يرفعون له الشعارات ويمتصــون آذانه بالخطب ويبذلون له الوعود وان لم تتحقق هذه الوعود ٠ فالرئاسة الســورية مثل رفيع فى هذه الحروب الكلامية ومصر تحب ـ كما يرى خدام ـ أن تسمع الحديث ولا ترى العمل وتطرب للخطب ولا تجد الحياة وتقف فى ظــل اللافتات وان لم يتحقق من هذه اللافتات شيء ٠

ومصر ـ كما يرى خدام ـ تشوقت للذلة والهوان والعذاب والدمار والخسف الذى يسومه الحكام لشعوبهم ٠

وأنت يا سيادة الرئيس الســادات ظلمت الناس فى مصر فأطلقتهم من السجون وجعلتهم فى أمن من السلطان ٠ وأصبح الانســـان المصرى يحس أنه انسان وان جسده وروحه وأطفاله وعرضه حرمات مقدســـة لايمسها من السلطة سوء ولايعرض لها الحاكم ببطش أو عدوان ٠

فمصر اذن تريد أن تصادق حكام سوريا حتى يصبحوا مرة أخرى مثلا أعلى للحاكم وتفتح السجون أبوابها وتنغلق العيون فلا ترى والآذان فلا تسمع الا الأمر لايناقش والأفواه لاتنطق الا طبلا وزمرا ومديحا في بلاط الحاكم ٠ ولهذا يجب أن تستقيل حتى يتم الصلح بين مصر وسوريا ٠

وانت ياسيادة الرئيس أطلقت الكلمة الحبيسة التى اختنقت في حناجر شعبنا وشرق بها أصحابها فلاهى تنطلق لأنها لاتجرؤ على الانطلاق. ولا هى تذوب فى كيان الناس لأن الظلم صلب جامد لاينوب ويمحى ٠

فكيف رضيت للشعب أن يكون حرا ياسيدى الرئيس وللكلمة أن تنطلق ٠ ولهذا يرى خدام أنك يجب أن تستقيل ٠

منذ أيام قليلة زارنى من العراق مثقف وسألنى أين يقيم صحفى سماه فقلت أنه يقيم فى بيته على النيل ٠

ـ تقصد هنا فى القاهرة ٠

ـ ياسيدى النيل يجرى فى القاهرة ٠

ـ اذن فهو فى القاهرة ٠

ـ وعلى نيلها ٠

ـ غير معقول ٠

ـ لك أن تقدر المعقول وغير المعقول ولكن هذا هو الأمر الواقع ٠

ـ أطال الله بقاء رئيسكم ان مثل هذا الصحفى لو صنع فى العراق ما صنع فى مصر لما مرت عليه ساعة الا كان عدما من العدم ٠ لاشك انكم تحبون رئيسكم ٠

ـ ولو كان فعل هذا فى حكم سابق لكان اليوم ـ اذا كتبت له الحياة ـ يؤلف كتابا عن دمار الانسان ٠

ولأن الشعب يحبك أيها الرئيس يجب أن تستقيل لأن حكام سوريا والعراق لايتصورون أن العلاقة بين الرئيس والشعب هى الحب وانما هى القهر والقتل والاحراق التدمير والحقد والبغض والكراهية والمقت ٠ فمن الطبيعى أن يحجب عنا خدام الصلح أو تستقيل ٠

وأنت يا سيدى الرئيس قبلت فى أكتوبر العظيم ان تدع الناس يهاجمونك وتكتمت أمر الحرب لا يدرى بسرها انسان ثم اندفع الجيش العملاق يرد للعرب كرامتهم ويزيح عن العروبة الذلة والهوان التى لصقت بها منذ يونية حتى حرب أكتوبر ·

وأنت ياسيدى قد انتصرت بجيشك فى هذه الحرب وانتصر بك جيشك ·

ولأنك انتصرت يجب أن تستقيل لأن حكام سوريا وخدام لايحبون المنتصرين وانما يحبون المهزومين المندحورين الذين يصبحون فى الحروب نعاما ويمسون على شعوبهم أسودا · يدحرهم العدو فبدلا من أن يناجزوه ويدافعوه عن شعوبهم ينقلبون هم على شعوبهم وحوشا كاسرة بلا ضمير حتى وان كان ضمير الحيوان وبلا قانون حتى وان كان قانون الغاب ·

ولما كنت أنت قد انتصرت فى حرب رمضان فيجب أن تستقيل أنت وما دام حكام سوريا قد انهزموا فيها فيجب أن يبقوا هم فى الحكم ·

هكذا يقول خدام

ثم أنت أيها الرئيس قد قبلت بعد ذلك أن تدخل فى مفاوضات غير مباشرة بعد أن صحت صيحتك الرائعة أنا لا أحارب أمريكا فاعلنت لشعبك أنك رجل صادق لا تخادع ولا تنافق ولا تلقى بشعبك الى تيه من البريق الكاذب والخداع الحقير والسراب الميت القاتل ·

فكنت أول رئيس عربى يسمع عنه العالم قولا يدل على شجاعة الحق التى تقف وراءها الثقة بالله وبالنفس ·

وأسفرت المفاوضات عن فك الاشتباك الأول ثم فك الاشتباك الثانى·

ومن هناك من عاصمة قريبة كل القرب من الجولان صاح أبطال الحديث وجرذان الحروب · لقد ضاعت القضية العربية وباعتها مصر من أجل حفنة من رمال · فرمال مصر وحدها هى الرخيصة وكل رمال بعد ذلك غالية فى خطبهم · ثم تخافت الصوت منهم ثم قبلوا فك الاشتباك وبفضل هذا الاتفاق الذى أبرمته أنت يا رئيس مصر يعيش حكام سوريا وشعب سوريا فى سلام منذ ذلك الحين حتى اليوم وكلما انتهت مدة فك الاشتباك طلبوا تجديدها وصاحوا مع طلب التجديد أن مصر أضاعت القضية ·

وما داموا ياسيدي الرئيس يعيشون بلا حرب مدة تجاوزت السنوات الاربع بفضل الاتفاق الذى صنعته أنت ما دام الامر كذلك فيجب أن تستقيل حتى يقبلوا الصلح مع مصر ٠

ورأيت ياسيدى الرئيس السلام يتلكع فى سراديب البيت الأبيض وفي أنفقة الكنيست فاذا أنت في عبقرية لم يعرف التاريخ لها مثيل تعلن عن قبولك الذهاب الى الكنيست اذا كان هذا الذهاب يحقن دم جندى من جنود مصر أو العرب ٠ وعرف العالم لأول مرة أن مصر ورئيس مصر يقدرون قيمة الدم البشرى بعد أن كان مسفوحا على جنبات السجون يلطخون الجيل كله والعصر بأجمعة ٠

ألقى العالم اليك أذنه ثم أرسل عيونه تتكشف آثار كلمتك الخالدة والقلوب واجفة حذر أن تكون في وهم خادع عما قريب تدهمه الحقيقة فيصبح حلما من أحلام اليقظة ويتماع مع لحظات الحياة الهينة التي لا تترك في البشرية أي أثر ٠

ولكن العالم يفاجأ بك على منبر الكنيست تقف وقفة عزة وانتصار لا ذلة فيها ولا انهزام ٠ ومن أين الذلة وآخر معركة خاضها جيشك هي حرب رمضان ٠ وتقول فاذا أنت تطلب العدل الذى يطالب به العرب جميعا لا تحيد ولا تلوب بالحديث ولا تدور بالمعانى ٠ صريحا وناصعا ومشرقا كنت ٠ فانبهر العالم أمام شخصك مرتين ٠ مرة وأنت تقف على سلم الطائرة فى مطار القدس ومرة وأنت تقول كلماتك وتغرسها فى حقول العدل والسلام والعزة والسموق ٠

أحس زعماء الرفض أنهم أصبحوا بجانبك صغارا كدمى يحركها أصبع دب لا عقل له ٠

ولهذا يجب أن تستقيل ٠ فما دام حكام البعث لا يستطيعون أن يطاولوك في مجدك وارتفاعك وما داموا هم لايستقيلون لأن مثلهم لايستقيل ولا يترك مكانه الا مرغما ٠ مادام الأمر كذلك فانه يجب عليك أن تستقيل ٠

وحين وجدت المفاوضات لا تسير كما ينبغى أن تسير لتحافظ على الحق العربى أعلنت قطعها ٠ اذن فانت لست هازلا فى الحفاظ على حقوق فلسطين وما دمت ياسيدى الرئيس لست هازلا فانه يجب عليك أن تستقيل لأن خدامنا لا يحب الا الهازلين ولا يقف الا مع الكاذبين المنافقين ولست بذاك أيها الرئيس فاستقل حتى يقبل خدام الصلح مع القاهرة ٠

ومادمنا فى زمان يحكم فيه الأطفال والوحوش والجهلاء والسخفاء والمخابيل فكل شيء يجوز ٠

لم يعد شيء علينا غريبا ونحن نعيش بين دول ترى الظلم عدلا والنصر هزيمة والهزل حكمة والجهل علما والنور ظلاما والاشراق قتامة وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام فى ١٩٧٨/٤/٢٥

عبق الطفولة على جسر البسفور

ذهبت الى استانبول تختلط فى ذهنى وفى مخيلتى أشـياء كثيرة مصادرها شتى متفرقة وجميعها يرسل الى نفسى عبقا من ذكرى الطفولة والشـباب ٠

فاسـتانبول كانت جزءا من التاريخ المصرى وكان المصريون لفترة طويلة سمعنـا عنهـا ولم نشهدها يميلون الى الخلافة العثمـانيه هربا من الاحتلال البريطانى وكنت حين اقرأ هذه الفترة من تاريخنا اعجب كيف كانت عقول كبيرة واعيـة مثقفة تقبل هـذا الانضواء تحت خيمة الخلافة العثمانية لتهرب من الاحتلال ٠ وأتساءل لماذا نهرب من احتلال الى احتلال وأذكر بيت المتنبى ٠

اذا اسـتشفيت من داء بداء فاقتـل ما اعلك ماشـفاكا

وأسأل من عاهدوا هذه المشاعر فيقال لى أن الرغبـة فى الانتساب الى الخلافة العثمانية لم تكن تمثل قبولا للاحتلال وانمـا كانت تمثل فى ذلك الحين انتصارا للاسلام متمثلا فى الخلافة العثمانية ولم يكن ميلا الى الاحتلال العثمانى ٠ وقد كان حكام مصر معينين من الدولة العثمانية ولكن تبعيتهم كانت شكلية تتمثل فى مبلغ غير باهظ يقدمه الولاه الى الدولة العثمانية أو تتمثل فى هدايا ورشاو الى المحيطين بالخليفة العثمانى ٠

وأيا ما كان الأمر فقد كانت الدولة العثمانية فى ذلك الحين تسمى بالرجل المريض وقد تواثبت دول العالم عليها شأن حيوانات الغابة مع الأسد الذى أدركته الشيخوخة وانفصلت مصر عن الدولة العثمانيـة وانفردت باحتلالها انجلترا ٠

ولم يبق منه الا جماعة من أفراد فقراء لعلهم لم يجدوا أجر الرحلة الى استانبول أو لعلهم انسوا الى مصر وأهلها فاقاموا بها اقامة أهل لا زوار • وشهدت أيضا سيدات متقدمات في السن غاية في الاحترام والوقار أذكر منهن في طفولتي الباكرة جدتي أم أبي التي أحبتني حبا لم أعرف له مثيلا الا من جدتي الأخرى التي ظلت على قيد الحياة حتى كبرت وتزوجت وتخرجت •

أما جدتي أم أبي فقد ماتت وأنا في الرابعة أو الخامسة من عمري ولا أذكر منها الا حبها والا أنني كنت ألعب في السرادق الذي أقيم لوفاتها ثم دخلت الى المنزل فلقيني عمي المرحوم عبد الله فكري •

وكان يدور بذهني أيضا ما كتبه جورجي زيدان من قصص حول السلطان عبد الحميد ومؤامرات القصور وكيد الجواري وغرامهن وحقدهن وتحاسدهن وتباغضهن •

وأجد أبيات شوقي عن جسر البسفور تثب الى ذهني •

أمير المؤمنين رأيت جسرا أمر على الصراط ولا عليه
له خشب يجوع السوس فيه وتمضي الفار لا تأوي اليه

كم كنت مشوقا الى رؤية البسفور وكم تمنيت أن أرى جسر شوقي عليه أو بقية منه على الأقل •

ثم أسمع شوقي مرة أخرى يودع حكم السلطان عبد الحميد في قصيدته الباذخة الروعة •

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع اجابة لبكتك بالدمع الغزير
ذهب الجميع فلا القصور ترى ولا أهل القصور
أين الاوانس في ذراها من ملائكة وحور
المشرفات وما انتقلن على الممالك والبحور

أن ستانبول كانت تمثل في روعنا تركيا جميعا وقد ذهبت اليها وفي نفسي كل ما يدور بنفوس المصريين عن تركيا في صلتها الماضية بمصر وفي صلتها بالمصريين حتى لم يستطع أستاذنا الروائي الكبير نجيب محفوظ أن يغفل هذه الصلة حين كتب خالدته الثلاثية فرسم فيها شخصية تركية ذات سيطرة فيها أمومه على السيد أحمد عبد الجواد عميد البيت الذي قام عليه محور الثلاثية ولست أنسى أنا طفولتي وقد شهدتها بعد أن تقلص عن مصر الظل العثماني تماما أباظة وهو شقيق أبي الأصغر وسالني يومذاك •

ـ أيـن أبوك

ـ في الزينة ٠

وفوجئت بقلم عنيف يهوى على وجهى فما تصور أن أحـدا يعتبر سرادق المآتم الذى أقيم لأمه زينة وغلبة الغيظ فلم يعذر طفولتى وبراءتى فى ذلك الحين ٠ وظللت أجهل سبب هذا القلم حتى بلغت سنا أستطيع فيها أن أدرك وروى الكبار على القصة فعرفت ماكنت أجهله ٠

كانت هذه الذكريات والمعـانى تدور بخاطرى وأنا أدخل استطنبول ولم تخذل المدينة العريقة ذكرياتى فقد اســـتقبلتنا وكأنهـا أهلا يقولها كريـم ٠

والمدينة تجمع بين مجد الماضى وحداثة الحاضر فى قوائم متناغمة ٠ وقد بدأنا جولتنا فى المدينة بزيارة المساجد فكان من الطبيعى أن يتصدر مسجد أيا صوفيا الزيارة وكان جميلا أن نرى النقوش المسيحية تعانق المنبر وآيات القرآن ٠

الأهرام فى ٩/٥/١٩٧٨

بقى شيىء

كانت الليلة ناجحة نجاحا باهرا • فالمدعوون يملأون المسرح وليس الجمهور والمدعو فرح دائما لأنه تفلت الى المسرح مجانا فهو كثير التصفيق• ولم يدر المصفقون ماذا صنعوه بتصفيقهم هذا لبهجت • لقـــد جن به الجنون وراح يجوب الطرقات ماشيا تاركا سيارته أمام المسرح لقد حقق الأمل الأكبر في حياته ولقد اصبح ممثلا •

وفى الليلة التالية عرف المخرج وعرف الممثلان الكبيران ان المسرحية فشلت ولم يدرك بهجت هذه الحقيقة الا فى اليـوم الخامس حين تقلص المدعوون وأصبحت الصالة لا تحوى الا المشترين ، لم يفكر فى خسارته المادية ولكنه أحس أن أمله بعيـــد وأنه مازال بينه وبين هذا الأمل مدى بعيد • كان هذا أمله الوحيد بعد سوسن وقد ضاع أيضا •

أدرك هذه الحقيقة على رغم مقالات النقـاد التى أمطرته بوابل من المديح والتمجيد •

كان قبل تجربته يظن أن أقلام النقاد هى رأى الجماهير ثم روعته الصالة الخاوية التى تمثلت له هوة من الفراغ واليأس وأدرك أن النقاد جمهور مستقل بذاته لا صلة بينه وبين الجمهور الذى يصنع النجوم أن هذا الجمهور يحكم بلا حيثيات ويصدر حكمه فى قسوة واضحة بلا رحمة وبلا محاولة للتلطف فى التعبير أو ابداء الرأى • انه ببساطة لا يشترى التذكرة وبهذا التوقف عن الشراء يصدر الحكم •

حاول الصحفى ذكرى لطيف

ــ ليست التجربة الأولى هى كل شىء •

ــ بل هى كل شىء اذا لم أعرف العيب حتى أصححه

ـ الرواية أرفع من مستوى الجمهور ٠

ـ ان عدم اقبال الجمهور لا يعطينا الحق أن نشتمه ٠ لقد أقبل على روايات أعلى مستوى مما قدمت ٠

ـ مسألة حظ ٠

ـ حجة عاجز ٠ لماذا يخدم الحظ غيرى ولا يخدمنى وقد هيأت له كل الفرص ليمشى فى ركابى ٠

ـ الحظ لا يسأله أحد ٠

ـ لأننا نظلمه دائما ٠

ـ ألا تجرب تجربة ثانية ٠

ـ أو أدرى فيم أخطأت فى الأولى ٠

ولم يجد ذكرى شيئا يقوله ٠

ورن جرس التليفون فى بيت بهجت

ـ ألو ٠٠ من

ـ أنـا سـهام ٠

ـ سهام ساهى ٠

ـ هل تعرف غيرها ٠

ـ أهـلا ٠

ـ لماذا تفعل الليلة ٠

ـ أمثـل ٠

ـ أقصد بعد التمثيل ٠

ـ أنـام ٠

ـ بل لا تنـم ٠

ـ خـيرا ٠

ـ أريدك أن تتعشى عندى ٠

ـ أمرك ٠

وسألته أمه عما تريده منه سهام فأخبرها ٠

ـ ما المناسبة ٠

ـ لا أدرى ٠٠ يبدو أنها تريدنى فى شىء هام ٠

ـ وماذا بينك وبينها ٠

ـ زمـلاء ·

ـ هل أصبحت مثلها ·

ـ على كل حال هي تعمل عندي الآن ·

ـ ليست هذه لغة فنان ولكنها لغة صاحب مال ·

ـ يبدو أن هذه هي الحقيقة ·

ـ فلماذا لا تقتنع بهـا ·

ـ حين أتأكد سأقتنع ·

ـ أتريد أن تتأكد ·

ـ لقد علمني الفقر كثيرا ·

ـ مثـل ماذا ·

ـ مثل ان أواجه الحقيقة مهما تكن مرة ·

ـ فواجههـا ·

ـ حين أراها بعيني سأواجهها ·

ـ ألم تـرها ·

ـ ليس بعـد ·

ـ سأتركك حتى تراها ·

ـ لو كنت رحبت بفكرة أن أكـون ممثـلا يوم عرضتها عليك أيام الفقر لأخذت رأيك اليوم بلا أى تفكير ولكنك لو رأيت نفسـك يومذاك وإلى أى حد ذعـرت لعرفت انني على حق حين أرفض رأيك أو على الأقل أتحفظ في الأخذ به ·

ـ أرجو أن أكون مخطئة وتكون محقا ·

وفي العشاء وجد بهجت نفسه مع سهام سـامي وأحمد فواز ووجد معهم ثالثا يعرفه بالشـهرة ولم يكن قد التقى به قبل ذلك · انه سالم خليل المخرج السينمائي · قال أحمد ·

ـ عدم نجاح تجربة المسرح يجعلنا نبحث عن الطريق السليم ·

ـ وما هـو ·

ـ ما رأيك في الانتاج السينمائي ·

ـ لا خبرة لي فيه ·

ـ ولم تكن لك خبرة بالمسرح ٠

ـ لقد أخذت أحسن العناصر التى تعمل فى المسرح ٠

ـ وستختار أحسن العناصر التى تعمل فى السينما ٠

ـ لم أنجح فى التجربة الجديدة

ـ هل عندك قصة ٠

ـ سالم خليل هو الذى اختارها ٠

ـ هى قصة لكاتب معروف لم يسقط له عمل قبل اليوم ٠

ـ هل أنت واثق منها ٠

ـ أستاذ بهجت ٠ ان لى اسما لابد أن أحافظ عليه

ـ هل معك القصة ٠

ـ معى ٠

ـ أقرأهـــا ٠

ـ اذا شئت فأنت رجل مثقف وتستطيع أن تحكم ٠

ـ لم أستطع أن أصل فى المرة السابقة ٠

ـ كم من فشل أعقبه نجاح ٠

ـ أستاذ سالم أتعرف لماذا قدمت هذه المسرحية ٠

ـ حبـا للفن ٠

ـ أنا أريد أن أمثل ٠ لا أريد مالا فعندى ما يكفينى ولكننى أريد أن أمثــــل ٠

ـ وهذا وحده سبب معقول ٠

ـ وأحب المسرح ٠

ـ لعلك اذا نجحت فى السينما تستطيع أن تنتقل الى المسرح ٠

ـ أخذ الطريق من آخره ٠

ـ المهم أن تصـــل ٠

ـ أجرب ٠٠ ولكن هل رأيت المسرحية

ـ نعم ٠٠ نعــم

ـ لماذا فشلت ٠

ـ لا أدرى ٠٠ كثيرا ما تكون الأعمال جيدة ولا تنجح

ـ لا شك فيهــا ٠

ـ وأنت يا أستاذ أحمد ٠

ـ فعـــلا ٠

ـ وأنت يا ســــهام ٠

ـ ألم تلاحظ أننى لم أتكلم من أول الليلة ٠

ـ لاحظت ٠

ـ فاسمح لى اذن أن أكمل الليلة بالأحلام ٠

ـ ألا تخبرينى على الأقل برأيك فى موهبتى

ـ لو قلت رأيى لقلت كل شيء ٠٠ ان لى معك كلاما آخر ٠

ـ أمرك ٠

ـ متى ستقرأ الرواية ٠

ـ سأتصل بك فى مدى يومين ٠

ـ أحمد يعرف كيف يجيء بى ٠٠ فهو يمثل فى فيلم معى الآن ٠٠ حين تنتهى من القراءة قل له وأنا تحت أمرك ٠

ـ وهو كذلك ٠

ليس يدرى لماذا فكر وهو فى السيارة فى قصة حبه الكبير ٠ أنها تلح عليه ٠ منذ اللحظة الأولى التى عرف فيها سوسن ٠ منذ هما يتقدمان معا للجامعة وهى بجمالها الهادىء القوى تقف عاجزة لا تدرى ماذاتفعل وكانما توسمت أن تجد عنده عونا ٠ وقام عنها بالاجراءات ٠ لقد كانت فى طريقها الى كلية الحقوق مثله وتعارفا وأحبها حب عنيفا جارفا حتى لقد قرر فجأة ٠

ـ لابد أن أتركك ٠

ـ المفروض الا أسالك لماذا ٠ فتركك لى امتحان وسؤالى امعان فى الامتحان ولهذا فأنا أسالك لماذا ٠

ـ لأننى أكبرك وأحبك وأحبك

ـ تخاف من المستقبل ٠

ـ فقر وضياع وذل وهوان ٠ وانظر اليك فأجـــد أنك نصـــير لهذا خلقت ٠

ـ أنت فى السنة الثانية من كلية الحقوق ٠ ومن يدرى ماذا سيحدث حتى نتخرج بعد سنتين

ـ أما ما سيحدث لى فلا شـــك فيه ٠ وأما ما يحدث لك فان أمره

اذن سيكون بلا شك خيرا من حياتك اذا ما ارتبطت بى

ـ ومن يدريك ·

ـ طبائع الأشـياء ·

ـ ألا يكفى أن تحبنى وأن ·· أحبك ·

ـ يكفى لو كنا سنؤلف قصة لا بيتا ·

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ اذا جاءك خاطب فلا ترفضى ·

ـ هذا أمر ·

ـ هذا انتحـار ·

ـ ومن أنباك أننى أقبل لك هذا ·

ـ لابد أن تقبليه · أرجوك ·

ـ وتلح أيضـــا ·

ـ سعادتك عندى تستحق هذا الالحاح ·

ـ كلام عجيب لم أسمع مثله من قبل ·

ـ لأنك عرفت الحب من كتاب سخفاء يكتبون القصص ولا يكتبون الحيــاة ·

ـ لهذا السخف تحب أن تعيش ·

ـ ولكن الحياة لا تحب أن تعيش به ·

ـ لو لم أكن أدرى مقدار حبى لك الذى يجعلنى أثق بمقدار حبك لى لظننت أنك تريد أن تتخلص منى ·

ـ سوسن الحياة التى تنتظرنى شـــاقة والعبء فيهـــا ثقيل اذا تزوجتـك ·

ـ سأعمل ولن أكون عبئا عليك ·

ـ أنك تستحقين خيرا من هذا ·

ـ لماذا تضحى أنت ولا أضحى أنا ·

ـ لو كنت أســـتطيع الزواج بعـــد تخرجى لضحينا معا ولكن لا أستطيع ·

ـ وفيم العجلة ·

ـ ستكون حياتى جحيما وأنا اعـرف أنك تنتظرين موعدا لا أدرى متى انجازه ·

ـ لقد جاءنى الخاطب ·

ـ ورفضته ·

ـ أنا رفضته ·

ـ ولكن أباك لم يبلغه الرفض ·

ـ لم يبلغه فهو معجب به ·

ـ أغنى هو · ؟

ـ وهل ينظر أبى الى غير هذا ·

ـ أقبليـه ·

ـ هل أنت واثق ·

ولم يجب وانما سارع يبتعد مخفيا دمعاته · كانت قد تعودت أن تعنف به ، ويقبل عنفها امتنع عن الصخب مع الرفاق وامتنع عن ملذات الشباب وامتنع عن متع كثيرة يعلم أن فقره لايتيحها له · ولكن ما فرضه على نفسه مع سوسن كان أبعد الجراح غورا · وحين جاءت ثروة عمه كانت سوسن قد أنجبت طفلها الأول · وحين التقى بها فى الكلية بعد أن سمعت بغناه المفاجىء نظرت اليه نظرة طويلة ولم يجد شيئا يقوله أو يعمله الا أن يغمغم ·

ـ لم أكن أدرى ·

وابتسمت فى مرارة

ـ لقد أصدرت حكمك على المستقبل دون أن تقرأ صحيفة الدعوى

ـ لا تزيد فى آلامى ·

ـ انها بعض آلامى ·

ـ أسعيدة أنت ؟

ـ تريد أن تطمئن على تضحيتك ·

ـ أريد أن أطمئن عليك ·

ـ لاتطمئن ·

ـ أتركيـــه ·

ـ وماذا أقول لأبنى حين يصبح فى مثل عمرنا ·

ـ ألا ســـبيل ·

ـ الأحكام التى تصدرها مع الحياة لا يجوز إعادة النظر فيهـــا لسابقة الفصل فى الدعوى ·

ـ بلا استئناف ٠

ـ فات موعده ٠

ـ لا تطعن ٠

ـ أنت لم تخطيء في تطبيق القانون ولكنك أخطأت في وجهة النظر لانقض مادام القانون قد طبق

ـ تسدين على المسالك ٠

ـ أنا فقط أبقى عليها مسدودة كما أردتها ٠

ـ أهذا ما كنت أريد ٠

ـ احببت أن ترى نفسك بطلا ٠ افرح لقد أصبحته

ـ أحببت أن تعيش في سعادة ٠

ـ هيهات ٠ أتعرف أنت أين سعادتك أو أين سعادتي

ـ خيل الى ظننت ٠٠

ـ الأحكام في الحياة لا تبنى على ظنون ٠

ـ ألا ترحمين ٠

ـ انى راحمة لأنى أعرف دوافعك ٠

ـ لعلها تغفر لى عندك ٠

ـ لقد غفرت لك عندى منذ دمعاتك التى أخفيتها وانصرف عنها الى الأبد وهو يخفى دموعه عنها مرة أخرى ٠

مالذى جعله يذكر هذا ٠٠ لا يدرى ٠٠ أفى نفسه حب جديد ٠٠ ربما حين ذهب الى البيت أمسك بالرواية ونظر اليها بضع دقائق ٠٠ قلب صفحاتها ٠ كانت المرة الأولى التى يقرأ فيها سيناريو كان الوقت متأخرا فالقى بها الى جانبه وانصرف يهيىء نفسه الى النوم ٠

فى الصباح كان أول شىء سمعه دعوى تليفونية من بسهام سامى ٠

ـ هل قرأت الرواية ٠

ـ لم أبدا بعد

ـ هل يمكن أن أقول لك رأيا ٠

ـ واضح أنك دعوتنى من أجل هذا

ـ أنت رجل مستقيم ٠

ـ أرجو أن أكون كذلك ·

ـ ولكن أتحب الرأى المستقيم ؟

ـ كنت أرجو أن تكونى عرفتنى أكثر من هذا ·

ـ اذن أسـمع ·

ـ أنـا أسمع ·

ـ حرام أن تضيع مالك ووقتك ·

ـ هواية ·· أنا أعبد التمثيل ·

ـ أعبده كما تشاء ولكنك بلا موهبة ·

ـ هكذا مرة واحدة ·

ـ اسمع أنا لست أستاذة فى المعهد ولا يسمح لى سنى أن أكون خبيرة ولكن لى حاسة وقد تدربت هذه الحاسة فأصبح لها حكم فى هذا الوحش الذى يسمى التمثيل ولى أيضا أصدقاء قالوا لى مالا يستطيع أحد أن يقوله لك أو ما يحب الكثيرون أن يخفوه عنك لمصالحهم الخاصة ابتعد عن هذا الوحش · انه فتاك يمتص فريسته ويخدعهـا ويسلط عليهـا غرورها حتى تصبح نفاية بشرية ·

ـ الحكم غاية فى القسوة ·

ـ بعد سنوات قلائل ستدرك أنه غاية فى الرحمة ·

ـ ولماذا تقولين لى هذا ·

ـ لو كان غيرك ما قلت له شيئا · فهذا الفن يجعل بعض العاملين فيه يتحاسدون ولو كنت أعلم انك من هذا الصنف لمنعت نفسى أن أصارحك خشية أن تظن أننى أخشى على مستقبلى منك ·

ـ ما هذا الكلام الفارغ · أنت فى مجدك هذا تخشين ناشئا

ـ قبل أن يدرك ناشىء أنه ناشىء وهو يبحث دائما عن سبب مثل هذه النصيحة غير أن تكون خالصة فليطمئن نفسه أن الممثلة التى بلغت ما بلغت من شهرة تخاف على نفسها منـه ولهذا تنصـحه أن يبتعد عن التمثيـل ·

ـ واذا تخلصت منه اليس من الطبيعى أن يأتى آخر يكون صاحب موهبـة حقا ·

ـ الفاشلون يعمون عن كل الحقائق فلا يدركون مثلا أن لكل نجم فى التمثيل فترة · وان النجم لابد له من نجوم حوله حتى يؤكدوا وجوده

وكل هذا يغيب عن تفكيرهم ليؤكدوا لنفسهم أنهم أصحاب مواهب..

ـ وما رأيك فى الانتاج السينمائى .

ـ مربح جدا لمن يفهمه وخراب للهواه أمثالك .

ـ ولكنك مع ذلك لم تجيبى على سؤالى .

ـ لقد نسيته .

ـ لماذا تقولين هذا لى .

ـ أخشى على نفسى منك .

ـ هذه فهمناها وماذا أيضا .

ـ أخشى عليك من نفسك .

ـ هل تقدمين نصيحتك لأى انسان تخشين عليه من نفسه .

ـ لا شأن لك بهذا .

انهم يحتفلون اليوم بعيد ميلاده الستين . تحتفل به ابنته اخلاص وابنه فتوح ويحتفل أيضا به زوج ابنته سعيد مجدى المحامى . ويحتفل أيضا أبناء ابنته الهام وبهجت . والجميع يلتفون حول الممثلة السابقة والجدة الحالية سهام سامى .

سنوات مرت وسنوات وقطع من العمر طريقا طويلا ومن النجاح طريقا أطول . فلم يكن أمامه الا أن يعود الى المحاماة . وكان قد تعود الجد الذى أرغم عليه فى أول حياته فنجح فيها نجاحا ساحقا .

وأصبحت شهرته تشمل العالم العربى أجمع بل أنه تولى قضايا دولية خارج العالم العربى .

ولكن العجيب انه مع كل هذا النجاح بقى له شىء هام من هوايته القديمة فهو يمثل فى كل تصرف يعمله يمثل فى المحكمة . يمثل مع أبنائه يمثل مع أحفاده . والغريب الغريب أنه يمثل مع الممثلة الشهيرة زوجته وكانوا جميعا يضحكون فيما بينهم على طريقة تمثيله ويزدادون له حبا من أجلها . لم تمر به هوايته عبثا لقد بقى منها شىء .. بقى منها شىء كثير .

الأهرام فى ١٩٧٨/٥/٣٠

موعد أخلفه

أى عجيبة أن اخلف معك موعدا وهذه الفترة فيما يبدو هى فترة الوعود المنسحبة والكلمات المتراجعة •

كنت قد وعدتك فى مفكرتى السابقة ان احدثك اليوم عن اسطنبول وما لقيته فيها وما لقيتنى به •

ولا اكذبك لقد كتبت ما اريد ان ارويه عليك وجمع فى المطبعة فعلا ثم توالت الأنباء عن المفاوضات •

رأيت الآمال التي ملأت نفوسنا فترة من الزمن تجاوزت الشهور تعيد وتتأرجح ورأينا ما كنا نحسبه قد تحقق فعلا وهو يوشك أن ينهار لنعود الى فترة مقيتة لا هى الى سلم ولا هى الى حرب •

وقدرت أنك لن تستطيع أن تقرأ لى عن رحلتى وما بهرلى فيها وما لم يبهرلى •

فقد أبت نفسى أن أقدم اليك حديثا بعيدا عما يشغل العالم أجمع فانه يصبح عجيبا ان يتكلم العالم عن مصر بينما أبناء مصر أو واحد من أبناء مصر يتكلم عن تركيا •

وانه يصبح عجيبا أى عجب ان يتحدث العالم عن الحاضر والمستقبل لأبناء الحياة جميعا ويتحدث كاتب من القاهرة عن ذكريات طفولته وما كان يسمعه فى باكر حياته عن اسطنبول •

خجلت أن أحدثك فى شيء غير هذه الأحداث التى تحيط بنا من كل جانب وخجلت أن تكون المفاوضات مترجحة بين النجاح وغير النجاح عن مصير المنطقة والعالم وتأخذ نحن فى غير هذا الحديث •

فقد حسبت اننى حتى اذا كتبت أنا فلن تقبل أنت ان تقرأ لى وهكذا ظللت أتربص بالأخبار وأتسمع اليها وتتراوح مشـــاعرى بين الغضب والألم والدهشة والأمل ورأيت ان أقدم اليك ما أعانيـــه فى أيامى هذه وأرجىء حديث الذكريات والرحلات الى يـوم آخـر فهـو حديث يقال فى أى وقت ولا يعنيه فى كثير أو قليل ان يصيبه بعض التأجيل • هل اختلت جميع الموازين التى عرفها الناس منذ بدء التاريخ حتى اليـــوم •• هل أصبحت الحرب هى الأساس الذى تقوم عليه حياة الشعوب لا السلام •• هل دول العالم اليوم تبحث عن الاضطراب لا الأمن وعن الحرب لا السلام وعن الدمار لا البناء وعن الخراب لا التعمير •

هل يعقل أحد ان زعماء اسرائيل فى سبيل لافتات خادعة يرفعونها أمام شعبهم يهدرون فرصة لايمكن ان تتاح لهم فى حياتهم جميعا •

ماذا يفيدون من المستعمرات التى استعملوها آخر الأمر أداة تفجير للسلام الذى لاحت بشائره أمام العالم أجمع والذى لاينتفع به أحد قدر انتفاعهم به • أهم حقيقة يبحثون عن الأمن بين مسارب هذه المستعمرات •

أنا أعرف ان الأمن كل الأمن يتمثل فى أعظم صورة وأكثرها وضوحا وجلاء فى سفر الرئيس الى القدس وفى يده التى مدها لهم فى الكنيست وفى اعلانه اعلانا واضحا ناصعا لاحرب بعد حرب أكتوبر •

وحين تنوى النفوس سلاما لايردها أحـد الى غيره • والحدود التى كانت سترسمها المفاوضات من شأنها ان تضمن هذا السلام كما تضمنه وتؤكده وتدعم أسسه الدول الكبرى •

اذا لم يكن هذا جميعا يوفر الأمن لاسرائيل فلا شىء يوفر الأمن ••

انهم كانوا يريدون حين جاءوا ان تفتح مصر أبوابها لهم وأن تقوم بيننا وبينهم صلات من الاقتصاد والرياضة وغيرها مما يقوم بـين الدول الصديقة من صـــلات •

عجيب هذا ؟

ان الصداقات لاتقوم بالتفاوض • انمـا تقوم الصـداقة بين الفرد والفرد وبين الدول والدولة اذا استبانت النيات الطيبة وأكد كل صديق لصديقه انه لايريد به غير الأمن والرخاء والخير والازدهار •

وهـذا لا يمكن أن يكون بداية عـلاقة سبقتها حروب استدامت ثلاثين عاما •

كان لابد بعد سنين الحرب هذه ان تهدأ النيران وتنظف أرض الصداقة من آثار الهشيم وتصبح صالحة لغرس نبات جديد يزدهر مع الأيام فينبت ودا وصداقة •

ليست الصداقة أرضا توجد أو أرضا تترك • انها علاقات انسانية تبدأ وانية هينة هشة ثم تزداد مع الأيام سموا ومتانة وازدهارا ولذلك فما سمع أحد ان العلاقات التى تربطها الصداقة ويغذيها الود تبدأ فى مفاوضات تهدف الى جلاء محتل وانهاء حرب وإنشاء السلام •

اذا كان الاسرائيليون يبحثون فى أرجاء المستقبل عن صلة ود وصداقة بينهم وبين مصر لتكون جسرا الى الدول العربية الأخرى بما فيها فلسطين فهل تصلح بياناتهم هذه وتشددهم هذا بداية لمفاوضات سلام يريدون أن تؤدى آخر الأمر الى علاقات حميمة •

ترى هل خدعنا التاريخ أم خدعنا نحن أنفسنا ووهمنا زمنا ان ساسة اسرائيل على قدر كبير من الذكاء والعلم والثقافة والتقدم

أهذا الذى يفعلون يدل على ذكاء أو علم أو ثقافة أو تقدم

أهذا الذى يصنعون يفيد اسرائيل • أهم يريدون لأبنائهم أن يظلوا عمرهم جميعا لا يبنون الحياة الا بذراع واحدة حين تظل الأخرى حاملة سلاحها حذر الحدود والدول المجاورة •

أى شىء يضمن الأمن الاسرائيلى ويؤكد هذا الضمان • أهو هذه المستوطنات التى لاتساوى شيئا فى علم الحروب ولا تعنى شيئا بالنسبة لهم والتى ان بقيت فى أرضنا ظلت رمز عداء استحكم سنوات وحروب نشبت على مر الزمان أهى هذه المستوطنات التى توفر لهم الأمن •

أم شعورهم بأنهم كسبوا فى المفاوضات ارضاء أعظم دولة عربية وردوا العمل الفذ العملاق الذى تقدم به رئيسها أحسن رد وأطيبه •

أيريدون ان يحرجوا السادات •

ان كان هذا ما يبغون • فلماذا • ألأنه أول زعيم اعترف بهم وأعلن انه لابد ان يتوفر لهم الأمن وان يتاح لهم المرور فى الممرات الدولية • وزارهم وقبل أن يزوروه •

اذا كان هذا ما تبغون فهو عجيب •• وسيرى العالم كيف أنتم تتعاملون مع أول زعيم زار بلادكم وأعلن السلام على ربوعكم •

واذا كان هذا ما تبغون فانكم لم تحسنوا الطريق اليه . فما يحرج موقفكم هذا السادات فى شيء .

لقد أدى واجبه نحو بلاده ونحو العالم ونحو العصر الذى يعيش فيه ونحو الأجيال القادمة من بعده . حين فشلتم أنتم ان تؤدوا واجبكم نحو بلادكم .

مهما يكن قدر علمكم بالسياسة فانتم تدركون لاشك ان مصلحة بلادكم فى هذا السلام وان أمنها لا يتمثل فى مستعمرات أو أرض . فقد كان بيننا وبينكم ما هو أعظم تسليحا من الأرض والمستعمرات واستطعنا أن نحارب .

أنتم تعرفون ان الأمن لكم يتوفر فى الثقة بيننا وبينكم . أتراكم لا تعرفون أيضا ان هذا الذى تصنعون يوشك أن يدمر الثقة تدميرا . ومهما يكن استهتاركم بمشاعر الناس فى العالم أجمع فانتم لاشك تعرفون ان الأغنية القديمة التى انتشرت فى ربوع أوروبا وأمريكا انكم قوم تبغون السلام حين يريد العرب الحرب وأنتم تريدون الحياة حين يريد العرب الموت . هذه الأغنية قد تحطمت اسطوانتها بالزيارة التى قام بها السادات الى الكنيست ..

لقد عرف العالم أجمع اليوم اننا نريد السلام ولسنا فقط نريده وانما نسعى له ونذهب اليه وبقى ان يعرف اليوم منكم ماذا أنتم تريدون؟

الأهرام فى ١٩٧٨/٦/٦

على ساحل بحر ايجه

اكتب ما اكتبه هذا او ما احاول ان اكتبه وانا جالس بحجرة فى فندق يقع على بحر ايجة الأشهر فى بلدة ازمير بتركيا وقد استمعت الى اخبار القاهرة واستقرت نفسى وهذا ما كان منها قلقا ان مصر ودعت عاما وهى تشكر الله على ما تهيأ فيه من بوادر سلام واستقبلت عاما جديدا وهى ترقب فى أمل كبير عودة سلام غاب عن ربوعنا مدة ثلاثين عاما .

ومن كان فى مثل عمرى يدرك أن أبناء جيلى عاشوا عمرهم جميعا فى حرب كانت مصر على هوامشها أو كانت مصر هى مدارها ورحاها وكانت أيضا ما بين الرحى .

فلقد عرفنا شبابنا الباكر والقاهرة تعيش الليالى المظلمة بفضل الحرب العالمية الثانية فما ان وضعت أوزارها وفكرنا أن نلتقط أنفاسنا المنتهية ونحيا شبابنا الذى كان يجب أن يكون مزدهرا حتى فرضت مكانة مصر فى المنطقة تدخل حرب ٤٨ ومنذ ذلك الحين ونحن نعيش الحرب حتى وان كنا فى هدنة .

ثم كانت ٦٧ ففقدنا مع زهرة شبابنا الأمل فى الغد الذى سنهديه الى أبنائنا وأصبحنا على ثقة أن هؤلاء الأبناء لن يرثوا عنا غير الأحقاد والخزى والذلة مع الفقر والجهل والضياع .

ولكن يشاء الله فى ملكوته الأعلى أن تنتصر حرب ٧٣ ونمحو الخزى والذلة وتبقى لنا ولأولادنا الأحقاد مع الفقر والجهل والضياع .

ولكن الله يشاء مرة أخرى أن يلهم السادات فاذا نحن نستشرف آفاق الوئام بلا حقد فيها ومسابح الرفاهية التى تواكب السلام حيثما يحل . فما أجمل ما حقق العام الماضى وما أسعد ما نرتقب به العام القادم .

اننا اليوم نستطيع أن نجلس الى أبنائنا فى غير خزى منهم فاننا سنترك لهم وطنا بلا حروب تحف به من الرغد آمال ومن يدرى فقد نشهد نحن هذا الرغد نفسه قبل أن نتركه لهؤلاء الأبناء ٠

لقد كانت حرب رمضـان هي الطريق الذى سار فيه السادات الى أبواب السلام في بيت المقدس ٠

فان كانت المفاوضات اليوم لاتتغيا الا العودة الى ما كنـا عليه فى ٦٧ الا أنها أيضا تبحث عن حل نهـائى لمشكلة فلسطين حتى يستطيع التاريخ المقبل أن يقول : اذا حاولت جمـاعة أن تعيد نظر الدعوى ٠٠ نرفض نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها ٠ اذن فالقضية جميعا هى موضع البحث وهى قابلة للحل اذا خلصت الضمائر ولم تتعلق بعض جماعات بالابقاء على شعارات الحرب مرفوعة لتكون وسيلتهم الى الثراء الفاحش فما كنا نحارب بدمائنا وأموالنا لتنقلب هذه الدماء والأموال حسابات يبدأ أقلها بالمليون فى مصارف الغرب ٠

فحرب أكتوبر اذن التى كانت الطريق الى هذا السـلام لم تؤد فقط الى الحصول على الأراضى التى فقدت فى ٦٧ وانما هى تؤدى الى سـلام كامل فى المنطقة جميعا بعد حالة حرب عشناها نيف وثلاثين عاما ٠

والأتراك هنا مهتمون بأخبار السلام فى مصر ويبدو أنهم يتمنون أن ينهوا خلافاتهم بنفس الطريقة التى تحاول بها مصر أن تصنع السلام٠ الا اننى التقيت بشاب فى الفندق الذى كنت أنزل به فى أنقرة وتعرفت به على أنه عضو مجلس نواب وقد سألنى عن رأيى فيما تمضى فيه مصر فقلت رأيى ورأيت فى عينيه أنه لايوافق عليه فقد بدأ يقول :

ـ ولكن خلافات العرب ٠

ـ قلت ستنتهى ٠

ـ سنرى النتيجة على أية حال ٠

ـ قلت اننا نؤيد خطوة السلام مهما تكن النتائج فلو لم يكن من نتائجها الا أننا جعلنا العالم يعرف أننا نصنع أى شىء فى سبيل السلام لكان هذا حسبها وحسبنا ٠

ـ ولكن أمريـكا ؟

ـ ما شأن أمريكا ؟

ـ أخشى أن تكون قد تدخلت لتدبر أمرا ٠

ـ وماذا يمكن أن تدبر ٠٠ ان أمريكا واسطة بين أطراف يعرف كل طرف فيها ما يريد ولن يوافق الا على ما يتفق مع مصالحه ٠

ـ ان الامبريالية غير مأمونة الجوانب ٠

ـ هذه جملة خطابية لا أرى لها مكانا في موضوع حديثنا ٠

ـ أنت طبعا لاتعرف أنني يسارى ٠

ـ بالطبع عرفت منذ أدخلت أمريكا في المناقشة ٠

وضحكنا وقام النائب وانصرف وقلت للأصدقاء الذين عرفوني به ٠

ـ لم أر أعجب من هؤلاء الشيوعيين الكلمة التي تسمعها منهم في مصر تسمعها منهم في تركيا وتسمعها منهم في اليابان وتسمعها منهم في باريس وتسمعها منهم في الهند أو السند أو البلاد التي تركب الأفيال ولكن تسمعها دائما قبل ذلك في روسيا ٠

مر بي في تركيا قرابة أسبوع وقد جئتها في زيارة تبادل ثقافي يشرف عليها عندنا المجلس الأعلى للفنون والآداب وزميل رحلتي الأستاذ الروائي الصديق نهاد شريف وقبل سفري بليلة واحدة تفضل ابن خالي سعد الدين أباظة المحامي فزارني ومكثنا نتحدث فروى لنا مشكورا أنه جاء الى تركيا وأنه ركب من اسطنبول الى أنقرة طيارة أوشكت ان تسقط به لأن الطائرات التركية في الأسفار الداخلية غاية في السوء وقال ناصحا اركب أي شيء ولا تركب الطائرات الداخلية ٠ وكنت أعلم وكانت زوجتي وأولادي يعلمون أنني سأركب طائرات داخلية وهم يعلمون أيضا أنني لا أحفل كثيرا بالموت مؤمنا أنه لا مفر منه في موعده الموقوت ، ولكن لكم أن تتصوروا الحالة التي تركتهم عليها ولكم أن تتصوروا غيظي اذا علمتم أنني نزلت في اسطنبول ولم أدخلها فالبرنامج يقضي بأن آخذ الطائرة مباشرة الى أنقرة في رحلة داخلية ٠ فاذا أنا أجد الطيران الداخلي عندهم لا يقل في شيء عن الطيران الداخلي في أمريكا فالطائرات ضخمة مريحة لا أجد أي فارق بينها وبين الطائرات التي تطير بين عواصم العالم ٠ ولو كنت ممن يعرفون أسماء الطائرات لذكرت اسمها ولو نجدتم أنني محق ٠ وجزى الله سعد الدين ابن خالي بكل خير ٠

الانطباع الأول الذي وقر في نفسي عن تركيا أنها شعب نظيف مؤدب ولكن التفاهم باللغات هنا قليل ٠ فيندر أن نجد من يتكلم الانجليزية أو الفرنسية ٠ أما من الناحية السياسية فالخلافات شأن الديمقراطيات

البرلمانية ـ لاتنتهي وأحسب أن هذا الكلام سينشر بعد أن تكون الوزارة الحالية المشكلة من أحزاب مؤتلفة قد سقطت ليتولى حزب الشعب الحكم وهو الأغلبية التالية للأحزاب المؤتلفة • وعلمت هنـــا ان الخصومة السياسية حادة تصل الى القتل فى كثير من الأحيان والعجيب ان هذه الحدة لاتكاد توجد فى شيء آخر غير السياسة •

الأسعار هنا فاحشة الغلاء وهى غير متناسبة مطلقا مع المرتبـــات والأجــور •

ولكن العجيب انك حين تمر فى شوارع أنقرة تروعك الأبنيـــة الحديثة الفخمة السامقة التى تدل على الثراء الفاحش •

الأمر الذي لا أستطيع أن أغفله ان كمال اتاتورك ما زال يحكم تركيا حتى الآن فصوره وحدها هى المعلقة وكل ما كان يجرى فى أيامه يجرى الآن فلا يجرؤ أحد ان يغير منه شـــيئا • الشيء الوحيد الذى تغير هو الديكتاتورية • أصبحت ديموقراطية فمثلا لابـد من لبس الفـراك فى الحفلات الرسمية حتى الآن وذلك لأن أتاتورك قضى بهذا • وأمامى الآن وأنا أكتب تمثال لم اسأل لمن هو فقد أدركت انه تمثاله دون سؤال وفعلا انه تمثاله •

وأتاتورك ترك ثروة أوصى ان يقيموا بها مجمعين ثقافيين أما الأول فهو المجمع التاريخي وأما الثانى فهو مجمع اللغة التركية وكلا المجمعين يعيش حتى اليوم من الوصية التى تركها اتاتورك •

أما المجمع التاريخي فهو يهتم بتاريخ تركيا وأعضاؤه واحد وأربعون عضـــوا •

والمجمع الثانى يهتم باللغة التركية وتنقيتها من الشـــوائب وهو مكون من خمسمائة عضو وقد زرت المعهدين ووجدتنى أسأل فى مجمع اللغة التركية عن السبب الذى يجعلهم يتعبون أنفسهم فى تنقية اللغــة التركية فهم يجرون وراء الألفاظ التركية عند كبار السن ليعتمدوا هذه الألفاظ بدلا من ألفاظ أخرى تكون قد تسربت الى اللغة التركية من العربية أو الفارسية • والحقيقة أنهم لم يجدوا جوابا لسؤالى وأردت أن أشرح لهم سبب السؤال فقلت لهم ان القرآن وهو القرآن استعمل ألفاظا فارسية واللغة العربية مليئة بالألفاظ الفارسية والتركية ومع ذلك لم يحاول أحد أن يعترض طريق هذه الألفاظ • والعجيب أنى علمت منهم أنهم يصدرون قراراتهم الى المدارس والجهات الحكومية بالألفاظ التى يجب ان تستعمل فتصبح قراراتهم وجبة التنفيذ •

وزرنا فى أنقرة مكتبة عامة وهى ليست مكتبة كبيرة وعلمت من الدكتورة المشرفة على المكتبة أن مبنى هذه المكتبة كان ملهى ليليا وتحول الى مكتبة وضحكت فى نفسى وتصورت ماذا يفعل بعض الناس لو تحولت ملاهى الهرم الى مكتبات · أعتقد ان هذا لو حدث لجعل الشقق المفروشة عندنا رخيصة ولأضاع العرش الذى يتربع عليه الآن سائقو التاكسيات ولحدثت فى القاهرة وربما فى المنطقة أشياء وأشياء ·

كان يرافقنا في أنقرة شاعران كانا ضيفين علينا فى القاهرة فى أكتوبر الماضى وكلاهما أديب معروف فى تركيا والعجيب انهما يعملان فى وظائف مالية اما الأستاذ مظفر يوجنير فهو موظف بوزارة المالية وله مع ذلك كتب كثيرة فى الأدب وله شعر لا أستطيع أن أحكم عليه بطبيعة الحال · والحال هنا هو الجهل باللغة التركية واما الثانى فهو محمد كينارلى وهو شاعر معروف وقاض فى الدوائر المالية ويصدر مجلة اسمها بالتركية · « الحصار » وترجمة الكلمة القلعة وكلا الشاعرين رقيق مهذب عذب فى تصرفه أو حديثه ·

والواقع أن أنقرة قد تركت فى نفسى انطباعا أن تركيا تقبل على ألوان الثقافة اقبالا رائعا ·

وبعد وصولنا أزمير ذهبنا لمشاهدة آثار افسس وهى على مبعدة ثمانين كيلو من أزمير وقد قطعنا الطريق بالسيارة تحت مطر مستمر وان لم يكن شديدا · وحاولنا أن نرى ما يظنون انه مقابر أهل الكهف وكهفهم ولكن منعنا المطر · ولكننا تمكنا من رؤية بيت العذراء الذى لقيت به قسا فهمنا منه أن هذا البيت يعتبر آخر بيت للسيدة العذراء ثم شاهدنا متحف أفيسوس وبه آثار رومانية ويونانية يرجع تاريخها الى قبيل الميلاد وبعيدة · ووجدنا بالمتحف أيضا تمثالا برونزيا صغيرا من صنع قدماء المصريين ومكتوب عليه باللغة المصرية القديمة وقيل لنا انه وجد فى أحد القصور القديمة ويرجحون أن صاحبه اشتراه ليكون زينة فى بيته · وهكذا كانت حضارتنا تزين العصر الرومانى ·

وانقطع النور وأنا أكتب هذا المقال ثم عاد بعدما يقرب من الساعة وليست هذه هى المرة الأولى ·

الناس فى تركيا حريصون كل الحرص أن تتوطد علاقات الصداقة والثقافة بيننا وبينهم وهم يأسفون أن هذه العلاقة ليست بالقوة التى

ينبغي أن تكون عليه بين دولتين يجمعهما الاسلام • والواقع أن الاسلام عندهم قوى والمساجد فى كل مكان فما مررنا بقرية مهما تكن صغيرة الا وجدنا بها مسجدا • وكلهم يحفظ شيئا من القرآن وان كان لايفهم ما يحفظ • والى لقاء آخر من اسطنبول وهو اسم يحمل فى طواياه لنا نحن أهل الشرق سحرا خاصا أضفاه عليه ما عرفناه من تاريخ وما قرأناه عنها فى القصص وكتب الأدب •• أتراني ساطالع هذا السحر وانشق عطره ويتحقق ما هو ميت به الأساطير حول هذا الاسم العريق •• أرجو ذلك •

الاهرام فى ١٩٧٨/٦/٢٠

أنا هــذا المصرى

الى الأغصان الذابلة التى نزحت عن القاهــرة لتعيش فى العراق او باريس او ليبيا او الجزائر او أى بلد آخر · الى هؤلاء حديث من مصرى أتراكم مازلتم تذكرون معنى كلمة مصرى هذه · لا اظن · فلــو كنتم ما سقت اليكم هذا الحديث ·

ليس هذا الحديث الى أى مصرى مازالت فى أعراقه دماء مصرية · وليس يساق الى البعثات التى تؤدى عملا ثم هى الى عودة · بل ليس يساق الى من أقام فى العالم الفسيح اقامة غير نازح ولكنه مازال ينبض بنبض مصر ويتكلم بلسان مصر · وانما يساق الى قوم قطعوا ما بينهم وبين وطنهم · وباعوا انفسهم لمن اقاموا عندهم ·

وهذا الحديث يسوقــه مصرى · انا هذا المصرى الذى أريــد أن أسوق اليكم هذا الحديث ·

أنا مصرى بدمى وبأيامى الماضية وحاضرى ومستقبلى · بأبى وجدى وأجداد أجدادى ·

ومصرى بزوجتى أم أولادى وبأولادى مصرى بانتمائى العاطفى والفكرى على السواء ·

مصرى بما كتبت وما فكرت وبما سمعت اليه ·

مصرى وأنا أجوب العالم واقف أمام روعة باريس فى الشانزلزيه وأذكر ريف مصر فأحن اليه بكل ما فيه من خيره وشره وبكل ما فيه من صفاء وغيم وبكل ما فى ناسه من نقاء وخبث ·

وانا مصرى وأنا واقف أمام العصر الحديث فى قمته الباذخة بأمريكا فأذكر قاهرتى بالعطفة فيها والحارة والشارع · العطفة وقد انحشر فيها الناس والتجارة والحارة وقد أصبح الطريق فيها صعيدا زلقا والشوارع وقد غطتها الحفر ·

أحببت قاهرتى وهى عروس الشرق الأوسط فى الأناقة والنظافة وأحببت قاهرتى وهى تعانى ما تعانيه · انها قد ظلمت بما لا يد لها فيه وانصب عليها عذاب وتخريب · ونزفت من أجل أمجاد شخصية زائفة ومن أجل العرب الذين يتذاءبون عليها اليوم وحوشا ضارية كواسر ·

وان لم نقف وتقفوا بجانب القاهرة وهى تعانى فأى أبناء نحن وأى أبناء أنتم ·

لماذا العواء مع العاوين · هل يساوى المال الذى بعتم أنفسكم به كلمة واحدة مما ترمون به مصركم ·

الا تعرفون أيتها السلع البلهاء أن من يشترى لابد أن يبيع · هم اليوم قد شروكم وهم فى غد سيبيعونكم · لقد أصبحتم تنتهكها أيدى المتاجرين بكم ولا يلبث الزمن أن يجعل منكم بضاعة متهرئة قذرة لا تساوى فلسا فى سوق الضمائر ·

لماذا جعلتم من أنفسكم عصيانا على مصر · لعلكم صحبتم معكم زوجاتكم وأولادكم · ولكنكم تركتم هنا كل شىء · تركتم ذكريات طفولتكم وشبابكم وكهولتكم ·

تركتم النظرة المحبة من الأقرباء والأصدقاء · وتركتم الأيدى التى تصافحكم ثم لا تمتد اليكم بسوء بعد المصافحة · · تركتم بسمة النيل فى الأصائل ونشيد الكروان عند الشروق ووداع الطير ليوم تغرب شمسه واستقبال الطير ليوم يشرق صباحه ·

تركتم أغانى مصر على أرغول الفلاحين وقمر مصر مفروشا على الحقول · تركتم ما قاله شاعر منكم ·

كلما لوح فى الأفق القمر ... بالتحيات لهامات الشجر

جاوبته حلقات للسمر ... فضح الرعيان فيها ما استتر

وأباحوه لاوتار الرباب

ما حلقات السمر عندكم وكيف تلتئم وفيم يدور الحديث · أتراكم تذكرون مصركم فيها وبماذا تذكرونها ·

لقد خاض زعيمنا التاريخ ليرد الى الشرق والعروبة الوجه الباسم · أما تحبون للبسمة أن تعود الى وجوه الأطفال فى أيامنا الحاضرة والقادمة · أما تحبون السلام يرفرف على الفلاح فى حقله فلا يصبح عرقه دما مسفوحا وأملا مضاعا وغدا تائها ويوما عابسا · أما تحبون لمصر أن تستعيد اشراقها · أما تحبون للآباء أن ينظروا الى أبنائهم على أنهم سيبنون الحياة بدلا من نظرتهم لهم اليوم على أنهم وقود حروب ·

ليكن المذهب الذى تدينون به ما يكون ولتكن مكاسبكم المالية التى تربحونها من اعتناقكم هذا المذهب ما تكون • ولكن أيساوى كل ما تربحون أشراقة أمل فى نفوس أبناء الأجيال الحاضرة والمستقبلة على السواء •

نعرف أن مذهبكم يعيش فى الدمار ويرتوى من الدماء ويرتفع بناؤه على العفن وتحيا عناصره على الموت وتزدهر على الخراب ويثرى أبناؤه على الفقر وتتفرع أشجاره السامة على الكراهية •• ولكن مصر ••

الا تذكرون يوما جميلا فى ربوعها •

الا تذكرون لحظة مشرقة فى حياتكم كانت تحت ظل وارف من اغصانها أو شعاع منهمر من قمرها •

ان القاهرة تجدونها فى العميق العميق من نفوسكم ومن أيامكم ومن أحلامكم ومن آمالكم • فانها لكذلك فى نفس كل عربى حتى أولئك الذين يهاجمون ما ران عليها اليوم من عنت لا يزالون يحنون اليها وتهفو نفوسهم الى اللقاء بها • من زارها منهم تمنى لو عاد ومن لم يزرها يتمنى أن يزور •

ما شاه من وجه القاهرة الا أنتم خارجون عليها تنهشون فى مهاربكم كالغربان •

فكل ما حل بمصر الى اصلاح ولكن النفوس التى تحملون لا شفاء لها • وكيف لها الشفاء وقد رفضت زعيما جعل كرامة مصر فوق كل كرامة • وجعل بلادنا فى صورة وضاءة مشرقة أمام العالم المتحضر أجمع •

وكيف لنفوسكم أن تشفى وأنتم ترفضون السلام وترفضون رقصة الحرب مع الزعماء الذين اشتروكم فى سوق العبيد •

وكيف لنفوسكم أن تشفى وقد هجرت مصر غير مبقية عليها أو على شعبها لتكسب بعض دنانير أو كثير من الدنانير أو بعض عملات أخرى أو كثيرا من هذه العملات •

ولكن ويحكم جهلتم قدر الضمير فانه كثيرة ما كثرت هذه الدنانير أو هذه العملات فانها فى مقابل بلادكم ومستقبل أولادكم لا تساوى شيئا •

لا أقول عودوا فأنتم غير عائدين • ولكن من حق مصريتكم السابقة على أن أسألكم ماذا أنتم قائلون لأولادكم فى غد حين يسألون لماذا يا أبى عشنا غرباء ولنا وطن يشرف به من ينتسب اليه • ولماذا تسولنا الحياة على هامش الحياة وعلى ضفاف النيل لنا فى الحياة أرض وماء وظل وشجر؟ ولماذا يا أبى عشنا غرباء ولنا أهل أصحاب رحم وأصدقاء أصحاب مرحمة ؟

وويل لكم يومئذ · يوم لن تحيروا جوابا ولا تملكوا للأسئلة الحائرة ردا ، ويل لكم ثم ثم ويل وويل ·

بيانات تحتاج الى بيـان

اجتمعوا فى طرابلس فكان الخلاف أهم عضو فى اجتماعهم · ولماذا لا وهم لم يجتمعوا فى قاعة اجتماع يعرضوا أمورا معقولة يناقشها العقل فى روية وحنكة واتزان تتفق وكلمة القمة التى يطلقونها على اجتماعهم · وانما اجتمعوا فى قاعة مزايدات ليس الرابح فيها من يملك المال الأكثر وانما من يملك اللسان الأكثر بذاءة ، والصوت الأكثر صراخـا والرأى الأكثر تشنجا ·

واخجل العرب وهم يزون هؤلاء القادة من قوادهم وهـم حائرون يخبطهم جدار الى جدار ويرميهم جهل الى جهل ويقذفهم بهم جنون الى جنون ، يتداولون فيما بينهم كيف يسيئون الى الوطن الأكبر · فيضجون كأبناء يريدون أن يسحبوا اعترافهم بأبيهم وأمهم مصر ، ياويلتاه لهم يومئذ · يوم يصبحون لقطاء فى دنيا السياسة ، كهباءة هائمة فى الرياح لا تدرى لها اصلاح ترجع اليه أو هدفا تقصده ·

وحين تقفل دونهم الطريق وتنغلق المسالك يفكرون فى مقاطعة مصر ولا يعـدمون من بينهـم من يسألهـم : وما انتم اذا قاطعتـم مصر أو لم تقاطعوهـا ؟ وماذا يضير مصر ان يفعلوا ؟ فانبا ستظل مصر كما هى ، وما تصيبون الا سخرية من الناس ومزيدا من احتقارهم ان كان لمزيد من سبيل ليعودون الى الحيرة الملتاثة التائهة ·

ثم يقر منهم قرار يوافق عليه بعض ويختلف آخرون ·· يقرر اثنان من القمة عزل الرئيس السادات عن رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية ·· ونقـل مؤسسات اتحـاد الجمهوريات العربيـة الى طـرابلس وتنشيط المؤسسات فى دول اتحاد الجمهوريات العربية ودعمها

تلك هى القرارات ·· فالدولتـان مازالتا يظنـان أن هناك اتحادا اسمه اتحاد الجمهوريات العربية ! أين هو هذا الاتحاد ؟! ألم تدر الدولتان أن هذا الاتحاد هو الجدير بأن يسمى الاتحاد المزعوم · أى اتحاد يقوم بين جمهوريات رئاستها عنوة وجهلا واقتدارا · أين يريد الحد رؤسائها ان يثبت على هذا الاتحاد ورئيس الجماهيرية يهاجم مصر كل يوم ·· حتى انتصارها الأكبر فى أكتوبر يراه هو هزيمة وكأن الحقائق الثابتة هى أيضا مجال لرأى · أين هذا الاتحاد ولكل جمهورية منحى واتجاه ولكل

رئيس من الرئيسين طريق وغرض · وهل كانت هذه القرارات تحتاج الى مؤتمر تسمونه قمة وهو لم يجاوز السطح فى آرائه وقراراته ·

وتنشط القرارات بعد ذلك فمنها ما يطالب بنقل الجامعة العربية من مصر ونسى المؤتمرون انهم أربع دول مختلفة فيما بينها فكيف يريدون لدول الجامعة أن تأخذ برأى لم يجمع عليه أربع دول تصدر فى ارادتها عن سيد واحد وتنتمى بولائها لموسكو وحدها ·

وتتناقل الاذاعات هذه القرارات وتتساءل عن بند فيها لم يفهمه أحد يقررون فيه تجميد العلاقات الدبلوماسية مع مصر · والواقع اننى حين سمعت هذه الكلمة أفهمت نفسى بالنسيان فقد درسنا القانون الدولى فى كلية الحقوق ولكن مر عهد بعيد منذ هذه الدراسة وقلت لنفسى لابد أن هناك شيئا اسمه تجميد العلاقات نسيته فيما نسيت من القانون فانه لا يعقل أن يجتمع أربعة نفر يطلقون على أنفسهم قمة ولا يكون لهم مستشار قانونى ولكنى حين استمعت الى الاذاعات الأجنبية وجدتها جميعا تتساءل عن معنى هذا التجميد ·

وفهم رئيس دولتنا معناه الحقيقى اذ لا معنى قانونيا له · فهم انهم يريدون أن يظهروا غضبهم دون أن يقطعوا العلاقات ولقد تحمل الرئيس السادات الكثير من لهوهم الهازل · وحاول فى مرات عديدة ان يفهمهم ان العلاقات بين الدول لا يمكن أن تكون ملهاة للرؤساء ومدعى البطولة فى ميادين الخطب · ولكن وضح له آخر الأمر انهم يعتمدون فى حكمهم على هذا الهزل الهازل فالشرعية الوحيدة التى يتسترون بها أمام شعوبهم هى مهاجمة الرؤساء الجادين الذين ينظرون الى مصالح أوطانهم لا الى مصالحهم الشخصية ·

ضاق الرئيس السادات ذرعا باللهو فى وقت الجد فقطع علاقاته مع سوريا والعراق وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية · وقد تأخر هذا القرار عن موعده وقتا طويلا لأن السادات رجل يعرف كيف يصبر وكيف يعفو وكيف يرتفع عن الصغار ويعرف أيضا كيف يضع للهزل حدا وقد فعل · وقبل قرارات هذه الدول بيوم واحد يخرج احد المنتسبين الى المقاومة بلا مقاومة ويصطنعون له مؤتمرا صحفيا ويتلو ما يسميه وثيقة تدعو الى المطالبة ببناء جبهة للصمود والتصدى على أن تضم كافة الأطراف المشتركة فى القمة المصغرة ولعله يقصد الصغيرة على أن تكون هذه الجبهة مناهضة لكافة الحلول الاستسلامية والامبريالية والصهيونية ·

هذا هو البند الأول من الوثيقة · تنبه رجال المقاومة بعد مرور ثلاثين عاما على القضية الفلسطينية أنه لابد من تكوين جبهة · الم تكن هذه الجبهة قائمة طوال هذه السنوات ·

اليست هذه الجبهة ومعها الدول الأخرى هي التي خاضت حروب القضية جميعا • وما هذه الجبهة دون مصر التي حققت النصر الحربي الوحيد من حروب فلسطين •

وفي أحد البنود ترفض الوثيقة قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ • وهكذا تسحب المقاومة قبولها لهذين البندين بعد أن قبلته جماعة منهم • وكأنهم بهذا السحب يخدمون القضية ويدعمونها • ولكن أيريدون حقا أن يخدموا القضية • فأين اذن تذهب الزعامات اذا حلت القضية وكيف اذن يثرون ويصبحون من أصحاب الملايين العالميين اذا حلت القضية •

وبناء على رفضهم قرارات مجلس الأمن يرفضون أيضا المؤتمرات الدولية التي تقوم على هذين القرارين بما فيها مؤتمر جنيف • اذن فعلى العروبة جميعا أن تظل معلقة في الهواء بلا صلح ولا حرب لأن هؤلاء الجماعات يريدون أن يزدادوا ثراء وغنى • على المنطقة العربية جميعا أن تظل قلقة حائرة لا هي الى سلام ولا هي الى حرب • وكيف لها السلام اذا كان أصحاب القضية يرفضون أي عمل يتجه الى السلام وكيف لها أن تحارب وهي بعيدة عن مصر • لايهم • انهم هم سيفجرون الطائرات ومكاتب الطيران والسفارات العربية في البلاد الأوربية أما الحرب الحقيقية التي استنزفت دماء أبنائنا وأموالنا فلا داعي لها • المهم أن يظلوا هم يصبحون نرفض الاتفاق ولنيمت بعد ذلك من يموت ولتهدم بلاد العرب أجمعين •

ثم يأتي بند عجيب بل هو شيء يبلغ من الغرابة مالا يخطر ببال بشر • ودعوني أولا انقله اليكم لنرى معا ما ينطوي عليه من عجب عجاب •

« العمل على انجاز حق الشعب الفلسطيني في العودة وحق تقرير المصير ضمن اطــار دولــة فلسطينيــة مستقلة على أي جــزء من الأرض الفلسطينية بلا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض مع اسرائيل كهدف مرحلي للصلــح » •

هل يعقل أحد هذا الكلام • أبعد ثلاثين عاما من القضيــة تقررون العودة أما كنتم قد قررتم هذا طوال الأعوام الماضية جميعا • ففيم اذن كانت حروبنا وفيم كان بؤسنا وعذابنا وضياع ابنائنا ونهب أموالنا • أكل هذه الأعوام مرت وانتم لم تقــرروا العودة أثناءهــا • فماذا كنتم تقررون • أكنتم طوال هذه الأعوام تستطيعون العودة ولم تفعلوا • ألم يكن ينقصــكم لكى تعودوا وتنشئوا وطنــا فلسطينيا على الأرض المحتلة الا هذا القرار • واذا كنتم لم تستطيعوا طوال هذه السنين أن تعودوا وتنشئوا الدولة ومعكم مصر فهل أنتم اليوم عائدون ومقيمون دولتكم بغير مصر •

آكاد لابد للرئيس السادات أن يذهب الى الكنيست لكى تقرروا أنتم العودة الى فلسطين ·

اذن فرحلته مباركة اذ جعلتكم تقررون هذا مادمتم قادرين على تنفيذه ·

وبماذا تراكم تعودون · بأى الجيوش · أهى الجيوش التى محقتها سوريا · أم بهؤلاء القردة الذين يثبون من الطائرات والمجنزرات · لماذا لم تصنعوا حربا أكتوبرية كالتى صنعناها ما دمتم على مثلها قادرين · وما دمتم تقولون فى بند آخر لكم اتخاذ اجراءات المقاطعة السياسية لنظام الرئيس السادات · أنكم تعلمون ان نظام الرئيس السادات هو مصر · مصر برجالها آباء أطفالها وبنسائها أمهات أبنائها · مصر جميعا لا تخرج على نظام السادات الا من اشتريتم فى أسواق النخاسة أو اشتراه سادتكم فى موسكو ·· والأشياء التى تباع والتى تشترى ليست آدمية فما دام قد جعل من نفسه سلعة فقد تنازل عن انسانيته · أما الانسان فى مصر فهو بجميعه يمثل نظام السادات ويعتنق مذهبه ويؤيد كل خطوة خطاها حتى اليوم ·

وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه

يقول القانون الدولى العام « ينصرف اصطلاح المعاهدة الى كل اتفاق دولى مكتوب يتم ابرامه وفقا للاجراءات الشكلية التى رسمتها قواعد القانون الدولى المنظم للمعاهدات بحيث لا يكتسب وصف الالزام الا بتدخل السلطة التى يعطيها النظام الدستورى لكل من الأطراف سلطة عمل المعاهدات ومن ثم يتضح أن السمة المميزة للمعاهدة كنوع من أنواع الاتفاقات الدولية هى من ناحية كونها اتفاقا شكليا لا يتم الا كتابة وباتباع اجراءات معينة وهى من ناحية أخرى حاجتها الى تصديق الجهة التى يعطيها دستور الدولة سلطة عمل المعاهدات وهى رئيس الدولة فى أغلب الأحوال ·

ومن المتفق عليه أنه لا يؤثر فى تمتع بالاتفاق أو الاتفاقية أو الميثاق أو النظام توافرت عناصرها السابق بيانها ـ الاسم الذى يطلقه عليه أطرافه فقد يسمى بالاتفاقية أو الميثاق أو النظام أو البروتوكول أو الترتيب المؤقت و التصريح المشترك كما لا يؤثر أيضا فى اعتبار الاتفاق الدولى المكتوب معاهدة أن يتم اثباته فى وثيقة واحدة أو فى وثائق متعددة مادامت الشروط السابق بيانها كلها متوافرة » ·

هذا هو تعريف المعاهدة كما ورد فى كتاب القانون الدولى العام للدكتور محمد سامى عبد الحميد الفقرة ٦٥ ·

وقد رأيت أن أنقل الفقرة كاملة لتكون فكرة المعاهدة أو الاتفاقية واضحة متبلورة فى الأذهان •

فنحن الآن فى طريقنا الى عقد اتفاقيات ونحب أن نعرف الطريق الذى سنسير فيه •

فان هؤلاء الذين يطيب لهم أن يستعرضوا أصواتهم وصراخهم سيظلون متربصين للأطراف المتفاوضة أو التى تعد للتفاوض •

الأمر الذى أصبح مؤكدا بتصريحات رئيس جمهورية مصر المتكررة أنه يعتبر القضية العربية وحدة واحدة لا تتجزأ عند المفاوضة •

وقد قالها جهيرة شهيرة على منبر الكنيسست وطالب أن تجلو اسرائيل عن الأرض المحتلة فى العالم العربى التى احتلتها بعد حرب ٦٧ ومعنى ذلك أن تجلو عن أرض سيناء والجولان والضفة الغربية وطالب بأن تعود القدس عربية وطالب بالوطن الفلسطينى واعتبر هذه المطالب كلا لا يتجزأ •

وبهذه المثابة يفاوض ممثلونا اليوم للاعداد لمؤتمر جنيف ولكن الرئيس قال وكرر ما قال أنه لا يقيم نفسه وصيا على البلاد العربية فهو اذن يسمح لممثليه فى المفاوضات التمهيدية فى القاهرة أو التى ستعقد فى الأمم المتحدة اذا عقدت أن يتحدثوا فى القضية العربية جميعا على أنها وحدة واحدة ولكنه لا يعطى لهؤلاء المفاوضين حقا • هو يرى أنه يملكه• فانه يستحيل أن يملك الوكيل ما لا يملكه الأصيل • وقد رأينا فى هذا التعريف الذى سقناه أن المعاهدة تحتاج لكى تبدأ الحياة ولتتنفس أنفاسها الأولى أن تكون مصدقا عليها من الجهة التى يعطيها دستور الدولة سلطة عمل المعاهدات وهى رئيس الدولة •

والدستور المصرى لا يسمح لرئيس الدولة المصرية أن يوقع معاهدة عن سوريا أو الأردن أو الجبهة الفلسطينية وان كانت هذه الجبهة لا تعرف ولا يعرف أحد من يستطيع أن يمثلها أو يوقع عنها ولكن المؤكد أن رئيسنا لا ينيب نفسه عنها أو عن غيرها ولا يقبل هذه الانابة •

والمؤكد أيضا أن رئيس الجمهورية المصرية لا يمثل ولا يريد أن يمثل الا مصر وحدها •

وقد مثل مصر وأناب عنه ممثليه فى مفاوضات فك الاشتباك الأولى والثانية وكان التوقيع المصرى يصرف آثاره الى البلاد المصرية وحدها ولا يمتد الى غيرها .؟ وصرخت غيرها هذه رافضة منددة مرتثية أن الاتفاقية خيانة لا تغتفر وانتا بعنا القضية مقابل حفنة من الرمال •

وأعجب اذا شئت لاننا جميعا عجبنا أن تصبح أرض الوطن الغالية التى تبذل فى سبيلها الدماء والأبناء والآمال مجرد حفنة من رمال .

اليس من أجل حفنة مثلها قامت الحروب منذ عرفت الحروب أو ليس من أجل حفنة مثلها نشأت القضية الفلسطينية جميعا وماصراخهم اليوم وفيم يهزون الميكروفون فى الهواء أليس من أجل حفنة من تراب هى فلسطين

اليست هذه الحفنة من الرمال هى التى أتاحت لهم أن يصبحوا أصحاب ملايين لا يحصونها عددا أو ليست هذه الحفنة هى التى أتاحت لهم الارتماء فى المشارب على صدور الغوانى يصرخون صرخات السكارى المخدورين ويعوون عواء الخطيئة ويهتفون هتافات الجنس ثم يزعمون أن الصراخات والعواء والهتاف انما هو الجهاد من أجل القضية ومن أجل الأرض السليبة ؟!

اليست الأرض السليبة هى آخر الأمر وأوله حفنة من تراب . أم أن أرضكم وحدكم هى الأرض العزيزة وأرض مصر الخالدة هى المال السائب يستحله العصب ولا يجوز عنه الدفاع ولا يستحق الاسترداد ؟!

ان الأجيال القادمة ستسأل زعماء هذا الجيل أين ذهبتم بأرض مصر ولماذا تركتموها معصوبة ولم تستردوها ؟! وزعماء هذا الجيل مطالبون أن يستردوا هذه الأرض بأى ثمن وعن أى طريق . عليهم أن يستردوها بالمفاوضة والسلام أو عليهم أن يستردوها بالبدائل الأخرى وانما لابد لهم أن يستردوها .

وزعيم مصر يعرف هذه الحقيقة ويسعى لها سعيها فى ذكاء وقام وفى شجاعة لا نظير لها . وضح هذا الذكاء وتجلت هذه الشجاعة فى الحرب الوحيدة التى انتصرت فيها مصر فى العصر الحديث فكان انتصارا للعرب أجمعين الصارخين منهم وغير الصارخين .

ووضح هذا الذكاء وتجلت هذه الشجاعة يوم قال وهو فى أوج انتصاره وفى أيام الحرب التى كنا فيها ظاهرين على العدو ظهورا لا شك فيه .

« أنا لا أحارب أمريكا » فأعلن أنه رجل ذكى يعرف الحقيقة ولا تنقصه الشجاعة أن يعلنها .

ووضح هذا الذكاء وتجلت هذه الشجاعة بصورة أضخم وأروع يوم عبر حواجز الشك والغوغائية والسياسة الهازلة ليبدأ عصرا حضاريا نواجه فيه مفاوضات مباشرة لا التواء فيها ولا ضعف .

فهذا الصراخ اذن الذى تعالى يوم فك الاشتباك الأول والثانى كان صراخا مضحكا وليس أدل على سخفه من أن الدولة الأخرى التى تستفيد من فك الاشتباك عادت بعد عام فقبلته ووقعت بالموافقة عليه ، ونسيت أنها قالت عنه خيانة فهى تعلم أنه لا خيانة فيه وهى تعلم أن الخيانة هى أن تترك أرضك فى يد الغير وأنت قادر على استرجاعها ٠

واليوم يتفاوض المفاوضون المصريون وندعو الله أن يصلوا الى حل مرض ونسترد أرضنا وحقوقنا ٠

وكل مفاوضة انتهت الى اتفاق لابد لها من توقيعات تهب لهذا الاتفاق الحياة والوجود ٠

ولا شك أن هذا الاتفاق سيعرض للقضية العربية جميعا ولكن التوقيع سيكون ملزما لمصر وحدها ٠

أما الدول الأخرى وجبهات الصراخ فعلى كل منها أن تحمل طائرها فى عنقها فلترفض اذا شاءت أو تقبل اذا أرادت ولتكن واثقة أننا لن نهاجمها اذا رفضت ولن نهاجمها اذا قبلت ٠ فعلى كل جهة أن تبحث عما يصلح لشعبها فتنتهجه ٠

لقد أدى الرئيس واجبه ولم يفاوض من أجل مصر وحدها مع وثوقه أنه اذا فعل فانه سيبلغ ما يريد قبل أن يرتد اليه طرفه ولكن بقدر ما تحمله مصر من مسئولية وهى كفء لها ٠ وهذا قدرها وهى تحمله راضية غير ضيقة به ولا وانية عنه ٠

ولهذا فان رئيس مصر لا يفاوض من أجل مصر وحدها ٠ ولكنه عند التوقيع على أى اتفاق سيوقع عن مصر وحدها وهذا أمر طبيعى وواضح ولا يحتاج الى بيان أو تأكيد ولكننا أصبحنا فى زمن يحتاج الواضح فيه الى توضيح ولابد فيه من بيان ما لا يستحق البيان وتأكيد المؤكد الذى لاشك فيه ٠

وعندئذ تكون مصر قد فاوضت من أجل القضية العربية ووقعت من أجل القضية المصرية فان صرخوا يومذاك بالشعارات الزائفة وان حملوا اللافتات الخادعة ٠ فليفعلوا ما شاءوا أن يفعلوا فانه يكفى مصر وشعب مصر ورئيس مصر أن يكونوا واثقين أنهم أدوا واجبهم وأرضوا ضميرهم وحسبهم بعد ذلك الله العلى القدير فانه نعم المولى وأنه سبحانه خير الحاكمين ٠

الأهرام فى ١٩٧٨/٦/٢٧

ليست المعارضة شجاعة

أعرف كيف أجعل الكلام يبـدو هادئا فيه ثبات العقـل وليس فيه نبض العاطفة وأعرف كيف أصطنع الحكمة فأبدو للقارئ فكرا بلا مشاعر ورأيا بلا تحمس • وتستطيع سنى التى بلغتهـا أن تقف بى عنـد هذه الرزانة كما يستطيع تمرسى بالكتابة فترة طويلة من حياتى أن تقدمنى للناس فى هذا المظهر •

وأعلم أن التأييد الصريح قد يجعل بعض الناس يرموننا باننا ننافق السلطة وأنا أعرف كيف أتقى هذا التهمة فى افتعال المعارضة المشوبة بالتأييد أو التأييد المطعم بالمعارضة •

بل اننى أستطيع أن أمتنع عن الكتابة تماما فالأهرام لا يرغم أحدا من كتابه على الكتابة أو أنا أستطيع أن أكتب فى أشياء أخرى بعيدة عن السياسة فأبدو كأننى أنأى بنفسنى عن تيار التأييد •

وأنا أعرف ألاعيب الكلام وأستطيع أن أكتب فى السياسة فلا يعرف أحد أن كنت أؤيد أو كنت أعارض •

كل هذا أستطيعه ولكننى لا أفكر فى اصطناعه وما فكرت عمرى كله أن أتخذ هذه المواقف المائعة عند ابداء الرأى •

واليوم أريد ان أكون أكثر وضوحا فى جلاء رأيى مما كنت طيلة أيام حياتى فليست الجرأة هى ان تعارض • وانما الجرأة ان تقول رأيك مهما يكن هذا الرأى تأييدا أو معارضة وأن تقف بجانبه مادمت مقتنعا به •

وماذا أخاف • والسجون قد أغلقت وألوان العذاب قد كفت عن العمـل •

ولا شئ يخشاه المؤيـد الا أن يقول الناس انه يمالئ الحـاكم • وما هذه القالـة بيسيرة على من تعود أن يكون حـرا فى رأيه • ولكن ان

جعلتنى مثل هذه الأقوال أميل عن رأيى الحقيقى فأنا اذن شر من المنافقين واهون شأنا من المداحين وتجار الكلمة وباعة النفوس والذين يمتهنون شرف القلم وكرامة الأحرار ٠

لهذا أيدت السادات فى رحلة التاريخ التى قام بها الى اسرائيل ٠ وفى اعتقادى ان هذه الزيارة ستكون علامة الجيل الذى نعيش فيه ٠ فان رجلا فى مثل ذكاء السادات كان يستطيع أن يجعل هذا النباح المتكالب عليه من شتى الأنحاء ومن أشباه دول ومن بقايا منظمات ينقلب كله مديحا وتصفيقا وهتافا وتهليلا ٠ وقد عاش الشرق الأوسط قرابة ربع القرن والزعامات فيه لا تنظر الى الصوالح الأساسية لدولها وللأمة العربية وانما تنظر الى هذا المديح الكاذب وذلك التصفيق الفارغ والتهليل الجاهـل ٠ وكانت السياسات تبنى لا من أجل مصالح الشعب وانما من أجل هذا التصفيق وذلك الهتاف ٠

وهزمنا عام ٥٦ وارتفع التصفيق وتعالى الهتاف باننا انتصرنا ، وضاعت شرم الشيخ فى غمرة هذه الأصوات الرعناء الخائبة ٠

ثم دخلنا حرب اليمن وطغت الأصوات الخادعة على الحقيقة المؤلمة ٠ وجاءت ٦٧ بكل البؤس والمهانة والاذلال ٠ ولم نحاول يومذاك أن نفكر فى الوسيلة التى ترد الينا بعض نفوسنا وانما استمر الصراخ والتصفيق يتمثل فى هتافات صريحة جوفاء أو يتمثل فى القصائد والمعلقات أو فى الخطب التى تطول وتطول ثم لا تقول شيئا ٠

وفى هذه الفترة اشفق بعض الكتاب مما يحيق بوطنهم من هتافات بلا عمل ٠ وكنت منهم ولم نكن ندرى أن زعامة جديدة بفكر جديد تعمل فى الكتمـان وحسـبنا أن زمن الهتـافات والقصـائد والخطب باق لم يتغير منه شىء ٠ فكتبنا بيانا نريد فيه للديمقراطية أن تحكم عسانا فى ظلها نستطيع أن ننجز ما ينبغى له أن ينجز ٠

كنا يومذاك لا نعرف الزعيم الجديد ٠ وكنا يومذاك قد مللنا الخطب وكنا يومذاك نحس بالمرارة أشد ما تكون المرارة ٠

وفوجئنا بأكتوبر ووجمنا وما هى الا ساعات فاذا العرب يحققون نصرا لم يتحقق لهم منذ أيام صلاح الدين ٠

اذن فالأمر جد ٠ واذن فالرجل يفعل ولا يكتفى بالقول وأصبحنا مؤيدين ٠ وان لم نكن قد فعلنا لبرئت منا الوطنية ولا صبحنا أمام أنفسنا صغارا لا نبحث عن الحق وانما نميل عنه الى الباطل والزيف ٠ ولم يجعلنا هذا التأييد نغض العين عن النقد فكنا نكتب عن العيوب فى وضوح وصدق

وكان ما نكتب دليلا على أن قدرا من الحرية قد تحقق لم نكن نحلم فى يوم من الأيام أنه سيتحقق ٠

ومرت الأيام بعد أكتوبر ٠ وتكالبت الذئاب على النصر تريد أن تهون منه ٠

ولم تكن الذئاب من الأعداء وانما كانت منا نحن ٠ كانت من بعض ناس ينتسبون الى العربية والاسلام فى أصولهم والى الالحاد والشيوعية العالمية فى مصالحهم انتمائهم ٠

وكانت الذئاب من قوم يمزقون بينهم قميصا متهرئا أهلكته الهزائم فامسى أصحابه يكرهون النصر ٠

ولكن النصر حقيقة لا يغض منها أبناء الالحاد أو المستظلون بالقميص البالى ٠

النصر حقيقة أعترف بها الأعداء لم ينكروا منها شيئا وأعترف بها العالم أجمع ووضح اعترافه فى استقبال الولايات المتحدة لأنور السادات وفى استقبال بلاد أوروبا له وقد كانت جميعها تشيح عنا فى صلف وتصعر لنا خدها فى تكبر فما كنا قبل النصر الا بلادا تنتزع أنفاسها الأخيرة من الحياة انتزاعا فما ينبغى لها أن تعيش من بعد ٠

حتى اذا عبرنا عرفوا اننا لا نموت ٠

اذن فالعالم لم يصدق المتهجمين على النصر والمتفاخرين بالهزيمة ٠

وماذا بعد ؟

كان السادات يستطيع أن يقول لقد حققت النصر وها أنذا اتفاوض للصلح فان لم يتم فى عهدى فليتم من بعدى وحسبى اننى أعدت الى الأمة العربية شعورها بالكرامة ٠ ولكنه لم يقل هذا ٠

وانما فكر ثم حطم حصننا من التوجس والخوف والحذر هو أقوى وأضخم من كل الحصون التى عرفها العالم ٠

خلف هذا الحصن كانت تقف اسرائيل مترقبة دائما متحيطة فى كل لحظة من لحظات حياتها فهى من خوف الحرب فى حرب دائمة وهى محققة ٠

فأنا لم أعجب حين قال الرئيس أن حربا كانت ستشتعل فى الأيام العشرة السابقة على الزيارة لمجرد سوء ظن داخل اسرائيل وداخل مصر في وقت معا ٠

والأصل فى الحياة هو السلام • والحرب عارض واستثناء • وليس من المعقول أن نظل فى حالة حرب مدة ثلاثين عاما • فانه لابد للحرب أن تنتهى •

والعالم اليوم أصبح عالم سلام • ولعله من العجيب أن السلام ساد العالم لأن القوتين العظميين يملكان أسلحة لم يعرف العالم مثيلا لها فى التدمير • فمن الدمار نشأ السلام •

وبفضل هذه الأسلحة لم تحدث حرب عالمية لمدة أوشكت أن تقارب ربع القرن •

وأصبح العالم اليوم يريد أن يقضى على الحروب الصغيرة التى يستحيل لها أن تنشب الا بمساعدة الدول الكبرى •

هكذا تريد أمريكا وهكذا تتظاهر روسيا • وان كانت هذه الأخيرة لا تريد للسلام أن يلف الشرق الأوسط لاننا تحت ظل السلام سنصبح فى غير حاجة لروسيا على الاطلاق •

وسواء كان العالم يريد السلام أو لا يريده ـ وهو لاشك يريده ـ فأننا نحن المصريين ونحن أبناء دول المواجهة لاشك نحتاج الى السلام كما تحتاج اليه اسرائيل • وفى شجاعة أعتقد أن التاريخ لم يعرف لها مثيلا ذهب الرئيس الى اسرائيل • وحين عاد بعد أن محق خط الحذر الذى كان يفصل بيننا وبينهم لم يشأ أن ينتظر وانما دعا الى التفاوض حتى يمهد لمؤتمر جنيف • وأعلن انه ماض فى الطريق •

ان رجلا يصنع كل هذا التاريخ لجدير بأن نقول عنه فى غير تحفظ أنه زعيم ابتكر من ألوان الشجاعة والذكاء السياسى ما لم يسبقه اليه أحد •

واعلم أن هناك مصريين فى بعض الدول العربية والأوروبية يذيعون البيانات ضد الرئيس • وأى عجيبة فى هذا • لقد اختاروا أن يبيعوا ضمائرهم ومصريتهم ومن يبع هذين جدير أن يفعل أى شىء • وأن ما يفعلونه اليوم لهو بهم أشبه ولو كانوا صنعوا غير هذا لجاز لنا حينئذ أن يأخذنا العجب أو تتولانا الدهشة •

الأهرام فى ١١ يوليو ١٩٧٨

لا •• لمرتزقة الحــرب

الرئيس السادات عملاق سياسى حطم بزيارته الجدار الباقى بين اسرائيل والعرب ، ذلك الجدار الذى لو قدر له أن يظل قائما لظل التوجس من الحرب قائما لا يزول ••

ان السادات كان فى خطابه زعيما ينتسب الى العالم الجديد الذى نعيش فيه كان ابنا حضاريا لفترة من تاريخ العالم لم يشهدها العالم من قبل ، فنحن على مشارف عالم جديد يرفض الحرب ووحشيتها ••

لقد قال الرئيس فى شموخ الكبار وعظمة المنتصرين فى الكنيست أن مشكلة فلسطين هى المشكلة الأساسية فى قضية الشرق الأوسط غير ملتفت لأمر هؤلاء المتصايحين ضده •• المتشنجين فى التهجم عليه ••

ان السادات فى خطابه وفى رحلته يبذل ما يبذل من أجل أن تحيا المنطقة كلها حياة طبيعية يتوق اليها أبنــاء الحياة جميعا ، فاذا وجدت جماعة تريد أن ترتزق من الحرب وتعيش عليها فما لمثل هؤلاء يتوجـه الزعماء الشرفاء بالعمل ••

الأهرام فى ١٩٧٨/٨/١

حسبها هــذا

على أرصفة المقاهى وفى الجلسات الخاصة يسرى فحيح يطلقه قوم أبرياء لا يدركون مصادره ولا يفكرون من أين نبت ؟

ولكنك اذا تسمعت هذا الفحيح يتفلت بليل من حلقة الى حلقة ومن قوم أكثرهم أبرياء الى قوم كلهم أبرياء صكت مسامعك نغمة نعرفها ولا يجهل منبتها الا السـذج ٠

انه فحيح يتخذ من تعثر المفاوضات دليلا على ان المبادرة ذهبت هباء وان السادات تعجل فيها وأنها لم تسفر عن شيء وانه كان يجب أن يعرف أن اليهود لن يقبلوا الصلح وان العالم الغربى أيضا يريد أن يبيع أسلحته فهو لا يرى فى الصلح فائدة له ٠

ولو أن هؤلاء أعملوا الرأى قليلا وقرأوا الصحف قليلا لأدركوا أن أهداف المبادرة وآثارها أبعد وأقوى من ذلك ٠

فانت تقرأ فى الصحف أن الرأى العام الأمريكى أصبح يتعاطف مع القضية العربية حتى أولئك الذين كانوا يتعصبون لليهود أصبحوا يرون أن العراقيل التى تضعها اسرائيل فى طريق السلام لا تنم عن الجدية ٠

وأنت تقرأ أن الرئيس السادات أصبح الرجل الثانى مكانة وتقديرا عند الشعب الأمريكى ولا يسـبقه فى المكانة والتقدير عنـد الأمريكيين الا الرئيس كارتر وكارتر عندهم يمثل أمريكا كما يمثل الرئيس السادات مصـر ٠

وانت تقرأ أن الأمريكيين أصبحوا يميلون الى اعطاء السلاح لمصر لأول مرة فى تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ومنذ أصبحت اسرائيل ولاية أمريكيــة ٠

وأنت تقرأ بعد هذا عن الصدى العالمى فنجد السادات مرشحا لجائزة نوبل للسلام وسواء نالها أو لم ينلها فبحسبه أن العالم الغربى بمؤسساته وكبار الساسة فيه قد رشحه لها ٠

وأنت تقرأ عن فرنسا فتجدها متحمسة للمبادرة ٠

وأنت تقرأ عن انجلترا فتجدهم ساخطين على التصرفات الاسرائيلية ومكبرين لما قام به السادات ٠

وأنت تقرأ عن ألمانيا فترى رئيسها يأتى الى مصر خصيصا ويذيع فى كل يوم بيانا يؤيد به التصرف المصرى ٠

وأنت تقرأ عن بابا روما فتجده يبارك خطوة السادات الى اسرائيل ٠

وأنت تقرأ عن الحاخامات اليهود فتجدهم يحبذون السلام والتحرك المصـــرى ٠

فاذا لم تكن المبادرة قد خلقت لنا الا هذا التأييد العريض الذى لم تعرف مصر الا ماهو ضده على خط مستقيم لمدة تزيد عن عشرين عاما لكان هذا حســبها ٠

ولكن هل صحيح أن المبادرة لم تنتج الا هذا التأييد على ضخامة هذا التأييد ان النظرة الخالية من الغرض تقول ٠

ان اسرائيل التى عاشت ثلاثين عاما من حياتها فى عزلة عن العرب لا تستطيع أن تعيش حياتها الباقية فى عزلة عن العالم أجمع ٠

أما هذا الفحيح فقد عرفناه فى ١٥ مايو ١٩٧١ وفى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ٠ وعند انهاء المعاهدة المصرية السوفيتية ٠ وعندما بدأت المبادرة ٠ وعند أغلاق المكاتب الثقافية لبعض دول شيوعية ٠ انه فحيح نعرفه تماما ٠ والذين يرددونه اليوم فى براءة لن يلبثوا أن يعرفوا دوافعه وخوافيه ٠

مقر اتحاد الكتاب

أكتب هذا الكلام فى الرابع من فبراير بعد عامين من صدور قانون اتحاد الكتاب وبعد ثلاثة أشهر من صدور أمر من رئيس الجمهورية السيد محمد أنور السادات « بتخصيص المقر » ٤٤ شارع عبد الخالق ثروت لاتحاد الكتـــاب ٠

ولقد ناجزنا حزب مصر أول الأمر فى الحصول على هذا وتدخل السيد الدكتور فؤاد محيى الدين والسيد نبوى اسماعيل وأتاحا لنا الطريق

لنحصل على المقر وكتبت فى الأهرام بيانا أبشر به اخوانى أعضاء الاتحاد أننا أوشكنا أن نحصل على هذا المقر • فاذا ببنك مصر يعترض على تمكين الاتحاد ونحن اليوم نتعرض لمعارضة البنك فى حصولنا على مكان !

والمقر الذى ندفع عنه بهذا العنف وهذه الشراسة مكون من ثلاث حجرات صغيرة وأعضاء مجلس ادارة الاتحاد ثلاثون عضوا فالذى لاشك فيه أن مجلس الادارة لن يستطيع أن يجتمع بهذا الشقة ، وطبعا لا نفكر ان نجد مكانا يتسع لاجتماع الجمعية العمومية للاتحاد التى تجاوز أعضاؤها الستمائة •

وقد قبلنا هذا المقر على مضض عارفين أن الادب لا يستطيع أن يحظى بأكثر من هذا • وكان أملنا أن يجد الاتحاد عنوانا يكاتبه الناس فيه ويقصد اليه زوار مصر من أدباء العالم • ولكن يبدو أن هذا الأمل المتواضع عسير هو أيضا •

ولعلى اذا ضاقت بى السبل سأقصد آخر الأمر الى محافظ القاهرة أرجوه ان يسمح للاتحاد باقامة كشك يجلس حوله مكتب الاتحاد المكون من توفيق الحكيم رئيسا ويوسف السباعى نائبا للرئيس وسعد وهبه أمينا للصندوق وكاتب هذه السطور سكرتيرا عاما ، فاذا ضاق الكشك بمثلى فى جسمى الضخم فسأضطر أن أحيطه بتنده ترد عنا عادية الشمس صيفا وماء المطر شتاء • وسنتمثل بالكتبة العموميين الذى انقضى زمنهم وسنعيد نحن أمجادهم ونضع مكتبا للأستاذ محمود يوسف مدير الادارة فى الاتحاد وبجانبه مكتب آخر للأستاذ حمدى صالح السكرتير الادارى • ومن هذه الصفحة أرجو من السيد محافظ القاهرة أن يتفضل فيحدد لى موعدا لأناقشه فى هذا الكشك وله منا منذ الآن كل الشكر • أما نفقات التأثيث فهى موجودة فقد تفضل السيد رئيس الوزراء فأعطى الاتحاد خمسة آلاف جنيه لهذا الغرض فاستطاع بهذا القرار الشريف أن يرسل الينا نسمة طيبة تأسو بعض الجراح فى نفوسنا • وبطبيعة الحال لا نستطيع أن نشترى الأثاث ونضعه فى الكشك الذى أزمع مخاطبة السيد المحافظ فى شأنه كما لا يجوز وضع الأثاث تحت التنده ولهذا فسيظل هذا المبلغ مجمدا فى ميزانية الاتحاد حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا •

مشكلة عامة وخاصة

ربما ظن البعض أن مكان هذا الحديث هو بريد القراء ولكن الحقيقة أنه مشكلة عامة لا تعنى الشاعر الذى تعرض لها وحده وانما تعنى كل الخاضعين لنظام التفرغ وتحتاج منى بالذات أن اتناولها بصفتى منتميا الى

هذه الفئة التى تعانى ما تعانى والتى يطلقون عليها اسم الأدباء وبصفتى أيضا أشغل مكانا فى الاتحاد الذى يبحث عن مكان والذى حكيت لكم مأساته فى الفقرة السابقة .

الشاعر كامل أمين شاعر مجيد . وقد استطاع فى قدرة بارعة أن يقدم عين جالوت فى ملحمة ضخمة وبالشعر العربى وتقدم الى ادارة التفرغ طالبا منحة تفرغ لمدة عام ليكتب ملحمة شعرية عن حروب القادسية وأوضح فى طلبه انه بالمعاش وان معاشه خمسة وأربعون جنيها وافقت اللجنة على طلبه ومنحته تفرغا لمدة عام بمكافأة شهرية قدرها أربعون جنيها وانتهى العام وهو يتقاضى المعاش والمكافأة . وقدم الى ادارة التفرغ طلبا بتجديد المنحة ودليلا على الجدية فى العمل . ثلاثة آلاف بيت من الشعر فوافقت الادارة بقرار وزارى على تجديد المنحة له وانقضت ستة أشهر على هذا التجديد ثم ..

ثم لم تتصور الجهات الرسمية ان تترك شيئا يسير فى طريق معقول . جاء الى الأستاذ الشاعر خطاب من ادارة التفرغ تخطره فيه أن السيد وكيل الوزارة رأى تعديل لائحة التفرغ وأصبحت اللائحة الجديدة لا تجيز الجمع بين المعاش ومنحة التفرغ .

والأستاذ الشاعر كامل أمين محام فهو يقول فى خطابه الى أن القانون الذى أنشأ منحة التفرغ لم يشر الى عدم الجمع بين المعاش ومنحة التفرغ وأضيف أنا بما كنت تعلمته فى كلية الحقوق ان القانون لا يلغيه الا قانون .

ولنترك هذا جميعه ولننظر فى الحكمة التى فكر فيها الشارع عند انشاء منحة التفرغ . يحاول بها أن يجعل الفنان أمنا على عيشه أمنا يتمكن به من ابداع عمل فنى . فالأمن كما يجهل الكثيرون هو العامل الأول فى الابداع . وقد سمعت فى طفولتى قصة من الأستاذ مصطفى حمام عن أديب كان يكتب بالقطعة فى الجرائد والمجلات وكان يكتب مقالاته فى بار اللواء . وكان حين يبدأ الكتابة يميل على أى صديق له ويستلف جنيها فيضعه فى جيبه ثم يبدأ فى الكتابة حتى اذا انتهى من كتابة المقال رد الجنيه نفسه الى صديقه .

ان هذا الكاتب لم يكن يضع الجنيه فى جيبه وانما كان يضع الأمن فى قلبه ليكتب . فبغير هذا الأمن لا يكون هناك أمل فى ابداع فنى .

ووكيل الوزارة الذى تفجرت عبقريته عن هذا التعديل سيخرج الى المعاش لاشك فى هذا فكل من يطول عمره — أطال الله عمره — لابد أن يخرج الى المعاش مهما تتجدد له المدد فكل مدة الى نهاية وكل موظف الى المعاش .

ولعل وكيل الوزارة فى غير حاجة الى منحة التفرغ ولكنه بغير شك سيكون فى حاجة الى العمل • وسيعرف يومذاك أن الذين على المعـاش ولا يملكون غيره يضطرون أن يقدموا أعمالا مختلفة فى الاذاعة والتليفزيون أو الجهات التى يفترض فيها أن تكون مظانا للربح فاذا نال الشاعر منحة للتفرغ مع معاشه استطاع أن يستغنى عن الأعمال الصغيرة ليقوم بالعمل الكبير •

وبعد فانا أترك وكيل الوزارة صاحب هذه المشورة لاتجه الى وزير الثقافة الذى يشاء الله أن يكون كاتبا وفنانا وعضوا فى اتحاد الكتاب ويشاء الله أيضا قبل كل هذا أن يكون انسانا مارس الحياة فى كل متجهات الحياة• وانى اسأله بما لى عنده من صداقة تمتد ثلاثين عاما وبما لى عنده اليوم من زمالة فى اتحاد الكتاب اذا لم ينصف الأديب ومثلك على رأس الوزارة فمتى نأمل له الانصـاف •

الأهرام فى ١٦/١١/١٩٧٧

انهم نبض القلـوب

لى قريب يقتضيه عمله أن يمر ببلاد عربية كثيرة وكان فى مصر منذ أيام فروى لى عجبا لقد سمع بعض أنصار الرفض فى بلاد عربية يقولون ان مصر جائرة حين تشكو كثرة قتلاها فى الحروب • فالذى يشكو كثرة السكان لا يجوز له أن يشكو فقدان الجنود فى ساحة الحروب وهم يقولون ان البلاد العربية الأخرى قليلة العدد فمن الطبيعى الا تجود بابنائها فى الحـروب •

ولو لم أكن واثقا من صدق قريبى الذى ينقل لى هذه المقالة لأبيت أن أصدق ان عقلا يبلغ به الغباء هذا المدى أو أن قلبا تبلغ به القسوة هذا الحـد •

فنحن حين نطلب الى الأزواج أن يقتصدوا فى انجاب الأطفال أنما نرغب أن نوفر السعادة لمن ولدوا فعلا ونرد الشقاء عن ألذين قد يأتون الى الدنيا فيلاقوا فيها عنتا •

ولا يتصور أحد أننا حين ندعو هذه الدعوة نعنى بها أن يصبح ابناؤنا علينا رخاصا نلقى بهم الى الحروب فاذا ماتوا لا نبكيهم •

كيف يتصور أحد أن أبناء الدول العربية القليلة العدد اعزاء على بلادهم وذويهم وأبناؤنا نحن لا قيمة لهم عندنا •

ان كل شاب منا قتل فى حرب من الحروب يحمل فى دمائه حضارة سبعة آلاف سنة • وأغلب الشباب من هؤلاء كان يستطيع أن يكون ذا نفع عظيم لنا وللبلاد العربية التى تستعين بابنائنا فى تعليم أبنائهم فى كل ميدان من ميادين الحياة مبتدئين بالمدرسة منتهين الى أرفع درجات الفنية والعـلم •

أن أبناءنا أعزاء علينا كما كل وليد عزيز على أهله ولا يعزينا كثرتنا ولا يخفف من لوعتنا كثافة السكان عندنا •

وكل شخص قتل من عندنا له أب وله أم فأبناؤنا ليسو أبناء الطبيعة وكل قتيل منا له أخ وزوجة وأبناء شأن كل انسان وهم اناسي وليس يعزى هؤلاء أن الأبناء فى مصر كثر فأبناء غيرهم لن يدخلوا العزاء الى نفوسهم والأزواج الآخرون والأخوة والآباء لن يعزوا الزوجة الايم ولا الأخ المفقود ولا الأبناء اليتامى .

لست أدرى أى عفريت صور لكم أن الأبناء ان كثروا رخصوا وان قلوا عزوا . أنهم ليسوا أموالا من عرض الدنيا. انهم أكباد وآمال وذكريات لهم بين ذويهم أمس ويوم وغد ولهم فى ديارهم قلوب تخفق باسمهم وأطفال يلوذون بهم من هجير الحياة وزوجات يسكن اليهم وتأمن اسرابهن فى ظلهم وآباء يعتدونهم عند الشيخوخة حصنا وعند المرض شفاء ولا يرون الحياة الا من عيونهم ومن حياتهم . فنحن حين ندفع أبناءنا الى الحروب أو حين تفرض علينا هذه الحرب أنما نقذف بقلوبنا ومستقبلنا وحياتنا .

ونحن لا نبتغى منكم فضلا الا أن تذكروا الفضل لنا . وتعرفوا أننا أصحابه .

ان هذا الذى سمعت والذى أثارنى جعلنى استقبل رأيا صدر عن زعماء الرفض بدهشة أقل مما كان يستحق .

فقد قالوا ان الحرب مع اسرائيل أثبتت أن جيشها ليس هو الجيش الذى لا يقهر . ولم يذكروا أى حرب تلك التى أثبتت ولم يقولوا أى دولة تلك التى خاضت هذه الحرب كانها حرب خفية وكأنهم جنود من الجن . انها حرب أكتوبر الخالدة وأن جنودها أبناء مصر .

فأى عجيبة يقولها هؤلاء القوم وأى تناقض يقعون فيه . اذا كان أبناؤنا هم مبعث فخرهم فكيف يكونون فى نفس الوقت هم منار حقدهم . وكيف يصبح أولئك الأبناء الكرام رخاصا عليهم ليس يهمهم أن يموتوا بل ويطالبوننا الا نحزن عليهم اذا هم ماتوا .

كيف تستطيع عصبة تناقض أقوالها افعالها وتتخبط غاياتها فى تيه السخف الى تيه من الجهل أن تصنع شيئا ذا قيمة فى فترة لم تعرف الأمة العربية فترة أكثر منها دقة وحرجا .

وأى مصير ينتظر الشعوب التى يحكمها الرافضون اذا كانت أقوال الحكام على هذا القدر من الهراء .

لا يعلم هذا الا الله . وهو وحده القادر أن يظل هذه الشعوب بفيض من رحمته أنه سبحانه العلى القدير .

. . حديث عن حلف الفضول

يقول المؤرخون أن هناك حلفا فى مكة اسمه « حلف الفضول » وقد تم هذا الحلف قبل ظهور الاسلام بفترة ليست بعيدة وقد حضره النبى عليه الصلاة والسلام قبل الرسالة وله عن ذلك حديث يقول فيه « لقد حضرت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » ٠

والفضول كلمة استعملها القانون الوضعى المصرى وشرحها وهى تعنى أن يقوم شخص عن آخر بعمل معين دون وكالة ٠ ومثال ذلك أن أعرف بطريقة أو بأخرى أن شقة جارى الغائب أو المسافر معرضة للغرق لفساد فى أنابيب الماء بها مثلا فأستأذن الشرطة وأدخل بعلم منهم الى شقة الجار وأقوم بالاصلاح على نفقتى حتى اذا جاء الجار حاسبته على ما انفقت ٠ فهذا عمل من أعمال الفضول وحلف الفضول ليس بعيدا فى معناه عن المعنى الذى استعمل فيه القانون الكلمة وسبب الحلف كما تقول المراجع التاريخية أن رجلا من قبيلة زبيد قدم الى مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى ابن وائل وكان ذا مكانة ومنزلة فى قومه ولكنه لم يكن ذا ضمير فأبى أن يعطى لصاحب البضاعة حقه ٠ فراح الرجل يناشد كل ذى اكرومة من القبائل ان تعيد اليه حقه السليب حتى اذا يئس وقف حول الكعبة ينشد شعرا يعلن به ضيعه الغريب فى جوار البيت فهب شرفاء قريش وعلى رأسهم الزبير بن عبد المطلب الذى قال « ما لهذا مترك » وتجمع حوله فتيان من فروع قريش وتعاهدوا بالله أن يكونوا يدا واحدة مع المظلوم على الطاغى حين يستقر الحق ٠ وسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقال الزبير ابن عبد المطلب شعرا يصف به هذا الحلف :

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا   الا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا   فالجار والمعتر فيهم سالم

ومن اشهر أعمال هذا الحلف أنه استطاع أن يستخلص حق هذا الغريب الذى أنشأت صيحته الحلف ، وحكاية أخرى تروى أن رجلا من قبيلة خثعم قدم مكة ومعه ابنته وهى تسمى القتول ويبدو أنها كانت فاتنة الجمال فعلا فانتهبها منه نبيه بن الحجاج وحار الغريب ما يفعل فأشار عليه أصحاب الرأى أن يلجأ الى حلف الفضول ٠

فتسارعوا اليه يجردون سيوفهم « جاءك الغوث فما بالك » فروى لهم ما فعله نبيه فهموا الى بيته يدقونه عليه « اخرج الجارية » ونظر الى السيوف والفتيان فقال « افعل » وأخذ الرجل ابنته وانصرف موفورا ٠

هذا هو حلف الفضول الذى عرفته الجاهلية وهو يدل على خلق أصيل رفيع من فتية وهبوا أنفسهم للحق وللدفاع عمن لا يستطيع دفاعا • وعن الجار الذى يقوم اليهم بغير عزوه من أهله ولا منعة من ذويه • وتمر السنوات مئات ومئات وتتجاوز الألف بخمسمائة عام تقريبا واذا العالم جميعا يصبح غابا الغلبة فيه للأقوى لا للحق والضياع فيه للأعزل وفى قمة التمدن الحضارى تشاهد الحضيض السحيق الذى انجرفت اليه أخلاق الناس وكأنما صنعت الحضارة لكى تمحق الأخلاق فينا والقيم •

فى مجتمع الدولة الواحدة يفتك القوى بالضعيف •

وفى مجتمع الدول تأكل الدولة الكبيرة الدول الصغرى فانت تشاهد تشكيوسلوفاكيا والمجر وما حدث فيها حين فكرتا فى الاستقلال عن الطغيان الروسى ترى هل تستطيع الدول أن تعقد فيما بينها حلف فضول فكل دولة تحاول الاستيلاء على دولة أخرى غصبا تسارع اليها دول حلف الفضول ترد منها العادية وتبعد الدولة الغاصبة عن الدولة المغتصبة لو ساد هذا المنطق ما سمعنا شيئا عن المستوطنات ولا الضفة الغربية ولسارعت دول كثيرة فرضت عليها شعارات حمراء الى تغيير هذه الشعارات ولما اضطر أقوام الى الانتحار وهم يحاولون الهروب من جنة الشيوعية الى جحيم الحرية •

أليس هذا الحلف خليقا بالدول الكبرى فى المجتمع الدولى لتصبح جديرة فعلا بأن تحمل لقب الكبرى •

تصحيح طريف

جاءنى خطاب فى غاية الرقة من الآنسة زينب مصطفى أحمد الطالبة بمعهد فتيات العباسية • وقد سعدت به غاية السعادة فالآنسة مهتمة باللغة التركية وقد لاحظت اننى أخطأت فى هجاء بعض الألفاظ التركية وفى تفسيرها فى مقالى الثانى عن رحلتى الى تركيا •

تقول الآنسة اننى كتبت دولما بهجت وتقول الآنسة ان هذا الاسم ينطق بالعربية « دولما باهتشه » ثم هى تفسر المعنى تفسيرا مختلفا عما أوردته فدولما أو طولمه معناها حشو وهى تطلق على بعض أصناف الطعام المحشو فالباذنجان المحشوا اسمه « باطلجان طولمه سى » وقد أطلقت كلمة طولمه باهتشه على هذا القصر لانه يشغل مكانا كان يشغله مستنقع يملؤه ماء البحر فقام المهندسون بردم هذا المستنقع وحشوه بالتراب حتى يتمكنوا من اقامة البناء عليه أما كلمة باهتشه التى تنطلق بالتركية باغجة فمعناه روضة أو حديقة وأصل الكلمة فارسي وتقول الآنسة انه يسمى حاليا « قصر

الجمهوريات » كما عرفت الآنسة من دراستها ولكن الواقع انهم هناك يطلقون عليه « ولما باهتشه » ولكن لعل الدراسة التي اطلعت عليها الآنسة أصدق من الناحية الرسمية على الأقل ٠

وخطأ آخر وقعت فيه هو الاسم الذى كتبته توب كابى وتقول الآنسة ان صحة الاسم « طوب فابو » فى التركية أو العربية وفى اللاتينية
وانى أشكر الآنسة على اهتمامها هذا وأعدها الا أقع فى هذه الأخطاء مرة أخـــرى ٠

الأهرام فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٧

يوسف السباعى الأديب

من الناس من يفكرون فى انشاء الأعمال ومنهم من يهب له الله القدرة على تنفيذ هذه الأفكار · ولكن يوسف السباعى رحمه الله استطاع أن يجمع بين القدرة الخلاقة على انشاء الفكرة والقدرة الجبارة على تنفيذها ·

وقد استطاع يوسف بهاتين الموهبتين أن يكون ألف رجل فى رجل واحد · واستطاع أن يكون الأديب المنشىء للفن الأدبى الذى جذب الجماهير العريضة واستطاع أيضا أن ينشىء التجمعات الأدبية التى تحتل الصدارة اليوم من الميدان الأدبى ·

وان رجلا قامت على يديه هذه المؤسسات التى يتجمع فيها الأدباء لجدير أن نبكيه فى هذه الصفحة ·

وان قاصا كتب ماكتبه يوسف السباعى من روايات وقصص لجدير أن نبكيه فى هذه الصفحة ·

وان ممثلا لمصر لقى ما لقى يوسف من موت غادر جبان يتربص به فى الدهاليز والحنايا لجدير أن نبكيه فى هذه الصفحة ·

وان انسانا قدم من الفضل والخير والعون ما قدمه يوسف للأدباء فى مصر وحتى لمن يدعون الأدب لجدير أن نبكيه فى هذه الصفحة ·

وان رئيسا لمجلس ادارة الأهرام قدم للأدب فى فترة رئاسته ما قدمه يوسف لجدير أن نبكيه فى هذه الصفحة ·

نبكيه أدباء فرادى ، ونبكيه أدباء جماعات · ونبكيه وننشر بكاءنا أو نبكيه ونخفت أصواتنا · ولكننا دائما سنبكيه لا وفاء له وانما وفاء لانفسنا ووفاء للوفاء ·

أنا اليوم أنسى ما بينى وبين يوسف من مواقف تغطى من حياتى خمسة وعشرين عامـا · وانسى بره بى كأخ وأنسى ينابيـع الحب التى تدفقت من قلبه البلورى · فما هنا مكان الكتابة عن هذا جميعا ·

أنا أذكر فى هذه الصفحة يوسف السباعى الأديب وراعى الأدب · وفى هاتين الصفحتين وحدهما نحن الذين نكتب هنا وكل من يكتب معنا من خارج الأهرام ·

نحن كأبناء وأخوة فى أسرة الأدب نبكيه ونبكى أنفسنا فى هذه الصفحة ترى أتكفينا الصفحات أو الكتب والمجلدات لنقول للشهيد يوسف شكرا ··· أو لنقول له لن تموت · أو لنقول له أى شىء ·· ما أظن ·

الجمهورية فى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٧

بين الشورى والديمقراطية

للمرة الثانية أناقش محمد عبد الوهاب حسن بكلية الآداب جامعة القاهرة وبقدر ما كنت مشوقا لمناقشته فى المرة الأولى بقدر ما أنا عازف عن هذه المناقشة اليوم

فقد نالنى بما لا أرضاه لنفسى ولكنه مع ذلك لن يستطيع أن ينجح فى ارغامى على الحديث عن نفسى فانما يتحدث عن نفسه من لا يتحدث عنه الآخرون ولست بذاك ٠

ولكن الشىء المؤكد أن محمد عبد الوهاب حسن الطالب بكلية الآداب جامعة القاهرة لم يقرأ لى شيئا كما أنه لم يقرأ عنى شيئا وانما أطلق احكامه بلا ريث تدبر وأنا لا حيلة لى مع من لا يقرأ ولكن المؤلم للنفس أن يتصدى محمد عبد الوهاب حسن الطالب بكلية الآداب جامعة القاهرة للحكم على دون أن يقرأ شيئا مما كتبت الا ما أنشره أو بعض ما أنشره فى المقالات ٠ ولا شك أن محمد عبد الوهاب حسن الطالب بكلية الآداب جامعة القاهرة يعلم أن الحكم على كاتب ما بصفاته الخلقية والأدبية يتكون من قراءة أعماله أو قراءة جزء كبير من أعماله على الأقل ٠

وانى أعلم انه فى طوقى الحديث عما كتبت فى الفترة الماضية التى كانت الرجفة المذعورة تشمل مصر جميعها ولكنى لن أفعل ٠ ولن أسمح لمحمد عبد الوهاب حسن أن يجعلنى أصطنع ما ليس من خلقى فانزلق الى حديث منبت عن النفس ولكنى أرجوه أن يحاسب الرجال فى قابل أيامه بالانصاف فهو مازال على مشارف الحياة وسيحتاج الى العدل فى حياته جميعا وأكون خائنا لأمانة القلم وللأمانة التى تفرضها على التجربة اذا أنا لم أتقدم اليه بالرجاء أن يكون منصفا فلا يضيع عنده قيم الرجال ٠

وبعد أيها الصديق لست أنوى فى هذه المرة أن أتناول خطابك فقرة فقرة كما فعلت فى المرة الماضية وانما أنا سأناقشك فى المفهوم العام لخطابك ٠

الأمر الذى لا شك فيه انك لا تدرك أعماق الفترة التى تعيشها ولا أبعادها ٠

والأمر الذى لا شك فيه أن نظرتك للأمور تنبعث من خلال ممر ضيق مختنق حتى لا تنظر الى الأمر فى مداه الواسع ومجاله الفسيح فكل ما يعنيك هذه المجلات الجامعية التى تبكى اختفاءها بكاء مرا وتبكى معها بعض أمور هزيلة لا تعطى السمات الحقيقية للفترة التى تعيش فيها ٠

لقد خرجنا من ماض أغبر سيطرت فيه القسوة الباطشة على كل نامة من نامات حياتنا وعلى كل خلجة من خلجات نفوسنا وعلى كل نبضة من نبضات أيامنا ٠

فأى مقارنة تعقدها بين ما كنا فيه وما صرنا اليه تدعو الى السخرية وامتهان العقل ٠

كنا أمواتا فصرنا أحياء ٠

كنا مرعوبين فصرنا شجعانا ٠

كنا مفزعين فصرنا آمنين ٠

كنا مهزومين فى حقيقتنا وفى نفوسنا فصرنا منتصرين ٠

كنا مخربين واليوم نصلح ما خرب ٠

كنا عالة على الحياة ليس لوجودنا معنى ولا قيمة واليوم نشق خمار الحياة فى عزة الأمن وفى كبرياء المنتصر ٠

أكل هذا ننساه لأن مجلات الطلبة منعت من الظهور ٠ ولأن القائمين على الأمر فضلوا ذلك على الدخول مع كتاب هذه المجلات الى ساحة القضاء مرتئين أن يوفروا على الطلاب الوقت ليتفرغوا للمذاكرة ودون أن يمنعوا الطلبة من ابداء الرأى السياسى فى الجرائد العامة وهكذا تكتب للأهرام ويحاورك كاتب فى الأهرام ٠

انك أيها الشاب ترفض الحرية ان لم تكن الحرية التى تريدها ٠ فكل ألوان الحرية عندك مرفوض مادام النوع الذى تذكر فيه غير موجود ٠ وليس هذا يا أخا الآداب من الانصاف فى شىء ٠

وأنت يا أخى تستشهد بعمر بن الخطاب ٠ دعنى اذن أجادلك فى هذا الأمر ٠ ان عمر بن الخطاب مثل أرفع للحاكم ٠ وهو لم يكن ديكتاتورا على الرغم من أنه كان حاكما مفردا ٠ فقد كان على انفراده بالحكم خاضعا لأحكام القرآن الكريم ٠ ولا شك انك تعرف القصة التى قال فيها أخطأ عمر وأصابت امرأة ٠ لأنها ذكرته بآية من القرآن لم يكن ذاكرها ٠

والأمثلة من مناقشات عمر كثيرة وكلها معروف مشهور لا يحتاج الى تذكرة أو الى بيان ٠

ولكن طريقة الحكم نفسها اختلفت عن أيام عمر اختلافا بينا واسعا حتى لأصبحت المقارنة غير عادلة ٠

كانت الشورى أيام عمر للناس كافة لكل فرد فى الأمة الاسلامية أن يشير على الخليفة وعلى الخليفة ان يستمع له ٠

ويصبح القرار بعد ذلك من حق الخليفة وحده لا سلطان عليه فيه ولا سلطان لشيء الا أن يكون مطابقا للقرآن الكريم وللسنة النبوية أما اذا كانت المسألة التى يقضى فيها غير واردة فى آية قرآنية أو فى حديث مؤكد أو سنة لا شك فيها فقد كان الأمر للخليفة وحده ٠

طريق الحكم اليوم تختلف عن ذلك ٠

الشورى اليوم تتمثل فى المجالس النيابية ٠ وهى ليست سلطة استشارية وانما هى سلطة تشريعية عليا بحيث لا يسرى قانون الا اذا وافقت عليه المجالس النيابية ٠ فولى الأمر اذن ليس حرا اليوم وانما هو مقيد برأى السلطة التشريعية فان رأى أمرا ورأت هذه المجالس غيره فرأيها هو لا رأيه ٠

وهكذا لم يصبح للشورى معنى ٠ لأن من يمثلنى فى المجالس النيابية هو الذى يحمل الرأى عنى الى ساحة التنفيذ أو ساحة النقاش ٠

والقاعدة الدستورية أن عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب ٠ فلا يجوز له أن يقيم من نفسه أو من جماعة معه سلطة تشريعية أخرى ٠ وانما يجوز له أن يقدم ما يقترح الى من يمثله فى المجلس النيابى ليطرحه للمناقشة على شرط أن يقتنع به النائب نفسه والمفروض ان الناخب يعرف أنه يوم أدلى بصوته فى صندوق الانتخاب فهو انما يتنازل عن حقه فى الشورى لهذا الذى ينتخبه عنه ليمثله فى الهيئة التشريعية وليكون الصوت الذى يمثله ٠

ان الديمقراطية التى يدلى فيها الشعب جميعه برأيه انتهت منذ عرف العالم الحياة النيابية وأن لم تكن قد انتهت فان الحياة اليوم لا تطيقها ولا تسمح بقيامها ٠ وطبعا هذا لا يمنع أن يدلى من يشاء برأيه عن طريق الصحافة أو غيرها من وسائل الاعلام ٠

والا فقل لى كيف يمكن أن يجتمع نصف الشعب المصرى ولا أقول جميعه ليناقشوا قانون الضرائب مثلا ٠ كيف يجتمع عشرون مليونا ليتبادلوا الرأى ويصدروا القرار ٠

واذا لم تقم المجالس النيابية عن الشعب بمناقشة القوانين وتولى الشعب هذا الواجب فكيف يتسنى لأفراد الشعب بعد ذلك أن يقوموا بأى عمل آخر وكيف تسير بنا الحياة ٠ سوف يتفرغ الشعب للواجبات التشريعية وعلى مصالح الدولة وأهلها العفاء ٠

قد ترى وقد أرى معك أن بعض أعضاء المجالس التشريعية لا يقومون بالواجب عليهم ٠ أو قد ترى وقد أرى معك أن بعض الأعضاء يقدمون المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ٠

ولكن لكل نظام عيوبه ولعل من أهم عيوب الديمقراطية التى نمارسها اليوم أن كثيرا من أعضاء مجلس الشعب لا يدرسون القوانين الدراسة الجديرة بها ٠ فالقوانين هى قوام الحياة فى الأمة وعليها تسير أمور الناس فاذا لم تكن قد درست الدراسة الوافية الشاملة العميقة خرجت الى الحياة شوهاء عرجاء ما يلبث الطريق أن يعوج بها ويلتوى وما تلبث أن تنهار وتنهار معها جوانب غاية فى الأهمية من حياة الناس ٠

ولكن التجربة لا تزال فى أولها كالطائر الوليد يروض جناحين لا ريش بهما ٠ فاذا ارتاش الجناحان ومضت التجربة موغلة فى الزمان عرف النائب المقصر انه مقصر وارتد الى الواجب الملقى على كتفيه يحمله أمينا عليه جديرا به ٠ ولكنك تتعجل الأمور وتسوط الأيام وتلهب ظهر الزمن فحنانيك فكل معوج الى اعتدال وكل مائل الى استقامة واستجلاء الأمل ارتقابه من بين شفائف الغد هو الحياة ٠

اعتذار عن خطأ تاريخى

ذكرت فى مفكرتى السابقة عن الطغاة والشعوب ان الشعب قتل موسلينى وزوج ابنته شيانو ٠ وقد اعتمدت فى سوق هذه الحادثة على الذاكرة معتقدا اننى عاصرت هذه الفترة المعاصرة التى تتيح لى أن أتحدث عنها دون عود الى مرجع ٠ وسرعان ما تبين لى اننى كنت فى سن لا تسمح لى بالاستيعاب التاريخى فقد ذكرنى بعض أقاربه بالحقيقة فى هذا الشأن وهى أن موسلينى قتل زوج ابنته وانه قبل أن يقتله أوشك أن يلين ويعدل تحت ثقل العطف على ابنته التى بالغت فى الرجاء ولكن الكارهين لشيانو سارعوا بتنفيذ الأمر قبل أن يعدل عنه الدوتشى ٠

وقد تفضل الدكتور بولص صليب غبريال فارسل لى خطابا يصحح لى هذه الواقعة ٠

أما الدوتش موسيليني فقد قتله الشعب هو ورفيقته وعلق كليهما من قدميه في ساحة عامة ٠

واني أعتذر عما وقعت فيه من خطأ وأحمد الله أن هذا الخطأ لا يؤثر فيما أردته للواقعة لتكون مثلا عليه ٠ فكل ما أهدف اليه أن الشعب سرعان ما يمقت الطاغية ويقضي عليه اذا تمكن منه ٠ ولازال المثل في موقعه حيث أردت له أن يكون ٠

•• ولكن العالم المتحضر يصفق

نزل الرئيس من الطائرة واستقبله رجال الدولة الرسميون واعضاء مجلس الشعب ولكن طفلين فى المستقبلين هما اللذان جعلانى أفكر • انهما الطفلان التقليديان اللذان يستقبلان الرئيس دائما عند كل استقبال رسمى بل ويستقبلان أيضا الضيوف الرسميين الا انهما فى هذه المرة كان لهما معنى عميق بعيد الدلالة • انهما يمثلان فى القبلة التى قبلاها وفى الورود التى قدماها جيلا من الزمن القادم يفرش له السادات حياة من الأمن بعد ان عاشت أجيال آبائهم حياة من الحرب •

فى سبيل هذا الجيل الذى قبل السادات وقدم وروده كانت رحلة السادات الى اسرائيل • ومن أجل هذا الجيل فى العالم أجمع رفع السادات على منبر الكنيست شعار العالم الجديد سلام ولا حرب • مفاوضة بالحجة والرأى لا بالصاروخ والمدفع •

وبعد أن قال خطبته الشماء يتقدم منه أحد الصحفيين يسأله عما تحمله الخطابات المتبادلة على المنبر فيقول ان المفاوضات لا تكون بالخطابات فالخطاب كان اعلانا عن الموقف الذى يرتضيه لنفسه ولأمته • موقف لم يتزحزح قيد أنملة عما اتفق عليه العرب أجمع أما المفاوضات فهى الوسيلة التى ينبغى بها أن يلتقى الرأى عند الرأى والمطلب عند المطلب وتلتقى المصلحة النافرة بالمصلحة النافرة •

ويكون المؤتمر الصحفى فنرى السادات الزعيم السياسى فى قمة مجده ونحس من وراء الجمل أن الطريق الى جنيف قد طهر من جميع العقبات • وأن مشكلة الأمن الاسرائيلى قد حلت • ونحس أن الرحلة التى ستظل أضخم علامة فى جيل بأكمله قد أثمرت فى رحلتها الأولى ما لم تكن نتوقعه من ثمار •

فما كان لنا أن ننتظر أن تسفر هذه الرحلة السريعة عن نتائج ايجابية سريعة وانما كنا ننتظر منها أن تفتح أهم طريق بيننا وبين السلام وهو طريق المفاوضات المباشرة ·

هذا الطريق الذى ظل مغلقا طوال ثلاثين عاما لا يفكر أحد من ساسة العرب أن يفتحه لأن كلا منهم يخاف من الآخر ·

الطريق الذى يعلم كل عربى عاقل أنه السبيل الأول والأجدر ولكنه يخشى أن يهمس برأيه هذا الى جاره وكيف له أن يهمس فأين اذن تذهب الخطب والقصائد والمقالات والأصوات الهادرة والتشنجات الجاهلة والتهديد بغير عمل وملابس الحروب ولا حروب وسيوف من عهد الجاهلية تصلح للتمثيل ولا تصلح للقتال ·

وما لهم لا يخطبون ويهدرون بالأقوال ماداموا هم يتكلمون والمصريون يموتون ·

وما لهم لا يمسكون سيف الأوهام ويرفعون شعارات الانتقام ماداموا هم يثرون ونحن المصريين نستنزف أموالنا مع دمائنا على أرض المعركة ·

ولكننا ومع كل ما نرى من بعضهم لا نتكلم حين نتكلم الا لخيرهم أجمعين وقد كان رئيسنا خليقا فى رحلته هذه وبعد هذا الهجوم الذى يشسنونه عليه أن يقول مصر ولتبحث كل بلد عربى عن الطريقة التى تناسبها ·

ولكنه رئيس مصر · وقد كانت ومازالت وسوف تظل أكبر دولة فى المنطقة · ورئيسها يعرف مكانة بلاده فنراه حين يجيب سؤالا لصحفى يقول لقد فعلوا أكثر من هذا عند فك الاشتباك ثم انتهت الزوبعة · أبى الرئيس أن يمن عليهم فيقول وانتفعوا هم أيضا بفض الاشتباك بعد أن ظلوا يهاجمونه سنة بأكملها · ولقد علم الرئيس أن الكثير من هؤلاء يفكرون بحناجرهم وأن كثيرا منهم آخرين يفكرون بجيوبهم · وما تلبث الأيام أن تمر وسريعا ما تمر وتصمت الحناجر ويتخافت رنين الذهب ويبقى الحق الذى لا يهزمه شىء ·

ان الرئيس السادات سافر فى ألق الضياء وتصايح أبناء الكلام بالهجوم عليه فعاد يركب سيارة مفتوحة يظللها الهواء النقى ومشت السيارة وهو واقف بها يحرسه شعب مصر جميعا الذى قال عنه فى مؤتمره انه جميعه يؤيد خطوته · ولقد أراد أن يظهر اسرائيل والمتصايحين والعالم أجمع على هذا التأييد ·

وحين انتهى المؤتمر الصحفي أمس دوت القاعة بالتصفيق · وقد كان بهذه القاعة أربعة آلاف وخمسمائة صحفي جميعهم من العالم المتحضر وهم يمثلون قلب هذا العالم وكلمته الحرة الشريفة التي لا يذلها حاكم ولا يسيطر عليها ديكتاتور · فهؤلاء الذين صفقوا هم ممثلو الحرية في العالم المتحضر وحين يصفقون فانما يعني ذلك شيئا واحدا هو أن العالم المتحضر يصفق ·

خطاب بلا تعليق

ومن بين الخطابات التي جاءتني اخترت هذا الخطاب ليعبر عنها جميعا وهو من المواطن المصري علوي الشريف ·

اليوم الذي قرر الرئيس السادات الذهاب الى إسرائيل ، وجدت نفسي وتحققت ذاتي · وجدت مصر كما كنت أريدها دائما وأحلم بها دائما : دولة سيادة العقل ، مع سيادة القانون ·· وجدت العقلية العربية تقترب من العقلية الأجنبية حتى لتسد عليها الطريق ، فلن يستطيع النهج السياسي الأجنبي أن يتعجب منا ولا أن ينتقدنا ولا أن يعيبنا ولا أن ينعانا ويرثي لحالنا ·· استعاد ذهني صورة نيفل شمبرلين وهو يهرع الى هتلر عام١٩٣٨·· ونيكسون وهو يعلن بكل زهو I'm off to China اني ذاهب الى الصين عام ٧١ ، وشجاعة رودولف هيس Rudolf Hess وهو يهبط من الجو في أراضي سكوتلندا ليتفاهم وأعداء بلاده عام ٤٠ ·

اليوم رأيت مصر تصحح خطأ كبيرا بعد أن أضاعت عشرين عاما في هتافات الحيرة واللغط والتخبط ، كناطح صخرة يوما ليوهنها ·· اليوم فقط صارت مصر قطعة من أوربا بل قطعة من العالم الخارجي أجمع ·

كنا في الخارج نعجز عن أن نرد على السائل الأجنبي حين يسألنا لماذا لا نجتمع بأعدائنا لحل موضوع العداء مباشرة بيننا ·· ولم يكن عجزنا لحجة تفتقدها ولكن لأننا نخاطب الأجنبي بلغة لا يفهمها ، وبعقلية ليست عقليته ، لنسرد له أسبابا خزعبلية ·· بعقلية قبائلية ·· قديمة من عصر الجاهلية ··

وفي السنين المنقضية ، كان الانطواء والدوران حول النفس ·· والحقد على العالم الحر في الحبس الانفرادي !!! وكان الشطط ·· نريد ان نحل مشكلة فلسطين عن طريق اليمن ·· وعن طريق الكونجو ·· وأن نذيب المجتمع المصري بطفح المجاري ·

قرار السادات قرار بسماركي ٠٠ السياسة فيه تعقب الحرب ٠٠ وهو ما كان ينقصنا ٠

قرار السادات هو الاشارة الى موضع الاذن من بروفيل الرأس وليس من خلف القفا ٠٠

ان الدائن يذهب الى حيث يوجد مدينة ٠٠ فيطالبه ٠٠ ويطارده ويقاضيه ٠٠ من أجل حفنة دولارات ٠٠ فما بالنا من أجل قضية شعب ، ومستقبل أمة ٠

أين كنا ؟ وكيف أصبحنا ؟

ما بين طرفة عين وانتباهتها

يغير الله من حال الى حال

هذا هو ثانى قرار « بالعبور » ٠

لقد قال السادات أنه يذهب الى اسرائيــــل وشعبه يؤيده ٠٠ بل والعالم كله يصفق له ٠

علوى الشريف

[مواطن مصرى]

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٩٢٧٧

ISBN — 977 — 01 — 3534 — 8